

بِسْمِ الْعَسَلِيِّ

فَنَّا الْحَرْبَ الْإِسْلَامِيَّةَ

عمليات الجبهة الغربية : فوج مصر والمغرب والاندلس



المجلد الثاني

دار الفكر

بِسْمِ الْمَسِيحِ

فَتْحُ الْجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ

فِي

عُهُودِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأُمَوِيِّينَ

عَمَلِيَّاتِ الْجَبْهَةِ الْغَرْبِيَّةِ فَتْحِ مِصْرَ وَالْقُرْبِ وَالْأَنْدَلُسِ

الْمَجْلَدُ الثَّانِي

دار الفكر

فن الحرب
في
عهد الخلفاء الراشدين والأمويين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ الْمَسَائِدِ

فَنَّا الْجُرْبَابُ الْإِسْلَامِي

فِي

عُهُودِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأُمَوِيِّينَ

المجلد الثاني

عمليات الجبهة الفهية

فتوح مصر والمغرب والاندلس

دار الفكر

الطبعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق إجازة الطبع محفوظة للناسخ

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المكاتب: البنايات المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - صر١: ١١/٧٠٦١
٨٣٨٢٠٢
المطابع والعمل: حارة حريك - شارع عبدالنور - هاتف: ٣٩٠٦٦٣ | ٨٣٧٨٨٨
بروقيا: فكيف - تليكس: ٤١٣٩٢ - فكر FIKR 41392 LE

بيروت
لبنان



الإصرار

الى المؤمنين بقوله تعالى والعاملين بما انزله ؛
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم
من قضى ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

والى العاملين بما انزله ؛
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
صدق الله العظيم

المقدمة

من أول أهداف التصدي لمعالجة « فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين » هو إبراز معالم الفتوحات العربية الاسلامية ووضعها في اطار يتوافق مع روح العصر وذلك من خلال عرض « الأحداث التاريخية » وتحليلها بصورة منهجية « مبرجة » تتوافق مع الواقع - قدر المستطاع - دونما مبالغة تنتهي إلى شطحات طوباوية تضر بهذا الواقع وتفسده ومن غير تحريف يفسد هذا الواقع أيضاً وينتهي به إلى تشويه مدمر .

- لقد برزت من خلال هذا العمل حقائق موضوعية تنقض المسلمات التي تتداولها كتب التاريخ الحديثة والتي تفرسها في العقول عن عمد أو غير عمد . - وأول هذه المسلمات [أن الفتوحات العربية - الاسلامية قد حدثت في غفلة من الدهر كانت فيه الامبراطوريات العظمى التي تصدت للفتوحات - كفارس وبيزنطة - في وضع الانهيار بحيث لم يلقى العرب المسلمون في فتوحاتهم مقاومة كبيرة فأطاحوا بتلك الامبراطوريات وانتشروا في كل بقعة من العالم القديم] . - ومن تلك المسلمات أيضاً [أن الفتوحات العربية الاسلامية قد حدثت بتأثير الحاجة .. والفقر ، والصراع على موارد العيش] واسقاط العامل الروحي والمعنوي الذي كان له الدور الأول والحاسم في المجاز الفتحوات والانطلاق إلى كل صقع من العالم - تلك هي بعض المسلمات لا كلها - وهي مسلمات خاطئة ،

خاطئة لأن فارس لم تكن على مثل هذه الدرجة من الضعف وهي التي

استطاعت قبل الفتوحات الاسلامية بسنوات قليلة أن تصل بجيوشها إلى قرب العاصمة البيزنطية وتحتل بلاد الشام ومصر ، حيث نزلت الآية الكريمة :

[آلم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيظلبون ، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ..] الآية ١ - ٤ - الروم .

ولم تكن بيزنطة على مثل هذه الدرجة من الضعف وهي التي استطاعت بعد تسع سنون أن ترد الضربة وتقوم بهجوم حاسم يصل بقواتها حتى عاصمة « فارس » ..

— لم تكن فارس على مثل هذه الدرجة من الضعف وهي التي زجت في القادسية ١٣٠,٠٠٠ مقاتل ، وزجت في المعارك المتتالية قوات لو حشدت كلها في معركة حاسمة لكانت قوة جيشها يزيد على المليون ، مقابل بضعة آلاف فقط من العرب المسلمين ..

— ولم تكن بيزنطة ضعيفة وقد زجت في معركة اليرموك ٢٤٠,٠٠٠ مقاتل وفي اجنادين ٨٠,٠٠٠ وفي بقية المعارك قوى متفرقة لو حشدت كلها لشكلت جيشاً يزيد على المليون ، مقابل ٣٠,٠٠٠ فقط من قوة العرب المسلمين ..

ولم تكن الحامية المدافعة عن مصر ضعيفة يوم هاجها عمرو بن العاص ، فقد كانت حامية الاسكندرية وحدها ١,٠٠٠,٠٠٠ مقاتل ، وزجت القيادة في معركة أم دنين ٨٠,٠٠٠ مقاتل . وكان في بايليون والقرماء والمواقع الأخرى قوات تزيد في مجموعها على نصف مليون مقابل ثمانية آلاف فقط ..

— وجابه العرب المسلمون عند فتح ليبيا وفي معركة القعوبة ١٢٠,٠٠٠ مقاتل ولانت قوتهم ٢٠,٠٠٠ فقط ..

— وجابه العرب المسلمون عند فتح تونس وفي معركة « الأجم » ٣٠,٠٠٠ مقاتل مقابل عشرة آلاف ..

- ولم تكن قوات فتح اسبانيا تزيد على بضمة آلاف ، مقابل عشرات الآلاف ..

وإذا ما أخذ بعين الاعتبار ميزان القوى فإن هذا الميزان لم يكن أبداً في صالح العرب المسلمين وكان التفوق دائماً في صالح خصومهم بمعدل أقله ثلاثة مقابل واحد وأكثره عشرة إلى واحد أو يزيد . ورغم ذلك انتصر العرب المسلمون ..

- وكان العرب المسلمون في موقف الهجوم ، وكان خصومهم باستمرار في موقف الدفاع ، فإذا ما أخذ بالموازن التقليدية وجب أن يكون ميزان القوى لصالح العرب المسلمين ..

-- لقد انتصر العرب لأنهم مهاجمون ، ولأنهم حاربوا لا بأعدادهم - كما قال الخليفة أبو بكر الصديق ومن بعده الخليفة عمر - وإنما انتصروا بقوة الدين والإيمان ..

وقد يكون من السهل تحليل انتصار العرب بالتمزق الديني الذي كان واقعاً في أقاليم فارس وبيزنطة ومصر وشمال افريقية والأندلس ..

- وقد يكون من السهل أيضاً تحليل انتصار العرب بالتمزق العسكري وضعف الانضباط وأخطاء القيادة . وقد يكون من السهل بعد ذلك تحليل هزيمة فارس وبيزنطة وانتصار العرب بألف مسوغ ومسوغ ، لكن هناك حقائق وفن الحرب يستند إلى الحقائق الموضوعية قبل كل شيء . ومن هنا وعلى ضوء الواقع يمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من تفسخ النظام الاقتصادي وتمزق النظام الاجتماعي ووجود التفرقة العنصرية مما وضع الولايات المتحدة الأمريكية على حافة الإنهيار ..

. - ومن الممكن القول أيضاً ان الاتحاد السوفيتي يعاني من كبت الحريات مما تسبب في ظهور حركة « الكتاب » والنشرات السرية وربيع براغ . وان الاتحاد السوفيتي أيضاً يعاني من التناقضات بين الحزب وجماهير الشعب وبين

الحزب والقيادة وأجهزتها المختلفة مما وضع الاتحاد السوفييتي على حافة الإثنيار..
فكيف إذا حقق الاتحاد السوفييتي النصر في حربه الوطنية العظمى ؟

- وكيف استطاعت الولايات المتحدة أن تزعج جيوشها في الحرب العالمية
الثانية فوق كل بقعة من العالم ؟

- ان هذه الأمراض الاجتماعية - رغم وجودها - تضعف من القدرة
القتالية وتجبط ارادة القتال عند الأمة وهي توضع في كفة الميزان عند تقدير
الموقف ولكنها ليست كل العوامل - انها بعضها وبعضها فقط - .
- ثم كيف استطاعت فييتنام الصغيرة إلحاق هزائم عسكرية بالقوات
الامريكية ؟

السبب ، ليس في ضعف امريكا بل في قوة فييتنام ، وارانها على انتزاع النصر..
لقد انتصرت ثورة الجزائر « لا بسبب ضعف فرنسا ، وإنما بسبب قوة
الجزائر واصرارها على انتزاع النصر مهما بلغت التضحيات ..

هذا هو العامل الثاني - ارادة النصر - ، وهي التي عبر عنها مونتغمري بقوله:
[لا توجد معركة فاشلة إلا إذا أراد لها قائدتها ذلك] .

وعودة إلى المسوغات .

- لم تكن بيزنطة ضعيفة ..

فقد استطاعت زج قوات كبرى في المعركة أو في مجموعة المعارك التي خاضتها
ضد العرب المسلمين ثم تابعت حرب الاستنزاف ضدهم ، وكان الرد الأموي هو
تنظيم الصوائف والشواقي وتصعيد العمليات فيها إلى حرب حقيقية فوصل العرب
في عهد معاوية مرتين حتى أبواب القسطنطينية ، ووصل مسلم بن عبد الملك
بجيوشه حتى القسطنطينية وبقيت قوات العرب المسلمين في حصارها سنة كاملة
وذلك عام ٩٨ هـ ..

كما استطاعت متابعة حروبها بعد قيام الدولة العباسية ووقعة عمورية حلقة

في سلسلة حرب الاستنزاف التي خاضتها بيزنطة ضد العرب المسلمين ..
ومقابل ذلك ، وصلت بيزنطة إلى أبواب دمشق، مرات عديدة ، وهاجت
الاسكندرية بعد الفتح وبقي أسطولها البحري مصدر خطر وازعاج طوال العهد
الاموي وصدر العهد العباسي ، وكان لبيزنطة دور كبير في تحريك عملاتها
والتحريض على الثورة المضادة طوال قرون عديدة بعد الفتح الاسلامي .. وقد
نجحت هذه الثورات المضادة في افريقية الشالية بصورة خاصة - ولو لفترة
محدودة - وكانت بيزنطة تخطط للثورات المضادة وتدعمها بعمليات إنزال بحري ،
وان مثل هذه العمليات لا تقوم بها دولة ضعيفة .

وعلاوة على ذلك فقد استطاعت بيزنطة الصمود على الجبهة الأوربية .

ففي عام ٩٧٠ م حاول الامبراطور والقائد البيزنطي الكبير ايوان سيمبكي
ابعاد الروس عن بلغاريا ، كما كان أمير « كييف » يعد بدوره حملة للهجوم على
القسطنطينية ووصلت قواته إلى البلقان ولكنها عادت بسرعة وتم عقد الصلح
بناء على اقتراح الامبراطور ايوان ..

وفي ربيع عام ٩٧١ م ، ودون النظر إلى معاهدة الصلح أرسل الامبراطور
البيزنطي ٣٠٠ مركب عبر نهر الدانوب وانطلق هو أيضاً بجيش كبير نحو البلقان
حيث وجه ضربة حاسمة إلى الوحدات الروسية الأمامية ووصل إلى مدينة
دوروستلاو وحاصرها فترة أشهر ثلاثة ، وانتهت الحرب بمقد صلح بين الطرفين
كان الجانب البيزنطي فيه هو الطرف الأقوى ..

لقد حدثت هذه المعركة بعد الفتح العربي الاسلامي بما يزيد على ثلاثة قرون ،
ولم تسقط بيزنطة إلا بعد الفتح العربي - الاسلامي بثمانية قرون ونيّف ، بحيث
يمكن القول : [ان ضعف بيزنطة قد جاء نتيجة لانترام مجالها الحيوي وإلحاق
الجزائم المتتالية بقواتها العسكرية] .

• أصيبت بيزنطة بالضعف نتيجة لقوة العرب ، ولم يكن انتصار العرب المسلمين
بسبب ضعف بيزنطة والفرق كبير بين الواقعتين التاريخيتين أو بين الموقفين ..

وما يقال عن بيزنطة يقال عن فارس .

وما يقال عن الدولتين العظيمين يقال أيضاً عن مصر وشمال أفريقيا
والأندلس والهضبة الإيرانية ..

كانت قوة العرب وإيمانهم بجمية النصر من أول عوامل نجاحهم في عملياتهم القتالية . ولقد أساءت بيزنطة وفارس تقدير قوة العرب المسلمين القتالية ولم تتمكننا من فهم التبدلات الجذرية التي أحدثتها الدين الاسلامي في بعث القوة العربية وتوحيدها وكان لهذا العامل دوره الحاسم فيما حققه العرب المسلمون من انتصارات .

- كان من نتيجة سوء تقدير الموقف ان دفعت بيزنطة وفارس مجموعات متتالية متتابعة لتدمير قوات العرب المسلمين، وطبق العرب المسلمون استراتيجية « بقعة الزيت » أو « الخرشوفة » فأخذوا يدمرون مجموعات العدو على التتابع ويحققون النصر بعد النصر ويوسعون قاعدة عملياتهم خطوة بعد خطوة حتى إذا جاءت المعركة الحاسمة « في اليرموك والقادسية وناوند والاسكندرية والأجم وغيرها ... » كانت قوات العرب المسلمين على استعداد نفسي كامل لخوض المعركة بينما كانت إرادة القتال عند خصومهم في حال « احباط كامل » .. وكان في ذلك سبب من أسباب النصر .

- وطبق العرب المسلمون في حروبهم عزل مسرح العمليات وحرمان العدو من امداداته واضعاف شؤونه الادارية فكان في ذلك واحد من عوامل النصر .
- وبجث قادة العرب المسلمين عن « المباغتة » في كل معركة من معاركهم وكان في ذلك أحد عوامل نصرهم ..

- وطبق قادة العرب المسلمين مبادئ الاستطلاع ، والحفاظة على الأمن ، والحشد والمرونة وحافظوا على المبادأة وكان في ذلك نصرهم .:

واستخدم العرب المسلمون أسس الحرب النفسية واستراتيجية الهجوم غير المباشر .

- ولم تكن هذه المبادئ جميعاً قد وضعت في قوالب نظرية محددة ومفاهيم ثابتة لكن استعراض مسيرة العمليات تظهر بوضوح تام أن معارك العرب المسلمين قد نفذت في اطار من التنظيم الدقيق والمتوافق مع مبادئ [فن الحرب] في مفاهيمها الحديثة ..

- لقد أظهرت الفتوحات العربية الاسلامية طبقة قيادية على درجة عالية من الكفاءة والذكاء، وكانت هذه الطبقة القيادية تبعث بروحي من إيمانها عن الوسائل والأساليب التي تضمن لها النصر ، وكانت تطور هذه الوسائل والأساليب تبعاً للمواقف التي تجابهها ، وكان من حصاد التجارب تكون فن الحرب وتطوره في عهد العرب المسلمين .

- وأظهرت مسيرة العمليات القتالية جيوشاً من المقاتلين لم يشهد للعالم مثلها في صلابتها وقسوتها وقدرتها على تحمل المشاق بروح من الاخلاص وانكار الذات لا مثيل لهما في التاريخ .. وكان الإيمان الحافز الأول والأخير للمقاتلين في حروبهم والعامل الاول والاخير في تحمل كل الصعاب ، مما جعل للنصر في قبضة العرب المسلمين .

- ان الفتوحات الاسلامية بمجموعها معارك « عقائدية » هدفها نشر الدين الاسلامي ، وكان الإيمان بواجب نشر الدين وفرض الاسهام به على كل مؤمن ، قد نظم العرب كلهم في جيش شعبي واحد ، وكان في ذلك النصر ..

لقد حقق العرب المسلمون انتصاراتهم :

- ١ - لإيمانهم العميق بجمية انتصارهم وواجبهم في نشر الدين .
- ٢ - لتوفر قيادات على درجة عالية من الكفاءة .
- ٣ - لتطبيق مبادئ « فن الحرب » بمهارة تبعاً للمواقف التي يحايونها ..

وكان في ذلك مصدر قوتهم ..

* وقد أخذت بيزنطة - رغم تطورها في فن الحرب - الكثير من المبادئ ونقلتها إلى اوروبا ..

وأخذت أوروبا نتيجة معاركها المستمرة مع العرب في اسبانيا ، ما أحدثه العرب من تطورات في فن الحرب ..

وكانت تجارب « الحروب الصليبية » مجالاً لاقتباس « فن الحرب » عند العرب وتطويره .

لقد جابهت القوات العربية الاسلامية تحديات كبيرة وكانت - لولا إيمانها - دون مستوى التحديات سواء في عددها أو في تسليحها أو في اعدادها ، لكن الإيمان بحتمية النصر هو الذي جعل هذا النصر حليفاً للمؤمنين ..

لقد أعطى العرب المسلمون للعالم علماً وفناً وأدباً ، ولعل « فن الحرب هو من أبرز الفنون التي طورها العرب » وأعطوها للعالم .

وإذا كان بناء الحاضر والمستقبل مرتبط بقاعدة الماضي ، مشدود بثبات إليها ، فما أحوجنا لمعرفة « ما ضمه تراثنا » .

وأرجو مخلصاً أن تكون هذه الدراسة لبنة في معرفة هذا « التراث الخالد » .

التقسيم الأول

الفصل الأول

وادي النيل عبر التاريخ

- ١ - الموقع والطبيعة الجغرافية .
- ٢ - الحكم في مصر عبر التاريخ .
- ٣ - مصر في عهد البطالسة .
- ٤ - من البطالسة الى الرومان .
- ٥ - مصر عشية الفتح الاسلامي .
- أ - الوضع الاجتماعي .
- ب - العلاقة بين بيزنطة والفرس .
- ج - المذاهب الدينية .
- د - التنظيم المكري البيزنطي في مصر .

وادي النيل عبر التاريخ

شهدت رمال وادي النيل أقدم حضارة عرفها التاريخ ، وقد بقي تاريخ مصر القديم محوطاً بهالة من الغموض ، لا يبدد من ظلمته سوى بعض الشواهد العمرانية الفخمة التي صمدت على مدى الدهر - كالأهرامات والمعابد والتماثيل - وسوى بعض كتابات المؤرخين اليونانيين أمثال « هيرودوت وتوسيديد » . ثم جاءت حملة نابليون بونابرت إلى مصر ومعها بعض العلماء . واستطاع شامبليون حل رموز الكتابة الهيروغليفية وأصبح بالإمكان قراءة أوراق البردي ونقوش الجدران ففتحت نافذة واسعة أمكن من خلالها تبديد كل غموض وإزالة كل ضباب وظهرت حضارة أصيلة ، عريقة الجذور ، واسعة الأفق ، شاملة لكل جميل ورائع من أدب وفن وعلم في جميع المجالات .

١ - الموقع والطبيعة الجغرافية :

- يحتل وادي النيل الزاوية الشمالية الشرقية من القارة الأفريقية ، ويصب النيل في البحر الأبيض المتوسط ، كما يحتل البحر الأحمر قسماً من الجبهة الشرقية لمصر ، وكان لهذا الموقع أثره الهام في حضارة مصر كنقطة التقاء بين قارات ثلاث أوربا وآسيا وأفريقيا فتفاعلت فوق تربتها أعرق الحضارة وأكثرها أصالة في التاريخ ، وامتزج فيها الفكر اليوناني بالفكر الفارسي ، وساعدت الطبيعة الدافئة على انضاج هذا التفاعل وحفظه على مدى الأيام .

- لقد كان موقع مصر الهام سبباً في دفع كل طامح إلى احتلال وادي النيل وحكمه لكن أصالة الشعب العربي بقيت سداً شامخاً في وجه كل غزو فتعظمت

كل الفتوحات ولم يثبت منها فوق رمال مصر سوى شواهد وآثار تدل على
لمصالة عروية مصر وعمق جذورها في اغوار التاريخ .

– كانت المياه قديماً تغمر وادي النيل وتملؤه بالمستنقعات وهذا ما دفع
قدامى المصريين إلى استيطان المرتفعات والهضاب المجاورة للوادي ، وعندما
أخذ الجفاف يسيطر على الوادي وانتظم مجرى نهر النيل ظهرت التربة الخصبة
فتوجه السكان إلى الزراعة وتبع ذلك تطور المجتمع من النظام القبلي إلى النظام
القروي وأقيمت السدود لحماية القرى من الفيضان ولاستثمار المياه لأعمال السقاية ،
ثم اجتمعت القرى واتحدت فكونت الدولة وكان لا بد من حدوث صدام بين
الدول المختلفة في وادي النيل وانتهى الصدام بتوحيد الكيانات المختلفة في
مملكتين احدهما في الجنوب والثانية في الشمال ولم يمض وقت طويل حتى قامت
الدولة الواحدة .

– وكان لنهر النيل دور حاسم في فرض نظام الحكم الواحد ، كما كان له
دور حاسم في دفع السكان نحو الخضوع للنظام الموحد وفي تقارب نظام العبادة
للنهر العظيم الذي حمل الحياة إلى سكان الوادي .

ان أرض مصر هي امتداد طبيعي للصحراء العربية من الشرق وللصحراء
الليبية من الغرب وهذا ما دفع بعض المؤرخين مثل « هيرودوت » إلى القول
« ان مصر هبة النيل » إذ لولا النيل لما كانت مصر . ومعدل عرض النيل هو
كيلو متر في حين يمتد من منطقة البحيرات في افريقيا الوسطى حتى يصب في
البحر الابيض المتوسط ويتفرع شمال القاهرة إلى دلتا ، وان هذا التفرع قد
ساعد على تقسيم مصر من الناحية الجغرافية الى قسمين واضحين هما :

١ – مصر العليا – أو الوجه القبلي – وتسمى أيضاً الصعيد ، ويشمل هذا
القسم المنطقة ما بين اسوان والقاهرة ، وكانت عاصمة هذا القسم قديماً
مدينة « طيبة » .

٢ - مصر السفلى - أو الوجه البحري - وتسمى أيضاً الدلتا ، ويشمل هذا القسم المنطقة ما بين القاهرة جنوباً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ، وأهم مدن هذا القسم قديماً « منف وتينس » .

٢ - الحكم في مصر عبر التاريخ :

- ان تيار التاريخ هو سبيل مستمر لا انقطاع فيه ، لكن ضرورات الدراسة فرضت تقسيم التفاعلات والأحداث التاريخية إلى مراحل ، فكان تاريخ مصر على النحو التالي :

١ - عهد ما قبل التاريخ : - وهو العهد الذي يبدأ بظهور الحياة في وادي النيل وينتهي في عام ٣٢٠٠ ق.م حيث تمكن أحد ملوك الجنوب المعروف باسم يفرمر « مينا » من توحيد وادي النيل وفرض حكمه على الشمال . وأخذ الملوك يحملون لقب « فرعون » ويضعون على رؤوسهم تاجاً مزدوجاً يجمع بين التاج الأبيض رمز ملوك الجنوب والتاج الأحمر رمز ملوك الشمال .

٢ - عهد مصر الموحدة : - وحكمت في هذا العهد ثلاثون أسرة حاكمة ، وقسم علماء التاريخ هذا العهد إلى أقسام أربعة :

١ - قسم الدولة المصرية القديمة : من الأسرة ١ - ١٠

٢ - قسم الدولة المصرية المتوسطة : من الأسرة ١١ - ١٧

٣ - قسم الدولة المصرية الحديثة : من الأسرة ١٨ - ٢٠

٤ - قسم الدولة المصرية الضعيفة أو عهد الانحطاط : من الأسرة ٢١ - ٣٠



- يمتد عهد الدولة المصرية القديمة من سنة ٣٢٠٠ - ٢١٦٠ ق.م وكانت منف عاصمة هذه الدولة . وتعتبر الأسرة الرابعة هي أكثر الأسر العشرة شهرة نظراً لما تركه فراعتها خوفو وخفرع ومنقرع من آثار تمثلت ببناء الاهرامات

الكبرى وتمثال أبي الهول القريب من القاهرة .. وتميز هذا العهد بتمركز السلطة القوي في يد الفراعنة ، لكن انحراف هؤلاء للفراعنة في استخدام السلطة ، وتعميم نظام السخرة لاقامة المشاريع الكبرى وتزايد الظلم دفع بحكام المقاطعات ورجال الدين إلى التكتل وقامت ثورة دامية أطاحت بحكم ملكية منف ، واستقل حكام المقاطعات بأقاليمهم مما أدى إلى ظهور عهد الاقطاع ، وتجزأت مصر وانتشرت الفوضى وكان هذا الوضع المتدهور هو الحافز لقيام عهد الدولة المتوسطة .



— يتد عهد الدولة المتوسطة من سنة ٢١٦٠ - ١٥٨٠ ق.م ، حكمت خلاله سبعة أسر ، وكانت العاصمة « طيبة » .

— نجح ملوك الأسرة الثانية عشرة في اعادة توحيد وادي النيل بعد سلسلة من المعارك والمفاوضات مع حكام الأقاليم والمقاطعات . وتميز نظام هذا العهد بإعطاء حكام المقاطعات والأقاليم حرية الادارة الذاتية مقابل دعم الحكام لفرعون في حال الحرب إلى جانب تقديم دعم مادي للحكومة المركزية من أجل اقامة المشاريع العمرانية كالري والبناء واقامة السدود . وقد ساعد ذلك كله على ظهور نهضة عمرانية واجتماعية متطورة .

— وفي هذا العهد اجتاح الهيكسوس مصر ، وهم من القبائل العربية السامية التي قدمت من شبه الجزيرة العربية وسوريا عن طريق شبه جزيرة سيناء ، وقد استمر حكم الهيكسوس ما بين ١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق.م ، وساعد التمزق الداخلي في مصر هؤلاء الملوك الدعاة على تمزيق الجيوش المصرية ، كما ساعدهم أيضاً استخدامهم للأسلحة الجديدة ، كالعربات التي تجرها الخيل ، والحناجر البرونزية مما لم يكن يعرفه المقاتلون المصريون .

حاول الملوك الدعاة تقليد المصريين في ما كلهم وملبسهم وحياتهم على أمل الاندماج بالشعب المصري ، لكن بقاء الأسرة الحاكمة في طيبة وفشل الهيكسوس في

السيطرة على مصر العليا والتفاف المصريين حول ملوكهم لمقاومة « الغزاة » قد ساعد على تصعيد المقاومة التي وصلت ذروتها في عهد أحسن الأول ، من الأسرة السابعة عشرة وانتهت بإخراج الهيكسوس من مصر وانطلق أحسن الأول في مطاردة فلولهم حتى وصل جنوب سوريا . وانتهى بذلك عهد الدولة المتوسطة ليبدأ عهد الدولة المصرية الحديثة .



حكمت مصر ما بين عام ١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق. م ثلاثة سلالات من ١٨ - ٢٠ و بقيت مدينة طيبة عاصمة « للامبراطورية » ، وقد بدأت هذه السلالات عهدها بنهضة عسكرية وعمرانية ، وأراد فراعنتها تحصين شرق الدلتا ، واحتاجوا إلى المواد الأولية فقام تحوتس الثالث « ١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق. م » بغزو سوريا مستهدفاً الحصول على الخشب من لبنان والنحاس من سيناء . ووقعت بين تحوتس الثالث والامراء السوريين معركة في سفوح جبال الكرمل قرب حيفا عام ١٤٦٨ ق. م عرفت بمعركة مجدو ، وانتصر تحوتس ثم تابع تقدمه ، وقاد مجموعة من المعارك انتهت بقيام امبراطورية قوية امتدت من السودان جنوباً إلى سوريا شمالاً ، وشهدت مصر في عهد تحوتس الثالث من الرخاء والازدهار ما لم تعرفه من قبل .

— لم يتمكن خلفاء تحوتس الثالث من المحافظة على امبراطوريتهم ، وصرفتهم الخلافات المذهبية والمنازعات الداخلية ، ولا سيما في عهد امنحوتب الرابع « اخناتون » ١٣٧٢ - ١٣٥٤ ق. م . الذي فرض عبادة إله الشمس « اتون » وطارد كهنة الديانة القديمة واضطهد اقباعهم واغلق معابدهم ونقل العاصمة من طيبة « الى اخيت - اتون » . وشعر الامراء السوريين بضعف الدولة فاستقلوا بحكم اقاليمهم وبدأ الحثيون باجتياح سوريا من الشمال مما دفع الامراء السوريين المواليين لمصر لطلب دعم حكام مصر ، فقاد رمسيس الثاني جيشاً الى سوريا والتقى بالحثيين في معركة « قادش » قرب حمص عام ١٢٩٦ ق. م . ولم ينته القتال

الى نتيجة حاسمة مما اضطر رعمسيس إلى عقد معاهدة استقل بموجبها الحيثيون في حكم شال حصص وللمصريين جنوبها .

وكان من أهم ما خلفته هذه السلالات معبد الكرنك والمسلات الحجرية الكثيرة التي خلدوا عليها أخبار انتصاراتهم .

لم ينجح خلفاء رعمسيس الثاني في الحفاظ على وحدة الامبراطورية ، ولا استطاعوا حماية مصر كدولة موحدة وبدأ بذلك عهد جديد تعاقبت عليه عشرة سلالات من ٢١ - ٣٠ ، وامتد من ١٠٨٥ - ٣٣٢ ق. م .

- استقلت في عهد هذه السلالات الدولة وأصبحت مجموعة دويلات ، وانتشرت الفوضى وتعاضم دور رجال الدين والكهنة حتى استطاع بعضهم الاستيلاء على الحكم . كما جابهت مصر في عهدهم الغزو الخارجي المتمثل بهجوم شعوب البحر ، واحتل الليبيون الدلتا لفترة قرنين من الزمن كما احتل الاثيوبيون « الاحباش » مصر العليا في عام ٧٤٦ ق.م. تقريباً ، واحتل الآشوريون مصر في عهد أسرحدون عام ٦٧٠ ق.م. وأصبحت مصر تابعة للآشوريين .. ثم شهدت مصر بعد ذلك عهداً قصيراً من الازدهار في حكم الاسرة ٢٦ عرف بالمصر الصاوي ، ولم يلبث الضعف بعد ذلك أن عاود سيطرته على الدولة وذلك مع ظهور قوة الفرس الذين أخذوا يتقدمون من فارس في اتجاه الغرب ، فاحتلوا سوريا وتابعوا زحفهم حتى أبواب مصر ثم نجح قمبيز الثاني ملك فارس في احتلال مصر وأعلن نفسه ملكاً عليها وبقي الاحتلال الفارسي لمصر مستمراً حتى جاءت جيوش الاسكندر المقدوني ففتحت مصر عام ٣٣٢ ق. م .

٣ - مصر في عهد البطالمة :

- كانت مقدونيا مملكة تحتل سهلاً واسماً تحيط به الجبال في شمال اليونان ، وعندما ضعفت ممالك اليونان « اثينة واسبارطة وثيبة » تقدم المكدونيون بقيادة

فيليب الثاني واحتلوا اليونان ، وحكم فيليب الثاني من ٣٦٠ - ٣٣٦ ق.م . ونجح في احتلال سواحل بحر ايجة وانهى احتلال اليونان عام ٣٣٨ ق.م. وعندما وضع مخططاته لتابعة التوسع واخضاع فارس ، اغتيل عام ٣٣٦ ق.م. تاركاً تنفيذ اعمال التوسع لابنه الاسكندر المقدوني .

- قضى الاسكندر على الثورات التي تصدت لحكمه بعد مقتل ابيه ثم قاد جيوشه لانزاع آسيا الصغرى من الفرس ونجح في احتلالها بعد مجموعة من المعارك التي كان أشهرها معركة ايسوس «قرب خليج الاسكندرون» ثم تابع الاسكندر تقدمه مع محاذاة الساحل السوري فاحتل المدن الفينيقية بسرعة ولم تصمد في وجهه سوى صور التي قاومت الحصار الطويل قبل أن تسقط ثم دخلت جيوش الاسكندر مصر ٣٣٢ واستقبل فيها كمحرر للشعب وأطلق عليه لقب فرعون .

تابع الاسكندر المقدوني فتوحاته حتى وصل بحر قزوين واحتل تركستان وافغانستان الحالية ووادي السند «باكستان» ، ووصل حدود الهند وعادت قواته على محورين احدهما طريق الهيمط الهندي فاطليح العربي ، والثاني على الطرق الداخلية في اتجاه بلاد الرافدين ..

أقام الاسكندر الاكبر في بابل بعد عودته من فتوحاته وأراد ان يتخذ من بابل عاصمة لامبراطوريته الواسعة لكنه اصيب بالحمى وتوفي في عام ٣٢٣ ق.م .

- اختلف قادة الاسكندر بعد وفاته ، واستقل القائد انتيفون في حكم اليونان ومقدونيا واسس الدولة الانتيفونية ..

- كما استقل القائد « سلوقس » في حكم سوريا وبلاد الرافدين ويران ، وأسس الدولة السلوقية وجعل انطاكية عاصمة لها ، ثم تقلصت رقعة هذه الدولة عند ظهور الأسرة البارثية في ايران ..

- واستقل القائد بطليموس في مصر وأسس دولة البطالمة أو البطالسة وجعل الاسكندرية عاصمة لها ..

كان الاسكندر قد حمل معه في فتوحاته عدداً كبيراً من العلماء ، وامتزج

بالسكان عن طريق تشجيع الزواج والاندماج في المجتمع . ونتيجة لذلك نشأت حضارة رائعة عرفت بالحضارة الهيلينستية ، وأصبحت الاسكندرية وانطاكية منارات للاشعاع الفكري والحضاري في مختلف العلوم والفنون .

٤ - من البطالسة الى الرومان « بيزنطة » :

- في عام ٧٥٣ ق.م قام رومولوس ببناء « روما » على ماتذكرة الاساطير . والشعب الايطالي مثله كمثل الشعب اليوناني والايرواني من المرقق الآري « الهندي - اورني » .

- ومن ٧٥٣ - ٥٠٩ ق.م حكم روما ملوك يساعدهم مجلس شيوخ من الأسر النبيلة وجمعية عمومية تضم أحرار روما ، ولم تكن حدود هذه المملكة تتجاوز مدينة روما .

- أعقب ذلك الحكم الجمهوري من ٥٠٩ - ٣٢ ق.م . بعد ثورة ضد الملوك الذين استأثروا بالسلطة ، وكان من أعظم المجازات هذا العهد خروج روما موحدة قوية تضم أقاليم واسعة .

- العهد الامبراطوري من ٣٢ ق.م . حتى ٤٧٦ م حيث انفرد اوكتافيوس بالحكم بعد مجموعة المعارك التي خاضها ضد الجمهوريين الذين قتلوا يوليوس قيصر بتهمة تحويل الجمهورية الى امبراطورية .

لقد حدثت أكثر الفتوحات في العهد الجمهوري وكانت وفق التسلسل التالي:

١ - احتلال قرطاجنة بعد الحروب البونية (٢٦٤ - ١٤٦ ق.م) .

٢ - احتلال مقدونيا واليونان سنة ١٤٨ ق.م . ومتابعة التوسع حتى

جبال طوروس .

٣ - احتلال سوريا من قبل القائد الروماني بومبيوس عام ٦٤ ق.م والقضاء

على الدولة السلوقية .

٤ - احتلال فرنسا « بلاد الغال » وجنوب بريطانيا بقيادة يوليوس قيصر

عام ٥٥ ق.م .

٥ - احتلال مصر من قبل القائد الروماني اوكتافيوس وازالة حكم البطالمة الذي انتهى بالقضاء على كليوباترة ..

في عام ٣٨١ م أعلن الامبراطور تيودوسيوس جعل الديانة المسيحية ديناً للدولة وأخذ في مطاردة الوثنيين واضطهاد أتباع هذه الديانة .

حكم الامبراطور قسطنطين خلال الفترة ما بين ٣٠٦ - ٣٣٧ م ، وحاول دعم الدولة وتقويتها فبنى القسطنطينية في موقع بيزنطة وجعلها عاصمة له عام ٣٣٠ م .

ثم جاء تيودوسيوس فقسم الدولة عام ٣٩٥ م الى قسمين :

١ - قسم شرقي يحكمه ابنه الأكبر « اركاديوس » وعاصمته القسطنطينية .

٢ - قسم غربي يحكمه ابنه الثاني « هونوديوس » وعاصمته روما .

في عام ٤٧٦ م سقطت روما بيد القبائل الجرمانية البربرية وقامت على انقاضها دويلات عديدة . ويعتبر المؤرخون هذا العام « ٤٧٦ م » هو بداية « العصور الوسطى » .

- استمرت الدولة الرومانية الشرقية « بيزنطة » في حكم الأقاليم التابعة لها وهي :

- بلاد البلقان وجزر بحر ايجه في اوربا .

- آسيا الصغرى وارمينيا وسوريا الطبيعية حتى ضفاف نهر الفرات في آسيا .

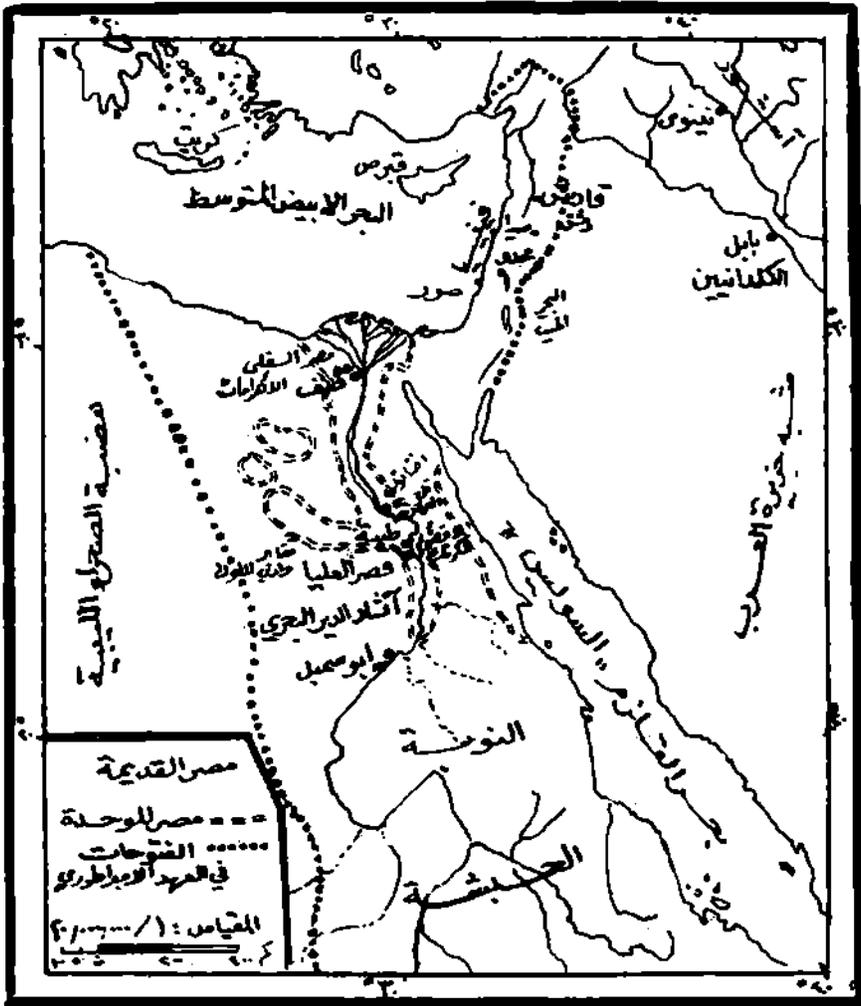
- مصر وبلاد برقة « ليبيا » في افريقيا .

- أطلق العرب على هذه الدولة اسم « دولة الروم » .. وكانت لهم مع الروم معارك مستمرة ابتدأت بتحرير الشام ومصر من قبضتهم وانتزاع السيطرة البحرية طوال العهد الأموي . ثم انتهت بيزنطة عندما استولى السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينة عام ١٤٥٣ م ..

الحكم في مصر عبر التاريخ

توقيت الاحداث	وجيز عنها
ما قبل التاريخ	حيث كانت هناك مملكة في الشمال عاصمتها « طيبة » ومملكة في الجنوب عاصمتها « منف و قفيس » .
٣٢٠٠ ق.م.	سيطرت مملكة الجنوب على مملكة الشمال وتوحدت مصر بقيادة الملك مينا .
٣٤٥٠ - ٢١٦٠ ق.م.	حكمت مصر سلالات من الاسرة ١ - ١٠ ، وكانت « منف » هي العاصمة . أشهر هذه السلالات الاسرة الرابعة ومنهم خوفو وخفرع ومنقرع بناء الأهرامات الكبرى وأبو الهول . واخذ الضعف يتسرب الى الحكم وبرزت التناقضات الداخلية وحدث تمزق بين الحكام انتهى بضياع وحدة وادي النيل .
٢١٦٠ - ١٥٨٠ ق.م.	حكمت مصر سلالات من الاسرة ١١ - ١٧ ، وكانت طيبة عاصمتهم ، وأعادوا الوحدة لمصر .
١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق.م.	قام الهيكسوس وهم عرب من الجزيرة العربية والشام بفسو مصر وحكمها .
١٦٠٠ ق.م.	نجح احمس الاول من الاسرة السابعة عشرة باخراج الهيكسوس من مصر .
١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق.م.	من الاسرة ١٨ - ٢٠ وكانت طيبة عاصمتهم .
١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م.	أقدم تحوتمس الثالث على غزو سوريا وانتصر على السوريين في معركة مجدو في عام ١٤٦٨ ق.م .

توقيت الاحداث	وجيز عنها
١٣٧٢ - ١٣٥٤ ق.م.	تولى الحكم امنحوتب الرابع « اخناتون » ونقل العاصمة من طيبة الى « اخيت - آتون » تل الهامنة حالياً ، وفرض عبادة الشمس على الشعب .
١٢٩٦ ق.م.	قاد رععمسيس الثاني جيشه وحارب الحثيين وانتصر عليهم في معركة قادش قرب حمص . وانتهى الامر بمعاهدة لاقتسام الحكم فكان للحثيين شمال حمص وللمصريين جنوبها .
١٠٨٥ - ٣٣٢ ق.م.	قام من الاسرة ٢١ - ٣٠ ، وتميز حكم هذه الأسر بالضعف الذي انتهى بتمزق الدولة وانهارها . - فقد احتل الليبيون الدلتا وحكموها طوال قرنين من الزمن . - وقام شعوب البحر « اليونانيون على الاغلب » بغزو مصر ، ونجح المصريون بطردهم . احتل الاثيوبيون « الاحباش » مصر العليا . احتل الآشوريون مصر في عهد « اسرحون » . احتل الفرس مصر بقيادة « قمبيز الثاني » . احتل البطالسة مصر بقيادة « الاسكندر المقدوني » . انتزع الرومان مصر من البطالسة وحكموها . دخل العرب المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص .
٧٤٦ ق.م.	
٦٧٠ ق.م.	
٥٢٥ ق.م.	
٣٣٢ - ٣٠ ق.م.	
٣٠ ق.م. - ٦٤٠ ق.م.	
٦٤٠ ق.م.	



مصر - في حكم الفراعنة

٥ - مصر عشية الفتح الاسلامي

١ - الوضع الاجتماعي :

- جابهت مصر قبل الاسلام عدداً من الغزوات والهجمات كالهيكسوس وشعوب البحر والبطالسة والاثيوبيين والليبيين ، وكان هدف اكثر هذه الهجمات استيطانياً ، فلما انتهت الى الفشل خلفت في مصر أقليات فضلت الاستيطان والبقاء في مصر واندجت في مجتمعا وأصبحت قسماً متلاحماً مع أرض مصر وشعبها ..

- جاء الرومان ليحتلوا مكانة البطالسة في حكم مصر . وجعلوا من الاسكندرية عاصمة لهم ، واعتمدوا على اشراف روما - البطارقة - في الحكم في الادارة ، كما اعتمدوا على قواتهم لفرض سيطرتهم لكن كثرة الحروب التي خاضتها روما ، ثم بيزنطة ، وبصورة خاصة ضد الفرس ، حملت الحكومة البيزنطية على الاعتماد والى حد بعيد على ابناء البلاد الاصليين . فكان هناك نظام للادارة المحلية في كل اقليم وفي كل مجتمع داخل الاقليم .. وكان المقوقس هو الحاكم في مصر عند الفتح الاسلامي ..

- أراد الرومان من احتلال مصر جعلها مزرعة ترفد روما وجيوشها بالمتطلبات التموينية والمواد الغذائية ، وورثت بيزنطة بعد انقسام الدولة الرومانية ، هذا الدور واستمرت في تنفيذ السياسة ذاتها [فانتقل كاهل المصريين بالاعباء والمتطلبات وفرضت الضرائب على الاشخاص والاشياء فكانت تجبى على الرؤوس والصناعات والماشية والاراضي ، ولم تقتصر هذه الضرائب على انواع خاصة من البضائع بل كانت تجبى على المارة رجالاً ونساءً وتجاراً وغير تجار ومن صناع السفن ومن زوجات الجنود وعلى اثاث

المنازل . ولم تتوقف الضرائب عند حدود الاحياء بل تجاوزتها الى الموتى حتى انه لم يكن يسمح بدفن الميت الا بعد دفع ضريبة معينة ، وقد الزم المصريون بايواء من يربهم من الموظفين الملكيين والعسكريين وتقديم ما يلزمهم من الحاجات وتوفير اسباب الراحة لهم في حلهم وترحالهم والزموا في السنين الاخيرة بتقديم الفداء الى الجنود ... [(١)] .

— علاوه على ذلك فقد كانت هناك اقلية من اليهود والوثنيين الذين كانوا عرضة للاضطهاد المستمر بسبب الاتهامات الموجهة اليهم بالاتصال مع القوى الاجنبية والتواطؤ مع الشعوب الاجنبية .

— لقد خلقت هذه السياسة هوة بين الشعب وجماهيره الواسعة وبين الحكام واجهزته القريبة واخذت هذه الهوة في الاتساع مع زيادة الضرائب وتعاقد درجة الاضطهاد . كما ادت الابعاء الثقيلة الى ضعف المصريين وزيادة نعمتهم على الحكم البيزنطي ..

ب - العلاقة بين بيزنطة - والفرس ..

شهدت بلاد الشام ومصر فترة من التوتر والاضطراب والحروب بين اكبر قوتين في العالم القديم : الفرس - وبيزنطة ، ويمكن تلخيص احداث هذه الفترة بما يلي : - (٢)

في عام ٦٠٧ م - تقدمت الجيوش الفارسية على محورين : اولها باتجاه آسيا الصغرى وهدفها القسطنطينية ، وثانيها في اتجاه الشام . وطرقت القوات الفارسية ابواب القسطنطينية بينما احتلت القوات الاخرى الشام مما وضع بيزنطة امام موقف خطير يتهددها بالزوال .

Histo.y - of - Egypte. Under - Roman. Rule. Milne. P.P. (١)

115 - 125 .

(٢) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم - الطبعة الثانية - ص ٣١-٤٢ ، ابراهيم المصري

في عام ٦١٠ م - تولى « هرقل » حكم بيزنطة ، وكرس جهوده لبناء القوات المسلحة واعادة تنظيم الجيوش ، استعداداً للقيام بهجوم مضاد .

في عام ٦١١ م - اراد الفرس اجهاض استعدادات بيزنطة فدفعوا قواتهم في هجوم جديد واحتلت القوات الفارسية ارمينيا كما وصلت مدينة حمص واحتلتها . فقام هرقل بتوجيه جيش لتحرير ارمينيا وقاد جيشاً آخر لتحرير سوريا ..

في عام ٦١٤ م - زحف « كسرى - برويز » ملك فارس الى سوريا فاستولى على انطاكية ودمشق وابلباء « بيت المقدس » واستباح اورشليم ، فنهبا جند الفرس واحرقوا كنيسة القيامة وسلبوا خزائنها كما احرقوا القبر المقدس وحملوا معهم الى بلادهم بطيريك القدس وصلبها الحقيقي ..

في عام ٦١٧ م - احتل الفرس « مصر » واكملوا سيادتهم على الشام ومصر ، ثم وجهوا جيشاً للهجوم على القسطنطينية ، لكن عاصمة بيزنطة صمدت في وجه الهجوم الفارسي .

في عام ٦٢١ م - انتهى « هرقل » مرحلة الاستعداد ، وانطلق بهجوم قوي وحاسم ، فأوغل في بلاد الفرس مما اضطر « برويز » على سحب قواته من الشام للدفاع عن قلب مملكته ، واستمر هذا الهجوم فترة اعوام ثلاثة ..

في عام ٦٢٧ م - قاد هرقل هجوماً جديداً وصل به الى نينوى عاصمة الاشوريين للمرة الاولى ، ودمر جيش الفرس ، فتنازل كسرى « برويز » عن الحكم لابنه مردانشاه ، وهذا ما اثار حمد شيرويه الاخ الثاني لمردانشاه ، فنظم مؤامرة واعتقل اخوته الثمانية عشرة وقتلهم كما اعتقل والده « كسرى برويز » والقى به في السجن حتى مات .. وانفرد بالحكم ، لكنه لم يعمر طويلاً ، ولم

يلبت ان توفي بعد ستة اشهر من بداية حكمه وانتهى
بذلك حكم الاسرة الساسانية وبدأ عهد من الفوضى
والاضطراب ..

في عام ٦٢٨ م - استعاد هرقل حكم الشام .

وفي ١٤ ايلول - سبتمبر - ٦٢٩ م - اعاد امبراطور بيزنطة الى القدس
صليبا الاعظم .

- ويجمع عدد كبير من المؤرخين على ان هذه الحروب قد استنزفت قوة
الطرفين : الفرس ، والروم ، ولكن هذه الحروب المستمرة هي برهان في الوقت
ذاته على القوة الكبرى والتنظيم الرائع والاستعداد القتالي الكبير لأكبر قوتين
محاربتين عرفهما تاريخ ما قبل الفتح الاسلامي ..

ج - المذاهب الدينية :

- كان الرومان يدينون بالوثنية عندما احتلوا بلاد الشام ومصر ، فاضطهدوا
المسيحية عند ظهورها ، ونكلوا بأتباعها وطاردهم واستمروا في ذلك حتى
عهد الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧ م) .. حيث اعترف الامبراطور
بالدين المسيحي وساوى في عام ٣٢٣ بين الاديان المختلفة . وفي عهد الامبراطور
' ثيودوسيس - ٣٧٨ - ٣٩٥ م ' اصبحت المسيحية الدين الرسمي للدولة
بداية من عام ٣٨١ م .

- كان الانقسام المذهبي قد عرف طريقه الى المسيحية فكان هناك :

- ١ - اتباع آريوس وم القائلون [ان المسيح اشرق ، لكنه دون الله] .
- ٢ - اتباع اثناسيوس وم القائلون [ان المسيح من روح الله ، وانه يساويه
في الالهوت وان العلاقة بينهما ابدية] . وهو ما يعبر عنه بمبدأ التثليث^(١) ..

(١) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ، ص ٢٣٢ .

- وفي عام ٣٢٥ م عقد مؤتمر الجمع في « نيقية » للتوفيق بين الرأيين ونتج عن ذلك انقسام المسيحيين الى :

١ - الارثوذكس : أو المستقيمون ، وهم الذين التزموا بالدين القديم .

٢ - الكاثوليك : وهم اتباع الكنيسة الجامعة ، اي كنيسة روما وهم انصار اثنايوس .

ثم ظهر خلاف جديد بين المصريين والروم نتيجة لظهور مناهجين جديدين :
٣ - اليعاقبة : ويقولون بامتزاج الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح وذلك بعد التجسد .

٤ - الملكيين : ويمتقدون ان الابن مولود من الاب قبل كل الدهور وانه غير مخلوق اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصار واحداً وهو المسيح .

وفي عام ٤٥١ وفي عهد الامبراطور مرقيانوس (٣٥٠ - ٤٥٧) عقد مجمع قونية مرة اخرى لكنه لم يتمكن من التوفيق بين المذهبين .

عندما خرج هرقل من معاركه مع الفرس منتصراً ، اراد دعم انتصاراته بتوحيد الجبهة الداخلية ، وكان بطريرك اليعاقبة في منبج اول من استجاب لهذه الرغبة فاتفق سرأ مع بطريرك القسطنطينية « بيروس » على مشروع وسط . وتقدم من هرقل بمشروعه الذي يتلخص [ان للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ..] واستشار هرقل بطريرك القسطنطينية السوري الاصل فوافق على المشروع علناً بعد ان كان قد اقره « سرأ » واصدر هرقل مشروعه الجديد فوافق عليه كثير من الاساقفة الشرقيين وامتنع بطريرك القدس « صفرونيوس » كما امتنع اسقف عمان وعدد من البطاركة ، ولم يفلح هرقل في توحيد العالم المسيحي بل أوجد مذهباً ثالثاً دفع إلى مزيد من التمزق المذهبي .

- وبقي الملكيون أو الكاثوليكيون ، وهم يمثلون المذهب الرسمي للدولة ويقولون ان للمسيح طبيعتين ومشيئتين ..

- وبقي اهل الشام ومصر يقولون بطبيعة واحدة ومشية واحدة وهم
اليحاقبة نسبة الى رائدهم « يعقوب البراذعي - براديس » ..

واعتبر الطرفان اصحاب المذهب الجديد بمثابة الخارجين على الدين ورموم
بالزندقة والمرطقة ..

واشتدت المعارضة للمذهب الجديد بصورة خاصة وقاد البطريرك القبطي
بنيامين حملة المعارضة ، فاضطر « قبرس Cyrus » وهو الموقس لاستخدام
وسائل العنف والتنكيل للملاحقة اصحاب المذهب اليعقوبي ، مما حل بنيامين على
الفرار وقيادة الحركة السرية التي ضمت القبط جميعاً .

- وهكذا كان سكان مصر عرضة للاضطهاد في جميع مراحل عهد الحكم
الروماني - البيزنطي :

في البداية ، عندما اضطهدت الوثنية ، اتباع المسيحية .
وفي النهاية ، عندما اضطهدت المسيحية الملكية اتباع المذاهب المخالفة ،
الارثوذكس واليعاقبة .

- ترى هل كان تمزق وحدة المسيحية هو العامل في انتصار المسلمين ونجاح
عمليات فتح مصر ؟

- يقيناً لا - اذا ما اخذ هذا العامل وحده - .
ويقيناً لا - اذا ما اخذ مع غيره من العوامل - .
ان العوامل الحاسمة للنصر تكمن في قوة العرب المسلمين : ايماناً بعقيدتهم ،
ومهارة في قيادتهم ، واقداماً في جنودهم ومقاتليهم .

د - التنظيم العسكري - البيزنطي - في مصر :
كان للمصريين قصب السبق في مجال تنظيم الجيوش وتسليحها وقيادتها .
وظهر خلال الحكم الفرعوني قادة طوروا فن الحرب ووضعوا أسساً في قيادة
الجيوش وشيوخ الممارك ، ثم جاء البطالسة فأخذوا عن المصريين كثيراً من
قواعد القتال وطوروها . وانتهى الأمر الى الرومان ، فكان لهم معارك في كل

مكان من اوربا ، وكان لهم معارك مستمرة مع الفرس وظهر بنتيجة ذلك تطور كبير في فن حرب اليهود القديمة .

– وكان من الدروس التي خرجت بها بينظطة في حروبها هي الاعتماد على المدن المحصنة والمواقع الدفاعية المنظمة بهدف اعاقه تقدم اعداءها واتاحة الفرصة امام جيوشها لخوض المعركة مع انشاء نقاط المراقبة المتقدمة التي تضم حاميات صغرى هدفها الانذار ومجابهة كل هجوم مباغت ..

وقد استنزفت عمليات تحصين المدن وتنظيم المواقع المتصلة جهد الدولة البيزنطية وامكاناتها المادية مما اعاق تطوير القوات الهجومية ..

– وشهد الجيش البيزنطي تطوراً كبيراً في التنظيم وعلى الرغم من ابقاء نظام الليجيونات . إلا ان هذه الليجيونات قسمت الى كوجورات ومانيبولات مما اصبح يسمح بحرية المناورة والحركة ، وكان يتم وضع القوات في نسقين يشكل الليجيون نسقاً منها وينقسم الليجيون الى عشرة كوجورات .. (١)

كما طبق نظام التسلسل العشري في قيادة القوات مما وفر للجيش البيزنطية امكانات القيادة الجيدة ..

– ورافق التطور في التنظيم تطور مماثل في التسليح مما يتوافق مع البنية الاجتماعية للجيش ، فكان تنظيم الفرسان الخفيفة الى جانب الابقاء على تنظيم الفرسان الثقيلة ، وكان تنظيم المشاة الخفيفة الى جانب تنظيم المشاة الثقيلة ..

– وكان الجيش البيزنطي يستخدم الى جانب الاسلحة الفردية « السيف والرمح » اسلحة اجماعية منها المنجنيقات والابراج المتحركة وقاذفات الرماح الخفيفة الخ ..

(١) الليجيون : ٥ - ٦ آلاف مقاتل يقسم الى عشر كوجورات تعداد كل واحد منها ٥٠٠ - ٦٠٠ مقاتل ويقسم الكوجورات الى ثلاث مانيبولات .

« تاريخ فن الحرب ١ / ٧٤ - ٧٨ » ..

- وخلاصة القول ، ان الجيش البيزنطي كان جيد التنظيم والتسليح ، قوي العدد والعدة ، يتفوق في امكانياته البشرية ، ويعتمد على التعصينات الثابتة لإعاقة تقدم العدو ..

- وكان للجيش البيزنطي نقاط ضعفه ..

فقد كان يضم مجموعات بشرية لا تجانس بينها مما جعل هذا الجيش مفتقر للروابط الوطنية والقومية ، ويقول المؤرخون في وصف الجيش البيزنطي خلال هذه المرحلة (١) :

[لم يكن القادة يتمتعون بالكفاءة ، وكانت القطعات متنافرة الاجناس مجردة من كل شعور وطني ، تنهب وتعيش على موارد البلاد ، وتعصي القادة في ساحة المعركة ، وكانوا على الفور ، متهيئين للثورة والتمرد والعصيان او الفرار من الجيش ، اما الضباط وهم الذين همهم الترقية والفنيمة فلم يكونوا احسن حالا من جنودهم ...] .

- وكان من نقاط الضعف ايضاً اعتماد الحكم البيزنطي على الجيوش المحلية ، فكان لكل اقليم قيادته ، وكان عدم وحدة القيادة من العوامل الاساسية في التنظيم القتالي والاسلوب الحربي للجيش البيزنطي ..

- وهكذا كان يدافع عن مصر جيشان ، جيش يقوده القوقس ويضم القوات المصرية ، وجيش الروم « البيزنطيين » وعاصمته الاسكندرية .. ولم يكن التوافق كاملاً بين القيادتين ..

لكن نقاط الضعف لا يمكنها ان تنقص من اهمية جيش بيزنطة وقوته . ويكفي القول انه كان جيشاً له تجاربه الكبرى ولديه خبرات قتالية جيدة ، وهو يتفوق عددياً على كل قوة عسكرية معاصرة له ، وهو الى ذلك ، يعرف الارض التي يقاتل فوقها وله تحصينات قوية وتنظيمات دفاعية جيدة .

(١) يوسف يازجي - تاريخ جيوش العالم - المجلة العسكرية - ٤ و ٥ - ١٩٧٣

التقسيم الأول

الفصل الثاني

فتح مصر

جدول توقيت الاحداث .

- ١ - النبوءة .
- ٢ - القائسد .
- ٣ - الخليفة عمر يوافق على فتح مصر .
- ٤ - في الطريق الى مصر .
- ٥ - خطط الطرف المقابل .
- ٦ - الفرما ، بداية فتح مصر .
- ٧ - من الفرما الى القواصر .
- ٨ - من القواصر الى بلبيس .
- ٩ - ام دنين بعد بلبيس .
- ١٠ - الحصار الطويل وسقوط بابلين .
- ١١ - اتفاقية الصلح .

- ١٢ - في الطريق الى الاسكندرية .
- ١٣ - الكريون آخر معركة قبل الاسكندرية .
- ١٤ - فتح الاسكندرية .
- ١٥ - خراب خربة ودان .
- ١٦ - رابطة الاسكندرية .
- ١٧ - فتح برقة وزويلة .
- ١٨ - فتح أطرابلس .
- ١٩ - فتح الاسكندرية الثاني .
- ٢٠ - تأمين الحدود الجنوبية لمصر

فتح مصر

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنة المجرية
وفاة الرسول الاعظم ﷺ وخلافة ابي بكر .	م ٦٣٢	٥١١
حروب الردة واعادة توحيد الجزيرة العربية .	م ٦٣٢	٥١١
مسير خالد بن الوليد الى العراق ، وفتحها .	م ٦٣٣	٥١٢
توجيه الجيوش لفتح الشام .	م ٦٣٤	٥١٣
وفاة الصديق وتولي الفاروق عمر الخلافة .	م ٦٣٤	٥١٣
- معركة اليرموك .	م ٦٣٤	٥١٣
- معركة القادسية .	م ٦٣٥	٥١٤
- معركة اجنادين .	م ٦٣٦	٥١٥
- فتح بيت المقدس .	م ٦٣٦	٥١٥
- فتح المدائن .	م ٦٣٧	٥١٦
- فتح الجزيرة - الرها - ارمينيا .	م ٦٣٨	٥١٧
وصول عمرو بن العاص الى مصر .	١٢ ديسمبر ٦٣٩ م	٥١٨

الاحداث	السنة الميلادية	السنة المجرية
فتح القرما .	٢٠ يناير - ك ٢ - ٦٤٠ م	٥٢٠
غزو اقليم القيوم .	١ مايو ٦٤٠ م	٥٢٠
وصول قوات الدعم بقيادة الزبير بن العوام .	٦ يونيو - حزيران ٦٤٠ م	٥٢٠
موقعة عين شمس .	يوليو - تموز ٦٤٠ م	٥٢٠
بداية ضرب الحصار على بابليون .	سبتمبر - ايلول ٦٤٠ م	٥٢٠
توقيع المعاهدة بين المقوقس « قيرس » وعمر بن العاص .	اكتوبر ٦٤٠ م	٥٢٠
استلام حامية بابليون ، وهو اليوم الذي يؤرخ به الفتح العربي لمصر .	٦ ابريل - نيسان ٦٤١ م	٥٢١
فتح نقيوس .	١٣ مايس ٦٤١ م	٥٢١
بداية الهجوم على الاسكندرية .	١٠ يونيو - حزيران ٦٤١ م	٥٢١
استلام الحامية المدافعة عن الاسكندرية .	٨ نوفمبر - ت ٢ - ٦٤١ م	٥٢١
جلاء الروم عن الاسكندرية .	١٧ ايلول - سبتمبر ٦٤٢ م	٥٢٢
ثورة الاسكندرية بقيادة مانويل .	اواخر عام ٦٤٥ م	٥٢٥
الفتح العربي الثاني للاسكندرية .	صيف ٦٤٦ م	٥٢٦

فتح مصر

١ - النبوءة :

عاد الرسول الاعظم من صلح الحديبية وهو على يقين بأن مرحلة هامة من مراحل الدعوة قد انتهت ، وان الجزيرة العربية على وشك انهاء وحدتها ، واخذ يتطلع ببصره الى ما وراء الأفق ، وفكر في الكتابة الى حاكم مصر ، يدعوه الى الاسلام واعلن عن رغبته وطلب متطوعاً يحمل الرسالة ، واسرع حاطب بن ابي بلتعة لتلبية امر الرسول ، وحمل معه الرسالة التي تضمنت :

[« بسم الله الرحمن الرحيم »]

من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط^(١)

سلام على من اتبع الهدى . اما بعد . فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله اجره مرتين ، يا اهل الكتاب ، تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ..]

- وصل حاطب الى الاسكندرية واستقبله المقوقس فأحسن استقباله ، ودار بينه وبين حاطب حديث طويل ، عرف المقوقس من خلاله ما ستمخض عنه الجزيرة العربية فأعد هدية للرسول الاعظم ضمت جارينتين « مارية ، وأختها سيرين » كما ضمت ثوباً للرسول وهدايا اخرى ، وحمل حاطب رد الرسالة

(١) فتح مصر والمغرب - ابن الحكم ص ٨٠ - ٨١ . وصبح الاعشى للقاسم شندي ٦ - ٣٧٨ .
- يطلق المؤرخون اسم المقوقس على حاكم مصر في ذلك العصر اطلاقاً خاطئاً ، والمقصود بالمقوقس هو قيرس Cyrus - بطريق الاسكندرية المكاني الذي جمع له هرقل ولاية الدين وجباية خراج ارض مصر ..

وودعه بثل ما استقبله من حفاوة ، وعاد حاطب الى الرسول ، وعندما وصل
المدينة ألقى قصيدة جاء فيها :

اني مضيت الى النبي ارسلتني
حتى رأيت بمصر صاحب ملكهم
اطوي المهامة كالمجد المنصف
فبدا إليّ بمثل قول المنصف
هذا الكتاب كتابه لك جامعاً
يا خير مأمول مجبك نكتفي .

وفتح الرسول الاكرم رسالة المقوقس فقرأ فيها :

[... لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام
اما بعد

فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه ، وقد علمت ان
نبياً قد بقي وكنت اظن انه يخرج بالشام ، وقد اكرمت رسولك وبعثت
اليك بجاريتين هما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة
لتركيبها والسلام ..]

- رد غامض ، فيه من القبول بقدر ما فيه من الامتناع ، وفيه من الصراحة
بقدر ما فيه من الابهام ، ولم يكن الرسول الاعظم يتوقع رداً افضل ، لكن
امانة الرسالة وواجب الدعوة . وتزوج الرسول بمارية وولدت له ابراهيم فاعتقها
واهدى سيرين الى حسان بن ثابت .

- ورثا الرسول الاعظم ببصره ذات يوم الى الافق ، وخاطب الصحابة بقوله :

[.. اذا افتتحتم مصر ، فاستوصوا بالقبط خيراً ، فان لهم نعمة ورحماً]^(١)

وحفظ الصحابة عن الرسول القائد وصيته ، وبقيت نبوءته ملء اسماعهم
وابصارهم .

.....

(١) الحديث ٢٥٤٣ في صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، باب وصية النبي بأهل مصر ،
والمقصود بالذمة والرحم ، قرابة العرب بهاجر أم اسماعيل عليه السلام .

٢ - القائد :

- في السنة الثامنة للهجرة ، وصل المدينة خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمر بن العاص ، واسرع من يعلم الرسول الاعظم بوصول هؤلاء وعزمهم على اشهار اسلامهم فقال الرسول :

[.. آلت اليكم مكة افلاذ اكبادها ..]^(١)

ووصل ابن الوليد وصحبه حيث كان الرسول ، وبايعوه لكن عمرو بن العاص اشترط على الرسول قبل مبايعته فقال له : [يا رسول الله ، هل يغفر لنا الله ما تقدم من قلوبنا ..] واجابه الرسول : [.. الا تعلم ان الاسلام يجب ما قبله ..] واستبشر عمرو ، وانبسبت اساريره وقال للرسول : [هات يدك ابايعك] .. وتمت البيعة ، وانصرف الناس وقال الرسول الاعظم لصحبه :

[.. اسلم الناس ، وآمن عمرو بن العاص ..]^(٢)

- وصدق عمرو بن العاص في اسلامه ، وثبت على ايمانه عندما اهتزت ايمان المرتدين بعد وفاة الرسول . فوجهه ابو بكر الصديق الى حرب قضاة ، فأبلى بلاء حسناً وبدأت مواهبه القيادية تتفتح .. وكان الخليفة ابو بكر يعرف في الرجال امكاناتهم وقدراتهم ، فأصدر اوامره بتعيين عمرو بن العاص لقيادة واحد من الجيوش الموجهة الى الشمال لفتح للشام وخصص له فلسطين كمسرح لعملياته وخرج لوداعه ماشياً وأوصاه .

- عندما اصدر ابو بكر اوامره بتعيين عمرو بن العاص ، كان مما اوصاه به قوله :

[لقد وليتك هذا الجيش ، فانصرف الى فلسطين ، وكاتب ابو عبيدة

.....

(١) اسد الغابة ٣ - ٣٧٢ ، والاستيعاب ٣ - ١٠٣٤ ، وكان الرسول الاعظم يقصد بذلك ان وجوه اهل مكة وقادتها قد انضموا اليك ..

(٢) الامم احمد ٤ - ١٥٥ ، والترمذي ٢ - ٣١٦ ..

وانجده اذا ارادك ، ولا تقطع امرأ الا بمشورته [- وتألم عمرو بن العاص لهذا التعيين ، فقد كانت نفسه تطمح لقيادة عامة ، فذهب الى عمر بن الخطاب يلتمس منه التوسط لدى الخليفة أبي بكر ، لكن عمر بن الخطاب اجابه :

[.. ليس على ابي عبيدة امير ، ولأبي عبيدة عندها افضل منزلة منك واقدم سابقة منك وهو الذي قال فيه النبي : ابو عبيدة امين الامة ..]
فقال عمرو بن العاص : ما ينقص من منزلته اذا كنت والياً عليه .. واجابه عمر : ويملك يا عمرو ، انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف ، فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ، ووجه الله تعالى ..]

فقال عمرو بن العاص : ان الامر كما ذكرت ، ثم امر الناس بالمسير تحت رايته فساروا وتقدم اهل مكة وتبعهم بنو كلاب وطيء وهوازن وثقيف^(١) .
- كان لعمرو بن العاص دور قيادي في فتوح الشام . فهو الذي اشار على قادة المسلمين بالتجمع لمهاجمة الروم . وهو الذي قاد عمليات فتح فلسطين . واطهر من المكر والدهاء في حروبه ما تغلب على « ارطوبون الروم » الذي اشتهر بالدهاء حتى قال فيه الخليفة عمر بن الخطاب :

[لقد رمينا ارطوبون الروم يارطوبون العرب فانظروا عم تنفرج ..]^(٢)
ولقي ارطوبون الهزيمة على يد عمرو بن العاص ففر من المعركة الى بيت المقدس ومنها الى مصر وكان له موعد آخر مع ابن العاص ..

- كانت قيادة معركة اجنادين وقيادة اعمال فتح فلسطين دون مستوى طموح عمرو بن العاص ، وبقي يتحين الفرصة السانحة لتحقيق مزيد من الاعمال الخالدة ، ووافته الفرصة عندما جاء الخليفة عمر بن الخطاب الى الجابية فالتقى به على انفراد وطرح عليه مشروع فتح مصر ..

(١) الواقدي - فتوح الشام ١٤ و ١٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ - ١٩٥ ، والكامل لابن الاثير ٢ - ٢١٨ .

– كان الخليفة عمر بن الخطاب يقدر في عمرو بن العاص صفاته القيادية وقدراته القتالية وكفاءته .

– الا ان الخليفة عمر لم يكن ليوافق بسهولة مع ما عرف عنه من الخوف على المسلمين قبل الوثوق بقدرة عمرو بن العاص على فتح مصر ، مع امكان تحقيق الفتح ونجازه بحد ادنى من التضحيات .. (١)

٣ – الخليفة عمر يوافق على فتح مصر :

– كان ذلك في نهاية السنة الثامنة عشرة للهجرة ١٨ هـ – ٦٣٠ م ..
– وكانت عمليات الشام قد انتهت ولم تبق الا قيصرية « قيسارية » بمنتمة على قوات المسلمين المحدقة بها بقيادة معاوية بن ابي سفيان ..
– وكانت عمليات فتوح العراق قد انتهت واستقر الوضع للمسلمين فيها .
– عرف عمرو بن العاص ان الخليفة عمر متردد في اتخاذ قراره ، فأخذ يزين له فتح مصر ، وكان مما قاله له :

(.. يا امير المؤمنين ، ائذن لي ان اسير الى مصر فانك ان منحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم ، وهي اكثر الارض اموالاً واعجزها عن القتال والحروب ..) (٢)

(١) الاصابة ٥ - ٢ ، واليعقوبي ٢ - ١٩٧ ، وابن الحكم - ٢٤١ - وهناك بعض الروايات في ابن الحكم ٨٠ - ٨٣ تزعم ان عمرو بن العاص قد توجه الى مصر دون رأي الخليفة عمر ، وهذه الروايات ضعيفة نظراً لما عرف عن الخليفة عمر من الشدة وعدم التهاون في مخالفة تعليماته ، ونظراً لما عرف عن القائد عمرو بن العاص من الانصياع الشديد لتعليمات الخليفة عمر وسادته حضوره من مصر مع ابنه لتنفيذ حكم عمر فيه انتصاراً للطبقي الذي صقعه ابن عمر في السابق وقال له (خذها وانا ابن الاكرمين ..) هذه الحادثة هي خير شاهد على الانضباط الذي كان يفرضه الخليفة عمر والذي يستحيل معه خروج ابن العاص وفق مشيئته الى مصر دون موافقة الخليفة ..

(٢) ابن الحكم ٨١ - ٨٣ ، الطبري ٣ - ١٩٥ .. ويذكر الواقدي في تاريخه ومعه بعض الرواة الذين يذكرون ان الخليفة عمر قد ارسل الى ابي عبيدة يأمره بتوجيه ابن

– كان عمرو بن العاص يعرف مصر قبل الاسلام ، فقد زارها للتجارة ، وعرف طرقها ومسالكها كما عرف امكاناتها الاقتصادية وأوضاعها الاجتماعية ، وكان حديثه عنها حديث العارف بأمرها الخبير بأوضاعها ونتيجة لذلك فقد كان باستطاعته اقناع الخليفة بصحة رأيه .

– وكان الخليفة عمر يعرف ان الوضع العام في الشام قد اصبح اميناً واصبح بالامكان الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة لمتابعة اعمال الفتوح ، واخيراً اتخذ الخليفة عمر قراراً اولياً وابلغه الى قائده عمرو بن العاص :

(.. سر وانا مستخير الله في سيرك ، وميأتيك كتابي سريعاً ان شاء الله فان ادركك كتابي أمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيئاً من ارضها فانصرف ، وان انت دخلتها قبل ان يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره ..)^(١)

وحانت الفرصة التي طالما انتظرها القائد عمرو بن العاص وعمل لها ..

٤ – في الطريق الى مصر :

– عندما وصل عمرو بن العاص امر التحرك الى مصر وضع مخططه منطلقاً في ذلك من معطيات ثابتة :

- ١ – اجراء التحرك ضمن نطاق محكم من السرية بهدف تحقيق المباغتة .
- ٢ – تجنب المقاومات الثانوية والمواقع الجنبية والتحصينات القوية قبل الوصول الى مصر .

– ولهذا عمل على انهاء استعداداته للتحرك ، وأمر قواته [بالمسير

العاص الى مصر . ومن المحتمل ان يكون ابن العاص قد استأذن الخليفة عمر كما ذكرنا ، وانتظر الخليفة عمر حتى هوفقه من الشام الى المدينة وعندما كتب اليه ابو عبيدة. يطه باتهاء الفتوح ارسل اليه رسالة يطلب فيها توجيه ابن العاص الى مصر ووجهه في الوقت ذاته للرسالة الواردة نصها هنا الى عمرو بن العاص يأمره بالتحرك الى مصر ويمطيه موافقة الخطية بالتحرك ..
(١) المصدر السابق نفسه .

من جوف الليل ، دون أن يشعر به أحد من الناس .. (١) - وعلم قادة عمرو ابن العاص فيما بعد عن هدف التحرك فكتبوا الى الخليفة عمر ، واعلم الخليفة عمرو بن العاص بذلك ووعده بتقديم الدعم اذا تطلب الامر .

- عندما علم عثمان بن عفان بأمر التحرك الى مصر ، خاف على المسلمين من طموح عمرو بن العاص ، وحذر الخليفة عمر ، فتخوف الخليفة وكتب الى عمرو ابن العاص رسالة يمنع فيها من متابعة التقدم ...

ووصل حامل رسالة الخليفة وقوات عمرو بن العاص على ابواب رفح ، وتخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحها ان يحصد فيه الانصراف كما عهد اليه الخليفة عمر . فلم يأخذ الكتاب ودافع الرسول ، وسار حتى وصل قرية بين رفح والمريش . وسأل عنها فقبل له انها من مصر ، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين وقال عمرو لمن معه :

(أستم تعلمون ان هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى . قال : (.. فان امير المؤمنين عهد الي وامرني ان لحقني كتابه ولم ادخل ارض مصر ان ارجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض مصر ، فسبروا على بركة الله ..)

- ووصل ابن العاص الى المريش ، وفتحها ، ثم انطلق في سبيل متبعا المحور الذي اتبعه القرس في هجومهم على مصر واتبعه الاسكندر المقدوني في هجومه على فارس . وتجنب في مسيرته كل الحصون والقلاع التي اقامتها بيزنطة على المحور الساحلي الواصل ما بين الفرما (٢) والمريش ..

(١) ابن الحكم - فتوح مصر - ٨٦ .

(٢) الفرما : اسم عربي لمدينة « بلوز » وكان القبط يسمونها « يرمون » بنيت المدينة فوق مرتفع من الارض على بعد ميل ونصف من البحر ، وكان لها مرفأ يصلها بالبحر وكان فرع النيل يسمى « البلوزي » ويصب قريباً منها . تضم المدينة عدداً كبيراً من آثار المصريين القدماء وبها كنائس وأديرة ، كانت مفتاح مصر من الشرق حتى المصريون بتحصينها وهدم للقرس اسوارها وحصونها ثم اعاد الروم تحصينها قبل الفتح الاسلامي - ابن الحكم ٨٨ .

٥ - خطط الطرف المقابل :

- وضع المقوقس حاكم مصر مخطط الدفاع عن مصر وفق المعطيات التالية :

١ - عزل مصر عن بلاد الشام ومنع تسرب اخبار الفتح بهدف الحفاظ على الروح المعنوية للقوات المقاتلة في مصر .

(بعث المقوقس رسله إلى جميع اطراف بلاده بما يلي الشام بأن لا يتركوا احداً من الروم ولا غيرهم يدخل ارض مصر ، كل ذلك لئلا يتحدثوا بما صنع المسلمون بجنود هرقل فيدخل الرعب في قلوب قومه ..)^(١)

٢ - تعزيز المقاومة في الحصون والمواقع المتقدمة في سيناء وبصورة خاصة مدينة الفرما ..

٣ - الاعتماد على تأييد قوات الاقاليم المجاورة : ليبيا - الحبشة - الصعيد ، مع الاعتماد على قوات دعم بيزنطة عن طريق البحر الى الاسكندرية .

٦ - الفرما - بداية فتح مصر :

- نجح عمرو بن العاص في مرحلة التقرب من العريش الى مصر عبر سيناء ، في تجنب جميع المخاطر المتقدمة والمواقع المحصنة - المسالح - وذلك حتى لا يستنزف من قوته شيئاً قبل الوصول الى هدفه .. وعندما وصل الى الفرما حدثت معركة بينه وبين الحامية المدافعة عن المدينة ، واستطاع عمرو بن العاص أن يلحق الهزيمة بها ، فليجأت إلى الحصون ، وأحكام عمرو بن العاص الحصار على الفرما^(٢) ، واستمر الحصار فترة شهر تقريباً ، ثم اخترقت قوات العرب المسلمين الحصار ، وسقطت الفرما ، واصبح للطريق الى مصر مفتوحاً ..

(١) فتوح مصر والشام - الواقدي 2 - 45

(٢) ابن الحكم - فتوح مصر والمغرب 86 - ذكر ابن الحكم أنه كان في الاسكندرية أسقف للقبط يقال له بنيامين ، كتب إلى القبط عندما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر ، وقال لقومه إنه لا تكون لدولة الروم دولة ، وإن ملكهم قد انقطع ويامرهم بتلقي عمرو بن العاص .

٧ - من القوما الى القواصر^(١) :

- انطلق عمرو بن العاص من الفرما في اتجاه القواصر ، وجايبته بعض القوات المتفرقة التي لم تتمكن من اعاقه التقدم .. وعندما وصلت قوات العرب المسلمين الى القواصر حاصرتها وبعد معارك متفرقة امكن احتلال البلدة ، وفرت القوات بعد ان مزقتها قوات المسلمين ..^(٢)

٨ - من القواصر الى بلبيس :

كانت بلبيس هي قاعدة الدفاع عن بابلون وام دنين ، وكانت الحامية المدافعة عنها مكونة من عشرة آلاف مقاتل ١٠,٠٠٠ بينما لم يكن جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص اكثر من ٣٥٠٠ مقاتل .. وكانت ارمانوسة المصرية بنت المقوقس في طريقها الى قيسرية في الشام - قيسارية - لتزف الى قسطنطين بن هرقل ، فلما وصلت المعلومات عن حصار قيسارية من قبل العرب عادت الى مصر ، ومع وصولها الى بلبيس وصلت قوات العرب المسلمين فانضمت القوات المدافعة عن ارمانوسة الى حامية المدينة ، وكان بها الارطوبون الذي هزم في اجنادين ففر الى بيت المقدس وانضم بقوته الى مصر ..

(١) القواصر ، بلدة قديمة من اعمال مركز التل الكبير ، ومكانها الآن القصاصين وجاء في معجم البلدان انها موضع بين الفرما والفسطاط ، ويذكر المؤرخون ان مياه بحيرة المنزلة كانت قد طفت على ما حوفا بعد استيلاء عمرو بن العاص على الفرما واصبح الطريق الساحلي الذي اعتادت الجيوش الغازية عبوره غير مأمون ومسالكه صعبة فلزم عمرو طريق الصحراء نحو الجنوب ففتح مجدل « Migdol » ، القنطرة شرق حاليا .. ثم تابع زحفه الى الصالحية ومنها الى وادي الطليحات « الطمليات » قرب التل الكبير ..

(٢) في ابن الحكم ص 86- قال كريب بن أبرهة ، كنت أرعى غنما لأهلي بالقواصر فنزل عمرو ومن معه ، فذنوت إلى أقرب منازلهم فإذا نقر من القبط يقول بعضهم لبعض (ألا تعجبون من هؤلاء القوم ، يقدمون على جموع الروم وإنما هم في قلة من الناس) فأجاب رجل منهم (إن هؤلاء القوم لا يوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم ...) . وترددت مثل هذه الجملة على السنة بعضهم ، ثم جاء مقتل عثمان بعد ذلك من وحي هذا القول ..

- هزمت قوات الارطيون في مصر وقتل الارطيون ، ولجأت بقايا قوته الى ام دنين كما اسرت الاميرة ارمانومة فوجيها عمرو بن العاص الى ايها معززة مكربة مما كان له اثر كبير في نفس المعوقس الذي اخذ على عاتقه تمهيد السبيل ليقدم صلح مع العرب (١) .

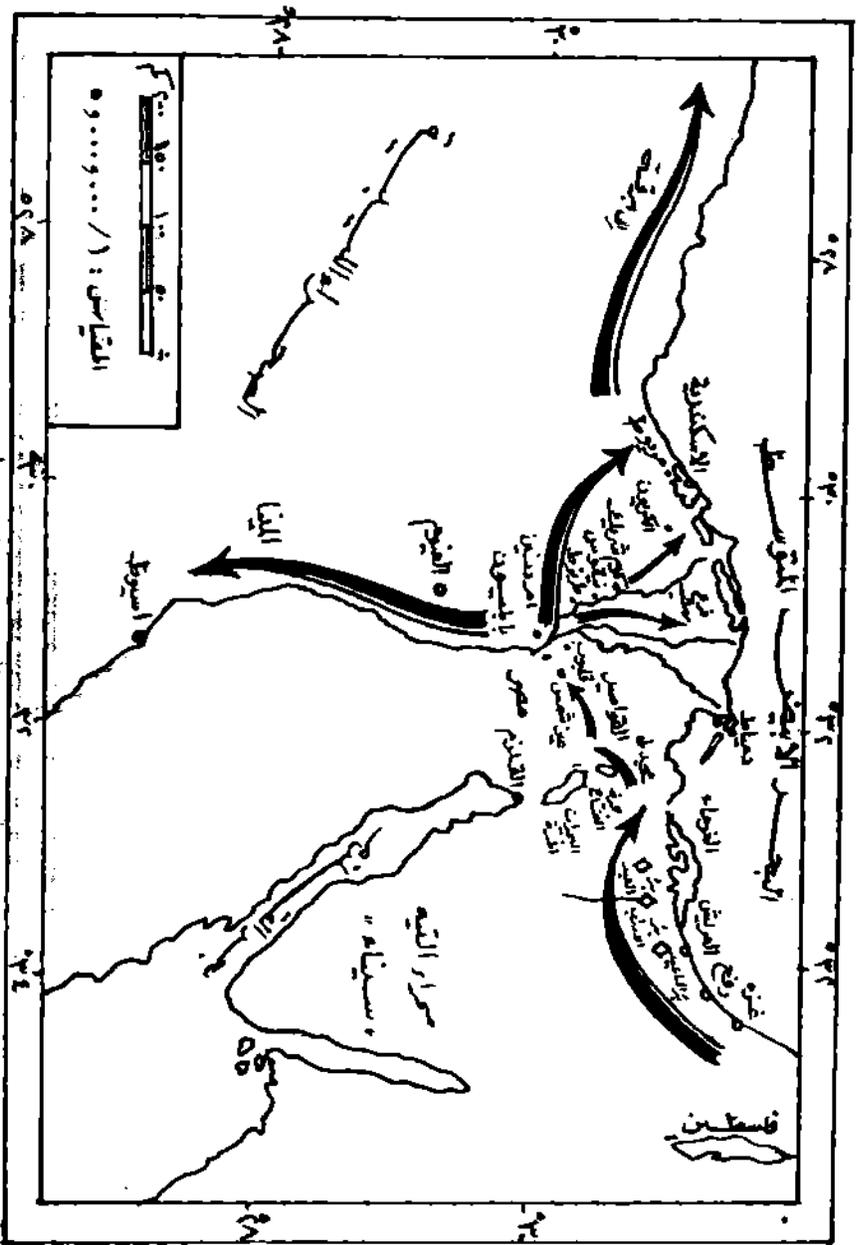
٩ - ام دنين - بعد بلييس (٢) :

- توجهت قوات العرب المسلمين الى ام دنين بعد ان نجحت في تصفية المقاومة المتمركزة في بلييس .

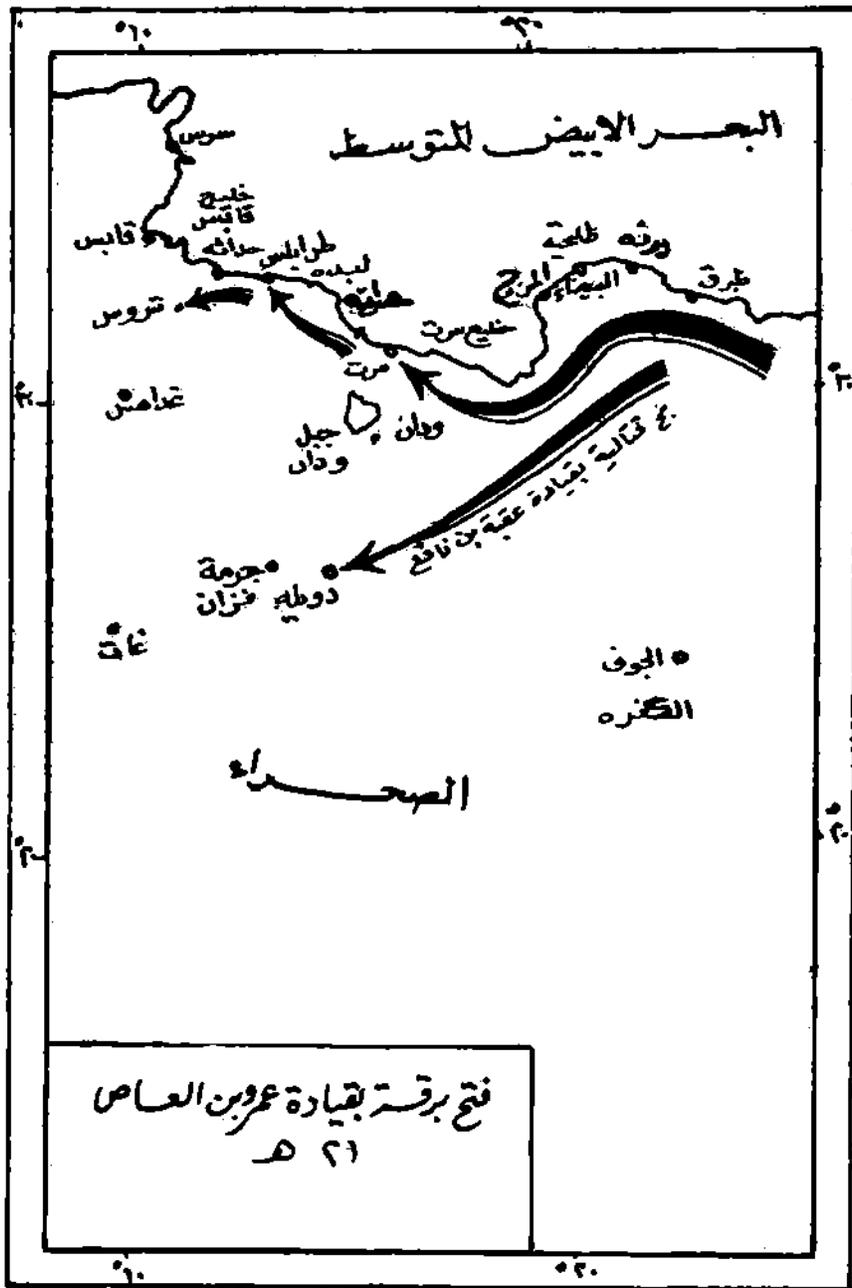
- كان الروم قد خندقوا خندقاً وجعلوا له ابواباً ، وبنوا في اقيمتها حاك الحديد - كالسيج الشائك - وكانوا قد نظموا المقاومة امام ام دنين ، وتصدت قوات العرب المسلمين لقوات الروم ودارت معارك طاحنة وكان التفوق العددي عامل هام الى جانب الروم فلجأ عمرو بن العاص الى الحيلة ودفع مع احد قادته - اللخمي - لنصب كمين قوته خمسمائة من الفرسان ، وغدا عمرو بن العاص على القتال فقاتل الروم في معركة جبهة شرسة ، ثم ظهرت قوة الكمين الى الخلف من قوات الروم ، فتحطم تنظيم قتال العدو واضطر مرغماً الى الفرار ، فلاحقت فرسان المسلمين القوات الهاربة ومزقتها .. واضطر من بقي حياً اللجوء الى قلعة ام دنين ..

(١) جاء في تاريخ الطبري ٣ - ٦١٢ ، ان الارطيون قد قتل اثناء اغارته في احدي صوائف الروم - قراءات - في نهاية هذا الفصل ..

(٢) ابن الحكم - ٨٧ - الاسم القديم لام دنين هو تندرناس . ثم اطلق على ام دنين اسم « القس » . استولى عمرو بن العاص على بلدة ام دنين ، وكانت الى الشمال من حصن بابليون ، ويذكر الفريري ان ام دنين كانت ميناء مصر وقت الفتح العربي ويذكر بعض المؤرخين من العرب انه لما تأخر فتحها على عمرو بن العاص وعجز عن فتح حصن بابليون ، اخذ من مسلحة - ام دنين - سفناً وعبر النيل يمينه في وجه آخر هو غزو اقليم الفيوم وهو المدوة القصوى . وتعتمد هذه الرواية على ما جاء في ديوان حنا النقيوسي ، لكن مؤرخي العرب يخالفون هذا الرأي ويذكرون ان فتح الفيوم كان بعد سقوط حصن بابليون ..



منقح منقح بقية اوداد عرو بنو بنو النخساض 19 - 21 هـ



- استمرت المعارك في ام دنين بضراوة وعناد طوال شهر لم يتوقف خلاله القتال .. وفي النهاية خاض العرب المسلمون معركة حاسمة ونجحوا في اختراق التحصينات . وسقطت قلاع ام دنين وتحصيناتها وبدأت بعد ذلك مرحلة طويلة وحاسمة من القتال لتصفية آخر المقاومات في مصر ..

١٠ - الحصار الطويل ، وسقوط بابلين :

- كان حصن بابلين مائلا في قوته وتنظيمه الدفاعي لما كان عليه حصن ام دنين ، ولكنه كان يتميز عنه باتساعه وزيادة حجم الحامية المدافعة عنه ، وكان في بابلين عندما هاجها المسلمون المقوقس - جريج بن مينابن قرقب - حاكم مصر ومعه جماعة من الروم ورؤساء القبط وأكابرهم ، وكان على قيادة الحامية المدافعة عن المدينة قائد لقبه « الاعيرج » ..^(١)

- عندما وصل العرب المسلمون الى « بابلين » ضربوا حصاراً حولها ، وشعر عمرو بن العاص ان قوة جيشه دون مستوى المعركة الطويلة وان صعوبة توازن القوى في غير صالحه فلجأ الى الحيلة ، وقام بتظاهرة استعراضية ، فباعد المسافات بين جنده بهدف خداع العدو عن معرفة القوة الحقيقية لجيشه ، وضيق حلقة الحصار ودارت بين جنده وبين جند الروم معارك ضارية لم يحقق خلالها أي طرف نتيجة حاسمة .

- شعر الخليفة عمر بانقطاع اخبار جند المسلمين في مصر ، وقدر خطورة السرعة البطيئة في تطوير العمليات فكتب الى عمرو بن العاص يستوضح الامر ، فأجابه عمرو بن العاص ، وشرح له الموقف وطلب دعمه .. وعند ذلك وجه الخليفة عمر الخطاب قوة مكونة من اربعة آلاف مقاتل وكتب رسالة الى عمرو ابن العاص ، جاء فيها :

(١) ابن الحكم - فتوح مصر والمغرب .

كان « الاعيرج » وهو المنذور القبطي يدير مصر من قبل المقوقس ، وكان يتولى قيادة الحامية المدافعة عن بابلين ، وكان اسمه « جورج » حرف الى جريج .

(.. اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل على كل الف منهم ورجل مقام
الالف ، الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن
عقلة ... وان معك اثني عشر ألفاً ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ..)^(١)

— طال أمد الحصار ، وأظهر المسلمون من الصبر والشدة والتصميم على متابعة
القتال ما اضعف عزيمه الحامية المدافعة عن بابلين وأحبط من ارادتها القتالية ،
فجمع المقوقس من وثق بهم من الحرس ودعا معه الاسقف الملاكاني واستشارهم
سواء في الامر ، وطرح عليهم الموقف وذلك في أوائل شهر تشرين الاول
— أكتوبر - ٦٤٠ م واقترح بذل المال للعرب وابعادهم عن بلاده ، واستقر رأي
المختصين على ان يذهب المقوقس واصحابه تحت ستار الليل الى جزيرة الروضة ،
خوف استيلاء العرب على الحصن واتخذت احتياطات أمن مشددة ، ففتح الباب
المسيدي المطل على النيل ، واستقل الملك ومرافقوه السفن ونزلوا في الموضع
الذي أنشئت فيه دار الصناعة فيما بعد بجزيرة الروضة ، وترك امر الدفاع الى
قائد الحامية ، ولما اشتدت وطأة الحصار ، وخاف الاعيرج اقتحام العرب
للحصن ، ركب وعدد من القادة والاشراف السفن الملتصقة بالحصن ، وانضموا
الى المقوقس في جزيرة الروضة ..

— بعد ان استقر المقوقس في جزيرة الروضة ارسل مراسلاً الى عمرو بن
الغاص يحمل الرسالة التالية :

(... لقد وُلجتم في بلادنا وألحتم على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانما
انتم عصابة يسيرة ، وقد اظلمتكم الروم ، وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح ،
وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا الينا رجلا منكم

(١) ابن الحكم - فتوح مصر والمغرب ٨٨ - وفي تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام
ج: ٢ - ص ٢٩ يذكر ان قادة الدعم هم الزبير بن العوام وبسر بن ارضانة وعمير بن وهب
الجنبي وخارجة بن حذافة. والرأي الاكثر صحة في رأي المؤرخين هو ما ورد اعلاه .. ويذكر
البلادري - ٢١٤ نصاً مماثلاً ولكنه يذكر خارجة بن حذافة دون مسلمة ..

نسمع من كلامكم فلعله ان يأتي الامر فيا بيننا وبينكم على ما نحبون ونحب
ويتقطع عنكم وغنا هذا القتال قبل ان تتشاك جموع الروم فلا يتقعا الكلام
ولا تقدر عليه ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفاً لطببتكم ورجاءكم
فابعث الينا رجلاً من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى به نحن وهم من شيء ..)

- وصل رسل المقوقس الى مقر قيادة عمرو بن العاص ، فاحتفظ بهم في
ضيافته مدة يومين بهدف اخضاعهم لحرب نفسية ، واطلاعتهم على ما يرغب من
احوال المسلمين . وشعر المقوقس بالقلق نتيجة لتأخر مراسليه في العودة حتى
سأل مستشاريه :

(.. اترون انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم ..)

- عاد رسل المقوقس ، يحملون رد عمرو بن العاص وفيه :

(.. ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال :

١ - اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواتنا وكان لكم ما لنا .

٢ - وان ايتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون .

٣ - واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير

الحاكين ..) .

- وجلس المقوقس الى رسله ، يستوضح منهم احوال العرب المسلمين فأجابوه :

(.. وأينا قوماً الموت احب الى احدم من الحياة والتواضع احب اليه من

الرفعة ، ليس لاحدم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، انا جالسهم على التراب واكلمهم

على ركبتهم ، واجبرهم كواحد منهم ، ما يعرف ربيعهم من وضيعهم ، ولا

السيد منهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة ، لم يتخلف عنها منهم احد ، يفسلون

اطرافهم بالماء ويشخمون في صلاتهم ..) .

وقال المقوقس عندما جلسائه :

(.. لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتالهم احد ،

ولئن لم نفتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا
امكنتهم الارض ، وقفوا على الخروج من موضعهم ..

- في تلك الفترة من المفاوضات والحصار المضروب على بابليون وصلت
المعلومات الى عمرو بن العاص عن اقتراب قوة الدعم بقيادة الزبير بن العوام ،
فقرر عمرو الخروج بقوته لاستقبال الزبير ووضع خطة القتال .

- شعر تيودور قائد قوات الروم ان لديه من القوة ما يستطيع معها القضاء
على قوة العرب قبل وصول قوات الدعم اليها ، فتحرك يبيوشه نحو هليو بوليس
- عين شمس - الواقعة على مسافة ستة اميال من معسكر العرب ..

- توفرت المعلومات لدى عمرو بن العاص عن تصميم قائد الروم ، وعرف
ان قوته تضم عشرين الف مقاتل ، بينما لم تكن قوة عمرو بن العاص تزيد على
ثلاثة آلاف مقاتل ، فوضع مخططه لاحباط تصميم العدو وذلك باتباع ما يلي :
١ - وضع كتيبة من قواته عند أم دنين بمهمة القيام بهجوم جنبي على
قوات الروم .

٢ - وضع كتيبة من قواته عند ثنية الجبل قرب القلعة الحالية بمهمة القيام
بهجوم جنبي على قوات الروم من الطرف المقابل .

٣ - القيام بهجوم جنبي على القوات المهاجمة .

اتخذ عمرو بن العاص الاحتياطات الضرورية لاختفاء قوة الكمين وتعميها
حتى لا يشعر بها العدو ، كما نسق التعاون بين القوات بحيث يتم انقراض قوات
الكمين على مؤخرة العدو ومجنباته في الوقت المناسب ..

- انطلق الروم بهجومهم من البساتين والأديرة الواقعة الى الشمال الشرقي من
حصن بابليون ، وبدأت المعركة ضارية وشرسة ، وتم اللقاء بين الجيشين في مكان
وسط بين معسكرين - قد يكون في موضع البباسبية الآن - وعندما وصل
زخم القتال ذروته ، ظهرت الكتيبة العربية من جهة الجبل فاجتاحت مؤخرة

الروم ، وألحقت بهم الهزيمة فتوجهوا نحو أم دنين وعند ذلك ظهرت قوة الكمين الثاني ، ففر الروم يحاولون النجاة ولكن فرسان المسلمين قاموا بالمطاردة بحيث لم يتمكن من النجاة اكثر من ثلاثمائة مقاتل ، نزلوا السفن وعادوا الى الحصن ..

– استقبل عمرو بن العاص الزبير بن العوام وتوجه مع قوات الدعم وشدد قبضة الحصار ، وبدأ الزبير بن العوام على الفور باستطلاع الحصون المحيطة بيبابليون ، بينما انصرف عمرو بن العاص لتركيز المنجنيق بهدف ضرب المدينة ، وفي هذه الفترة وصل زسول من قبل المقوقس يحمل رسالة جاء فيها :

(.. ابعتوا الينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه ان يكون فيه صلاح لنا ولكم ..)

– شكل عمرو بن العاص وقدأ من عشرة أفراد فيهم عبادة بن الصامت ..
– كان عبادة بن الصامت شديد السواد ، وتظاهر المقوقس انه لا يرغب في الحديث مع « الاسود » لكن الوفد أصر على ان يكون عبادة هو الناطق باسمه ، ويحتمل ان يكون المقوقس قد أراد اختبار تماسك الوفد ومعرفة مقدار التلاحم بين افراده واثارة تاحية التفرقة باللون او الجنس ، لكن تصميم الوفد أحبط مخطط المقوقس ، وارغمه على قبول التفاوض معه ..

– دارت المحادثات في اطار من الترغيب والترهيب والشد والجذب واطهر عبادة تمسكه ببادئ المفاوضات الثلاثة ، الدخول في الاسلام أو دفع الجزية أو الحرب .

– كانت المعارك مستمرة خلال فترة المفاوضات ، وأبصر الزبير بن العوام ثغرة في احد التحصينات فقال للمسلمين :

(.. اني اهب نفسي لله ، ارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين ^(١))

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ، ١٠٤ ، والبلاذري ٢١٥ .

ووضع سلماً في ناحية سوق الحمام ، وصعد بعد ان امر المقاتلين بالاجابة على تكبيرته جميعاً عندما يكبر فوق السور ..

- وصعد الزبير بن العوام ، وارتفع صوته مكبراً فوق الكُر ، وتندافع المسلمون على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من ان ينكسر ، ونظم عملية الصعود ..
- عندما اقتحم الزبير ومن تبعه الاسوار ، ارتفع صوت المسلمين بالتكبير خارج الحصن ، وانتشر الرعب في صفوف الحامية المدافعة عن المدينة وظنوا ان المسلمين جميعاً قد اقتحموا الحصن فأسرع الزبير واصحابه الى باب الحصن وفتحوه واندفعت جموع المقاتلين للقضاء على المقاومات .

وسقط حصن بابلون بعد حصار استمر سبعة اشهر .^(١)

١١ - اتفاقية الصلح :

- استمرت المباحثات بين الوفد العربي - الاسلامي بقيادة عبادة بن الصامت وبين المقوقس حاكم مصر ، وانتهى الامر بتوقيع اتفاقية للصلح .
- بسم الله الرحمن الرحيم -

هذا ما اعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الأمان على انفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب ، وعلى اهل مصر ، ان يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خسين الف الف ، وعليهم ما جنى لصوتهم فان ابى احد منهم ان يجيب وفسح عنهم من الجزاء بقدرهم وفتحنا بمن أبى بريئة . وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك . ومن دخل

(١) يرى بعض المؤرخين ان بابلون هي قصر الشمع ، ومكانه الآن الدير المحرق في مصر القديمة ، وقد بني هذا القصر بعد تدمير مصر من قبل نبوخذ نصر - بخت نصر - وهناك اختلاف بين المؤرخين حول التاريخ الذي شيد فيه القصر وفيمن انشأه من الملوك ، وكان الشمع يوقد على هذا القصر في رأس كل شهر حتى يعلم الناس بانتقال الشمس من برج الى برج ..

في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبي واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه او يخرج من سلطاننا وعليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب ، عهد الله وفضته وذمة رسوله وذمة اخطيفة امير المؤمنين وذمة المؤمنين ، وعلى التوبة الذين استجابوا ان يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا .. وكذا فرساً على ان لا يفزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة .

شهد الزبير بن العوام وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان (١)

- اشترط المقوقس لتطبيق الاتفاقية الحصول على موافقة هرقل ، ملك الروم ، وارسل المقوقس يعلم هرقل باتفاقه مع العرب المسلمين ، فجاءه جواب هرقل :

(.. انما اتاك من العرب اثنا عشر ألفاً ، وبصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروم علينا فان عندك بصر من الروم بالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف ، معهم العدة والقوة ، والعرب وحالمهم ورضفهم على ما قد رأيت فمعزت عن قتالهم ورضيت ان تكون انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم ؟ انهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم ورضفهم كحائلة ، فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير ذلك ..

- وكتب هرقل ملك الروم كتاباً مماثلاً الى قاده من الروم ..

- اقبل المقوقس الى عمرو بن العاص وقال له :

(.. ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني ، وكتب الي والى جماعة للروم ألا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتى يظفروا بك او تظفروهم ، ولم اكن

(١) الكامل ، لابن الاثير ٢ - ٣٩٦ ، وفي ابن خلدون بدل قوله هنا (وعليهم ما جنى لصوتهم) وعليه من جنى نصرتهم وهو غلط والصواب ما هنا والصوت جمع لصيت وهو اللص .

لأخروج بما دخلت فيه وعاهدتك عليه ، وأنا سلطاني على نفسي ومن اطاعني ،
وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت منهم نقض وأنا معك على نفسي
والقبط ممنون لك الصلح الذي صالحتهم وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم بريء
وأنا اطلب اليك ان تعطيني ثلاث خصال :

١ - الاتنقض بالقبط ، وادخلني معهم والزمني ما لزمهم ، وقد اجتمعت
كلتي وكتبهم على ما عاهدتك عليه فهم ممنون لك على ما تحب .

٢ - ان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فينا
وعبيداً فانهم اهل ذلك لاني نصحتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتموني .

٣ - اطلب اليك ان انا مت ان يدفنوني في ابي بجنس بالاسكندرية (١) .

- وهكذا تم تتويج النضال المسلح باتفاقية للصلح تنظم علاقات المجتمع
الجديد وترسخ اسسه على قواعد واضحة .

- وكان من اول نتائج هذه الاتفاقية خلق انقسام بين جماهير شعب مصر
وبين سلطة الاحتلال البيزنطية ..



- مرت فترة ايام اربعة بين سقوط بابلون وبين توقيع اتفاقية الصلح ،
وحدث خلالها قتال ، واعتبر العرب ان ما حصلوا عليه من سبي هو حق لهم .
وبلغ عمر بن الخطاب ذلك ، فرد السبي الخاص بمن لم يقاتل المسلمين خلال الايام
الاربعة واعاده الى اهل .

- بلغ عمرو بن العاص ان القبط يقولون : (.. ما أوث العرب ، وأهون
عليهم انفسهم ما رأينا مثلنا دان لهم ؟ فخاف ان يطعمهم ذلك ، فأمر بجزر (٢)
فذهجت وطبخت بالماء والملح ، ودعا امرء الاجناد فاعطوا اصحابهم فحضروا

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ، ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) جزر ، جمع جزور يقع على الذكر والانتى من الابل وفي الاصل جزور .

عنده وأكلوا أكلاً عربياً ابتشكوا^(١) وحشوا وهم في العباء بغير سلاح فازداد طمعهم ، وأمر المسلمين ان يحضروا الغد في ثياب اهل مصر واحذيتهم ففعلوا وأذن لأهل مصر فرأوا غير ما رأوا بالامس ، وقام عليهم القوام بالوان مصر فأكلوا اكل اهل مصر (ونحوا نحوهم) فارتاب القبط ، وبعث ايضاً الى المسلمين تسليحوا للعرض غداً ، وأذن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم : علمت حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب فخشيت ان تهلكوا فاحببت ان اريكم حالهم في ارضهم كيف كانت ، ثم حالهم في ارضكم ثم حالهم في الحرب فقد رأيتم ظفروهم بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم بما نالوا في اليوم الثاني^(٢) ، فاردت ان تعلموا ان ما رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع الى عيش اليوم الاول ..) .

وتفرق القوم وهم يقولون : (لقد رمتكم العرب برجلهم ..)

وعلم الخليفة عمر بما فعله عمرو بن العاص فقال :

(.. والله ان حربه لمنية ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب

من غيره ..) .

— انصرف عمرو بن العاص الى اعادة تنظيم قواته ، وارساء دعائم المجتمع الجديد، واجرى مقام الصلح ما أخذه عن طريق الحرب بهدف اكتساب عواطف جماهير الشعب المصري .

وخلال مرحلة اعادة التنظيم هذه وجه عمرو بن العاص قوة قتالية بقيادة عبد الله بن حذافة السهمي بهمة فتح عين شمس ، فقلب عبد الله على ارضها وصالح اهل قراها على مثل صلح القسطنطين ..

(١) ابتشكوا : اسرعوا .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ - ٣٩٦ ، وفي الطبري يذكر هنا العبارة التالية : (وقد كلبوا على بلادكم قبل ان ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني ..) وهي اكثر وضوحاً .

– ووجه أيضاً خارجة بن حذافة العدوي فصالح اهل قرى الفيوم والاشمونين واخم والبشر ودات وقرى الصعيد على مثل صلح الفسطاط ..

– كما وجه في الوقت ذاته مجموعة قتالية ثالثة بقيادة عمير بن وهب الجمحي الى قنيس ودمياط وقونة ودميرة وشطا ودقهلة ونبا وبوصير فصالح اهلها على مثل صلح الفسطاط (١) ..

– ووجه عقبة بن عامر الجهني ، ويقال وردان مولاه الى سائر قرى اسفل الارض ففعل مثل ذلك ، وبذلك استجمع عمرو فتح مصر فصارت ارضها ارض خراج (٢) .

– عندما انتهى عمرو بن العاص من اعادة تنظيم قوته ، وعرف انه قادر على الانطلاق لمتابعة عملياته من قاعدة قوية وامونة ، استأذن الخليفة عمر في فتح الاسكندرية فأذن له بذلك ، فاستخلف على مصر خارجة بن حذافة العدوي وانطلق بقواته في اتجاه الشمال ..

١٢ – في الطريق الى الاسكندرية :

طرونوط ، في بداية فتح الدلتا (٣)

– خرج عمرو بن العاص بالمسلمين من بابلليون ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط ، وكان القبط يدعمون قوات المسلمين ، فيصلحون لهم الطرق ، ويقيمون الجسور والاسواق ، ويقدمون العون والاداد وكل ما هو ضروري للقتال ومن مواد التموين .

(١) فتح البلدان ، للبلاذري ، ٣٠٤ .

(٢) فتح البلدان ، للبلاذري ، ٢١٨ .. والمقصود بأسفل الارض منطقة الدلتا .

(٣) طرونوط او ترونوط او الطروانة كما يسميها العرب ، مدينة قديمة كان عندها معبر فوق النيل الذهاب الى الاسكندرية ، ومنها يبدأ الطريق المؤدية الى اديرة القبط في صحراء ليبيا ، اما ترونوط الحالية فهي قرية على النيل بمرکز النجبة المسمى الآن مركز كوم حمادة من اعمال محافظة البحيرة ، وكان بها معاصر قصب السكر ويستخرج كثيره فتزود منها الاسكندرية بالفاكهة .

- توفرت المعلومات عند قيادة الروم حول تحرك عمرو بن العاص واستعداده القتالي وقوة جيشه فأخذوا في الاستعداد لمجابهته .

- كان على قيادة المقدمة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان حامل لواء المقدمة وردان مولى عمرو بن العاص ، ومن المحتمل ان يكون عمرو بن العاص قد اختار السير على للضفة الغربية للنيل في جهة الصحراء بسبب اتساع المجال لعمل الخيل وبحيث لا يعيق تحركها الترع والقنوات في دلتا النيل .

- عندما وصلت قوات المقدمة الى « طرنوط » اصطدمت بقوة متقدمة للروم وحدثت بين المقدمتين معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة قوة الروم وفرارها من أرض المعركة ..

- وتابع الجيش تقدمه حتى نقيوس فتصدى القائد دومينتانوس لجيش المسلمين ووقعت معركة طاحنة انتهت بهزيمة قوات الروم ، وانطلقت فلول القوات المنهزمة في اتجاه الشمال ..

- اصدر عمرو بن العاص اوامره بتشكيل قوة من الفرسان تحت قيادة شريك بن سمي لمطاردة فلول قوات العدو .

- نجحت قوات الروم في تنظيم مقاومتها على بعد ستة عشر ميلاً الى الشمال من طرنوط ، ودارت معركة شرسة كان التفوق فيها لصالح قوات الروم ، ووقعت قوات شريك في موقف حرج ، فأرسل شريك مراسلاً يعلم عمرو بن العاص بخطورة الموقف ويطلب دعمه بالقوات وعندما وصلت المعلومات عن اقتراب قوات دعم المسلمين ، اخذت قوات الروم في الفرار بعد ايام ثلاثة من القتال ، وقد اطلق على هذا الموضع الذي حدث فيه القتال باسم القائد العربي وهو معروف الى اليوم باسم كوم شريك ، وهي قرية من قرى كوم حمادة ..

- تابعت قوات العرب المسلمين تقدمها حتى وصلت سلطيس^(١) ووقعت

(١) سلطيس ، كذا في الاصل ، وصواب الاسم سنطيس ، وهي قرية كبيرة في منتصف المسافة تقريباً بين كوم شريك والكديون على ستة اميال في جنوب دمنهور .

معركة ضارية قاتلت فيها قوات الطرفين بشجاعة وعناد ، ولكن المعركة انتهت بانتصار قوات المسلمين ، وأخذت قوات الروم في الفرار من القتال في اتجاه الاسكندرية .

١٣ - الكريون ، آخر معركة قبل الاسكندرية (١) :

- كانت مدينة الكريون آخر حصن من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين حصن بابلليون والاسكندرية ، وكان للمدينة حاكم تحت قيادته قوة من الفرسان والمشاة - مسلحة - وكان لها خطر كبير في الحرب نظراً لاشرافها على التربة التي تعتمد عليها الاسكندرية في طعامها وشرايها ، لكن حصونها لم تكن في القوة والمنعة على مثل ما كان عليه حصن بابلليون او حصن نقيوس او حصن الاسكندرية ..

- وصلت القوات المتقدمة للعرب المسلمين بقيادة عبد الله بن عمرو وحامل اللواء وردان مولى عمرو ، واشتبكت هذه القوات مع الحامية المدافعة عن المدينة ، ودارت رحى معركة ضارية قاتل فيها الروم بعناد كبير واصيب عبد الله بجراح كثيرة ، فقال لوردان: (... لو تفهقت قليلاً نصيب الروح ..) فأجابه وردان : (... الروح تريد ؟ . الروح امامك وليس هو خلفك ..) (٢)

وصمد عبد الله ، وثبت المسلمون ، ونجح عبد الله في احراز بعض التقدم ، وعلم عمرو بن العاص باصابة ابنه بجراح فأرسل من يستطلع له خبره ، ووصل انراسل فسأل عبد الله عن جراحه فأجابه :

اقول اذا ما جاشت النفس اصبري فعماً فليس محمدى او تلامي

(١) الكريون : مدينة قديمة ، زارها ابن حوقل ، وذكر عنها في كتابه أنها كانت في أيامه مدينة عظيمة جميلة على دفتي ترعة الإسكندرية ، وكان التجار يركبون منها القوارب إلى القسطنطينة أيام الصيف عندما يرتفع مستوى مياه النيل ، وكان يتم إمداد الإسكندرية بالحبوب والقمح عن طريق الكريون

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم

ويروي البيت ايضاً :

اقول لها اذا جشأت وجاشت رويدك فحمدي او تستريحي

ورجع المراسل الى عمرو ليقول له ما ذكره ابنه ، وعندها قال عمرو :

هو ابني حقاً ..

- استمرت معركة الكديون بضعة عشر يوماً ، صبر فيها العرب المسلمون صبراً كبيراً وقاتل الروم ببسالة ، لكن تصميم العرب وصبرهم كان أقوى من شجاعة الروم وتوقعهم العددي فنجحوا في النهاية بانتزاع النصر ، وسقطت حصون الكريون في قبضة المسلمين ، وتمزقت الحامية المدافعة عن المدينة فأخذ افرادها يبحثون عن طريق النجاة الى الاسكندرية ..

١٤ - فتح الاسكندرية الاول سنة ٥٢١ - ٦٤١ م :

- كان للاسكندرية حصون منيعة وقوية لا سبيل للوصول اليها . وكانت هذه الحصون مضاعفة بحيث تستطيع الحصون الخلفية دعم الحصون الامامية .
- وكان هرقل ملك الروم قد دعم الاسكندرية بقوات كبيرة حتى وصل عدد افراد الحامية المدافعة عنها الى مائة الف مقاتل ١٠٠.٠٠٠ ، وكان هدف هرقل من ذلك هو :

١ - الاحتفاظ بالاسكندرية كقاعدة متقدمة للهجوم المضاد من اجل انتزاع مصر من قبضة العرب المسلمين .

٢ - الاحتفاظ بالاسكندرية كقاعدة بحرية توفر للأساطيل البيزنطية ما تحتاجه من امداد وتموين ..

ولا أدل على اهتمام بيزنطة بالاسكندرية بما قاله هرقل عندما بلغه تقدم العرب المسلمون في اتجاه مصر ووصولهم الى بابلون ..

[.. لنن ظهرت العرب على الاسكندرية فان ذلك انقطع ملك الروم]

وهلاكهم لانه ليس للروم كنانس اعظم من كنانس الاسكندرية .. [١١]
وتنتيجة لذلك اصدر هرقل اوامره الى أجهزة دولته بالاستعداد للانتقال الى
الاسكندرية حتى يستطيع مباشرة قيادة الأعمال القتالية فيها بنفسه ، وأمر
بألا يتخلف عنه أحد من الروم ..

— أنهى هرقل استعداداته ، وكان العرب لا زالوا على حصار بابلين ، وكان
المقوقس قد عقد معهم اتفاقية للصلح ، وعندما وضع هرقل مخططه للانتقال الى
الاسكندرية وافته المنية ، فمات في يوم الاحد ١١ فبراير - شباط - ٦٤١ ،
وكان لموته في تلك الفترة الحرجة أثر كبير وحاسم في احباط الارادة القتالية
ليزنطة وأخذ جمع كبير في الرجوع الى بيزنطة بعد ان كانت متوجهاً الى
الاسكندرية ..

— انطلقت قوات العرب المسلمين بعد معركة الكريون واخذت في ضرب
حصار حول الاسكندرية ، فنزل عمرو بن العاص في حلوة وانتشرت قوات
العرب المسلمين من حلوة حتى قصر فارس والى ما وراءه كما نزل رؤساء القبط مع
المسلمين وأخذوا على عاتقهم امداد جيش المسلمين بما يحتاجه من أطعمة وأغذية
ومتطلبات للمقاتلين وخبولهم ..

— طال حصار الاسكندرية ، وحدثت خلال فترة الحصار مجموعة من المعارك
الضارية (٢) ، وشعر عمرو بن العاص ان أمد الحصار سيطول نظراً لوصول
امدادات مستمرة الى الحامية المدافعة عن المدينة بطريق البحر ، وخشي ان
تحدث ردة في مصر ، فقرر العودة الى ام دنين - المعتنس - للبقاء في مركز
متوسط من الدلتا للاشراف على إعادة تنظيم المجتمع واقامة العلاقات الجديدة
فيه ، واستخلف على رابطة الاسكندرية عبادة بن الصامت وعاد الى ام دنين
بعد شهرين من حصار الاسكندرية ..

(١) و (٢) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٩٨ - ١٠٣ - ١١٦
(٢) صلى عمرو بن العاص صلاة الخائف بسبب شدة هذه المعارك وقسوتها .

- استتباً الخليفة عمر فتح مصر ، فكتب الى عمرو بن العاص رسالة جاء فيها : (١)

[.. اما بعد ، فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر ، انكم تقاتلون منذ سنتين وما ذلك الا لِمَ احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم وان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً الا بصدق نياتهم ، وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر واعلنتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم ، فاذا اتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبتهم في الصبر والنية ، وقدم اولئك الاربعة في صدر الناس ومر الناس جميعاً ان يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألونه النصر على عدوهم ..] .

- جمع عمرو بن العاص المسلمين ، وقرأ عليهم رسالة الخليفة ، وعقد لواء القوات لعبادة بن الصامت فنظم عملية الهجوم بعد استطلاع دقيق ، وقام بهجوم حاسم اظهر فيه المقاتلون من الشجاعة والتصميم ما ساعدهم على اقتحام أسوار المدينة .

وسقطت الاسكندرية في يد عبادة بن الصامت بعد اربعة اشهر من الحصار ، على أثر سقوط الاسكندرية تم توقيع معاهدة للصلح مع العرب المسلمين كانت اكثر نقاطها أهمية ما يلي :

١ - فرض الجزية على كل فرد لا يرغب في الاسلام بمقدار دينارين على الفرد الواحد .

٢ - اقامة هدنة لفترة احد عشر شهراً يتم خلالها جلاء الروم عن الاسكندرية .

٣ - بقاء العرب المسلمون في مواقعهم خلال فترة الهدنة وايقاف الأعمال القتالية بين الطرفين .

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ، ٩٨ - ١٠٣ - ١١٦

- ٤ - عدم تعرض المسلمون للكنائس وعدم التدخل في امور المسيحيين .
 ٥ - يسمح للحامية البيزنطية ان يحملوا معهم عند جلائهم ما يملكون من اموال وأمتعة مع دفع جزية شهر عند رحيلهم ..
 ٦ - السماح لليهود بالبقاء في الاسكندرية .
 ٧ - تسليم ١٥٠ مقاتلاً من جند الروم و ٥٠ من الحكام حتى يكونوا رهائن عند المسلمين خلال مرحلة تنفيذ الاتفاقية .

- وجمع بعد ذلك جمع السبي والنصارى بحضور حاكم الاسكندرية ، وخبروهم فرداً فرداً فمن اختار المسلمين كبروا ، ومن اختار النصارى جزعوا عليه وفرضوا عليه الجزية . واستثنى من الجزية النساء والشيوخ والاطفال والعاجزين عن دفعها من الفقراء ..

- التزاماً من عمرو بن العاص باتفاقيته مع المقوقس بمنح الحرية الدينية ، ارسل عمرو بن العاص كتاباً الى البطريق « بنيامين » أعاد له « الحرية والامن » بعد ان مضى عليه طريداً شريداً مدة ثلاث عشرة سنة ، فقدم البطريق بنيامين الى الاسكندرية واستقبل فيها استقبالاً جيداً، وألقى على مسامح عمرو بن العاص خطاباً بليغاً ضمنه ما يراه ضرورياً من مقترحات للحفاظ على كيان الكنيسة ، فقبلها عمرو ومنحه الصلاحية التامة لادارة شؤون الكنيسة . ووقف اسقف نقيوس بدير مقاريوس يرحب بالبطريق بنيامين يشرح ما قام به من تضحيات في سبيل الكنيسة القبطية ، فوقف بنيامين يرد على باسيلي اسقف نقيوس وكان مما قاله :

[.. لقد وجدت في مدينة الاسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدتهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون ..]^(٢١)

(١) فتوح البلدان للبلاذري ٢٨٨ ، والولاة للكندي ص ٩ ، وفتوح مصر لابن الخم ١١٧ ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ٣٩٧ .
 (٢) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم ١ - ٢٤٠ .

- وكان لهذه السياسة التي اتبعها عمرو بن العاص دور حاسم في تحقيق الأمن والاستقرار خلال مرحلة بناء المجتمع الجديد ، مجتمع العرب المسلمين ..

- لم يخسر العرب المسلمون في معركة فتح الاسكندرية اكثر من ٢٢ رجلاً^(١) وعندما تمت عملية الفتح ، قسم عمرو بن العاص الفيء على المقاتلين وبعث الخمس الى الخليفة عمر ومعه سبي بلهيت والحنيس وسلطيس ، على اعتبار ان هذه البلدان فتحت حرباً ، كما ارسل مع الوفد الرسالة التالية :

[.. اما بعد ، فاني فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير اني اصبحت منها اربعة آلاف منية بأربعة آلاف حمام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعائة ملهى للملوك ..]^(٢)

- كان عدد الروم في الاسكندرية من الرجال مائتي الف ، وكان بها مائة مركب حملت ثلاثون ألفاً من كبارهم وقادتهم ومعهم ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقي من بقي أسارى في يد المسلمين ، وتم احصاء من فرض عليهم الخراج فكانوا ستمائة الف رجل سوى النساء والأولاد .

- وكان في الاسكندرية عدد كبير من اليهود رحل في الليلة التي دخلها عمرو بن العاص او في الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعين الف يهودي وبقي اربعون ألفاً ..

- عندما وصل السبي الى المدينة ، اعاده الخليفة عمر الى مصر بهدف اعادة بناء مجتمع مصر على أسس وطيدة وثابتة ، بعيدة عن الظلم والاضطهاد وكان لذلك دور كبير في اكتساب عواطف جماهير الشعب والتفافها حول العرب المسلمين ..

١٥ - خراب خربة وردان :

- الخربة قرية صغيرة كانت في طريق الاسكندرية ، وكان اهلها رهباناً

^(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ، ١٢١ .

^(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ، ٣٠٣ .

كلهم، فغدروا بقوم من ساقية عمرو بن العاص فقتلواهم بعد ان بلغ عمرو الكريون وعندما وصلت اخبار ما فعلته هذه القرية الى عمرو بن العاص اوقف تقدمه وأرسل مجموعة قتالية بقيادة مولاة وردان ، فقتل اهلها ودمر القرية ولم يبق حتى الآن منها سوى اطلال تشهد على الغدر وعاقبته على اهل ..

١٦ - رابطة الاسكندرية :

- لما استقامت البلاد وفتح الله على المسلمين الاسكندرية ، قطع عمرو بن العاص من اصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس خاصة ، الربع يقيمون ستة أشهر ثم يعقبهم شاتية ستة اشهر ، ربع في السواحل ، والنصف الثاني مقيمون معه .
- وكان الخليفة عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية ، وكاتب الولاة لا تغفلها وتكثف رابطتها وتأمين الروم عليها (١) .

١٧ - فتح برقة (٢) وزويلة (٣)

- اراد عمرو بن العاص تصفية قواعد بيزنطة في شمال افريقيا وتأمين الجبهة الغربية لمصر ، فاستخلف على الاسكندرية عبد الله بن حذافة السهمي ، وقاد جيشه متوجهاً نحو الغرب ، متبعاً في تقدمه المحور الساحلي ..

- وصلت قوات العرب المسلمين الى برقة ، وعقد عمرو بن العاص صلحاً مع اهلها على اساس دفع الجزية ، وتوقف عمرو بن العاص في برقة ووجه بمجموعة قتالية بقيادة عقبة بن نافع الى « الزويلة » في قلب الصحراء ، فصالح اهلها على مثل صلح برقة .. (٤)

.....

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ، ٢٥٨ .

(٢) برقة ، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن ، وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر - معجم البلدان ٢ - ١٣٣ .

(٣) زويلة : بلدان احدها زويلة السودان مقابل اجدابية في البر بين بلاد السودان وافريقية أو زويلة في وسط الصحراء هي أول حدرد بلاد السودان - معجم البلدان ٤ - ٤١٨ .

(٤) فتوح البلدان ، البلاذري ، ٣١٤ ، الكامل في التاريخ ٣ - ١٠ .

١٨ - فتح أطرابلس^(١) سنة ٥٢٢ هـ - ٦٤٢ م :

سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس ، وتحصن أهلها فحاصرها عمرو ، ومضى شهر والمدينة ممتعة على المسلمين ، ثم خرج رجل من بني مدلج للصيد ومعه سبعة من رفاقه المقاتلين وتوجهوا غرب المدينة حتى انفصلوا عن المسكر ، ثم رجعوا ، فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور ، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها الى بيوتها ..

- نظر المدلجي واصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي غاض فيه البحر فدخلوا فيه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا ، فلم يكن للروم مفرج إلا سفنهم ، وأبصر عمرو وأصحابه المتسللين الى قلب المدينة ، فأقبل يجيشه حتى دخل عليهم ، فلم تقلت الروم إلا بما خف لهم في مراكزهم ، وغنم عمرو ما كان في المدينة .^(٢)

- كان اهل سبرت^(٣) متحصنين ، وقد اطمأنوا بعد ان بلغهم امتناع أطرابلس على جيش العرب المسلمين وصمودها في وجههم ، ولهذا اسرع عمرو بن العاص الى توجيه مجموعة قتالية من الفرسان في ذات الليلة التي تم فيها فتح أطرابلس وأمر قائد المجموعة بالاسراع في سيره حتى يستطيع مباغتة سبرت ..

- وصلت المجموعة القتالية مع اول ضوء من النهار ، وفتح اهل مدينة سبرت ابواب مدينتهم وأطلقوا ماشيتهم للرعي ، فباغتتهم العرب المسلون

(١) أطرابلس : مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض افريقية ، معجم البلدان ١ - ٢٨٥ و ٦ - ٣٤ ، واسمها الآن : طرابلس وهي مدينة كبيرة على البحر الابيض المتوسط وهي العاصمة الثانية لليبيا والعاصمة الاولى هي بنغازي .
(٢) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٣١ . وفتوح البلدان ٣١٦ .
(٣) سببرت ، اسمها نبارة ، وسببرت السوق القديم وربما نقله الى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة ٥٣١ هـ .

بالمهجوم ودخلوا المدينة ، وبعد ان فتحوها ، عادوا الى مقر قيادة عمرو بن العاص في أطرابلس ..

– توقف عمرو بن العاص في أطرابلس ، وارسل الى الخليفة عمر بن الخطاب رسالته التالية :

[.. ان الله قد فتح علينا اطرابلس ، وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام فان رأى امير المؤمنين ان يفتوحها ويفتحها الله على يديه فعل ..] .
وجاء رد الخليفة :

[.. لا ، انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بها ، لا يفتوحها احدا بقيت ..]^(١)

– وتوقفت عملية الفتح غرب مصر عند أطرابلس ، واستخلف عمرو بن العاص على ليبيا عقبة بن نافع الفهري ، ثم عاد الى الفسطاط بعد أن أكمل فتح « ليبيا » ..

١٩ – فتح الاسكندرية الثاني ٥٢٥ – ٦٤٥ م :

– كان أمراً محتملاً أن تصاب مصالح بعض اهالي مصر بالضرر ولا سيما الطبقة الغنية منهم ، وكان لا بد من بقاء بعض الروابط بين حكام بيزنطة وبين بعض انصارهم من سكان البلاد بسبب طول عهد حكم بيزنطة لمصر ، ونتيجة لذلك ، فقد عمد بعض اهل الاسكندرية الى كتابة الرسائل وارسالها الى بيزنطة يطلبون دعماً للقيام بثورة مضادة .

– وجه قسطنطين بن هرقل ملك بيزنطة الى مصر قوة مكونة من حمولة ثلاثمائة مركب يقودها « منويل » الخصي ، فنزلت هذه القوة بالاسكندرية وانضمت اليها بقية قوة الروم .

– حافظ المقوقس على اتفاقية الصلح مع المسلمين ، فلم يدعم قوة الروم

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ٣١٦ ، فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٣٢ .

وانضم اليه من اطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعه منهم أحد ..

— كان الخليفة عثمان بن عفان قد اصدر امره بعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد ، فلما نزلت الروم بالاسكندرية سأل اهل مصر عثمان ان يقر عمرواً حتى يفرغ من قتال الروم ، فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل^(١) .
— تقدم عمرو بن العاص بجيشه واقترح عليه خارجه بن حذافة الاسراع للقاء الروم قبل انطلاقهم من الاسكندرية وكان مما قاله له :

[.. ناهضهم قبل ان يكثر مددهم ، ولا آمن ان تنتفض مصر كلها ..] .
فاجابه عمرو : - [لا .. ولكن ادعهم حتى يسيروا الي فانهم يصيبون من مروا به ، فيخزي الله بعضهم ببعض ..]

وهكذا تعمد عمرو بن العاص التأخر في مجابهة الروم بهدف اقناع اهالي البلاد وجماعيها ، عن طريق التجربة المباشرة ، بالفارق بين اسلوب التعامل مع العرب المسلمين واسلوب معاملة الروم لأهالي البلاد ..

— خرج الروم من الاسكندرية ، فجعلوا يتزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون اطعمتها وينتهبون ما مروا به ، فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس .

— وصل عمرو بن العاص وجيشه المكون من خمسة عشر الف مقاتل الى نقيوس^(٢) ودارت معركة عنيفة بين الروم والمسلمين ، كان مسرحها في البر والبحر ، ثم انضمت قوات الروم كلها في صفوف متعاقبة ، وصمد المسلمون صموداً رائعاً وقاتلوا بعناد وبرز في المعركة اسم حومل ابا مذحج من زييد حيث تمكن من القضاء على بطريق الروم .. وبذل البطارقة الذين احضرم الروم معهم جهداً في اثاره حماسه مقاتلي الروم ، لكن عمرو بن العاص نجح في انتزاع النصر

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٣٥ . البلاذري ٣٠٩ .

(٢) نقيوس : من المدن المصرية القديمة ، زالت ولم يبق منها سوى كوم أثري موجود في الجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف المعروف عند الاهالي هناك باسم كوم مانوس ، او : وقيانوس ، وهما محرفان من نقيوس .

واخذت قوات الفرسان تطارد فلول الروم حتى وصلوا الاسكندرية وتحصنوا بها .
- امتنع الروم بالاسكندرية ، مما أثار عمرو بن العاص [فأقسم لئن اظهره
الله عليهم ليهدمن سورها ...]

- جهز عمرو بن العاص قواته ، ونظم هجومه بحيث يتم الانقراض على
الاسكندرية برأ وبجراً ، كما وضع المنجنيق لتهديم أسوار المدينة ودعم الهجوم .
- قامت قوات العرب المسلمين بهجوم حاسم ، ونجحت في اختراق المدينة
وقتل قائد قوات الروم « منويل » وامعن عمرو بن العاص في قتال الروم داخل
الاسكندرية ثم كلم في ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم وبنى في ذلك الموضع
المسجد المعروف باسم « مسجد الرحمة » ثم اصدر عمرو بن العاص اوامره بهدم
اسوار الاسكندرية . وكان اول ما فعله عمرو بن العاص بعد ذلك هو ورد
الأموال والمتاع مما نهبه الروم وارجاعه الى أصحابه الذين يظهرون بينة على ملكية
المتاع الخاص بهم ..

٢٠ - تأمين الحدود الجنوبية لمصر - ٥٣١ :

- اراد عمرو بن العاص تأمين الحدود الجنوبية لمصر وذلك قبل التوجه لفتح
الاسكندرية فشكل مجموعة قتالية بقيادة عقبة بن نافع الفهري ووجهها الى النوبة ،
واصطدمت هذه المجموعة القتالية بمقاتلي النوبة ، وقد أفاد هؤلاء من طبيعة
الارض ، واتقانهم الاختفاء والتمويه واستخدام السهام والنبال على نطاق واسع
فأوقعوا في صفوف المسلمين اصابات كبيرة ، وكانت اكثر الاصابات في عيون
المقاتلين . واستمر عمرو بن العاص بعد ذلك في توجيه المقاتلين الى ان جاء عبد
الله بن سرح فعقد صلحاً مع اهل النوبة ..

التقسيم الأول

الفصل الثالث

الدروس المستفادة من عمليات فتح مصر

- ١ - اعطاء الأفضلية لمسارح العمليات ومحاور الهجوم .
- ٢ - الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .
- ٣ - المباغتة .
- ٤ - الحفاظ على الهدف .
- ٥ - وحدة القيادة .
- ٦ - كفاءة افراد القيادة العامة .
- ٧ - الهجوم .
- ٨ - اجبار الخصم على بعترة قواته .
- ٩ - الحشد ومرونة الحركة :
- ١٠ - المطاردة .
- ١١ - التموين من مؤونة العدو نفسه .
- ١٢ - الحرب النفسية .

- ١٣ - التسليح .
- ١٤ - الروح المعنوية للمقاتلين .
- ١٥ - انشاء علاقات اجتماعية جديدة .

قراءات

- ١ - عمرو بن العاص .
- ٢ - الزبير بن عوام .
- ٣ - عبد الله بن حذافة السهمي .
- ٤ - خارجة بن حذافة المدوي .
- ٥ - عمير بن وهب الجمحي .
- ٦ - عقبة بن عامر الجهني .
- ٧ - عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي .
- ٨ - مقتل الارطوبوت ..

الدروس المستفادة من عمليات فتح مصر

وقعت خلال فتح مصر مجموعة من المعارك كان فيها ميزان القوى كالتالي :

المركة	قوة المسلمين	قوة الروم	ميزات القوى	ملاحظات
بلبيس	٣٥٠٠	١٠٠٠٠٠	واحد لثلاثة في صالح الروم	لم يذكر المؤرخون الأرقام الدقيقة بعد كل
ام دنين	٣٥٠٠	٨٠٠٠٠٠	واحد الى عشرين في صالح الروم	معركة . ولهذا فأت هذه الأرقام تقريبية (١)
بابليون	٨٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	واحد الى واحد تقريباً	
الاسكندرية	٨٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠	واحد مقابل اثني عشر في صالح الروم	

– ترى ما هو شكل الحوار الذي سيتم لو طرح ميزان القوى المذكور أعلاه للناقشة ؟ وكيف سيكون الرد لو تقدم أحدهم في مؤتمر للحرب و أعلن أن باستطاعته تنظيم هجوم بقوة أربعة آلاف أو ثمانية آلاف مقاتل ضد بلد يستطيع زج مائتي الف مقاتل ، بحيث يكون ميزان القوى واحد ضد عشرين ؟ ..

– ان الرد على هذا المشروع لو طرح – بأي شكل وعلى أية صورة – سيكون نظرة اشفاق أو ابتسامة سخوية على أقل تقدير ، وسيوصف المشروع بصورة عادية اما بالمقامرة المجنونة ، أو التهور الأحمق ، والمصير الحتمي الذي يتوقعه الجميع هو الفشل ..

.....

(١) المرجع ، فتح مصر والغرب ، ابن الحكم ٨٦ - ١٠٤ - ٢٣٠ .

- لكن هذا لم يحدث عندما اقترح عمرو بن العاص فتح مصر وأمكن له تحقيق مشروعه .

- لقد جابه كثير من القادة مواقف مماثلة ، فقد جابه - غودريان - القائد الألماني موقفاً مماثلاً عندما اقترح القيام بهجومه عبر الحدود البلجيكية غداة الحرب العالمية الثانية، وأمكن له أيضاً تنفيذ اقتراحه بنجاح على الرغم مما جوبه به من احباط وسخرية ..

- وعودة الى عمليات فتح مصر .. وطرح سؤال :

- كيف استطاع عمرو بن العاص تحقيق انتصاراته المتتابة حتى انتهى من فتح مصر ؟

- قد يكون من السهل ، الجلوس وراء مكتب دراسي مريح في غرفة وثيرة والقول بحسن نية أو سوء نية :

١ - لقد كانت هناك هوة فاصلة بين جهاز الحكم وبين جماهير الشعب في مصر.

٢ - لقد كانت هناك انقسامات دينية مزقت الشعب وأضعفت قدرته القتالية .

٣ - وكانت هناك نقاط ضعف في التنظيم القتالي للقوات البيزنطية .

ثم متابعة العملية بهدف انقاص أهمية القدرة القتالية للقوات العربية الاسلامية سواء على مستوى القيادات أو على مستوى القوات المقاتلة وبالتالي انقاص العامل الايديولوجي الذي خاضت القوات معاركها من أجله .

- ان للحرب قوانينها المعروفة وقواعدها الراسخة ومبادئها الثابتة وقد

خاضت قوات العرب المسلمين - قيادة ومقاتلين - حروبها وفق قواعد ثابتة وواضحة، وان من أبسط المعطيات التي يمكن قولها في موضوع عمليات فتح مصر ..

١ - كان فوق أرض مصر قوة مقاتلة يمكن حشدتها في جبهة واحدة تضم

مائتي الف مقاتل .

٢ - كان عمرو بن العاص يقود هجومه ضد اقليم غريب عنه بينما كانت

القوات المدافعة عن مصر تخوض معركتها فوق أرضها التي تعرفها معرفة جيدة وتحسن استخدامها .

٣ - وكانت القوات العربية الإسلامية تقوم بالهجوم بينما كانت القوات الموجودة في مصر تخوض معركة دفاعية وكان من المفروض أن يحقق العرب تفوقاً بمعدل واحد الى ثلاثة على أقل تقدير ، بينما كان ميزان القوى بمعدل عشرة ضد واحد في صالح الروم .. هذه بعض المعطيات وليست كلها ..

- كانت أعمال الفتح معارك قتالية قبل كل شيء ، وللمعارك القتالية قواعدها ومبادئها ، وان ادراك أسباب النجاح يفرض تحليل هذه الأحداث التاريخية ووضعها في مكانها الصحيح ..

١ - اعطاء الافضلية لمسارح العمليات ، ومحاور الهجوم :

- لقد جاء تسلسل عمليات الفتح وفق الترتيب التالي :

١ - فتح العراق ٥١٢ . ٢ - فتح الشام ٥١٣ . ٣ - اكمال فتح العراق ٥١٤

٤ - فتح مصر ٥٢٠ . فتح ايران حتى ٥٢٢ .

وبرهن هذا الترتيب على دوره الفعال في انجاح مسيرة العمليات ، فالقضاء على نفوذ بيزنطة في الشام ونفوذ فارس في العراق قد مهد السبيل لفتح مصر التي أصبحت معزولة عن قاعدتها الرئيسية - إلا عن طريق البحر - .

- لقد أصبحت مصر بعد فتح الشام بمثابة موقع جانبي معزول ، وكان لهذا العامل دوره الحاسم في إيقاف الامداد بالقوات والأعتدة عبر محاور الطرق الأرضية ..

- ترى ماذا كان سيحدث لو توجهت القوات العربية لفتح مصر قبل اكمال

فتح الشام ؟ يقيناً ، الفشل هو الاحتمال الأكبر لمصير هذا الهجوم ..

. - كان الخليفة عمر بن الخطاب هو الذي يقرر أهمية مسارح العمليات وهو الذي ينسق موضوع التعاون فيما بينها ، وما من ريب في أن تحقيق التوازن بين

هذه المسارح مع تنسيق التعاون بالنسبة لحجم القوى المتوفرة هو العامل الأول في نجاح العمليات على مسارح القتال المختلفة .

– وان ما أنجزه الخليفة عمر بن الخطاب في هذا المجال يحتل المرتبة الأولى في سلم « الافضليات الاستراتيجية » .

– أما انتقاء محور العمليات في مصر ، وتركيز الجهد على المحور الأكثر أهمية فقد ترك لعمر بن العاص على أساس معرفته بالأرض ، وعلى أساس ما سيقوم به من استطلاع شخصي وجمع للمعلومات . واتبع عمرو بن العاص محور مجدل – القواصر – بلبيس – عين شمس – أم دنين -- بابليون ثم الانطلاق جنوباً الى النوبة وشالاً الى الدلتا ثم متابعة التقدم على المحور الصحراوي العربي حتى الاسكندرية .. وكان تحديد عمرو بن العاص لهذا المحور، هو من العوامل الحاسمة لنجاح الاعمال القتالية في فتح مصر ..

– ترى ماذا كان سيحدث لو اتبع عمرو بن العاص المحور الساحلي حتى الوصول الى الاسكندرية ؟

- ١ – كان سيتعرض الى سلسلة غير محدودة من المقاومات التي تستنزف قوته .
- ٢ – وكان سيواجه قوة المقاومة الرئيسية في الاسكندرية مما سيضع قواته في مأزق خطير .

بينما استطاع في مسيرته على المحور الذي اختاره تحقيق ما يلي :

- ١ – فصل القبط عن البيزنطيين ، بمهاجمة نقاط الضعف قبل الاصطدام بالقوة الرئيسية .
- ٢ – تكوين قاعدة بشرية وادارية متينة تستطيع أن تقدم له دعماً كبيراً في متابعة العمليات .
- ٣ – عزل المقاومة الرئيسية في الاسكندرية عن كل دعم أرضي وتجريدها من كل امكانيات في الامداد والتموين .
- ٤ – الاحتفاظ بقوته ، وحشدها في المناطق التي يريد افرضاها على العدو .

ان اتباع هذا المحور من قبل قوات عمرو بن العاص يذكرنا بالمحور الذي اتبعته القوات الانكليزية - الفرنسية أثناء عدوان عام ١٩٥٦ ، حيث تجنبت هذه القوات الاصطدام بالمدن الرئيسية واختارت محور قناة السويس - الطريق الزراعي ، بهدف الابتعاد عن كل مقاومة كبيرة ..

٢ - الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة :

- وضع « استالين » مبدأ استقرار المؤخرات في طليعة المباديء الواجب اتباعها لاحراز النصر في الحرب ، وقد حرص على تطبيق هذا المبدأ في كل معركة من معارك حرب التحرير الوطنية العظمى ، ١٩٤٢ - ١٩٤٥ ..

- وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد عرف هذا المبدأ وحرص على تطبيقه في جميع أعماله ، فأصدر أوامره بالتوقف عند حدود النهر - نهر دجلة - وعدم التوغل في بلاد فارس حتى يتم الانتهاء من تكوين المجتمع العربي - الاسلامي الجديد والانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ..

- وأصدر أوامره أيضاً بالتوقف عند « أطرابلس » وعدم تجاوزها للتوغل في « افريقية » حتى تتم عملية بناء المجتمع بحيث يمكن الانطلاق بعدها ومتابعة الفتوحات ..

- هذا على المستوى الاستراتيجي ..

- أما على المستوى التكتيكي ، فمن الواضح جداً أن عمرو بن العاص قد طبق هذا المبدأ بدقة تامة حتى انه لم يتقدم من موقع إلى موقع آخر إلا بعد أن يصبح على ثقة تامة بقدرته على الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .. وان هذا يوضح مبرر الابطاء في مسيرة العمليات حتى ان عملية الفتح استغرقت فترة عامين مما اضجر الخليفة عمر بن الخطاب ودفعه إلى استعجال عمرو بن العاص لانجاز فتح مصر ..

- حاصرت قوات العرب المسلمين فرما لمدة شهر وحاصرت بلبيس شهر وحاصرت بابلون أربعة أشهر ، كما حاصرت الاسكندرية أربعة أشهر فاذا

ما أضيف إلى مجموع هذه الفترات المستقطعة المدة الضرورية للسير ، وللمعارك التي تم تنفيذها في بعض المواقع فان هذه الفترة تصل إلى السنة .. ومعنى ذلك ان عمرو بن العاص لم يكن ينتقل من موقع إلى موقع آخر قبل اكمال اعادة تنظيم قاعدة انطلاقه ، وارساء دعائم المجتمع الجديد بحيث يتابع تقدمه من قاعدة مأمونة لا تهددها أعمال القتال ..

— لقد كان أخذ عمرو بن العاص بمبدأ الحرص على استقرار المؤخرات من العوامل الأساسية والحاسمة في نجاح الأعمال القتالية التي خاضتها قوات العرب المسلمين خلال فتح مصر ..

٣ - المباغتة :

— التطور الدائم من طبيعة الحرب والمباغتة دستورها وقانونها، ولعل اجماع القادة العسكريين والاستراتيجيين في العالم كله على وضع « المباغتة » في المرتبة الأولى من مبادئ الحرب هو أفضل شاهد على أهميته وعلى دوره الحاسم في احراز النصر .

— اعتمد عمرو بن العاص مبدأ المباغتة وسيلة في عملياته كلها ، فابتعد عن المناطق المأهولة في سيناء خلال تقدمه من العريش الى الفرما بهدف تحقيق المباغتة . ويظهر ذلك من خلال حديث يوقنا الذي أسلم خلال فتوح الشام حيث قال لعمرو :

[.. انك تريد ان تنهم مصر على حين غفلة من اهلها وانا بمن يمكنني ذلك .. ثم سار ليلاً من رفح يطلب الفرما ، ولم يقرب العريش ولا القاريا وكلها حصون عامرة ..]^(١)

— واعتمد عمرو بن العاص أسلوب المباغتة لتحطيم تفوق العدو العددي ، فقد حرص ابن العاص على جمع كل المعلومات الممكنة عن العدو وعن طبيعة

(١) فتوح الشام ، الراقيدي ٢ - ٤٤ .

الأرض وعندما توفرت له هذه المعلومات قام بنصب كمينه في عين شمس واستطاع تحقيق المباغنة التي مكنته من تدمير قوات هجوم العدو بصورة تامة تقريباً ، وان تدمير هذا الهجوم هو الذي قضى على كل محاولة لهجوم الروم ضد قوات المسلمين بسبب ما تكبده الروم من الخسائر الفادحة في هجومهم الفاشل ..

- وكان عمرو بن العاص يهتم اهتماماً كبيراً بالاستطلاع حتى إذا عجزت وسائله عن تحقيق ما يريد به ذهب بنفسه لإجراء الاستطلاع الشخصي وقد تعرض أحياناً لخطر كبير تهدد حياته بسبب هذه المجازفة ، وان نجاته في إحدى محاولات الاستطلاع هي السبب الذي جعله يقسم في كثير من الأحيان فيقول : [لا ، والذي نجاني من القبط ..]^(١) وكان استطلاع نقاط ضعف العدو ، واستثمار نتائج هذا الاستطلاع لمباغنة العدو من العوامل الأساسية فيما أمكن له تحقيقه من نجاح ..

- لقد تم اقتحام أسوار « بابلون » وتحقيق المباغنة بفضل استطلاع الزبير ابن العوام ومعرفة نقاط الضعف واستثمارها .

- وأمكن اقتحام أسوار « الاسكندرية » بفضل الحرص على تحقيق المباغنة .

- وأمكن اقتحام « اطرابلس » بفضل استخدام المباغنة . وكذلك بالنسبة

للهجوم المباغت على سرت ..

- ان المهارة في استخدام مبدأ « المباغنة » من العوامل الحاسمة فيما حققه

العرب من انتصارات ، وكان عمرو بن العاص من القادة الذين عرفوا أهمية المباغنة وأتقنوا استخدامها .

٤ - الحفاظ على الهدف :

يضع الأمريكيون في استراتيجيتهم مبدأ الحفاظ على الهدف في طليعة مبادئ الحرب ، ويشمل الحفاظ على الهدف مفهومين أولهما الحفاظ على الهدف الذي من

(١) فتوح مصر والغرب . ابن الحكم ٥٩ - ٦٣ - ١١٣ .

أجله نشبت الحرب وذلك على أساس نظرية كلوزوتيز في أن الحرب استموار
للسياسة والديبلوماسية لكن بوسائل أخرى ، وثانيها الحفاظ على الهدف في
مسرح العمليات ..

- كان هدف العرب المسلمين من حروبهم نشر الدعوة الاسلامية . وقد
وضع الرسول الأعظم المبادئ التي نزل الاسلام بها في موضوع الحرب موضع
التنفيذ فكانت :

١ - الإسلام . ٢ - الجزية . ٣ - الحرب .

والتزم المسلمون بهذه المبادئ ..

- عندما وصلت قوات العرب المسلمين إلى مصر ، جرت اتصالات بين
عمرو بن العاص وبين المقوقس حاكم مصر ، وأرسلت الوفود من الطرفين لاجراء
حوار هدفه التوصل الى حل وسط يرضي العرب المسلمين ويقبل به الروم ، لكن
الوفود العربية أصرت على مواقفها والتزمت بمبادئها ، وكان جواب عبادة بن
الصامت للمقوقس عندما بذل محاولته الاخيرة لحل المفاوضات على التساهل قوله :
[.. لا ورب السماء ، ورب هذه الأرض ، ورب كل شيء ما لكم عندنا
خصلة غيرها .. فاختاروا لأنفسكم ..]

فما كان من المقوقس إلا أن تراجع أمام هذا التصميم فقال لمستشاريه ناصحاً :
[.. اطيعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم
بهم من طاقة ، وان لم تجيبوا اليهم طائمين لتجيبنهم الى ما هو اعظم من هذه
سكراً ...]^(١)

ويظهر تصميم عمرو بن العاص في الحفاظ على الهدف - أثناء العمليات القتالية -
من خلال اصراره على تحقيق الأهداف وإزالة المواقع واحتلال المدن الواقعة على
محور عملياته ، وعدم الانحراف الى أهداف تبادلية أو تحويل محور الجهد

.....
(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٥٩ - ٦٣ - ١١٣ .

الرئيسي بناء على المقاومات التي جابه بها العدو .. ويظهر هذا التصميم بشكله الواضح من خلال أعمال الحصار الطويلة في بابلون والاسكندرية بصورة خاصة وعدم الانتقال الى مراحل أخرى قبل إكمال المراحل السابقة وانجازها بصورة تامة .
- ان تصميم عمرو بن العاص في الحفاظ على الهدف ، والتزام القادة بأهداف حرب المسلمين وعناد المسلمين في قتالهم لتحقيق هدفهم من الحرب ، كانت من العوامل التي مهدت للنصر ..

٥ - وحدة القيادة :

- يضع جون فولر ضرورة وحدة القيادة في القتال واحداً من مبادئ الحرب ، كما تضع العقيدة السوفيتية هذا المبدأ من المبادئ الأساسية للحرب .^(١)
- كانت القوات العربية - في مسرح العمليات - تخضع لقيادة واحدة ، وكانت القوات الاحتياطية أو قوات الدعم تبقى تحت أمره قيادتها خلال الانتقال من مسرح عمليات الى مسرح آخر أو من جبهة الى أخرى ثم تضع نفسها تحت تصرف قائد مسرح العمليات أو الجبهة التي تلحق بها . وهكذا فعندما تقدم الزبير بن العوام على رأس قوات الدعم ووصل الى مصر ، وضع نفسه وقوته تحت تصرف عمرو بن العاص ، وكانت وحدة القيادة في عمليات قتال العرب المسلمين من العوامل الحاسمة في نجاح عملياتهم .. وإذا أجريت مقارنة من حيث أسلوب العمل القيادي بين قيادة القوات العربية في مصر وبين قيادة القوات المدافعة عن مصر نجد أن القيادة الأولى موحدة بينما نرى أن الثانية موزعة بين المقوقس حاكم

(١) جون فولر ، ولد عام ١٨٧٨ ، جنرال ومفكر عسكري ، بريطاني الجنسية ، اشترك في حرب البوير ١٨٩٩ ، اخص في الحرب العالمية الأولى باستخدام الدبابات ، ثم اصبح رئيساً لشعبة عمليات الدبابات . في عام ١٩٢٦ عين معاوناً لرئيس هيئة الأركان البريطانية . ترك الجيش عام ١٩٣٣ ، تفرغ للانتاج الفكري العسكري وكان معلقاً مرموقاً خلال الحرب العالمية الثانية . من أهم كتبه : الدبابات في الحرب العالمية و « التسليح والتاريخ » المذهب العسكري الاسرائيلي - هيثم الكيلاني ٤١٧ .

مصر وبين قيادة القوات البيزنطية في الاسكندرية ، وهي المرتبطة مباشرة بالقيادة العامة في القسطنطينية ، هذا علاوة على القيادات المحلية والقيادات المستقلة ، كقيادة بابليون ، وقيادة بليس وقيادة الفرما بالإضافة لقيادة الارطوبون الذي التحق بمصر مع قوته بعد فتح الشام ، وهزمه عمرو بن العاص في بليس وقتله .

– كانت جميع هذه القيادات تتمتع باستقلال في العمل وبحرية في التصرف بعيداً عن اشراف القيادة العامة ، وبما لا ريب فيه هو أن توزع السلطات القيادية قد ارتبط بتوزيع القوات المقاتلة أيضاً مما أصبح متناقضاً مع ضرورة العمل وفق مخطط عمليات موحد . . وكان لهذا التوزيع في القوى والامكانات دور هام في مساعدة العرب على خوض معارك منفصلة ، وتحطم قوات خصومهم على مراحل ، مما أسهم إلى حد بعيد في تحقيق النصر النهائي . .

– لقد كانت وحدة قيادة العرب المسلمين مقابل تعدد قيادات القوات المدافعة عن مصر من العوامل الأساسية والحاسمة في فتح مصر . .

٦ – كفاءة افراد القيادة العامة :

– اعتمد ستالين جوزيف ، رئيس مجلس السوفييت الأعلى في الحرب العالمية الثانية مبدأ كفاءة افراد القيادة العامة ، كعامل اساسي من عوامل النصر في الحرب وكواحد من مبادئها . .

وتأخذ كثير من الدول بهذا المبدأ بحيث لا تسلم قياداتها الاعلى اساس الكفاءة والامكانات .

– وفي تاريخ جيوش العالم ، تقرير لواقع دور القيادات العربية الاسلامية في الفتوح حيث نطالع :

[. . كان قادة هذه الجيوش الصغيرة ، على مستوى عال من الكفاءة ، وباندفاع من الايمان الجديد عرفوا كيف يقودونها الى النصر ، وكانت نواة المؤمنين التي شكلها محمد ﷺ ، احتياطاً ممتازاً لـ « حوادر » القيادة » ، ويعود

الفضل في اختيارها الى هذا القائد العظيم اذ انه هيا كل فرد منها للكان وللجال
الذي سوف يشغله ... [(١)]



- وضع الرسول القائد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أسس « مدرسة
الحرب » وعلم أتباعه فن الحرب وأسلوب قيادة الرجال فتخرج من هذه المدرسة
خلال فترة قصيرة من عمر الزمن نخبة قيادية دانت الدنيا لها .. وكان الرسول
القائد يضع في اختياره لقادته عامل الكفاءة والقدرة في المرتبة الأولى وأثبت
هؤلاء أنهم كانوا عند حسن ظن نبيهم بهم ..

وجاء الخلفاء من بعده فاتبعوا الأسلوب ذاته وقلدوه تقليداً ذكياً يتوافق مع
الواقع ومع متطلبات الفترة التي يعيشونها ومع التطورات المحتملة لمسيرة الأحداث.

- قال الخليفة عمر بن الخطاب عندما رأى عمرو بن العاص يدخل المسجد
وقد حضر من مصر الى المدينة فوصلها والخليفة عمر يخطف في الناس :

[هذا عمرو بن العاص قد اتاكم ، ما ينبغي لأبي عبد الله ان يمشي على
الارض الا اميراً ..] (٢)

- وأرسل الخليفة عمر قوات لدعم عمرو بن العاص بقيادة الزبير بن العوام
ومعه رسالة جاء فيها :

[.. اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل على كل الف منهم رجل مقام
الألف .. الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة
ابن مخلد ...] .

- لقد أبرزت معارك فتح مصر مجموعة من القادة ، كما أظهرت امكانات
هؤلاء القادة للعمل وفق مبادئهم ، وكان نجاح عمرو بن العاص في تركيز الجهد

(١) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة للمسكوية ، عدد ٦ و ٧ .

(٢) الاصابة ٥ - ٢ ، ابن الحكم ٢٤١ ، اليعقوبي ٢ - ١٩٧ .

(٣) تاريخ الاسلام وطلبقات المشاهير والاعلام ٢ - ٢٩ .

على محور العمليات الرئيسي وفي حشد القوات ، وفي تقسيم القطاعات بين القادة بشكل واضح بعد فتح بابلينون - من أجل اكمال عملية الفتح - مع تحديد الواجبات لكل منهم ضمن قطاعاتهم هي من بعض ما جعل عمرو بن العاص يحتل مكانته القيادية بجدارة .

- وكان إقدام الزبير بن العوام على إجراء استطلاع دقيق وشخصي ثم القيام باقتحام أسوار بابلينون وقيادته القوات بحزم وكفاءة حتى منطقة القتال هي ما أعطى الزبير دوراً هاماً في عمليات فتح مصر .

وكان نجاح عبادة بن الصامت في المفاوضات مع المقوقس ثم في فتح الاسكندرية مما جعله يحتل مكانة مرموقة في صفوف القادة الذين يعرفون ما يريدون ويصممون على تنفيذ ما يقررونه .

لقد اضطلع خارجة بن حذافة بواجب تحرير قرى الصعيد ، وعمل عبد الله ابن حذافة السهمي في تحرير عين شمس ، وعمير بن وهب الجهمي في تحرير القسم الشرقي من الدلتا ، وعقبة بن نافع الفهري في فتح زويلة ، وعتبة بن عامر في فتح بقية قرى الدلتا ، وعبد الله بن عمرو بن العاص في فتح الكريون ، ووردان في تدمير « خربة وردان » ، وكان لنجاح هؤلاء جميعاً وغيرهم برهان واضح وأكيد على ما ينفردون به من مزايا قيادية ، وما يتمتعون به من امكانات قتالية .

٧ - الهجوم :

- يحتل الهجوم المرتبة الثانية في سلم مبادئ الحرب التي يعتمدها الأمريكيون ، وتعتمد جميع القوات المسلحة في العالم كله مبدأ الهجوم ، كأول مبدأ من أجل تحقيق النصر في الحرب ، ولقد جاءت التطورات التقنية المتتابة في فن الحرب لحدمة هذا المبدأ .

- ان الهجوم هو الوسيلة الوحيدة لحسم الصراع المسلح في صالح الطرف الذي يقوم بهجوم ، وليس الدفاع سوى وسيلة مرحلية للانتقال بعدها إلى الهجوم . وكان القادة العرب يعتمدون أسلوب التعرض والقيام بالهجوم في جميع

أعمالهم القتالية ، ولعل العرب هم أول من مزج الدفاع بالهجوم في أعمال تنظيم الروابط والمسالح والثغور ، وان أعمال الصوائف والشواتي والهجمات المتكررة والدورية للدفاع عن الحدود هي أفضل شاهد على ذلك .

– وان استخدام العرب المسلمون للهجوم وسيلة في حروبهم ساعدهم على الاحتفاظ بالمبادأة بحيث لم يتخلوا عنها ولم يتركوها لخصومهم فكانوا يضيغون خصومهم أمام مواقف جديدة باستمرار ويرغمونهم على توزيع قواتهم فيخوضون المعركة في المكان والطريقة التي يريدون ..

– وطبق عمرو بن العاص مبدأ الهجوم في عملياته جميعاً ، واستخدمه بصورة خاصة في فتح الاسكندرية الثاني حيث ترك العدو يغادر الاسكندرية ويتقدم في اتجاه الجنوب ثم فرض عليه المعركة فدمر قواته خارج أسوار الاسكندرية وتحصيناتهما ثم حاصر المدينة ونظم هجوم بحري – بري واقتحم الأسوار والتحصينات وتم له تدمير مقاومات العدو وارغامه على الاستسلام ..

– ان اعتماد العرب للهجوم أسلوباً في حروبهم هو الذي مكنتهم من انجاز ما أنجزوه وتحقيق ما أرادوه من فتوحات خلال فترة قصيرة جداً من عمر الزمن ..

٨ – اجبار الخصم على بعثرة قواته :

وضع ليدل هارت^(١) مبدأ [اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطة التقرب غير المباشر] في طليعة مبادئ الحرب .

– كان المقوقس حاكم مصر ، وجهاز القيادة البيزنطية يتوقع دونما ريب قيام العرب بالهجوم على مصر بعد أن استقرت قواتهم في الشام . ولكن هذه القيادة لم تكن تتوقع اتجاه محور هجوم العرب المسلمين ، كما كانت تجهل حجم القوات

(١) ليدل - هارت - باسيل هنري، ولد عام ١٨٩٥ ، بريطاني الجنسية ، مؤلفواستراتيجي معروف ، تدرج في الرتب العسكرية حتى وصل الى ممارسة عمل مستشار وزير الحربية ، ثم أصبح مراسل عسكري لصحيفتي الديلي تلغراف والتيمس اللندنية ، له مؤلفات كثيرة ..

التي سيتم زجها على هذه الجبهة . ثم حلت فلول القوات التي هزمت أمام زحف العرب المسلمين ولتجأت إلى مصر ، حلت معها كثيراً من المعلومات عن قوة العرب وإيمانهم وقدرتهم القتالية مما أحبط ارادة القتال في مصر سواء على مستوى القيادة أو على مستوى القوات ..

– لجأت القيادة في مصر إلى توزيع قواتها وإلى دعم الحاميات المدافعة عن المدن والمواقع المحصنة واحتفظت بالقوة الرئيسية في الاسكندرية ، واتبع عمرو ابن العاص أسلوب تحطيم المقاومات الثانوية قبل الاصطدام بالقوة الرئيسية ويعتبر عمله هذا تطبيقاً لمبدأ اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطة التقرب غير المباشر ..

كما أن سلوك عمرو بن العاص محور غرب الدلتا للهجوم على الاسكندرية تطبيق ثان لهذه الاستراتيجية التي أثبتت أهميتها فيما تم تحقيقه من انتصارات.

٩ – الحشد ، ومرونة الحركة :

كانت المدينة المنورة في الجزيرة العربية هي المنطقة الأولى لحشد القوات المتوجهة نحو الشمال . وأصبحت الكوفة والبصرة قاعدتي الحشد لغزو فارس كما أصبحت دمشق قاعدة الحشد لتوجيه القوات نحو الشمال والغرب .

– وكانت قواعد الحشد هذه تبعد مسافة غير قصيرة عن مسارح العمليات المختلفة ، ونتيجة لذلك كانت حركة القوات من قواعد الحشد إلى مناطق العمليات تشكل عبئاً ثقيلاً يرهق القيادات والقوات على حد سواء . لكن ميزات القوات العربية – الاسلامية ومن أولها الصبر وقوة الارادة وخفة الحركة والمرونة في الانتقال قد ساعدت الجيوش العربية على حرق المراحل الزمنية والمكانية وتجاوز الصحارى والمفاوز للوصول الى أهدافها وهي على استعداد كامل لخوض المعركة .. وكانت خفة الذيل الاداري وقلة متطلبات المقاتلين من العوامل المساعدة على مرونة الحركة ..

- كان عمرو بن العاص من القادة الذين ينجزون حشد قواتهم بسرعة فوق مسرح العمليات . كما كان يعيد تنظيم قواته بسرعة بعد كل معركة من أجل زجها في الواجبات التالية . وكانت خفة الحركة والكفاءة العالية في حشد القوات ، سواء في التحرك ما بين مسارح العمليات المتباعدة أو حتى بين الجبهات المختلفة من الميزات التي انفردت بها القوات العربية ومن العوامل الحاسمة التي ساعدت على النصر ..

١٠ - المطاردة :

- رابع المبادئ الخمسة التي وضعها كلوزويتز في سلسلة مبادئ الحرب بينما وضع ماوتسي تونغ هذا المبدأ في المرتبة الثانية من مبادئ الحرب ..

كان عمرو بن العاص لا يترك معركة تنتهي دون أن يرسل مفارز الفرسان الخفيفة لمطاردة مفارز وأفراد العدو أثناء انسحابهم قبل أن يتمكنوا من تشكيل مقاومات جديدة أو الانضمام إلى حاميات ومواقع أخرى .

- طاردت مفارز العرب المسلمين فلول القوات المنسحبة مع انتهاء معركة بلبيس وتكررت مرة أخرى في معركة عين شمس ، وتمت مطاردة العدو بصورة قوية في فتح الاسكندرية الثاني ، وكانت المطاردة الحاسمة من العوامل الأساسية التي أحبطت إرادة القتال في صفوف القوة المدافعة عن مصر ..

- وكانت مطاردة فرسان العرب المسلمين لخصومهم ذات دلالات خاصة ، اضافة لدورها في عدم تمكين العدو من تشكيل مقاومات جديدة ، ذلك انها برهنت للعدو وأقنعته بجدية هؤلاء المقاتلين وتصميمهم على تنفيذ عملياتهم القتالية حتى تحقيق النصر النهائي .

١١ - التموين من مؤونة العدو نفسه :

يضع ماوتسي تونغ مبدأ التموين من مؤونة العدو نفسه ضمن المبادئ الأساسية لإحراز النصر في الحرب ..

- وكان لا بد لعمر بن العاص من الاعتماد في تموينه وامداده على ما تحصل عليه قوات العرب المسلمين خلال معاركها لاسيما وان قواعد التموين والامداد قد أصبحت بعيدة كل البعد عن مسرح العمليات في مصر .

- لكن عمرو بن العاص لم يتوقف عند حدود الاكتفاء بالتموين من مؤونة العدو نفسه بل اتفق مع المقوقس على قطع هذه الامدادات عن القوات البيزنطية، كما أنه طبق عملياً أسلوب الحصار و قطع الامدادات عن الحامية المدافعة عن الاسكندرية ، وبذلك نجح في احباط ارادة القتال عند العدو ، وارغامه في النهاية على قبول نتائج المعركة الحاسمة ..

كان نجاح عمرو بن العاص رائعاً في اجتذاب جماهير شعب مصر اليه وحلهم الوقوف الى جانبه في معركة الامداد والتموين وحجبها عن قوات بيزنطة ..

١٢ - الحرب النفسية :

أمر المقوقس النساء ان يقمن على سور « بابلون » مقبلات بوجوههن الى داخله، وأقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجوههم الى المسلمين ليرهبهم بذلك ، فأرسل اليه عمرو :

[... انا قد رأينا ما صنعت وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فقد لعينا هرقل ملككم فكان من امره ما كان ..] فقال المقوقس لأصحابه :

[.. صدق هؤلاء القوم ، اخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى ادخلوه القسطنطينية فنحن اولى بالاذعان ..]^(١)

تلك هي واحدة من صور الحرب النفسية ، حاول المقوقس إرهاب المسلمين، فجابه عمرو بن العاص بحرب أقسى ، حرب فيها الاقناع كل الاقناع ، مما أحبط خنطة المقوقس وانقلب السلاح النفسي ضد مستخدمه ..

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٠٨ .

– كان عمرو بن العاص من القادة الذين يستخدمون الحرب النفسية لإرهاب عدوه واحباط روح القتال لديه .. وكان يعتمد في حربه على العقسل والسيف صنوان لتحقيق هدف واحد هو تحقيق النصر الحاسم في نهاية المعركة .. وكان احتفاظه بوفد المقوقس خلال يومين لاطلاعه على أحوال المسلمين ضمن اطار خطة الحرب النفسية التي استخدمها عمرو بن العاص في فتح مصر ..

١٣ – التسليح :

[... كان المقاتلون المسلمون الاوائل في بداية الامر يفتقرون الى السلاح فكان عليهم ان يناضلوا نضالاً لينتزعوا السلاح من أيدي اعدائهم ، ولما لم يكن في شبه الجزيرة العربية الا صناعة بدائية تنتج غالباً اسنة الرماح والسهام فان اجود الاسلحة كان مصدرها الخارج]^(١) .

– لقد انتزع العرب المسلمون أسلحتهم من خصومهم ، وكانت كل معركة تزيد إلى رصيدهم مزيداً من الأسلحة في نوعها وكميتها حتى أصبح لدى المسلمين تسليحهم الجيد .

– وكان الفرسان من الأسلحة الأساسية في جيوش العرب المسلمين وكانوا يجيدون استخدامها [كانت العرب امهر مربي الخيول اطلاقاً وفرساناً مهرة خفافاً ..]^(٢)

– وكان السيف هو السلاح الأول في أيدي المقاتلين ، وقد أجاد العرب استخدامه على أفضل وجه [.. كانت العرب تطعن بالسيف كالرمح وتضرب به كالعمود ، وتطعن به كالسكين وتجعله سوطاً ومقرعة ، وتتخله جمالا في المأذ وسراجاً في الوحدة ، وجليماً في الخلاموضجياً للنائمور فيقاً للسائر]^(٣) .

– وعلاوة على الأسلحة الفردية فقد تطور تسليح جيوش العرب المسلمين ،

(١) ص (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية المدين ٦ و ٧ .

(٣) حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ابن هذيل ص ١٨٧ .

بحيث استخدموا المنجنيق في حصار الاسكندرية ، كما استخدموا بقية الأعتدة
الضرورية للهجوم على التحصينات واختراق المواقع المنيعة وعبور الأنهار ..

١٤ - الروح المنوية للمقاتلين :

- انطلق العرب المسلمون من جزيرتهم وفتحوا الشام والعراق ثم تابعوا
عملياتهم شرقاً في اتجاه فارس وغرباً في اتجاه مصر ، وكان تعداد جيش عمرو بن
العاص أربعة آلاف مقاتل ثم دعم بأربعة آلاف مقاتل ، وبقي تفوق العدو
ساحقاً في العدد وفي التسليح ، فكيف استطاع عمرو بن العاص فتح مصر
بهذه القوات ؟ ..

[كانت غلبة المسلمين تعود لايمانهم في قاندهم ونبههم وتعاليمه^(١) هذه
التعاليم قلبت رأساً على عقب تقاليد هؤلاء الرجال الفرديين ..]
وصكبت أيمان مارييلان يصف الاعراب :

[.. انهم حليف خطر وعدو رهيب ، كالصقور البزاة التي تنقض على
فريستها مثل البرق وسرعان ما تحملها وتغيب بها ..] ..

- ان العامل الأول في انتصار المسلمين يتمثل في إيمانهم العميق بتعاليم دينهم
وبواجبهم في حل رسالة الاسلام الى أرجاء الدنيا .. وكان هذا الإيمان يعوض كل
قصور في العدد والتسليح [... ومهما كان من شأن عدم الكفايات هذه فان
الايان بالعقيدة الجديدة دفعت جنود الاسلام كحد لا يقاوم لفرزوا المناطق التي
كان يسيطر عليها الفرس والبيزنطيون ...]^(٢)

- لقد تجاوز المقاتلون المسلمون وهم قلة - حدود الصحراء - وتحملوا قيظ
الحر وقر البرد وعانوا التعب والجهد ، وجابهوا الأخطار ، وتعرضوا للقتل ،
وقاتلوا ، وقتل منهم من قتل ، وانتقلوا من معركة الى معركة ومن اقتحام
خطر الى اقتحام ما هو أخطر ، وليس لهم من الزاد والتسليح سوى الإيمان

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية المحدثين ٦ و ٧ .

بقضيتهم واعتقادهم الثابت بتعاليم دينهم ورسالة نبيهم محمد بن عبد الله ﷺ .
- كان على قيادة قوات العرب المسلمين رجال مؤمنون ، أثبتوا كفاءتهم
القيادية . وطبقوا في حروبهم مبادئ الحرب الصحيحة منطلقين في ذلك من
عقيدتهم الدينية وتحليلهم الصحيح للمواقف التي يجابهونها ولكن المبادئ كل
المبادئ ، والمخططات كل المخططات تصبح مجرد كلمات جوفاء إذا لم يكن إيمان
المقاتلين من أجلها عميقاً لا يتزعزع .

- ان القوة المعنوية هي السلاح الذي انتصر به المسلمون ، وان مصادر هذه
القوة تكمن في تعاليم الدين الاسلامي :

١ - فالانضباط الطوعي للتسلسل القيادي هو من تعاليم الاسلام [أطيعوا
الله ورسوله وأولي الأمر منكم ..] .

٢ - ووحدرة السلاح وأخوته هي من تعاليم الاسلام [ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص]^(١)

٣ - والاستعداد للقتال هو أمر من الله تعالى [وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ..] ..

- كان إيمان المسلمين بهذه المبادئ ، هو مصدر قوتهم ، كانوا يعترفون بالله
ويشقون بنصره ، وكانوا يؤمنون بأن السلام تحت ظلال الرماح ، وان الجنة
تحت ظلال السيوف .. [ومن هذا الإيمان انطلقت ارادتهم للفتح ، فكان
لهم ما يريدون . - وأيدهم الله بنصره . -

١٥ - انشاء علاقات اجتماعية جديدة :

- لم تكن حروب العرب المسلمين هدفاً في حد ذاتها ، وإنما كانت وسيلة
لتحقيق غاية ، كانت حروباً هادفة ، عادلة ، نبيلة ..

.....

(١) سورة الصف الآية ٤ .

- كانت هادفة ، لأنها تريد نشر القيم والتعاليم الاسلامية واقامة عالم جديد يسوده المحبة ، والاخاء والحرية والسلام والخير .

- وكانت عادلة لأنها تريد تطوير العالم من خلال تحرير الانسان حتى يعيش حياته بعيداً عن الخوف والظلم ..

- وكانت نبيلة لأنها لم تستخدم وسائل غير مشروعة ثم لأنها كانت تلتزم الصدق في القول والعمل ..

[كانت الشعوب تستقبل بفرح جند الخلفاء بعد ان حملت جسيم الاعباء واضحت غير مكترثة ان لم تكن معادية للدولة التي تضطهدها ، وكانت الشعوب في عدد من المناطق قد وصلت الى مرحلة لم تتحمل معها حالة القهر ..]^(٢)
ولهذا استقبلت هذه الشعوب المهجوم العربي بالفرح ونظرت للجنود العرب على أنهم محررين .

[لقد فوجئت بيزنطة ، ولكن ذلك لا يفسر كل شيء ، لقد كانت تلك الجيوش القليلة العدد كافية لتلك الفتوحات ، فقد تقبلتها الشعوب المغلوبة لأن ثورة اجتماعية واقتصادية رافقت الفتح وراى فيها الشعوب خيراً لها ..]^(٣)
عندما احتل العرب المسلمون مصر ، كان أول ما فعله عمرو بن العاص اطلاق الحرية الدينية للاقباط ، واستقبل البطريق بنيامين بعد أن بقي هذا متغيباً زهاء ثلاث عشرة سنة وأعادته إلى كرسيه وأمر باستقباله عندما قدم الاسكندرية أحسن استقبال ..

وكان أيضاً أن خير عمرو بن العاص السكان فمن أسلم منهم صار له ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات ، ومن بقي على دينه فرضت عليه جزية صغيرة مقدارها ديناران على من بلغ الحلم منهم ، واستثنوا النساء والشيوخ والأطفال .

.....
(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية المدين ٦ و ٧ .

- ووضع عمرو بن العاص مصلحة المصريين نصب عينيه ولم يأل جهداً في اكتساب محبتهم فدانوا له بالطاعة وأحبوا ولايته ..

- وترك العرب الأرض للمصريين وأخذوا على عاتقهم حمايتهم ، فشعروا باستقرار وأمن كانوا قد افتقدوه منذ عهد بعيد ..^(١)

- وعمل العرب على فرض الأمن والنظام وأقاموا جهاز الادارة ووضعوا القضاة واهتموا بالأعمال الهندسية لتنظيم أعمال الري وإنشاء الجسور والسدود .

- لقد سمع عمرو بن العاص وصية الرسول الأعظم : استوصوا بالقبط خيراً ، فان لهم ذمة ورحماً ، فطبّقها نصاً وروحاً ، وبذل ما يوسع له لتحقيق الرفاه على لشعب مصر ..

- كان مقدار الخراج في عهد عمرو أُلْف ، وعندما تولى عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ولاية مصر بعد عمرو بن العاص جمع الخراج فكان أربعة آلاف ألف .. وعندما عاتب الخليفة عثمان عمرو بن العاص لتقصيره في هذا الأمر بقوله:

[.. ان اللقاح بمصر بعدك تروث البانها ..] .. اجابه عمرو بن العاص: [ذاك لأنكم اعجفتم اولادها ..]^(٢) بمعنى أنكم أرهقتم الشعب في مصر بمضاعفة الخراج وعدم التساهل بشأنه ..

- وهكذا لم يكن الفتح العربي الاسلامي لمصر أكثر من وسيلة لبناء المجتمع العربي الاسلامي ، وإنشاء علاقات جديدة بين الشعوب ..

(١) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٢٣٨ .

(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ٢١٧ .

قراءات

عمرو بن العاص

٤٧ ق. ٨ - ٨٤٣ = ٥٧٧ - ٦٦٤ م

[دماء العرب اربعة : معاوية بن ابي سفيان
وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد .
فاما معاوية فللحم والاثاة ، واما عمرو
فللمعضلات ، واما المغيرة فللمبادهة ، واما
زيد فللكبير والصغير]^(١)

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، ويكنى بأبي عبد الله ،
وأمه سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة ، اصابها رماح العرب فبيعت بمعاظ
ولشترها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان ثم صارت الى العاص
ابن وائل فأنجبت عمره .

— شهد غزوة أحد مع المشركين ثم أسلم مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة
وذلك في السنة الثامنة للهجرة ، ووثق به الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم
واسند اليه قيادة سرية لحرب قضاة ، وكان في هذه السرية رجال من اشراف
المهاجرين والانصار ، ثم دعمه بسرية قوتها مائتين وفيها ابو بكر وعمر ، وقال
عمرو بن العاص في ذلك :

[.. ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد احداً من
اصحابه في حربه منذ اسامت ..]

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٦ .

— كان الخليفة ابو بكر يقدر الرجال ، فأسند الى عمرو بن العاص قيادة واحد من الجيوش الاربعة التي وجهها لفتح الشام ، وظهرت كفاءته القيادية في مسيرة العمليات ، وفي فتح فلسطين بصورة خاصة .

— ثم تولى الخلافة عمر بن الخطاب ، وكان يقدر عمرو بن العاص فكان يقول اذا استضعف انسان في عقله : [اشهد ان خالك وخالك عمرو واحد ..] ويقصد بذلك ان الله خالق الاضداد .

— ولاء الخليفة قيادة العمليات لفتح مصر ، وبقي حتى عام ٢٧ هـ ، ثم عزله الخليفة عثمان وكان هذا سبب لانضمامه الى معاوية . ومن اقواله لمعاوية :

[.. انت الكريم يصلو اذا جاع واللين يصلو اذا شبع . فسد خصاصة الكريم واقبح اللين ..]
ومن اقواله المأثورة :

[.. ليمس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه يعرف خير الشرين ..]
[موت الف من العلية أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة ..]

— كان له دور كبير في التحكيم ، وفي اقرار معاوية بن ابي سفيان وخلع الخليفة علي بن ابي طالب وما اعقب ذلك من انشقاق في جبهة الخليفة علي وظهور الخوارج ..

تولى بعد ذلك ولاية مصر عام ٤١ هـ ولم يلبث ان توفي بعد عامين ونيف ..

— كان عمرو بن العاص ، يقرض الشعر ومنه :

ولم ينه قلباً غادياً حيث يما	اذا المرء لم يترك طعاماً يحبه
اذا ذكرت امثالها تملأ القما	قضى وطراً منه وغادر سبته

ومن اقواله لمعاوية :

به منك دنيا فانظرن كيف تصنع	معاوي لا اعطيك ديني ولم ائل
اخذت بها شيخاً يضرب وينفعا	فان تعطني مصرأ فاربح بصفقة

وقال احدم عنه :

[... صحبت عمرو بن العاص ، فما رأيت رجلاً ابين قرآناً ولا اكرم خلقاً ولا اشبه سره بعلائية منه ،]^(١)

—*—

الزبير بن العوام

٣٩ ق. ٥ = ٥٨٣ - ٦٥٦ م

[اشجع الناس - ابن الزبير - يفضب كالنمر
ويثب وثوب الأسد]^(٢)

عمرو بن العاص في حديثه مع الخليفة ابو بكر

- الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسدي
ويكنى ابا عبد الله وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمه رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

- نشأ الزبير نشأة قاسية ، فقد ارادت له امه ان ينشأ صلباً فكانت تضربه
ضرباً مبرحاً حتى عاتبها نوفل بقوله : ما هكذا يضرب الولد ، انك لتضربينه
ضرب مبغضة ، فارتجزت تقول :

من قال اني ابغضه فقد كذب وانما اضربه لكي يلب
ويهزم بالجيش ويأتي بالسلب ولا يكن لما له خبأ مخب
ياكل ما في البيت من تمر وحب

وكان الزبير عند حسن ظن أمه به ..

أسلم وله من العمر ست عشرة سنة فكان من اوائل المسلمين ، وقد اسلم على

(١) طبقات ابن سعد ٢ - ٤٩٣ والاصابة ٥ - ٢ وأسد الغابة ٤ / ١١٥ - ١١٦ ،
والاستيعاب ٣ / ١١٤ ، ولطالمة المزيدي في قادة فتح الشام ومصر اللواء الركن محمود شيت خطاب .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٥ - ٣٦٢ .

أيدي ابو بكر ، وبعد رابع المسلمين او خامسهم من الرجال الاحرار .
- هاجر الى الحبشة وعاد منها الى مكة ، وآخى الرسول الاعظم بينه وبين
عبد الله بن مسعود وعاد فهاجر الى المدينة عندما هاجر المسلمون اليها وآخى
صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش عندما آخى بين المهاجرين
والأنصار ..

- شهد مع الرسول القائد حروبه جميعاً ، واطهر شجاعة نادرة في الدفاع
عن الرسول الاعظم وكان على ميسرته عند فتح مكة .
- وقف بصلافة الى جانب الخليفة ابا بكر الصديق عندما ارتد المرتدون ،
وكان من هيئة الشورى وبقي في هيئة شورى الخلفاء من بعده عمر وعثمان .
- شهد معركة اليرموك ، وقاد قوات الدعم لفتح مصر ، وفتح حصن
بابلليون ورفض الولاية عندما عرضت عليه ..

اشترك في فتنة الجمل ، وشعر بخطورة عقابيل هذه الفتنة في تمزق المسلمين
فأراد الانسحاب ، فتمعبه عمرو بن جرموز التميمي قطعنه من ظهره فقتله ،
ووقفت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير ترثيه فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة^(١) يوم اللقاء وكان غير معرد^(٢)
يا عمرو لو نيهته لوجدته لا طائشاً رعى الجنان ولا اليد
شلت يمينك ان قتلت مسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد ..
ان الزبير لدو بلاد صادق سمح سجيته ككريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يشنه عنها طرادك يا ابن فقح^(٣) القرقد
فاذهب فما ظفرت يداك بمثله فيما مضى ممن يروح ويفتدي

كما رثاه حسان بن ثابت بقصيدة جاء فيها :

هو الفارس المشهور والبطل الذي يصلو اذا ما كان يوم محجل

(١) شديد البأس . (٢) معرد: يفر من الحرب . (٣) الفقح : الفطر ، كناية عن الضعف .

عبد الله بن حذافة السهمي^(١)

[... لا ترى اني بكيت جزعاً مما تريد ان تصنع بي ، ولكني بكيت حيث ليس لي الا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله ... كنت احب ان يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة في ، ثم تسلط علي فتفعل بي هذا ...]

قالها عبد الله بن حذافة عندما ألقى ملك الروم امامه احد الاسرى في قدر ماء يغلي يهدف ارهابه . وشهد عبد الله الاسير وعظامة تلوح باناء المغلي فبكى وقال ما قاله لملك الروم .

عبد الله بن حذافة بن قيس بن سعد السهمي القرشي وأمه تميمية بنت حراثان من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة .. وهو من اوائل المسلمين ، هاجر الى الحبشة ، وكلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل رسالته الى ملك كسرى يدعو فيها بدعاية الاسلام . كما كلفه الرسول بقيادة سرية في احدي الغزوات ..

— كان مع القوات التي توجهت لفتح الشام ، وأسره الروم في غزوة من غزواتهم القيسارية وتعرض للتعذيب والاضطهاد فما وهن ولا تحاذل ولا ضعف حتى طلب اليه ملك الروم تقبيل رأسه مقابل اطلاق سراحه وثمانين من أسرى المسلمين ففعل . وكان المسلمون يداعبونه بعد ذلك فيقولون له :

[... قبلت رأس علج . فيحجبيهم : اطلق الله بتلك القبلة ثمانين مسلماً ..]

— اشتهر عبد الله بالدعابة حتى ان الرسول الاعظم ذاته لم يسلم من دعابته حيث قطع له في احدي الغزوات رباط راحلته حتى يضحك الرسول ويدخل البهجة الى قلبه .. كما اشتهر عبد الله بالكرم والذكاء والغيرة والشهامة ..

(١) الاصابة ٤ - ٥٥ . اسد الغابة ٣ - ١٤٢ . طبقات ابن سعد ٤ - ١٨٩ . سيرة ابن هشام ١ - ٢٥١ . الاستيعاب ٣ - ٨٨٨ . لمطالمة الزيد في « قادة فتح الشام ومصر » اللواء الركن محمود شيت خطاب .

– اسند اليه عمرو بن العاص قيادة مجموعة قتالية لفتح عين شمس ففتحها
وصالح اهله واقام بها فأحسن ادارتها وتنظيمها حتى احبه الناس ..
توفي في مصر ، ودفن بمقبرتها في خلافة عثمان بن عفان ..



خارجة بن حذافة العدوي^(١)

؟ - ٥٤٠ هـ = ؟ - ٦٦٠ م

[.. أردت عمرو وأراد الله خارجة ..]

– عمرو بن بكر –

هو خارجة بن حذافة بن غانم العدوي – القرشي ، وأمه فاطمة بنت عمرو
ابن بجرة المدوية – صحابي – ظهر دوره القيادي عندما وجهه الخليفة عمر بن
الخطاب مع الزبير بن العوام لدعم عمرو بن العاص في فتح مصر ، وكان واحداً من
الاربعة الذين عدل الخليفة كل واحد منهم بألف مقاتل ..

قاد خارجة مجموعة قتالية قوتها خمسمائة مقاتل بمهمة نصب الكمين في ام دنين
– الازبكية حالياً – وكان لنجاح هذه القوة في تنفيذ واجبه دور حاسم في
احباط ارادة القتال لدى الروم وسقوط بابلين ..

– تولى خارجة قيادة الحامية المدافعة عن بابلين ومصر عندما توجه عمرو
ابن العاص شهالاً لفتح الاسكندرية .

– وتولى قيادة مجموعة قتالية بمهمة فتح الفيوم والاشمونين واخميم والبشر
ودات وقرى الصعيد ، ووصلت هذه المجموعة حتى اقصى الصعيد « في
حدود طيبة » ..

– عندما استقر الامر للمسلمين في مصر ، استوطن خارجة فيها ، وتولى
القضاء والشرطة وبقي فيها حتى نفذت مؤامرة ١٧ رمضان حيث تعهد ثلاثة

(١) اسد الغابة ٧١٠-٢ . الاصابة ٨٤-٢ . طبقات ابن سعد ٤-١٨٨ . الاستيعاب ٢-٤١٨ .

من الخوارج يقتل الخليفة علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص . وتصادف ان شعر عمرو بن العاص بوعكة اعاقته عن الخروج الى صلاة الفجر ، فكلف خارجة بالصلاة في المسلمين ، وعندما وقف خارجة للصلاة باغته الخارجي بطعنة من الخلف كان فيها مقتله ، وعندما ألقى القبض على القاتل واقتيد الى عمرو بن العاص وعرف انه اخطأ في اصابة هدفه قال : [.. اردت عمرواً واراد الله خارجة ..] واما معاوية فكانت طعنته غير قاتلة فشفي منها .

وذهب الخليفة علي بن ابي طالب ضحية مؤامرة ١٧ رمضان للسنة ٤٠ هـ .



عمير بن وهب الجمحي

٥٥٥ - ٥٢٤ - ٥٥٥ - ٦٤٤ م

[رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس مهمم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرَوَا رأيكُم ..]^(١)

(حديث عمير الى المشركين قبل وقعة بدر ، وقد قام بحده باستطلاع امور المسلمين وعاد فوصفهم لهم)

عمير بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي - القرشي ، يكنى ابا امية ، وأمه سخيلة بنت هاشم بن سعيد بن سهم ..

(١) الاصابة ٥ - ٣٦ . الاستيعاب ٣ - ١٢٢١ . سيرة ابن هشام ٢ - ٢٦١ . اسد الغابة ٤ - ١٤٨ . طبقات ابن سعد ٤ - ١٩٩ . المطالعة المزيد في قادة فتح الشام ومصر - اللواء الركن محمود شيت خطاب .
- البلايا جمع بلية : الناقعة . - النواضح : الابل ، لسقاية الماء .
- الناقع : الثابت ، الأكيد .

— كان سيد قومه في الجاهلية ، وكان من ابطال قريش وشيطاناً من شياطينها ، ناصب المسلمين العداة وقام بقيادة حملة الاضطهاد ضدّهم ، وكلف باستطلاع امور المسلمين قبل وقعة بدر فقام بتنفيذ المهمة وحده وعاد الى قومه فوصف المسلمين ونصحهم بتجنب قتال المسلمين وقدر قوتهم بدقة ، وعندما وقعت المعركة قاتل بضراوة واصيب بجراح خطيرة ، ثم عاد الى مكة وتآمر مع صفوان بن امية على قتل الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، وعندما ذهب لتنفيذ مؤامرتة استقبله الرسول واعلم بما اعتزم تنفيذه واظهر له عجزه عن ذلك فاسلم وصدق اسلامه واستأذن الرسول بالعودة الى قومه داعياً للاسلام فأذن له ، وعاد فكان شديد الوطأة على المشركين واسلم على يديه ناس كثير .. وهاجر بعد ذلك الى المدينة وقاتل مع المسلمين في أحد وما بعدها من المارك والغزوات ، كما اشترك في حروب الردة ، وكان واحداً من القادة الاربعة الذين اعتمدتم الخليفة عمر بقيادة الزبير بن العوام لدعم المسلمين في مصر .. وكان لشجاعته دور كبير في انتصار المسلمين سواء في معركتي بابلين والاسكندرية في قيادة عمرو بن العاص او عندما قاد مجموعة قتالية ففتح تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة ونبام وبوصير ..

مات عمير بعد فتح مصر ، وفي صدر خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .



عقبة بن عامر الجهني^(١)

... - ٥٥٨ - ٥٥٠ - ٦٧٧ م

[.. وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ألا إن القوة الرمي ...]

ألا إن القوة الرمي ... ألا إن القوة الرمي ...]

حديث - مما رواه عقبة بن عامر ..

صحابي مشهور ، واسمه عقبة بن عامر بن عيس الجهني من قضاة من مالئك

ابن حبير ...

شهد عقبة مع الرسول أكثر غزواته .. وقاتل مع المسلمين في فتح الشام وكان
رسولهم الى الخليفة عمر يبشره بالفتح . ثم اشترك مع القوة المقاتلة لفتح مصر .
قاد مجموعة قتالية مهمة فتح منطقة الدلتا . ونجح في تنفيذ واجبه .

- عينه معاوية لقيادة القوة البحرية المصرية المكلفة بغزو البحر سنة ٤٨ هـ .
كان فقيهاً - فصيح اللسان - روى مجموعة من الأحاديث - وعرف بشدة
البأس والعناد في القتال - .

—★—

عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي^(٢)

٣٨ ق. ٥ - ٥٣٤ - ٥٨٦ - ٦٥٤ م

[... أنا من النقباء الذين يابعدوا رسول الله صلى

الله عليه وسلم ليلة العقبة ...]

- عبادة بن الصامت -

- من اوائل الأنصار - ومن النقباء الاثني عشر - شهد مع الرسول الأعظم
غزواته ومواقفه كلها - كان صلباً في إيمانه - فتخلى عن حلفائه بنو قميحاق

(١) الاستيعاب ١٧٣/٣ . الاصابة ٢٥٠/٤ - ٥١ . اسد الغابة ٤١٧/٣ . طبقات ابن
سعد ٤٤٣/٤ - ٤٤٤ و ٤٩٨/٧ .

(٢) الاستيعاب ٨٢٥/١ . الاصابة ٩٢/١ . واسد الغابة ١٥٨/١ . وطبقات ابن سعد
٢٢٠ - ٢٩٧/١ .

عندما حاربوا الرسول وتولى بنفسه إخراجهم من المدينة .

وجهه الخليفة عمر إلى الشام بهدف نشر الدعوة الإسلامية وتعليم القرآن والفقه وحدث خلاف بينه وبين معاوية فأرسل الخليفة عمر امرأ إلى معاوية بعدم التعرض لعبادة أو مجابته . ثم خرج إلى مصر مع قوة عمرو بن العاص - وتولى المفاوضات مع المقوقس وكان لعناده وصلابته وقوة حجته دور كبير في احباط ارادة القتال عند المقوقس . وتولى عبادة مهمة فتح الاسكندرية بعد ان امتنعت على المسلمين فنجح في تنفيذ مهمته . كما اشترك بعد ذلك مع معاوية بن ابي سفيان بفتح جزيرة قبرص .

- توفي في الرملة وقيل ببيت المقدس - .



من أدب الحرب

مقتل الارطوبون^(١)

بعد انتصار عمرو بن العاص على الارطوبون في موقعة اجنادين. انضم الارطوبون الى ايلياء ثم لحق بمصر عند مقدم الخليفة عمر الى الجابية ولحق به من احب من ابي الصلح ثم لحق عند صلح اهل مصر وغلبهم بالروم في البحر وبقي بعد ذلك فكان يكون على صوائف الروم والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فبختلف هو ورجل من قيس يقال له ضريس . فقطع يد القيسي وقتله القيسي فقال . -

فان يكن ارطوبون الروم افسدها	فان فيها بحمد الله منتفعا
بنانتان وجرموز اقيم به	صدر القنائة اذا ما انسوا فزعا
وان يكن ارطوبون الروم قطعها	فقد تركت بها اوصاله قطعها

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٦١٢ .

وقال زياد بن حنظلة في فتح القدس : -

تذكرت حرب الروم لما تطاولت وإذا نحن في عام كثير نزاله
وإذا نحن في أرض الحجاز وبيننا مسيرة شهر بينهن بلائله
وإذا رطبون الروم يحمي بلاده يحاوله قوم هناك يساجله
فلما رأى الفاروق أزمان فتحها سما بجنود الله كيما يصاوله
فلما أحسوه وخافوا صواله أتوه وقالوا أنت ممن نواصله
وألقت إليه الشام أفلاذ بطنها وعيشاً خصيباً ما تعد مآكله
أباح لنا ما بين شرق ومغرب موارد اعقاب بنتها قرامله
وكم مشغل لم يضطلع باحتماله تحمل عبناً حين شالت شوائله



الفصل الثاني

الفصل الأول

أفريقية الشمالية عبر التاريخ

- ١ - فينيقيا تشيد قرطاج في أفريقية الشمالية .
- ٢ - قرطاج دولة عربية في أفريقية .
- ٣ - أفريقية الشمالية تحت حكم الرومان .
- ٤ - القانдал وحكم أفريقية .
- ٥ - حكم بيزنطة في أفريقية .
- ٦ - المعطيات البشرية .
- ٧ - المعطيات الجغرافية .
- ٨ - أفريقية عشية الفتح الإسلامي .
 - أ - الوضع السياسي .
 - ب - الوضع الديني .
 - ج - الوضع العسكري .

افريقية الشمالية عبر التاريخ

التاريخ القديم لافريقيا الشمالية مجهول في معظمه سوى بعض الشواهد على وجود اتصال وثيق بين شعوب القارة الافريقية وشعوب شمال البحر الابيض المتوسط وان اقتراب ساحل افريقيا الشمالية من شاطئ جنوب أوروبا ، وبصورة خاصة بين الاندلس والمغرب وبين تونس وايطاليا ، هذا الاقتراب قد ساعد على اقامة جسور بحرية بين القارتين ، فكان البحر الابيض المتوسط بين القارتين جسر اتصال اكثر مما هو حاجز انفصال ..

— ان التنافس ومناخ السباق للسيطرة على القارة الافريقية يمتد في جذوره على ما يظهر حتى اعماق التاريخ ، وان ما يشهده عالمنا المعاصر من صراعات بين الدول العظمى قريب الشبه في معالجه بما شهده التاريخ القديم بين فينيقيا وقرطاجة وبين مقدونيا ثم بين مقدونيا وروما ثم بين روما وفارس ، حيث كان الصراع بين هذه الاقطاب الثنائية يلقي ظلاله على شعوب منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط كلها .

— وكان للصراع بين دول العالم القديم دور كبير في اغناء التراث الحضاري وانضاج التفاعلات الاجتماعية والعلمية . كما كان لهذا الصراع دور هام ايضاً في نقل منجزات العالم القديم الى الاجيال اللاحقة ، وان اكثر ما وصلنا من المعلومات وضوحاً عن شمال افريقية واكثرها وثوقاً هي تلك التي حملها البنا تاريخ حروب الشعوب القديمة وامبراطورياتها المتنازعة فوق رمال افريقية الشمالية .

١ — فينيقيا .. تشيد قرطاجة في افريقية الشمالية :

— انطلقت من قلب الجزيرة العربية موجة من موجات الهجرات المتتالية

وذلك في سنة ٢٥٠٠ ق.م ، وانقسمت هذه الموجة الى فرعين استوطن اولهما في حوض الفرات وسهول سوريا الداخلية واقاموا مملكة عرفت باسم «العموريين» كما استوطن الفرع الآخر على امتداد سواحل سوريا الطبيعية وعرفوا باسم «الكنعانيين» الذين اطلق عليهم اليونانيون اسم «فينيقيا» - و- «الفينيقيون» نسبة الى اللون الأحمر الأرجواني الذي كان الفينيقيون يستخرجون لونه من المحارات البحرية ويصبنون به ثيابهم .

اقام الفينيقيون مدنهم على امتداد الساحل ما بين كيليكيا شمالاً وعكا جنوباً ونظموا ممالكهم ، فكانت كل مدينة وما يحيط بها مملكة مستقلة ثم تطورت هذه الممالك فضمت القصور والمعابد والقلاع ، وحفلت اسواق المدن بمختلف البضائع ، كما تطورت الزراعة وتنوعت محاصيلها ووجد الفينيقيون انفسهم في مواجهة التحديات الآشورية والبابلية والمصرية فعملوا على تطوير اسلحتهم واستخدموا الاسلحة البرونزية والمركبات القتالية ، والعربات التي تجرها الخيول .. لكن اهتمام الفينيقيين بالتجارة والزراعة جعلهم دون جوارهم في قدرتهم القتالية فخضوا للمصريين والآشوريين والبابليين ولكن الخطر الاكبر الذي جابههم تمثل بالبرانيين الذين باغتوا الفينيقيين واحتلوا المناطق الجبلية واحرقوا بوحشية المدن وعملوا على اباداة السكان الأصليين وذلك في القرن الثاني عشر ١٢ ق.م. ثم وفدت من منطقة بحر ايجة موجة من الشعوب البحرية المحاربة ، عرفوا باسم شعوب البحر ، أو الفيليسي ، واستوطن هؤلاء بين يافا وغزة وشيدرا عسقلان واشدود واصطدموا بالبرانيين ودارت بين الطرفين سلسلة من المارك انتهت بهزيمتهم ، ونظراً لقلّة اعداد الفيلستيين فقد اندمجوا بالفينيقيين ، وبقي السهل الساحلي يحمل اسمهم « فلسطين » وكان من الممالك التي اقامها الفينيقيون في الداخل « فلسطين » مملكة ييوس « القدس » ومملكة بيت شان « بيسان » وعكو « عكا » ومجدو « تل المتسلم » وحبرون « الخليل » ومؤاب وعمون في شرقي الأردن ..

اما الممالك الساحلية فكانت تزيد على ٢٥ مملكة فينيقية اشهرها :
اوغاريت « وتعني حقل في موقع رأس شمرا حالياً » .
جبيل « جبيل » شمال بيروت ٤٥ كم . صيدا « صيدون » . و « صور »
و« تعني » الصخر » . وقرطاج « قريباً من مدينة تونس » ..

٢ - قرطاج دولة عربية في افريقيا :

- يقسم المؤرخون العصر الفينيقي الى عهدين :
- عهد صيدا ٢٥٠٠ - ١٢٠٩ ق.م . وانتهى نتيجة لانتصار العبرانيين
على صيدا .

- عهد صور ١٢٠٩ - ٣٣١ ق.م . وانتهى بتدمير قرطاج وانتصار الرومان .
ومن منجزات العهد الاول بناء مدن بزيوم ، وزوجتيان في طرابلس
الغرب وتونس .

ومن منجزات العهد الثاني بناء مدينة قرطاج عام ٨٤٠ ق.م .

افادت قرطاج من موقعها الجغرافي الهام فطورت تجارتها ودعمت اسطولها
وزادت امكاناتها حتى اصبح سكان مدينة قرطاج مليون نسمة ، واقامت
قرطاج قواعد بحرية لتبادل التجارة سواء في اسبانيا او في المغرب . وقد جاء
في كتاب قصة الكفاح بين روما وقرطاج للدكتور توفيق الطويل ص ٢٤ - ٢٥
وصفاً لحياة قرطاج في عهدهما الزاهر حيث نقرأ :

[لو قدر لك التجول في طرقات قرطاج لرأيت أخطأً عجيبة من
مصريين ومولدانيين ويونانيين وقرطاجيين وبرابرة واسبان ، على أن في وسطك
تمييز القرطاجي من بين هؤلاء جميعاً درنا بهد او مشقة فهو يسألك بشعره
القصير ولحيته الطويلة ووجهه الناطق بالطيبة وهو مقبل عليك تحيط به
رواحه العطرية ، وتتمشك الجواهر الثمينة التي يتحلى بها ، وتعرفه بغطاء
رأسه الذي يشبه الطربوش عندنا وحدانه الذي يشبه الصندل ، فاذا تركت

المارة وتجولت بنظرك بينة ويسرة اخملتك كثرة المتاجر والخوانيت الشبيهة بالصوامع وهي طابحة بالبضائع المختلفة وقد جلس اصحابها متربعين يساومون عملاهم في تباطؤ لكن دون ملل أو يأس .. [.

وتحدث الفيلسوف ارسطاطاليس عن نظام الحكم في قرطاجة ، فقال :

[.. ان لقرطاجنة دستوراً انفردت بكماله عن سائر الدول ولها شرائع غاية في الحسن ، ومن الدليل على ما وعته من الحكمة انها مع ما للأمة عندها من السلطان لم نجدها قط بدلت شكل الحكم ولا نضبت فيها فتنة ... وان القضاء عند القرطاجيين أفضل منه عند اليونانيين لأنهم لا يرضون له أغفال الناس بل يولثونه أحسنهم طريقة وأحدهم سيرة ...]^(١) .

في ذلك العهد ، وفي الوقت الذي كانت قرطاجة تبني لنفسها ولمن حولها حضارة وتطوراً كانت هناك دولة تستجمع اسباب قوتها للظهور واحتلال مكائتها كدولة قوية ، وكانت هذه الدولة هي روما ، وأصبح وقوع الصدام بين روما - قرطاجة امراً حتمياً حاقظه الهيمنة على اسباب القوة والسيطرة على المجال الحيوي ..

- وقعت بين روما - قرطاجة مجموعة من الحروب تقسم الى ثلاثة مراحل ..
وقد عرفت هذه الحروب باسم الحروب البونيقية^(٢) ..

- الحرب البونيقية الأولى ومدتها ٢٣ سنة (٢٦٤ - ٢٤١ ق.م) انتهت بانتصار روما وحصلت فيها على جزيرة صقلية ..

- الحرب البونيقية الثانية (٢١٨ - ٢٠١ ق.م) وانتهت بانتصار قرطاجة بقيادة هانيبال التي نجح في تدمير جيش روما في معركة « كاني »
٢١٦ ق.م

(١) تاريخ المغرب ١ / ٤٣ - ٤٤ .

(٢) الحرب البونيقية نسبة الى بونيك ، وهي التسمية التي كان يطلقها امالي روما على المواطن القرطاجي .

- الحرب البونيقية الثالثة والأخيرة (١٤٩ - ١٤٦ ق. م) وانتهت بانتصار روما واحتلال قرطاج (١).

- وهكذا سقطت قرطاج ، ولكنها أعطت طوال وجودها علماً وحضارة حفظهما لها التاريخ ، وكانت حلقة اتصال بين شعوب العالم القديم فقاربت بينهم ، وكان هذا الاتصال خبر وسائل تفاعل الحضارة عبر التاريخ ..

- افادت الشعوب الافريقية بقبائلها المختلفة من وجود قرطاج فاقبست عنها اساليب التجارة وتعرفت من خلال اسفار القرطاجيين على شعوب العالم الاخرى ، كما افادت من تنظيمها العسكري واساليبها القتالية خبرات جيدة .
- واخيراً افاد السكان الافريقيون من المراكز التجارية والمدن التي اقامها القرطاجيون مثل تينجيس « طنجة » ولكوس « قرب العرائش » وروسادير « ملية » فكانت هذه المراكز والمدن الخطوة الاولى في انتقال السكان من حياة البداوة الى حياة الحضارة والاستيطان في المدن ..

- لقد كان في قضاء روما على قرطاج تحويل لمركز السيطرة على العالم القديم وانتقال بهذا المركز من شمال افريقيا الى جنوب اوروبا . وكان لهذا التحول آثاره السيئة على السكان الذين لم يتقبلوا بسهولة احتلال الرومان لهم .. لاسيما وان علاقاتهم مع قرطاج كانت قائمة على اسس من الاحترام المتبادل والثقة التامة والتفاهم المطلق .

٣ - افريقية الشمالية تحت حكم الرومان :

- أسقط الرومان قرطاج وبدأت قواتهم تتابع توسعها التدريجي في افريقية الشمالية ، ولم تكن هذه العملية سهلة فقد نظم الافريقيون مقاومات مستمرة وفي النهاية نجح الروم بالسيطرة على شمال افريقية ، لكن حركات التمرد

.....
(١) تاريخ فن الحرب ، الجنرال ستروكوف ١ / ٦٨ - ٧٠ .

والثورات لم تتوقف وكان من اكبر هذه الثورات ثورة تافكواس عام ١٧ م ،
 وحركة التمرد الكبرى التي اخضعها « بومي » عام ٨٠ م . وكان من نتيجة هذه
 الثورات والاضطرابات اقدام الرومان على تطبيق الاسلوب الدفاعي الذي طبقوه
 على امتداد حدودهم في اوروبا وآسيا ، فأقاموا « الليات - Limes » لحماية
 حدودهم . ولم يكن « الليم » أو الحد مجرد سور بسيط مزدوج مع طريق
 للتفتيش بل كان منطقة دفاع منظمة في العمق ومجهزة بقواعد تخزين تخدّمها
 شبكة طرق استراتيجيّة ومواصلات نهرية مهيأة للمواصلات السريعة ، كانت
 الدفاعات في افريقية اكثر تجزئة وتقطعاً وكانت تراقب منابع المياه وطرق
 القوافل وكذلك حفرت الآبار لأن الري يتيح استقرار الحضار القيمين ويسهل
 تعاونهم مع الحاميات ضد تسلل البدو ، وتقاتل المنشآت من جنوب طرابلس
 الغرب حتى « تنغيتان او تنغيز - Tingitane » في مراكش متغلة الهضاب
 المرتفعة ، وكان الموقع العسكري للقطاع المركزي في مدينة لامبيز^(١) العسكرية
 مقر الليجيون الثالثة - اوغستار ، وقد خططت تخطيط نخم طوله اربعمائة
 وخمسون متراً وبنيت بقوة وأبهة وهي تنظم حول مقر القيادة وحرم للعقبان
 المقدس حيث يحتفظ بالرايات ومالية افراد الليجيونات وأبنية الادارة والمنازل
 والمساكن المخصصة لمختلف الرتب والمصالح ودار الصناعة مجموعة واسعة غنية
 جديرة برحابة الامبراطورية . ان ليجيون موقع لامبيز هي فرقة خط الدفاع
 ولكنها خارج هذين الاحتمالين ، كان قيامها بالمسير التدريبي والتارين اليومية
 وبالمناورات والاعمال تشغل وقتها كله ، وقد أنشأ افراد الليجيونات طرقات
 شاهد الفرنسيون آثارها في القرن التاسع في اماكن لم يكونوا ليتوقعونها أبداً
 وكذلك أنشأوا مدناً كمدينة « تيمغاد » Timgad عام ١٠٠ م شمال اوراس
 والتي لازالت آثارها محفوظة بشكل مدّش ، وكانت أروقة لامبيز تصلح
 كملجأ تجوي فيه التارين اذا ما أصبح الطقس سيئاً ، اما في بلاد الشمال الباردة

(١) لامبيز Lampese ، مدينة صغيرة شمال الاوراس الجزائرية ، فيها آثار رومانية .

فقد كان في فصل الشتاء وفي بعض المناطق يلاحظ وجود ممسكات صيفية أكثر بساطة ، وفيما بين هذه تعرض الاشارات النارية المتقدمة على أعمدة خشبية منعدكة حسب رموز معينة تنقل سريعاً الأوامر وإشارات الإنذار والخدمة بين هذه المنشآت ، وقد وجد بين خرائب لامبيز ستة آلاف كلمة من الرصاص وثلاثة آلاف كرة حجرية تركت دون استعمال ، مما يؤكد كارثة الامبراطورية التي وقعت ضحية الانحلال تحت هجمات البرابرة (١) ..

احتل الرومان في البداية قرطاجنة ثم انتقلوا الى سواحل الجزائر ، المغرب الاوسط ، واخيراً وفي عام ٤٢ م فقط استطاعوا فرض سيطرتهم على المغرب الاقصى «مراكش» ، وكانوا يطلقون على هذه السواحل اسم موريتانيا ، لكن هذه السيطرة لم تتجاوز حدود مدينة «سلا» التي كانوا يطلقون عليها اسم «سلا كولونيا» ، وبقيت مناطق المغرب الاقصى الباقية خارج سيطرة الرومان الا في فترات قصيرة ..

- تميزت معاملة الرومان للشعوب المغلوبة بقسوتها ، نظراً لان الرومان كانوا يمتقرون الشعوب التي يحكمونها ، لكن الحروب الكثيرة التي خاضتها روما للدفاع عن حدودها الواسعة ، بالإضافة الى حروبها المستمرة مع شعوب الغزاة كالفوط الشرقيين والغربيين والبورغونيين والفانداليين والافرنج والالمان والسارماتيون والمان ، كل ذلك مما ارغم روما على تعديل تنظيم جيوشها والاستعانة بالمرتزقة والمتطوعين ، والاعتماد على السكان الافريقيين . وفي نهاية القرن الاول الميلادي وبداية القرن الثاني ، اعتمد الامبراطور الروماني دوميتيان (٢) على «لوسيوس كويتوس Lucus - Quietus» البربري الأصل للافادة من قبيلته

.....

- (١) تاريخ جيوش العالم ١٩٢ - ١٩٤ ، المجلد العسكري ١ و ٢ سنة ٧٣ م .
- (٢) دوميتيان ، Domitien - ٨١ - ٩٦ م آخر القياصرة الاثني عشر ، حاول تقليص نفوذ الارستقراطية الرومانية وقام بمجموعة حملات ناجحة ضدها ، غير انهم اغتالوه بمساعدة زوجته دوميسيا .

الموريتانية في دعم للقوات الرومانية ، وقام لوسيوس بالدور الذي قام به والده من قبله ، واصبح لرجال الفرسان بشعورهم الطويلة المجددة والمسلحين بالمزاريق شهرة واسعة حتى أن الامبراطور دوميتان منحه رتبة (قائد الخلفاء) ، لكن الامبراطور دوميتان عاد فانتزع الرتبة منه لسوء انضباطه ، وعاد الموريتاني الى صحرائه .. ثم أتمى الامبراطور « تراجان »^(١) ليعيد رتبته بسبب حاجته لرجاله في حربه مع « الداسيين ، رومانيا ، لقد كان البرابرة من نخبة الفرسان ، وكان ابعاد دوميتان لهم من اسباب هزيمته ، ونظراً للحاجة الملحة لم يكن امام تراجان الا معاودة الاعتماد عليهم لدعم حروبه ..

— وجه تراجان القائد البربري « كويتوس » لحرب الداسيين وقد نجح كويتوس بتطويق الداسيين في ترانسلفانيا وابدتهم فكلت هامته بالاجساد ، وفي عام ١١٣ خاض لوسيوس كويتوس حرباً ضارية ضد البارثيين في ارمينيا وبلاد ما بين النهرين وحقق انتصارات رائعة دعت الى قبوله في مرتبة مجلس الشيوخ « بريطور » Preteur ، وان ذلك من بعض الأمثلة للعلاقات بين روما والشعوب في افريقية الشمالية وما حققه الطرفان من منجزات وفوائد متبادلة^(٢) كان من أولها قيام الثورات المستمرة التي تطورت عام ٣٩٧ م الى حرب حقيقية فرضت على روما سحب افضل كتائبها الكوهورت من بلاد الغال لقمع ثورة جيلدون Gildon في افريقية ..

— كان من نتيجة الحروب الدائمة التي خاضتها روما على مختلف مسارح العمليات في اوربا والشرق احداث تطور كبير سواء في بناء القوات المسلحة وتنظيمها او في التنظيم للمعركة او حتى في التسليح ..

وإذا كانت « اللجيات » والحصون الدفاعية المتصلة حيناً والمنفصلة احياناً قد

(١) تراجان ، ٩٨ - ١١٧ م ، امبراطور روماني ، استولى على داسيا ١٠١ - ١٠٦ و ارمينيا وهزم البارثيين ١١٥ ، اشتهر بالتنظيم والابنية واضطهاد المسيحيين .
(٢) المصدر : تاريخ جيوش العالم ١ ر ٢ - ١٩٧٣ من المجلة العسكرية .

افادت في تطوير الحرب الدفاعية فان تطور الفالانج اليوناني الى ليجيونات تقسم بدورها الى مانيبولات امكن من اعطاء عمق للهجوم ووفر الفرصة امام معطيات جديدة اولها واكثرها اهمية مبدأ التوزيع غير المتساوي للقوات على طول الجبهة واحداث اساليب جديدة في التنظيم للمعركة ..

اما في مجال التسلح فقد ظهرت الابراج الخشبية المجهزة بعبارات متحركة وسرايب زحافة بالاضافة الى تطوير للصنبر والقروس الخشبية المكسوة بالجلود.. كما تطورت الأسلحة ذات الرمي المستقيم من صنف الزبار والكاتولوت ، والقادرة على قذف ١٠٠ كغ حتى مسافة ٥٠٠ م ، وهذه تستخدم ايضا لقذف الرماح المجهزة اسننها وتجلل بالمواد المشتعلة ، بالاضافة الى الاسلحة ذات الرمي المنحني التي تقذف ما يعادل وزن ٣٠٠ كغ حتى ٦٠٠ م .. (١)

- لقد اسهمت قوات افريقية الشمالية بحروب - روما - وكان لهذا الاسهام دوره في تكوين خبرات قتالية عند شعوب افريقية الشمالية ..

٤ - الفاندال وحكم افريقية :

الفاندال Vandales من الشعوب الجرمانية قدموا من الشمال الشرقي لأوربا، وقسم منهم سلافيون كانوا يقطنون بين الأودر والقيستول ولهم ذات العقيدة العسكرية للألمان والسارمانيين .

في عام ٤٠٦ م عاثوا في بلاد الثالين وأقاموا في اسبانيا ، حيث حملت الاندلس بعد ذلك اسمهم « فاندالوسيا » .

في عام ٤٢٨ م - طردهم القوط الغربيون « الفيديقوطيون » من الاندلس فعبروا الى افريقية واستقروا في قرطاجنة .

في عام ٤٢٩ - نهبوا روما ، واستباحوها ..

(١) المجلة العسكرية ، ر ٥ - ١٩٧٣ ، تاريخ جيش العالم ، وتاريخ فن الحرب الجنرال - ستروكوف .

في عام ٤٥٥ - اكتسح الفاندال مصر وابليريا واليونان وأعملوا في هذه الأقاليم تدميراً وتخريباً ..

في عام ٥٣٤ - جهز الامبراطور جوستينيان الأول Justinien امبراطور بيزنطة ٥٢٥ - ٥٦٥ م جيوشه ووجه قاده بليزير وناريس لحرب الفاندال والفرس وفتح افريقية واطالية .. وكان تحت تصرف بليزير Belizaire ١٥٠,٠٠٠ مقاتل لهذه الغاية ، ونجح بليزير في الانتصار على الفرس والفاندال والقوط الشرقيون « اوستروقوط » ..

في عام ٥٥٤ - استعادت بيزنطة الاندلس « الوادي الكبير » من قبضة الفيريقوطيين ..

- تلك هي فكرة عن ظهور الفاندال وتطور حكمهم ، في اوربا حتى وصولهم افريقية ثم نهايتهم على يد البيزنطيين ..

في عام ٤٢٩ ، وبينما كان الفاندال يعيشون فساداً في عاصمة الامبراطورية الرومانية كان يونيفاس أحد حكام روما في افريقية يتصل بالفاندال ويفرهم على احتلال افريقية وانتزاعها من قبضة الرومان ، ولبي « جنسريك » ملك الفاندال طلب يونيفاس ، لا سيما وأن أسطوله الضخم كان قد فرض سيطرته على البحر الابيض المتوسط فنقل جنسريك قواته وقام بانزال بحري على شواطئ افريقية واخذ ينطلق من المغرب فيحتل مدينة بعد مدينة حتى وصل قرطاجنة فاحتلها سنة ٤٣٥ م ، وجعل منها عاصمة له بعد ان اصبحت افريقية تحت سيطرته .

- في عام ٤٧٧ م ، توفي جنسريك ، وتولى الملك بعده ابنه « هنريك » ولم تكن له قوة ابية وقدرته ، كما تميز حكمه بالقسوة التي تركزت على الكاثوليك حيث ألقى القبض عام ٤٨٣ على خمسة آلاف من رهبانهم وصادر اموالهم وممتلكاتهم وشردهم في الصحراء . وفي عام ٥٢٣ م اصبح « هلدريك » ملكاً على الفاندال ، وكان ضعيف الارادة ، ضعيف الشخصية فخلعه الفاندال وولوا مكانه « جيلير » فاستنجد « هلدريك » بجوستينيان امبراطور بيزنطة وكان

« جوستينيان » قد وضع مخططة الاستعادة السيطرة على روما الغربية وشمال افريقية ، ووجه جيوشه ، فوصل عام ٥٣٤ م الى افريقية ونجح في تصفية حكم الفاندال ، وازالة وجودهم بعد أن استمر حكمهم فترة (٩٩) عاماً في ارض افريقية الشمالية ..

٥ - حكم بيزنطة في افريقية :

بعد أن استعاد « بليزير » افريقية الشمالية وأتبعها لامبراطورية بيزنطة ، اخذ الامبراطور جوستينيان بحكم قبضته ويصدر القوانين الصارمة لإخضاع حركات التمرد ، وأعاد ترميم « الليات » ، والحصون الدفاعية ، وكان الحكم البيزنطي يشمل مصر حتى برقة وطرابلس وتونس وجبال الاوراس ، ويسير بعد ذلك في شريط ضيق يسير مع الساحل حتى يصل الى طنجة وسبتة ، وقسمت هذه البلاد الى اقسام ادارية ثلاثة منها يحكمها قناصل واربعة منها يحكمها مديرين ، وكانت هذه الاقسام اشبه ما تكون بالمناطق العسكرية ، يحكمها الدوقات Dux .

— كانت بيزنطة لاسيا بعد انهيار « روما » تحمل اعباء جسيمة في الدفاع عن حدودها سواء من الغرب حيث القوط الشرقيون والغربيون ، او من الشرق حيث الفرس ، ونظراً لحاجة بيزنطة الى الدعم فقد اعتمدت على البربر وأفسحت لهم المجال واضطرت الى ضم قبائل كاملة ، وكان لذلك دوره في نمو الروح القتالية عند البربر واكسابهم خبرات قتالية ، ولم يعد باستطاعة بيزنطة حكم شمال افريقية بالقوة ، فضعفت سيطرتها عليها تدريجياً ، حتى انتهى الأمر الى شبه استقلال افريقية عن الدولة البيزنطية ..

٦ - المعطيات البشرية^(١) :

كانت افريقية في مفهومها القديم تمتد من حدود مصر وحتى الاطلسي ، ومن

(١) تاريخ المغرب ٥٢ - ٥٦ . تاريخ المغرب العربي ٣٠ - ٣٢ .

البحر الابيض المتوسط شمالاً حتى سلسلة الجبال وحدود الصحراء الكبرى جنوباً .. وهي تمثل حالياً ليبيا وتونس والجزائر ومراكش « المغرب » ..

- وكان سكان افريقية في تماس مباشر واتصال دائم مع حضارات العالم القديم ، بداية من فينيقية مؤسسة « قرطاجنة » ونهاية بحكم بيزنطة ، وكان لا بد لهذا الاتصال من ان يترك طابعه على الجغرافيا البشرية للسكان ، فكان هناك الافارقة وكان هناك البربر - وجميعهم من سكان البلاد الاصليين - اولهم اختلط بالروم وتزوج معهم واختلط بهم واثنيهم وهم البربر ، حافظ على بداوته فابتعد عن الروم واعتزلهم ورفض الاختلاط بهم او الدخول في مجتمهم ، وبالإضافة الى ذلك كانت هناك مجموعات من العرب والرومان والفانдал الذين ارتضوا البقاء تحت حكم من وليهم بعد زوال دولتهم وفضلوا البقاء في مواطنهم التي عاشوا فيها بعد زوال حكمهم فكونوا أقلييات ضمن المجتمع الافريقي ، ويضاف الى هؤلاء اليهود ممن مزقهم الحكم الروماني والفارسي والبابلي ، فتفرقوا في كل اتجاه وكان منهم اثناس في مصر وآخرون في افريقية ..

- وكانت حدود الصحراء وواحاتها هي مناطق الاتصال والاختلاط بين الوافدين الى افريقية وبين سكانها الأصليين وهو الاختلاط الذي كان من نتيجته ظهور لون من المولدين فيهم صفات الوافدين وملاحظهم وفيه صفات الأفارقة الأصليين وملاحظهم ونموذج هؤلاء الشعر الأشقر والعيون الزرقاء في صفوف البربر .

- ومثلما حمل الوافدون معهم أصالتهم التي تركت في افريقية طابعها كذلك حملوا معهم معتقداتهم ، فكان هناك الوثنيون الذين لم تتمكن الديانات الوافدة من اجتذابهم او للتأثير عليهم ، وكان هناك المسيحيون ممن استطاعت الكنيسة اكتسابهم الى جانبها وكان أيضاً يهود نجح المبشرون في التأثير عليهم لكن السواد الأعظم من البربر بقي على دين الوثنية ..

- كان مجتمع البربر بدائياً ، مثله كمثل المجتمع العربي في حينه ، فكان النظام القبلي سائداً وكان يتم تصنيف هذه القبائل ضمن مجموعتين البرانس ، والبترة .

البرانس : ومن اشهر قبائلهم : أزداجة ، مصمودة ، أوربة ، عجيسة ،
كتامة ، صنهاجة ، اوريفة ، ويضاف اليهم حسب رأي بعض علماء الأنساب
لمطة ومكسورة وجزولة « كزولة » ويتفرع عن هذه القبائل بطون وأفخاذ
مثل هواره من اوريفة وغمارة من مصمودة ومليطة من هواره ..

البيتر : ومن اشهر قبائلهم : أداسة ونفوسة وضريرة وبنو لؤوا الأكبر
ويتفرع عن هذه القبائل بدورها بطون وافخاذ من نغزاوة ولوامة من لؤوا
و « ولهاسة » من نغزاوة ، وتيرغاش من ولهاسة ورفجومة من تيرغاش ..

ومثلما كان الاتصال بين القبائل العربية كان الاتصال بين القبائل الافريقية
حتى أن الأمر قد اختلط بين العاملين على دراسة الانساب في العرب ، ويعود
السبب في ذلك الى التزاوج والتصاهر بين القبائل البربرية .

- ان هذا التشابه بين تكوين مجتمع « افريقية » وتكوين المجتمع العربي
قد حمل بعض المؤرخين العرب على الاعتقاد بأن سكان افريقية الأوائل هم من
العرب الذين نزحت قبائلهم عن ارض الجزيرة وأقامت هناك^(١) وحافظت على
نظامها القبلي ، وهذا مخالف بدهياً للواقع ولما تثبته الاكتشافات العلمية عن
التكون الأصلي للسكان في افريقية لكن هذا لا ينفي وجود اتصال وثيق بين
عرب الجزيرة وبين سكان افريقية مع وجود هجرات من اليمن الى افريقية عبر
الحبشة فالصحراء الكبرى وواحاتها فسهول افريقية ومستوطناتها ..

(١) في الكامل ، لابن الاثير ١ / ١١٥ - ما يلي : (. . أما من بقي من الجبارين فانت
« أفريش » بن قيس بن صليبي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان مر بهم متوجهاً الى افريقية فاحتلمهم من سواحل الشام فقدم بهم افريقية ، فافتتحها
وقتل ملكها جرجير ، واسكنهم اياها فهم البرابرة . . وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة
فهم قبيهم الى اليوم . .) وسواء كانت هذه الحادثة التاريخية صحيحة او غير صحيحة ، بالنسبة
لاطارها الزمني فانه لا يمكن اسقاطها ، ومثلها مثل تفريية بني هلال ، والزواتي خليفة وغير
ذلك من القصاص الشعبي الذي يتند الى جذور حقيقية فقدت اطارها الزمني الصحيح . .

٧ - المعطيات الجغرافية :

- حكام قرطاجنة وأهلها هم أول من اطلق كلمة « أفري - Aphri » على السكان الأصليين أهل البلاد ممن كانوا يقيمون على قرب من عاصمة مملكتهم ، وجاء اليونان فأخذوا عنهم هذا الاسم وتوسعوا في استخدامه حتى شمل المنطقة ما بين المحيط وحدود مصر وهي التي حملت اسم Aphrica ، وقد اخذ العرب عن البيزنطيين الاسم ذاته وضمن الحدود الجغرافية ذاتها .. ثم اخذ هذا المفهوم شكلا اكثر تحديداً بحيث اقتصر على « حدود ليبيا الحالية » ، واصبح اسم المغرب اكثر شمولاً ، وتم تقسيم المغرب الى ثلاثة اقسام : المغرب الأدنى وهو في حدود تونس الحالية وحمل اسم القيروان ، والمغرب الأوسط وهو في حدود الجزائر الحالية ، والمغرب الأقصى ويقصد به بلاد مراکش او المغرب في حدودها الحالية .

- لقد اخذ المؤلف ابن خلدون عن كلوديوس بطليموس العالم اليوناني ، تقسيم الارض الى سبعة اقاليم « خطوط عرض » اولها خط الاستواء وآخرها القطب ، ووفقاً لهذا التقسيم تقسّم افريقية و اقاليم المغرب في الأقاليم الثالث والرابع ، في حين يقع الاقليم الثاني على حدودها الجنوبية والاقليم الخامس في حدود اوربا والشمال . ونطالع فيها كتبه ابن خلدون عن وصف جغرافية المغرب :

الحدود الجنوبية : « الاقليم الثاني » و قبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات ثم يلي ذلك ارض تنورية وبعدها في جهة الشرق ارض غانه ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الأسفل صحراء نيمر متصلة من الغرب الى الشرق ، ذات مفاوز - هي الصحراء الكبرى - تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملثميين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزوله وملتونه ومسراته ولطه ووريكه ، وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً ارض فزان ثم مجالات أركار من قبائل البربر ذاهبة الى أعالي الجزء الثالث وعلى سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من امم السودان ثم قلعة من ارض الباجويين وفي اسافل هذا الجزء

الثالث وهي جهة الشمال منه بقية ارض ودان وعلى سمتها شرقاً ارض سنقرية
وتسمى الواحات الداخلة ..

افريقية والمغرب « الاقليم الثالث » هو متصل بالثاني من جهة الشمال ،
ففي الجزء الأول منه وعلى نحو الثلث من أعلاه جبل درن ، معترض فيه من
غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ، ويسكن هذا الجبل من البربر
أمم لا يحصيهم الا خالقهم ، وفي القطعة التي تلي هذا الجبل وعلى البحر المحيط
منها رباطة ماسه ويتصل به شرقاً بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقاً بلاد
درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيمر المغازة وهذا الجبل مطل على
هذه البلاد كلها . وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان
يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه الى ان ينتهي ، وفي هذه الناحية منه
أمم المصامدة ثم هنتانة ثم تينملك ثم كميوه ثم مشكورة وهم آخر المصامدة فيه
ثم قبائل صنهاجه ، وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناته ويتصل به
هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامه وبعد ذلك أمم أخرى من
البرابرة ، ثم ان جبل درن هذا من جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الأقصى
وهي في جوفيه ، ففي الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش وانغامت وتادلا وعلى
البحر المحيط منها رباط أسفي ومدينة سلا ، وفي الجوف عن بلاد مراكش
بلاد فاس ومكناسة وتزرا وقصر كتامه وهذه هي التي تسمى المغرب الأقصى في
عرف أهلها ، وعلى ساحل البحر المحيط منها بلاد أسيلد والعرايش وفي
سمت هذه البلاد شرقاً بلاد المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان وفي سواحلها على
البحر الرومي بلد هنين ووهران والجزائر لأن هذا البحر الرومي يخرج من
البحر المحيط من خليج طنجة وينهب مشرقاً فينتهي الى بلاد الشام ، ثم
يتصل ببلاد الجزائر من شرقيها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في
الشرق منها ، وفي آخر هذا الجزء وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه
البلاد ومرتفعاً الى جنوب المغرب الأوسط بلد أشير ثم بلد المسيلة ثم اللاب

وقاعدته بسكرة تحت جبل أوراس المتصل بدرن الداهب من الغرب الى الشرق ويضم البحر مسافة من شماله ، اما جنوب الجبل وغربيه فكله مغاور ، وفي الشرق منه بلد « غدامس » وفي سمت غدامس والى الشرق تقع ارض ودان ، والقطعة الجوفية ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل اوراس وتبسه والابيس ، وعلى ساحل البحر بلد بونه ثم في سمت هذه المدينة شرقاً بلاد افريقية ، فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهديّة، وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن ، بلاد الجريد توزر وقفصه ونفزاوه وفيها بينها وبين السواحل مدينة « القيروان » وجبل ملات وسبيطله وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقاً طرابلس على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبل دمر ونقره من قبائل هواره متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس سويقة ابن مشكوره على البحر ، وفي جنوبها مجالات العرب في ارض ودان ويمر جبل درن ايضاً من هذا الاقليم الا انه ينعطف عند آخره الى الشمال وينهب على سمتة الى ان يدخل في البحر الرومي ويسمى هنالك طرف أوتان والبحر الرومي من شماله غمر طائفة منه الى ان يضايق ما بينه وبين جبل درن فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية ارض ودان ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم رمال وقفار ، اما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلاه وقفار تجول فيها العرب ثم اجدابية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طلسمة على البحر [(١)] .

- ويظهر من كتابة ابن خلدون ان جبال الأطلس « درن » هي الحد الفاصل بين المغرب وبين الأقاليم الواقعة الى الجنوب ، كما ان جبل كنامة « الاوراس » هو الحد الفاصل بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط من جهة ، وبين المغرب الأوسط وبين المغرب الأدنى من جهة اخرى ، أما افريقية فحدودها الصحراء

(١) مقدمة ابن خلدون ٢٩ - ٣٠ جبل اطلس : جبل درن .

مع مصر ، في حين تشكل جبال الأطلس « جبل درن » الحد الفاصل بينها وبين المغرب الأوسط « تونس » .

– والمغرب العربي « تونس – الجزائر – مراکش – موريتانيا » يكون اقليمياً طبيعياً واحداً له معالمه الواضحة ، ويحتل هذا الاقليم من الوطن العربي القسم الشمالي والغربي من قارة افريقية على امتداد ألفي كلم (٢٠٠٠) بداية من قابس وحتى المحيط الأطلسي ، وتحده الصحراء الكبرى القسم الجنوبي منه وهو الذي يصلها بأفريقية المدارية .

– يقع المغرب العربي بين درجتي العرض (١٦ – ٣٧ °) شمالاً ، وبين درجتي الطول شرق غرينيتش حتى (١٣ °) درجة غرب غرينيتش وتبلغ مساحته ٤ ملايين كيلو متر مربع ..

– ويمكن تقسيم المغرب من الناحية الجغرافية الى قسمين :

١ – المنطقة الشمالية البحرية .

٢ – المنطقة الجنوبية الصحراوية .

وتتكون المنطقة الشمالية من : ١ – السهول الساحلية . ٢ – الأطلس التلي .

٣ – الأطلس الصحراوي . ٤ – الهضاب العليا .

١ – المنطقة الشمالية :

وهي منطقة جبلية بصورة عامة ارتفاعها المتوسط ٧٠٠ م وتتفاوت ارتفاعات جبالها وتختلف تضاريسها ما بين مكان ومكان آخر وتعتبر مجموعها التقاء لسلاسل الجبال الالتوائية الحديثة مع الكتل الجبلية القديمة .

والقشرة الأرضية لجبال المغرب العربي غير مستقرة ، وهي تتعرض ما بين فترة وفترة اخرى لهزات أرضية لعل أحدثها زلزال اغادير في مراکش وزلزال مدينة الأصنام في الجزائر ، ويمكن التمييز بين الأقسام التالية – من الشمال الى الجنوب – مع العلم ان هذه الأقسام تتدمج في الضهرة التونسية فتكون كتلة واحدة .

١ - السهول الساحلية : تبدأ هذه السهول واسعة عريضة في تونس حيث تكون السهل الساحلي ، ثم تضيق في الجزائر حيث سهل المتيجة وتعود لتتسع مرة أخرى في مراكش حيث سهول السوس والشاوية .

والساحل المطل على البحر الأبيض المتوسط صخري يضم مجموعة من الخلجان اعثال خليج تونس وبنزرت . بينما يكون ساحل مراكش على الاطلسي منخفضاً قليل التعاريج ، وكذلك الأمر بالنسبة للساحل الشرقي في تونس ..

٢ - الأطلس التلي : وهو كلي في قسمه الأكبر اثرت فيه عوامل الترية والحث ، ويتكون من عدة سلاسل ساحلية وداخلية ،ومن هذه السلاسل الساحلية جبال الريف في المغرب ومن السلاسل الداخلية جبال ارسونيس وبيبان في الجزائر والأطلس الأوسط في مراكش حيث ترتفع هذه الجبال في المغرب الى أكثر من ٣٠٠٠ م ..

٣ - الأطلس الصحراوي : مجموعة من العليات الملتوية يفصلها عن بعضها البعض عدد من المرات ومن اشهر هذه الجبال الضهرة التونسية الممتدة نحو الرأس العليب في تونس ، وجبال القصور التي تنتهي في الاوراس وأعلى قمة فيها ٢٣٠٠ م ، ثم جبال الأطلس الأعلى في مراكش حيث ترتفع فيها قمة جبل طوبقال حتى ٤١٦٥ وهي أعلى قمة جبل في الوطن العربي ..

٤ - الهضاب العليا : وهي قليلة في تونس وتقع بين سلسلتي الجبال الساحلية والداخلية .. وتبدأ هذه الهضاب منخفضة في تونس ثم تتزايد ارتفاعاً في اتجاه المغرب وفي الوقت ذاته تكون قليلة العرض والاتساع في تونس ثم تتزايد اتساعاً كلما تقدمت نحو المغرب وتكون في الجزائر السهوب العليا وفي المغرب « المائدة المراكشية » وفي هذه الهضاب منخفضة مقلقة بها مياه مالحة تسمى « الشلوط » وهي مائلة للسججات في الشام . وتضم هذه الهضاب ، احواضاً زراعية مثل سهل طلالا في مراكش كما تضم الجبال ايضاً مثل هذه الأحواض التي تستثمر في اعمال الزراعة ..

- وتضاريس المغرب مرتفعة بصورة عامة ومتقطعة ، ولهذا فانها تشكل عائقاً امام سبل المواصلات البرية وتتركز محاور الطرق بشكل تتوافق فيه مع الطبيعة الطبوغرافية فتتبع في مسيرتها السهول الساحلية والمرتات الجبلية والأودية النهرية مثل وادي مجردة الذي يصل تونس بالجزائر ، وممر تازا بين الجزائر ومراكش وهو الممر الذي يصل ايضاً بين جبال الريف الساحلية وجبال الاطلس الداخلية في مراكش ..

٢ - المنطقة الصحراوية :

هي امتداد للصحراء الكبرى وقسم منها ، تبدأ في الشمال عند السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي وتنتهي في الجنوب عند منطقة الساحل ، حيث شجر الصمغ والدوم وهي صحراء نباتية ، يتبع الجزائر منها مساحة تزيد على مليوني كيلو متر مربع (٢ مليون كم^٢) ، ويتبع موريتانيا مليون كم^٢ تقريباً .

ويمكن تقسيم تضاريس هذه الصحراء الى قسمين اعتباراً من خط طول مدينة الجزائر ، فتتكون الصحراء المرتفعة الى شرق هذا الخط وتمتد الصحراء المنخفضة الى غرب هذا الخط ، وتتميز الصحراء الكبرى بصخورها المتباورة القديمة ومنها (الحماد الصحراوي) الذي يضم هضاباً حجرية واسعة بها طبقات مائية جوفية وتحيط بالحماد المرتفعات الصخرية كما يشرف هذا الحماد على منخفضات مياهها مالحة او عذبة ، كما يوجد في هذه الصحراء (الدق) وهي مفاوز رملية من الحصى ، يندر فيها وجود الماء ، اما (العرق) فهي صحارى رملية تضم مرتفعات رملية ايضاً لكنها تحتوي على بعض آبار المياه ، وتأتي بعد ذلك الكتل الجبلية ذات الصخور البلورية والبركانية وأهمها جبل الاحجار على مدار السرطان - جنوب الجزائر - .

المناخ :

يقع المغرب العربي تحت تأثير عوامل ثلاثة : البحر الأبيض المتوسط من الشمال والمحيط الأطلسي من الغرب والصحراء الكبرى من الجنوب ، ونتيجة لتباين هذه العوامل الثلاثة يكون مناخ المغرب العربي مضطرباً متبايناً مثله في ذلك مثل الطبيعة الجغرافية ..

- وبدهي ان يتفاوت تأثير هذه العوامل على المغرب العربي حسب قربه من هذه العوامل وبعمده عنها ، فالمنطق المجاورة لحوض البحر الابيض المتوسط والمحيط الأطلسي كثيرة الأمطار بصورة عامة في حين يتزايد التأثير الصحراوي كلما اقتربنا من الداخل في اتجاه الصحراء ..

٨ - افريقية ، عشية الفتح الاسلامي .

أ - الوضع السياسي :

استعاد بيزير افريقية عام ٥٣٤ م ، وطرد الفاندال منها واعادها لحكم بيزنطة فعمل الامبراطور « جوستينيان » على تقسيمها الى اقسام ادارية سبعة :

١ - الولاية القنصلية « شمال تونس الحالية » « proconsularium .

٢ - الولاية الداخلية « بيزاكيوم » « Byzacium .

٣ - ولاية طرابلس « Tripolitania .

وكان يحكم هذه الولايات الثلاثة قناصل مديون في حين تركت الأقسام الأربعة لحكم مديرين وهي :

٤ - ادارة نوميديا « Numidia .

٥ - ادارة موريتانيا الأولى « Mauritania Sitifiensis .

٦ - ادارة موريتانيا الثانية ، وتشمل شمال مراكش

Moritania Cesariensis - moritania Tingtana

٧ - ادارة سردانية ..

- وعين جوستينيان حاكماً مدنياً لحكم افريقية بولاياتها واداراتها السبعة ، لكن الثورات المتتالية وضرورات فرض احكام قوية من اجل حشد الطاقات والامكانات اللازمة لحروب بيزنطة ارغمت الأباطرة على تعيين قائد عسكري لحكم افريقية واستبدال الحكام المدنيين بمد جوستينيان بحكام عسكريين يحملون لقب دوق Duz ، كما قولى حكم المدن قادة عسكريون لهم مطلق الصلاحية في ممارسة اعمالهم ..

- في عام ٦٠٢ م ، عين الامبراطور « موريس Maurice » لولايات افريقية بطريقاً من اصل ارمني عرف بكفاءته القيادية العسكرية الماهرة واسمه « هرقل » ، وندب لمعاونته في ادارة البلاد اخوه « جريجوريوس » وبدأ الأخوان هرقل وجريجوريوس في العمل الجدي لتهدئة الأمور والسيطرة على الاضطرابات ولكنها بوغنا في عام ٦٠٨ بشورة في القسطنطينية انتهت بقتل الامبراطور موريس وقيام الامبراطور فوكاس .

- عمل هرقل مباشرة على التخطيط للانفصال عن بيزنطة بسبب ما وصله من انباء عن انحراف فوكاس وظلمه ، وقام بحجز السفن الناقلة للقمح من افريقية الى القسطنطينية واحتفظ بها في خليج قرطاجنة ، واسرع الناقمون على الامبراطور الجديد للاتصال بهرقل وحمله على انقاذ الدولة من الوضع المتدهور الذي انتهت اليه ..

كان هرقل رجلاً في الستين من عمره ، فندب ابنه هرقل ايضاً لتنفيذ واجب انقاذ الدولة ، واستطاع هرقل الابن ان يزحف بجيش افريقية ويطيح بحكم الامبراطور فوكاس ويقضي على اعوانه وانصاره ، وعندما تمت له تسوية الأزمة أراد العودة الى افريقية لكن رجال الدولة واساقفتها حملوه على قبول تاج الامبراطورية واحتفل بتتويجه في عام ٦٠٠ م ..

كان من الطبيعي ان يعترف الامبراطور هرقل بالعرفان لجيش افريقية واهلها نتيجة لما قدموه من عون في ابصاله لقمة السلطة ..

- مات هرقل «الأب» في افريقية عام ٦١٠ م ، وخلفه اخوه جريجوريوس ، لكنه لم يستمر في ولايته طويلاً وخلفه البطريرق « قيصريوس » ثم اعقبه نقيتاس « ابن جريجوريوس » وابن عم الامبراطور هرقل « الابن » ، وخلف نقيتاس ابنه « جريجوريوس » على ولاية افريقية وهو الذي يعرفه العرب باسم « جرجير » وقد جاء الفتح العربي في عهده ، وقتله عبد الله بن الزبير في معركة العقوبة عام ٢٧ هـ - ٦٤٧ م .

ب - الوضع الديني :

- كانت الوثنية هي الديانة السائدة بين الافريقيين ، ثم دخلت المسيحية الى افريقية عن طريق مصر ، وعن طريق روما ، واعتنق كثير من البربر الديانة المسيحية وانتشر الرهبان بين البربر ، لكن الانقسام الكنسي انتقل الى افريقية ولم تعد الكنيسة واسطة بين الشعوب الافريقية والسلطة الحاكمة ووسيلة لتسوية التناقضات بين الحاكمين والمحكومين ، وانما اصبحت وسيلة لاكتساب الانصار مما احدث تمزقاً كبيراً بين المواطنين الأفارقة ، ولم تقف حدود هذا التمزق عند حدود اختلاف الولاء لكنيسة روما او كنيسة « بيزنطة » ، وانما تعدى ذلك حيث ظهر في افريقية اسقف كبير اسمه دونات Donat انشأ مذهباً خاصاً ورفض الاعتراف بشرعية انتخاب سيليان اسقفاً لقرطاجنة واعلن طلب الاستشهاد فاستجاب له كل الساخطين على الدولة وخاصة من طبقات الكادحين وذلك في الفترة التي سبقت اقتحام الفاندال لافريقية ..

- في عام ٦٣١ م حاول هرقل رأب الصدع في الكنيسة فأوجد مذهباً الجديد الذي حاول فرضه ، وذلك على نحو ما فعل في مصر ، وكان الرد الطبيعي هو حدوث مزيد من التمزق الديني الذي كان تعبيراً عن التمزق الاجتماعي والسياسي ووسيلة من وسائله ..

- وفي عام ٦٤٠ م ، وصل افريقية الراهب مكسيم وهو اشهر رجال الدين في القرن السابع الميلادي ، واخذ هذا الراهب ينشر تعاليمه بين القساوسة

البسطاء حتى يستطيعوا مجابهة سفسطة الرهبان البيزنطيين وأسلوبهم الجدي ، ونجح الراهب مكسيم في انشاء قاعدة قوية له ، وحاولت كنيسة روما دعم الراهب مكسيم لمجابهة بيزنطة ، ونجحت في ذلك .

- كما لقيت حركة الراهب مكسيم دعم والي افريقية « جريجوريوس » الطامح بالاستقلال عن السلطة المركزية في القسطنطينية ، وعرف الراهب مكسيم ما يدبره « جريجوريوس » فباركه وشجعه .

- وفي هذا المناخ من التمزق الديني والاجتماعي والضعف السياسي جاءت ثورة الاسلام وفتوحات المسلمين لتبدل من صورة هذا الواقع .

ج - الوضع العسكري :

تركز جهد القيادة البيزنطية في افريقية على تنظيم حاميات قوية في حصون « ليات » متقاربة ، وأقامت في كل حصن قوة كافية لحمايته والدفاع عنه ، ولم تتوقف هذه القيادات عن تنظيم خط واحد من الحصون بل أقامت ثلاث حاميات في حصون منسقة عمقاً .

- ان اقامة الجند في الحصون والمواقع المنعزلة أضعف من روحهم القتالية وافقدهم الروح الهجومية ، كما افقدهم في الوقت ذاته انضباطهم فأخذوا يغيرون على مزارع الأهلين ويروعون الأمنين وتحولوا شيئاً فشيئاً الى لصوص وقطاع طرق حتى عجزت الحكومة عن ردعهم واخضاعهم ، وتهاون من بقي منهم على الطاعة في القيام بواجباتهم العسكرية فتقاعسوا عن القتال وتهاونوا فيه ، وادعوا الحاجة الى الطعام وأخذوا يبررات التعب وشدة البرد حتى اذا ساروا الى القتال دخلوا المعركة دونما تنظيم وخرجوا منه دونما تعليمات أو أوامر من قادتهم .

- لقد كان الهدف الأساسي من الحاميات في افريقية هو تحقيق الاستقرار والأمن وردع هجمات البربر وتأمين متطلبات الامبراطورية البيزنطية ، لكن

اعتماد أسلوب الدفاع الثابت والبقاء فترة طويلة في الحاميات البعيدة ، أفقد هذه القوات التي كانت فخر الامبراطورية قوتها وارادتها القتالية .

– وعلاوة على ذلك فان التمزق الديني ، والفارق الاجتماعي بين الروم والبرابرة من العوامل التي أضعفت القدرة القتالية للقوات المدافعة عن افريقية .

– هذا وبما يجدر ذكره هنا ، ان طول العهد واستمرار العلاقات بين بيزنطة والبربر خلال فترة طويلة من الزمن ، وظهور بعض القادة والحكام المصلحين أمثال هرقل وجريجوريوس قد خلق نوعاً من الانسجام والتوافق بين الروم وبين سكان البلاد الأصليين ، وعلاوة على ذلك فان الأسلوب الارهابي الذي اتبعه القادة البيزنطيين قد ترك لدى السكان نوعاً من الشعور بالهيمنة القوية التي لا يمكن ازلتها ، وان هذا الشعور يشابه الى حد بعيد شعور سكان الشام تجاه الروم واعتقادهم « بقوة الروم التي لا تقهر » ..



الفصل الثاني

الفصل الثاني

فتح افريقية

- ١ - معركة عقوبة « عبد الله بن سعد » .
 - آ - الغزوات الاستطلاعية . ب - الاستعداد وقوى الطرفين .
 - ج - حرب الاستنزاف والحرب النفسية . د - الصلح مع النوبة .
 - هـ - قمع حركة التمرد الأولى .
- ٢ - معركة الأجم « معاوية بن حديج السكوني » .
 - آ - الوضع العام قبل المعركة . ب - عقبة بن نافع وفتوحه بين ٤١-٤٥هـ .
 - ج - بيزنطة تحرض على الثورة المضادة . د - ابن حديج مرة ثالثة في افريقية ومعركة الأجم . هـ - استثمار الظفر ..
- ٣ - المد الكبير « عمليات عقبة بن نافع »
 - آ - الفتوح بين ٤٦ و ٦٢ هـ . ب - القيروان قاعدة متقدمة للعمليات .
 - ج - ابو المهاجر دينار ، وأعمال الفتوح . د - عقبة يتابع ثانياً فتوحاته .
 - هـ - تهوذة الماسة ومقتل عقبة بن نافع ٦٣ هـ ..

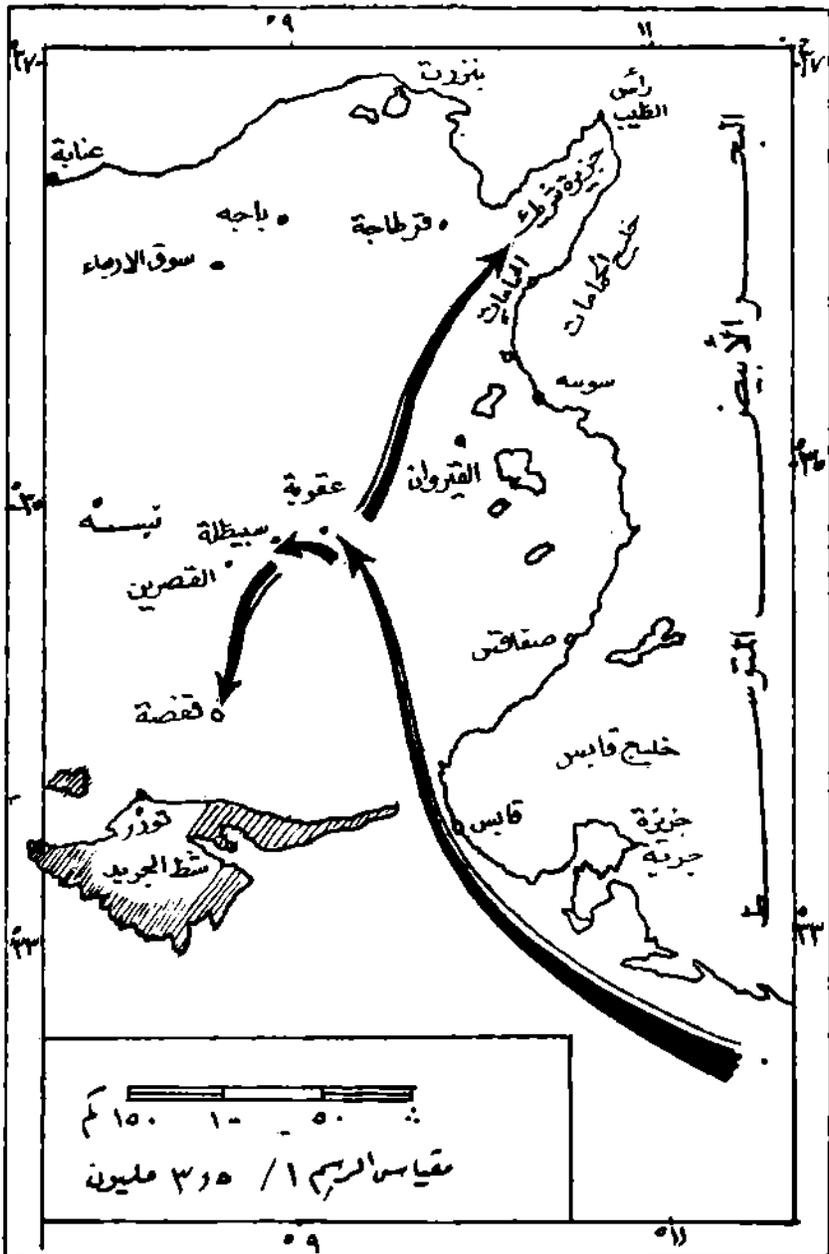
- ٤ - معركة ممس « زهير بن قيس البلوي »
- آ - الوضع العام . ب - خطة كسيلة . ج - المعركة الحاسمة .
د - المطاردة واستئثار الظفر . هـ - العدوان البيزنطي .
- ٥ - القضاء على ثورة الكاهنة وتدمير قوة بيزنطة في قرطاجنة «حسان بن النعمان»
- آ - الوضع العام . ب - الوضع الخاص . ج - الواجب الأول «قرطاجنة» .
د - الواجب الثاني « معركة نيني » وفشل محاولة القضاء على ثورة الكاهنة .
- ٦ - القضاء على ثورة الكاهنة واستعادة قرطاجنة ٨١ - ٨٢ هـ .
- آ - الوضع العام . ب - الكاهنة . ج - بيزنطة .
د - العرب المسلمون . هـ - مسيرة الأعمال القتالية .
و - تصفية قاعدة العدوان « قرطاجنة » .
ز - القضاء على النفوذ البيزنطي في البحر « بناء تونس » .
- ٧ - حرب القبائل « موسى بن نصير »
- آ - الوضع العام . ب - المرحلة الأولى : تأمين قاعدة الانطلاق .
ج - التأمين البحري لأفريقية « غزوة الأشراف » .
د - إخضاع القبائل المتمردة .

فتح افريقية

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
فتح مصر والاسكندرية .	م ٦٤٠	٥٢٠
موقعة نهاوند ، وبداية تطوير عمليات الجبهة الشرقية .	م ٦٤١	٥٢١
فتح همذان - الري - قومن - جرجان - طبرستان - اذربيجان - باب الابواب .	م ٦٤٢	٥٢٢
فتح توج اصطخر - فسا - دار ايجرد - كرمان - نيسجستان - مكران - بيروذ .	م ٦٤٣	٥٢٣
وفاة الخليفة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان ابن عفان .	م ٦٤٣	٥٢٣
غزو اذربيجان وارمينيا .	م ٦٤٤	٥٢٤
اعادة فتح الاسكندرية .	م ٦٤٥	٥٢٥
هجوم الروم في ارمينيا .	م ٦٤٥	٥٢٥
فتح افريقية - « معركة عقوبة » .	م ٦٤٧	٥٢٧
فتح قبرص بقيادة معاوية بن ابي سفيان .	م ٦٤٨	٥٢٨
فتح طبرستان .	م ٦٥٠	٥٣٠
موقعة ذات الصواري .	م ٦٥١	٥٣١

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
فتح مرو الروذ والطالقان وجوزجان وطخارستان .	م ٦٥٢	٥٣٢
مقتل الخليفة عثمان وخلافة علي بن أبي طالب .	م ٦٥٤	٥٣٤
مقتل الخليفة علي واجتماع كلمة المسلمين على معاوية - حكم الأمويين .	م ٦٦٠	٥٤٠
معركة الأجم بقيادة معاوية بن حديج .	م ٦٦٥	٥٤٥
بناء القيروان « عقبة بن نافع » وفتوحه .	م ٦٧٠	٥٥٠
وفاة معاوية بن أبي سفيان وخلافة ابنه يزيد .	م ٦٧٩	٥٦
معركة « تهوذة » ومقتل عقبة بن نافع .	م ٦٨٢	٥٦٣
معركة « بس » ومقتل زهير بن قيس البلوي « يوم البلاد » .	م ٦٩٠	٥٧١
حسان بن النعمان القسائي ، والتضياء على ثورة الكاهنة .	م ٧٠٠	٥٨١
بدء العمل لبناء مدينة « تونس » .	م ٧٠٢	٥٨٣
موسى بن نصير ، وتحقيق الاستقرار في « افريقية » .	م ٧٠٥ - ٧٠٨	٩٠-٨٦



فتح المغرب الأدنى تونس بقيادة عبد الله بن سعد ٢٥ و ٢٣ هـ

فتح افريقية

١ - معركة عقوبة ٥٢٧ - ٦٤٧ م

أ - الغزوات الاستطلاعية : ٢٤ - ٥٢٦ - ٦٤٤ - ٦٤٦ م .

- أصدر الخليفة عمر بن الخطاب أوامره بالتوقف عن متابعة العمليات عند حدود « طرابلس » ، فعين عمرو بن العاص قائداً لحامية برقة هو عقبة بن نافع .

- نظم عقبة قاعدة عملياته في « برقة » واتخذ تدابير الأمن ثم وضع مخططاً لإرسال مفارز قتالية بصورة مستمرة ، وكان الهدف من هذه التدابير حماية برقة من كل هجوم مباغت ، والحصول على المعلومات الضرورية .

- وتوفي الخليفة عمر بن الخطاب عام ٢٣ هـ ، وخلفه عثمان بن عفان .

في عام ٢٥ هـ ، وبينما كانت بيزنطة تنظم هجومها على الاسكندرية ، نظم عثمان بن عفان جيشين قوة كل واحد منها خمسة آلاف مقاتل ، وأسند قيادة الجيش الأول الى عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، ولقيادة الجيش الثاني عبد الله ابن نافع بن الحرث وكلفهما بالهجوم على افريقيا ، وانطلقت القوات الى مسرح العمليات المخصص لها ، وتقدم القادة الافريقيون وحكام المناطق فصالحوا قادة الجيشين على جزية معينة . ولم تتمكن هذه القوات من التوغل في العمق بسبب قلة عددها (١) .

لقد حققت هذه الغزوة الاستطلاعية بعض النتائج الهامة منها :

١ - وفرت الحماية للقوات المشتركة في عمليات اعادة فتح الاسكندرية بقيادة عمرو بن العاص وأمنت الحدود الغربية .

٢ - أظهرت هذه القوة للقادة الافريقيين وحكام المناطق تصميم العرب المسلمين على تحطيم كل عدوان تقوم به بيزنطة او تحرض عليه .

(١) الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى ١ / ٦٧ .

- في هذه الفترة استحك الخلف بين عمرو بن العاص وعبد الله بن سرح ، فخرج عمرو بن العاص الى المدينة ، وكان لقاء حاراً انتهى بعزل عمرو بن العاص وتثبيت عبد الله بن سرح على ولاية مصر وافريقية ..

- تابع عبد الله بن سعد سيرة سلفه [فكان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو ، فيجيبون من أطراف افريقية ويفتنمون ، فكتب في ذلك عبد الله بن سعد الى عثمان ، وأخبره بقرهم من حرز المسلمين ويستأذنه في غزوها] (١) .

- من الواضح ان الغزوات الاستطلاعية وفرت للقادة العرب المعلومات الضرورية :

١ - عن طبيعة السكان وقدرتهم القتالية وما يمكن للقوات العربية ان تلقاه من مقاومة : -

٢ - المحاور الأرضية وطرق المواصلات ، وموارد الحياة في مسرح العمليات المقبل .

٣ - الروح المعنوية لقوات الخصم ..

وبما لا ريب فيه هو أن هذه الهجمات المتكررة ، قد أضعفت الروح القتالية لدى جيش الخصم ، مقابل ما اكتسبته للقوات العربية الاسلامية من روح معنوية عالية .

ب - الاستعداد ، وقوى الطرفين في « عقوبة » (٢) :

- عندما وصلت رسالة والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى الخليفة عثمان يستأذنه بفتح افريقية ، عقد الخليفة مؤتمراً [واستشار من عنده من الصحابة فأشار أكثرهم بالاقدام على غزو افريقية] ..

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٤٦ ، والبلاذري ٢٢٧ .

(٢) عقوبة : موقع بينه وبين « سبيلة » يوم ليلة .. البلاذري ٢٢٨ .

– أرسل الخليفة عثمان بن عفان إلى واليه في مصر موافقته لفتح افريقية ، وبدأ في الوقت ذاته بتنظيم جيش لدعم عبد الله بن سعد ، وعندما انتهى تنظيم الجيش [أمر عليهم الحرث بن الحكم إلى أن يقدموا عبد الله بن سعد مصر ، فيكون الأمر إليه ^(١) ، وكان فيهم جماعة من الصحابة ...] .

– سار عبد الله بن سعد فور وصول رسالة الخليفة ، متوجهاً إلى افريقية ، ولما وصل يجيشه إلى « برقة » حيث انضمت إليه حاميتها بقيادة عقبة بن نافع ، ثم تابع عبد الله تقدمه حتى وصل « عقوبة » .

– [كان مستقر سلطان افريقية بمدينة قرطاجنة ، وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل استخلفه ، فخلع هرقل وشرب الدنانير على وجهه وكان سلطاناً ما بين طرابلس إلى طنجة ..] ^(٢) .

عندما علم جرجير بتقدم العرب المسلمين جمبع جيوشه وتقدم إلى العقوبة بهدف إعاقة المسلمين عن التوغل في بلاده ..

– كان مخطط جرجير هو الاستفادة من قرب قواعد تموينه والدخول في معارك يستنزف فيها قوة العرب المسلمين قبل الدخول معهم في معركة حاسمة ..

– كانت قوة جيش جرجير ١٢٠.٠٠٠ ، وكانت قوة جيش عبدالله ٢٠.٠٠٠ مقاتل ، وهكذا فإن ميزان القوى لصالح جيش جرجير يعادل ستة إلى واحد ..

– في اليوم التالي للاصطدام بين القوات ، وجه عبد الله رسولا إلى جرجير يعرض عليه شروط المسلمين المعروفة ، الإسلام أو الجزية أو الحرب .

(١) فتح مصر و افريقية ، ابن الحكم ٢٤٦ .

(٢) ابن الحكم ٢٤٦ ، الاستقصاء ١ / ٦٧ .

قرطاجنة : مدينة لا تزال آثارها باقية بالعرب من تونس ، ويقال إن تونس قد بنيت بعد تدميرها ، وتتكون قرطاجنة من اسمين قرطاً بمعنى مدينة وجنة لطيب هوائها ونزهاتها .

طنجة : مرفأ على مضيق جبل طارق في شمال المغرب ، كانت مركزاً من مراكز الفينيقيين أيام قرطاجنة ، وهي قاعدة لمنطقة دولية في الوقت الحاضر ..

ورفض جرجير الشروط مصمماً على متابعة الحرب معتزلاً بما لديه من تفوق في ميزان القوى معتمداً على قربه من قواعده . وعندما وجد عبد الله ان جرجير مصمم على متابعة القتال قرر استئناف الحرب ، واستمرت المعارك بعد ذلك .

ج - حرب الاستنزاف والحرب النفسية :

- استمرت المعارك اليومية بين جرجير وبين عبد الله بن سعد اياماً دون أن يحقق طرف من الطرفين نتيجة حاسمة ..

- كان العرب المسلمون مصممون على انتزاع النصر ، مصممون على الاستمرار في القتال ، وكان جرجير مصمم على دحر العرب المسلمين والحاق الهزيمة بهم . وكانت المعارك نتيجة لذلك طاحنة ، وزاد من قسوتها صعوبة المناخ وطبيعة الاقليم ، فكانت المعارك القتالية اليومية تبدأ منذ الصباح المبكر وتنتهي عند الظهر ..

- وبعد أيام من القتال وصلت قوات الدعم « جيش العبادلة » وانضم الى قوة عبد الله بن سعد . [ولما سمع جرجير بوصول المدد فت ذلك في عضده ..]^(١)
- كان عبد الله بن الزبير في جيش العبادلة ، وشهد القتال منذ وصوله ، وعلم ذات يوم بغياب ابن ابي سرح فسأل عنه [فقيل له انه سمع منادي جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة الف دينار وأزوجه ابنتي فخاف وتأخر عن شهود القتال ، فقال له ابن الزبير : تنادي أنت بأن من قتل جرجير نفلته مائة الف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ، فخاف جرجير أشد منه] .
- عندما استمر القتال اراد القادة وضع حد حاسم لحرب الاستنزاف ، فجلس عبد الله بن الزبير الى عبد الله بن أبي سرح وقال له :

[... ان أمرنا يطول مع هؤلاء ، وهم في امداد متصلة وبلاد هي لهم

(١) الاستمضاء ٦٧/١ .

ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم ، وقد رأيت ان نترك غداً جماعة سالحة من ابطال المسلمين في خيامهم متأهبين ، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر الى أن يضجروا ويملوا فإذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونؤصدهم على غرة ، ففعل الله ينصرنا عليهم ... [(١)]

— عقد ابن سرح مؤتمراً للقادة ، ونوقش اقتراح عبد الله بن الزبير وتقرر تنفيذه في اليوم التالي ..

— أقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم — صبيحة الغد — وكانت خيولهم عندهم مسرجة ، ومضى الباكون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالاً شديداً ، فلما أذن الظهر وهم الروم بالانصراف على العادة لم يتركهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم ، ثم عاد عنهم هو والمسلمون ، فكسّل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً ... عند ذلك أخذ الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم ، وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيم المسلمون (٢) .

— انطلق عبد الله بن الزبير في هجومه ، وشاهد خلال المعركة (جرجير) وقد خرج من عسكره فأخذ معه ثلاثين فارساً اختارهم بنفسه وكان «جرجير» وراء عسكره على بردون اشهب ومعه جاريتان تظلانه بربيش الطواويس وبينه وبين عسكره أرض بيضاء ليس فيها أحد ، فحمل عبد الله مع قوته في الوجه الذي فيه جرجير وقال للفرسان الذين معه احموا ظهري ، فخرق الصف الى «جرجير» وخرج صامداً له وما يظن هو وأصحابه إلا أن ابن الزبير رسول اليه حتى دنا منه فعرف الشر، فثنى بردونه مولياً لكن ابن الزبير أدركه فطعنه وأجهز عليه «دافه» وحز رأسه ونصبه في ربحه وكبر ... فحمل المسلمون من

(١) و (٢) التاريخ الكامل لابن الأثير ٣/٣٣-٣٥ . تهذيب ابن عساكر ٧/٥١٧-٤٠٢ .

الوجه الآخر فانهزم العدو في كل وجه ومنح الله المسلمين اكتافهم وانهزم الروم بعد أن قتل ابن الزبير « جرجير » فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة وأخذت ابنة جرجير سبية ، فنفلها ابن الزبير (١) .

عمل ابن ابي سرح بعد المعركة على تقسيم الغنائم فأخرج الخمس ، ووزع الباقي فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، للفارس ألفا دينار ولفارسه ألف دينار ، وللراجل ألف دينار ، وقسم لرجل من الجيش توفي بالحمى فدفن الى أهله بعد موته ألف دينار ..

– كانت ابنة جرجير لواحد من الانصار فأقبل بها منصرفاً قد حملها على بعير له وهو يرتجز :

يا ابنة جرجير تمشي عقبك إن عليك بالحجاز ربتك
لتحملن من قباء قريبتك

قالت ابنة جرجير : – ما يقول هذا الكلب؟ فأخبرت بذلك فألقت بنفسها عن البعير الذي كانت عليه فدفقت عنقها فماتت (٢) .

– أعاد ابن أبي سرح تنظيم قواته بسرعة وتوجه مباشرة الى « سبيطة » وضرب حصاراً حولها ولم تتمكن سبيطة من الصمود ففتحتها ابن أبي سرح ودمرها . ووجه ابن أبي سرح قواته الى الأقاليم حتى وصلت « قفصة » وهي بلدة تبعد عن القيروان ثلاثة أيام ففتحتها ..

– كما وجه جيشاً الى حصن الأجم « Thysderas » فعاصره العرب المسلمون وعندما يئس السكان من الحصار خرجوا فصالحوا المسلمين ..

– وسبى المسلمون من ملوك البربر : صولات بن وزمار الزناتي ، والمغزاوي جد بني خزر – ملوك تلمسان – فرفعوه الى الخليفة عثمان رضي الله عنه فأسلم على يده فمن عليه وأطلقه وعقد له على قومه ثم رغب الفرنج والبربر في السلم وسألوا

(١) و (٢) الكامل لابن الاثير ٣ / ٢٣ - ٣٥ . فتح مصر والمغرب ٢٤٦ - ٢٤٩ .
البلادري ٢٢٧ - ٢٢٩ . الاستقصا ٦٨ - ٦٨ . تهذيب ابن عساكر ٧ - ٤٠٢ .

الصلح ، فأجابهم المسلمون الى ذلك ، ورجع عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى مصر بعد أن أمضى بافريقية سنة وثلاثة اشهر ..

د - الصلح مع النوبة :

— بعد فشل عقبة بن نافع في تحقيق الاستقرار الدائم مع النوبة في عهد عمرو ابن العاص ، تابع عمرو سياسته في توجيه موجات متتامة من القوى لتأمين الحدود الجنوبية لمصر ، وعندما تسلم عبد الله بن أبي سرح ولاية مصر وقام بفتوحاته في افريقية ثم عاد الى مصر ليتابع عملياته ضد الجنوب ، وسأل اهل النوبة عبد الله بن سعد الهدنة وكانت قوات العرب المسلمين قد استولت على « دنقلة » فمقد مع اهل مقرة اتفاقية للصلح تضمن لهم الاستقلال في بلادهم وتضمن للمسلمين في الوقت ذاته الاطمئنان الى حدودهم ، وكان من نتيجة اختلاط العرب المسلمين بأهل النوبة والبيجة ان اعتنق عدد كبير منهم الدين الاسلامي .. وكان نص الاتفاقية بين العرب المسلمين واهل النوبة التالي :

[... انما عاهدناكم وعاهدناكم ان توفونا في كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأساً . وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين وكذا ندخل بلادكم على انكم ان قتلتم من المسلمين قتيلاً فقد برئت منكم الهدنة . وعليكم رد اباقي المسلمين ومن لجأ اليكم من اهل اللمة ...] (١) .

— أظهر العرب المسلمون رغبة صادقة في تنفيذ بنود الاتفاقية ، وكذلك فعل أهل النوبة فخيم السلم والأمن على اقاليم مصر الجنوبية وتحقق الاستقرار الذي رغب الطرفان به ، وتوثقت عرى التعاون ، وتصاعد حجم التبادل التجاري بين اقاليم وادي النيل ..

هـ - قمع حركة التمرد الأولى ٣٣ هـ .

— نقض اهل افريقية الاتفاقية المعقودة بينهم وبين عبد الله بن سعد ، وكان

(١) فتح مصر والمغرب - ابن الحكم ٢٥٤ .

للروم دور في التحريض على الثورة المضادة، فأسرع عبد الله بتنظيم مجموعة قتالية وتقدم في هجومه ، ونجح في احباط المقاومات التي اعترضت تقدمه ، وعندما شعر اهل افريقية انه لا قبل لهم بزحف العرب المسلمين طلبوا الصلح وأقرهم عبد الله على الصلح وعاد الهدوء والسلم يخيم على افريقية ..

٢ - معركة الأجم^(١) ٤٥ هـ - ٦٦٥ م

أ- الوضع العام قبل المعركة :

- في عام ٣٤ هـ ، خرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر بقواته البحرية والتقى بأسطول الشام حيث خاضت القوات المشتركة معركة « ذات الصواري » .

- وفي الوقت ذاته توجهت مجموعة قتالية بقيادة معاوية بن حديج السكوني لمتابعة عمليات الفتح وقد ضم جيش معاوية جماعة من المهاجرين والانصار ، ففتح مناطق واسعة ، وحصل على غنائم ضخمة واتخذ قيرواناً عند « القرن » وبقي فيها حتى خرج الى مصر ..

- وفي عام ٣٥ هـ ، وقعت احداث الفتنة التي انتهت بقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان وتولى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وانشقاق معاوية بن أبي سفيان .

- عزل الخليفة علي والي مصر عبد الله بن أبي سرح الذي سار الى عسقلان ومات فيها .. واستقل محمد بن أبي حذيفة بولاية مصر ، لكن الخليفة علي عين قيس بن عباد الانصاري عام ٣٧ هـ ، ثم لم يلبث أن عزله بسبب تهاونه في قتال أهل « خربتنا وفيهم بسر بن أرطاة ومعاوية بن حديج وغيرهم كثير من وجوه العرب العثمانيين » ، وجاء محمد بن أبي بكر خلفاً لقيس ، لكن الامور تطورت بسرعة ، وجاء عمرو بن العاص على رأس جيش من الشام فقتل محمد بن أبي بكر

(١) المصادر : الكامل لابن الاثير ٣ - ٨ - ٣٤ - ١٩٧ - ابن خلدون ٢ - ١٢٩ و ٣ -

١٠ - ٩ - فتح مصر والمغرب ٢٦٢ - ٢٦٤ . الاستيعاب ٣ - ١٠٧٦ .

وسيطر على مصر ، وأتبعتها للخليفة معاوية ، وفي عام ٤٠ هـ قتل الخليفة علي ، وانتهى الحكم للامويين .

- كان من نتيجة الانقسام بين العرب توقف اعمال الفتوحات إلا من بعض العمليات الصغرى ، ومن هذه العمليات :

- توجيه حملة بحرية عام ٣٦ هـ قوتها مائتي مركب بقيادة عبد الله بن قيس وذلك لغزو صقلية .

- قيام عقبة بن نافع عام ٣٩ هـ ، بقيادة اهل مصر لغزو الروم بجزراً ..
- وعندما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة وجه معاوية بن حديج الى افريقية سنة ٤١ هـ فكانت هذه غزوته الثانية ، وكان معه عبد الملك بن مروان ، تقدم معاوية بن حديج يبيشه حتى وصل بنزرت ففتحها وصالح اهلها .

ب - عقبة بن نافع ، وفتوحه ما بين ٤١ - ٤٥ هـ :

بقي عقبة بن نافع قائداً لحامية برقة فترة طويلة ، بدأت عام ٢١ هـ ، وبقي حتى عام ٤١ هـ ، وكان بقاءه فترة طويلة في هذه المنطقة خير مساعد له لاكتسابه خبرة جيدة بطبيعة المنطقة جغرافياً وبشرياً ، علاوة على ما كسبه من خبرات بقتاله مع عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ومعاوية بن حديج السكوني ، ولهذا كان على معرفة تامة بما يجب عليه عمله عندما عينه عمرو بن العاص سنة ٤١ هـ لولاية افريقية ..

- انطلق عقبة يبيشه الى « قبائل لواتة » اكبر بطون البربر ، وكانوا قد نقضوا العهد ، فتنحيت قبائل لواتة عن « طرابلس » فقاتلهم عقبة قتالاً ضارياً وألحق بهم الهزيمة فطلبوا الصلح ، ولكن عقبة رفض صلحهم وقال لهم :

[انه ليس لمشرك عهد عندنا - والله عز وجل يقول في كتابه : كيف يكون للمشركين عهد . ولكن ابايعكم على انكم توفوني ذاتي ، ان شئنا اقررناكم وان شئنا بعناكم ..]

— بعد انتصار عقبة على « لواتة » توجه مباشرة للقضاء على تمرد « هوارة »
وهذه بدورها أيضاً من أشهر قبائل البربر، فقاتلهم ونجح في تزييقهم واخضاعهم .
— وفي عام ٤٣ هـ ، افتتح عقبة غدامس وأباد القوات المضادة .
— وفي عام ٤٣ هـ ، افتتح عقبة كوراً من السودان ، واثخن في تلك النواحي
وكان له فيها جهاد وفتوح، وبذلك امكن إعادة الاستقرار والأمن الى « افريقية » .

ج — بيزنطة تعرض على الثورة المضادة :

— عندما بلغ ملك الروم أن أهل افريقيا صالحوا المسلمين بذلك المال الذي
اعطوه للمسلمين غضب عليهم وبعث بطريقاً اسمه في تواريخ الروم « نيسيفور »
او نففور Nicephore ، حتى يأخذ منهم مثل ذلك ، فنزل قرطاجنة ، وأخبرهم بما
جاء له فأبوا وقالوا [قد كان ينبغي له أن يسعدنا فيما نزل بنا ..] فقاتلهم
الطريق وهزمهم وطرد الملك « جناها - اوهباها - Jenaha - Habahia
خليفة جرجير ، فهرب « جناها » ولحق بالشام ، وقد اجتمع الناس على معاوية
ابن ابي سفيان فاستجاشه على افريقية ^(١) . وشكا اليه ما ناله من صاحب قيصر .

د — ابن حديج مرة ثالثة في افريقية - معركة الأجم :

الأجم - « العجم » - كانت معروفة أيام البيزنطيين باسم « Thisderas »
كمركز حربي ممتاز ، وكواحدة من « الليمات » والمواقع الحصينة التي
اعتمدها البيزنطيون للدفاع عن حدودهم ^(٢) .

— قرر الخليفة معاوية بن ابي سفيان توجيه ضربة قوية للنفوذ البيزنطي في
افريقية ، فجهز جيشاً قوته عشرة آلاف مقاتل لتدمير القوة البيزنطية ، وأسند
قيادته الى رجل عرف افريقية وعرفته وهو معاوية بن حديج السكوني . .
وقاد ابن حديج جيشه نحو افريقية ، وقد ضم هذا الجيش جماعة من الصحابة

(١) الاستقصا ١ - ٦٨ - ٦٧ - الاصابة ٦ - ١١١ . البلاذري ٢٣٧ . .

(٢) المجلة العسكرية ٢ - ١٠ - ٣ - ٧٤ الصادرة عن الادارة السياسية في سوريا .

والتابعين ، منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الملك بن مروان ، وذلك سنة ٤٥ هـ ، وكانت هذه المرة الثالثة التي يقود فيها ابن حديج عمليات هجومية في افريقية ..

— عندما وصل الجيش الى مصر توفي « هبانيا » ولم يقدر له العودة الى ملكه ، وتابع ابن حديج تقدمه وكانت افريقية تضطرم ناراً حتى وصل « قمنونية » — في موضع القيروان — فتوقف واخذ يجمع المعلومات عن خصمه ..

— كان ملك « سبيلة » على رأس ثلاثين الف مقاتل وجههم القيصر من القسطنطينية في البحر لمدافة العرب المسلمين عن افريقية ، وعندما علم ملك سبيلة بتقدم العرب المسلمين دفع قواته الى « الأجم » وتحصن بها ..

— توجه ابن حديج بجيشه الى « الأجم » واصطدمت قواته بالقوات البيزنطية ، وبعد معركة قاسية نجح ابن حديج في انتزاع النصر وتدمير قوات خصمه تدميراً تاماً ..

٥ - استثمار الظفر :

— كان النصر الذي حققه معاوية بن حديج في ميدان القتال نصراً حاسماً ، فقد نجح في تحطيم قوات تنفوق عليه بمعدل ثلاثة الى واحد ، علاوة على انها كانت تخوض معركة دفاعية في حين كان معاوية يخوض معركة هجومية ، وأسرع معاوية لاستثمار هذا النصر ..

[فبث السرايا ودوخ البلاد فبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة فافتتحها ، وبعث رويغ بن ثابت الأنصاري بحراً الى جربة ، وهي جزيرة في تونس قرب قابس كان يسكنها البربر ، فافتتحها ثم عاد ادراجه الى طرابلس الغرب التي كان اميراً عليها ، وبعث عبد الملك بن مروان الى جلولاء في الف رجل^(١)

(١) جلولاء : مدينة شهيرة بافريقية الشالية وهي غير جلولاء العراق ، تقع في تونس بينها وبين القيروان اربعة وعشرون ميلاً ، وبها آثار وبراغ من أبنية الأول .

فحاصرها أياماً فلم يصنع شيئاً، فانصرف راجعاً فلم يسر الا يسيراً حتى رأى في ساقية الناس « المؤخرة » غبواً شديداً فظن أن العدو قد طلبهم فكر جماعة من الناس لذلك وبقي من بقي على مصافهم ، وتمرع سرعان الناس « وهم جماعة الفرسان الخفيفة » فاذا مدينة جلولاء قد وضع حائطها فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها وانصرف عبد الملك الى معاوية بن حديج الذي وزع الغنائم . . قال عبد الملك بن مروان : وأخذت لقرمي ولنفسى ستمائة دينار ، واشترت بها جارية [(١)] .

– استقر معاوية بن حديج بعد ذلك في جبل (القرن) – وسلات حالياً – واحتفر بها آباراً حملت اسم « آبار حديج » خارج باب تونس منحرفة عنه الى الشرق . وتابع مهمته التوجيهية ، فظهر الاسلام في البربر ثم عاد الى مصر بعد أن استقر في القرن ثلاث سنين ، وخلف في افريقية آثاراً حسنة . .

٣ – المد الكبير

أ – الفتوح ما بين عام ٥٤٦ – ٥٦٢ :

– كان لاستقرار الوضع دوره في حفز القادة لتطوير عملياتهم القتالية ، وتحقيق الاستقرار ، فانطلق عقبة بن نافع ومعه بسر بن أرطاة وشريك بن سمي المرادي في اتجاه الجنوب مستفيداً من العمليات التي كان يمارسها معاوية بن حديج في القضاء على ثورة القبائل المتمردة . .

– علم عقبة بن نافع ان (مغداش) و (ودان) (٢) قد رفضتا ما كانتا تلتزمان بتقديمه وفق معاهدتهم مع بسر بن أرطاة عام ٥٢٣ هـ . .

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٦٢ . الاستقصاء ١ - ١٦٩ - ١٧٠ . البلاذري ٢٣٧ . الاصابة ٦ - ١١١ .

(٢) ودان : مدينة قديمة من مدن البربر الجنوبية ويتبعها زلة وهون وسوكنة وما جاورها ويطلق على الكل بلاد ودان ، وتقع ودان في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس بمسافة ٧٦٩ كم تقريباً والى جنوب « سرت » بمسافة ٢٨٠ كم تقريباً .

- في عام ٤٦ هـ ، وصل عقبة بن نافع بجيشه الى «مغداش» (١) من «سرت» (٢) ففتحها ، وترك قواته واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي ثم سار بنفسه وبين خف معه ، اربعمائة فارس واربعمائة بعير وثمانمائة قربة للمياه على كل بعير قربتين ، وتوجه الى ودان ..

- كان أهل « ودان » قد تحصنوا ، وعرض عليهم عقبة الاستسلام ، فأبى أهلها إلا العصيان وعدم الطاعة ، فحاربهم عقبة حتى أخضع البلاد بلداً بلداً وقبض على ملكهم فجدع أذنه فقال : « لِمَ فعلت هذا بي ؟! » فقال عقبة : « فعلت هذا بك أدباً لك ، إذا مست أذنك ذكرتك فلا تحارب العرب ! » واستخرج منهم ما كان بسر بن أرطاة فرضه عليهم ..

- بعد ان انتهى عقبة من اعادة الأمن والنظام الى « ودان » سأل أهلها : [.. هل من ورائكم أحد ؟!] فقيل له « جرمة » (٣) وهي مدينة فزان العظمى .. فسار اليها ثمانى ليال من ودان ، فلما دنا منها أرسل فدعاهم الى الاسلام فأجابوا فنزل منها على ستة أميال ، وخرج ملكهم يريد عقبة وأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راجلاً حتى أتى عقبة وقد لغب ، فتمعب واصابه الاعياء ، وكان ناعماً فجعل يبصق الدم فقال له : لم فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعاً ؟ فقال عقبة : « أدباً لك ، اذا ذكرتك لم تحارب العرب » وفرض عليهم الجزية (٤) ..

ووجه عقبة الرجل من يومه ذلك الى المشرق ، ثم مضى على جهته من فوره الى قصور فزان فاقتتحها قصرأ قصرأ حتى انتهى الى اقصاها فسألهم : [هل من

(١) مغداش : بلد قريب من « سرت » في طرابلس الغرب بليبيا .

(٢) سرت : مدينة قريبة مكانها الآن مدينة تونس بشمال افريقيا وكانت محطة للقوافل وسوقاً للتجارة ، وبلغت اوج ازدهارها وعزها ايام ملوك الاغالبة في القرن التاسع الميلادي .

(٣) جرمة : اسم قصبه بناحية فزان ، وكانت عاصمة فزان ايام الفتح الاسلامي .

(٤) فتوح مصر والمغرب ٢٦٢ . الاستقصاء ١ - ٧١ .

ورائكم احداً؟ ..!] قالوا نعم أهمل « خاور^(١) » وهو قصر عظيم على رأس
 المفازة في وعورة على ظهر جبل وهو قصبة كوار^(٢) ، فسار اليها خمس عشرة
 ليلة فلما انتهى تحصنوا ، فحاصرها شهراً فلم يستطع لهم شيئاً ، فمضى أمامه على
 قصور كوار فافتتحها حتى انتهى الى اقصاها وفيها ملكها فأخذه فقطع أصبعه
 فقال : لِمَ فعلت هذا بي ؟ قال : [أدباً لك حتى اذا انت نظرت الى اصبعك
 لم تحارب العرب ..] فسألهم : [.. هل من ورائكم أحد ؟ ..] واجابه الدليل
 ليس عندي بذلك معرفة ولا دلالة فانصرف عقبة راجعاً ، فمر بقصر « خاور »
 فلم يعرض له ولم ينزل بهم ، وسار ثلاثة ايام ، فأمنوا ، وفتحوا مدينتهم ..

أقام عقبة بكان اسمه اليوم « ماء فرس » ولم يكن به ماء فأصابهم عطش
 شديد ، أشفى منه عقبة واصحابه على الموت ، وجعل فرس عقبة يبحث يديه
 في الأرض حتى كشف عن صفاة ، فانفجر فيها الماء ، فجعل الفرس يمص ذلك
 الماء فأبصره عقبة فتأدى في الناس ان احتفروا فحفروا سبعين حسيماً^(٣) فشرّبوا
 واستقوا ، فسمي لذلك « ماء فرس » .

— رجع عقبة بعد ذلك الى خاور من غير طريقه التي كان أقبل منها ، فلم
 يشعروا به حتى طرقتهم ليلاً فوجدتهم مطمئنين قد تمهدوا في أسراهم فاستباح
 ما في المدينة من ذرياتهم واموالهم وقتل مقاتلتهم ..

— انصرف عقبة بعدها راجعاً فسار حتى نزل بموضع « زويلة » اليوم ثم
 ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر وقد جَمَت خيولهم وظهورهم .

— عندما أنهى عقبة فتح المناطق الصحراوية وأخضع القبائل المتمردة وضع
 مخططه متابعة العمليات على المحور الساحلي ، فسار متوجهاً الى المغرب وجانب

(١) خاور : مدينة كبيرة جنوبي فزان بليبيا .

(٢) كوار : كذا في الاصل ، ذكرت في معجم البلدان كلوار ، وهي كورة جنوب فزات

مركزها خاور .

(٣) الحسي : البئر قليل العمق .

الطريق الأعظم وأخذ الى أرض مزاتة فافتتح كل قصر بها ثم مضى الى صفر^(١) فافتتح قصورها وقلاعها .. وبعث خيلاً الى « غدامس » فافتتحها ولما رجعت هذه القوة من الفرسان سار الى قفصة^(٢) فافتتحها ، ثم افتتح مصطيلية^(٣) ثم انصرف الى القيروان بعد أن أنهى عملياته في الحدود « التونسية » ..

ب - « القيروان » قاعدة متقدمة للعمليات :

كان معاوية بن حديج قد اختط القيروان في موضع القرن وعندما وصل اليه عقبه ودرس موقعه لم يعجبه لأسباب عديدة منها :

١ - كان يرغب في بناء القيروان ان تستند الى الجبل حتى تستفيد من صعوبته للحماية ..

٢ - وكان يرغب دفع المدينة في اتجاه الصحراء ، اذا لم يتحقق الشرط الأول نظراً لما يعرفه العرب من اساليب حرب الصحراء وتوافقها مع طبيعتهم ..

٣ - وعلاوة على ذلك فقد كان عقبه يرغب في ابعاد « القيروان » عن المدن والمناطق المأهولة بالسكان للمحافظة على الأمن .

وتظهر الحوافز التي دفعت لبناء قاعدة متقدمة من خلال حديثه الى قادته وجنده حيث قال لهم :

[... ان افريقية اذا دخلها امام اجابوه للاسلام فاذا تركها رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا مدينة تكون عزاً للاسلام الى آخر الدهر ..]

- واتفق الناس على ذلك ، وأن يكون اهلها مرابطين قرب البحر ليم لهم الجهاد والرباط ، وقال لعقبه بعض اصحابه :

[قربها من البحر ليكون اهلها مرابطين ..] واجابهم [اني اخاف ان

(١) صفر : اسمها الحالي صفرو مدينة في شمال المغرب ، في قلب جبال أطلس الوسطى .

(٢) مدينة في تونس ، بينها وبين القيروان ثلاثة ايام ، كان لها اهمية كبرى في عهد الرومان .

(٣) تقع في اقصى بلاد المغرب على حدود الصحراء .

يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها ؛ ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها معه صاحب البحر ، لأن صاحب المركب لا يظهر من اللجة حتى يسترة الليل فهو يسير الى ساحل البحر الى نصف الليل ، فيخرج فيقيم في غارته الى نصف النهار فلا تتركها منه غارة ابدأ ، فان كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير ، فأهلها مرابطون ، ومن كان على البحر فهم حرس لهم وهم عسكر معقود الى آخر النهر وميتهم في الجنة] .

- وبدأ البحث عن الموقع المناسب ، وأشرف عقبة وجيشه على الموقع الذي بنيت فيه القبروان فركز رعبه وقال هذا قبر وانكم ^(١) ، وكان وادياً كثير الشجر كثير القطف تأوي اليه الوحوش والسباع والهوام ، واقام ثلاثة ايام وامر الناس بالتنقية والخطط ، واراد عقبة تقرب المدينة من السبخة ، فقالوا له :

[نخاف ان تهلكنا الذناب ويهلكنا بردها في الشتاء وحرها في الصيف]
فقال : [لا بد لي من ذلك ، لأن اكثر دوابكم الابل وهي التي تحمل عسكرنا ، والبربر قد تنصروا ، ونحن اذا فرغنا من امرها لم يكن لنا يد من المغازي والجهاد ونفتح الأول منها فالأول فتكون ابلنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى ..]

(١) تذكر المصادر ان الرجال اجابوا عقبة عندما قال لهم هذا قبر وانكم بما يلي :
(. . .) انك امرتنا بالبناء في شعار وغياض لاتوام ، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك من دواب الأرض . وكان في عسكره خمسة عشر رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر ذلك تابعون ، فدعا الله عز وجل وجعل اصحابه يؤمنون على دعائه ، ومضى الى السبخة وراديها ونادي (ايها الحيات والسباع ، نحن اصحاب رسول الله ، فاطعنوا انا فاذلوت ومن رجدهناه بعد ذلك قتلناه) . ونظر الناس بعد ذلك الى أمر معجب من أن السباع تخرج من الشعار تحمل اشبالها والذئب يحمل جروه والحيات تحمل اولادها ، ونادي في الناس « كفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا » فلما خرج ما فيها من الوحش والهوام وهم ينظرون اليها نزل عقبة الوادي وأمرهم ان يقطعوا الشجر (. . .) المصادر : فتح مصر والمغرب ٢٦٥ - ٦٦ . رياض النفوس ١ - ٦ - ٧ . اسد الغابة ٣ - ٤٢٠ - ٢١ . الكامل لابن الأثير ٣ - ١٨٤ .

- كان مع عقبة عشرة آلاف فارس ، وانضم اليه من أسلم من البربر ، فكثرت جمعه ، وبدأ العمران عام ٥٠ هـ ، واستمرت عملية البناء خمسة اعوام ، ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان الجديدة .. وكان محيطها ثلاثة آلاف وستمائة باع ، فأصبحت المدينة عسكراً للمسلمين وأهلهم وأموالهم يأمنون من ثورة تكون من اهل البلاد ، فقوي جنان من هناك من الجنود وثبت الاسلام فيها ، وكان عقبة في اثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين ، وصارت القيروان مدينة كبيرة وعاصمة الاسلام في المغرب .

- أصبحت افريقية في هدوء بعد اضطراب وفي أمن بعد خوف وفي سلم بعد حرب ، وبدىء العمل لبناء قاعدة متقدمة يمكن الانطلاق منها نحو آفاق اكثر اتساعاً للتوغل غرباً ومتابعة الفتوح لكن أحداثاً طرأت على الموقف وكان لها دورها في مسيرة الأحداث ..

- في عام ٥٥ هـ ، أصدر معاوية بن ابي سفيان أمره بتعيين مسلمة بن مخلد الانصاري على مصر وافريقية ، مكافأة له على موافقه المؤيدة لعثمان والامويين ، ووفاء بحقه عليه . وعمل مسلمة على عزل عقبة بن نافع عن ولاية افريقية وتعيين ابو المهاجر دينار بديلاً له ، وقيل لمسلمة : [لو أقررت عقبة فان له جزالة وفضلاً] فقال مسلمة : [ان ابا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل فنحن نحب أن نكافئه] ، وهكذا لم يعزل معاوية او مسلمة عقبة عن افريقية لرغبة أو تقصير .

وتوجه ابو المهاجر الى افريقية ، وألقى القبض على عقبة فسجنه وأوقره حديداً حتى أتاه كتاب معاوية بن ابي سفيان بتخليه سبيله وإشخاصه اليه .. سار عقبة الى الشام ، وعاتب معاوية فاعتذر معاوية اليه ..

- في عام ٦٢ هـ ، توفي مسلمة بن مخلد .. وشعر يزيد ان الموقف في مصر

وافريقية سيتفاهم خطورة فقال: [ادر كوا افريقية قبل ان يخربها ابو المهاجر ..]
واصدر امره باعادة تعيين عقبة لولاية افريقية ..

ج - ابو المهاجر وأعمال الفتوح :

- خلال الفترة ما بين ٥٥ - ٦٢ هـ ، تولى ابو المهاجر دينار ولاية افريقية ،
وقام بمجموعة من الاعمال القتالية التي أوصلت المد العربي الاسلامي حتى
الجزائر « المغرب الاوسط » .

- عندما وصل ابو المهاجر (افريقية) كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه
عقبة بن نافع ، ومضى عن القيروان حتى خلفها بميلين فابتنى ونزل ، واخذ في
تنظيم جيشه والاستعداد للمعارك المقبلة ..

- كانت قرطاجنة عاصمة الروم - بيزنطة - في شمال افريقية ، وكانت سيطرة
الروم لازالت قوية على الساحل الشمالي لافريقية ما بين بنزرت (١) وطنجة ،
وكان هذا الوجود البيزنطي مصدر قلق العرب المسلمين باستمرار نظراً لما كان
يقوم به هذا الوجود من تحريض على الثورة المضادة ، ومن تأمين مجال حيوي
للبيزنطيين في القسطنطينية ، فوضع ابو المهاجر هدفه الاول لضرب النفوذ
البيزنطي والهجوم على قرطاجنة (٢) .

- تحرك ابو المهاجر بجيشه حتى هدفه الأول فوجد أن قرطاجنة قد تحصنت
بالأسوار العالية و تحصنت ، فشدد ابو المهاجر عليهم الحصار ، وعرفت الحامية
المدافعة عن المدينة في المسلمين تصميمهم على الاستمرار في الحصار ومتابعة القتال
حتى النصر ، فعرضوا على المسلمين الصلح ، واشترط ابو المهاجر لقاء الصلح جلاء
الحامية المدافعة عن « شبه جزيرة شريك » . وذلك لأن الروم كانوا يستخدمون
موقع شبه الجزيرة لحشد قواتهم ، وكان لها ايضاً أهمية كبرى كقاعدة متقدمة

(١) بنزرت : مدينة بينها وبين تونس يومان أما طنجة فيبها وبين سبتة مسيرة يوم واحد .

(٢) المصادر : فتوح مصر والمغرب ٦٦٦ - الاستقصا ١ - ٧١ .

وكمركز مراقبة يمكن بواسطته حماية قوة العرب المسلمين العاملة على المحور الساحلي . وقبل الروم شروط ابو المهاجر وتم عقد الصلح بين الطرفين ..

- وضع ابو المهاجر [هدفه الثاني] الاستيلاء على (ميلة) (١) نظراً لموقعها المتوسط بين المغربين الأدنى والأوسط، وأهميتها بالتالي لمراقبة واستطلاع تحركات البربر والروم . وعندما أنهى ابو المهاجر استعداداه توجه غرباً مع محاذاة الساحل . ولم يعترض تقدمه مقاومه تذكر حتى وصل (ميلة) فوجد الروم والبربر وقد تحصنوا بها وامتنعوا وراء أسوارها . وضرب أبو المهاجر حصاراً دقيقاً حتى اتاحت له الفرصة ففتحها . واستقر فيها ، وأخذ ينشر الدعوة الاسلامية بين القبائل البربرية ويشرح لها اسس الدين وتعاليمه ونجح في اجتذاب عدد كبير من افراد هذه القبائل طوال فترة السنتين اللتين قضاها في «ميلة» .

- وأصبح [الهدف الثالث] عند أبو المهاجر . هو الاستيلاء على تلمسان (٢) .
- كان كسيه ابن لمزم الأوربي زعيم قبيلة «أوزبة» قوي الشخصية وكانت قبيلته من اكبر القبائل في المغربين الأدنى والوسط . وعندما علم كسيه أن أبا المهاجر قد وصل ميلة واستقر بها . انطلق الى البربر يدعوهم لحرب العرب واجلائهم عن افريقية . واجتمعت كلمة البربر تحت قيادته ، ودعمه الروم البيزنطيون واخذ كسيه في الاستعداد للحرب وجعل من تلمسان مقراً له .

- لم ينتظر أبو المهاجر قيام كسيه بالهجوم على قواته ، فتحرك بجيشه حتى وصل «تلمسان» حيث التقت قوات العرب المسلمين بجيش كسيه . ودارت رحى معركة طاحنة . قاتل فيها جيش كسيه بعناد وضراوة وصبر جيش العرب المسلمين حتى استطاعوا انتزاع النصر ، وأمكن لهم تمزيق قوات خصومهم وأسر

(١) ميلة : مدينة صغيرة بأقصى افريقية الى الجنوب الشرقي من بجاية وبينها ثلاثة ايام (خسین ميلا تقريباً) معجم البلدان ٨ - ٢٢٦ .
(٢) تلمسان : مدينة بالمغرب كان اسمها «أقادير» وتقع على بعد مرحلة من وهران . معجم البلدان ٢ - ٤٠٩ .

كسيلة حيث حل الى ابي المهاجر الذي احسن اليه ، وأكرمه وقربه وكان لذلك اثره في نفسية « كسيلة » فأشهر الاسلام واستبقاه ابو المهاجر واستخلصه . ثم تابع ابو المهاجر تقدمه لاختضاع القبائل حتى وصل الى العيون المعروفة بعيون أبي المهاجر حيث صالح القوات البيزنطية والقبائل البربرية - (١) .

— توقف تقدم ابو المهاجر عند حدود « المغرب الأوسط » وقرر العودة الى القيروان — بعد ان حقق منجزات رائعة وفرض سيطرة العرب المسلمين ولأول مرة على منطقة المغرب الأوسط .

عقبة يتابع ثمانية فتوحاته

أصدر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أمره بتعيين عقبة لولاية افريقية ، عام ٦٣ هـ فسار عقبة من الشام الى افريقية مباشرة بقوة عشرة آلاف مقاتل ، وعندما وصل (القيروان) — أخذ ابا المهاجر وحبسه وقيده وأخذ ما معه من الأموال وخرب مدينته وعمر القيروان وعزم على الجهاد فدعا أولاده وقال لهم : —

[.. يا بني ، أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها ، اياكم ان تملأوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن فان القرآن دليل على الله عز وجل ، وحنوا من كلام العرب ما حنني به اللبيب ويدلكم على مكارم الأخلاق ، ثم انتهبوا عما وراءه . وأوصيكم ألا تدينوا ولو لبستم العباء فان الدين ذل بالنهار وهم بالليل فدعوه تسلم لكم اقداركم وأعراضكم وتبق لكم الحرمة في الناس ما بقيتم . ولا تقبلوا العلم من المفرودين المرخصين فيجهلوكم دين الله ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى ، ولا تأخذوا دينكم الا من أهل الورع والاحتياط فهو أملك لكم ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا ..

ثم قال : « عليكم سلام الله ، وأراكم لا ترونني بعد يومك هذا .. »

(١) المصادر : تاريخ المغرب الكبير ٢ / ٣٤-٣٨ . الاستقصا ١ / ٧١-٧٢ . فتوح مصر والمغرب ٢٦٧ .

ثم قال : - [اللهم تقبل نفسي في رضاك واجعل الجهاد رحمتي ودار
كرامتي عندك] .^(١)

أنهى عقبة استمداده القتالي ، ودفع بزهير بن قيس البلوي على مقدمته وسار
بجيشه ففتح حصن ليس - وتابع زحفه لا يدافعه أحد والروم يهربون في طريقه
يميناً وشمالاً حتى وصل (باغاية)^(٢) فحاصرها وقد اجتمعوا بها وقاتلهم قتالاً
شديداً فانهمزوا عنه وقتل منهم قتلاً ذريعاً ، وغنم منهم غنائم كثيرة واحتمى
المنهزمون داخل أسوار المدينة فكره المقام عليهم .

- كانت (تلمسان)^(٣) من اعظم مدائن المغرب وكانت تدافع عنها حامية
قوية ، وانضم الى الحامية الروم والبربر ، فتوجه عقبة لقتالهم وخرج الروم
والبربر للقاءه في جيش كبير ، والتحم القتال حتى ظن المسلمون أنه الفناء ،
ولكنهم صبروا وهاجوا الروم هجوماً عنيفاً حتى الجأهم الى حصونهم وقاتلهم
على أبوابها واصابوا منهم غنائم كثيرة ..

- تابع عقبة زحفه الى بلاد الزاب وكانت (أربة) دار ملكهم واعظم
مدينة لديهم وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة فامتنع بها من هناك
من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال ، فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من
النصارى ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ..

- وصل عقبة في مسيرته الشاقة والطويلة حتى وصل « تاهرت »^(٤) . وكانت

.....

(١) رياض النفوس ١ - ٢٢ .

(٢) يطل جبل أراس على باغاية .. وباغاية الغين معجمة وألف وباء ، مدينة كبيرة في أقصى
افريقية بين بجاية وقسنطينة . معجم البلدان ١ - ٣٢٥ .

(٣) تلمسان : مدينة بالمغرب اسمها القديم : أقادير ، على بعد مرحلة من وهران . معجم
البلدان ٢ - ٤٠٩ .

(٤) تاهرت : اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب . معجم البلدان ٢ - ٣٥٤ .

المصادر : الكامل لابن الأثير ٤ - ٤٢ والاستقصا ١ - ٧٢ .

حاميتها من الروم قد استجدت بالبربر فأغاثوهم وأنجدوهم وكثر جمعهم فقام عقبة في الناس خطيباً وقال :

[.. أيها الناس : ان أشرافكم وخياركم : بايعوا رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان على من كفر بالله إلى يوم القيامة وهم أشرافكم والسابقون منكم إلى البيعة ، باعوا أنفسهم من رب العالمين بيمينته ببيعة رابحة ، وأنتم اليوم في دار غربة ، وإنما بايعتم رب العالمين وقد نظر اليكم في مكانكم هذا ، ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلباً لرضاء واعزازاً لدينه فأبشروا ! فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ان شاء الله تعالى . وربكم عز وجل لا يسلمكم ، فالتقوم بقلوب صادقة فان الله عز وجل جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه والله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ..]

والتقى المسلمون بأعدائهم وكانت معركة طاحنة في تاهورت اظهر فيها المسلمون من الصبر بقدر ما أظهر خصومهم من عناد ، وتفوق المسلمون بإيمانهم على تفوق عدوهم وكثرة عدده ، ونجحوا في انتزاع النصر وانهزم الروم والبربر وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم .

- تابع عقبة زحفه حتى وصل طنجة فحاصرها واستنزل ملكها ليليان أمير غمارة^(١) فنزل على حكمه ولاطفه وهاداه .

- اراد عقبة بعد ذلك اللحاق بالجزيرة الخضراء من عدوة الأندلس فقال له ليليان : -

[.. أنترك كفار البربر خلفك وترمي بنفسك في بحبوبة الهلاك مع الفرنج ويقطع البحر بينك وبين المدد ؟ فقال عقبة : - وأين كفار البربر ؟ فقال ببلاد - السوس - وهم أهل نجدة وبأس . قال عقبة وما دينهم ؟ قال ليمس

(١) جاء في تاريخ المغرب الكبير ٢ - ٤٤ ان ليليان الغماري من البربر في حين ذكر في فتح العرب للمغرب ١٩٢ انه قوطي من اسبانيا وهو الأصح على ما يذكره مؤرخو الأندلس .

لهم دين ولا يعرفون أن الله حق وإنما هم كالبهائم . وكانوا على دين الجوسية يومئذ ..]

— كانت (وليلى) الواقعة بازاء جبل زرهون من أكبر مدن المغرب يومئذ فيما بين الثهرين العظيمين « سبو - و - ورغة » وهي المساء اليوم بلسان العامة بقصر فرعون - فتوجه عقبة نحوها وافتتحها عنوة - .

— ثم توجه عقبة الى « درعة ^(١) والسوس » فلقبه جموع البربر فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهمزمت البربر بعد حروب صعبة وقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً وتبعوا آثارهم الى صحراء لمتونة لا يلقاهم احد الا هزموه - .

— وتوجه بعد ذلك عقبة في اتجاه المحيط حتى وصل « آسفي » وأدخل قوائم فرسه في البحر « المحيط الأطلسي » ووقف ساعة ثم قال لأصحابه : -

ارفعوا أيديكم ففعلوا وقال : - [.. اللهم اني لم أخرج بطراً ولا أشراً وانك لتعلم انما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء . اللهم انا معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الاسلام ، فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والاکرام] ثم انصرف راجعاً .

وصل عقبة في طريق عودته الى جبال « درن » وقاتل المصامدة بها فكانت بينه وبينهم حروب قاسية ، وحاصروه بجبل « درن » فنهضت اليهم « جموع زناتة » وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مفداوة - فأفرجت المصامدة عن عقبة وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام ودوخ بلادهم ثم أجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة - أهل اللثام - وهم يومئذ على دين الجوسية ولم

(١) درعة : مدينة صغيرة بالمغرب ، تقع الى الغرب من سجلماسة بأربعة فراسخ « معجم البلدان - » .

المصادر : الاستقصاء ١ - ٧٣ . التاريخ الكامل لابن الاثير ٤ - ٤٣ . رياض النفوس

يدينوا بالنصرانية فأتخن فيهم وانتهى الى « تارودنت » وهزم جموع البربر
وقاتل « مسوفة » من وراء السوس ثم قفل راجعاً .

هـ - تهوذة « المأساة » - ٦٣ هـ - ٦٨٣ م ^(١)

كان كسيلة الأوربي في جيش عقبة قد استصعبه في غزواته هذه - وكان قد
اضطفن عليه صحبته لأبي المهاجر ونكبه وكان يستهين به ويمتنه فأمره يوماً
بسلخ شاة بين يديه فدفعها كهيلة الى غلمانة فاراده عقبة ان يتولاها بنفسه وانتهره
فقام اليها كسيلة مغضباً وجعل كلما دس يده في الشاة مسح بلحيته . والعرب
يقولون ما هذا يا بربري ؟ - فيقول : - هو أجير . فيقول لهم شيخ منهم : -
ان البربري يتوعدكم - وبلغ ذلك أبا المهاجر وهو معتقل عند عقبة فبعث اليه
ينهاه ويقول : -

[كان رسول الله ﷺ يستألف جبابرة العرب وأنت تعمد الى رجل جبار
في قومه وبدار عزه ، حديث عهد بالشرك فستفسده ..]
وأشار عليه بأن يتوثق منه وخوف غائلته . فتهاون عقبة بقوله ...

- وصل عقبة في طريق عودته الى « طبنة » من أرض الزاب وكسيلة اثناء
هذا كله في صحبته . وصرف العساكر إلى القيروان ، أفواجاً متتابعة ثقة منه
بما حققه من الفتوحات . ولم يبق معه الا قليل من الجند لا يزيد على ثلاثائة . فلما
وصل الى « تهوذة » وأراد أن ينزل بها الحامية نظر اليه الفرنجة وطمعوا فيه ،
فراسلوا كسيلة ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها وراسل بني عمه ومن تبعهم من
البربر فاتبعوا أثره . وعلم أبو المهاجر بالأمر فأرسل الى عقبة يقول له :
[عاجله قبل أن يقوى جمعه] . وأسرع عقبة حتى التقى بكسيلة عند

(١) تهوذة : مدينة في جنوب جبال اوراس الى الجنوب الشرقي من مدينة « طبنة » وتبعد
عنها ٥٠ كم تقريباً . وهناك قبيلة من البربر ايضاً تحمل هذا الاسم . معجم البلدان ٢ - ٤٣٨
وتاريخ المغرب الكبير ٢ - ٤٦ .

« تهوذة » وشمر ان نتيجة المعركة لن تكون لصالحه . وبلغه ان ابا المهاجر
يتمثل في قيوده بقول ابو الهجن الثقفي يوم القادسية :

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقياً
اذا قمت عناني الحديد وأغلقت مصارع من دوني تصم المنايا ..

فتأثر عقبة وقال [أطلقوا أبا المهاجر] ثم قال له :

[.. الحق بالقيروان وقم بأمر المسلمين وأنا اغتنم الشهادة] فقال ابو

المهاجر : [وانا اغتنم الشهادة مثلك ..]^(١)

– نزل عقبة والقوة الباقية معه عن خيولهم – وكسروا اجفان سيوفهم –
واندفعوا بايمان وتصميم حتى قتلوا جميعاً وفيهم كبار الصحابة والتابعين –
وقاتل ابو المهاجر في هذه المعركة بشجاعة وعناد حتى استشهد ووقع عدد من
الصحابة في الأسر منهم محمد بن اوس الانصاري ويزيد بن خلف العبسي ونفر
معها ففداهم ابن مصاد صاحب قفصه وبعث بهم الى القيروان .

– جمعت اجداث الصحابة فيما بعد وبني لهم قبور – ثم شيد مسجد لا زال
مزاراً – والواقع [ان المسجد الذي يضم رقاته في المنطقة التي تحمل اسمه
« سيدي عقبة » جنوبي مسكرة ، هو أقدم أثر من فن العمارة الاسلامية في
افريقية ، ويعود الى وقت كانت فيه العمارة لا تزال بسيطة بدائية ..]^(٢) .

– زحف كسيلة بعد الوقعة الى جهة القيروان ان هي دار الامارة بالمغرب
يومئذ وبها جمهور العرب ووجوه الاسلام فبلغهم الخبر وعظم عليهم الأمر –
فقام زهير بن قيس البلوي فيهم خطيباً وقال :

[.. يا معشر المسلمين ، ان اصحابكم قد دخلوا الجنة فاسلكوا سبيلهم او
يفتح الله عليكم ..]

(١) المصادر : التاويخ الكامل لابن الاثير ٤ – ٤٣ . الاستقصاء ١ – ٧٤ . رياض
النفوس ١ – ٢٥ .

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية - بروكلمان - ١ - ١٥٢ .

فخالفه حنش بن عبدالله الصنعاني لما علم انه لا طاقة للمسلمين بيا دهمهم من أمر البربر - ورأى النجاة بمن معه من المسلمين أولى - ونادى في الناس بالرحيل الى مشرقهم . فاتبوه الا قليلاً منهم وبقي زهير في أهل بيته فاضطر الى الخروج وسار إلى برقة فأقام بها مطلاً على المغرب ومنتظراً المدد من الخلفاء .

- اجتمع الى كسيلة جميع اهل المغرب من البربر والفرنجية [ودفعه هؤلاء الفرنجية لينظم بالاتفاق مع الحاميات البيزنطية الباقية في البلاد المقاومة ضد العرب]^(١) ، فعظم أمره ، وتقدم الى القيروان فاستولى عليها في المحرم سنة ٥٦٤ هـ . وفر منها بقية العرب فلحقوا بزهير ، ولم يبق بها الا أصحاب الذراري والأثقال . فأمنهم كسيلة وثبتت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي بها من العرب خمس سنين . وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وفتنة الضحاك بن قيس مع مروان بن الحكم بمرج راهط من أرض الشام وحروب آل الزبير فاضطرب أمر الخلافة بالمشرق . واضطرب المغرب ناراً ، ونشبت الردة في « زناطة » و « البرانس » الى أن استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة ، وأذهب آثار الفتنة من المشرق فالتفت الى المغرب وتلافى أمره - .^(٢)

٤ - معركة « مَمَس » ، ٥٧١ - ٦٩٠ م^(٣)

أ - الوضع العام :

أصيب المسلمون بخيبة أمل مريرة بعد معركة « تهوذة » وكان مقتل عقبة بن نافع قد ترك جرحاً عميقاً في النفوس لا سيما وان تواققت هذه النكسة قد جاء مع

.....

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية - برر كلمان - ١ - ١٥٢ .

(٢) الاستقصاء ١ - ٧٥ . الكامل لابن الأثير ٤ - ٤٣ .

(٣) مَمَس ، أر ممشن كما جاء في ابن الأثير ، وتقسع في هضبة الى الجنوب الشرقي من جبال أوراس .

- الكامل لابن الأثير ٤ / ٤٣ - ٤٤ . الاستقصاء ١ - ٨١ . فتح العرب للمغرب

٢١٣ - ٢٢٧ ر ٢٦٢ - ٢٦٤ .

انتكاسة اخرى تمثلت في انقسام الجبهة الداخلية بعد وفاة يزيد بن معاوية .
- عانى العالم العربي الاسلامي من التمزق والاضطراب طوال الفترة ما بين عام ٦٣ هـ و ٦٨ هـ ، حتى انتهى الأمر الى عبد الملك بن مروان الذي استطاع اخاد الفتن والقضاء على الثورات واعادة جمع شمل الأمة وتوحيدها - وعندما تم له ذلك أصبح في وضع يسمح له باعادة فرض سيطرة الدولة وتعزيز مكانتها .
- أفادت بيزنطة من هذا المناخ - فوجهت قواتها واحتلت بعض مدن «الشام» وفي الوقت ذاته دعمت حركة المقاومة في افريقية بقيادة « كسيطة » وكانت لجهود « قسطنطين الرابع » ملك بيزنطة دور حاسم في اعادة بناء الدولة ودعمها وتقويتها في جميع المجالات - .

- أراد عبد الملك بن مروان دعم قوة العرب المسلمين في افريقية ، وتقليص نفوذ الروم واستعادة ما كان عقبة بن نافع قد فتحه ، وأخذ في البحث عن قائد يستطيع الاضطلاع بهذا العبء وتساءل في مجله : - [فقال : - من لأمر مثل عقبة ؟ ..]

واتفق الاجماع على زهير بن قيس البلوي فأرسل اليه عبد الملك أمراً باستئناف اعمال القتال ومتابعة اعمال الفتوح - .

- كان زهير بن قيس - قد بقي على رأس الحامية المدافعة عن برقة منذ مأساة تهودة ، وخلال هذه الفترة امكن له جمع معلومات عن خصمه وتابع دراسة الموقف انتظاراً للفرصة المناسبة التي يستطيع فيها الانتقام لمقتل عقبة بن نافع والأخذ بالثأر من قاتله « كسيطة » . وعندما وصله أمر عبد الملك - أسرع بالاجابة وكتب رسالة الى الخليفة ضمنها تقديره للموقف مقارناً بين قوة عدوه وكثرة عدده مقابل ضعف اعداد المقاتلين من العرب المسلمين -

- عند ذلك - أرسل عبد الملك بن مروان يستنفر أشرف العرب ليحشدوا اليه الناس من الشام وأفرغ عليهم أموال مصر - فسارع الناس الى الجهاد، واجتمع

منهم خلق عظيم ، فأمرهم أن يلحقوا بزهير فلما وصلوا إليها خرج بهم الى افريقية بعد أن أعاد تنظيمهم . -

- انطلق زهير بن قيس بجيشه بعد أن أكمل استعداداته الادارية ، ووضع مخططاته ، وتقدم حتى وصل « قلشانة » الواقعة على مسافة قريبة من القيروان ، وذلك استعداداً للمعركة الحاسمة . -

ب - خطة كسيلة

- عندما بلغ « كسيلة » زحف العرب المسلمين بقيادة زهير بن قيس ، أخذ في الاستعداد للقتال - وجمع اليه قاداته من الروم والبربر وشاورهم في الأمر وقال لهم : -

[.. ارى ان ننزل بـ « ممس » لئلا يركبنا من بالقيروان فنهلك لأن بالقيروان خلقاً كثيراً من المسلمين ، ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قتلنا زهيراً ان يشب هؤلاء وراعنا ، فاذا نزلنا « ممس » أمناهم وقاتلنا زهيراً ، فان ظفرونا بهم تبعناهم الى « طرابلس » وقطعنا أثرهم من افريقية ، وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا ، كما ان الماء بـ « ممس » كثير ..] .

- ووضح من ذلك أن مخطط كسيلة اعتمد المعطيات التالية : -

١ - إطالة خطوط مواصلات زهير بن قيس وعزله عن قاعدة عملياته .
٢ - جر العرب المسلمين الى المعركة في منطقة معادية بكاملها لهم - حتى ينقطع عنهم كل دعم .

٣ - استنزاف قوة العرب المسلمين في منطقة بعيدة ثم القيام بهجوم عام ضدهم وانتزاع افريقية كلها من قبضتهم اذا أمكن ذلك .

٤ - الانسحاب من المعركة الى الجبل - اذا ما انتصر العرب - والاستمرار في حرب الاستنزاف واشعال الثورة المضادة .

٥ - الافادة من منطقة العمليات وما يتوفر فيها من موارد حياتية .

- وتنفيذاً لهذه الخطة - توجه « كسيلة » بجيشة الكبير الى « مَمَس » وأخذ في حشد قبيلته من « البرانس » ومن الالهم من جموع البربر والروم .

ج - المعركة الحاسمة

- توفرت المعلومات عند زهير عن تحرك « كسيلة » الى « مَمَس » فتوقف في ظاهر القيروان مدة ثلاثة أيام أفاد منها زهير لتنظيم قواته وأفادت منها القوات للراحة والاستعداد للمعركة ثم انطلق زهير بعدها فأشرف على معسكر كسيلة في نهاية النهار - .

- في صبيحة اليوم التالي - تقدمت قوات العرب المسلمين وتقدم خصومهم - وحدث اللقاء - وكان لقاء حاراً [.. حيث التحم الفريقان ، ونزل الضر ، وكثر القتل في الجانبين حتى ينس الناس من الحياة .. ولم يزلوا كذلك حتى انهزم كسيلة وقتل ..] .

- لقد كان جيش العرب المسلمين دون جيش خصمه في قوته العددية وكان كسيلة قد حشد قوته لحوض معركة حاسمة - وكان العرب مقابل ذلك مصممون على انتزاع النصر فكانت معركتهم قاسية ، صعبة أظهروا فيها من الصبر والشجاعة بقدر ما أظهر خصومهم من العناد والبسالة - حتى استطاعوا الحاق الهزيمة بخصومهم والانتقام من قاتل عقبة بن نافع .

د - المطاردة - واستئثار النصر - .

- أسرع زهير لاستئثار النصر ، فدفع قواته الخفيفة للمطاردة - ومضى الناس في طلب البربر والروم فلحقوا كثيراً منهم وقتلوهم - وجدوا في طلبهم حتى واد « ملوية » بطنجة في المغرب - . وخلال عملية استئثار النصر - فتح العرب المسلمون مجموعة من التحصينات والقلاع - كما فتحوا مدينة « تونس » وشقنبارية (١) .

(١) مدينة رومانية قديمة اسمها Sicca Vaneria وتسمى الآن مدينة الكف «أوالكاف» .

- استطاع العرب المسلمون في هذه المعارك المتتالية ان يقتلوا عدداً كبيراً من رجال الروم والبربر وان يبيدوا ملوكهم وأشرفهم وفرسانهم ، وانتشرت موجة من الذعر - فلجأ الروم الى قلاعهم وهرب البربر الى الجبال يعتصمون بها وتمزقت عرى التعاون بين الروم والبربر وكانت الخسائر بين قبائل البرانس - و- اوربة ، اكثر من غيرها - ونظراً لتحطم الزعامة في القبائل المذكورة وهي من اكبر القبائل اصبح باستطاعة العرب المسلمون العمل بأمن والانتشار حتى المغرب الاقصى حيث استولوا على مدينة « ويلي » ما بين فاس ومكناس .

هـ - العدوان البيزنطي - .

كانت بيزنطة تتابع مسيرة الأعمال القتالية في أفريقية ، وأرادت اجهاض تلك الانتصارات التي أحرزها العرب المسلمون والقضاء على جيشهم مما يسمح لهم بماودة فرض سيطرتهم على هذا المجال الحيوي .. [.. فخرجوا الى برقة في مراكب كثيرة وقوة عظيمة من القسطنطينية وجزيرة صقلية فأغاروا على برقة واسابوا بها سبياً كثيراً وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قنوم عسكر زهير ، فأمر عسكره بالمسير الى الساحل طمعاً بأن يدرك سبي المسلمين فيستنقذهم ، وأشرف على الروم فاذا هم في خلق عظيم .. (١)

لقي زهير الروم في اربعين رجلا واراد ان يكف حتى يلحقه الناس فقال له فتى حدث كان معه .. جينت ابا شداد ، فقال قتلنا وقتلت نفسك ثم خرج بهم فصادف المدو ، فقرأ السجدة فسجد ومسجد اصحابه ثم نهضوا فقاتلوا فقتلوا اجمعون لم يشذ منهم رجل ، ثم اتى فهد بن كثير المعامري فأزال الروم عن برقة فضبطها (٢) . وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ..

دفن زهير وصحبه بـ « درنة » قريبا من الشاطيء حيث استشهد . وكان

(١) الكامل لابن الاثير ٤ - ٤٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٥ - ٣٩٣ .

خبر المأساة التي نزلت به وبالمسلمين مؤلماً . ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد وكانت مصيبته مثل مصيبة عقبة بن نافع قبله نظراً للمكانة الرفيعة التي احتلها زهير في نفوس المسلمين - .

هـ - القضاء على ثورة الكاهنة وتدمير قوة بيزنطة في قرطاجنة

أ - الوضع العام - .

جاءت أحداث النكسة الجديدة التي أصابت العرب المسلمين واستشهاد زهير ابن قيس البلوي تزيد من عمق المأساة التي أصيبت بها الجيوش العربية قبل ذلك في استشهاد عقبة بن نافع القهري ولتوضح الصورة العامة للموقف في «أفريقية» .

لقد أصبح واضحاً للعرب المسلمين جميعاً أنه ما لم يتم القضاء نهائياً على النفوذ البيزنطي في أفريقية فإن الأمر لن يستقر للعرب وأن بيزنطة لن تتخلى عن مجالها الحيوي في أفريقية والبحر بسهولة ولذا فإن الطريقة الوحيدة لتحقيق الاستقرار هي في تصعيد العمليات برأً وبحراً وتدمير جميع الروابط بين بيزنطة - وأفريقية - .

- وكانت بيزنطة قد أدركت - بعد أن تحررت الشام من قبضتها - أن وجودها وبقائها مرتبط إلى حد بعيد في قوتها البحرية وفي مجالها الحيوي وقدرتها على الاحتفاظ ببعض القواعد البحرية فوق أرض أفريقية وعلى سواحلها - فأعدت بناء قواتها الذاتية ونظمت قواتها المسلحة ضمن حدود مفهوم هذه المنطلقات .

- لقد توافق توقيت أحداث النكسات في أفريقية مع تمزق في الجبهة الداخلية خلال الفترة الأولى من حكم عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦ هـ - فكانت الثورات المتلاحقة سبباً في عدم تمكن الحكم الأموي من تركيز الجهد لتحقيق الاستقرار في أفريقية وكان من أهم هذه الثورات والأحداث : -

سنة ٧٣ - كانت ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز من الثورات القوية التي ناهضت الحكم الأموي ، وتطلب القضاء عليها جهداً كبيراً واستمرت حتى أمكن القضاء عليها سنة ٧٣ هـ .

سنة ٧٦ هـ - ثورة شبيب بن قيس الخارجي الشيباني بالمراق . وقد اشتد ساعد شبيب بالكوفة . ونجح في القضاء على القوات التي وجهها الحجاج ضده وقتل قادة هذه الجيوش على التتابع ومنهم - زائدة بن قدامه الثقفي وعتاب بن ورقاء الخزاعي والحارث بن معاوية الثقفي وأبا الورد النصري ثم طهبان مولى عثمان بن عفان وأخيراً اضطر الى قيادة جيش بنفسه حتى نجح في اخماد الثورة وقتل شبيب .

سنة ٧٧ هـ - ثورة مطرف بن المغيرة بن شعبة في المراق - واعلانه خلع عبد الملك بن مروان مما اضطر الحجاج الى توجيه قوة كبيرة لقمع الثورة والقضاء على مطرف ومطاردته حتى الجبال وقتله .

سنة ٧٩ - انتشر وباء الطاعون في الشام فلم يفر في تلك السنة أحد .

سنة ٨٠ هـ - ثورة عبد الرحمن بن الأشعث في سجستان - وكانت هذه الثورة من أقوى الثورات حتى كادت تهدد وجود الدولة الأموية - وقد خاض الحجاج مجموعة من المعارك ضد ثورة عبد الرحمن بن الأشعث وكانت من المعارك الضارية التي استنزفت طاقات الدولة وامكاناتها - واستمرت هذه الثورة حتى عام ٨٤ هـ . حيث أمكن قتل ابن الأشعث في سجستان .

ب الوضع الخاص

بلغ عبد الملك بن مروان مقتل زهير بن قيس البلوي واصحابه فاشتد عليه وعلى المسلمين ذلك . وسأل أشراف المسلمين عبد الملك أن ينظر إلى أهل أفريقية ويؤمنهم من عدوم ويبعث الجيوش إليهم فقال عبد الملك :-

[.. ما اعلم احداً أكثر بأفريقية من حسان بن النعمان الفصاني ..]

وجيز عبد الملك جيشاً ووجهه إلى مصر كما كتب إلى حسان بن النعمان أمر تعيينه لولاية أفريقية - وكان مما كتبه له :-

(.. اني اطلقت يدك في اموال مصر ، فأعط من معك ومن وود عليك واعط الناس ، واخرج الى بلاد أفريقية على بركة الله وعونه ..)

أمضى حسان عام ٧٤ هـ في الاستعداد للمعركة وتنظيم القوات وبلغ عدد جيشه ٤٠٠٠ مقاتل .

- كان حسان أول قائد من الشام دخل افريقية وكان جيشه أكبر جيش جهز للفتح فلم يدخل أفريقية قط جيش مثله .

- عندما أنهى حسان استعداداته ، غادر مصر وتوجه إلى طرابلس . حيث توقف فيها لاعادة تنظيم القوات وجمع المعلومات ووضع مخطط العمليات - وخلال توقفه « في طرابلس » انضم إليه المسلمون من الأفارقة فعين لقيادتهم هلال بن ثروان اللواتي - وهو أول قائد افريقي يتولى مركزاً قيادياً - كما انضمت اليه القوات المتفرقة ، فدفع مقدمة له بقيادة محمد أبي بكير وهلال بن ثروان اللواتي - ففتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة دون أن يلقى مقاومة كبيرة . - وتابع حسان بعد ذلك مسيرته بجيشه الكبير حتى وصل القيروان .

ج - الواجب الأول (١) .

كانت « قرطاجنة » دار ملك افريقية . وكان صاحبها من أعظم الملوك قدراً - وبها يؤمئذ من جموع الروم أمم لا تحصى ولم يكن المسلمون قط حاربوها وفتحوها عنوة بل كانوا يحاصرونها ويفرضون على أهلها أموالاً أو يقتطعون منها بلاداً مجاورة كما فعل أبو المهاجر دينار عندما اقتطع منها جزيرة شريك ثم يتركونها لأهداف أخرى .

- وضع حسان « هدفه الأول » في تدمير الروابط بين بيزنطة وأهل افريقية وذلك بتدمير قواعد ارتكازهم في الساحل الأفريقي ، وقرر البدء بالهجوم على « قرطاجنة » فتوجه بجيشه ونظم حصاراً دقيقاً حول المدينة وخاض مع الحامية المدافعة عن قرطاجنة معارك ضارية كبد فيها الحامية خسائر فادحة ، وعندما أدرك القادة المدافعين عن المدينة تصميم حسان على فتح المدينة قرروا الانسحاب -

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٤ - ١٤٣ . البيان المغرب ١ - ٢٣ - ٢٤ .

وركبوا في مراكزهم وسار بعضهم إلى صقلية وبعضهم إلى الأندلس ، وفتح حسان المدينة عنوة فسباها وغنم ما فيها وأمر بهدم قرطاجنة وقطع القناة عنها وعاد إلى القيروان .

- علم أهل بوادي « قرطاجنة » وأقاليمها بأمر هروب ملكها عنها -
فأسرعوا بالدخول إليها والاعتصام بها ، وتوجه حسان بجيشه لحصارها ثانية ، واستطاع الجيش العربي الاسلامي اقتحام الأسوار من جديد ، وعمل على إبادة المقاومة ، وأرسل حسان لمن حوالها فاجتمعوا إليه مسارعين خوفاً من عظيم سطوته وشدة بأسه فلما أتوه ولم يبق منهم أحد أمرهم بتخريب قرطاجنة (١) وهدمها ، فهدم المسلمون ما أمكن منها .

- عندما ينس الروم من استخدام « قرطاجنة » قاعدة لهم ، تجمعوا في « صطفورة » (٢) و« بنزرت » (٣) - والتحق بهم من الالام من البربر ، وأخذوا في تنظيم قوتهم استعداداً لجولات أخرى ، وعلم حسان أمر هذا التجمع وعرف أن الروم لا زالوا على شيء من القوة والكثرة ، فقرر تصفية مقاومتهم قبل تزايد خطرهم وسار إليهم وقاتلهم في معارك عنيدة وضارية أظهر فيها الروم من الصمود بقدر ما أظهر العرب من الشجاعة ، واستطاع العرب المسلمون انتزاع النصر وانهزم الروم وكثر القتل فيهم واستولى المسلمون على بلادهم ، ولم يترك حسان موضعاً من بلادهم الا وطمه وخافه أهل أفريقية خوفاً شديداً ، ولجأ المنهزمون من الروم

(١) قرطاجنة : تقع على بعد اثني عشر ميلا من مدينة تونس ، ويسمونها أهل تونس اليوم « الملقية » وكان بينها قرى متصلة عامرة ، وفي هذه المدينة آثار عظيمة وأبنية ضخمة وأعمدة قائمة . معجم البلدان ٧ - ٥٢ .

(٢) صطفورة : بلدة من نواحي أفريقية . معجم البلدان ٥ - ٣٥٦ .

(٣) بنزرت : مدينة في تونس بينها وبين مدينة تونس يومان وهي مشرفة على البحر . معجم البلدان ٢ - ٢٩٢ .

إلى مدينة « باجة »^(١) فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة « بونة »^(٢) فعاد حسان إلى القيروان لأن الجراح قد كثرت في أصحابه ، فأقاموا بها حتى صحوا .

د - الواجب الثاني « معركة نيني »

فشل محاولة القضاء على ثورة الكاهنة .

بعد مجموعة الانتصارات التي حققها حسان بن النعمان على قواعد الروم ، أصبح باستطاعته توجيه قواته للقضاء على حركات التمرد التي تزعمتها الكاهنة . - بعد مقتل كسيطة ، انتقلت زعامة البربر إلى « جراوة » من قبائل البربر الكبيرة وكانت هذه القبيلة تدين بالطاعة والولاء للملكة تخبر قومها بأشياء من الغيب حتى « لقبت بالكاهنة » . - وكان للكاهنة من قوة الشخصية ماساعدها على فرض ملكها وامتداد سلطانها على البربر دون منازع . - وكان للكاهنة بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم ، واعتزت على قومها بهم وبسا كان لها من الكهانة فانتهت اليها رئاستهم ووقفوا على اشارتها^(٣) .

قرر حسان بن النعمان القضاء على ثورة الكاهنة ، فنظم قواته ، وانطلق بجيشه حتى وصل « مجانة »^(٤) فنزل بها وكانت قلعة لم تفتح فتحصن بها الروم فمضى حسان وتركهم وبلغ الكاهنة أمره فزحفت من جبل « أوراس » في عدلا يحصى حتى نزلت مدينة « باغاية »^(٥) واخرجت من بها وهدمتها ظناً منها أن حسان يريد حصنها ليتحصن به منها . - وعندما علم حسان بما فعلته

(١) باجة : بلدة بأفريقية تعرف بـ « باجة القمح » لوفرة محصولها من القمح . معجم البلدان ٢ - ٢٥ .

(٢) بونة : مدينة حصينة بأفريقية تقع على البحر . معجم البلدان ٢ - ٣٠٩ .

(٣) الاستقصاء ١ - ٨٢ . فتح مصر والمغرب ٢٧٠ .

(٤) مجانة : بلدة بينها وبين القيروان خمس مراحل . معجم البلدان ٧ - ٣٨٦ .

(٥) باغاية : بلدة بين مجانة وقسنطينة . معجم البلدان ٢ - ٤١ .

الكاهنة سار بجيشه الى وادي « مكناسة »^(١) وبحث عن موقع يتوفر فيه الماء والمواد الحياتية وقال لأصحابه: (.. دلوني على ماء يسع العسكر الذي أنا فيه..). فمالوا إلى نهر « نينبي »^(٢) فنزل عليه وزحفت إليه الكاهنة حتى أتت أسفل النهر فنزلت عليه . فكان حسان يشرب هو وأصحابه من أعلاه وتُشرب هي وأصحابها من أسفل النهر ودنا الطرفان من بعضهما فأبى حسان أن يقاتلها آخر النهار وأبى أن يقاتلها بالليل وبات الفريقان على مصافهم . فلما أصبحوا زحف بعضهم على بعض فاقتتلوا قتالاً شديداً وعظم البلاء وظن المسلمون أنه الفناء فانهمز حسان بعد بلاء عظيم وقتل من العرب خلق كثير فسمي ذلك اليوم [يوم البلاء] وسمي النهر الذي التقوا عليه [نهر البلاء ..] فاتبعته الكاهنة بمن معها حتى خرج من حد « قابس »^(٣) فأسلم إفريقية ومضى على وجهه وأسرت من أصحابه ثمانين رجلاً منهم خالد بن يزيد العبسي . وكان رجلاً مذكوراً فأحسنت إسامم .

- عندما فصل حسان من « قابس » كتب إلى أمير المؤمنين يخبره بما نزل بالمسلمين من الكاهنة - فكتب إليه أمير المؤمنين : -

(.. قد بلغني امرك وما لقيت وما لقي المسلمون ، فانظر حيث لقيت كتابي هذا .. فأقم ولا تبرح حتى أمري ..)

فلقبه الكتاب وهو نازل بمكان يقال له اليوم قصور حسان، فبنى هناك قصراً لنفسه ونزل قصوراً من حيز برقة فسميت « قصور حسان » وكانت (أنطابلس)^(٤)

(١) مكناسة : بينها وبين مراكش اربع عشر مرحلة نحو المشرق وهناك مدينة مشهورة اخرى يقال لها مكناسة الزيتون - حصنة - في طريق المار من فاس الى سلا على شاطئ البحر .
معجم البلدان ٨ - ١٣٣ .

(٢) نينبي : نهر كبير في افريقية . معجم البلدان ٨ - ٣٦٩ .

(٣) قابس : بين طرابلس وصفاقس على ساحل البحر . معجم البلدان ٧ - ٢ .

(٤) أنطابلس : مضافاً بالرومية الخمس مدن . معجم البلدان ١ - ٣٥٣ .

(ولوبية) (١) (ومراقبة) الى حد (أجدابية) من عمل حسان فأقام بعمل برقة
خمس سنوات (٢) .

٦ - القضاء على ثورة الكاهنة واستعادة قرطاجنة ٨١ - ٨٢ هـ

أ - الوضع العام

حدثت معركة « نينى » ومأساة يوم البلاء على يد الكاهنة عام ٧٦ هـ -
وتوقف جيش العرب المسلمين قريباً من « سرت » حيث بنيت قصور حسان
وذلك بانتظار الدعم ثم استأنف حسان بن النعمان الفسافي عملياته عام ٨١ هـ .
وبين التاريخين خمسة أعوام حدثت خلالها تطورات كبيرة في موقف كل طرف
من الاطراف المتصارعة فوق رمال افريقية وسهولها وجبالها وشواطئها .

ب - الكاهنة

الكاهنة من قبيلة جراوة من زناتة وهي القبيلة التي احتلت زعامة البربر في
جبال الأوراس - واسم الكاهنة « داهيا بنت ماتيا بن تيفان » احرقت السحر
والكاهنة واستخدمت ذكائها بمهارة حتى فرضت طاعتها وكان زوجها ملكاً على
الأوراس - في الجزائر - ثم توفي الزوج وترك للكاهنة ثلاثة أبناء صغار أوصى
لهم بالملك وقامت الكاهنة مقامهم . ونجحت في فرض زعامتها على البربر جميعاً
وعززت مكانتها بانتصارها على حسان في معركة « نينى » حتى لم يبق لها في
أفريقية كلها معاند أو معارض .

عندما انتصرت الكاهنة على حسان تابعت مطاردته حتى أخرجه من
أفريقية ولم تحاول الاستمرار بعد ذلك في المطاردة على نحو ما فعل « كسيلة »
من قبل . ولم تحاول الكاهنة أيضاً الإساءة إلى العرب المسلمين في القيروان بعد

(١) لوبية : ليبيا

(٢) الاستقصاء ١ - ٨٢ . فتح مصر والشرب ٢٧٠ . الكامل ابن الاثير ٤ - ١٤٣ .

أن استخلف عليهم أبا صالح ، وعادت الكاهنة بعد المطاردة إلى قاعدتها في « الأوراس » .

- ثم حسنت الكاهنة معاملة الأسرى للعرب - وبصورة خاصة إلى خالد ابن يزيد حيث تبنته (١) وجعلته كواحد من أولادها الثلاثة - .

- أما معاملة الكاهنة لقومها للبربر فكانت على النقيض من ذلك ، حيث أخذت بأساليب الظلم والإساءة والاضطهاد ضد أبناء جلدتها وقد حاولت الكاهنة تنظيم جبهة مضادة للعرب المسلمين لكن كثيراً من قومها عارضوها في ذلك وقد أخذت أعداد ضخمة منهم تعتنق الاسلام ديناً لها وكانت هذه المعارضة سبباً في حمل الكاهنة على اتباع مزيد من العنف والشدة فانتشر الاضطراب وسادت الفوضى في البلاد - حتى فكر كثير من البربر في طلب النجدة من العرب واستدعائهم - (٢) .

- توفرت المعلومات عند الكاهنة عن عزم العرب المسلمين على معاودة الفتح، فجمعت أنصارها وأتباعها - وقررت تطبيق سياسة [الأرض المحروقة] فقالت لهم :-

ان العرب انما يطلبون من أفريقية المدائن والذهب والفضة ونحن انما نريد منها المزراع والمراعي ، فلا نرى لكم الا خراب بلاد أفريقية كلها حتى يياس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها إلى آخر الدهر ، ووجهت قومها الى

(١) جاء في البيان المغرب ١ - ٢٧ : كان عدد أسرى العرب المسلمين ثمانين رجلاً منهم خالد بن يزيد العبيسي وكان رجلاً مذكوراً فأحسنت اسارهم ، الا خالد بن يزيد وكان أذكر من كان مع حسان فعبيته عندهما ثم عمدت الى دقيق شعير مقلو فأمرت به فلت زيت والبربر تسمى ذلك « البسيبة » وقالت لخالد « ما رأيت في الرجال اجمل منك ولا اشجع وأنا اريد ان أرضعك فتكون أختاً لولدي » فعمدت الى دقيق الشعير الملتوت بزيت وجعلته على نديبها ودعت ولديها وقالت (كلامه على نديبي ، ففعلنا) فقالت قد صرتم اخوه ، وكانت الكاهنة من جماعة البربر لما رضاع اذا فعلوه يتوارثون بينهم .

(٢) الكامل لابن الاثير ٤ / ١٤٣ . فتح مصر والمغرب ٢٧٠ .

كل ناحية يقطعون الشجر ويهدمون الحصون فذكروا أن أفريقية كانت ظلماً واحداً من طرابلس حتى طنجة وقرى متصلة ومدائن منتظمة حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات ولا أوصل بركات ولا أكثر مدائن وحصوناً من إقليم أفريقية والمغرب ، فخربت الكاهنة ذلك كله ، وخرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق كثير مستغيثين بما نزل بهم من الكاهنة فتفرقوا على الأندلس وسانر الجزائر البحرية .

- تركت سياسة الكاهنة عقابيل سيئة انمكست على قوة « الكاهنة » .
- فقد أخذ البربر المسلمون يتحينون الفرصة للانعتاق من سلطة الكاهنة .
- وأخذت اعداد كبرى من البربر والروم في النزوح إلى الأندلس وصقليا .
- وكان من نتيجة « سياسة الأرض المحروقة » حرمان البربر من مواردهم الحياتية فتمزق البربر وأخذوا يبتعدون عن الكاهنة .

- لقد أضر هذا العمل التخريبي بقضية الكاهنة ضرراً عظيماً حيث أخذت أصوات التأييد للكاهنة تنقلب ضدها وأخذت المعارضه تنتظم في صف واحد مناوئة لها ، ولم يعد باستطاعة الكاهنة ممارسة الدور القيادي الذي كانت تمارسه قبلاً والذي مكنتها من توحيد البربر في مجابهة العرب المسلمين والانتصار عليهم .

ج - بيزنطة^(١)

توافق حكم عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦ هـ (٦٨٥ - ٧٠٥) م حكم ثلاثة من ملوك بيزنطة الأقوياء وهم جستينيان الثاني ٦٦ - ٥٧٦ هـ (٦٨٥ - ٦٩٥) م وليونيتوس ٧٦ - ٧٩ هـ (٦٩٥ - ٦٩٨) م وتيسير الثالث ٧٩ - ٨٦ هـ (٦٩٨ - ٧٠٥) م - وقد اتبع هؤلاء الأباطرة الثلاثة سياسة واحدة بالنسبة لأفريقية وهي العمل على إحباط كل محاولات عربية لانتزاع افريقية وتحريرها من سيطرة الروم .

(١) تاريخ المغرب الكبير ١ / ٨٧ وفتح العرب للمغرب ٢٥٢ - ٢٥٤ .

– كان احتلال «قرطاجنة» وتدميرها من قبل حسان بن النعمان بمثابة ضربة قوية لنفوذ بيزنطة وخططاتها وعندما علمت بيزنطة بهزيمة حسان في معركة «نيني» أخذت في تجهيز قوة كبيرة لاستعادة قرطاجنة وأسندت قيادة هذه القوة إلى قائد عرفت فيه بيزنطة القوة والكفاءة وهو البطريرق يوحنا PATRICIUS JEAN وأعد امبراطورية في تلك الفترة «ليوتوس» حملة بحرية وأسطولاً كبيراً لنقل المقاتلين إلى أفريقية .

– وفي عام ٥٧٨ م – وصلت هذه القوة البحرية إلى «قرطاجنة» وهاجمت المدينة التي لم تكن هناك حامية قوية للدفاع عنها – فلم تصطدم قوة الروم بمقاومة كبيرة. وأخذ جند الروم في طرد العرب المسلمين الذين كان يقودهم أبا صالح .

تميز أسلوب معاملة الروم للعرب المسلمين بالقسوة والوحشية مما أثار حقد العرب المسلمين وعندما بلغ حسان بن النعمان ما فعله الروم وجه وفداً إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يضم أربعين رجلاً من أشرف العرب بهدف اطلاع الخليفة على حقيقة الموقف المتدهور في أفريقية وضرورة توفير الإمكانيات الضرورية لمعاودة الفتوح .

– توقف البطريرق يوحنا عند حدود استعادة قرطاجنة والمدن المجاورة لها – وأعاد بناء الحصون – والمواقع الدفاعية .

– أصبح الموقف في أفريقية على النحو التالي : –
– الكاهنة وتسيطر على الداخل والمناطق الجبلية بداية من الأوراس . –
– الروم – ويسيطرون على الساحل بداية من قرطاجنة مع شريط ضيق في اتجاه الغرب .

د – العرب المسلمون – (١) .

– توقف حسان في المنطقة التي أمره الخليفة عبد الملك بن مروان بالتوقف

(١) الكامل لابن الأثير ٤ / ١٤٤ - ١٤٤ . فتوح مصر والمغرب ٢٧٠ .

عندها من إقليم « برقة » وأخذت فرسان العرب ورجالها تصل تباعاً من قبل أمير المؤمنين ، لكن هذا الدعم بقي محدوداً ولم يكن باستطاعة الخليفة عبد الملك بن مروان إرسال دعم قوي بسبب الفتن والثورات الداخلية . والأوبئة . وأخيراً وفي عام ٨١ هـ - وبعد أربع سنوات من التوقف أرسل الخليفة دعماً قوياً وأصدر أوامره إلى حسان بن النعمان لمتابعة العمليات - .

- كان حسان في حاجة للمعلومات الدقيقة عن أوضاع الكاهنة وقوتها حتى يستطيع تقدير الموقف بصورة صحيحة ، فكلف رجلاً يثق به بمهمة الوصول إلى معسكر الكاهنة والاتصال بخالد بن يزيد الأسير لديها وبلغه الرسالة التالية : -
[... ان حسان يقول لك ما يمنعك من الكتابة إلينا] وبعث حسان مع هذا الرجل بكتاب يستعلم من خالد الأمور فكتب خالد في ظهر كتاب حسان : -
[... البربر متفرقون ، لا نظام لهم ولا رأي عندهم فأطو المراحل وجدد في السير] .

وضع خالد كتابه في خبزة وجعلها زادا للرجل ووجهه بها إلى حسان وكان خالد قد أنضح الخبزة فاحترق الكتاب بالنار فلما كسر حسان الخبزة وقرأ الكتاب الذي كتبه إليه خالد وجده وقد أفسدته النار فقال له حسان :
إرجع إليه - .

- عاد الرجل مرة أخرى إلى خالد بن يزيد ، وأعلمه باحتراق رسالته فكتب خالد إلى حسان رسالة ثانية بما كان قد كتبه إليه وأودع الرسالة قربوس السرج بعد أن حفره ووضع الكتاب وأطبق عليه حتى استوى وخفي مكانه - .
وبذلك استطاع أن يوصل إلى حسان ما يحتاج إليه من معلومات - .

- أخذ حسان في الاستعداد للهجوم ، فنظم قواته استناداً للمعلومات التي أمكن جمعها وسير إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الجنود والاموال . وعندما أنهى حسان تجهيز جيشه وتنظيمه توجه نحو جبال أوراس حيث ملك الكاهنة ومستقرها - .

هـ - مسيرة الأعمال القتالية (١)

- علمت الكاهنة بتقدم جيوش العرب المسلمين فغادرت مقرها في الأوراس ومعها خلق عظيم وذلك في أواخر سنة احدى وثلاثين الهجرية - .

- توقفت الكاهنة في الليل وجمعت أبناءها ومعهم خالد بن يزيد وقالت لهم أنها رأت رأسها مقطوعاً موضوعاً بين يدي ملك العرب الأعظم الذي بعث حسان . وأعلمتهم [... أنها مقتولة من غدها ...] فقال لها خالد بن يزيد : [فارحلي بنا وخلي له عن البلاد ...] فامتعت ورأته عاراً لقومها .

- اقتربت جيوش العرب المسلمين من الكاهنة - فخرجت ناشرة شعرها وقالت : -

[يا بني ! انظروا ماذا ترون في السماء ؟ - فقالوا : -] بزى شيئاً من سحب احمر ، فقالت : - لا ، والهي ، ولكنها رهج خيل العرب [ثم قالت لخالد بن يزيد : - اني انما كنت تبنيك لمثل هذا اليوم ، انا مقتولة . فأوصيك بأخويك هذين خيراً فانطلق فخذ لها اماناً .

- ركب خالد وأبناء الكاهنة ، وتوجهوا إلى حسان . فأخبره خالد بنجرها . وأنها شعرت بقرب نهايتها فوجهت إليك أولادها . فوكل بها من يحفظها وقدّم خالداً على أئنة الخيل .

- كان مع حسان جماعة من البربر استأمنوا إليه ، فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه إثني عشر ألفاً من قبائلهم يجاهدون مع العرب . فأجابوه وأسلموا على يديه ، فعقد لولدي الكاهنة لكل واحد منها على ستة آلاف فارس وأخرجهم مع العرب يجولون في المغرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر - .

- تقدم جيش العرب المسلمين بقيادة حسان حتى وصل قابس حيث لقيه

(١) فتح العرب للمغرب ٢٥٦ - ٢٥٨ . فتوح مصر والمغرب ٢٧١ . الكامل . ابن

الانبر ٤ - ١٤٣ .

أهلها بالأموال والطاعة ، وجعلها عاملاً له ومضى إلى هدفه . -

- والتقى حسان خلال مرحلة التقرب يجمع من الروم فأخذوا يستغيثون به من الكاهنة ويشكون إليه منها وكانت هذه المواقف كلها تؤكد صحة المعلومات عن تمزق قوة الكاهنة .

- تابع العرب المسلمون تقدمهم حتى قفصة ، حيث أعلن أهلها الطاعة ، وتابع العرب تقدمهم إلى قسطنطينة ونفزاوة (١) ، فكان أهل المدينتين أيضاً في استقبال العرب المسلمين. وتخلّى الروم والبرانس وقسم من البتر عن الكاهنة حتى لم يبق في طاعتها سوى نفر قليل من البتر . -

- التقى جيش حسان مع جيش الكاهنة في سفح جبل الأوراس ودارت معركة قصيرة وحاسمة لقي فيها جيش الكاهنة هزيمة منكرة وطارد حسان الكاهنة حتى قتلها في موضع حمل اسمها منذ ذلك التاريخ وعرف ببئر الكاهنة.

- كان مقتل الكاهنة - إيداناً بانتهاء مقاومة البربر حيث لم تلق جيوش العرب المسلمين بعد ذلك مقاومة تذكر . وكانت ثورة الكاهنة بمثابة المقفل الأخير للمقاومة الطويلة التي جابهت العرب المسلمين في فتوح أفريقية . -

و - تصفية قاعدة المدوان « قرطاجنة »

- بعد انتهاء جيش العرب المسلمين بقيادة حسان من القضاء على حركة الكاهنة عاد إلى القيروان في شهر رمضان من عام ٨٢ هـ - بهدف إعطاء الجيش فترة للراحة وإعادة التنظيم ومتابعة الأعمال القتالية لتصفية قاعدة المدوان البيزنطية المتمثلة بقرطاجنة . -

- كان البطريرق يوحنا قد نظم قواته بعد الاستيلاء على قرطاجنة ، فاتخذ من

.....
(١) نفزاوة : مدينة بالمغرب بينها وبين القيروان ستة أيام ، تسير من القيروان نحو الغرب
مجموع البلدان ٨ - ٣٠٣ .

جبال «زغوان»^(١) شمال القيروان خطأً أمامياً للدفاع يمتد حتى جنوب قرطاجنة ، وكانت سيطرة البطريق قد امتدت مع الشريط الساحلي ما بين سوسة وشقبنارية .
- بعد انتهاء مرحلة التنظيم ، شكل حسان مجموعة قتالية بقيادة أبي صالح ودفعه كمقدمة لعملياته في اتجاه القيروان . ووصلت هذه المجموعة حتى حدود جبل زغوان حيث اصطدمت بمقاومة الروم واستمرت المعركة بين الطرفين ثلاثة أيام متتالية دونما تحقيق نتيجة حاسمة فاضطر حسان لقيادة القوة الرئيسية والتوجه إلى القيروان ففتحها صلحاً .

تابع جيش العرب المسلمين تقدمه نحو « قرطاجنة » - فانسحب الروم حتى حدود المدينة وتحصنوا بأسوارها ودارت بينهم وبين العرب المسلمين معركة طاحنة لقي فيها البطريق يوحنا هزيمة منكرة فتراجع إلى قرطاجنة واحتمى بحصونها .

- في الوقت الذي كانت تدور فيه المعارك البرية كان أسطول العرب المسلمين يجابه أسطول بيزنطة ويلحق به هزيمة منكرة ويرغم القطع البحرية البيزنطية على الإنسحاب^١ .

شعر البطريق يوحنا أن الموقف في غير صالحة ، فقرر الإنسحاب من المدينة وجمع جنده وأبلغهم قراره بالإنسحاب على أمل العودة ثانية . وركب جند الروم القطع البحرية التي كانت متوقفة في ميناء « باب النساء » وحمل الجند معهم نساءهم وأولادهم وتسللوا ليلاً إلى عرض البحر متوجهين إلى بيزنطة . ولم يبق في المدينة سوى حاكمها « الملك المسمى مرياف » وأهله وولده .

- اتصل « الملك مرياف » بحسان وأرسل إليه رسالة جاء فيها :

[... هل لك أن تعاهدني في أهلي وولدي ، وأشترط لنفسه ما شئته من المنازل وأسلم لك المدينة ؟]

(١) جبل زغوان : جبل منيف مشرف بالقرب من تونس وفيه قرى كثيرة أهلة . معجم البلدان ٤ - ٣٩٤ .

– ولما كان العرب المسلمون يجهلون أمر إنسحاب الروم من المدينة فقد أجابته حسان إلى ذلك، ودخل بجيشه إلى قرطاجنة فلم يجد فيها غيره وغير ولده وأهله، فوفى له حسان بما أعطاه من العهد – وأقام سرياف مالكا لهذه الأرض وهي الناحية المسماة اليوم بـسرياف في تونس – .^(١)

– بعد هذا الانتصار الحاسم أصبح باستطاعة حسان تركيز الجهد لبناء المجتمع الجديد وتوطيد عرى التعاون بين العرب المسلمين وبين سكان البلاد الأصليين والعمل في الوقت ذاته على تصفية بقية المقاومات الثانوية التي لا زالت منتشرة في أنحاء متفرقة من أفريقية – وتصفية كل جذور النفوذ البيزنطي المحرض الدائم على الثورة المضادة – .

ز - القضاء على النفوذ البيزنطي في البحر^(٢) -

بناء « تونس »

– كانت بيزنطة تستخدم الجزر القريبة من أفريقية كقواعد متقدمة لحشد قواتها ، وأراد حسان بن النعمان تنويع إنتصاراته بالقضاء على سيطرة بيزنطة وتصفية قواعدها البحرية فاستمد عبد الملك بن مروان وطلب دعمه بقوات الأسطول ، وأمدّه عبد الملك بأسطول تحت قيادة عبد الملك بن قطن – .

– توجه أسطول العرب المسلمين وأخذ في تطهير الجزر المتصلة بساحل أفريقية وفتحها حتى لم يبق للروم نفوذ فيها أو سيطرة عليها .

– كانت هذه العمليات البحرية ، وخطر التهديد البيزنطي من الحواجز التي دفعت حسان نحو التفكير لإقامة قاعدة بحرية متقدمة يتم فيها بناء أسطول خاص لعمليات أفريقية نظراً لبعده المسافة الفاصلة بين أفريقية وقواعد الأسطول في الشام ومصر . فيغير بهذا الأسطول على ساحل الروم فيشنلهم بأنفسهم عن الإغارة على أفريقية – .

(١) فتح العرب للمغرب ٢٦٠ - تاريخ المغرب الكبير ٢ - ١٠٥ . البيان المغرب ١ - ٢٩ .

(٢) فتح العرب للمغرب ٢٦٠ - ٢٦٢ . تاريخ المغرب الكبير ٢ - ١١٥ .

- بدأت أعمال الاستطلاع لتحديد موقع مناسب يتم فيه بناء هذه القاعدة البحرية ، ووقع الاختيار على موقع « جنوب قرطاجنة » حيث توجد بلدة قديمة يرجع عهدها إلى أيام اليونان واسمها « ترشيش » يسكنها بعض الرهبان في كنيسة هي كل ما بقي من البلدة التي كانت زاهرة في يوم من الأيام . وكانت أصوات الرهبان في الليل وترجيع عباداتهم تخفف من وحشة المنطقة المقفرة « ومونسها » .

- كانت « ترشيش » موطناً للبربر والروم ، تقع في سفح جبل وتحتل ربوة يحيط بها خندق طبيعي هو كالحصن لها والسور الذي يمنع الأعداء عنها ، والى الشرق من البلدة تقع بحيرة جميلة تلتطف جوها وتزيدها سحراً وأنساً وجمالاً ، وكانت السهول الزراعية تحيط بالبلدة التي نزلها حسان بن النعمان مع جيشه أثناء حصار قرطاجنة فأعجب بمناعة موقعها وجمال مكانها ، وكان بما أعجب العرب المسلمين في موقع « ترشيش » اشرافها على « سبخة » فسيحة لا يفصلها عن البحر غير برزخ صغير ، ذلك ان التمر كز الى الداخل وعند حدود السبخة يجب العرب في سكنى المدينة التي ستقام عنده لأنهم لم يكونوا حينذاك يطمثون كثيراً الى سكنى المدن الساحلية الصرفة ، ثم إن موقعها هذا يجعلها بأمان من غارات الروم المباغتة فيكفي حراسة مدخل السبخة لكي ينذر الحراس اهل المدينة الجديدة الى الخطر قبل وقوعه . وعلاوة على ذلك كله فان الأرض السبخة هي المرعى الطبيعي للإبل سفن الصحراء ، ولخيول العرب ومواشيهم .

- أخذ حسان بن النعمان في تخطيط مدينته الجديدة على أنقاض مدينة « ترشيش » البائدة . وأطلق عليها العرب المسلمون « تونس - أو تونس » لجمالها ولما تدخله من الأنس والبهجة على القلوب .

- بدأت أعمال بناء مدينة « تونس » بحفر قناة عميقة تصلح للملاحة وتصل بين البحيرة والبحر فتصبح تونس ميناء بحرياً تحميه البحيرة الواسعة من أمواج البحر ويتم على ضفاف البحيرة إقامة دار لصناعة السفن بحيث ترسو القطع البحرية وهي بأمان تام من كل عدوان غادر ، أو هجوم مباغت .

- ظهرت خلال أعمال البناء ضرورة الاستعانة بالخبرة الفنية واليد العاملة الماهرة فكتب حسان بن النعمان إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان رسالة يطلب فيها دعمه بنفر من أهل مصر لإنشاء الميناء وبناء السفن فكتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز - والي مصر حينذاك - لتوجيه ألف قبطي وأهلهم وأولادهم إلى معسكر «تونس» وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا إلى «تونس» كما كتب إلى حسان أن يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر الدهر . وأن يجعل على البربر جبر الخشب لإنشاء المراكب وان يضع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر ، وأن يغير منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القبروان نظراً للمسلمين وتحسيناً لشأنهم ، فوصل القبط إلى حسان وهو مقيم بتونس . فأجرى البحر من دار الصناعة حتى مرس « رادس » [وهي الفرضة الصغيرة على البحيرة التي تسمى باسم « آدس ADES] وجر البربر الخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة وأمر القبط بعمارتها .

- في عام ٨٥ هـ ، حدث اختلاف بين حسان بن النعمان والي افرقية وبين عبد العزيز بن مروان والي مصر ، فعزل عبد العزيز حسان بن النعمان وامره بالقدوم اليه فعلم حسان ما أراد عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك فعمد إلى الجواهر والذهب والفضة فجعله في قرب الماء وأظهر ما سوى ذلك من الأمتعة وأنواع الدواب والدقيق وسائر أنواع الأموال ، فلما أقدم على أمير مصر ، أهدى اليه مائتي جارية من بنات ملوك الروم والبربر ، لكن عبد العزيز لم يقنع بذلك، فسلمه جميع ما معه من الخيل والأمتعة والوصائف والوصفان ، ورحل حسان بالأثقال التي بقيت له حتى قدم على الوليد بعد وفاة عبد الملك، فشكا له ما صنع به عبد العزيز فغضب الوليد لذلك ثم قال حسان لمن معه ائتوني بقرب الماء . ففرغ منها من الذهب والفضة والجواهر والياقوت ما استغظمه الوليد وعجب من امر حسان فقال له الوليد : جزاك الله خيراً يا حسان فقال :

يا أمير المؤمنين ، انما خرجت مجاهداً في سبيل الله وليس مثلي يخون الله

ولا الخليفة فقال له الوليد : - أنا اردك الى عمك واحسن اليك وأنوء بك ،
فحلف حسان « لا أولي لبني امية ابدأ » .

- وخرج حسان في السنة التالية لغزو الثغور الرومية ، مقاتلاً عادياً ،
ولقي مصرعه .

وهكذا لم يتمكن حسان من إنجاز بناء « تونس » ، وترك اكمال هذا المشروع
الضخم لمن جاء بعده .

- أفاد حسان من فترة الهدوء التي أعقبت القضاء على ثورة الكاهنة وتصفية
قاعدة العدوان البيزنطية « قرطاجنة » فأرسل مفارز الوحدات الخفيفة حتى
وصلت إلى فاس وافتتحها « كما وجه قواته إلى كل موقع فتحقق الأمن
والاستقرار في ربوع أفريقية وكانت الخبرة الطويلة التي اكتسبها حسان بن النعمان
من إقامته في أفريقية مدة اثنتي عشر عاماً افضل معين لمعرفة الطبيعة البشرية
والجغرافية وتحقيق ما أنجزه في أفريقية .

- وكان بناء تونس عملاً مكملًا لبناء القيروان . فأصبحت الأولى ثغراً
بحرياً ، بينما كانت الثانية مركزاً عسكرياً وقاعدة برية متقدمة لقوات العرب
المسلمين .

٧ - - حرب القبائل ٨٦ - ٩٠ هـ

أ - الوضع العام :

- حدث بعد عودة حسان بن النعمان عن أفريقية حركة « ردة جديدة »
ويطلق ابن خلدون هذه الظاهرة بما يلي :

[... ان الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة
والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء ، وان وراء كل رأي منها وهوى
عصبية تمنع دونها فيكثر الانتفاض على البوالة والخروج عليها في كل وقت
وان كانت ذات عصبية لأن كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها بمنعة

وقوة وانظر ما وقع من ذلك بأفريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد ، فان ساكن هذه الأوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم القلب الاول الذي كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الافرنجة شيناً وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثخان في المسلمين فيهم ، ولما استقر الدين عندهم عادوا إلى الثورة والخروج والأخذ بيد الخوارج مرات عديدة .

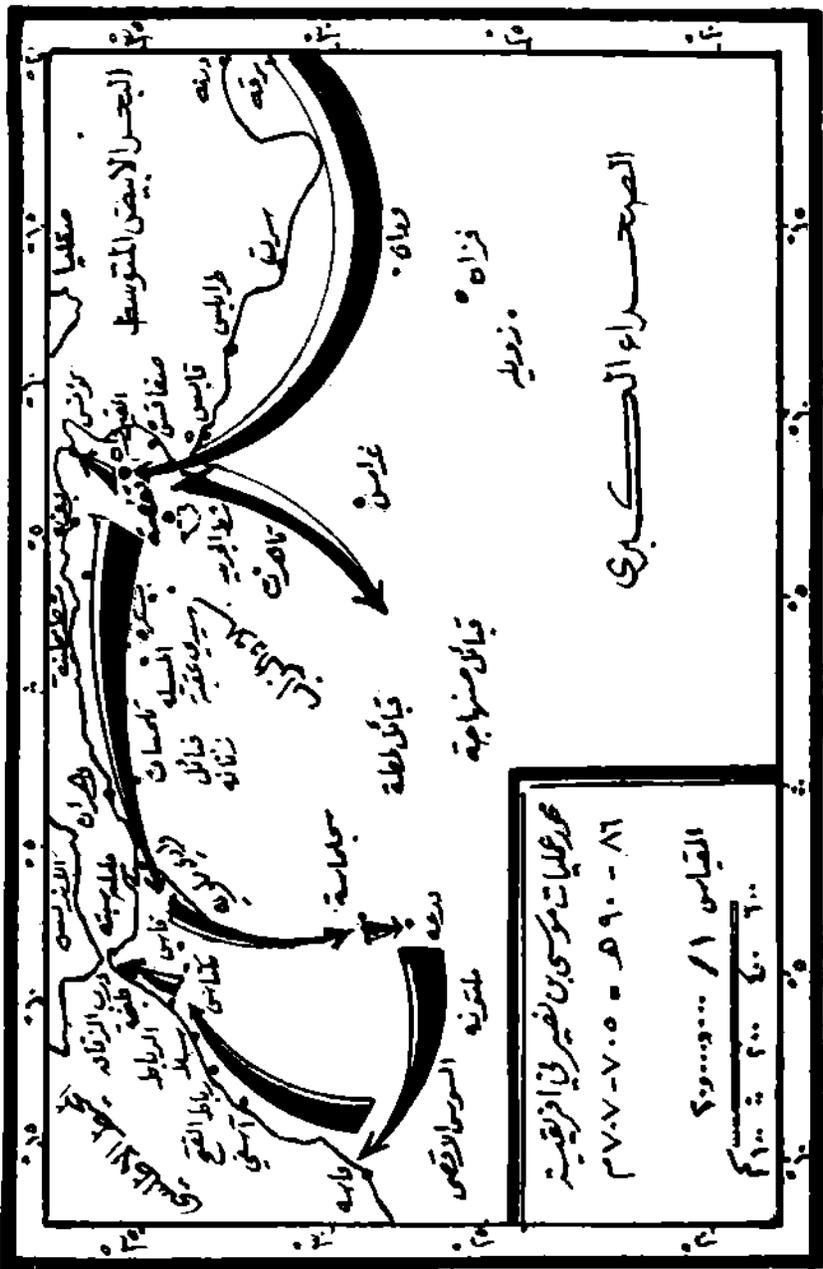
قال ابن ابي زيد : ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم يستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمر [ان افريقية مفرقة لقلوب اهلها] اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الاذعان والانقياد .. [(١)]

في نهاية عام ٨٥ هـ ، تولى موسى بن نصير ولاية أفريقية خلفاً لحسان بن النعمان فوصلها حيث كان فيها ابا صالح ، الذي استخلفه حسان قبل ذهابه إلى دمشق . وبدأ موسى بن نصير أعماله بحشد قواته وإعادة تنظيمها ودراسة الموقف ووضع مخطط عملياته .

— لقد عرف موسى بن نصير التشابه الكبير بين حياة العرب القبلية في الجاهلية والاسلام وبين حياة البربر القبلية خلال أعمال الفتوح وما حدث من تكرار « الردة » فكان أسلوب عمله تقليداً واتباعاً لما قام به الرسول الأعظم من أعمال لإخضاع القبائل العربية وتوحيدها تحت راية الاسلام . وقد أفاد موسى بن نصير من تجربة الخليفة الأول الصديق في غزو الشام والعراق وما كان لذلك من نتائج في ترسيخ جذور الاسلام بين العرب فكان تفكيره في فتح الأندلس .

وقد جاءت نتائج فتح الأندلس بالنسبة لترسيخ جذور الاسلام في افريقية وتوحيد القبائل البربرية مماثلة لما أحدثته فتوح الشام والعراق . ولا حاجة هنا للقول ان فتح الأندلس قد جاء تحقيقاً لهذا الهدف فقط ، لكن هذا الهدف

(١) مقدمة ابن خلدون ٨٠ .



الصحراء الكبرى

محمد عليجات موسى بن نصير في الزرقية
 ٨٦ - ٩٠ هـ = ٧٠٥ - ٧٧٠ م
 القياس ١ /
 ٦٠٠

- هدف تحقيق الاستقرار وترسيخ جذور الاسلام في افريقية وتوطيد الاستقرار -
كان من الحوافز وفي جملة الاسباب التي دفعت المسلمين لاقتحام « الأندلس »
وعبور المضيق .

ب - المرحلة الاولى : تأمين قاعدة الإنطلاق

- أخذ موسى بن نصير في حشد قواته واعادة تنظيمها قبل الدخول في
افريقية وعندما أنجز هذه المرحلة جمع قواته وألقى خطاباً جاء فيه :

[... انما انا رجل كأحدكم ، فمن رأى مني حسنة فليحمد الله ، وليحض
على مثلها ومن رأى مني سيئة فليذكرها فاني اخطيء كما تخطئون واصيب كما
تصيبون ، وقد أمر الأمير : عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، اكرمه الله لكم
بمطاياكم وتضعيفها ثلاثاً ، فخذوها هنيئاً مريئاً ، ومن كانت له حاجة فليرفقها
الينا وله عندنا قضاؤها على ما عز وهان مع الموااة ان شاء الله ولا حول ولا
قوة الا بالله ...]^(١)

- وانطلق موسى بن نصير الى افريقية ، وعندما وصلها وجد ان الاضطراب
قد عاودها فقد مر موقفه ووضع مخطط عملياته ، وألقى خطاباً في جنده جاء فيه :
ايها الناس : انما كان قبلي على افريقية احد رجلين : مسلم يحب العاقبة
ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب ان يسم ، او رجل ضعيف
العقيدة قليل المعرفة راض بالهويني وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر ،
واحسن النظر وخاض الفمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو
ويسلم دون ان يكلم او يكلم ويبلغ النفس عنرها في غير خرق يريده ولا عنف
يقاسيه متوكلاً في حزمه جازماً في عزمه مستزيداً في علمه مستتيراً لأهل الرأي
في احكام الراي متحنكاً بتجاربه ليس بالمتجانبن اقحاما ولا بالمتخاذل احكاماً ،

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٦١ - ٦٣ .

ان ظفر لم يزد الظفر الا حذراً وان نكب اظهر جلادة وصبراً راجياً من الله
حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى : (ان العاقبة
للمتقين) اي الحنرين ..]

وبعد .. فان كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الأقصى ويترك عدوا
منه ادنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العودة ويكون عوناً عليه عند
النكبة - و ايم الله - لا ايم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله ارفعها
ويدل امنها ويفتحها على المسلمين بعضها او جميعها او يحكم الله لي وهو خير
الحاكمين ..]^(١)

- استقر موسى بن نصير في قاعدة عملياته في القيروان ، ووضع مخططه
موضع التطبيق بهدف تأمين قاعدة العمليات فنظم ثلاثة مجموعات قتالية كالتالي :

١ - مجموعة قوتها خمسمائة فارس بقيادة عبد الملك بن حنشين بمهمة تطهير
جبل زغوان القريب من تونس والواقع على مسافة مسيرة يوم كامل من القيروان
والقضاء على المتمردين .

٢ - مجموعة قتالية بقيادة ابنه عبد الله بن موسى بمهمة تطهير بعض جيوب
المقاومة في افريقية .

٣ - مجموعة قتالية بقيادة ابنه مروان بن موسى بمهمة تطهير بعض جيوب
المقاومة ..

وانطلقت المجموعات الثلاثة ، ونجحت في اباداة المقاومات واستسلمت مجموعات
كبيرة فاخذت أسرى ، وكان عدد الأسرى يزيد على كل ما أمكن اعتقاله حتى
قيل ان خمس الأسرى بلغ ستون ألفاً .. واذا كان لذلك دلالة فهو في تصميم
موسى بن نصير على تمزيق المقاومة مرة واحدة والى الأبد ..

.....
(١) الامامة والسياسة ٢ - ٦١ - ٦٣ .

ج - التامين البحري لافريقية :

غزوة الأشراف^(١)

- بعد أن وطد موسى بن نصير أسس قاعدة عملياته في القيروان أراد تأمين حرية العمل حتى لا تستطيع بيزنطة التأثير على مسيرة أعماله القتالية ، وذلك بإنشاء أسطول بحري قوي يعمل مباشرة لحماية السواحل الافريقية .. ولهذا قرر اكمال المشروع الذي بدأه حسان بن النعمان فتابع بناء مدينة « تونس » وعمل على تطوير دار الصناعة وأصبح لديه قوة مائة مركب ..

- في نهاية عام ٨٥٥ هـ ، وبداية ٨٦٦ هـ ، أصدر موسى بن نصير أوامره الانذارية ، التأمب لركوب البحر ، وأعلم المقاتلين انه راكب بنفسه [فرغب الناس وتسارعوا فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب الفلك ، فعقد موسى لواء هذه الغزوة لابنه عبد الله بن موسى وولاه عليهم وأمره ١٠٠]

- لقد أراد موسى عندما أعلن عن ركوبه بنفسه البحر دفع المقاتلين أفضلهم والناس أشجعهم لهذه الغزوة ، التي سميت غزوة الأشراف لما ضمنه من الأشراف الأبطال ، وعندما انتهت الاستعدادات وجه موسى هذه القوة المكونة من تسعمائة الى ألف مقاتل لغزو « صقلية » .

- قاد عبد الله بن موسى قوته البحرية حتى وصل صقلية ، وقام بانزال بحري ناجح واستطاع فتح بعض المواقع مع مدينة ساحلية ، وغنم أموالاً كثيرة حتى بلغ سهم الرجل مائة دينار ذهباً ، ثم عاد من غزوته الى تونس دون أن تصلب قواته بخسائر في الأرواح أو المعدات .

- وفي عام ٨٦٦ هـ ، وجه موسى بن نصير مجموعة قتالية اخرى بقيادة عياش ابن أخيل بمهمة الهجوم على صقلية مرة أخرى ، فشتا عياش في البحر ووصل جزيرة صقلية وقام بالانزال على شواطئها وفتح مدينة سرقوسة ثم رجع الى تونس بعد تنفيذ المهمة بنجاح ..

(١) الامامة والسياسة ٧٠ / ٢ - ٧١ .

- بعد أن نجح موسى بن نصير بتأمين السواحل الافريقية من كل تدخل بيزنطي ، وبعد أن أصبح لدى المقاتلين الثقة التامة بقدرتهم على التوغل في فتوحاتهم ، اخذ موسى بن نصير بتطبيق الجزء الثاني من مخططه لاختصاص المتمردين من قبائل البربر ..

د - اختصاص القبائل المتمردة (١) :

- كانت قبائل هوارة وزناتة تتمر كزان في منطقة المغرب الأوسط «الجزائر حالياً» .

- وكانت قبيلة كتامة تتمر كز في «درعة» الواقعة على أربعة فراسخ من سجلماسة .

- وكانت صنهاجة في وادي ملوية في المغرب الأوسط «الجزائر» .

- أما قبائل مصمودة فكانت متمركزة في «أطلس العليا» ..

- وكانت قبائل البتر والبرانس في منطقة طنجة ، في المغرب الأقصى «المغرب حالياً» ..

وضع موسى بن نصير مخطط عملياته على اساس تدمير مقاومات هذه القبائل على التتابع وعدم الانطلاق في العمق قبل تصفية كل مقاومة ..

١ - كانت قبيلة كتامة قد أعلنت ولاءها وتأييدها لموسى بن نصير ووفدت عليه ، فعين لها من يتولى أمورها وأخذ منهم الرهائن ، وحاولت رهون كتامة الفرار الى قبيلتهم فوجه الخيول في طلبهم وأتى بهم ، فأراد صلبهم فقالوا : [لا تعجل ايها الأمير بقتلنا حتى يتبين امرنا ، فان أباهنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف أبدا ونحن بين يديك ، وانت على البيان اقدر منك على استحياننا بعد القتل ..] فأقرهم حديداً وأخرجهم معه الى كتامة وخرج

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٦٢ - ٦٨ ، تاريخ المغرب ٢١٠ - ٢١١ ، البيان المغرب

هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براعتهم واستحياء رهونهم ..

٢ - وجه موسى مجموعة قتالية مكونة من ألف فارس بقيادة عياش بن أخيل بمهمة اخضاع تمرد « هواراة وزناقة » ، وعندما وصلت المجموعة الى مستقر هذه القبائل قامت بهجوم مباغت ، وأبادت المقاومة ، وألقت القبض على الأسرى وعرضت هواراة وزناقة الصلح فصالحهم المسلمون .

٣ - نظم موسى بن نصير مجموعة قتالية مكونة من ستة آلاف مقاتل ، أربعة آلاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعين ، وقادهم بنفسه لقتال صنهاجة والاغارة عليها بهجوم مباغت بعد أن توفرت لديه المعلومات الدقيقة عن عدم استعداد صنهاجة القتالي .

دفع موسى عياض بن عقبة بن نافع لقيادة مقدمته ، وعين لقيادة ميمنته المغيرة بن أبي بردة ، وقاد مسيرته زرعة بن أبي مدرك .. ثم تقدم بقوته حتى وصل وادي ملوية ، وقام بهجومه المباغت فأعمل في « صنهاجة » قتلاً ومن كان معها من قبائل البربر ، وكان قتله لهم قتل الفناء ، وسبى منهم سبياً كثيراً بلغ مائة ألف ، ثم عاد موسى بعدها الى « القيروان » ..

٤ - كانت قبيلة « البرانس » من أكبر قبائل البربر وأكثرها قوة ، وكان ملكهم « كسيلة » هو الذي قتل عقبة بن نافع في « تهودة » ثم قتله زهير بن قيس البلوي ، وكان قسم كبير من « البرانس » يستقر في « سجومة » من المغرب الأوسط .

- قرر موسى بن نصير تصفية مقاومة « البرانس » فنظم مجموعة قتالية من عشرة آلاف مقاتل وأعطى اللواء ابنه مروان بن موسى وعين لمقدمته عياض بن عقبة بن نافع وللميمنة زرعة بن أبي مدرك وللميسرة المغيرة بن بردة القرشي وللأساقفة « المؤخرة » نجدة بن مقسم ..

تقدمت المجموعة القتالية حتى وصلت موقع « سجن الملوك » قريباً من نهر

ملوية ، توقف العرب المسلمون ، وخلف موسى الاثقال في حراسة ألف مقاتل بقيادة عمرو بن أوس ثم تابع المسلمون تقدمهم حتى نهر ملوية ، وكان للنهر في فترة الفيضان .. وتوقف فترة قصيرة ثم خلالها استطلاع النهر وانتقاء موضع للعبور غير ذلك الذي سبق عبور عقبة بن نافع منه ، ثم قام العرب المسلمون بالعبور ووقفوا في مواجهة خصومهم المستعدين للقتال ..

بدأت المعركة بين الطرفين [واقتتلوا قتالا شديداً في جبل شديد لا يصل اليهم الا من ابواب معلومة ، وبعد قتال استمر ثلاثة ايام ، انهزم اهل سجومة ففتح المدينة وقتل ملوكها وأمر اولاد عقبة بن نافع « عياضاً وعثماناً و ابا عبيدة » ان يأخذوا حقهم من قاتل ابيهم ، فقتلوا من اهل سجومة ستمائة رجل من كبارهم ، ثم قال لهم موسى « كفوا ، « كفوا » وقال عياض بن عقبة [أما والله لو تركني ما امسكت عنهم ومنهم عين تطرف] .

٥ - بدأ موسى بن نصير باستئثار الظفر ، والافادة من قوة القاعدة التي أصبح ينطلق منها ، فبدأ مطاردته حتى أخضع القبائل ، هذه التي ارتدت بعد مسير حسان بن النعمان الى المشرق وتلك التي لم تكن قد خضعت قبلاً للمسلمين ، واستمر موسى بن نصير في تقدمه حتى المغرب الأوسط ، وولاية طنجة ، وأخذت القبائل تفر من أمامه متوجهة نحو الغرب فتتبعها عبر « السوس الأدنى » -- ريف طنجة - واستمر في تقدمه حتى وصل « سجلماسة » ووادي درعة .

٦ - بعد تلك الانتصارات الرائعة ، نظم موسى بن نصير مجموعة قتالية مكونة من خمسة آلاف مقاتل بقيادة ابنه مروان ، ووجهها نحو « السوس الأقصى » وبينها وبين السوس الأدنى مسيرة شهرين . وتوجه مروان بن موسى نحو هدفه وأمكن له تحقيق انتصارات كبيرة على المقاومات التي جابهته .

٧ - وفي الوقت ذاته وجه موسى بن نصير مجموعة قتالية أخرى بقيادة زرعة ابن أبي مدرك بهمة اخضاع قبائل المصمودة « من البربر البرانس » . والمتعركة في أطلس العليا . وتوجه زرعة إلى هدفه ، فلم يلق حرباً من المصامدة الذين

استقبلوه باعلان خضوعهم وقدموا له رهائنهم . وأخذ الاسلام ينتشر بين قبائل البربر في أقصى المغرب . وبث موسى فيهم الدين والقرآن وكان يأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن وأن يفقهوم في الدين ، وبذلك لم يبق في أفريقيا من ينازع موسى سوى منطقة طنجة ، ومنطقة سبتة .

٨ - كانت ولاية طنجة تابعة « لجوليان » حاكم سبتة ، وكانت هذه الولاية تضم مدناً كثيرة تتسع لمسيرة شهر ويدافع عنها البربر والروم .^(١)

دفع موسى بن نصير ، مقدمته بقيادة مولاة طارق بن زياد ، وتوجه نحو ولاية طنجة . ولم تلبث المدن والقلاع أن تساقطت تباعاً أمام زحف العرب المسلمين حتى لم يبق سوى مدينة طنجة فحاصرها موسى ودفع مجموعات من الفرسان لعزل المدينة وشدد قبضة الحصار حتى افتتحها وولى عليها والياً وأنزل فيها حامية من المسلمين وجعلها قاعدة متقدمة « قيرواناً » للمسلمين . وعين ابنه مروان قائداً لهذه الحامية المكونة من ألف وسبعمائة مقاتل .

٩ - تابع موسى بن نصير تقدمه في اتجاه « سبتة » واصطدم بقوات « جوليان » وكانت هذه القوات جيدة التنظيم والتدريب والأمداد بحيث لم يتمكن العرب المسلمون من احراز نصر حاسم فقرر ضرب حصار حولها وعزلها ، لكن المقاومة لم تتأثر بسبب تأمين الامداد بحراً من الأندلس فقرر موسى بن نصير إخضاعها لأسلوب الحصار الطويل والتضييق عليها وتنظيم اغارات مستمرة لاستنزاف قدرتها واوكل هذه المهمة لطارق بن زياد بعد أن ترك عنده تسعة عشر ألفاً من البربر بكامل أسلحتهم وعتادهم . كما ترك مع هؤلاء مجموعة صغيرة من العرب المسلمين بمهمة تعليم القرآن وفرائض الاسلام .

١٠ - بعد هذه الفتوحات قرر موسى بن نصير العودة إلى القيروان . وكانت مدينة « مجانة » التي تبعد خمسة أيام عن القيروان لا تزال ممتنعة وفي حال عصيان

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٧٥ - ٢٧٦ . فتوح البلدان ، البلاذري ٢٣٢ .

بعد أن كان بسر بن أرطاة قد فتحها للمرة الأولى. فدفق موسى بن نصير بمجموعة قتالية وأمكن له استعادة فتحها مرة أخرى . وبذلك انتهت عملية إخضاع أفريقية بصورة كاملة .

١١ - تأكدت لموسى بن نصير مرة أخرى ومن خلال الاتصال الوثيق بين مقاومة سبنة وامدادها من اسبانيا ضرورة فرصة السيطرة البحرية لعزل حقل اتصال خارجي وتأمين السواحل الافريقية . فوجه عام ٨٩ هـ مجموعة قتالية بقيادة عبد الله بن مرة بمهمة الهجوم على سردينية « سردانية » وافتتاح مدينتها . وأبحرت هذه القوة نحو هدفها ، ونجحت في تنفيذ واجبها حيث استولت على كميات كبيرة من الذهب والفضة والمواد الأخرى كما أخذت ثلاثة آلاف أسير حملتهم معها الى افريقية .

- وفي السنة ذاتها : ٨٩ هـ ، وجه موسى بن نصير مجموعة قتالية أخرى بقيادة ابنه عبد الله بمهمة احتلال جزيرتي « ميورقة » و « منورقة » الواقعتين بين صقلية وجزيرة « الأندلس » ونجح عبد الله بن موسى بتنفيذ واجبه المحدد له^(١) .
- كان من نتيجة العمليات - في البر والبحر - عزل أفريقية عن المؤثرات الخارجية فتحقق الاستقرار في ربوعها ، وخيم الأمن في ولاياتها . وأصبح بالامكان التنكيز للانطلاق نحو آفاق جديدة .

(١) تاريخ المغرب العربي ٢١٩ . الامامة والسياسة ٢ - ٧٠ - ٧١ .

الفصل الثاني

الفصل الثالث

فن الحرب وفتح افريقية والمغرب

- ١ - الانطلاق من قواعد أمنية .
- ٢ - تحديد الافضليات على مسارح العمليات .
- ٣ - المباغتة .
- ٤ - التنسيق بين العمليات البرية والبحرية .
- ٥ - الاهتمام بالشؤون الإدارية .
- ٦ - الأمن والاستطلاع .
- ٧ - الحرب النفسية .
- ٨ - كفاءة القيادة .
- ٩ - الروح المعنوية وإرادة النصر .
- ١٠ - إقامة علاقات عامة جديدة .
- ١١ - دروس النكسات .

قراءات

- أ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح .
- ب - معاوية بن حديج السكوني .

- ح - عبقة بن نافع الفهري .
- د - أبو المهاجر دينار .
- هـ - عبد الله بن الزبير بن العوام .
- و - بسر بن أرطاة .
- ز - زهير بن قيس البلوي .
- ح - حسان بن النعمان .

فن الحرب وفتح افريقية والمغرب

- بدأت عمليات الجبهة الغربية بفتح مصر عام ٢٠ هـ ، ثم حدث توقف قصير واستؤنفت العمليات بفتح برقة عام ٢٧ هـ واستمرت العمليات بين مد وجزر حتى عام ٩٠ هـ حيث استقر الأمر نهائياً للعرب المسلمين وتوطدت دعائم الاسلام في أفريقية والمغرب وجاء فتح الأندلس تنويحاً لهذه كلها . وخلال هذه الفترة التي استمرت سبعون عاماً تقريباً حدثت تطورات كبرى في فن الحرب عند العرب المسلمين وأمكن ترسيخ القواعد والمبادئ والدروس المستقاة من المعارك المتتالية فأخذت مبادئ فن الحرب تظهر في أقوال القادة وأعمالهم بشكل واضح .

وكان من عوامل هذا التطور :

١ - زيادة حجم القوات المقاتلة . فبينما كان جيش فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص لا يزيد على ثمانية آلاف مقاتل ، ارتفع عدد هذا الجيش أيام عبد الله بن سعد ابن أبي سرح إلى عشرين ألفاً . ووصل إلى أربعين ألفاً في عهد حسان بن النعمان الغساني . وتضاعف هذا العدد بانضمام البربر في عهد موسى بن نصير .

٢ - اتساع مسرح العمليات . فالمسافة بين القيروان والأطلسي تزيد على ألفي كيلومتر ويضاف إلى ذلك العمق الاستراتيجي لهذا المسرح ما بين الساحل والصحراء ، علاوة على هامش الحيطه والأمن ، والمكون من الجزر البحرية في البحر الأبيض المتوسط .

٣ - صعوبة الامداد والتموين على هذا المسرح الكبير للعمليات ، لا سيما عند تحركات قوات كبيرة .

٤ - وجود عناصر مختلفة في جيش العرب المسلمين . مما تطلب وجود أجهزة

قيادية وعناصر قيادية على درجة عالية من الكفاءة. وكانت المساواة والعدالة والقيم الروحية التي جاء بها الإسلام عاملاً حاسماً في إذابة التناقضات بين الأجناس المختلفة . والاقبال من خطورتها كما كان حجم الواجب الثقيل والهدف الكبير الذي حدده الإسلام للمسلمين وواجب نشر الرسالة كافيًا لصهر المؤمنين في بوتقة واحدة . لكن ذلك كله لا يمنع من القول أن وجود عناصر مختلفة وعقليات متباينة قد تطلب كفاءة قيادية لانسطيع إيقاظ الحماسة باستمرار وجعل هذا الهدف الكبير مائلاً أبدأ أمام اعين المقاتلين على اختلاف قبائلهم وأجناسهم .

- لم تكن أعمال القتال في أفريقية والمغرب سهلة ، فقد حدثت نكسات خطيرة ووقعت أحداث ومعارك مأساوية ، وظهرت حركات تمرد عنيدة قد تكون من أبرزها حركة الكاهنة وحركة كسيلة . وأفاد قادة العرب المسلمين من هذه التجارب بقدر ما أفادوا من التجارب الناجحة وتكون من حصاد ذلك كله دروس هامة أبرزت مبادئ فن الحرب بشكل واضح وكان في جملة هذه الدروس ضرورة حشد القوات ، وتأمين متطلباتها الادارية والحفاظ على روحها المعنوية واستعدادها القتالي هذا إلى جانب دراسة موقف العدو وحجم قواته ومعرفة طبيعة الأرض واتخاذ تدابير الأمن والقيام بأعمال الاستطلاع المستمرة . ولعل من أوضح مبادئ الحرب التي ظهرت في أعمال أفريقية ما يلي :

١ - الانطلاق من قواعد أمنية ودفع هذه القواعد باستمرار نحو الأمام .
٢ - تحديد الافضليات على مسارح العمليات وتحديد محور الجهد الرئيسي والمحاور الثانوية ..

٣ - الحرص على تطبيق مبدأ « المباغتة » الزمانية ، والمكانية ، وحجم القوات او اسلوب القتال ..

٤ - التنسيق بين العمليات البرية والبحرية ، ووضع نظرية هامش الأمن وذلك بالسيطرة على لجزر القريبة لابعاد نفوذ بين نقطة عن البحر الابيض المتوسط .

٥ - الاهتمام بالشؤون الادارية ، في حرب الصحراء ..

٦ - الحرس على أمن القوات ، والاهتمام بأعمال الاستطلاع وتقاطع المعلومات .

٧ - العناية بالحرب النفسية ، واستخدامها لخدمة القوات المسلحة .

٨ - كفاءة القيادة ، واختيار مكان القائد الصحيح في مختلف مراحل الاعمال القتالية .

٩ - الاهتمام بالروح المعنوية للمقاتلين ، وتعزيز ارادة النصر لديهم .

١٠ - بناء مجتمع جديد واقامة علاقات عامة فيه .

تلك هي بعض الدروس الواضحة لا كلها . وقد كانت الدروس التي ترجمها القادة والمقاتلون إلى مفاهيم ثابتة هي نواة « فن الحرب » المتطور . وقد يكون من المفيد المرور بها سريعاً لابرار معالمها .

- ان اعادة معالجة هذه المبادئ ، واستعادة ما يستجد عليها من تطورات انما يعزز القول أن معارك العرب المسلمين قد حدثت وفق تنهيج علمي صحيح بعيد كل البعد عن الارتجال والعفوية والبدائية وأن ما أحرزه العرب من انتصارات وما حققوه من فتوحات لم يكن مجرد هجمات سهلة أو اغارات مباغتة وانما نتيجة للارادة الثابتة والتصميم الذي لا يتزعزع لخدمة الهدف النبيل الذي عمل المسلمون له .

- لقد كان عدد المسلمين لا يتجاوز بضعة آلاف ، تزايد عددهم بانضمام من أسلم من أهل الأقاليم فكانت الفتوحات تطبيقاً عملياً لاستراتيجية بقعة الزيت سواء في اكتساب مساحات جغرافية أو في اكتساب مزيد من القوة القتالية .

- وكانت استراتيجية العرب المسلمين تقوم على استخدام المبادأة وعدم تركها لخصومهم أبداً .

وكانت استراتيجية العرب المسلمين تقوم على الهجوم باستمرار . وتطوير الدفاع ليكون هجومياً وأوضح نموذج لذلك الغزوات الاستطلاعية في البر واحتلال الجزر في البحر .

- ومن خلال هذه الاستراتيجية، وتطبيقاتها الناجمة عن تطور فن الحرب الذي يضم الصفحات التالية بعضاً من ملاحظه .

١ - الانطلاق من قواعد أمنية

- لم تكن قواعد جيوش العرب المسلمين مجرد مراكز للإقامة فقط . بل أصبحت مراكز للاشعاع الديني ومناطق للحشد ومعسكرات إقامة استعداداً للحرب .

- عندما فتح العرب المسلمون مصر جعل عمرو بن العاص من «برقة» قاعدة متقدمة ووضع فيها حامية يقودها عقبة بن نافع .

- وعندما تقدم العرب بفتوحاتهم ، جعل معاوية بن حديج السكوني من قموية قاعدة متقدمة للعمليات .

- وجاء عقبة بن نافع فأراد إقامة قاعدة متقدمة داخلية . [ليست ضاربة في الشمال فتكون جبلية ولا ضاربة في الجنوب فتكون رملية] ووقع اختياره على القيروان بهدف :

١ - عزل جيش العرب المسلمين عن السكان للحفاظ على الأمن وسرية المعلومات .

٢ - وضع القوات في وضع استعداد دائم للحرب .

٣ - حتى تكون « محطاً لقوافل المقاتلين ومراحاً لمسكرهم » .

تحطم هيمنة البيزنطيين والتأكيد على أن فتح العرب المسلمين فتحاً دائماً وليس مجرد غارة عابرة مصيرها إلى زوال . [فكانت مدينة القيروان عزاً للإسلام إلى آخر الدهر ..]

وعندما انتهى الأمر إلى حسان بن النعمان القساني ، بدأ ببناء قاعدة بحرية [لتكون مستقراً للأسطول العربي - الإسلامي تنطلق منه في حالتي الدفاع والهجوم فتعبر بهذا الأسطول على ساحل الروم . فيشغلهم بأنفسهم عن الاغارة على أفريقية ..]

وكان الهدف من بناء « تونس » :

١ - إقامة قاعدة متقدمة « برية - بحرية » للانطلاق بعمليات مشتركة .
٢ - إقامة دار لصناعة السفن ، من أجل تمرير القدرة القتالية للقوات البحرية .

٣ - وقاية افريقية من كل هجوم مباغت .

- لم يتمكن حسان بن النعمان من انجاز مشروعه فجهاء عبد الله بن الحجاب أيام هشام بن عبد الملك - أي بعد ثلاثين عاماً من بدء العمل - فأكمل المشروع الضخم الذي بقي خالداً مع الدهر .

- لقد كان قادة العرب المسلمين ينظمون قواعدهم المتقدمة مع الأخذ بعين الاعتبار، الظروف السياسية والمتطلبات العسكرية، والاستراتيجية، والظروف المناخية والحاجات الحياتية والمواقع الجغرافية وهذا سبب خلود قواعد المسلمين وتحولها إلى مدن دائمة وخالدة .

- وكان انجاز هذه القواعد تحطيماً وتنفيذاً من أول عوامل انتصار المسلمين في عملياتهم القتالية . وشاهدنا على تصميم العرب المسلمين و ارادتهم في تفتيش مخططاتهم لنشر الدعوة الاسلامية وتوفير المناخ الملائم لبقائها واستمرارها .

٢ - تحديد الافضليات على مسارح العمليات

كان الخليفة الأموي هو الذي يعطي أفضلية العمليات على الجبهات المختلفة مثل جبهة الشمال مع بيزنطة والجبهة الشرقية في فارس والجبهة الغربية في مصر وافريقية ثم يكرس الخليفة بعد ذلك الامكانات الضرورية لنجاح العمليات .

- أما أفضلية العمل على مسرح العمليات فتعود إلى قائد مسرح العمليات ذاته ووفق تقديره للموقف وتحديد درجة الخطورة . وكان الخلفاء أو ولاة مصر يتدخلون إذا ما تطلب الأمر ذلك ، ولو أن هذا التدخل كان محدوداً وفي إطار الخطوط العامة مثل زج القوات البحرية وتخصيص امكانات إضافية والدعم بقوات احتياطية .

أظهر القادة في فتح أفريقية قدرة على التمييز بين درجات الخطورة واعطاء الأولويات في العمليات . وكان الخطر يتمثل على صورتين :

١ - التدخل البيزنطي المباشر - بانزال القوات - مثل الانزال في قرطاجنة وما نتج عن ذلك من مقتل زهير بن قيس البلوي .

٢ - التدخل البيزنطي غير المباشر ، لدعم الثورات المضادة وحركات التمرد .

- وأظهر بعض القادة كفاءة خاصة في تقدير الموقف العام وتحديد الواجبات المختلفة على نحو ما فعله عقبة بن نافع في المرحلة الأولى من عملياته ومثلها فعله حسان بن النعمان في القضاء على ثورة الكاهنة ثم التحول إلى قرطاجنة وكذلك ما فعله موسى بن نصير في توجيه المجموعات القتالية المختلفة إلى أهداف متباعدة وإبقاء القوة الرئيسية على استعداد تام للعمل والتدخل إذا ما تطور الموقف وذلك خلال المرحلة النهائية من فتح المغرب الأقصى .

- لقد كانت المعلومات المتوفرة بفضل الاغارات الاستطلاعية المستمرة وبفضل البربر الذين دخلوا الاسلام وصدق إيمانهم من العوامل الأساسية في تقدير الموقف السليم واتخاذ القرار المناسب . .

وكانت المرونة في التحركات والسرعة في الانتقال من محور إلى محور آخر من العوامل الحاسمة في نجاح المخططات القتالية . .

لكن المارك بصورة عامة ومقدار النجاح فيها يعود بالدرجة الأولى إلى كفاءة القادة في تحديد محور الجهد الرئيسي والمحاور الثانوية وتخصيص القوات اللازمة للتعامل مع الاهداف المختلفة .

٣ - المباغطة :

- اعتمد القادة العرب مبدأ المباغطة عاملاً أساسياً في أعمالهم القتالية ، وكان تطبيقهم لهذا المبدأ يتوافق مع الظروف ومواقف القتال وأساليب القيادة . .
ف عندما طال أمد القتال بين عبد الله بن سعد وجرجير ملك افريقية عام ٢٥ هـ ،

وبعث الخليفة عثمان قوة دعم سميت «بجيش العبادة» ، عقد القادة مؤتمراً لمناقشة الموقف وطرح عبد الله بن الزبير فكرة مباغته الخصم بهجوم غير متوقع في تاريخه ، ذلك أن أسلوب القتال الذي اتبع بين العرب المسلمين وخصومهم طبق على اساس الاشتباك في المعركة من الساعات الاولى للنهار وحتى الظهيرة ، فاقترح عبد الله بن الزبير تقسيم الجيش الى مجموعتين قتاليتين ، تقاتل اولاهما كالعادة من الفجر وحتى الظهر ثم تنطلق المجموعة الثانية بهجومها عند عودة المجموعة الاولى - وطبق هذا الاقتراح بعد اقراره ، وكانت المباغته عاملاً حاسماً في احراز النصر وكسب معركة «عقوبة» ..

- وعندما بدأ عقبة بن نافع عملياته «في المرحلة الاولى» امتنعت عليه «خاور» وتحصنت بقلاعها ومواقعها الحصينة ، ووجد عقبة ان اطالة امد الحصار سيستنزف من قوته دونما فائدة ، فوضع مخططه على اساس تطبيق مبدأ المباغته فقاد «خاور» وبعد ان قطع مسافات في الصحراء عاد بصورة «مباغته» وقد اطمأن القوم وانصرفوا الى شؤونهم الحياتية ، وكانت مباغته مطلقة نتج عنها فتح قلاع «خاور» وحصونها ..

- واستخدم موسى بن نصير اسلوب المباغته بإرسال مجموعات مختلفة الى اماكن بحيث يشكل ظهور جنود العرب المسلمين مباغته غير متوقعة ، وبهذا الاسلوب ، وبالإفادة من سرعة التحركات والمرونة أمكن له اخضاع الحركات المناوئة وفتح الحصون المنيعه .

- لقد كانت سرعة التحركات والمرونة ، والظهور في اماكن غير متوقعة وتجاوز ألقاؤهم والصحاري ، من الاساليب التي اتبعها قادة العرب المسلمين لتحقيق المباغته المكانية ..

- وكانت مخططات العمليات ، وتنظيم أعمال الهجوم في وقت لا يتوقعه العدو من الاساليب التي طبقها العرب المسلمون لتحقيق المباغته الزمانية .

- وكان اسلوب القادة في حشد قواتهم ، واستخدام المتطوعين من البربر ومن

أسلم منهم ، هي من الأساليب التي استخدمها قادة العرب المسلمين لتحقيق المباغثة في التنظيم والتسليح وحجم القوى وكانت المباغثة من اول المبادئ التي حرص قادة العرب على تطبيقها فكانت في جملة عوامل نصرهم على خصومهم .

٤ - التنسيق بين العمليات البرية والبحرية

أفاد الخلفاء بعد معاوية بن أبي سفيان من تجارب الخليفة الأموي الأول في مجال التنسيق بين العمليات البرية - البحرية ، وأعمال الغزو البحري . وكانت هذه التجارب الرائدة منها " استوعب أبعاده القادة جميعاً . فأخذوا ينظرون إلى البحر الأبيض المتوسط على أنه مصدر خطر التهديد البيزنطي والمجال الحيوي الواجب انتزاعه من أيديهم كما اعتبروا الجزر المنتشرة فيه على أنها هامش الأمن والحياة الواجب السيطرة عليها لتحقيق الاستقرار في سواحل بلاد الشام ومصر وأفريقية والمغرب ..

- ان متابعة سيطرة المسلمين ، على البحر الأبيض المتوسط وأعمال الغزو فيه تظهر الارتباط الوثيق بين تطوير العمليات البرية ، وتوسع النشاط البحري ولقد جاء تطوير دار بناء السفن في الروضة وإنشاء أسطول مصر ضمن هذا المفهوم الذي أصبح جزءاً من عقيدة الدولة القتالية والتي طبقها بنجاح حسان بن النعمان حيث عمل على بناء " تونس " وأنشأ دار الصناعة فيها ونظم أسطولاً مستقلاً لعمليات أفريقية .

- وفي الوقت ذاته أصبح احتلال الجزر المقابلة لشواطئ بلاد العرب المسلمين جزءاً من تدابير الأمن . فكان القادة العرب المسلمون من أول القادة العرب الذين أوجدوا فكرة " هامش الأرض " لكن بمفهوم محدود نسبياً .

لقد بدأ العرب المسلمون احتلال الجزر القريبة من شواطئ الشام بعد أن استقر حكمهم فيها . وعندما تطور الموقف في مصر ، وظهر الأسطول العربي فيها بدأت عملية غزو الجزر الإيطالية واليونانية وأمكن السيطرة على الجزر في وسط البحر الأبيض المتوسط ، ومن هذه الأعمال يمكن ذكر ما قام به معاوية

ابن حديج السكوني حيث غزا قبرص عام ٨٢٧ ثم قام بغزو البحر عامي ٣٦ و ٣٩ هـ وفي عام ٤٦ هـ وجه معاوية قوة بحرية بقيادة عبد الله بن قيس ففتح صقلية وفي عام ٤٩ هـ غزا عقبة بن نافع الروم في البحر واستمرت أعمال غزو القسم الأوسط من البحر الأبيض المتوسط وعندما شيدت تونس ، أصبحت قاعدة لتوقف أسطول مصر الذي يتزود بالتموين والامداد فيها ثم ينطلق في عملياته . وعندما جاء موسى بن نصير ، وأمكن له تحقيق الاستقرار في أفريقية أخذ في التفكير بتأمين أفريقية بحرباً ، ووجه قواته لاحتلال جزر الباليئار مع متابعة غزو السواحل الإيطالية واليونانية ، بحيث يمكن القول أن عمليات الغزو البحري قد سارت متوافقة في جدولها الزمني وفي مسيرة أحداثها للعمليات البرية والتوسع الأرضي وان وصول العرب إلى الأطلسي غرباً قد مهد السبيل للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط بكامله حتى أصبح يعرف باسم « بحر الشام » بعد أن كان يعرف « بالبحر البيزنطي أو بحر الروم » .

– لقد انتهت هذه التجارب بولادة مفهومين واضحين عند قادة العرب المسلمين:
 ١- مفهوم « هامش الأمن » وضرورة السيطرة على جزر البحر الأبيض المتوسط لتحقيق الأمن والاستقرار في بلاد العرب المسلمين والقضاء على النفوذ البيزنطي ..

٢- مفهوم التنسيق بين العمليات البرية – البحرية للقيام بالعمليات الكبرى .

٥ - الاهتمام بالشؤون الادارية :

لم تكن قوات العرب المسلمين التي افتتحت مصر بقيادة عمرو بن العاص تزيد على ثمانية آلاف مقاتل .. ثم زاد حجم القوات حتى وصل الى عشرين الف مقاتل في معركة العقوبة بقيادة عبد الله بن ابي سرح . وفي عام ٨٧٤ هـ ارتفع عدد جيش فتح أفريقية بقيادة حسان بن النعمان الى ٤٠٠٠٠٠ مقاتل .
 – لم يكن جيش حسان بن النعمان كله من العرب ، وإنما ضم تحت لوائه البربر من المسلمين . وكانت زيادة حجم قوات العرب المسلمين سبباً في :

- بطء حركة القوات بالمقارنة لما كانت عليه أيام الفتح الأولى .
- وجود ذيل إداري يثقل كاهل القوات أثناء التقدم ومسيرة العمليات ..
- ضروره تخصيص وحدات معينة ، لتأمين الامداد الإداري ، وحراسته
وتوفيره للمقاتلين .

- ان ظاهرة البطء في التحركات تبرز بشكلها الواضح من خلال الفترة التي
قضاها الحسان بن النعمان بين تعيينه ، وبين بداية العمليات حيث استمرت هذه
الفترة سنة كاملة تقريباً .

وتتكرر هذه الظاهرة أيضاً من خلال تأخر عقبته بن نافع في استئناف
عملياته للمرحلة الثانية - فترة سنة تقريباً - وذلك بهدف تأمين حشد القوات
وتوفير متطلباتها ..

- ولقد عالج القادة ظاهرة زيادة حجم الذيل الإداري باتخاذ إجراءات
مختلفة منها :

١ - تخصيص منطقة للشؤون الإدارية خلال مسيرة العمليات على نحو ما فعله
موسى بن نصير عندما وصل وادي ملوية حيث خلف الأتقال تحسنت الحراسة
وانطلق في عملياته .

٢ - تقسيم القوة الضاربة إلى مجموعات مختلفة تسير على التتابع بحيث تحافظ
على مرونتها وتتحرر من أعباء ثقل الذيل الإداري وذلك على نحو ما فعله عقبته بن
نافع خلال عودته من فتوحاته الثانية .

٣ - عدم زج كتلة الجيش الكبير في منطقة عمليات واحدة وتوجيهه على
شكل مجموعات قتالية إلى أهداف مختلفة . كما فعل موسى بن نصير في فتح
المغرب الأقصى « مراکش » .

- لقد اضطر قادة العرب المسلمين إلى زياده حجم قواتهم بسبب التحديات
الكبيرة التي جابهتهم وتبع ذلك زيادة في حجم المتطلبات الإدارية . وكان نجاح
القادة راثماً في الحفاظ على التوازن بين المتطلبات الإدارية وبين متطلبات العمليات

بعيثة لم يكن « الذليل الإداري » سبباً في إعاقة مسيرة العمليات وفقدان المرونة وسرعة التحركات وهي العوامل الأساسية في نجاح عمليات العرب المسلمين.

٦ - الامن، والاستطلاع :

- نفذت عمليات فتح أفريقية على مراحل متتابعة ، وكان يتم في كل مرحلة التوقف عند حدود معينة ثم تأتي المرحلة التالية لتحقيق مزيداً من منجزات الفتح . ولم يكن التوقف عند حدود المرحلة يعني الجمود والسكون وإنما يعني الاستعداد الدائم لمعارك مقبلة . فعندما توقفت عمليات عمرو بن العاص عند حدود « برقة » وتم تعيين عقبة بن نافع لقيادة الحامية المدافعة عند حدود مصر الغربية . كانت عقبة يأسل « المسلمين في جرائد الخيل » بهدف الاغارة على الحدود المجاورة وجمع المعلومات عنها وجاء عبد الله بن سرح فتابع تنفيذ الخطة ذاتها . حتى أصبحت سنة للقادة جميعاً .

- كانت الإغارات الاستطلاعية من أفضل الوسائل التي اتبعتها العرب المسلمون لجمع المعلومات عن الأرض ، والعدو . ولكنهم لم يتوقفوا عندها فكانوا يستفيدون من البربر الذين حسن اسلامهم للحصول على المعلومات الدقيقة . لأكال صورة الموقف .

وهم أيضاً لم يتوقفوا عند هذه الحدود ، فكانوا يستخدمون كل وسيلة تبادلية من أجل تقاطع المعلومات وتأكيدها وذلك على نحو ما فعله حسان بن النعمان عندما كتب إلى خالد بن يزيد لموافاته بمعلومات دقيقة عن « الكاهنة » فكتب خالد رسالة وضعها في رغيف من الخبز وشواه فاحترقت الرسالة . فأرسل رسالة ثانية أودعها قربوس سرج المراسل . ووصلت المعلومات المطلوبة في الوقت المناسب مما ساعد حسان بن النعمان على توجيه قواته للقضاء على ثورة الكاهنة .

- وكانت المعلومات الدقيقة عن قوات الروم في قرطاجنة ومعرفة نقاط الضعف في التحصينات التي ساعدت حسان بن النعمان على تصفية مقاومة قرطاجنة وتدميرها بعد جلاء البيزنطيين عنها .

- كما كانت المعلومات الدقيقة عن الأرض، وطبيعة السكان، ومعرفة القبائل من أول العوامل التي ساعدت موسى بن نصير على التقدم حتى المغرب الأقصى وتحقيق الاستقرار في « أفريقية كلها » .

- وعلاوة على ذلك فقد كان أسلوب تنظيم القوات ودفع « المقدمات » امام الكتلة الرئيسية ، من جملة أساليب « الإستطلاع بالقوة » لجمع المعلومات وعدم تمكين العدو من مباغثة قوات العرب المسلمين في إقامتها وتحركها وخلال مسيرة عملياتها .

- لقد كان الاستطلاع وترتيبات الأمن عاملاً حاسماً فيما أحرزه العرب المسلمون من نجاحات في أعمالهم القتالية .

٧ - الحرب النفسية

- أتقن قادة العرب المسلمين أساليب الحرب النفسية ، وكان استخدامهم لهذه الأساليب بمهارة حتى أنهم استطاعوا الحفاظ على مضاه هذا السلاح ومغالته مع استمرار أعمالهم القتالية كلها . وكانت حروبهم النفسية رديفاً لقواتهم المسلحة ولم تكن بديلاً لها بمعنى أن الحرب النفسية كانت لديهم وسيلة وليست غاية. وان هذا الوضوح في استخدام أساليب الحرب النفسية يتوافق مع أحدث معطيات الحرب النفسية وتجاربها .

- تظهر التجربة الأولى للحرب النفسية بوضوح تام في حرب عبد الله بن سعد لجرجير ملك أفريقية في معركة « عقوبة » حيث أعلن جرجير « ان من يقتل عبد الله بن سعد سينح مائة ألف دينار ويؤجره ابنته » فكان الرد الحاسم إعلان عبد الله [من أتاني برأس جرجير نقلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده] حتى صار جرجير أكثر خوفاً من عبد الله .

- وتظهر تجارب الحرب النفسية التالية فيما قام به عقبة بن نافع من أساليب قطع بعض أعضاء قادة المقاومة، أو من يحتمل لهم قيادة المقاومة، كجذع الأنف

وقطع الاصبغ بهدف ردعهم عن التفكير في تنظيم الحرب ضد العرب المسلمين .
وكان الحافز الذي دفع عقبة لذلك هو كثرة ما شهده من أعمال ارتداد افريقية
وتمردا فأراد بذلك استخدام الحرب النفسية كسلاح وقائي . وكان لهذا الأسلوب
اثر حاسم فيما حققه عقبة من نجاح في عملياته حتى وصل المحيط الأطلسي .

– وكان أسلوب الاحتفاظ بالرهائن – في بعض جوانبه – أسلوباً من أساليب
الحرب النفسية لردع قادة القبائل عن التمرد والاشتراك بالحرب ضد العرب
المسلمين .

– كما كان بناء القواعد المتقدمة ، وإقامة الحاميات ، في بعض جوانبه أيضاً ،
من أساليب الحرب النفسية التي أشعرت السكان ببقاء العرب واستمرار حكمهم
وعدم تراجعهم عما حققوه من فتوحات . وأن أعمال الفتوح ليست مجرد غزوة
عابرة أو إغارة مؤقتة وسريعة .

– لقد كان أسلوب قادة العرب المسلمين في حروبهم ، وفي وفائهم بالتزاماتهم
وفي عدم غدرهم بحلفائهم مقابل القسوة فيمن يغير أو يخون الموائيق المعقودة
مع القادة ، هو حرب نفسية في مضمونه ، ذلك أن هذا الأسلوب قد جعل قادة
المقاومة يفكرون كثيراً قبل إعلان تمردهم لمعرفتهم بما ينتظرهم عند فشل ثورتهم ،
ولقد كان الصدق في الوعد والوعيد من أول أساليب الحرب النفسية لقادة العرب
المسلمين وأكثرها نجاحاً .

– كانت العمليات التي قام بها موسى بن نصير في أفريقية ، تطبيقاً عملياً
ناجحاً لتوافق الحرب النفسية مع حرب القوات المقاتلة ، وتتويجاً لتجارب الحرب
السابقة في أفريقية . ويعود الفضل فيما حققه موسى بن نصير من نجاحات
وانتصارات إلى أولئك القادة الذين خاضوا التجارب المتتابعة وحصلوا بنتيجتها
على خبرات كثيرة في طليعتها « استخدام الحرب النفسية » ضمن حدود مرسومة
وفي إطار واضح يحدد الهدف الذي تعمل القوات المقاتلة على إنجازه .

٨ - كفاءة القيادة :

- من الملاحظ نتيجة لتطور فن الحرب طوال عهد الفتوحات ، ظهور عدد من المعطيات التي أخذ القادة يلتزمون بها ومن بعض هذه المعطيات :

١ - ضرورة وجود القائد في المقدمة أثناء التقدم ومع المؤخرة ، الساقة ، أثناء الإنسحاب او التراجع .

٢ - وجود القائد مع كتلة القوات الرئيسية عند توزيع القوات للقيام بواجبات مختلفة .

٣ - وجود عناصر قيادية ، تعاون القائد وتعمل معه بارتباط وثيق ، كهيئة أركان حرب .

٤ - الإعتاد على أسس ثابتة ، والأخذ بعوامل ، تقدير الموقف ، دراسة الأرض قبل اتخاذ القرار اللازم للعمليات ووضعه موضع التنفيذ .

٥ - الحفاظ على الروح المعنوية للمقاتلين .

- لقد اعتمد الخلفاء الراشدين على أصحاب السبق في الإسلام ولمن عرف عنهم البأس والقوة والقدرة القيادية فظهرت طبقة قيادية رائدة أثناء فتوح الشام والعراق وفارس ومصر ، ثم أخذ الخلفاء الأمويون بإعطاء أفضلية القيادة لمن والاهم وناصرهم وكان العنصر العربي هو العاضل الأساسي لإسناد المركز القيادي وعلى الرغم من ظهور أسماء غير عربية في تسلسل القيادات ، إلا أن الطابع الرئيسي للقيادة هو اعتماد المنصر العربي . وكان عامل الكفاءة القيادية هو الحاسم في تعيين القادة ، كقول يزيد بن معاوية عندما استشار أصحابه لتعيين وال على أفريقية [من للأمر مثل عقبة ؟]

وكقول عبد الملك بن مروان عند تعيين حسان بن النعمان لولاية أفريقية :

[ما أعلم أحداً أكفاً أفريقية من حسان بن النعمان الفسافي ..]

- وان تعيين بعض الولاة على أساس الولاء يعتبر شذوذاً عن القاعدة واستثناء وليس أساساً لها .

- لقد أظهرت أعمال فتوح أفريقية طبقة قيادية على درجة الكفاءة استطاعت أن تمارس عملها بنجاح وفق التطورات التالية :

١ - زيادة حجم الوحدات المقاتلة ، وتضخم أعدادها على ما كانت عليه في بداية الفتح .

٢ - وجود عناصر مختلفة ، والقدرة على التوفيق بينها ، العرب ، الصقالبة ، البربر .

٣ - ظهور زيادة حجم الامداد الإداري بسبب اتساع رقعة مسرح العمليات من جهة وزيادة حجم الوحدات المقاتلة من جهة أخرى .

٤ - معالجة الصعاب الخاصة بمسرح العمليات والقدرة على مجابتهها وإيجاد الحلول المناسبة لها .

- إن العودة إلى مسيرة العمليات القتالية في أفريقية بداية من هجوم عبد الله بن سعد بن أبي سرح عام ٢٥ هـ . ونهاية بالوصول للأطلسي واستقرار المسلمين فيها أيام موسى بن نصير ٩٠ هـ ، تظهر القدرة القيادية وما تميز به القادة المتتابعون من كفاءات قيادية عالية .

٩ - الروح المعنوية وإرادة النصر .

بين القيروان وآسفي على المحيط الأطلسي ما يزيد على ألف وخمسمائة كيلومتر . وطريق العودة يزيد على ذلك ، آلاف الكيلومترات سارها العرب المسلمون بقيادة عقبة بن نافع ثم بقيادة موسى بن نصير ، وقطعوا قبلها ما بين الشام والقيروان مسافات طويلة . ولم يكن طريق المسيرة مفروشا بالورود ، فقد تحللتها معارك ضارية وأعمال قتال صعبة ، في الحر والبرد ، في السهول والصحارى والجبال ، وكانت معارك عنيدة مسح مقاتلين أشداء ، وخصوم أقوياء يعرفون أرضهم ومناطق عملهم ورغم ذلك فقد حقق العرب المسلمون انتصارات رائعة انتهت بتحقيق الاستقرار ونشر الإسلام في ربوع أفريقية .

لم يكن عدد العرب المسلمين الذين أسهموا في فتوح المغرب كبيراً . ولم تكن الحاجة للطعام والشراب حافزهم لارتكاب الأخطار فقد كان لهم في سهول الشام والعراق ما يكفيهم مؤونة العيش برفاه لو كانت الدنيا هدفهم . كما لم تكن المغنم والمكاسب مبتغاهم ، فقد كان في البلاد التي فتحوها مغنم ومكاسب تزيد عن احتياجاتهم .

لقد جابه العرب المسلمون في فتح أفريقية نكسة بعد نكسة وقتل من القادة خيارهم ومن المقاتلين فرسانهم وعرف المقاتلون أن معارك أفريقية شديدة الوطأة ثقيلة الأعباء باهظة الثمن ورغم ذلك تابعوا عملياتهم معركة بعد معركة حتى تعرف أهل البلاد على حقيقة العرب المسلمين وأهدافهم وعند ذلك التحم سكان البلاد مع العرب المسلمين وكانت لهم معاً أيام خالدة أبد الدهر .

لقد كانت الروح المعنوية العالية هي العامل الأساسي والحاسم في انتصار العرب المسلمين وتحقيق ما كان يريده العرب المسلمون من فتوحاتهم .

– كانت حروب العالم القديم والحديث تهدف إلى زيادة السيطرة أو النزاع على مجال حيوي . ولهذا لم تترك وراءها سوى شواهد وآثار صامتة ضمنها التاريخ لتكون دليلاً على فشل كل أعمال الفتوحات المجردة من مثل أعلى .

– وكانت حروب العالم العربي – الإسلامي ذات مضمون انساني – حضاري ولهذا تركت من الآثار في النفوس والعقول ، في الافراد والمجتمعات ما بقي خالداً مع الدهر .

– كان الإيمان بالقضية ، قضية الأمة العربية الإسلامية ، وواجبها في نشر الرسالة في أنحاء العالم وتعريف الدنيا بها ، هو الحافز الأول والأخير لما قام به العرب المسلمون من فتوحات وما تحملوه من مشاق وما تكبدوه من جسام التضحيات ..

إن معارك أفريقية برهان واضح وأكد على صلابة الانسان العربي وقوته

وشدة بأسه وإرادته الثابتة لكنها في اللوقت ذاته برهان أيضاً على الروح المعنوية العالية التي تميز بها المقاتلون من العرب المسلمين .

١٠ - إقامة علاقات عامة جيدة

عندما توقف العرب المسلمون عن متابعة فتوحاتهم في أفريقية عام ٢١ هـ ، تابعوا اتصالاتهم مع زعماء قبائل البربر وأهل البلاد ، بهدف تعريفهم على الدين الاسلامي . ثم استؤنفت المعارك بعد ذلك وعقدت المعاهدات مع زعماء البلاد وشيوخ القبائل وكانت هذه المعاهدات تترك لأصحاب البلاد حرية العمل وتطبيق ما يريدونه من أعراف وعادات فكان من يدخل الاسلام يصبح له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين أما من رفض ذلك فعليه جزية معلومة له لقاء حماية المسلمين له . وكان انسحاب العرب المسلمين بعد عقد الاتفاقيات يشعر أهل البلاد أن فتوح العرب المسلمين ليس أكثر من غزوات هدفها الحصول على مغانم . ولهد كانت تتكرر أعمال التمرد ، وكان النفوذ البيزنطي عاملاً مساعداً على التحريض وقيام الثورات المضادة . مما دفع قادة العرب المسلمين على إقامة القواعد المتقدمة لتكون منارات فكرية إضافة إلى دورها العسكري . وقد عرف أهل البلاد تدريجياً حقيقة الدين الاسلامي . وتعرفوا على طبائع حاملي الرسالة وأخلاقهم فأخذت عرى التلاحم تتزايد وثوقاً مع الأيام حتى أصبح العرب والأفارقة نسيجاً واحداً من المستحيل تمزيقه .

— لقد أنشأ الرومان والبيزنطيون « الليات » على امتداد أفريقية وأقاموا فيها الحاميات لكن هذه الحاميات لم تلبث أن انهارت وتراجعت أمام المد العربي — الاسلامي ولم تترك من الآثار سوى شواهد عمرانية بين رمال الصحراء . ذلك أن الرومان وجند بيزنطة أقاموا على عزلة ولم يندمجوا مع السكان إلا في حدود ضيقة بينما تلاحم العرب مع سكان البلاد نتيجة لشعورهم بواجب تعريفهم على دينهم وأخذ دم المسلمين من عرب وأفارقة يمتزج برمال افريقية ليقيم وحدة حقيقية ، ولم يلبث الأفارقة حتى اضطلموا بأنفسهم بحمل الرسالة وأسهموا الى

حد بعيد في نشر الاسلام وفتح الأندلس وحمايتها وتحقيق الاستقرار في افريقية ..
- لقد دخلت شعوب كثيرة في الدين الاسلامي كالأتراك والفرس والاكراد ،
وأسهمت هذه الشعوب بدورها في نشر الدين الاسلامي لكن تلاحم العرب مع
الأفارقة أخذ طابعاً خاصاً ، وقد يكون السبب في ذلك هو تقارب طبيعة
الشعبين وتماثل البيئة الجغرافية والاجتماعية وكونها - أيام نشر الرسالة - أقرب
الى البداوة في حياتها ومفاهيمها .

- كان بناء المجتمع العربي الإسلامي في افريقية شاقاً ، اعترضته هزات قوية
وعنيفة وسقط في افريقية آلاف الشهداء ، لكن تلك التضحيات والجهود لم
تذهب عبثاً ودونما فائدة ، بل إنها رسخت جذور البناء وأرست قواعده على
أسس ثابتة فارتفع البناء متيناً لم تنجح كل الأعاصير والزوابع بعد ذلك على
زعزعته وإنما زادته قوة وثباتاً ..

- لم يقتصر بناء المجتمع الجديد في افريقية على اذابة الفوارق الاجتماعية وصهر
المجتمع الجديد في بوتقة واحدة ، كما أنه لم يقتصر على اقامة المدن وبناء العمران ،
أو التجنيد في جيش واحد أو اقامة قوات مسلحة مستقلة ، وإنما تجاوز ذلك
كله الى البنين الاقتصادي . ففي عهد حسان بن النعمان الفسائي - وفي الوقت
الذي كان فيه عبد الملك بن مروان يضع أساس الاستقلال النقدي للدولة العربية ،
ووضع نقود جديدة - كان حسان بن النعمان يستبدل النقود القوطية والنقود
البيزنطية بالدينار العربي ..

كانت النقود المتداولة في افريقية قوطية وبيزنطية وكانت تحمل رسم
ملوكهم وشعارات دولهم ، فكان الدينار القرطاجني يحمل على وجهه الاول
صورة القيصر وولي عهده أو القيصرة وبه من الكتابة اسم القيصر وألقابه ، وعلى
الوجه الثاني صليب في الوسط قائم على ثلاث درج ومكتوب على دائرته
باللاتينية ، ضرب هذا في افريقية ، مع ذكر السنة بحسب عقد ذات عشر سنوات
من اعتلاء ذلك القيصر حكم بلاده . وجاء حسان بن النعمان ف ضرب الدنانير

والدرهم والفلوس وحذف من الصليب العمود الافقي و عوضه برسم الكرة في أعلى العمود الرأسي وحذف الدرج الأسفل من السلم ووضع صورتي عبد الملك ابن مروان والوليد بن عبد الملك ابنه وكتب حسان في سكتة باللغة اللاتينية كلمة التوحيد على النحو التالي :

في الوجه الاول : بسم الله الرحمن الإله الأوحد

IN- NADNIMISR - CUNDS IN NMINE - DOMI MISERI

CORDIS UNIUS وفي الوجه الثاني : وحده لا شريك ولا مثيل له

UNUS DEUS NISL SOCIUS ALIS SIMILLS

وكتب على هذا الوجه أيضاً : ضرب بافريقية في العشرة الثالثة (٥٨٥)

FE RIEI IN AFRICA IN DIETIOUE

- وكانت هذه الخطوة ، ضربة حاسمة للتفوذ البيزنطي في افريقية .

- وازافة الى ذلك ، عمل حسان بن النعمان على تدوين الدواوين ، وانشاء

المدارس بجوار كل مسجد وتقسيم الاراضي بين قبائل البربر ، والقيام بالخدمات العامة كفتح الطرق واصلاح القنوات للري ، وتنظيم اعمال الحراسة لحفظ الأمن وتنظيم الشؤون المالية للدولة .

- كان من نتيجة هذه الاجراءات وغيزها ، اقامة مجتمع جديد يختلف في

جوهره ومظهره عن المجتمع السابق ، وقد اطمأن أهل افريقية الى المجتمع الجديد بعد أن عرفوه جيداً فأخذوا يتسابقون لبنياته والعمل فيه ودعمه يجهدهم كله .. وان الاحداث المتتالية التي جاءت بعد ذلك تثبت هذه الحقيقة وتؤكددها ..

١١ - دروس النكسات :

١ - في عام ٦٣٨ - ٦٨٣ م : استشهد عقبة بن نافع في معركة « نهوذة » ،

وأثار « كسيلة » نيران الثورة المضادة وسيطر على افريقية وحدثت انتكاسة استمرت خمسة أعوام ..

- وقد يكون من السهل القاء اللوم على عقبة واتهامه بالتقصير في اتخاذ تدابير الأمن أو التهاون في جمع المعلومات عن خصومه أو الاستهتار في بقاءه مع مؤخرة قليلة لا تستطيع الدفاع عن نفسها مما انتهى إلى مأساة مدمرة تحت كل الجهود التي بذلها عقبة حتى وصل يمينه إلى المحيط ، لكن هذه الاتهامات تتداعى أمام بعض الحقائق ومنها أنه لا يجوز محاكمة «حادث تاريخي» في إطار زمني يختلف عن العصر الذي وقع فيه هذا الحادث ..

- لقد استطاع عقبة أن يقوم بهجوم كبير وصل به إلى المحيط على امتداد محور يزيد على ألفي كيلومتر .. ولم تكن القوات العربية الاسلامية في عددها كافية - دونما ريب - لاقامة حاميات مستقلة على امتداد محور العمليات .

ان الموارد الحياتية لجيش كبير ترهق سكان البلاد . وكان عقبة يوازن بين متطلبات الجيش وبين بناء المجتمع الجديد وبين تدابير الأمن . وان ايعازه الى قاداته بالانطلاق في طريق العودة إلى القيروان على شكل مجموعات منفصلة هو برهان على أنه أراد التحرر من ثقل الذيل الاداري والوصول بسرعة إلى قاعدة عملياته مطمئناً في ذلك إلى ما أحرزه من انتصارات .

- ليس هناك ، سوى عدد قليل جداً من القادة ، الذين يستطيعون اتخاذ القرارات المناسبة في كل الظروف ، وان اتخاذ قرار ظهر خطأه عند التطبيق لا يقلل من أهمية النجاحات التي حققها عقبة في عملياته ، ولو لم تكن عمليات عقبة أكثر من غزوة استطلاعية بالقوة للمغرب كده لكفها غزوة خالدة حققت الكثير من الفوائد التي جنى التابعون ثمارها .

- لقد اكتشف عقبة ، ان حرب الصحراء هي حرب شؤون إدارية بالدرجة الأولى وأن العامل الاداري هو العامل الحاسم في نجاح معاركه والحفاظة على قواته . وان قراره بتقسيم جيشه إلى مجموعات مستقلة هو برهان على عبقريته القتالية أكثر منه برهاناً على اماله مبادئ « فن الحرب » . وان شواهد حرب الصحراء في الحرب العالمية الثانية برهان ثابت على صحة هذه النظرية حيث

كانت معارك رومل ومونتغمري معارك شؤون إدارية بالدرجة الأولى .
- تميزت أعمال عقبة بن نافع بترسيخ عدد من مبادئ فن الحرب - كالمباغنة -
والحشد والحرب النفسية والمحافظة على المبادأة ، والحفاظ على الروح المعنوية
للمقاتلين وتحديد المكان الصحيح للقائد في المعركة وإن هذه المبادئ وظهرها
بشكل واضح هي برهان على أن عقبة لم يكن ليهمل مبدأ « المحافظة على الأمن ،
أو الاستطلاع . لكن عوامل مسرح العمليات فرضت ذاتها على مقرراته ،
وألزمته باتخاذ قرار كانت فيه نهايته المأساوية ، ولعل هناك خلل في أسلوب
معاملة عقبة « لكسيلة » واحتقاره له ، لكن عذر عقبة في ذلك انه انسان
يعيش انفعالات وأحاسيس مختلفة ، وكان غضبه على أبي المهاجر دينار سبباً في
انتقال النعمة إلى كسيلة مما حمل هذا على الثورة واعلان التمرد وتجريد القوات
لحرب العرب المسلمين والقضاء على عقبة في معركة « تهوذة » .

٢ - وفي عام ٥٧١ هـ - ٦٩٠ م : استشهد زهير بن قيس البلوي « في برقة »
عند الاشتباك مع قوة انزال بحري وجهتها بيزنطة للقضاء على جيش العرب
المسلمين . وقامت « الكاهنة » بقيادة ثورة مضادة وحدثت انتكاسة كبيرة للمرة
الثانية استمرت ثلاثة أعوام حتى استطاع حسان بن النعمان الفسائي تصفية هذه
الثورة والقضاء على النفوذ البيزنطي ومهد السبيل لاستقرار العرب المسلمين في
عهد موسى بن نصير الذي أعقبه في ولاية افريقية ..

- قاد زهير بن قيس معركة « ممس » الخالدة وقضى على ثورة كسيلة ، ثم
توج عملياته بالتوغل في افريقية وفتح مدينة تونس .. ويظهر من ذلك أن زهير
قد احتل مكانته القيادية عن جدارة وكفاءة ، لكن الانزال البيزنطي المباغت
دفعه إلى التوجه على رأس قوة ضعيفة في اتجاه برقة على أمل أن تلحق به كتلة
القوات الرئيسية ، ووجد ذاته أمام موقف لا مجال للتردد فيه ، فقد استنارت
حميته العربية صرخات النساء والاطفال تحت ذل الجند البيزنطيين فصمم على
خوض معركة يائسة ، في ظروف غير متكافئة .

لقد خطط الروم لهذه الاغارة المباغتة ، وعملوا على الاعداد لها بدقة ، وتم تنفيذها بمهارة حيث كان جيش « افريقية » بعيداً ، ومن المحتمل ان تكون بعض المعلومات قد تسربت عن تحرك الاسطول البيزنطي مما جعل زهير على العودة بسرعة في اتجاه مصر ، لكن تسارع الاحداث لم يمكنه من اتخاذ الاجراءات الكفيلة باحباط العدوان فكانت نهايته الحتمية . ومرة أخرى قد يكون الحكم على زهير « بالفشل في القيادة » حكماً جائراً ذلك لأن هذه المحاكمة تفصل الحادث التاريخي عن « إطاره الزمني ».. فزهير بن قيس ، إنسان عربي ، عرف بالشجاعة ، والمروءة ، والنجدة ، ومن الصعب تصور زهير بن قيس يقف على رأس قوة صغيرة ويشهد بعينيه ما يحدث للمسلمين ثم يبقى في موقف المتفرج ريثما تصل قواته الرئيسية دون أن يزعج بنفسه في المعركة بصرف النظر عن كل تقدير للنتائج التي ستنتهي إليها المعركة ..

– كان هدف الروم من إغارتهم القضاء على جيش زهير ، وقام زهير بهجومه على غير استعداد مسبق ، وبذلك كان موت زهير والصحابة والتابعين ممن سقطوا في المعركة فداء ، حفظ لجيش العرب المسلمين كتلته الرئيسية ..

– أفاد قادة العرب المسلمين من هذه الانتكاسات بقدر ما أفادوا من تجاربهم الناجحة ، وكان تطوير القواعد المتقدمة ، وانشاء أسطول بحري خاص بافريقية وتدمير كل نفوذ لبيزنطة ، وتوثيق عرى التعاون مع اهل البلاد هي من بعض نتائج هذه التجارب الفاشلة .. كما كان لهذه التجارب فوائدها على المدى البعيد ذلك انها أكسبت مقاتلي العرب المسلمين مزيداً من الخبرات والمعارف بطبيعة السكان والطبيعة الجغرافية للاقليم مما مهد السبيل أمام تحقيق استقرار دائم في افريقية ومرحلة للانتقال نحو عمليات أكثر توسعاً في آفاق جديدة .

قراءات

آ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح - القرشي العامري^(١)

٤٦ ق ٨ - ٨٣٦ - ٥٧٧ - ٦٥٦ م

أرى الأمر لا يزداد الاتفاقاً وأنصارنا بالمكثين قليل
وأسلمنا أهل المدينة، والهوى هوى أهل مصر، والدليل دليل

من شعر ابن أبي سرح يوم حوصر الخليفة عثمان بن عفان

عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل
ابن عامر بن لؤي القرشي العامري ويكنى أبا يحيى، وأمه مهابة بنت جابر
الأشعري، أرضعت عثمان بن عفان فهو أخو عثمان بالرضاعة...

من أوائل المسلمين، ثم ارتد ورجع إلى مكة، فأهدر النبي دمه، مما دفعه
إلى الفرار يوم فتح المسلمون مكة، واللجوء إلى أخيه عثمان بن عفان، فتوسط
له عثمان عند الرسول الأعظم فعمى عنه..

- كان عبد الله قائداً للميمنة أثناء تحرك عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم
تولى صعيد مصر بعد فتحها في خلافة عمر بن الخطاب ثم حدث خلاف بينه
وبين عمرو بن العاص في بداية عهد خلافة عثمان بن عفان. فحسم الخليفة عثمان
ابن عفان الخلاف بعزل ابن العاص وتعيين ابن أبي سرح لولاية مصر
وخراجها..

(١) أسد الغابة ٣ - ١٧٣ . الاستيعاب ٣ - ٩١٨ . سيرة ابن هشام ٤ - ٢٨ .
طبقات ابن سعد ٧ - ٤٩٦ . شذرات الذهب ١ - ٤٤ . تهذيب ابن عساکر ٧ - ٤٠٧ .

استأذن ابن أبي سرح الخليفة عثمان لغزو أفريقية فأذن له وأمره بجيش كبير فيه عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن والحسين ، لذلك سمي هذا الجيش « بجيش العبادة » .

— انطلق ابن أبي سرح بجيشه من منطقة الحشد في برقة حيث انضمت إليه حاميتها بقيادة عقبة بن نافع ، وقام بفتح طرابلس ثم حدثت معركة مع جرجير في عقوبة على مقربة من سيطة ، وانتصر المسلمون بعد أن لحقت بهم قوات الدعم التي وجهها الخليفة عثمان ، ثم حاصر سيطة ففتحها ووجه مجموعة قتالية إلى قفصة ففتحها ووجه مجموعة إلى حصن الأجم .

في سنة ٢٨ هـ : قاد عبد الله بن سعد الأسطول من مصر وقام بغزو قبرص .
في سنة ٣١ هـ : عقد عبد الله بن سعد صلحاً مع النوبة وأمن الحدود الجنوبية لمصر .

في سنة ٣٣ هـ : نقض أهل أفريقية العهد . فقام عبد الله بقيادة جيشه وأعاد فتح أفريقية .

في سنة ٣٤ هـ : غزا غزوة ذات الصواري ، وأظهر بطولة رائعة وقيادة ماهرة .

في سنة ٣٥ هـ : استدعاه الخليفة عثمان لاستشارته ، واستقل محمد بن أبي حذيفة بمصر .

في سنة ٣٦ هـ : وبعد مقتل عثمان ، عزل عبد الله بن سعد وعين قيس بن سعد ابن عبادة لولاية مصر .

وعاد عبد الله إلى عسقلان وتوفي فيها .

—*—

ب - معاوية بن حديج السكوني^(١)

٥٢ - ٦٧٢ م

[... غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ...]

حديث شريف رواه معاوية بن حديج

معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيبة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر ابن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السكُون السكوني . يكنى أبا نعيم وقيل أبا عبد الرحمن .
وأمه كبشة بنت معدى كروب .

- كان ابن حديج في قوة جيش عمرو بن العاص لفتح مصر . وكان رسوله إلى الخليفة عمر بن الخطاب لإعلامه بفتح مصر والاسكندرية .

- وفي سنة ٣١ هـ : كان ابن حديج في القوة التي قادها عبد الله بن سعد ابن أبي سرح لفتح النوبة فذهبت عينه يوم دمقلة حيث وصف الشاعر العربي المعركة بقوله :

لم تر عيني مثل يوم دمقلة
والخيل تعدو بالدروع مثقلة

- وفي سنة ٣٤ هـ : قاد معاوية مجموعة قتالية لفتح أفريقيا وذلك في ولاية عبد الله بن سعد لمصر وعهد الخليفة عثمان . وكان في هذه المجموعة القتالية جماعة من المهاجرين والأنصار ففتح ابن حديج مناطق واسعة وغنم غنائم عظيمة واتخذ القيروان قاعيقه .

- وفي سنة ٤١ هـ : قاد مجموعة قتالية ومعه عبد الملك بن مروان وفتح بنزرت .

- وفي سنة ٤٥ هـ : قاد معاوية جيشاً قوته عشرة آلاف مقاتل فيهم عبد الله

(١) اسد الغاية ٤/٣٨٤ . الاستيعاب ٣/١٤١٤ . البلاذري ٢٣٧ . طبقات ابن سعد ٥٠٣-٧ . شذرات الذهب ١-٥٨ . تهذيب التهذيب ١٠-٢٠٤ .

ابن عمر بن الخطاب وجماعة من الصحابة والتابعين فنزل بقمونية وهزم جرجير ملك سبلة عند الأجم .

ثم وجه معاوية بن حديج قوة قتالية بقيادة عبد الله بن الزبير ففتح سوسة .
ووجه مجموعة قتالية أخرى بقيادة ويثع بن ثابت الأنصاري لفتح جزيرة جربة القريبة من تونس .

ووجه مجموعة ثالثة بقيادة عبد الملك بن مروان ففتح جلولاء .
ثم استقر في جبل القرن وجمعه قاعدة لعملياته . وبقي هناك ثلاث سنين . .
وكانت آخر غزوة له عام ٥٥٠ هـ .

- في سنة ٥٥٠ هـ : وجه معاوية بن حديج مجموعة قتالية لغزو أفريقية بقيادة عقبة بن نافع .

أما في مجال العمليات البحرية ، فقد وجه معاوية بن حديج حملتين بحريتين .

١ - حملة بقيادة عبد الله بن قيس قوتها مائتي مراكب لغزو صقلية سنة ٥٣٦ هـ .

٢ - حملة بقيادة عقبة بن نافع الفهري لغزو الروم وذلك عام ٥٤٦ هـ .

وفي عام ٥٢ هـ توفي في مصر ودفن فيها .

كان معاوية بن حديج عثمانياً ، مخلصاً ، قوي الإيمان ، صلب العقيدة ، مقاتلاً عنيداً وقائداً حكيماً .

ج - عقبة بن نافع الفهري^(١)

١ ق . ٤ - ٥٦٣ ، ٦٢١ م - ٦٨٣

[... اللهم اشهد اني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد

أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد احد من دونك ...]

عقبة بن نافع - قالها وقد وصل الاطلسي خلال تقدمه في المغرب .

عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الضرب بن الحارث

ابن فهر القرشي .

.....

(١) رياض النفوس - ٤٥١ - اسد الغابة - ٤٢٠ - الاستيعاب - ١٠٧٦ - فتوح مصر

والمغرب - ٢٦٢ . شدوات الذهب - ١ - ٥٣ . الكامل : لابن الاثير - ٣ - ١٨٤ .

— أمه سبية من «عَنْزَرَة» اسمها النابغة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ واشتراها الفاكهة بن المخيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى نافع بن عبد القيس قبل أن تنتهي إلى العاص بن وائل . ولهذا فان عقبة بن نافع أخ عمرو ابن العاص لأمه .

نشأ عقبة في بيئة إسلامية وفي وسط حربي له القادة والريادة .

— في سنة ٢١ هـ : كان عقبة في جيش فتح مصر ، وكلفه عمرو بن العاص بفتح زويلة . وفي السنة ذاتها قاد عقبة مجموعة لفتح النوبة ، ثم تولى قيادة حامية برقة .

— سنة ٢٦ هـ : انضمت حاميته إلى جيش عبد الله بن سرح لفتح طرابلس . ثم عاد إلى برقة وبقي فيها .

— سنة ٣٩ هـ . قاد عقبة القوات المصرية لغزو الروم بجزراً .

— سنة ٣٩ هـ : قاد عقبة الثانية ومعه أهل مصر فشقي في بلاد الروم .

— سنة ٤١ هـ : أسند عمرو بن العاص قيادة القوات في أفريقية إلى عقبة فقاد قواته حتى (لوانة) وأصدر ابن العاص أوامره بضم (هوارة) إلى عقبة بعد أن ارتد أهلها فأخضعها عقبة .

— سنة ٤٢ هـ : افتتح عقبة [غدامس] .

— سنة ٤٣ هـ : افتتح كوراً من السودان كما افتتح ودان للمرة الثانية سنة ٤٦ هـ ثم تابع إلى [جرمة] ومنها إلى [فزان] و [خاور] ثم فتح بلادكاوار ، ووصل حتى الأطلسي .

— سنة ٥٥ هـ : عين معاوية بن أبي سفيان مسلمة بن مخلد الأنصاري الحزرجي لولاية مصر وأفريقيا فعين مسلمة أبا المهاجر دينار على أفريقية وقام أبو المهاجر دينار باعتقال عقبة وإلقائه في السجن .

— سنة ٦٢ هـ : اعاده يزيد لولاية أفريقية ، فعمل على إلقاء أبي المهاجر دينار في السجن ، وعاود فتوحاته حتى أخضع كل الثمردين وخلال عودته اضطر

لتقسيم قواته وتوجيهها نحو القيروان على موجات متتابعة . وبقي مع المجموعة الأخيرة فباغتته قوة كبيرة من البربر في تهوذة بقيادة كسيلة فقاتل عقبة هذه القوة حتى قتل . وبدأت حركة تمرد استمرت خمسة أعوام ، وحتى أيام عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ هـ ، حيث تم إخضاع حركة التمرد .

د- ابو المهاجر دينار^(١)

٦٣٠٠٠ هـ - ٦٨٣٠٠٠ م

[ان ابا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا

كبير نيل ، فنحن نحب ان تكافئه . . .]

قالها مسلمة بن مخلد عندما عزل عقبة وعين
ابا المهاجر لولاية أفريقية سنة ٥٥٥ م ٦٧٤

ابو المهاجر دينار بن دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري - من التابعين .
- في سنة ٥٥٥ : أصدر معاوية بن أبي سفيان قراره بتعيين مسلمة بن مخلد الأنصاري لولاية مصر وأفريقية ، فعمل مسلمة على عزل عقبة بن نافع عن ولاية أفريقية وتعيين أبي المهاجر بدلاً منه فتوجه أبو المهاجر دينار إلى أفريقية وعزل عقبة وأساء معاملته وألقى به في السجن ، مما جعل عقبة يحقد عليه ويقول :
[اللهم لا تمنني حتى تمكنني من ابي المهاجر دينار بن دينار . .]

- بعد أن استقر الأمر لأبي المهاجر دينار وضع مخططه لتطهير المنطقة ما بين بنزرت وطنجة والقضاء على قوة الروم فيها بهدف تدمير كل جيوب الثورة المضادة وقطع كل اتصال مع الروم بهدف التأمر على العرب المسلمين .

- توجه أبو المهاجر بقواته إلى قرطاجنه ، وحاصرها طويلاً ثم فتحها صلحاً

(١) رياض القنوس ١-١٩-٢١ . الاستقصاء ١-٧١-٧٤ . فتوح البلدان - البلاذري ٢٣٠ .
فتوح مصر والمغرب ٢٦٥-٢٦٧ . النجوم الزاهرة ١-١٥٧ . الكامل : ابن الأثير ٣-١٨٤٤ .
٤٢-٤ .

على أساس اخلاء جزيرة شريك . وقد جعل أبو المهاجر من هذه الجزيرة قاعدة متقدمة وبذلك منع العدو من استخدامها وأفاد منها كنقطة مراقبة متقدمة .
— توجه أبو المهاجر بعد ذلك إلى (ميلة) الواقعة على بعد خمسين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من بجاية فحاصر حاميتها المكونة من الروم والبربر وفتحها . ثم جعلها قاعدة انطلاق لعملياته وأقام فيها مدة سنتين .

كان كسيلة بن لزم الأوربي زعيم قبيلة أوربة . فجمع قوات كبيرة لمقاومة الزحف الإسلامي ، وعلم بذلك أبو المهاجر ، فتوجه إلى قاعدته في تلمسان وبعد معركة عنيدة وحاسمة ، انتصر أبو المهاجر وأسر كسيلة فأحسن معاملته وقربه فظاهر كسيلة بالاسلام واستقر الأمر للمسلمين فعاد أبو المهاجر إلى القيروان .
— في سنة ٦٢ هـ : أعاد يزيد عقبة بن نافع لولاية أفريقية ، فخرج عقبة من دمشق ووصل القيروان بسرعة ، وألقى القبض على أبي المهاجر وألقى به في السجن وأراد التوجه إلى طنجة فقال له أبو المهاجر : (ليس بطنجة عدو لك ، لأن الناس قد اسلموا وهذا رئيس البلاد - كسيلة - فابعث معه والياً ..)
لكن عقبة لم يستمع لنصح أبي المهاجر وخرج بنفسه ، ومع أبو المهاجر مكبلاً بالحديد . وأساء معاملة كسيلة ، فهرب هذا ، وجمع جيشاً كثيفاً هاجم به عقبة قرب تهودة وعند ذلك أطلق عقبة سراح أبي المهاجر وقال له : — (الحق بالقيروان : وقم بأمر المسلمين وأنا اغتنم الشهادة فأجابه ابو المهاجر وأنا اغتنم الشهادة مثلك) . فكسر كل واحد منها غمد سيفه ، وكسر المسلمون أغماد سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا سنة ٦٣ .

٥ - عبد الله بن الزبير بن العوام الأمدي - القرشي^(١)

١ - ٥٧٣ : ٦٢٢ - ٦٩٢ م

[ابشر ! لا تمسك النار أبداً . ويل لك

من الناس وويل للناس منك ..]

- قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير
عندما شرب الدم الذي احتجم من الرسول -

- عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .
وأمه أساء بنت أبي بكر ، ذات النطاقين . وجدته لأبيه صفية بنت عبد
المطلب عمة رسول الله ﷺ وعمه أبيه خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين وخالته
عائشة أم المؤمنين ويكنى عبد الله ، أبا بكر وأبا حبيب « اسم أكبر أولاده » .

- ظهر طموحه وحبه للقيادة وشدة بأسه منذ نعومة أظفاره .

- فاشترك عبد الله مع أبيه في معركة اليرموك ، سنة ١٣ هـ .

- واشترك مع أبيه أيضاً في فتح مصر وكان من شهود عقد الصلح مع

المقوقس سنة ٥٢١ هـ .

- وعندما تم فتح ليبيا وجه عمرو بن العاص مجموعة قتالية بقيادة عبد الله
بن الزبير لفتح صبراتة . وأسرع عبد الله في سيره وقام بهجوم مباغت ونجح في
احتلال صبراتة .

- وكان مع قوة الدعم التي وجهها الخليفة عثمان لفتح أفريقية بقيادة عبد الله
ابن سرح . وعندما طال أمد الحصار اقترح عبد الله تقسيم قوة المسلمين إلى مجموعتين

.....

(١) اسد الغابة ٣ - ١٦١ - ١٦٣ . الاستيعاب ٣ - ٩٠٥ . تهذيب ابن عساكر
٧ - ٣٩٦ - ٤٢٣ . فتح مصر والمغرب ٢٤٦ - ٢٤٩ : ٢ . الكامل لابن الأثير ٤ - ١٣٦ و٥٨
تاريخ الطبري ٤ - ٣٨٥ و ٥ - ١٠ .

لتحقيق الإستمرار في القتال والحصول على « المباغنة » ونجح مخططه في تدمير قوة جرجير عامل الروم .

- وكان عبد الله بن الزبير الساعد الأمين لمعاوية بن حديج السكني في فتح أفريقية .
- وفي عام ٤٥ هـ : فتح عبد الله السوسة في أفريقية .
- وفي عام ٤٩ هـ : كان عبد الله في قوة غزو القسطنطينية .
- كان عبد الله أثيراً عند الخليفة الصديق أبي بكر . وكذلك كان شأنه مع الخليفة عمر والخليفة عثمان ، ودافع عن الخليفة عثمان دفاع المستميت .
- اشترك في موقعة الجمل ، ثم اعتزل الخلاف بين علي ومعاوية . وعندما استقر الأمر لمعاوية بايعه عبد الله فكان معاوية يستقبله بقوله [مرحباً بابن عمه رسول الله] .

- عرف عن عبد الله قوة الحجة وطلاقة اللسان .
- امتنع عبد الله عن بيعة يزيد . وقوي شأنه لا سيما بعد وفاة يزيد واختلاف الأمر بعد معاوية بن يزيد . فبويح لعبد الله في الحجاز والعراقين ومصر وأكثر الشام وخراسان وأكثر السند وبقسي حتى أيام عبد الملك بن مروان حيث ركز عبد الملك قواته بقيادة الحجاج بن يوسف ، وقضى على ثورة عبد الله بن الزبير الذي بقي يقاتل حتى قتل ، فما كان من الحجاج إلا أن أمر بصلبه .

و - بسر بن أرطاة العامري - القرشي .. (١)

٢ - ٨٦ هـ : ٦٢٣ - ٧٠٥ م

[... ان افرض لمن شهد بيعة الحديبية مائتين من الدنانير ، وأتمها

• لخارجة بن حذافة لضيافته ولبسر بن أرطاة لشجاعته ..]

في كتاب الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص بعد فتح مصر .

بسر بن عمير « أبي أرطاة » بن عويمر بن عمران بن الخليس بن سيار بن نزار

(١) تهذيب ابن عساكر ٣ - ٢٢٠ . اسد الغابة ١ - ١٧٩ . الاستيعاب ١ - ١٥٧ - ١٦٠ . الولاة والقضاء ١٤ - ٢١ . تاريخ الطبري ٤ - ١٧٤ - ٢١٤ . فتح مصر والمغرب ٢٦٢ .

ابن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر يكنى أبا عبد الرحمن .
- توجه بسر إلى مصر في قوة الزبير بن العوام لدعم عمرو بن العاص، وعندما
وصل عمرو في فتوحه إلى طرابلس وجه بسر ومعه مجموعة قتالية لفتح « ودان »
سنة ٢٣ هـ .

- وفي عام ٢٧ هـ : كان بسر في جيش العبادة لفتح أفريقية .
- وفي عام ٣٥ هـ : قفز محمد بن أبي حذيفة إلى السلطة في مصر . فتصدى
لمقاومته معاوية بن حديج وبسر بن أرطاة . وكان بسر أول من بايع معاوية بن
حديج على الثأر لعثمان .

- وفي عام ٣٦ هـ : وجه محمد بن أبي حذيفة جيشاً إلى « خربتا » مقر شيعة
عثمان ، وحدثت معركة انتصر فيها أصحاب عثمان .

- وفي عام ٣٧ هـ : تولى قيس بن سعد ولاية مصر لعلي بن أبي طالب ، فأكرم
قيس أنصار عثمان وكان ذلك سبباً في سخط علي وتعيين محمد بن أبي بكر
لولاية مصر .

- وفي عام ٣٧ هـ : التحق بسر بن أرطاة بالشام وانضم إلى معاوية بن أبي
سفيان في معركة صفين .

- في عام ٣٨ هـ : استشار معاوية بن أبي سفيان كلا من عمرو بن العاص
وبسر بن أرطاة ووجه رجاله في فتح مصر فأشاروا بذلك . فأرسل عمرو بن
العاص ، وفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر .

- في عام ٤٠ هـ : وجه معاوية مجموعة إلى الحجاز واليمن بقيادة بسر بن
أرطاة ، فقتل بسر آلافاً ممن اشتركوا في مقتل عثمان وناصروا علياً بن أبي طالب .
- في عام ٤٣ هـ : غزا بسر بلاد الروم وشتى بأرضهم حتى وصل
القسطنطينية .

- في عام ٤٤ هـ : غزا بسر في البحر .
- في عام ٤٦ هـ : خرج إلى المغرب مع عقبة بن نافع ومعه شريك بن سمي
المرادي ..

- في عام ٥٠٠هـ و ٥٠١هـ : كان بسر على غازية الصيف وشاتيه عام ٥٢هـ فتح « مجانة » بافريقية وهي تسمى « قلعة بسر » .
 تولى بسر ولاية البصرة سنة ٤١هـ كما ولي امارة اليمن . وكان عثمانياً صلباً ومقاتلاً عنيداً ، خرف في الأيام الأخيرة من عمره فكان يحمل سيفه ويسأل من يصادفه « أين شيخني عثمان » . فاستبدل له أهله سيفه بسيف خشبي حتى لا يؤذي أحداً ، ومات في أيام الوليد بن عبد الملك .

ز - زهير بن قيس البلوي ^(١) ولقبه « ابا شداد »

١ - ٥٧١ - ٦٢١ ، ٦٩٠ م

زهير بن قيس البلوي ، صحابي روى عن جماعة الصحابة وروى عنه جماعة من التابعين ومن أحاديثه أنه عندما حدثت الفتنة بين معاوية وعلي . خرج زهير مع عمرو بن العاص وذلك التزاماً بما سمعه من حديث عن علقمة بن رمية البلوي الذي قال :

(بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين ثم خرج رسول الله في سرية وخرجنا معه فنمس رسول الله ثم استيقظ فقال : رحم الله عمرو ، وأعادها ثلاث مرات فقال له الناس ما باله ؟ قال ذكرت أنني كنت إذا نذبت الناس إلى الصدقة جاء من الصدقة فأجزل فأقول له من أين لك هذا يا عمرو ؟ فيقول من عند الله ، وصدق عمرو ، ان لعمرو عند الله خيراً كثيراً ! فلما كانت الفتنة قلت : أتبع هذا الذي قال رسول الله فيه ما قال :

- كان زهير بن قيس في جيش عمرو بن العاص عند فتح مصر .

- سنة ٦٢هـ : كان زهير على مقدمة القوات عندما تقدم عقبة بن نافع حتى وصل المحيط ، ثم عاد حتى وصل القيروان .

(١) تهذيب ابن عساكر ٥ - ٣٩٣ . الاستقصاء ١ - ٨١ . التاريخ الكامل لابن الاثير ٤ - ٤٣ . وجاء في ابن عساكر انه قتل عام ٧٦ ، وهو يخالف الواقع .

— سنة ٦٣ هـ : أراد زهير البقاء في القيروان بعد « استشهاد عقبة » في « تهودة » لكن بعض الصحابة وفي مقدمتهم حنش الصنعاني^(١) نصحوه بالتراجع ، وسبقوه اليه ، فاضطر إلى الانسحاب عن معه حتى « برقة » وبقي فيها طوال خمسة أعوام .

— سنة ٦٩ هـ : وجهه عبد الملك بن مروان على رأس جيش كبير لإعادة فتح أفريقية ، وقاد زهير معركة حاسمة في « ممس » انتصر فيها على كسيلة .

— سنة ٧٠ هـ : قامت القوات البيزنطية بانزالها في « برقة » وعاد زهير بسرعة على رأس قوة صغيرة ، وخاض معركة يائسة ، استشهد فيها مع جميع أصحابه ..

ج — حسان بن النعمان الأزدي — الفصائي —^(٢) « الشيخ الأمين »

٨٨٧،٠٠٠ : ٧١٥،٠٠٠ م

[ليس مثلي يخون الله ولا الخليفة . ووالله
لا ابي لبني أمية أبداً ..] حسان

الفساسنة ، ملوك الشام « أبناء جفنة » هم أهل حسان ، منهم من أسلم ومنهم من بقي على ولائه لبيزنطة مثل جيلة بن الأيهم . فالتحقوا ببيزنطة بعد الفتح ، وكان حسان من التابعين ، روى عن الخليفة عمر بن الخطاب وكانت له مكانة مرموقة عند الأمويين خاصة وعند الناس عامة .

— سنة ٧٤ هـ : جهز عبد الملك بن مروان جيشاً كبيراً واستعمل عليهم وعلى

(١) تهذيب ابن عساکر ٥ - ٩ . الاستقصا ١ - ٧١ .

(٢) تهذيب ابن عساکر ٤ - ١٤٦ . الاستقصا ١ - ٨٢ . فتوح مصر والمغرب ٢٧٠ .

أفريقية حسان بن النعمان ، كانت قوة الجيش ٤٠.٠٠٠ مقاتل ، وهو أكبر جيش خرج من الشام وكان ذلك بعد مقتل زهير بن قيس .

— سنة ٧٦ هـ : فتح حسان قرطاجنة « الفتح الأول » ، ثم أعاد فتحها في السنة ذاتها فهدم المسلمون ما أمكن منها . وتوجه بعدها لحرب الكاهنة فكانت هزيمته في معركة نيني ، وعاد إلى منطقة « قصور حسان » قريباً من « سرت » . حيث أقام لفترة خمسة أعوام .

— سنة ٧٨ هـ : قامت القوات البيزنطية بانزال في « قرطاجنة » واحتلتها وأعدت تحصينها ومكثت فيها حتى عام ٨١ هـ .

— سنة ٨١ هـ : انطلق حسان بهجوم حاسم ففضى على ثورة الكاهنة ثم قضى على قوة بيزنطة في قرطاجنة ودمرها واستخدم الاسطول للقضاء على قوة الروم في الجزر القريبة من سواحل أفريقية وتابع توجيه قواته حتى فرض سيطرته على أفريقية .

قام بالتخطيط لمدينة « تونس - تونس » وأشرف على بنائها .

سنة ٨٥ هـ : ولى عبد العزيز بن مروان عبداً له يقال له تليد « لولاية برقة » وكانت بها أشرف الناس ، فكبرت عليهم إمامة تليد فاعتقه عبد العزيز ثم انه سأل حسان أن يترك ولاية « برقة » لتليد فلم يتركها له ، فعزله عبد العزيز ورجع حسان من مصر إلى الوليد بن عبد الملك الذي ولى الخلافة بعد أبيه عبد الملك سنة ٨٦ هـ . فشكى إليه ما صنع به عبد العزيز فعضب الوليد لذلك ، وقال حسان لمن معه « إئتوني بقرب الماء » ففرغ منها ما جاء به من الفضة والذهب والجوهر فقال له الوليد بن عبد الملك : جزاك الله خيراً يا حسان فأجابه حسان : يا أمير المؤمنين ، إنما خرجت مجاهداً في سبيل الله وليس مثلي يخون الله ولا الخليفة . فقال الوليد : (أنا أردك إلى عمك وأحسن إليك وأتوه بك) . فحلف حسان (لا ألي لبني أمية أبداً ..) وخرج في السنة التالية لغزو بلاد الروم ومات فيها .

قال أبو عتيك عندما جاء نبأ عزل حسان :

أقول لأصحابي عشية جاءنا
ألا ما الذي قال ابن نعيان دوننا
بغير النبي تهوى البريد المبشر
فقلت ولم أملك سوابق عبرة
فقال متاح الخير والخير يقدر
فانصم الفتى المعزول والمتنظر
عليه فان النهر بالمرء يمتد
فان يك هذا النهر جاء بعزله

* * *

التفسير الثالث

الفصل الأول

فتح الأندلس

- ١ - الموقع والطبيعة الجغرافية .
- ٢ - المعطيات البشرية .
- ٣ - المناخ .
- ٤ - الثروة الطبيعية .
- ٥ - الموقف عشية الفتح الإسلامي .
 - أ - التاج .
 - ب - السلك .
 - ج - علاقة السكان باليهود .
 - د - علاقة حاكم سبته بملوك الأندلس .
 - هـ - الاسطورة في خدمة قضية الفتح .

فتح الاندلس

١ - الموقع ، والطبيعة الجغرافية

تقع شبه جزيرة ايبيريا « الأندلس » إلى الشمال من أفريقية ويفصلها عنها دريب الزقاق « مضيق جبل طارق » كما يفصلها عن أوروبا سلسلة جبال اليبيرنة « البرانس » وتحتل الأندلس القسم الجنوبي الغربي من أوروبا وتغمرها مياه المحيط من الشمال الغربي وحتى الجنوب الغربي بينما تغمرها مياه البحر الأبيض المتوسط من الشرق وحتى الجنوب الشرقي .

- تبلغ مساحة الأندلس ٥٩٣٢٩٠ كم^٢ وهي تمتد بين خط طول ٣ شرق غرينيتش وحتى ٩ غربيه وبين ٣٦ و ٤٤ شمال خط الاستواء .

- ان متوسط ارتفاع سطح « الأندلس » يقارب ٧٠٠ م وتقطع هذا المسطح مجموعة من الجبال الفرانسيّة أو الكلسية ومنها : جبال كنتبريان وايبيريا وسييرا وايستريللا ومورينا ونيفادا . وتنحدر من سلاسل الجبال الينابيع التي تتجمع في أنهار يتجه بعضها غرباً حيث المحيط بينما يصب القسم الثاني في الشرق حيث البحر الأبيض المتوسط ومن هذه الأنهار : مينهو - ودورو والتاج والغاديان وغادا الكيفير وجو كار .

٢ - المعطيات البشرية (١)

الايبيرون : هم أقدم سكان شبه جزيرة « ايبيريا » ، وهم السكان الأصليون

(١) المرجع : تاريخ فن الحرب ، استروكوف وتاريخ جيوش العالم - المجلة العسكرية

الذين أعطوا الجزيرة اسمهم خلال حقبة طويلة من الزمن . ثم جاء الفينيقيون واليونانيون فأسسوا لهم مستوطنات فوق المناطق الساحلية وجاء القرطاجيون فطوروا علاقاتهم التجارية مع العالم وجعلوا من جنوب الأندلس قاعدة لهم وذلك في القرن الخامس . وعندما ظهرت دولة الرومان وبدأت فتوحاتها ، احتلت الأندلس وقضت على قرطاجنة ، ١٤٦ ق.م .

وفي عام ٥١ ق.م : قاد يوليوس قيصر جيوشه في غاليا « فرنسا » وصرع كراسوس .

وفي عام ٤٩ ق.م : قضى يوليوس قيصر على النظام الجمهوري .

وفي عام ٤٥ ق.م : أرسل قيصر قائده دييوس إلى اسبانيا لتدمير آخر البوميين .

في القرن الثالث الميلادي أخذت بعض الشعوب الجرمانية تنحدر من سهول الشمال الشرقي لأوروبا وعرفت هذه الشعوب بالقوط . وكان منهم قوط شرقيون ومنهم قوط غربيون عرفوا باسم « فيزيقوطيون » . وقد أقام « الفيزيقوطيون في ايليريا ، البانيا » وتحالفوا مع الرومان ثم جاء الستيلىكون فحاربهم وهزمهم عام ٤٠٣ م فنزح هؤلاء نحو الجنوب واستقروا في اسبانيا . وفي عام ٤١٠ م احتل الأريك « روما » واستقر « التهولف » في بروفانسيا وبرشلونة وتولوز .

وفي عام ٤٣٩ م هزم فاليا الشعوب « السوفية والآلانيين والفاندال الذين تنسب اليهم شبه جزيرة ايبيريا فيقال « فاندالوسيون ، أندليون ، أندلوسيا ،

(٢) الآلانيين : ALAINS : شعب برابرة ، اكتسحوا بلاد غاليا - فرنسا - ثم ابادهم

الفيزيقوطيون في اسبانيا عام ٤٠٦ م .

الاندلس^(١) ، وهي التسمية التي اعتمدها العرب المسلمون في كتاباتهم .
لقد كانت الاندلس ، بحكم موقعها نقطة اتصال هامة بين أفريقيا واوربا
وكانت أرضها مهداً لامتزاج الشعوب واحتكاكهم عبر التاريخ .

٣ - المناخ

تتأثر الاندلس برياح الشمال الباردة ورياح الجنوب الدافئة لكن تأثير المحيط
الاطلسي والبحر الابيض المتوسط يعمل على تعديل المؤثرات فيجعل مناخ الاندلس
معتدلاً يختلف بصورة كبيرة عن الشمال البارد. ولعل هذا السبب هو الذي حمل
سكان أوربا يعتبرون الاندلس وقسماً من أفريقية أكثر منه قسماً متصلاً بأوربا.
وقد أعجب العرب المسلمون بمناخ الاندلس فجاء وصفه على السنتهم وفي كتاباتهم
التي نطالع فيها ما ذكره الرازي^(٢) :

[... الاندلس ، موصوفة من البلدان ، كريمة البقعة بطيب الخلق . طيبة
التربة ، مخصبة القاعة ، منبعجة العيون الثرار^(٣) . قليلة الهوام ، ذوات
السوم ، معتدلة الهواء اكثر الأزمان لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالأبدان ،

(١) القانдал ، مثلهم مثل البورغوثيون ، عرق جرمانى . هبطوا من الشمال الشرقى . وكانوا
قبل عام ٢٥٨ م بين نهر الفيتول والاوردر ثم انتقلوا الى سهل الدانوب . ووصلوا عام ٢٨٦ م
حتى مدينة « ماينس » وفي عام ٤٠٦ عاثوا فساداً في بلاد الثالين واقاموا في الاندلس . طردهم
الفيزيقوبيون فنزحوا الى الجنوب وعبروا الى افريقية عام ٤٢٨ م ووصلوا قرطاجنة عام ٤٢٩
وقاموا بشورة ونهبوا روما عام ٤٥٥ م ثم اجتاسوا مصر وخربوها . كما خربوا « ابليريا -
البانيا » واليونان ، ودمرت مملكتهم من قبل القائد البيزنطى BEI ZAIRE بيليزير ، قائد
الامبراطور جوستينيان عام ٥٥٣ . وفي عام ٥٥٤ استمادت الامبراطورية الشرقية «بيزنطة»
سيطرها على الفيزيقوبيين الذين حكموا الاندلس حتى عام ٧١١ م حيث انتصر طارق بن
زباد في ممر كالكه XERES وبدأت سيطرة العرب المسلمين على الاندلس التي استمرت حتى
عام ١٤٩٢ حيث استطاع فرديناند وايزابيللا الاستيلاء على غرناطة .

(٢) فتح الطيب ٢٧٨/١ .

(٣) الثرار : جمع ثرة : غزيرة المياه .

وكذا سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط في الحال،
وفواكها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يبادر
بباكورة كما أن الثغر وجهاته والجبال التي يخصصها برد الهواء وكثافة الجو
تستأخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادة الخيرات فيها
متصلة كل أوان ...]

ويكمل أبو عامر السلمي الصورة فيقول :

[... الاندلس من الاقليم الشامي هو خير الأقاليم وأعدلها هواء وتراباً
وأعذبها ماء وأطيبها هواء وحيواناً ونباتاً وهو أوسط الأقاليم وخير الأمور
أوسطها ...]^(١)

ويقول أبو عبيد البكري :

[الأندلس ، شامية في طبيعتها وهوائها ، يانية في اعتدالها واستوائها ،
هندية في عطرها وذكاها ، اهوازية في عظم جبايتها ، سينية في جواهر معادنها ،
عدنية في منافع سواحلها ...]^(٢)

٤ - الثروة الطبيعية :

- بلاد الاندلس غنية بثرواتها الطبيعية نتيجة لموقعها ولطبيعتها الجيولوجية
ولقد وصف كتاب العرب المسلمين وشعراؤهم ومؤرخيهم وضع الاندلس
حيث نطالع :

[... وحجر المغناطيس يوجد في كورة تدمير ، وحجر الشاذنة بجبال
قرطبة كثير ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة ، ويوجد المرجان بساحل
بيرة ، ومعدن الذهب بنهر لاردة ويجمع أيضاً في ساحل « لأشبونة » لشبونة
ومعدن الفضة في الاندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال حمة ببجاجة ، وباقليم

(١) ر (٢) نفع الطيب ٢٥٥/١ .

كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وبأشكونية معدن القصدير ومعنى الزئبق في جبال البرانس « البيرنة » وبيبال قرطبة توتياء ، ومعادن الشبوب والحديد والاندلس أكثر من أن تحصى^(١)

وقد أفاد العرب المسلمون من ثروات « الاندلس » المعدنية لصناعة الاسلحة وصك النقود ، وتطوير الاسلحة فنطالع :

[... وأما آلات الحرب من القراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغامر فأكثرهم أهل الاندلس ، والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة ، وبرفيل « بوردو : BORDEAUX » آخر بلاد الاندلس من جهة الشمال والشرق ، والقولاذ النبي في اشبيلية اليه النهاية]^(٢) .

وعن الثروة النباتية كتب العرب المسلمون :

[... وأما الثار وأصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان في الاقاليم الباردة ، ولا يعطم منها الا التمر ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفري باشبيلية والتين المالحقي والزبيب المنكبي والزبيب العسلي والرمان السفري والحوخ والجوز واللوز ..]^(٣)

ومن خواص طلطيلة ان حنطتها لا تسوس ولا تتغير على طول السنين ، والعنبر كثير ببحر الاندلس]^(٤) .

— كما كانت الثروة الحيوانية متوفرة بالاندلس بسبب غنى الطبيعة ووفرة الثروة النباتية ، وكثرة السهول والمراعي .

٥ - الموقف عشية الفتح الاسلامي :

استخدم الكتاب الاندلسيين ومؤرخوهم في تسجيل الاحداث تسلسلا محددًا

(١) نفع الطيب ٢٨٣/١ . (٢) نفع الطيب ٧٠/٢ .
(٣) نفع الطيب ٦٦/٢ . (٤) نفع الطيب ٢٨٣/١ .

ومصطلحات معينة . ولايضاح ذلك فذكر هنا ما جاء في [المغرب في حل
المغرب]^(١) حول هذا الموضوع :

[... حضرة قرطبة احدي عرائس مملكتها وفي اصطلاح الكتاب للمروس

الكاملة الدنية ١ - منصة : وهي مختصة بما يتعلق بذكر المدينة في نفسها .

٢ - تاج : وهو مختص بالايالة السلطانية .

٣ - سلك : وهو مختص باصحاب دور الكلام من النشار

والنظام .

٣ - حلة : وهي مختصة باعلام العلماء والمصنفين الذين ليس لهم

نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم .

٥ - اهداب : وهي مختصة باصحاب فنون الهزل وما ينحو منحاه .

وهكذا ، فان التسلسل هو : المنصة ، التاج ، السلك ، الحلة ، الاهداب .

واحياء لهذه التسميات لا أكثر بسبب ارتباطها بتاريخ عزيز على النفس نأخذها

بها . وقد سبق معالجة المنصة تحت عنوان الطبيعة الجغرافية ، الموقع ، المعطيات

البشرية ، المناخ والثروة الطبيعية وتتابع الفصل وفق التسلسل اعلاه .

أ - التاج

كانت الاندلس تحت حكم القوط ، وكان من ملوكهم في الفترة الاخيرة الملك

فمبا VAMPA ٦٧٢-٦٨٠ م ثم تلاه إرفنج IRVING الذي تميز عهده بسن

تشريع خاص لاضطهاد اليهود ، ثم جاء الملك اخيكا EGICA وفي عهده دبر

يهود اسبانيا مؤامرة سنة ٦٩٤ م اقتضت وانتهت بالفشل وعندها بدأت أزمة

انتهت بحرب اهلية نتيجته لاقدام اخيكا على تعيين ابنه من بعده واسمه

WITIZA ، عرفه العرب المسلمون باسم غيطشة . وذلك دون الرجوع إلى

قانون الانتخابات . وتوفي اخيكا . وتسلم ابنه غيطشة السلطة وخرق قانون

(١) المغرب في حل المغرب . ٣٧/١ ونفح الطيب ٢٩٨/١ .

الانتخابات ولم يرجع الى النبلاء لأخدموا فقتهم متبعاً في ذلك سنة أبيه. وظهرت معارضة قوية ضده تزعمها رودريك^(١). وأخيراً، عمل غيطة على تخفيف قانون العقوبات ضد اليهود مما جعل رجال الكنيسة على تأييد حركة المقاومة ودعمها فاضطر غيطة الى تعيين ابنه اخيلا AQUILA ورزحت البلاد تحت وطأة الاضطراب والفوضى وامتنع عدد من النبلاء عن تأييد ملك « صغير في عمره » وأفاد رودريك من هذا الوضع فاستولى على السلطة بتأييد من الكنيسة وعدد من النبلاء وعند ذلك اخذ انصار الملك الشرعي بالاستقلال في اقاليمهم ولا سيما منها الاقاليم الشمالية مثل « جيليقية واشتوريش » حيث ناصبت رودريك العداء فوجه هذا جيشاً عام ٧٠٩ م نجح في تحطيم المقاومة ، فهرب قادة المقاومة الى سبتة ، وانضم بعضهم إلى جيش رودريك ، انتظراً لفرصة أكثر ملاءمة .

– لقد اغتصب رودريك السلطة اغتصاباً ، ونهضت في وجهه حركات المقاومة فاضطر لاستخدام القوة والعنف حتى يسيطر على المملكة ، فانتهى ذلك الى خلق هوة كبيرة بين جهاز الحكم وبين جماهير الشعب .

ب – السلك « ونعني به هنا السلك الكهنوتي » :

بعد نجاح القوط في طرد الفاندال واستقرار القوط في الاندلس واقامتهم دولة قوية ، اخذ الضعف والتخاذل يتسرب اليهم فقسم الاشراف ورجال الدين البلاد الى اقطاعات كبيرة وسكنوا القصور الفخمة وانصرفوا الى اللهو وماتت فيهم حمية آباؤهم الشجعان ، وتركوا الصناعة والزراعة في ايدي الأرقاء الذين كانوا يعيشون في ذل وضعة كما اثقلوا كاهل الطبقة الوسطى من الزراع والتجار بالضرائب .

(١) المسلمون في اسبانيا ، دوزي ٢٣١ ، وترجم العرب اسم رودريك بأشكال مختلفة فكان ادريئوق عند الطبري ٢٤٥/٤ وادريئوق عند ابن الاثير ، الكامل ٤ - ٢١٣ ولزريق عند ابن خلدون ٤ - ١١٧ ، ولذريق عند ابن الحكم (٢٣٩) وأدريئوق عند يعقوبي ٣-٢٩٠.

وقد اتبع رجال الدين الذين كانوا يشيدون بالاخوة المسيحية بعد أن أثروا وملكوا الضياع الواسعة السياسة الموروثة وعاملوا عبيدهم وخولهم بالعسف كما كان يفعل أثرياء الرومان. وأغنياء القوط من بعدم [وقد كسب رجال الدين لطاقتهم تقوذاً راجعاً في شؤون الدولة وجلس الاساقفة وكبار رجال الدين في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لاقرار الشؤون الهامة في الدولة والمصادقة على انتخاب الملك وادعت لنفسها الحق في عزله اذا ابى الأذعان لقراراتهم . واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا اليها سبيلاً لاضطهاد اليهود الذين كانوا طائفة كبيرة العدد في اسبانيا . وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية] (١) .

وكانت الطبقة الدنيا تشمل المبيد الذين انصرفوا إلى الزراعة . أما الطبقة الوسطى فقد كانت تلاقي من ضحك العيش شراً مما كان يلاقيه المبيد فكان يقع عليهم عبء الانفاق على الدولة ، فهم الذين يؤدون الضرائب ويجمعون الأموال للأغنياء مما جر إلى خراب هذه الطبقة وافلاسها (٢) .

هذا إلى ما أصاب الأندلس من بؤس وشقاء فقد قيل ان الوباء تفشى في سني ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ هـ حتى مات اكثر من نصف سكانها .

ج - علاقة الملك باليهود :

تعرض اليهود خلال تاريخهم الطويل لعدد من النكبات بسبب مواقفهم العدائية من الشعوب الاخرى مثل موقفهم في مصر وموقفهم من بابل وآشور وموقفهم من اليونان وموقفهم من فينيقيا ثم موقفهم من المسيحية وموقفهم من الرومان وكانت هذه المواقف العدائية تنتهي بهم دائماً للتشرد والاضطهاد والهجرة وقد تكون

(١) السير توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ١٥٤ - ١٥٥ . من تاريخ الاسلام الدكتور

حسن ابراهيم حسن ١ - ٣٠٩ .

(٢) ليبول ، العرب في اسبانيا ، ترجمة علي الجارم ، ٥ - ٦ - ٨ .

ثورة باركوكبا عام ١٣٥ م. هي آخر ثوراتهم في فلسطين حيث شردهم الرومان بعد ذلك ولم يبق لهم وجود في فلسطين أو كيان فوق أراضيها . وقد أرغمت أعمال الاضطهاد اليهود على الهجرة إلى كل مكان في العالم فكان منهم اعداد كبيرة في الاسكندرية وفي الاندلس .

وقد جعل اليهود من الاندلس مقراً لتأمرهم ، مما حل المسيحية على اضطهادهم ونطالع فيما كتبه دوزي ، المستشرق الهولاندي في الجزء الثاني من تاريخه للدولة الاسلامية في اسبانيا صورة عن العلاقة اليهودية - الاسبانية في عهد القوط .

[.. كان رجال الدين الكاثوليكي يهقون اليهود عسفاً وبيافنون في ايدانهم] . وقال المؤرخ الفرنسي المشهور ، ميشليه ، [كان الناس في القرون الوسطى كلما سألوا : لماذا ينقلب هذا العالم جحيماً بينما يجب أن يكون المثل الأعلى في الفراديس تحت ظل الكنيسة ؟ فتجيبهم الكنيسة : «لأن هذا من غضب الله الذي يرى أن قتلة ربنا لا يزالوا وافريرين ؟ » فبدأ اضطهاد الكنيسة لليهود عام ٦١٦ م أيام الملك Sisebut . وتقرر اعطاء اليهود مهلة سنة ليتنصروا فان لم يتنصروا خلال تلك السنة نفوا الى خارج الاندلس وصبطت اموالهم وجلد كل منهم مائة جلدة فتنصر منهم تسعون ألفاً من مجرد الرعب ولكن المتنصرين كما لا يخفى لبثوا يختنون اولادهم سراً ويدينون بدين موسى فقرر مجمع الاساقفة الرابع المنعقد في طليطلة تركهم أخيراً وشأنهم بشرط أن يسلموا أطلقهم لاجل تنسنتهم في النصرانية ، وفي المجمع السادس في طليطلة قرر الاساقفة ان لا يؤذن بمبايعة ملك الاندلس إلا على شرط انفاذ قرارات المجمع الاسقفية بحق اليهود ، وبرغم هذا كله بقي في تلك البلاد حود كثيرون ، واستمر المسيحيون في تعذيبهم نحواً من ثمانين سنة إلى أن فرغت جعبة اسطبارهم فاجمعوا الثورة بمظاهرة يهود البربر في أفريقية ، ووعدهم هؤلاء بالاجازة الى الاندلس لاجل نجاتهم وكان ذلك في زمن الملك اخيكا EGICA الذي بلفهنا الخبر فجمع الاساقفة وبعد ان استوثقوا من صحة الخبر قرروا استعباد اليهود

باجمهم وضبط جميع املاكهم ، ومن الغريب أنه قضى على بعض اليهود أن يكونوا عبيداً لمن كانوا عبيداً وتقرر ان يؤخذ لولادهم من بعد بلوغ سن السابعة وينشأوا في النصرانية . ولم يكن يؤذن بزواج اليهودي من اليهودية بل كان لا بد لليهودية من أن تزوج بعبد مسيحي ولا بد لليهودي بعد ان صار عبداً من أن يتزوج امة مسيحية . فلما جاء المسلمون وفتحوا اسبانية كان اليهود هناك في أشد العذاب فحررهم المسلمون من الرق وتركوا لهم الحرية التامة بأن يمارسوا شعائر دينهم ، فتنشعوا نسيم الفرج فلذلك كانوا هم والارقاء ، وجميع الضعفاء من اعظم انصار الاسلام .. [(١)]

علاقة حاكم سبته بملوك الاندلس :

كان « يليان : JULIAN » (٢) حاكماً عاماً على « ولاية طنجة » احدى الولايات السبعة الخاضعة للدولة البيزنطية . وقد بدأ يليان حكمه لهذه الولاية في سن مبكرة وأقام فيها مدة طويلة . فعرف جيداً أرض المغرب وتوثقت علاقته بمن جاوره من قبائل البربر واستطاع أن يكتسب صداقة البربر له حتى أصبح يعد نفسه واحداً منهم وقد اختلط الأمر على الناس فظنوه بربرياً .

في عام ٦٣٣ هـ - ٦٨٢ م وصلت قوات العرب المسلمين حتى المغرب الأقصى بقيادة عقبة بن نافع . وأصبحت ولاية « مورطانية » مهددة بالزوال . وفي الوقت ذاته كانت سيطرة العرب المسلمين على البحر الأبيض المتوسط تتزايد إحكاماً وقوة ووجد يليان انه اصبح معزولاً عن « بيزنطة » لا يستطيع توفير الدعم اللازم للمقاومة فتوجه نحو الاندلس القوطية يطلب دعمها ومساعدتها .

— ووجدت الاندلس في سبته قاعدة متقدمة توفر لها الأمن وتحمي لها

(١) تاريخ غزوات العرب ، شكيب ارسلان ، ٣٢ - ٤٠ .

(٢) ورد اسمه في كتب مؤرخي العرب بتحريف فكان يليان ، في البيان المغرب ٢ - ٦

ويوليان في ابن الاثير ٤ - ٢١٣ وإليان في صفة المغرب ١٠٤ - ٠ .

حدودها الجنوبية فاستجابت للطلب واسرعت بتقديم العون (واخذت السفن
تختلف اليهم بالمسيرة والامداد من الأندلس من قبل ملكها غيطة ، فهم يدبون
عن سبته ذباً شديداً ويحمون بلادهم بحاية تامة) مما ساعد على صمودها بوجه
المسلمين الفاتحين (١) .

- في عام ٨٢ هـ - ٧٠١ م ، نجحت مؤامرة رودريك في انتزاع الملك واقصاء
اخيل غيطة عن السلطة فالتجأ هذا الى حليفه يوليان ، وأقام في سبته ، ولم يكن
بامتناع يوليان التمرد على رودريك نظراً لوضعه الخاص في افريقية واضطر على
ابقاء صلة طيبة مع حاكم الاندلس الجديد حتى وقعت الحادثة التي غيرت الموقف
ويذكر المقرئ هذه الحادثة على النحو التالي : (٢)

[... كان من سير اكابر العجم بالاندلس وقوادهم ان يبعثوا اولادهم
الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاط الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا
في خدمته ويتادبوا بأدبه وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا انكح بعضهم
بعضاً استنادفاً لأبائهم وحمل صدقاتهم وتولى تجهيز إناثهم الى ازواجهن
فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل للريق على سبته وكانت يومئذ في يد صاحب
الاندلس واهلها على النصرانية ، ركب الطريقة بابنة له بارعة الجمال تكرم
عليه فلما صارت عند للريق وقعت عينه عليها فأعجبته واحبها حباً شديداً ولم
يملك نفسه حتى استكرهها وافتضحها فاحتالت حتى اعلمت اباهما بذلك سراً
بمكاتبة خفية فأحفظه شأنها جداً واشتدت حميته وقال ودين المسيح لازيلن
سلطانه ولاحفرن تحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح
الاندلس ...]

ثم ان « يليان » ركب بحر الزقاق من سبته في اصعب الاوقات في يناير

(١) نفع الطيب ١ - ٢٣٤ وصفة جزيرة الاندلس ، بروفنسال .

(٢) نفع الطيب ١ - ٢٥٢ وفتح مصر والمغرب ٢٧٧ فجر الاندلس ٥٩ - ٦٠ تاريخ

ابن خلدون ٤ - ١١٧ .

Enero « كانون الثاني » قلب الشتاء فصار بالاندلس واقبل الى طليطلة نحو الملك لنريق فانكر عليه مجيئه في مثل ذلك الوقت وسأله عما لديه ولم جاء في مثل وقته ؟ فذكر خيراً واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى رؤية ابنتها التي عنده وتمنيها لقامعا قبل الموت والعاحها عليه في احضارها وانه احب اساقفا ورجا بلوغها امنيتها منه وسأل الملك اخراجها اليه وتمجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل واجاز الجارية وتوثق منها بالكتمان عليه وافضل على ابياها فانقلب عنه وذكروا انملا ودعه قال له لنريق [اذا قدمت علينا فاستغفره لنا من الشذائعات - الصغور - التي لم تنزل تطرفنا بها فأنها آثر جوارحنا لدينا] فقال له : [ايها الملك وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذائعات ما دخل عليك مثلها قط ..] . عرض له بالذي اضمره من السعي في ادخال رجال العرب عليه وهو لا يقطن .

ان ما سبق ذكره قد حمل بعض المؤرخين الى اعتبار عمليات فتح الاندلس من العمليات السهلة بهدف الاقلال من أهمية الجهد الذي بذله العرب المسلمون في اعمالهم القتالية . ونطالع فيما كتبه كلود كاهن ، في تاريخ العرب والشعوب الاسلامية الفقرة التالية : (١)

[كانت اسبانيا تمتد خلف افريقية البربرية . وكان يكفي لبلوغها عبور مضيق ضيق . ولقد تداعى فيها حكم امرة الفيزيغوط بسبب الخلافات الداخلية وعداء سكان السواحل التي كانت تحتلها بيزنطة وبسبب مناهضة اليهود المضطهدين فيها ولهذا كله رأى والي افريقية انه من الممكن غزوها ، ولقد تم تعيين والي من قبل مصر التي كانت تشرف على افريقيه من الناحية الادارية فبدأ موسى بارسال طارق بن زياد مولاه البربري ، الذي ابهر في المكان الذي سمي بجبل طارق منذ ذلك الحين . واستطاع ان يهزم بسهولة الملك لنريق

(١) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ١ - ٤١ .

الذي سقط في ساحة المعركة . اما ما تبقى من القتال فكان اشبه بنزهة عسكرية اتاحت لمطارق ان يطوف عبر اسبانيا كلها . .]

- والواقع ، ان هذه العوامل ، هي عوامل مساعدة لها وزنها ولكنها ليست العوامل كلها ، انها جزء فقط ، ولكن الجزء الاكثر اهمية هو مجموعة العوامل الاخرى ومنها :

- ١ - مهارة القيادة وكفاءتها .
 - ٢ - ايمان المقاتلين بالقضية التي يعملون لها ويقاتلون في سبيلها .
 - ٣ - استخدام اسس « فن الحرب » بمهارة .
- وهذا ما سناطاله في اعمال الفتح .

٥ - الاسطورة في خدمة قضية الفتح :

وأخيراً سبقت عملية الفتح العربي لاسبانيا ورافقتها مجموعة من الأساطير . وقد تكون هذه القصص والاساطير تعبيراً عن الحالة النفسية التي عاشها المواطنون الاسبان خلال هذه الحقبة التاريخية ورغبتهم في التخلص مما هم فيه من أوضاع سيئة وأملهم في أن يستطيع العرب المسلمون تحريرهم من واقعهم ومن بعض هذه القصص والاساطير :

١ - [كان في طليطلة دار ملك القوط بيت مغلق يحرسه قوم من ثقات القوط وكانت العادة انه اذا تولى من القوط ملك زاد على البيت قفلاً فلما تولى لتريق عزم على فتح الباب والاطلاع على ما بداخل هذا البيت فأعظم ذلك أكبرهم وتضرعوا اليه أن يكف عن ذلك فأبى وظن أنه بيت مال ففرض الأقفال عنه ودخله فأصابه فارغاً لا شيء فيه الا المائدة التي كانت تعرف بمائدة سليمان وتابوت عليه قفل فأمر بفتح التابوت فألقاه فارغاً ليس فيه غير شقة مدرجه قد صورت فيها صور العرب على الخيول وعليهم العمامة متقلدي السيوف متنكبي القسي رافعي الرايات على الرماح وفي أعلاها كتابة بالعجمية فقرنت

فاذا هي (اذا كسرت هذه الاقفال من هذا البيت وفتح التابوت فظهر ما فيه من هذه الصورة فان الأمة المصورة فيه تغلب على الاندلس وتملكها) (١) .

٢ - ولما ركب طارق بن زياد البحر ، رأى وهو قائم النبي ﷺ وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتككبوا القسي فيقول له رسول الله : (يا طارق تقدم لشأنك) ونظر اليه وإلى أصحابه وقد دخلوا الاندلس قدامه . فهب من نومه مستبشراً ، وبشر أصحابه وثابت نفسه ببشراء ولم يشك في الظفر ، فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شائناً للغارة وأصاب عجوزاً من أهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل إلى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعمته أنه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها أن في كتفه الأيسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكرت فاستبشر بذلك ومن معه ، (٢) .

- كان طارق يشعر بثقل الواجب الملقى على عاتقه ويستلمهم الايمان من نفسه معيناً وقوة لمجاهة الصعاب المتوقعة .



.....

(١) نفع الطيب للمقري ١ - ٢٣١ ، ٢٣٥ . البيان المغرب ٢ - ٤ تاريخ افتتاح الاندلس ٣٢ - ٣٣ .

(٢) نفع الطيب للمقري ٢ - ١٢٩ ، ١٣٠ .

الطَّيْبُ الثَّالِثُ

الفصل الثاني

المرحلة الاولى من فتح الاندلس

- ١ - من العبور حتى معركة وادي لكة ، « التمهيد للفتح »
- ٢ - الغزوات الاستطلاعية .
- ٣ - الانزال في الاندلس .
- ٤ - معركة وادي لكة .
- ٥ - نتائج المعركة .
- ٦ - استشبار الظفر .

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

- ١ - عمليات موسى بن نصير
- ٢ - فتح اشبيليا .
- ٣ - التوقف عند ماردة .
- ٤ - قمع حركة التمرد في اشبيليا .
- ٥ - معركة السواقي .

- ٦ - معاودة فتح طليطلة .
- ٧ - فتح سرقسطة وفتح الشمال .
- ٨ - فتوح شمال غرب الأندلس « جيليقية » .
- ٩ - فتح عبد العزيز بن موسى في الأندلس .

قراءات

- ١ - موسى بن نصير اللخمي : ابو عبد الرحمن .
- ٢ - طارق بن زياد : الليثي .
- ٣ - مفيت الرومي بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم .
- ٤ - عبد العزيز بن موسى بن نصير .
- ٥ - نهاية موسى بن نصير .
- ٦ - نصير أولاد غيطشة بعد الفتح .

فتح الأندلس

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنة المجرية
- تولي الوليد بن عبد الملك الخلافة ..	م ٧٠٥	٥٨٦
- تولي موسى بن نصير ولاية افريقية والمغرب .	م ٧٠٥	٥٨٦
- تحقيق الاستقرار في المغرب واحتلال جزيرتي ميورقة ومنورقة .	م ٧٠٧	٥٨٩
- غزوة استطلاعية للأندلس بقيادة طريف .	م ٧١٠	٥٩١
- عبور طارق بن زياد درب الزقاق « مضيق طارق » والانزال في الأندلس .	م ٧١١	٥٩٢
- عبور موسى بن نصير المضيق والانزال في الأندلس .	م ٧١٢	٥٩٣
- غزو قتيبة بن مسلم الباهلي سمرقند ، شرقاً وفتحها ..	م ٧١٢	٥٩٣
- معركة وادي لكة ونجاح طارق بن زياد بتمزيق جيش اللريق .	م ٧١١ ١٩ تـوز	٢٨ رمضان ٥٩٢
- موقعة « تامس » ونجاح مروان بن موسى ابن نصير بقتل للديق .	م ٧١٣	٥٩٤
- فتح غرب الأندلس « البرتغال » بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير .	م ٧١٣	٥٩٤

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
- وفاة الوليد وتولي سليمان بن الوليد الخلافة .	م ٧١٥	٥٩٦
- قتيبة بن مسلم يقوم بفتح كاشغر، وغزو الصين.	م ٧١٥	٥٩٦
- حصار القسطنطينية وغزو جرجان وطبرستان في الشرق ..	م ٧١٧	٥٩٨
- وفاة سليمان بن الوليد وولاية عمر بن عبد العزیز الخلافة ..	م ٧١٧	٥٩٩
- تعيين السمح بن مالك الخولاني لولاية الاندلس وتجاوزه البرانس واحتلال وادي الدون ، وتولوز ، ومقتل السمح وتراجع المسلمين حتى فاربون .	م ٧١٩ - ٧١٨	١٠٠ - ١٠٢
- وفاة عمر بن عبد العزيز وولاية يزيد الثاني الخلافة .	م ٧١٨	٥١٠١
- تعيين عنيمة بن محيم الكلبي لولاية الاندلس واحتلال سبتمانيا وتقدم العرب المسلمين لحصار نيبون، ثم مقتل عنيمة وتراجع المسلمين حتى فاربون .	م ٧٢١ - ٧٢٥	١٠٣ - ١٠٧
- وفاة يزيد الثاني وولاية هشام بن عبد الملك الخلافة ..	م ٧٢٣	٥١٠٥
- تعيين عبد الرحمن الناقصي لولاية الاندلس .	م ٧٢٥	٥١٠٧
- موقعة «تور بواتيه» ، ومقتل عبد الرحمن الناقصي .	م ٧٣٢	٥١١٤
- سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية في المشرق .	م ٧٥٠	٥١٣٢
- انتهاء عهد الولاة وقيام الدولة الاموية بالاندلس.	م ٧٥٥	٥١٣٨

فتح الأندلس

١ - من العبور حتى معركة وادي لكة

[... ان الله ذوي لي الارض فرايت مشارقها
ومغاربها . ان ملك أمتي سيبلغ ما ذؤوي لي
منها واعطيت الكنزين الأحمر والأبيض..]^(١)
حديث شريف

١ - التمهيد للفتح

عندما وصل عقبة بن نافع الى المغرب الاقصى عام ٦٢٢ هـ - ٦٨٢ م . ولقيه
عند وصوله طنجة بطريق من الروم اسمه يليان ، هو حاكم سبته ، فأهدى له
هدية حسنة ونزل على حكمه وأراد عقبة فتح الأندلس فقال له يليان : أتترك
كفار البربر خلفك وترمي بنفسك في مجبوحة الهلاك مع الفرنج ويقطع البحر
بينك وبين المدد^(٢) .

- هل كان يليان مخلصاً في نصحه أم أراد صرف عقبة عن الهدف الكبير
تنفيذاً لمخططه في البقاء حاكماً للقاعدة المتقدمة في الدفاع عن الأندلس ..؟
مهما كان عليه الأمر فقد عاد عقبة من عملياته واستشهد في معركة تهودة
عند الزاب في عام ٦٢٣ هـ وتوقف مشروع فتح الأندلس .

.....
(١) حديث رواه مسلم وأحمد والنسائي ، في سنن أبي داود الجزء الرابع كتاب الفتن
والملاحم ٤٢٥٢ وفي مسلم الفتن وأشراف الساعة . باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٢٨٨٩
ص ٢٢١٥ .

(٢) الكامل لابن الاثير ٤٤/٣ ، تاريخ المغرب الكبير ٤٤/٢ .

- وفي عام ٨٩٠ ، و ٩٠٠ هـ عاد المد العربي بقيادة موسى بن نصير فوصل المغرب الأقصى ولم يبق من قلاع المقاومة الحصينة سوى « سبتة » فوضع موسى حامية قوتها ١٩٠٠٠ تسعة عشر الف مقاتل، من البربر بقيادة طارق بن زياد ، وذلك بمهمة احكام الحصار على سبتة والتضييق عليها وارغامها على الاستسلام^(١) . وكان طموح فتح الاندلس يراود نخيلة موسى ، لكنه أرجأ مشروعه الى حين وحتى سقوط سبتة .

- خلال هذه الفترة ، كان موسى يطور العمليات البحرية تنفيذاً لمشاريعه المقبلة فاهتم بممران مدينة تونس وتوسيع دار الصناعة فيها وشق القناة التي تصل الميناء بالمدينة وأمر بصناعة مائة مركب .

- قام أسطول افريقية بمجموعة من عمليات الانزال البحري في صقلية وسردينيا وانتهى باحتلال ميورقة ومنورقة من جزر الباليئار سنة ٨٨٩ . وبذلك أصبحت الحدود الشرقية للاندلس في حالة الفتح مأمونة ، كما اكتسب العرب المسلمون ثقة بقدرتهم على تنفيذ عمليات الانزال الكبرى .

- عاد « يوليان » الى سبتة وهو مصمم على الانتقام من « رودريك » - ومن المحتمل أن يكون الحافز الاقوى الذي دفعه هو ما شاهده من قوة العرب المسلمين وتصميمهم على تحقيق أهدافهم خلال حصارهم لمدينته فقرر كسب الوقت واغتنام الفرصة والعمل مع الجانب الرابع فقرر الانضمام الى العرب المسلمين . كما انه من المرجح ان يكون اتصال يوليان قد تم بعد هزيمه حزب اخيلا في شمال الاندلس والتجاء قادة المقاومة الى يوليان في سبتة وتحريضه على الانتصار بالعرب المسلمين بقيادة طارق بن زياد الذي وجهه الى موسى بن نصير .

اتصل يوليان بموسى بن نصير وعرض عليه مشروعه لفتح الاندلس ووصف له حسناتها وفضلها وما جمعت من أسباب المنافع وأنواع المرافق وطيب المزارع

.....
(١) فتح الطيب ١/٢٢٤ .

وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك حال رجالها ووصفهم
بضعف البأس وقلة الفناء^(١) .

- لم يكن باستطاعة موسى بن نصير تنفيذ هذا المشروع قبل العودة الى أمير
المؤمنين في دمشق ، فكتب الى الوليد بن عبد الملك يطرح عليه الموقف ويخبره
بتحول « يوليان » ووقوفه الى جانب العرب المسلمين ويستأذنه في عبور المضيق
والانزال في الاندلس ، فكتب اليه الوليد :

[.. خضنها بالسرايا حتى تختبر شأنها ولا تفرر بالمسلمين في بحر شديد
الاهوال ...] .

فراجعه انه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه :
[.. وان كان ، فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه ...]^(٢) .
- وبدأ موسى في العمل .

٢ - الفزوات الاستطلاعية :

١ - لم يكن باستطاعة موسى بن نصير وهو القائد الذي اكسبته التجارب
خبرة طويله ان يقبل بسهولة ما عرضه عليه يوليان ، وأراد أن يضع ولاءه موضع
التجربة فكلفه بالقيام باغارة استطلاعية والاتصال بحلفائه من أهل البلاد ويذكر
المقرى هذه الاغارة فيقول :

[... اخذ «موسى» بالحزم فيما دعاه اليه يوليان ، فعاقده على الانحراف
الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل ملته من الاندلس المشركين

(١) نفع الطيب ٢٥٤/١ ويذكر ابن الاثير ٢١٣/٤ . والبيان المغرب ٦/٢ ان هذا اللقاء
قد تم على متن سفينة في البحر .

(٢) نفع الطيب ٢٥٤/١ وجاء في البيان المغرب ٦/٢ ان موسى استشار الوليد اما مراسلة
واما نهض بنفسه اليه ... والاحتمال الاكثر هو ان عملية الاستشارة قد تمت بالمراسلة نظراً لما
كان يضطلع به موسى من مسؤوليات جسام .

والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل يوليان ذلك وجمع جمعا من أهل عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فأغار وقتل وسبى وغنم وأقام بها أياماً ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا بيوليان وأطمأنوا اليه ... [(١)] .

٢ - بعث موسى بعد ذلك رجلاً من مواليه من البرابرة اسمه طريف في اربعمائة رجل معهم مائة فرس ، سار بهم في اربعة مراكز فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالحضراء التي اصبحت فيما بعد معبراً للسفن تضم داراً لصناعة المراكب . وحملت الجزيرة منذ ذلك الحين اسم جزيرة « طريف » . وأقام بالجزيرة أياماً ثم مضى حتى اغار على الاندلس فأصاب سبياً لم ير موسى ولا اصحابه مثله حسناً ومالاً جسيماً وذلك في شهر رمضان من عام ٩١ هـ (٢) .

٣ - قام « أبو زرعة » وهو شيخ من البرابرة بعد ذلك بغزوة قوتها ألف رجل ونزلت قوة الاغارة بالجزيرة الخضراء وكان أهلها قد تفرقوا عنها، فصرموا عامتها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبياً يسيراً وقتلوا وانصرفوا سالمين وهناك من يضع من المؤرخين الغزوتين فيجعلها غزوة واحدة بسبب لقب طريف « بأبي زرعة » وبسبب قرب تاريخ تنفيذ الاغارتين الاستطلاعتين بعضهما من بعض .

- توفرت المعلومات عن وضع الجزيرة ، واتخذ موسى قراره بتنفيذ العملية وأصدر اوامره إلى طارق بن زياد بالعبور في رجب ٩٢ هـ ، نيسان - ابريل ٧١١ م . والتوقف عند حدود قرطبة (٣) .

(١) و (٢) نفع الطيب . ٢٥٤ / ١ .

(٣) البيان المغرب ٣ / ١٨ - ١٩ .

٣ - الانزال في الاندلس .

- قاد طارق بن زياد جيشه المكون من سبعة آلاف مقاتل . وبدأت عملية العبور من سبتة تباعاً في سفن يليان ونزل بالبقعة الصخرية المقابلة التي عرفت منذ ذلك اليوم باسم جبل طارق . ثم توقف فيها حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل . وانطلق طارق لدعم رأس الجسر وتوسيعه حتى اكمل فتح الجزيرة الخضراء (١) الى البحيرة .

- عندما حدث انزال قوات العرب المسلمين في جنوب الاندلس . كان رودريك يقود جيشه ويقاوم البشكنش في أرض بنبلونة (٢) وكانوا انصاراً لأخيلاء . علم رودريك بأمر الانزال وعرف أن يليان يعمل مع قوات العرب المسلمين حليفاً لهم . (فمظم عليه الأمر وأقبل مبادراً للفتق في جموعه حتى وصل مدينة قرطبة من الموسطة « المتوسطة » ونزل القصر المدعوها ببلاط « لذريق » وبقي فيها اياماً والحشود من اعماله تتوافى اليه) (٣) .

- كان اخيلاء غيطة قد هلك ، وكانت زوجته قد ضبطت لاولادها ملك والدم بطليطلة . فلما اقتحم طارق الاندلس استنفر رودريك اجناد اهل الاندلس . وكتب الى اولاد غيطة يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب

.....

(١) الجزيرة الخضراء ، مدينة أمام سبتة من بر الاندلس الجنوبي ، وهي من أرشق المدن وأطيبها وأرقها بأهلها وأجمعها خير البر والبحر وقرب المنافع من كل جهة ، توسطت مدن السواحل واشرفت بسورها على البحر ومرساها أحسن المراسي للجواز « العبور » وأرضها أرض زرع وضرع وتناج . وعندما يخرج الانسان من بابها يجد المياه الجارية والبساتين الخضرة ونهرها يعرف بوادي المصل ومن متزهاتها النقا ، التفاصيل المغرب في حلى المغرب ١/٢٢٠ وتقويم البلدان ١٧٣ .

(٢) البشكنش قوم كانوا يسكنون في جبال البرانس « البيرينة » منطقة الباسك LE BASQUES مركزها حالياً PAU ، جنوب فرنسا « المؤلف » .

(٣) نفع الطيب ١/٢٥٠ .

ويحذروهم من القعود عنه ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم بدأ واحدة . وكان أولاد غيطشة قد ترعرعوا وركبوا الخيل واتخذوا الرجال فعندما وصلتهم دعوة «رودريك» لم يجدوا بدأ من تلبيتها وحشدوا قوتهم وقدموا عليه بقرطبة ونزلوا اكناف قرية شقندة^(١) بعدوة نهرها قبالة القصر ، ولم يطمئنا الى الدخول على رودريك أخذاً بالحزم الى ان استتب جهاز «رودريك» وخرج فانضموا اليه ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه^(٢) .

علم طارق ان عسكر رودريك في نحو اربعين الف ذوي عدة وعدد ، فكتب الى موسى يستمه ويعرفه انه فتح الجزيرة الخضراء وملك المعجاز اليها واستولى على اعمالها الى البحيرة ، وان رودريك زاحف اليه بما لا قبل له به . وكان موسى منذ وجه طارقاً لوجهه قد اخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة فحمل الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مدداً كملت بهم عدة من معه اثني عشر الفاً ، حرصاً على اللقاء ومعهم بليان المستامن اليهم في رجاله واهل عمله يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار .. واقبل نحوهم لذريق في جموع المعجم وملوكها وفرسانها^(٣) ..

٤ - معركة وادي لكة : XERES

التقى الطرفان يوم الاحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ - ١٩ تموز - يوليو ٧١١ م

(١) شقندة : كانت في قديم الزمان مدينة ، ثم خربت وصارت قرية وهي مطلة على قرطبة مجاورة لها ، المغرب في حلى المغرب ٢١٣/١ .
(٢) و (٣) نصح الطيب ٢٥٨/١ . وفيه ايضاً :
(... وقال اولاد غيطشة ، بعضهم لبعض ... ان هذا ابن الحبيشة قد غلب على سلطاننا وليس من اهلها وانما كان من اتباعنا فلنا نعدم من سيرته خيالاً في أمرنا وهؤلاء القوم للطارقون لا حاجة لهم في استيطان بلدنا ، وانما مرادهم ان يملأوا ايديهم من الفنائم ثم يخرجوا عنا فلم نلتنهم بابن الحبيشة اذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يستحقه فأجمعوا على ذلك ...) . وهناك بعض المصادر تذكر ان قوة القوط مائة الف ، وهو مبالغ فيه .

وبدأت المعركة على نحو ما كان اسلوب القتال متبعاً ، واخذ الجند يتقاذفون
بالسهام . في الوقت الذي كان فيه كل طرف يستطلع خصمه لمعرفة نقاط ضعفه .
- حشد القادة قواتهم في - وادي لكه - قرب مدينة شذونه (١) حيث
البحيره - واخذت الاشتباكات في تصاعد حتى تحولت الى قتال شديد .

- ارسل رودريك - علجاً - من اصحابه قد عرف نجدته ووثق ببأسه
ليشرف على عسكر طارق - ويعرف مقدار قوته ونقاط ضعفه فأقبل ذلك
العلج حتى اطلع على العسكر ثم شد في وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه
فولى منصرفاً راكضاً ، وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق : [انتك الصور
التي كشف لك عنها التابوت - في دار الحكمة - فخذ على نفسك فقد جاءك منهم
من لا يريد الا الموت او اصابة ما تحت قدميك - قد حرقوا مراكبهم اياساً
لأنفسهم من التعلق بها وصفوا في السهل موطنين انقسم على الثبات اذ ليس لهم
في ارضنا مهرب .. فرعب وتضاعف جزعه ..

- في هذا الوقت ارسل اولاد غيطشة الى طارق يعلمونه ان رودريك كان
تابعاً وخادماً لأبيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وانهم غير تاركي حقهم لديه
ويسألونه الأمان على ان يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وان يسلم اليهم اذا ظفر
ضباع والدهم بالاندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة ، نفائس مختاره وهي
التي سميت بعد ذلك « صفايا الملوك » . فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه ، وكان
« رودريك » قد عين ولدي غيطشه . ارطباس والمند ، لقياده ميمنة جيشه
وميسرته . وكان لها تأثير قوي على اتباعهما ..

(٤) شذونة : هناك مدينة شذونة « وكورة شذونة » والمدينة ، من مدن الاندلس المليحة
ظاهراً وباطناً ، في نهاية العمارة وكثرة الارزاق من متفرجاتها الجانة وفيها نهر لك وهو نهر
مستحسن عليه بساتين ومناظر ملاح اما الكورة - الناحية او القصبه - فهي من كور اشبيلية
واجلها محراثاً وشجرة ومياهاً وضياعاً وما شبه ، الى جانب المحيط ، المغرب في حلى المغرب
٣٠١/١ - ٣٠٢ - مجمع البلدان / ٢٤٤ .

- كان ميزان القوى في صالح رودريك ، فوقف في ساحة المعركة على سريره محمولاً على دابتين وعليه مظلة مكلفة بالدر والياقوت والزبرجد تحف به البنور والأعلام وبين يديه جنده الكثيف من العبيد والمستضعفين الذين ينقصهم الإيمان .. واقبل طارق في بساطته يحف به اصحابه الذين عمر الإيمان قلوبهم وعليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم وبأيديهم القسي العربية وقد امتشقوا السيوف وتقلدوا الرماح -

- شعر جند طارق بالرهبة نتيجة لتفوق عدوهم ، فوقف طارق يستحث جنده ويستثير حماسهم فقال لهم : (١)

[ايها الناس ! اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليمن لكم والله الا الصلح والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيق من الأيتام في مادبة اللنام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم . وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً ، ذهب ربحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة بمناجزة هذا الطاغية ، فقد القتت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت . واني لم أحذركم امراً انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارض خص متاع فيها النفوس الا وانا ابدأ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً . وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسنان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان - الذهب - المتصورات في قصور الملوك ذي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عرباناً ورضيكم ملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاه كلمته

(١) نفع الطيب ١/٢٤١ .

وأظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنماً خالصة لكم من دونه ومن دونه المؤمنين سواكم والله تعالى وليّ انجادكم على ما يكون لكم ذخراً في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسى على طاغية القوم للريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتمكم امره ولم يعوذكم بطلٌ عاقل تستدون اموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون . . .] .

- نظم طارق جيشه بحيث استند الى بحيرة خاندا التي تمتد كيلومترات عديدة والتي يصب بها نهر برباط . كما استند بجناحه الآخر الى المرتفعات الجبلية « ريتين » وامضى وقته في التنظيم للمعركة وحشد قواته ومعالجة الروح المعنوية ، وبات المقاتلون ليلتهم في حرس الى الصبح حيث بدأت المعركة الحاسمة واقتتل الطرفان قتالاً شديداً حتى انهزمت ميمنة رودريك وميسرته ، وثبت القلب بعدها قليلاً ، وعذر رودريك اهله بشىء ، من قتال ثم انهزموا ورودريك امامهم وأذرع المسلمون القتل فيهم . ولم تغرب شمس يوم ٥ شوال سنة ٩٢ هـ ٢٧ تموز - يوليو - ٧١١ م حتى كانت طلّاع قوات العرب المسلمين ومفارز فرسانهم الخفيفة تطارد فلول القوات القوطية المنهزمة . وانتهت المعركة بعد ثمانية أيام من القتال العنيد الذي صمم فيه كل طرف على انتزاع النصر ، وكان تصميم العرب المسلمين هو الأقوى .

٥ - نتائج المعركة

- احدث انتصار العرب المسلمين في وادي لكة هزة قوية في العالم القديم . وكان له اثر كبير على مسيرة العمليات ومن هذه النتائج :

١ - انفتاح شبه جزيرة ايبيريا امام العرب المسلمين بعد تحطيم قوة جيش القوط وانزال الحصار القادحة في تمداده حيث قتل منهم « خلق عظيم » اقامت

عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الأرض . (وان انتصار المسلمين في وادي لكة القى باسبانيا كلها في ايدي المسلمين ولم يكن طارق بحاجة الا الى قليل من الجهد ليقضي على المقاومة الضئيلة في بعض المدن ..) (١)

٢ - حصل العرب من الغنائم على اعداد كبرى من الخيول كانت كافية لمعلمهم جميعاً فلم يبق بينهم راجلاً مما يسر لهم مرونة الحركة وخفة الانتقال وساعدهم على التحرك بسرعة وخلال فترة قصيرة حتى وصلوا الى طليطلة ولم يكن تحقيق هذه المرونة والسرعة في التحركات بالمستطاع لو تم الاعتماد على العدد المحدود من الخيول التي نقلها المسلمون معهم عبر « بحر الزقاق » (٢) .

٣ - ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين واكتساب مزيد من الثقة بالنجاح مقابل وضع مناقض عند القوط . وأسرع المقاتلون من أفريقية الى عبور البحر والالتحاق بقوات طارق (... تسامع الناس من أهل بر العدو بالفتح على طارق بالاندلس ، وسمة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال ...) (٣) .

٦ - استثمار الظفر

- أسرع طارق بالتحرك لمطاردة القوات المنسحبة وعدم تمكينها من تنظيم مقاومات جديدة ، فوصل شذونة وكان أهلها قد اعتصموا بها وصموا على الدفاع عنها فحاصرها طارق وشدد قبضته عليها ونجح في اقتحامها ، وسقطت شذونة

(١) العرب في اسبانيا ، لينبول ستانلي ، ترجمة علي الجارم بك ص ٢١ .

(٢) دراسات في تاريخ الاندلس ، احمد بدر ، ١٢ .

(٣) نفع الطيب ٢٤٩/١ وفيه (.. اختفى لذريق بعد المعركة ، الا ان المسلمين وجدوا فرسه الاشهب الذي فقد وهو واكبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا احد خفيه وكان من ذهب مكلل بالدرر والياقوت وقد ساخ الفرس في طين رحما وغرق العليج فثبت احد خفيه في الطين فأخذ وخفي الآخر وغاب شخص العليج ولم يوجد حياً أو ميتاً) .

في قبضة المسلمين وفتحوها عنوة. وتابع طارق تحركه حيث توفرت له المعلومات عن تجمع فلول « القوط » في « استجة » ، فمر في مسيرته من المدور^(١) وعطف على قرمونة^(٢) فمر بعينه المنسوبة اليه ثم مال الى اشيلية فصالحه أهلها على الجزية. ووصل استجة^(٣) وكان أهلها قد نظموا مقاومتهم وانضم اليهم الفارون من جيش رودريك . ووقعت بينهم وبين المسلمين معارك ضارية حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين وأخيراً نجح طارق في انتزاع النصر وتمزيق المقاومة . فالتجأ أهل المدينة الى حصونهم ومعاقلمهم . وعمل طارق على تضيق الحصار .

— كان حاكم المدينة وقائد المقاومة فيها مفترساً سيء التدبير ، فخرج الى النهر لبعض حاجته وحده فصادف طارقاً هناك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه ، فوثب عليه طارق في الماء فأخذه وجاء به الى العسكر ، فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه طارق على ما أحب وضرب عليه الجزية وخلي سبيله . فوفى بما عاهد عليه بعد مجموعة الانتصارات التي حققها طارق ، عقد مؤتمرًا لمناقشة الموقف وحضر بيليان المؤتمر ، وطرح رأيه فقال لطارق :

[... انك فضضت جيوش القوم ورعبوا ، فاصمد لبيضتهم ، وهؤلاء ادلاء من اصحابي مهرة ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد انت الى طليطة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر في امرهم والاجتماع الى اولي رايهم ...] .

— وتكوفت لدى طارق القناعة بصحة هذا الرأي ، ولم يكن لديه من الوقت

-
- (١) المدور AL MODOVAR حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة — ومودور ايضاً كورة متصلة بأحواز قرمونة ، معجم البلدان ٤١٧/٧ .
- (٢) قرمونة GARMONA ، كورة مشهورة بكثرة الحرث وطيبه والحالي منها مدينة قرمونة وهي مدينة من جهة ضخامة الاسواق والحمامات ومقل عظيم من جهة الارتفاع والمنعة لا ترام بقتال ، كانت من حصون الاسلام المشهورة ، المغرب في حلى المغرب ١/٢٩٩ .
- (٣) استجة ، EGIJA ، كورة بالأندلس ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ ، معجم البلدان ١/٢٢٤ .

ما يسمح له بالعودة الى موسى بن نصير لاستطلاع رأيه ، فقرر البدء بتنفيذ مخططة بشكل ثلاث مجموعات قتالية ووجهها الى اهداف مختلفة .

١ - وجه طارق بن زياد مجموعة قتالية من سبعماية فارس يقودهم مغيث الرومي بمهمة فتح قرطبة .

قاد مغيث مجموعته حتى وصل الى «عدوة نهر شقندة» فكمّن وجنده في غيضة أرز شاذحة ، وأرسل الأدلاء ، حتى توفرت له المعلومات عن نقطة ضعف في سور المدينة ، وأفاد مغيث من ظلمة الليل وهطول الامطار فتسلل بقوته حتى وصل السور ، وتسلق المقاتلون واقتحموا الترسينات ، وفتحوا الأبواب فتدفق سيل المقاتلين ونجح المسلمون في تدمير المقاومة ، وفر ملك قرطبة ومعه اربعمائة مقاتل الى كنيسة بقرب المدينة . ووجه مغيث قوة لحصار الكنيسة وكتب الى طارق يعلمه بالفتح .

- استمر الحصار ثلاثة أشهر ، فعمل مغيث على تشديد الرقابة ، ووضع عناصر الاستطلاع ووقع احدهم اسيراً في قبضة ملك قرطبة . وتعرض للتعذيب فصمد وقاوم وعرف مورد المياه الذي تعيش القوة منه . وهرب عندما استطاع ذلك واعلم مغيث بما توفر لديه فعمل مغيث على قطع موارد المياه وعرض عليهم الاستسلام بدخول الاسلام او دفع الجزية لكن الملك رفض فعمل مغيث على اضرار النار فسميت منذ ذلك الحين بكنيسة الحرقى وحاول الملك الهروب فقبضه

(١) قرطبة CORDOBA ، كانت اعظم مدينة بالاندلس تقع على الوادي الكبير وليس في الاندلس واد يسمى باسم عربي غيره . وهي من أحسن البلاد مياهي ، وأوسعها مسالك وأرعها ظاهراً وباطناً ، هواؤها معتدل . وبها القنطرة التي هي احدى غرائب الارض في الصنع والاحكام ، والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام اكبر منه . قال فيها أحدهم :
دع عنك حضرة بغداد وبهجتها ولا تعظم بلاد الفرس والصين
فما على الأرض قطر مثل قرطبة وما مشى فوقها مثل ابن حمدين .
نفع الطيب ١/٤٥٧ - ٤٦٠ آثار البلاد وأخبار العباد ٥٥٢ - المسالك والممالك ٣٥ .

مغيث وطارده حتىلقى القبض عليه وكان الملك الوحيد الذي أمكن أسرهِ من بين ملوك الاندلس جميعاً .

٢ - ووجه طارق بمجموعة ثانية بمهمة فتح مالقة^(١) فمضت هذه الى هدفها ونجحت في القضاء على المقاومة التي تمزقت والتجأت الى الجبال . وتابعت القوة مسيرتها حيث انضمت الى المجموعة الثالثة المكلفة بفتح غرناطة^(٢) .

٣ - وكان واجب المجموعة الثالثة التي وجهها طارق بن زياد التقدم نحو البيرة^(٣) وغرناطة^(٤) . ونجحت هذه المجموعة في حصار غرناطة واقتحامها عنوة

(١) مالقة MALAGA، إحدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البحر والبحر ، كثيرة الحيرات والقواكه كالنتين والعنب والرمان واللوزقال فيها ابو الهجاج يوسف ابن الشيخ البلوي المالقي .

مالقة حبيبت يا تينها الفلك من أجلك ياتينها
نهي طيبي عنه في علتي ما لطبيبي عن حياتي نهي

نفع الطيب ١/١٥١ ، المسالك والممالك ٣٥ معجم البلدان ٧/٣٦٧ .

(٢) نفع الطيب ١/٢٦٣ .

(٣) البيرة ELVIRA ، بلدة قريبة من ساحل البحر في الأندلس . وكانت مملكة جليلة بين مملكتي قرطبة والمرية ومملكتي جيان ومالقة وهي كثيرة الكتان والأشجار والانهار ، كما كانت قاعدة الملكة في القديم ولها ذكر شهير وعمل عظيم الا ان رسمها قد طمس ولم يبق منها الا بعض أثر وصارت غرناطة كرسياً . المغرب في حلى المغرب ١/٩١ - ٩٣ . معجم البلدان ٢/٣٣٠ .

(٤) غرناطة GRANADA ، هي دمشق بلاد الاندلس ، لأن جند دمشق نزلوها وتسمي كورة البيرة التي منها غرناطة وقيل انها سميت دمشق لشبهها بها في غزارة المياه وكثرة الأشجار ، يخترقها نهر عليه قناطر يسمى نهر شبيل وفي قلبها جبل شليل « وهو ما يسمى سيرا نيفادا » وفيها قيل :

غرناطة ما لها نظير ما مصر ، ما الشام ، ما العراق ؟
ما هي الا عروس تجلي وتلك من جملة الصداق ..

نفع الطيب ١ - ١٤٧ - ١٤٨ .

وأقاموا فيها حامية وضموا إليها اليهود للاستعانة بهم ثم تابعوا تقدمهم حتى رية^(١) ومنها تدمير^(٢) حيث كانت قصبها أريولة^(٣) ، وهناك وقعت معركة ضارية ونجح المسلمون في انتزاع النصر وارغام حاكم تدمير على الانسحاب حتى وصل أريولة واعتصم بأسوارها ولجأ حاكم تدمير إلى الخديعة فأمر النساء والأولاد بارتداء ثياب المقاتلين وحمل الأسلحة والتوقف عند الأسوار ، وعرض المسلمون الصلح فنزل حاكم تدمير متكرراً وفاوض المسلمين وبعد أن حصل على شروط الأمن وتم التوقيع على الاتفاق وعند ذلك عرفهم بنفسه ، واعتذر إليهم بالإبقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها سوى النساء والأطفال وحافظ العرب على الوفاء كما هي عادتهم ، وتركوا في المدينة حامية صغيرة وتابعت قوة المجموعة تحركها حيث التحقت بالقوة الرئيسية التي توجهت بقيادة طارق للاستيلاء على طليطلة. في الوقت الذي كانت فيه المجموعات القتالية تقضي على المقاومات في المعامل والجبال والقلاع الحصينة كان طارق يقود الكتلة الرئيسية من قواته متوجهاً نحو الشمال عن طريق جيان^(٤) وكان وصول طارق

(١) رية ، وهي التي أصبحت تعرف باسم « بالقة » يمر منها نهر تسيل مياهه في أشهر الربيع فقط ، وبها قلعة حصينة . المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٢٣ .

(٢) تدمير : من كور الاندلس الشرقية وتسمى مصر أيضاً لكثرة شبيها بها لان لها أرضاً يسبح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزوع كما تزوع أرض مصر وصارت القصة بعد تدمير « مرسية » وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ، وفي كورة تدمير حجر المغنايس الجاذب للحديد ومعادن الفضة كثيرة في كورة تدمير - نفع الطيب ١ - ١٦٤ .

(٣) أريولة « اوربولة » ORIHUELA في موضع كأنه اقتطع من جنة الخلود ، نهر سائل ودواليب نعارة وطيور شاذية وأشجار متعانقة ولها قلعة في نهاية من الامتناع وكانت أريولة قاعدة الكورة قبل ان تنتقل هذه القاعدة الى مرسية . نفع الطيب ١ - ١٦٦ ، المغرب في حلى المغرب ٢ - ٢٨٦ .

(٤) جيان JAEN مملكة جلييلة بوسطه الاندلس ، معروفة بالحارث والاشخاب ، وهي بين غرناطة وطلطلة ومرسية ، جمعت تنامي طيب الارض وكثرة الثمر وغزر السقييا واطراد الصيون وكثرة الحرير . المغرب في حلى المغرب ٢ / ٤٩ - ٥٦ .

الى حدود طليطلة^(١) مباغنة كاملة لبقايا القوط الذين تركوا المدينة والتجأوا الى الجبال . ودب اليأس في قلوب قادة المقاومة وحكام المقاطعات وكبار رجال الكنيسة ذلك انهم لم يكونوا يتوقعون تحرك طارق بمثل هذه السرعة وكانوا يتوقعون ايضاً ان تكون عمليات طارق مشابهة لغزوات بليان وطريف وأبي زرعة ، وعندما تطورت الاحداث على غير ما كانوا يتوقعونه تخلوا عن المقاومة وأسلموا مدينتهم فدخلها طارق بقوات المسلمين وهي شبه خالية واستولى على ثروات ضخمة وكنوز تراكت عبر عصور متتالية في القصور والكنائس ومضى طارق خلف من فر من أهل طليطلة بعد أن خلف في المدينة رجالاً من أصحابه وسلك وادي الحجارة^(٢) فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل ثم اقتحم ارض جيليقية حتى انتهى الى مدينة استرقة . وعاد طارق الى طليطلة لقضاء فصل الشتاء فيها والابتماداد لمناجمة العمليات وبعد ذلك تابع اعمال الفتح فدخل ولاية برغش^(٣) وأحتل مدينة أماية^(٤) *

(١) طليطلة TOLEDO احدى المدن الاربع التي بنيت في مدة قيصر اكتيان ، يمر بها نهر تاجة تقع في موسطة الاندلس . قال ابن وكيل فيها :
 زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نضارة ونعيم
 الله زينته فوشح خصره نهر المجرة والقصور نجوم
 المغرب في حلى المغرب ٢ / ٨ نفع الطيب ١ / ١٦١ ، معجم البلدان ٦ / ٥٦
 (٢) وادي الحجارة GUADAL JARRA ، الى الشمال الشرقي من طليطلة غير أنه رافد يرفد نهر تاجة .

(٣) برغش BURGOS احدى مدن الحدود الشمالية . نفع الطيب ١ / ٣٦٤ .
 (٤) أماية AMAYA احدى مدن الحدود الشمالية ، يمر منها احد الفروع الرافدة لنهر دويرة .

(*) جاء في نفع الطيب ١ / ٢٦٠ (. .) وكان من ارباب طارق لنصارى الاندلس وحيله ان تقدم الى اصحابه في تفصيل لحوم القتل بحضور أسراهم وطبخها في القدور يرونهم انهم يأكلونها فجعل من انطلق من الاسرى يمدون من وراءهم بذلك فتمتلئ منه قلوبهم رعباً ويخفون فراراً ..) وذكر ابن القوطية في كتابه فتح المسلمين للاندلس نصاً بهذا المعنى

←

اخترق طارق الأندلس من أقصى الجنوب الى ما فوق الوسط اخترق السهم وبقيت جميع البلاد من الجانبين غير خاضعة له تتجمع فيها حاميات قوطية وهذا الأمر يجعل خط الفتح الاسلامي عرضة للانقطاع^(١) . وقد دخل طارق الاندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير وهناك رواية متناقضة حول هذه النقطة ، اكثرها ينص على أن موسى كان يتلقى اخبار الفتح « بحسد والغيرة تمضه » وبعضها ينص على أن تجاوز طارق وادي لكّة وقوغله قد أقلق موسى حول مصير المسلمين واما يمكن أن يتعرضوا له من مخاطر . وان مسيرة الاحداث وتطورها اثبتت صحة الروايات الثانية على قلتها ويدحض الروايات الاولى على كثرتها ومن المحتمل جداً أن تكون الهنة التي انتهى اليها موسى بعد فتوحاته وما رافق ذلك من مؤامرات خلفية في المشرق قد أسهمت في نشر تلك الشائعات واثباتها حتى أصبحت معروفة لدى العامة والخاصة فأقبل المؤرخون على تسجيلها والاخذ بالأراء الاولى التي تنص على أن حوافز موسى للفتح كانت بتأثير الحسد والغيرة لا أكثر وأن غضبته على طارق كانت بتأثير هذه العوامل وليست نتيجة لخوف موسى من احتمالات وقوع الهن بالمسلمين *

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

١ - عمليات موسى بن نصير

- كان موسى بن نصير يتابع بقلق توغل طارق في عمق الاندلس ، تاركاً

.....

وقد رد المؤرخ رينو M. REINAUD على هذا القول في كتابه غزو العرب لفرنسا وسويسرا فقال : (ان ابن القوطية عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي ، وقبل له ابن القوطية لانه من ذواوي ملوك القوط باسبانيا ، فشهادته مطعون بها وضعيفة ، بحيث لا يمكن الاخذ بها . في تاريخ غزوات العرب - شكيب ارسلان ، ص ٣٢ ، مزيد من القول .

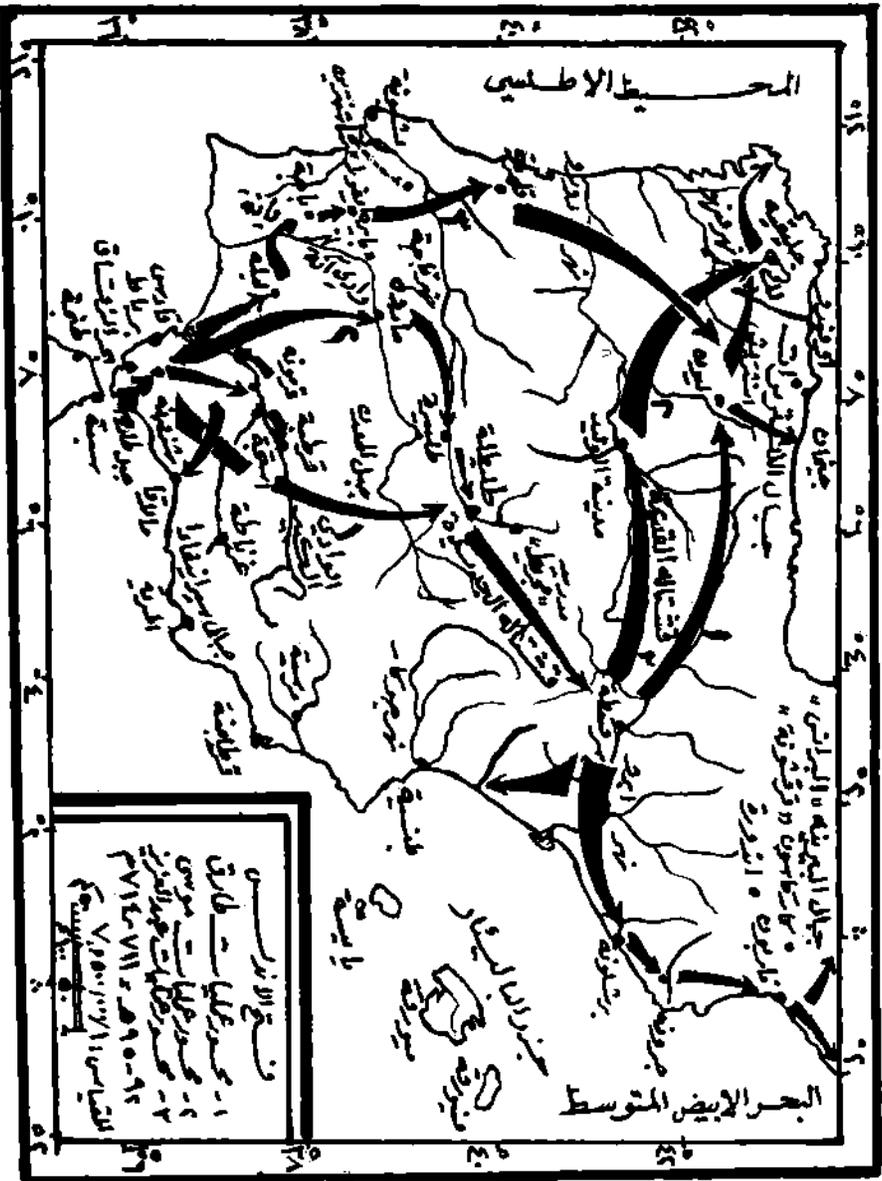
(١) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي تحقيق ج . س . كولان وليفي بروفيسال ص ١٣ / اصدار بيروت .

مجنباته دون حماية ، فأخذ في تجهيز قوة أكبر واستخلف على ولاية افريقية ابنه عبد الله وتوجه بقوة وصل عدد أفرادها الى ثمانية عشر الف مقاتل فيهم رجال قريش وزعماء العرب ووجوه الناس . وبعد أن تم حشد القوات في طنجة بدأت عملية العبور ووصل موسى يحميه الى الأندلس في رمضان سنة ثلاث وتسعين هجرية ٧١٢ م^(١) . واحتل الجبل الذي كان قد شهد قبل ذلك ازال قوات طارق ثم تجاوزه فزل الجبل الذي نسب اليه والذي عرف باسم جبل موسى وسيطر بقواته على الجزيرة الخضراء .

— عندما استقر موسى في الجزيرة الخضراء ، اسرع يليان للقائه ، وعقد معه مجلساً للتشاور ، ثم عقد مؤتمراً حضره قادة العرب^(٢) وجمع حوله الرايات وعددها يزيد على عشرين راية وتفاوض الجميع في الرأي وكان بما قاله موسى :
 [... ما كنت لأملك طريق طارق ، ولا اقفوا أثره ، فقال له العلوچ اسحاب يليان .. نحن نملك بك طريقاً هو اشرف من طريقه وذلك على مدائن هي اعظم خطراً واعظم خطباً .. ومدائن لم تفتح بعد .]^(٣)

— وتقرر بعد الحوار اتباع محور الى الغرب من المحور الذي اتبعه طارق في عملياته . ولم يبرح موسى موضعه ولا فارق مشهده حتى أمر بتخطيط الموضع ، الذي عقد فيه المؤتمر ، واتخاذ مسجداً ، حمل اسم « مسجد الرايات » ، وكان يقابل بباب البحر من أبواب المدينة .

- (١) فتح الطيب ٢٦٩/١ وجاء في ابن الاثير ٢١٥/٤ وفتح مصر والغرب (٢٨٠) ان موسى خرج الى الأندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين .
- (٢) كان من الصحابة الذين ضمهم جيش موسى بن نصير في الأندلس حنش بن عبد الله الصنماني وهو الذي أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة ، وابو عبد الله علي بن رباح اللخمي وحيان بن ابي جبة القرشي وابو عبد الرحمن الحلي وعياض بن هبة والنذر الافريقي وكان عند الصحابة نحو عشرين رجلاً . فتح الطيب ٢٨٨/١ و ٥/٣ - ١٤
- (٣) اخبار مجموعة ص ١٣ ، النص التالي : (نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه ومدائن هي اعظم خطباً ..) وفتح الطيب ٢٦٩/١ .



- كان طارق قد احتل شذونة وقرمونة ، لكن هذه المدن اصبحت مراكز للمقاومة بعد توغل طارق ومسيرته حتى طليطلة ، فتوجه موسى بجيشه في جانب ساحل شذونة وافتتحها عنوة .

- كانت قرمونة مدينة ليس بالاندلس احصن منها ولا ابعد على من يرومها بحصار او قتال فلجأ موسى الى الخديعة حيث دفع اصحاب يليان امامه فدخلوا قرمونة وكأنهم فلول قولت الحق بهم موسى الهزيمة ، وفي الليل فتح اصحاب يليان الأبواب وافتحتها خيول المسلمين وفرسان موسى بن نصير وتم فتح المدينة .

- سار موسى بقواته بعد ذلك الى قلعة جابر المعروفة بقلعة « وادي ابرة » او رعواق^(١) فافتتحها عنوة وبذلك اصبحت القاعدة الجنوبية مأمونة ويمكن التوغل نحو الشمال .

٢ - فتح اشبيليا : (٢)

توجه موسى بن نصير شمالاً في اتجاه اشبيليه ، وكان اهلها قد نقضوا اتفاقهم

(١) عواق AL GALA de QUADAIIRA - تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس

- ٩٤ - واخبار مجموعة /١٥/

(٢) اخبار مجموعة ١٦ وتاريخ الاسلام للذهبي ٣/٣٢٤ و ٤/٥٨ ونفح الطيب ٢/٢٦٩ .
- جاء في اخبار مجموعة ١٦ ، واشبيلية هي اعظم مداين الاندلس شأناً وخطباً واعمى بيتاناً واثراً ، وكانت دار الملك قبل غلبة القوطيين على الاندلس ، فلما غلبت القوطيون حولوا السلطان الى طليطلة وبقي شرف الرومانيين وقبهم ودينهم ورياستهم في دنياهم باشبيلية ..)
- وجاء في نفح الطيب ١/١٥٦ : (من اعظم مدن الاندلس اشبيلية ، ومن معاسنها اعتدال الهواء ، وحسن المباني ونهرها الاعظم الذي يصعد المدينة اتين وسبعين ميلاً ثم يحسر وفيه يقول ابن سفسر -

فانساب من شلية يطلب ثاره
هزء آ فضم من الحياء ازاره ..

شق التسيم عليه جيب قميصه
فتضاحكت ورق الحمام بدرحها



مع طارق و تحصنوا وراء سوار المدينة واستعدوا للحرب فنزل موسى بجيشه وحصرهم وعزل المدينة واستمر الحصار فترة طويلة تزيد على الشهر ، وعندما اشتد امر الحصار وعرف المدافعون عن المدينة تصميم المسلمين على فتحها ، ضعفت مقاومتهم وافاد موسى من ذلك فاخترق الحصار ونجح في اسقاط المدينة وابادة المقاومة وهرب عدد من المقاومين الى « باجة » (١) فضم موسى يهودها ووضع فيها حامية صغيرة واستأنف تقدمه في اتجاه ماردة .

٣ - التوقف عند ماردة : (٢)

اخترق موسى بن نصير اثناء تقدمه مدينة « لقنت » (٣) وعندما اقترب مسافة تزيد على الميل من ماردة اصطدمت قواته بالحامية المدافعة عن المدينة

.....

- وقال ابن رشد في المناظرة بين قرطبة واشبيلية في نفع الطيب ١ - ١٥٥ (.. اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية ..) .
وقيل عن اشبيلية (.. هذه المدينة من أحسن مدن الدنيا وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويعينهم على ذلك وادبها الفرج ونادبها البج ..) .
(١) باجة BEJA في البرتغال . وكانت تضم كورة واسعة ، بها ولد العتمد بن عباد ، بها معدن فضة اشتهرت بالديباغة وصناعة الكتان نفع الطيب ١ - ١٥٩ وباجة من اقدم مدائن الاندلس واراضها ارض زرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنه الصل ..) المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٠٣ .

(٢) ماردة MERIDA هي احدى القواعد التي بنتها ملوك العجم للقرار واتخذها سلاطين الاندلس قبل الاسلام سريراً لسلطنة الاندلس بينها وبين قرطبة ستة ايام وهي كورة واسعة لها حصون وقوى ، المغرب في حلى المغرب ١ - ٣٦١ ونفع الطيب ١ - ٢٧٠ وأخبار مجموعة ١٦٠ .

(٣) لقنت FUENTE-DE-CANTOS ، في جنوب الشاطىء الشرقى من الاندلس وهي حضان من اعمال ماردة لقنت الكبرى ولقنت الصغرى ، نفع الطيب ١ - ٢٧٠ ومعجم البلدان ٦ - ٣٣٦ وقد اتبع موسى في طريقه بين اشبيلية وماردة طريقاً رومانية قديمة كانت تصل بين البلدين ، وكان ظهور قوات المسلمين مباحثاً للحامية المدافعة عن لقنت فاستسلمت دونها مقاومة وسمي ذلك الفتح باسم « فح موسى » او « وادي موسى » .

وجرت معركة قاسية قاتل فيها اهل الأندلس معركة عنيدة ولم يتمكن المسلمون من احراز نصر حاسم .

- عمل موسى بن نصير على دراسة الأرض فوجد انها تضم مجموعة كبيرة من الحفر المتناثرة كانت مقاطع للصخر فأقدم على توزيع جزء من قواته واخفائها في الحفر واحسن المقاتلون التمويه بحيث لم ينجح خصمهم في اكتشافهم .
- بدأت معركة اليوم الثاني بتصميم وعناد من الطرفين جميعاً . ودارت معركة طاحنة ثم اخذ التحول لمصلحة المسلمين وظهر المقاتلون من حفرهم واخذت قوة الكمين تضرب بقوة مؤخرة الخصم ، وكانت المداغنة كافية لانهار المقاومة فأخذت فلول الأندلسيين في الانسحاب الى المدينة والافادة من تحصيناتها .

- نظم موسى الحصار وعزل المدينة ، لكن الحامية لم تضعف واستمرت في المقاومة اشهرأ فاستخدم المسلمون الدبابة ومضوا في داخلها ونقبوا صخرة في السور ولما نزعوا الصخرة امضوا في داخلها الى الصحاء التي يقال لها اللاشة ماشة^(١) فنبت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو على غفلة فاستشهد بأيديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمي ذلك الموضع برج الشهداء ..^(٢)

ادركت الحامية المدافعة عن ماردة تصميم المسلمين على فتح المدينة ، وكان الحصار الطويل قد مارس دوره في التأثير على نفسية المقاتلين فارسلوا وفوداً

(١) الاث - مائة، ARGAMASSA اي الاسمنت وتسمى ايضا LAXMAX ،
نفع الطيب ١ - ٢٧٠ .

(٢) وتذكر المصادر ان الحامية اخذت بالتفاوض مع موسى بعد يوم برج الشهداء وأنهم ارسلوا اليه وفداً فوجدوه ابيض للحمية ، وفي المرة التالية فوجدوه وقد صبغ لحيته بالحناء حتى وكأنها ضرام الفرج . وفي المرة الثالثة وجدوه بلحية سوداء ، فقالوا ، انا نقاتل انبياء يتخلفون كيف شاورا ويتصورون في كل صورة احبوا .. والرأي ان نقاربه ونعطيه ما يسأله .. (وهذه صورة اقرب إلى الخيال منها بالواقع ...

اخبار مجموعة ١٧ ونفع الطيب ١ - ٢٧٠ والبيان المغرب ١/٢٠ - ٢٢ .

لعقد الصلح وعرضوا شروطاً رفضها موسى بن نصير، واخيراً نزلوا على مطالب المسلمين وهي ان تكون جميع اموال القتلى يوم الكمين و اموال الهاربين الى جيليقية للمسلمين ، و اموال الكنائس و حليها للمسلمين ايضاً و دخل المسلمون المدينة يوم الفطر ، الأول من شوال سنة ٩٤ هـ [الموافق ٣٠ حزيران ، يونيو ٧١٣ م]^(١)

٤ - قمع حركة التمرد في اشبيليا :

كانت فلول الحاميات التي هزمت خلال عمليات موسى قد تجمعت في لبله^(٢) وباجة^(٣) من مدن الأندلس ، وعندما اصطدم موسى بالمقاومة العنيدة في ماردة اعادت هذه الفلول تنظيمها للمركة و تحركت نحو اشبيليا و دخلتها و ابادت الحامية الصغيرة التي تركها موسى في المدينة و قتل من المسلمين ثمانين رجلاً و استطاع بعضهم الفرار و اعلام موسى بالموقف ، و انتظر موسى حتى انتهاء عمليات الحصار و فتح مارده فوجه قوة بقيادة ابنه عبد العزيز بمهمة القضاء على المقاومة و حماية مؤخره جيشه و توجه عبد العزيز الى اشبيليا و اقتحمها و دمر قوة المقاومة فيها ثم توجه الى لبله و قضى على قوة القوط المتمردة و ترك حامية قوية في كل مدينة تستطيع تأمين القاعدة الخليفة لتقدم المسلمين .

٥ - معركة السواقي :

— امضى موسى بن نصير شهراً في مارده ، حيث تم له تحقيق استقرار

(١) فتح الطيب ١ / ٢٧٠ و اخبار مجموعة ١٧ - تاريخ المسلمين و آثارهم في الاندلس ٩٨ .
 (٢) لبله Neibla ، قسبة كورة بالاندلس كبيرة ، شرق اكشونية و غرب قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة ايام - اربعة و اربعون فرسخاً - وهي جامعة لكل وجه من الفوائد ، جمعت البر و البحر و الزرع و الضرع و النحل و التناج و اجتمعت لثمار و كثرة الزيتون و الأعشاب . المغرب في حلى المغرب ١ / ٣٣٩ و معجم البلدان ٧ / ٣١٩ .
 (٣) باجه Beja في البرتغال ، و تقع على بعد ١٨٠ كم جنوب شرق الاشبونة و كانت تضم كورة واسعة ، وهي على مسافة ٦٦ كم من الحدود الفاصلة بين اسبانيا و البرتغال حالياً .

المجتمع وتنظيمه خلال هذه الفترة واعطاء القوات فترة للاستعداد من اجل متابعة العمليات ، وفي عقب شوال ، توجه بقواته يريد الوصول الى طليطله .
توفرت المعلومات عند موسى بن نصير عن تجمع قوات القوط بقيادة لذريق في الجبال الشمالية لوادي انه ^(١) ، فقرر استدعاء طارق لملاقاته بقواته ، وكتب اليه ، فتوجه طارق بقواته عبر وادي « الأروكامبو » ^(٢) وتابع موسى تقدمه فوصل طليطلة وتوقف فيها فترة قصيرة .

سار طارق مسافة قدرها مائة وخمسين كيلو متراً في الطريق من طليطلة في اتجاه طليطيرة ^(٣) وتوقف في انتظار تقدم موسى بن نصير ، ثم انطلق موسى من طليطيرة وتم اللقاء في تيتار ، او « تايد » ^(٤) وترجل طارق وتقدم من مولاه فوضع موسى السوط على رأسه ووبنه « انبه » فيما كان من خلاف رأيه وتجاوزوه لما كان طلب اليه ان يتوقف عنده ودخله بغير امره .. وقال موسى له :

[يا طارق ، انه لن يجازيك الوليد بن عبيد الملك على بلادك بأكثر من ان يمنحك الاندلس ، فاستبجحه هنيئاً مريناً ..]
فأجابه طارق :

[انما انا مولاك وهذا الفتح لك .. ووالله لا ارجع عن قصدي هذا ما لم أنته الى البحر المحيط اخوض فيه بفرسي ..]
وقبل موسى اعتذار طارق ، واستعرض قوات المسلمين في الوادي بين التاجه ونهر التيتار وحمل الوادي منذ ذلك الحين اسم المعرض .. ^(٥)

(١) وادي انه ، في سلسلة جبال سيرادي - فرانثيا Sierre - de, Francia ويخترق الوادي « نهر انه » الذي تقع عليه مدينة بطليوس . المغرب في حلى المغرب / ١ - ٣٩٣ .
(٢) وادي الأروكامبو Valle de Arrocampo يحاذي محور طليطيرة - طليطله .
(٣) طليطيرة ، Talavera .
(٤) تيتار او تايد Teitar .
(٥) المعرض ، Al. Maraz .

– دفع موسى مقدمة له بقيادة طارق بن زياد ، وتابع تقدمه عبر الطريق الروماني للقديم من مارده الى سلمنقه (١) وتجاوز ، باب سليت (٢) ثم وصل مفرق طريق مارده « سلمنقة » ومنها الى « البادور تورس » (٣) ثم الى « ثيوداد » رودريكو (٤) وتابع تقدمه في الوادي الذي حمل فيما بعد اسم « وادي موسى » (٥) حتى وصل سيجويلا دي لوس كور نخبوس (٦) قريباً من بلدة تاماس (٧) حيث حدثت المعركة المعروفة باسم معركة السواقي .

– كان رودريك قد حشد قواته عند نهر باربا لوس (٨) مستفيداً من صعوبة الأرض ، وعندما وصل المسلمون انقض عليهم وكانت معركة ضارية قاتل فيها المسلمون بتصميم وعناد حتى استطاعوا انتزاع النصر ، ونجح مروان بن موسى بقتل رودريك ، وتمزقت قوات القوط شر ممزق ، وكانت هذه المعركة هي آخر مقاومة منظمة استطاع رودريك وضعها في طريق زحف المسلمين . (٩)

(١) سلمنقه Salamanca .

(٢) باب سليت Puerto de Siete Carraras .

(٣) ألبادور تورمس Alba de Tormes .

(٤) ثيوداد رودريكو Gludad Rodrico .

(٥) وادي موسى Valmuza .

(٦) سيجويلا دي لوس كورنخبوس Segoyuela, de Los cornejos .

(٧) تاماس Tamamee .

(٨) باربالوس Barbalos .

(٩) تاريخ الاسلام الذهبي ٣ / ٣٢٤ - ٣٢٥ . اخبار مجموعة ١٨ . نفع الطيب

١ / ٢٤٢ و ٢٧١ . تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ٩٨ . قادة فتح المغرب العربي ٢٦٢ .

– هناك بعض المصادر العربية التي تذكر مقتل رودريك واختفاؤه في معركة الارك لكن مؤرخي الاندلس وبعض المصادر العربية تثبت ان مقتل رودريك كان في معركة السواقي وهو الأرجح .

٦ - معاودة فتح طليطلة :

اعاد موسى تنظيم قواته بعد المعركة ودفن مقدمة لقواته بقيادة طارق بن زياد وتوجه الى طليطلة .

- كانت بقايا قوات القوط قد افادت من مغادرة جيش طارق لطليطله فأعدت تنظيم مقاومتها ، وتحضت وراء اسوار المدينة ، لكن انهيار جيش رودريك في معركة السواقي وقوة صدمة العرب المسلمين حطمت مقاومة القوط ودخل موسى طليطلة ظافراً ، واستولى على ما ضمنه كنائسها واديرتها من كنوز .

- توقف موسى في طليطلة لاعادة تنظيم المجتمع الجديد ، والاستعداد لمتابعة عملياته .

- لم يكبد (موسى) يستقر في (طليطلة) حتى سارع بضرب عملة ذهبية ليدفع منها رواتب الجنود الذين كانوا معه ^(١) .

- وعمل « موسى » على جمع الفنائم ، وإخراج الخمس وإرساله إلى بيت مال المسلمين في دمشق وأرسل وقدأ يحمل بشارات الفتح إلى الخليفة وكان في الوفد علي ابن رباح ، ومفيث الرومي واحتفظ موسى بقدر من الفنائم لملها في المستقبل إلى دمشق ومن بينها تيجان الملوك ^(٢) .

- وعندما أنهى موسى استعداداه ، وتحقق له الاستقرار في قاعدة عملياته

(١) فجر الاندلس ١٠٠ .

(٢) الحلل السندية ١/١٦٩ . وبغية المتمس ٩ وفيه :

(... عندما انتهى طارق الى مدينة طليطلة وهي مدينة الملوك وجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ووجد فيه خمسة وعشرين تاجاً مكللة بالدر والياقوت وهي على الملوك الذين حكموها كلما مات ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وكم أتى عليه من الدهر الى يوم مات وكم عدد من سبقه من ولاة الاندلس منذ افتتحت الى يوم ولايته ..) وفي اخبار مجموعة ٢٨ ، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ١٤٠ - ١٤١ مزيد من التفاصيل .

« ظليطة » أعاد تنظيم جيشه وانطلق به لمتابعة الفتوح واضماً هدفه الأول الاستيلاء على سرقسطة (١) .

٧ - فتح سرقسطة وفتوح الشمال :

— دفع موسى مقدمه لقواته بقيادة طارق بن زياد ووضع هدفه الأول الاستيلاء على سرقسطة « عاصمة الثغر الأعلى » (٢) ومضى موسى يتبع المقدمة على محور ، مقام (٣) ، وادي الحجارة (٤) ، مدينة سالم (٥) ، قلعة أيوب (٦) ، سرقسطة .

— لم يلق تقدم المسلمين مقاومة كبيرة بعد سقوط طليطلة ، وتمزق جيش القوط في معركة « السواقي » (فقد القى الله الرعب في قلوب العدو فلم يعارضها

(١) سرقسطة : مدينة بناها القيصر اغسطس فحملت اسمه Ceasar - Augusta عام ٢٣ ق.م فوق انقاض مدينة ايبيرية اسمها سلدوبا Salduba وقيل ان موسى بن نصير شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستمذبه وسأل عن اسمه ونظر الى ما عليه من البساتين فشيها بفوطه جلق الشام ، وتقع سرقسطة على نهر ايره يشتق منه نهر جلق Gallego جاريا الى الشمال بينما يسير نهر شالون Jalon وهرفا Huerva الى الجنوب ، وكان استيلاء المسلمين على سرقسطة سنة ٥٩٤ - ٧١٢ م بعد اخذهم طليطلة بقليل حيث زحف البها موسى بن نصير ففتحها وفتح القصاب والحصون التي حولها .. مجمع البلدان ٧١ / ٥ - الحلال السندينية ١١٩ / ٢ و ١٩١ / ٢ . المغرب في حل المغرب ٢ / ٤٣٤ ونفع الطيب ١٥٠ / ١ و ١٩٦ .

(٢) قسمت الاندلس بعد الفتح الى ثغور ثلاثة « مناطق عسكرية » :

أ - الثغر الاعلى - أو - الثغر الاقصى ، ويشمل سرقسطة وكورتها .

ب - الثغر الاوسط ، ويشمل مدينتي سالم ويمتد حتى طليطلة .

ج - الثغر الادنى ، ويشمل قويمرة والكورة المحيطة بها .

(٣) مقام MAGAM .

(٤) وادي الحجارة GUADALJARA من اعمال طليطلة .

(٥) مدينة سالم MEDINACELI تضم الكورة المسماة بكورة سالم ايضا وقبر المنصور

ابن أبي عامر في مدينة سالم وهي من المدن الجلييلة ويقال ان طارق وجد فيها مائدة سليمان .

(٦) قلعة ايوب KALAT AYOUB والاسبان يقولون GALATAYUE بانها ايوب

ابن حبيب اللخمي ابن اخت موسى بن نصير وهي بقرب مدينة سالم بينها وبين دروة ١٨ ميل .

أحد الا بطلب الصلح وموسى يجيء على اثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوتق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله وطامن نفوس من اقام على سلمه ووطأ لأقدام المسلمين في الحلول به أقام لتمييز ذلك وقتاً ...)

– بعد مراحل من السير والتوقف وصلت طلائع المسلمين حتى مشارف سرقسطة وكان أهلها قد أخذوا في مفادرتها والفرار بعيد عنها حيث الجبال والمناطق المقفرة (واخذ اسقف المدينة « بنسيو » ^(١) ومن معه من الرهبان في جمع كتبهم المقدسة وذخائرهم الموروثة وقرروا الهجره من البلد والفرار بهذه الذخائر وعلم موسى بذلك فأرسل اليهم رسولاً يؤمنهم ويعطيهم عهده فسكنت مخاوفهم وعدلوا عن مغادرة مدينتهم التي دخلها المسلمون ^(٢) واقاموا حامية فيها واحتفظ فيها حنش بن عبد الله الصنعاني مسجداً حمل اسمه ^(٣) ، ثم تابع موسى تقدمه فاحتل وشقة ^(٤) ولاردة ^(٥) وطر كونة ^(٦) .

عندما تجاوزت قوات المسلمين سرقسطة، أخذت بقايا قوات القوط في التجمع في محاولة اخيرة لايقاف زحف المسلمين ، وتمركزت المقاومات في القلاع الشمالية، فتوجه موسى إليها وخاض معارك قاسية والجأها الى الحصون ثم حاصرها بضعاً وعشرين ليلة فلما طال ذلك على موسى . استنفر قواته كلها وحشدتها لمعركة حاسمة وجاء في وصف هذه المعركة على لسان احد شهودها حيث قال :

(١) الكاهن ، بنسيو BENCIO .

(٢) قبحر الاندلس ١٠٠٢ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٠ .

(٣) صفة جزيرة الاندلس ٩٧ .

(٤) وشقة HUESCA ، من مشاهير مدن الثغر شمال سرقسطة .

(٥) لاردة LERIDA ، مدينة مشهورة من مدن الثغر ، تقع الى شرق قرطبة تتمصل

اعمالها بأعمال طركونة .

(٦) TARRAGONA ، مدينة تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط بينها وبين لاردة

خمسون ميلاً .

[... ظننا ان موسى ، قد بلغه مادة (١) من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم فاسبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال : ايها الناس ! اني متقدم امام الصفوف فاذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس : سبحان الله .. اترى فقد عقله أم عزب عنه رايه ؟ يامرنا نحمل على الحجارة وما لا سبيل اليه ؟ فتقدم بين يدي الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فاطال ، ونحن ركوب منتظرون تكبيرة فاستعدنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس (٢) ثم جال المسلمون جولة وهموا بالهزيمة فامر موسى بن نصير بسراده فكشف عن ثيابه وحرمه حتى يرون ويرز بين الصفوف ... وكسرت بين يديه اغماد السيوف ... (٣) ثم فتح الله ونزل النصر ...] (٤) .

– اندفعت قوات المسلمين بعد هذا النصر الحاسم لا كمال فتح القسم الشرقي من الاندلس وقاد طارق المجموعة المتقدمة وامكن له احتلال طرطوشة (٥) وبلنسية (٦) وشاطبة (٧) ودانية (٨) دون مقاومة كبيرة. وبذلك سيطر المسلمون على القسم الأكبر من الأندلس ولم يبق الا بعض المقاومات في الغرب «جليلقنه» وقسم في الشمال فيما وراء جبل البربات «البيرنه» .

(١) مادة : مدداً ودعما .

(٢) الامامة والسياسة ٢/٧٩ .

(٣) كسرت بين يديه اغماد السيوف ، كناية عن الاستئثار « والتصم على الشهادة » .

(٤) تاريخ الاسلام - الذهبي - ٤ - ٥٨ تاريخ افتتاح الاندلس ، ابن القوطية ١٤٩ .

(٥) طرطوشة ، TORTOSA ، مملكة في شرق بلنسية ، بها قلعة اشتهر أمرها في عهد المسلمين ، من مدن الثغر الاعلى .

(٦) بلنسية ، VALENCE ، من اكبر مدن الساحل الشرقي ازدهارا في العصور الاسلامية الى الشمال من دانية على شاطئ البحر وكانت تسمى مدينة القراب .

(٧) شاطبة SATIVA ، اشتهرت بحصنها ، الى الشمال من لقتن ALIGAN .

(٨) دانية DENIA ، مدينة عظيمة تنافس بلنسية ، اكتسبت أهمية خاصة في حكم ملوك الطوائف .

— كانت الأندلس عند الفتح تضم إليها مقاطعة روسيلون^(١) المسماة بالبيريانية الشرقية والتي كانت «بيربينيان»^(٢) قصبتها . بالإضافة الى قسم من اللانغدوك^(٣) وهي المقاطعة الواقعة الى الشمال من روسيلون وطلوشة « تولوز » قصبتها وقسم من البروقانس في جنوب فرنسا تضم جبال الالب السفلى ومصاب نهر الدون وبلاد نفار والفوكلوز .

تابعت قوات المسلمين تقدمها في اتجاه شمال شرق الأندلس واخترقت الثغرة بين جبال البيرينيه والبحر الأبيض المتوسط — عبر المحور الذي سبق لقوات قرطاجة اختراقه بقيادة هانيبال — هانيبعل — حيث خاضت معركة كاني الشهيرة في ايطاليا ٢١٦ ق.م .

— استولت قوات المسلمين في طريق زحفها على برشلونة^(٤) ثم انتقلت منها الى جرنندة^(٥) وتابعت تقدمها حتى وصلت اربونة^(٦) واصبح باستطاعتها التوغل فيما وراء جبل البرقات ..

— اتبعت قوات المسلمين في تقدمها محورين محور شمالي حيث وادي نهر الرون^(٧) « ودونة » ووصلت حتى ليون «لودون»^(٨) كما توجهت غرباً فاستولت

.....
(١) روسيلون ROUSSILLON .

(٢) بيربينيان PERPIGNAN .

(٣) اللانغدوك LANGUEDOC .

(٤) برشلونة BARCELONA ، مدينة بينها وبين طركونة خمسون ميلا ومسي الى الشمال منها .

(٥) جرنندة GERONA ، عاصمة احدى مقاطعات كاتالونيا CATALUNA في الطرف الشمال الشرقي من الاندلس على بعد ١٠٠ كم الى الشمال الشرقي من برشلونة على مقربة من الحدود الفرنسية .

(٦) اربونة NARBONNE وبقية قاعدة الحدود بين العرب والافرنجة طوال نصف قرن . وهي الى الشمال الشرقي من ترقشونة ، على الساحل الجنوبي لفرنسا .

(٧) وادي ردونة، RHONE يخترقه نهر الرون الذي يصب جنوبي في البحر الابيض المتوسط.

(٨) لودون ، ارلودون ، ليون LEON .

على قرقشونة^(١) و «كاركاسون» وجعل المسلمون من أفينيون^(٢) وأربونسة .
قواعد متقدمة لمليانهم^(٣) .

– اوغل المسلمون في تقدمهم حتى انتهوا الى وادي ردونة (فكان اقصى
اثر العرب ومنتهى موطنهم من ارض المعجم ...) وسيطرت قواهم على اربونة
وصخرة ابنيون ، وحصن لودون على وادي ردونه) ... فارتاع قارله^(٤) ملك
الافرنجة بالأرض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم في جمع
عظيم فلما انتهى الى الحصن لودون وعلامت العرب بكثرة جموعه زالت عن
وجهه واقبل حتى انتهى الى حصن ابنيون ، فلم يجد بها احداً وقد عسكر
المسلمون فيما بين (الجبال) المجاورة لمدينة اربونه .. وقاتل المسلمون قتالاً
شديداً استشهد فيه جماعة منهم ، وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها
ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها .. فنازلهم بها اياماً اصاب له فيها رجال ،
وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد للمسلمين ، فزال عنهم راحلاً الى
بلده وقد نصب في وجوه المسلمين حصوناً على وادي ردونة شكلها بالرجال
فصيرها ثغراً بين بلده والمسلمين ..]^(٥)

– بعد هذا الفشل [اجتمعت الافرنجة الى ملكها الاعظم قارلة ... وقالت
له : ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب ؟ كنا نسمع العرب ونخافهم من جهة مطلع
الشمس حتى اتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها من
العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه :

(١) قرقشونة «كاركاسون» CARCASSONNE الى الجنوب من تولوز ، على خط
طول غرينيتش في جنوب فرنسا وقريبة من الحدود الاسبانية ، حيث جبال البيرينة .

(٢) أفينيون ، AVIGNON .

(٣) تاريخ غزوات العرب ، ارسلان ، ٦٤ .

(٤) قارله CARLUS - CHARLES هو شارل مارتل .

(٥) نفع الطيب - المغربي / ٢٧٤/١ .

الرأي عندي أن لا تعترضهم في خراجتهم هذه فأنهم كالسيل يحمل من يصادره
وم في اقبال أمرهم ، ولهم نيات تفني عن كثرة العدد وقلوب تفني عن حصانة
الروع ولكن أهلوم حتى تمتليء ايديهم من الفنائس ويتخذوا المساكن
ويتنافسوا في الرياضة ويستعين بعضهم ببعض فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر
امر ...] (١) .

— بدا التذمر بين صفوف المقاتلين واخذوا يتساءلون منذ تجاوزوا اسر قسطه
[اين يذهب بنا ؟ حسينا ما بأيدينا ..] (٢) .

وعندما اوغلت قواتهم فوصلت ما وصلته من ارض اغاليا ، وتجاوزوا
قرقشونة وقف التابعي جيش الصنعاني ليذكر موسى بأحاديثه السابقة حول
عمليات عقبة بن نافع وقوله :

(لقد غرر ، عقبة ، بنفسه حين وغل حيث وغل والعدو عن يمينه وعن
شماله وامامه وخلفه ، وما كان معه رجل رشيد ينصحه ..) .

ثم امسك حنش يضان موسى وقال له :

(... ايها الأمير اني سمعتك وانت تذكر عقبة بن نافع وتقول لقد غرر
بنفسه وبن معه ، وما كان معه رجل رشيد ، وأنا رشيدك اليوم . اين تنهب؟
تريد ان تخرج من الدنيا او تلتهمس اكثر واعظم بما اعطاك الله .. واعرض
ما فتح الله عليك وودوخ لك ، اني سمعت من الناس ما لاتسمع وقد ملوا ايديهم ..
واحبوا الدعة .. فضحك موسى ثم قال : ارشدك الله ، وكثر في المسلمين مثلك
ثم انصرف قافلدا الى الاندلس وقال موسى يومئذ : اما والله لو انقادوا الي
لقدتهم حتى اوقفتهم على رومه ، ويفتحها الله على يدي ...) (٣) .

(١) نفع الطيب ١/٢٧٥ .

(٢) نفع الطيب ١/٢٦٧ .

(٣) تاريخ افتتاح الاندلس ابن لغوطية ١٥٣ ، وتاريخ غزوات العرب ٦٤ ، ودراسات في
تاريخ الاندلس وحضاراتها احد بدر ٢٨ ، والامامة والسياسة ٨٠/٢ ، والمقتبس من ابنه اهل
الاندلس ٢٣٨ و ٢٤٢ .

- رجع موسى بقوته الى طليطلة وذلك بعد ان نظم الثغور واقام حاميات للدفاع عنها ، واخذ في تنظيم المجتمع الجديد ، والاستعداد لتصفية بقية المقاومات في الغرب وانتشر المسلمون في كل مكان من الأندلس .

٨ - فتوح شمال غرب الأندلس « جيليقية » :

- أفاد موسى من فصل الشتاء ، فأعد تنظيم قواته وأرسى قواعد المجتمع الجديد ، ونجح في اثارة حماسة جنده لتابعة للفتوح ، وبينما كان يستعد لانطلاقه الجديدة كان مغيث الرومي قد نجح في اثارة مخاوف الخليفة الأموي الوليد ، فكلفه بإبلاغ موسى ضرورة العودة الى دمشق . لكن موسى نجح في اقناع مغيث بالمسير معه لفتح جيليقية حيث لم يبق في الأندلس بلد لم تدخله العرب الى وقته غيرها ، وقد وهب موسى مغيثاً الموضع الذي ينسب اليه ويعرف باسم « بلاط مغيث » يحمي أرضه - من أرض الخمس - لقاء مشاركته في أعمال الفتح .
- وضع موسى مخططه على أساس احتلال اقليم « القلاع - أو - قشتالة القديمة » (١) ، فقسم جيشه الى مجموعتين قتاليتين تولى قيادة الأولى طارق بن زياد وتولى هو قيادة المجموعة الثانية .

- انطلق طارق في تحركه على محور سرقسطة - محور نهر إبره (٢) - امايه (٣) ليون (٤) - استرقة (٥) ، حيث كان هناك طريق روماني قديم في سفوح جبال

-
- (١) قشتالة القديمة Castilla - la Vieja ، اقليم عظيم بالأندلس ، قصبة طليطلة .
 - (٢) نهر إبره Ebro ، نهر ينبع من جبال كتبريه ويشرق فيصب في البحر المتوسط ، ومن اشهر المدن عليه سرقسطة وطرطوش .
 - (٣) امايه Amaya .
 - (٤) ليون Leon ، بلد في اقليم جيليقية .
 - (٥) استرقة « استرقة » Astorja ، من اقليم جيليقية الى الغرب في اتجاه الشمال من مدينة نبله Nebla .

كنتهريه ، واصطدم طارق بقوات « البشكنس »^(١١) في غرب نهر إبره ، ووجد زعيم البشكنس واسمه « مَزْتُون » انه لا قبل له بحرب المسلمين فانضم اليهم واعتنق الاسلام فأعفيت منطقته « شيه »^(١٢) من التخميس . ثم تابع طارق سيره ففتح امايه وليون واسترقه .. وكان ذلك في عام ٨٩٢ - ٧١١ م^(١٣) ..

وبذلك سيطرت قوات المسلمين على السفوح الجنوبية للبيرينه بما فيها ببلونا^(١٤) . في الوقت الذي تحرك فيه طارق على المحور الشمالي ، اندفع موسى بتقدمه عبر المحور الجنوبي مستفيداً من حماية طارق لجناحه الأيمن وسيطرة المسلمين على المناطق الجنوبية ، وكان مسيره على محور سرقطة - حصن بارو^(١٥) - بلد الوليد^(١٦) - تارنا^(١٧) لك^(١٨) عبر اقليم قشتالة القديمة - وادي نهر النالون^(١٩) - اقليم جيليقه^(٢٠) .

- انطلق موسى بجيشه وسار بسرعة عبر اقليم قشتالة ولقي مقاومة ضعيفة

- (١) البشكنس Lies Basques ، قوم كانوا يقطنون جبال البيرنيه وتزوج الحكم بن الناصر منهم بالسيدة صبح البشكنسية التي كان لها دور كبير في ادارة الدولة .
- (٢) شيه Ejea .
- (٣) الرسالة الشريفة في الاقطار الاندلسية ٢٠٠ - ٢٠٤ ، اخبار مجموعة ١٥ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٣ .
- (٤) ببلونا Pamplona أو Pampeluna ، عاصمة ولاية نافار Navara كانت من ممالك اسبانيا النصرانية على عهد المسلمين .
- (٥) حصن بارو ، او باروز Villa Baruz قلعة قريبة من بلد الوليد .
- (٦) بلد الوليد ، Valla - Dolid
- (٧) تارنا Tarna .
- (٨) لك ، هي Lucus - Asturum ، وتسمى اليوم Santa - maria de Lugo
- (٩) نهر النالون ، Nalon .
- (١٠) اقليم جيليقه Galicia ويسمىها العرب ايضاً غاليسيه .

عند حصن بارو، ثم قام باستدارة واسعة نحو الشمال حتى وصل لك بأشتوريش^(١) حيث توقف فيها ووجه مجموعات قتالية ففتحت أبيت^(٢) وسار هو الى خيخون^(٣) ووجه سرية فاحتلت صخرة « بلاي »^(٤) على المحيط « البحر الأخضر » وعمل موسى على تنظيم المناطق التي فتحها وأقام الحاميات في المراكز الهامة ، وتحقق الأمن والاستقرار ونزل العرب والبربر في كل موضع استحسونه ، واستقروا في كل مكان من الأندلس .

— وفي هذه المرحلة (وبيننا موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوة الأمل إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف به الوليد مغيثاً لما استبطأ موسى في القفول وكتب اليه يوجهه ويأمره بالخروج والأزم رسوله ازعاجه ، فانقطع حينئذ من مدينة لك بجيليقية وخرج على الفج المعروف بفسج موسى ووافاه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر الأعلى فأقفله مع نفسه ومضيا جميعاً ومعها من الناس من اختار القفول ، وأقام من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلوا بأشبيلية)^(٥) .

(١) اشتوريش Asturias أو اشتريس .

(٢) ابيت Oviedo وبسماها ابن حوقل اوبيط .

(٣) خيخون Gijon .

(٤) صخرة بلاي Pena de Pelayo وهي أقصى نقطة من اشتوريش على المحيط الاطلسي « البحر الاخضر » وتسمى صخرة بلاي نسبة الى مجموعة من المقاومة تزعمها بلاي .

(٥) فصح الطيب ١ / ٢٧٦ ، وأخبار مجموعة ١٩ . وفي فصح الطيب ١ / ٢٧٧ ان المسلمين أوغروا في بلاد الافرنج حتى وصلوا مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنماً قائماً كالسارية مكتوباً فيها بالنقر كتابة عربية قرئت : (يا بني اسماعيل ، انتهيتم فارجعوا ...) فهاله ذلك وقال ما كتب هذا الا لعنى كبير فثارر أصحابه في الاعراض عنسه وجوازه الى ما وراءه فاختلّفوا عليه فأخذ برأي جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصي الغاية .. ولا حاجة لدحض هذه الرواية في أسباب توقف موسى عن متابعة الفتح .. فالاحداث في حد ذاتها تدحضها وتسقطها ..

٩ - فتح عبد العزيز بن موسى في الأندلس :

بعد قمع حركة التمرد في أشبيليا ، بقيادة عبد العزيز بن موسى ، ظهرت ضرورة تصفية المقاومات في غرب الأندلس ، فانطلق عبد العزيز لتصفية المقاومات وحماية الجناح الأيسر لتقدم والده وقائده موسى بن نصير . وهناك تناقض في تاريخ تنفيذ عمليات عبد العزيز بن موسى ، لكن الاحتمال الأرجح هو أن سير عمليات عبد العزيز سارت متوافقة مع عمليات موسى بن نصير ، وبما يثبت هذا الاحتمال ورود عدد من النصوص التاريخية التي تجمع على أن الأندلس فتحت بكاملها عندما غادرها موسى بن نصير عائداً الى دمشق .. وان (سائر البلاد خمست وقسمت بحضر التابعين الذين كانوا مع موسى ابن نصير ...) .

انطلق عبد العزيز بن موسى من أشبيليا واتبع في تقدمه محور - لبله - باجه - يابره^(١) وعبر نهر تاجه حتى وصل شنترين^(٢) ثم تابع زحفه شمالاً فاحتل قلمريه^(٣) ، وتابع مسيرته بهدف الالتقاء مع قوات أبيه في استرقه .

- بعد مطاردة عبد العزيز لفلول المقاومة وتصفيتها في لبله وباجه ، استمرت عمليات فتوح غرب الأندلس دون مقاومة كبرى وأخذت المدن والقلاع تتساقط في أيدي المسلمين وتستسلم لهم ، وقد أمضى عبد العزيز بن موسى عام ٩٣ - ٩٤

.....

(١) يابره Evora ، بلد في غرب الأندلس ، من المدن المشهورة في المملكة البطليوسية ، كثيراً ما يذكرها ابن عبدون في شعره .

(٢) شنترين Santarem ، مدينة معدودة في كورة باجه من منطقتي الغرب (أي البرتغال) وتبعد ٦٧ كيلومتراً عن الاشبونه - شبالا - ، تقع على نهر تاجه وقرية من انصبايه في البحر المحيط .. وهي مدينة حصينة ، وأرضها غابة من الكرم والطيب ، وكانت ولايتها في عهد المسلمين تتردد عليها من أشبونه .

(٣) قلمريه Coimbra .

في فتح الغرب وتنظيمه وترك الحاميات فيه ، وعندما التقت قواته بالقوات الرئيسية في الشمال كان على موسى بن نصير العودة الى اشبيلية ، فرافقه عبد العزيز في طريق العودة ، وعندما وصل الجميع الى هدفهم (استخلف موسى ابنه عبد العزيز في اشبيلية ، بعد أن اختارها عاصمة للأندلس ، لارتباطها بالبحر ، وترك معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وزيراً له ومعيناً وترك العساكر وجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد وسد الثغور وجهاد العدو) وانتهت بذلك مرحلة من المراحل الحاسمة في فتح الأندلس (١) ...



٤ الرسالة الشريفة الى الاقطاع الاندلسية ٢٠٠ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس
١٠٩ ، تاريخ افتتاح الاندلس ٣٦ .

قرارات

موسى بن نصير اللخمي « أبو عبد الرحمن »

١٩ - ٨٩٧ - ٦٤٠ - ٧١٨ م

- كان أبوه من سبايا « عين تمر » حيث سباهم خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ وم صبية . أعتقه بعض بني أمية فرجع الى الشام ثم أصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان وأصبح بعد ذلك على حرس معاوية وعلى جيوشه .

- ولد موسى في « كفر مئري » من قرى جبل الحليل في الشام ، ونشأ في بيئة شديدة الصلة بالبيت الأموي ، وفي أسرة امتاز أفرادها بالجرأة والصراحة والتقى .

- كان أول عهد موسى في القيادة توليه قيادة البحر أيام معاوية بن أبي سفيان .

سنة ٦٤ هـ ، كان موسى من أنصار عبد الله بن الزبير واشترك في معركة مرج راهط ، وعندما انتصر مروان بن الحكم هرب موسى الى مصر والتجأ الى عبد العزيز بن مروان الذي توسط له بالصلح عند أبيه .

سنة ٦٥ هـ : عمل مروان بن الحكم على تعيين موسى بن نصير وزيراً ومشيراً لابنه عبد العزيز في ولاية مصر .

سنة ٧١ هـ : ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشر بن مروان الكوفة ثم ولاء البصرة سنة ٧٣ هـ فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة وجعل عبد الملك معه موسى وزيراً ومشيراً .

سنة ٥٧٥ هـ : توفي بشر بن مروان أمير العراقين بالبصرة وولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي العراق فانهم موسى بن نصير أنه احتجن الأموال لنفسه فهرب الى مصر حيث أتقده عبد العزيز بن مروان - من جديد - .

سنة ٥٨٥ هـ : وجه غزوة الأشراف لفتح صقلية .

سنة ٥٨٦ هـ : عين الوليد بن عبد الملك ، موسى بن نصير لولاية افريقية ، فقاد موسى عمليات الفتح ، ووصل حتى المحيط ولم تمتنع سوى « سبتة » فعين موسى قوة لحصارها بقيادة طارق بن زياد ، ونجح في تحقيق الاستقرار .

سنة ٥٨٩ هـ : وجه قوة بحرية ففتح سردانية ، كما وجه قوة أخرى لفتح ميورقه ومنورقه .

سنة ٥٩١ هـ : وجه موسى قوة استطلاعية بقيادة يوليان ، ثم طريف ..

سنة ٥٩٢ هـ : وجه موسى قوة لفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، عددها سبعة آلاف مقاتل ثم دغمه بقوة أخرى من خمسة آلاف مقاتل .

سنة ٥٩٣ هـ : قاد موسى بن نصير قوة ١٨ ألف مقاتل لدعم الفتوحات ، واكمال فتح الأندلس .

سنة ٥٩٦ هـ : عاد موسى الى دمشق بأمر من الوليد بن عبد الملك ، وقد عومل معاملة سيئة من قبل سليمان بن عبد الملك .

سنة ٥٩٧ هـ : خرج سليمان بن عبد الملك الى الحج ، وفي ركبه موسى بن نصير حيث توفي موسى في وادي القرى ..



طارق بن زياد^(١)

٥٠ - ١٠٢ هـ - ٦٧٠ - ٧٢٠ م

طارق بن زياد ، الليثي بالولاء ، أصله من البربر ونسبه طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاس بن ولهاص بن يطوفث بن نغزاو ، أسلم على يد موسى بن نصير ، فكان من أشد رجاله بأساً ..

سنة ٨٩ هـ : وبعد أن تم لموسى فتح طنجة ولى عليها طارقاً على رأس حامية مكونة من تسعة عشر ألف مقاتل معظمهم من البربر .

سنة ٩٢ هـ : توجه طارق الى الاندلس بأمر من موسى بن نصير ومعه قوة مكونة من سبعة آلاف مقاتل وخاض معركة حاسمة في وادي لكه انتصر فيها على رودريك ملك القوط ، ثم تابع زحفه فاستولى على اشبيليا واستجه ووجه قوة بقيادة مغيث الرومي فاستولى على قرطبة بينما توجه طارق شمالاً حتى استولى على طليطلة ، وجعلها قاعدة انطلق منها لاحتلال وادي الحجارة^(٢) ، وفتح طارق^(٣) ، ومدينة سالم^(٤) حيث عثر فيها على المائدة التي اكتسبت شهرة خاصة في التاريخ .

سنة ٩٣ هـ : التقت قوات طارق بقوات موسى بن نصير التي قدمت بطلب دعم من طارق ثم توجه طارق كمقدمة لموسى من أجل متابعة الفتوح شمالاً حيث استولت قوات المسلمين على وادي ردونه « وادي الرون » في فرنسا .

سنة ٩٦ هـ : توجه طارق الى دمشق مع موسى بن نصير ومغيث الرومي

(١) المرجع : نفع الطيب ١ / ٢٥٠ والبيان المغرب ١ / ٢٣ . الكامل في التاريخ لابن الاثير ٤ / ٢١٢ ، تاريخ ابن عساكر ٧ - ٣٨ .
(٢) وادي الحجارة : Guadalajara .
(٣) فتح طارق : Buitroco .
(٤) مدينة سالم : Medinaceli .

وغيرهم ، وشكى ما لقيه من حيف للوليد فأنصفه ، وكان الوليد يعزّم تعيينه لولاية الاندلس لكن وشاية مغيث الطامح لولاية الاندلس ، أعاقّت الوليد ومنعته من تنفيذ ما قرره .

— لم يذكر المؤرخون شيئاً عن طارق بعد وصوله الى دمشق وأحيطت نهايته بستار من الصمت .

— تميزت قيادته بالجرأة والاندفاع والسيطرة القوية على القوات ، في حين تميزت قيادة موسى بالحكمة والتخطيط السليم والتقدير الجيد للمواقف فكان كل قائد مكمل لدور الآخر ..

— أنشد طارق في الفتح قصيدة جاء فيها :

ركبنا سفينا بالبحار مثيراً عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوساً وأموالاً وأهلاً ينجية اذا ما اشتبهنا الشيء فيها تيسراً
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا اذا نحن أدركنا الذي كان أجدرنا



مغيث الرومي^(١)

... - ٨١٠٠ = ... - ٧١٨ م

مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأهم الغساني ، وقع في السبي أثناء معارك المسلمين مع الروم وهو صغير ، فضمه عبد الملك بن مروان اليه وأدبه مع ابنه الوليد . ونشأ مغيث في دمشق فأفصح بالعربية وقال الشعر وتدرّب على ركوب الخيل وخوض المعارك ، ووجهه الوليد الى الاندلس غازياً مع طارق ، فدفعه طارق لفتح قرطبة ومعه سبعائة مقاتل ففتحها سنة ٨٩٢ هـ وأمر ملكها .

.....

(١) الاعلام ٨ - ١٩٧ ونفع الطيب ١٢/٣ ، جذوة المقتبس ٣٣٣ وجاء اسمه في بغية المتلس طبعة « مجرّطاً » ص ٤٦١ ، معتب عوضاً عن مغيث .

- عرف عن مغيث الحبث والدهاء وسلاطة اللسان ، وكان هو يعرف ذلك عن نفسه ، قال له موسى بن نصير وقد عارضه بكلام في محفل من الناس ، فأجابه : لساني كالمقصل ، ما أكفه إلا حيث يقتل ..

- واختلف مع طارق وموسى فقال يتوعدهما :

أعنتكم ولكن ما وفيتم فسوف أعيث في غربٍ وشرق

ونفذ وعيده وتهديده بالوشاية بها الى الوليد.. وسأله سليمان يوماً عن طارق وقد رغب في تعيين طارق لولاية الأندلس فقال له :

كيف أمره بالأندلس ؟ فأجابه مغيث :

[لو أمر أهلها بالصلاة الى أي قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا انهم كفروا ..]
وكانت هذه المكيدة كافية لإثارة مخاوف سليمان حول امكانات تمرد طارق فصرف النظر عن تعيينه ..

- عاد مغيث الى الأندلس واستقر في قرطبة ، ولم يذكر المؤرخون شيئاً عنه لكن من المعروف انه أنجب ذرية كثيرة ، نجبوا في قرطبة وعرفوا ببني مغيث وسادوا وعظم بيتهم وقرعت دوحتهم .. وان الاحتمال الأرجح هو ان مغيث قضى آخر أيامه في قرطبة ..



عبد العزيز بن موسى بن نصير^(١)

... - ٨٩٧ = ... - ٧١٦ م

برز دوره القيادي للمرة الاولى عند اعادة فتح اشبيليا ، ثم قام بفتح غرب الأندلس وانضم الى قيادة والده ..

(١) اخبار مجموعة ١٩ ، ونقع الطيب ١/٢٨١ ، وفاريخ افتتاح الأندلس ابن القوطية ٣٦ ، الاعلام ٤/١٥٤ ، ابن الاثير حوادث سنة ٨٩٧ ، بغية الملتبس ٣٧٣ ، جذوة المقتبس ٢٧١ ، الحلة السراء ٣١ .

- ولاء أبوه امارة الاندلس عند عودته الى المشرق سنة ٨٩٥ هـ ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقي على أبيه موسى منها ، وكان من خير الولاة في الاندلس حيث ضبط سلطاتها وضم نشرها وسد ثغورها ، لكن مدة ولايته لم تعمر طويلا .

- تزوج عبد العزيز بن موسى امرأة لذريق - رودريك - ويقال لها أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح ، وباءت بالجزية وأقامت على دينها في ظل نعمتها حتى تزوجها عبد العزيز ، فحظيت عنده ، ويقال انه سكن بها في كنيسة باشيلية ، فقالت له : ان الملوك اذا لم يتزوجوا فلا ملك لهم ، فهل لك ان أعمل لك بما بقي عندي من الجوهر والذهب تاجاً ، فقال لها : ليس هذا في ديننا ، فقالت له : من أين يعرف أهل دينك ما أنت عليه في خلوتك ، فلم تزل به حتى فعل ، فبينما هو جالس معها والتاج عليه إذ دخلت امرأة كان قد تزوجها زياد بن النابغة التيمي من بنات ملوكهم فرأته والتاج على رأسه فقالت لزياد ألا أعمل لك تاجاً ، فقال ليس في ديننا استحلال لباسه ، فقالت فودين المسيح انه لعلى امامكم فأعلم بذلك زياد ، حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع ثم تحدثا به حتى علمه خيار الجند فلم تكن له همة إلا كشف ذلك حتى رآه عياناً ورآه أهله صدقاً فقالوا تنصر .

- ثم ان زوجة عبد العزيز قالت لزوجها : لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق أهل مملكته ؟ فقال لها : ان هذا حرام في ديننا ، فلم تقتنع منه بذلك ، وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزري بقدره عندها ، فاتخذ باباً صغيراً قبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحثون ، وأقهما أن ذلك الفعل منهم تحية له ، فرضيت بذلك ، فغمي الخبر الى الجند فثارت ثائرتهم . واكتملت خيوط المؤامرة التي قادها حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد بن النابغة التيمي . ولما أصبح عبد العزيز بن موسى وخرج الى المسجد وصار في

المحراب قرأ سورة الفاتحة - والواقمة، وعندما رفع القوم سيوفهم عليه وأخذوا رأسه وبعثوا به الى سليمان ، وكان ذلك بمسجد « ريبنه » وبقي دمه في المحراب فترة طويلة ..

—★—

نهاية موسى بن نصير

١ - [تمادى موسى في سيره بأرض الأندلس مجاهداً حتى انتهى الى ارض تيمد بأهلها فقال له جنده : الى اين تريد ان تذهب بنا ، حسبنا ما بأيدينا ، فرجع وقال ، لو اطعمتموني لوصلت الى القسطنطينية ...]^(١)

[واجمع موسى ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الأندلس ويخوض اليه ما بينها من اعم الاعاجم النصرانية مجاهداً فيهم مستلحماً لهم الى ان يلحق بدار الخلدفة . ونمي الخبر الى الوليد فاشتد قلعه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف ...]^(٢) .

- كان الوليد حريصاً على حياة المسلمين ، مثله في ذلك مثل السواد الأعظم من خلفاء المسلمين وقادتهم ، وقد ظهر حرص الوليد منذ البداية عندما طلب من موسى بن نصير استطلاع الأندلس بالسرايا ، وعدم التفرير بالمسلمين ، ثم عندما علم بما قاله موسى خلال فتوحاته ، فطلب اليه العودة الى دمشق ..

[لما فتح المسلمون الأندلس ، جاءهم رجل فقال : ابعثوا معي ادلكم على كثر ، فبعث معه فقال لهم اترحوا ما منا فترحوا فقال عليهم من الياقوت والزبرجد ما أبتهم فقالوا لا يصقلنا موسى فأرسلوا اليه فجاءه ونظر وقال الكليل: ان كانت المنقصة لتوجد منسوجة بالفضبان الذهب تنظم السلسلة الذهب

(١) تاريخ الاسلام وطبقات المشايخ والاعلام - النعمي ٤ - ٦٠

(٢) تلح الطيب ١/٢٣٤ ، الامامة والسيرة ٢/٥٨ .

باللؤلؤ والياقوت فكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا
بالفأس فيقسمانها ...]

[... رجع موسى الى افريقية - بعد غزوته في الاندلس - وهو راكب
على بغل اسمه كوكب وهو يجر الدنيا بين يديه جراً ، امر بالمعجل تجر أوقار
النهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة ومائدة سليمان .. ومعه مائة من
رؤساء البربر ومائة وعشرين من الملوك واولادهم وقدم مصر في أبهة عظيمة
ففرق الاموال ووصل الأشراف والعلماء ..]

- [لما قدم موسى توجه الى الوليد ... فلما جلس الوليد يوم الجمعة على
المنبر اتى موسى وقد ألبس ثلاثين رجلاً التيجان على كل واحد تاج الملك
وثيابه ودخل بهم المسجد في هيئة الملوك فلما رأهم الوليد بهت ثم حمد الله وشكر
وهم وقوف تحت المنبر وأجاز موسى بجائزة عظيمة ..]^(١)

- كان ظهور موسى بهذا المظهر من الترف والبلذخ ، مع ما حصل عليه من
رصيد معنوي بين جماهير المسلمين كافياً لإثارة تحوف أمراء الأمويين وخلفائهم
لا سيما وان عهدهم بتمرد الولاة وقادة الجيوش ممن حصلوا على أقل مما حصل
عليه موسى قريباً ، ولعل ثورة عبد الرحمن بن الأشعث كانت ماثلة في الأذهان
باقية في الذاكرة ، فأخذ مظهر موسى يحرك من القلق ما هو خافياً وأثار الوليد
وسليمان من بعده حتى قال سليمان بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب حين جاء
يشفع لموسى عنده :

[... انه - يعني موسى - قد اشتمل رأسه بما تمكن له من الظهور وانقياد
الجمهور والتحكّم في الاموال والابشار ، مما لا يحويه الا السيف ، ولكن قد
وهبت لك دمه وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غلّ من
مال الله ..]^(٢)

(١) تاريخ الاسلام ، الذهبي ، ٦٢ / ٤ .

(٢) نفع الطيب ، ٢٨٤ / ١ .

وقد تأكدت مخاوف الوليد وخلفاء الامويين من خلال تصرفات موسى السابقة .

- كانت افريقية عندما وصلها موسى في قحط شديد ، فخرج بالناس فاستقى وأمر رجلاً يصلي بالناس وخطب فيهم ثم اخذ في الدعاء للوليد فأكثر فأرسل اليه موسى : « انالْم نأت لذلك فأقبل على ما قصدنا اليه وجلسنا من أجله » فلم يلتفت الى كلامه وتمادى في حاله رجاء ان يبلغ ذلك الوليد فينال عنده منزلة ، فأمر به موسى فسحب حتى أخرج من بين الناس ثم قام موسى فأخذ بالدعاء (١) .

- وكان عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر قد كتب اليه رسالة يهدده فيها فكتب اليه موسى : [... أما بعد .. فقد قرأت كتابك وفهمت ما وصفت فيه من اركانني الى أبريك وعمك ، ولعمري ان كنت لذلك اهلاً ولو خبرت مني ما خبرا لما صغرت مني ما عظما ولما جهلت من أمرنا ما علما فكيف أتاه الله لك . فأما انتقاصك لها فيها لك وأنت منها ولها منك ناصر لو قال وجد عليك مقالاً وكفاك جزاء العاق . فأما ما نلت من عرضي فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لا لك . وأما تهديدك لإيبي بأنك واضع مني ما رفعا فليس ذلك بيدك ولا إليك فارعد وابرق لغيري . وأما ما ذكرت مما كنت آتي به عمك عبد العزيز ، فلعمري اني ما نسبني اليه من الكهانة لبعيد واني من غيرها من العلم لقريب فعلى رسلك فكأنك قد أظلك البدر الطالع والسيف القاطع والشهاب الساطع فقد تم لها وتمت له (٢) ، ثم بعث اليك الأعرابي الجلف الجاني فلم نشعر به حتى يحل بعقوتك (٣) فيسلبك سلطانك فلا يعود اليك ولا تعود اليه

(١) رياض النفوس ١ - ٧٨ .

(٢) الضمير للخلافة .

(٣) عقه : الشعر الذي يولد عليه كل مولود .

فيومئذ تعلم أكاهن أم عالم وتوقن أيضا الندام السادم^(١) والسلام ... [(٢)] .
- كان موسى بن نصير قوي الشخصية ، ثابت الارادة ، لا يسمح لمروسيه
بالتطاول والارتقاع الى المستوى الذي يضر بسمعته او يضعف من سلطته
وسيطرته ، ومن هنا كان لا بد من حدوث صدام بينه وبين طارق بن زياد ،
ومغيث الرومي الى جانب وجود خلاف آخر بين طارق ومغيث ويظهر ذلك من
خلال الأحداث التالية :

[... عندما وجه موسى طارق لفتح الاندلس طلب اليه عدم التوغل في
الفتوح والمغامرة بمن معه] (٣) .

لكن مسيرة الاحداث واغراءات الفتح دفعت طارق الى اهمال توصية
موسى والاندفاع شمالاً حتى طليطلة ... وعندما تجمعت القوى ضده وشعر
طارق بتهديد خطوط مواصلاته واحتمال عزله عن قاعدة عملياته في افريقية
كتب الى موسى :

[... ان الامم تداعت علينا من كل ناحية .. فالغوث .. الغوث ..] (٤) .
فأسرع موسى بحشد قواته والانزال في الاندلس ومتابعة العمليات ، وكانت
هذه المخالفة كافية لاثارة موسى وتحريك غضبه ..

- وكان موسى كقائد أعلى يدرك واجباته ومسؤولياته يضع حدوداً
لتصرفات مروسيه فعندما تم له فتح طليطلة ودخولها طالب طارق بتسليم
ما حصل عليه من غنائم ومنها المائدة التي عرفها المؤرخون باسم «مائدة سليمان»

(١) السادم : الندام والحزين .

(٢) الولاة والقضاة ٦٠ .

(٣) الاعلام ٣ - ٣١٣ ، والبيان المغرب ١ - ٤٣ ، وتهذيب ابن عساكر ٧ - ٣٨ .

(٤) الامامة والسياسة ٢ - ٧٤ ، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ١٣٨ ، وتاريخ

الاسلام للذهبي ٣ - ٣٢٤ .

والتي تضاربت في وصفها الأخبار والروايات ولعل أصدقها وأقربها الى الواقع هي قصة ابن حيان التي جاء فيها :

[... وهذه المائدة المنسوبة الى سليمان النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواية العجم وانما اصلها ان العجم في ايام ملكهم كان اهل الحسنة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال للكفنانس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من المواند والكراسي واشباهها من الذهب والفضة تحمّل الشامسة والقوس فوقها مصاحف الأناجيل اذا ابرزت في ايام المناسك ويضعونها على المنابيح في الاعياد للباهة بزيتها ، فكانت تلك المائدة بطليطلة بما صيغ في هذا السبيل وتأنقت الأمدك في تلك الآلات وطار الذكر مطاره عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر النر والياقوت والزمرد ولم تر الأعين مثلها ويولخ في تفخيها من اجل دار المملكة وانه لا ينبغي ان تكون بموضع آلة حجال أو متاع مباهاة الا دون ما يكون فيها ، وكانت توضع على منبح كنيسة طليطلة فأسأبها المسلمون هناك وطار النبا الفخم عنها ، وقد كان طارق ظن بموسى اميره مثل الذي فعل من غيرته على ما تبيأ لهم ومطالبته له بتسليم ما في يده اليه ، فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خباها عنده فكان من قلجه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بمد الأثر في جهادهما ما هو مشهور . وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد ، وكلها مكللة بالجواهر ...]^(١) .

— أما الخلاف بين موسى ومغيث فيظهر من الحادثة التالية :

[... كان مغيث يدل بمكان ولاته من الخلافة فبعث اليه موسى : هات

(٣) فتح الطيب ١ - ٢٧٢ .

العلج ، فقال : والله لا تأخذه وأنا أقدم به على الخليفة فيجزم عليه فتزعه منه ،
فكفيل له ان سرت به حيا قال مغيث أنا أصبته ولكن اضرب عنقه ففعل ثم مضى
حتى قدم على الوليد [(١)] .

وكان مغيث الرومي يطمح الى ولاية الاندلس وكان يمترض طموحه وجود
موسى بن نصير وطارق بن زياد ، ولهذا أضمر في نفسه الحقد عليهما وأخذ في
العمل لازاحتهما عن طريق هدفه .

[... ويبدو أن مغيثاً كان حائقاً في نفسه او لأنه ساءه ان ينسب فضل
الفتح كله الى نفسه مغفلاً ببيان ما قام هو وما قام به طارق ، فلم يال جهداً
في تنقيص موسى وتشويه سمعته ، فكان لكلامه اسوأ الأثر على مصير موسى
فيما بعد ...] [(٢)] .

عاد موسى الى دمشق ، وقبل ان يصلها بلفه ان الوليد في آخر رمق له ،
ووصله من لقيه في الطريق من قبل سليمان بن عبد الملك ومعه كتاب يطلب فيه
الى موسى التريث والانتظار ريثما تنتهي حياة الوليد ويتولى سليمان الخلافة
فيكون شرف فتح الاندلس مقترناً بقدوم عهده . فكان جواب موسى بن نصير
حاسماً حيث قال عن سليمان :

[.. خنت والله وغدرت وما وفيت ...] .

ثم أبلغ موفد سليمان بقوله :

[... والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني امير بمسيرتي فان
واقفته حياً لم اتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله] [(٣)] .

وتابع موسى تقدمه فوصل دمشق في حياة الوليد ، وأسلمه الحسن ، ووجد
موسى ان الوليد غاضب منه بعد ان سبقته وشاية طارق ومغيث ضده وتأكدت

.....

(١) اخبار مجموعة ١٩ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ٤ - ٥٨

(٢) فجر الاندلس ١٠١ وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٠

(٣) نفع الطيب ١ - ٢٨٠

للوليد صحة الشكوى ضد موسى عندما اخرج له طارق « قائمة المائدة » ، ولم يكذب الوليد بعد ذلك سوى اربعين يوماً حيث توفي وانتهت الخلافة الى سليمان ابن عبد الملك الذي كان حائقاً على موسى .. ففرض عليه من الأموال ما ينوء عن حمله .. [واغرمه غرماً عظيماً حتى سأل العرب . فيقال ان لحمًا حملت عنه في اعطائها سبعين ألفاً ذهباً ...]^(١) .

- كان موسى بن نصير قريباً الى نفس يزيد بن المهلب أثيراً لديه ، وكان يزيد ابن المهلب وزيراً لسليمان بن عبد الملك ، فتوسط يزيد بن المهلب لدى سليمان وشفع له وكفه ، كما تدخل في هذه الوساطة عمر بن عبد العزيز مما خفف من حقد سليمان ضد موسى ، وفي هذه الفترة الحرجة من الضيق جلس يزيد بن المهلب الى ابن نصير وقال له :

[اريد ان اسالك فاصنع الي] .. فقال موسى : [سل عما بدا لك ..] فقال : [لم ازل اسمع عنك انك من اعقل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومدارة الدنيا . فقل لي كيف حصلت في يدي هذا الرجل ، بعدما ملكت الاندلس ، وألقيت بينك وبين هؤلاء البحار الزخار ، وتيقنت بعد المرام واستصعابه واستخلصت بلاداً أنت اخترعتها واستملكتم رجالاً لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل في يدك من الذخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرت به الامتناع ما ألقيت عنقك في يد من لا يرحمك ، ثم انك علمت ان سليمان ولي عهد ، وانه المولى بعد اخيه وقد اشرف على الهلاك لا محالة ، وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك الى التهلكة وأحقدت ماللك ومملوكك - ويقصد بذلك سليمان وطارق ومغيث - وما رضى هذا الرجل الا بعيده ولكن لا ألو جهداً ..] فأجابه موسى :

[.. يا ابن الكرام .. ليس هنا وقت تعديد .. اما سمعت اذا جاء الحسين

(١) فتح الطيب يحملها تسعين ألفاً ١ - ٢٨٠ ويحملها المقرئ تسعين ألفاً .

غطى على العين ..] فقال يزيد : [ما قصدت بما قلت لك تعديداً وتبكيماً ،
وانما قصدت تلييح العقل وتنبيه الرأي وأن أرى ما عندك !.. فقال موسى :
اما رأيت الهدمد يرى الماء تحت الارض عن بعد ، ويقع في الفخ وهو يجرأى
عينه] ^(١) . ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه : (انه قد اشتمل رأسه بما
تمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الأموال والأبشار على ما لا
يمحوه الا السيف ولكن قد وهبت لك دمه وانا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب
حتى يرد ما غل من مال الله) .

وعاد يزيد بن المهلب الى موسى .. وأخذ في الحديث معه وقال له :

[يا ابا عبد الرحمن في كم تعتد من مواليك وأهل بيتك ؟ فقال له موسى :
« في كثير . فقال يزيد .. يكونون الفأ .. فقال له موسى : والفأ والفأ الى
منقطع النفس . فقال له يزيد : وانت على ما وضعت والقيت بنفسك الى
التهلكة ؟ افلا اقيمت في قرار عزك وموضع سلطانك وامتنعت بما قدمت به ؟
فان أعطيت الرضى والا كنت على عزك وسلطانك . فقال له : والله لو اردت
ذلك لما نالوا من اطرافي طرفاً .. ولكنني آثرت الله ورسوله .. ولم تر الخروج
عن الطاعة والجماعة ^(٢)] ..

— وامكن بعد ذلك تسوية الخلاف لصالح موسى بن نصير الذي اخذ يتردد

على مجلس الخليفة سليمان . وسأل سليمان بن عبد الملك يوماً موسى فقال له :

(.. أي الأمم كانوا أشد قتالاً ؟ ..) فقال موسى : (انهم يا أمير المؤمنين

أكثر مما أصفهم) فقال له : أخبرني عن الروم . فقال : أسود في حصونهم ،

عقبان على خيولهم . نساء في مواكبهم ، ان رأوا فرصة افترصوها ، وان خافوا

غلبة فأوعال ترقد في اجبال ، لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة) .

(١) نفع الطيب ٢٨٤/١

(٢) البيان المغرب ١ - ٤٢ و ٢٠ - ٢٥

فقال سليمان : (فأخبرني عن البربر) فأجابه موسى : (هم يا أمير المؤمنين أشبه المعجم بالعرب: لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وساحة وبادية غير أنهم يا أمير المؤمنين غدر) . قال : (فأخبرني عن الاشبان) « الاسبان » ، فقال (ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون) . فقال : فأخبرني عن الافرنج .. فأجاب موسى : (هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثيرة ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكلا قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور والعزيز البسдох ..) فقال : (فأخبرني كيف كانت الحروب بينك وبينهم ، أكانت عقباً) بمعنى تناوب بين ونصر وهزيمة ، فأجاب موسى : (يا أمير المؤمنين ، ما هزمت لي راية قط ، ولا فض لي جمع ، ولا نكبت المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الأربعين الى ان شارفت الثمانين) . قال سليمان : (فأين الراية التي حملتها يوم « مرج راهط » مع الضحاك ، فأجابه موسى فوراً : تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية ، فقال سليمان : صدقت ، وأعجبه قوله .

وفي يوم آخر جلس الخليفة سليمان بن عبد الملك الى موسى بن نصير وسأله : (ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟) فأجاب موسى : (.. التوكل والدعاء الى الله يا أمير المؤمنين) . وسأل الخليفة من جديد : (هل صكنت تمتنع في الحصون والختنادق أو كنت تخندق حولك ؟) وأجاب موسى : (.. كل هذا لم أفعله ... كنت أنزل السهل ، واستشعر الخوف والصبر ، وأتحصن بالسيف والمنقر ، وأستمع بالله وارغب اليه في النصر ...)^(١)

— ودخل موسى على سليمان يوماً وعنده الناس فلما رآه سليمان قال : (.. ذهب سلطان الشيخ) وأبصره موسى حين تكلم فلم يفهم قال : (يا أمير المؤمنين !

(١) الامامة والسياسة ٢ - ١٠٠

رأيتك لما نظرتني داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتني به) ، قال سليمان (نعم ، قلت ذهب سلطان الشيخ ..) فقال له موسى : (... أما والله لئن ذهب سلطان الشيخ ، لقد أقر الله به في دينه أقرأ حسناً ، ولقد كنت طويل الجهاد في الله ، حريصاً على اظهار دين الله حتى أظهره الله ، وكنت ممن أتم الله به مواعده لنيبه ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الفصن ، ميمون الطائر ..) فقال سليمان : هو ذاك ؟ فقال موسى : (هو ذاك ..) فلم يزل يرددها سليمان ويردها موسى حتى سكت سليمان ..

- في السنة التالية لوصول موسى الى دمشق - أي في عام ٨٩٧ هـ - قتل عبد العزيز بن موسى في الاندلس وحمل رأسه الى دمشق حيث ألقى بين يدي الخليفة سليمان ، فأرسل سليمان الى موسى ، فلما حضر ورأى رأس ابنه وقف وحده الله ثم قال : (هذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه ، فلعمر الله ما علمته نهاره إلا صواماً وليله إلا قواماً شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين ...) (١)

غضب سليمان لمقتل عبد العزيز بن موسى وشق ذلك عليه ، فولى افريقية عبد الله بن يزيد ، وكان أمر الاندلس وطنجة وولايتها تابعة لافريقية ، وأمره سليمان فيما فعله حبيب بن أبي عبيدة وزباد بن النابغة من قتل عبد العزيز بان يتشدد في ذلك ، ثم مات سليمان فصرح عبد الله بن يزيد والي افريقية على الاندلس الحر بن عبد الله الثقفي وأمره بالنظر في شأن قتل عبد العزيز فلم يستقر بالحر الفرار حتى ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، فعزل عبد الله بن يزيد عن افريقية وولاهما سهيل بن عبد الله مولى بني مخزوم وولى السمح بن مالك الخولاني الاندلس .. (٢)

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٩٧

(٢) اخبار مجموعة ٢٢ .

- في عام ٩٧ هـ ، حج سليمان ، ومعه موسى بن نصير ، وبينما كان يسير يوماً إذ دعا سليمان بموسى ، فدعاه أحد رجال سليمان ، وكان موسى يسير رجلاً فلم يلتفت موسى الى ندائه ، ثم دعا به سليمان ، فناداه ذلك الرجل ايضاً ، فلم يلتفت اليه ، فقال له الرجل : (غفر الله لك ! ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين ؟ ..) (إني اخافه وأخاف أن يغضب). فقال موسى: (ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد، فاما هذا فإنه يرضيه ما يرضي الصبي ويستخطه ما يستخره وسخرى ذلك ..) ثم تقدم موسى حتى لحق ولصق بسليمان، فقال له : (أين كنت يا ابن نصير؟ ..) فقال له : (.. يا أمير المؤمنين ، أين دوابنا من دوابك ، اني لمنذ دعاني أمير المؤمنين لفي كد حتى لحقت أمير المؤمنين ..) فضحك سليمان وأمر له بثلاثين نجيباً موقورة جهازاً وبمجرة من حجره وجائزة .. وسأيره وحادثه ثم انصرف عنه .. فلحق الرجل اليه فقال له موسى (كيف رأيت ؟) فقال : (.. أنت كنت به أعلم ..) (١)

- وفي أم القرى ، توفي موسى بن نصير، وأغمض عينيه ، فصلى عليه مسلمة ابن عبد الملك ، ودفن هناك (٢) ..



.....

(١) الإمامة والسياسة ٢ - ١٠١

(*) ملاحظة : هناك روايات متناقضة يدحض بعضها بعضاً حول نهاية موسى بن نصير ، وسوء معاملته ، وما لقيه في إمامه الأخيرة ، وأحياناً يفهم المصدر الواحد من التناقضات الكثيرة ما هو مشير للشكوك في صحة روايات هذه المراجع والمصادر ، وقد تم الأخذ هنا بأكثرها صحة وتوافقاً مع تحليل شخصيات الخلفاء الامويين - الوليد وسليمان - والظروف التاريخية التي وقعت فيها تلك الاحداث ، واتساق الاحداث بعضها مع بعض بشكل تستقيم فيه المعلومات على اكبر قدر من الصحة ..

قراءات

مصير أولاد غيطشة بعد الحرب ...

وصل طارق بفتوحه حتى طليطلة ، وأسهم أولاد غيطشة بأعمال الفتح ، وعندما انتهت المرحلة الأولى اجتمعوا بطارق وقالوا له ^(١) :

(أنت أمير نفسك أم فوقك أمير ؟ فقال بل على رأسي أمير وفوق ذلك الأمير أمير عظيم ...) فاستأذنه بالحق بموسى بن نصير يافريقية ليؤكد سببهم به ، وسأله الكتاب اليه بشأنهم معه وما أعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه في انحداره الى الأندلس بالقرب من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ، ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم ، فأنفذهم الى أمير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفهم به طارق من جميل أترهم ، فلما وصلوا الى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدم وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل لهم أن لا يقوموا لداخل عليهم ، فقدموا الأندلس وحازوا ضياع والدهم أجمع واقتسموها على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم « ألتند » ^(٢) ألف ضيعة في غرب الأندلس فسكن من أجلها اشيلية مقرباً منها . وصار « لأرطباش » ^(٣) ألف ضيعة ، وهو تلوه في السن وضياعه في موسطة الأندلس فسكن من أجلها قرطبة . وصار لثالثهم « وقله » ^(٤) ألف ضيعة في شرق الأندلس وجبة الشفر ، فسكن من أجلها مدينة طليطلة ، فكانوا على هذه الحال صدر

(١) نفع الطيب ، ١ - ٢٦٥ - ٢٦٦

(٢) ألتند : Olmundo .

(٣) ارطباش : Ardabast .

(٤) وقله ، تعريب اخيلا Aquila .

الدولة العربية الى أن هلك أئند - كبيرهم - وتخلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين ، فبسط يده أرطباش على ضياعهم وضمها الى ضياعه ، وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، فأنشأت سارة بنت أئند مركباً باشبيلية حصيناً كامل العدة ، وركبت فيه مع أخويها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بمقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره بدمشق فأنهت خبرها وشككت ظلامتها من عمها واستمدت عليه ، واحتجت بالعهد المنمقد لأبيها وأخويه على الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام الى نفسه وأعجبه صورتها وحزمها ، وكتب الى حنظلة بن صفوان عامله بافريقية بانصافها من عمها أرطباش وإمضائها وأخويها على سنة الميراث فيما كان في يد والدهما بما قاسم فيه أخويه ، فأنفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالأندلس أبي الخطار - ابن عمه - فتم لها ذلك وأنكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فابتنى بها بالشام ثم قدم بها الى الأندلس وقام لها في دفاع عمها أرطباش عن ضياعها فنال بها نعمة عظيمة وولد له منها ولداه ابراهيم وإسحاق فأدركا الشرف المؤثل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلهما بالنسبة الى أمهما سارة القوطية .

وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأت عنده حفيده عبد الرحمن بن معاوية - الداخل بعد الى الأندلس - وعرفها ، فتوسلت بذلك اليه لما ملك الأندلس ووفدت اليه ، فاعترف بذمامها وأكرمها وأذن لها في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدد تكريمها ولا يججب عياله عنها ، وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الأندلس ، فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد .

- وكان لها ولأبيها أئند وعمها أرطباش في صدر الدولة العربية بالأندلس أخبار ملوكية : فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصد أرطباش يوماً الى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصميل وابن

الطفيل وأبو عبده وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالغ في تكريمهم ودخل على
أفرهم ميمون العابد جد بني حزم وكان في عداد الشاميين إلا أنه كان شديد
الانقباض عنهم لزهده وورعه ، فلما بصر به أرتباش قام اليه دونهم اعظاماً
ورقاه الى كرسيه الذي كان يجلس عليه وكان ملبساً صفائح الذهب وجذبه
ليجلسه مكانه ، فامتنع عليه ميمون وقعد على الأرض ، فقعد أرتباش معه
عليها وأقبل عليه قبلهم ، فقال له يا سيدي ، ما الذي جاء بك الى مثلي ؟ فقال
له : ما تسمعه ، انا قدمنا الى هذا البلد غزاة نحسب أن مقامنا فيه لا يطول فلم
نتعد للمقام ولا أكثرنا من العدة ، ثم حدث بعدنا على موالينا وفي أجنادنا ما قد
أيسنا معه من الرجوع الى أوطاننا ، وقد وسع الله عليك ، فأحب أن تدفع إلي
ضياعاً من ضياعك أعتمرها بيدي ، وأؤدي اليك الحق منها وآخذ الفضل لي
طيباً أتعيش منه ، فقال : لا أرضى لك بالمساهمة ، بل أهب لك هبة مسوعة ،
ثم دعا بوكيل له فقال له : سلم إليه الجهر « المرعى » الذي لنا على وادي شوش
بما لنا فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك ، وادفع اليه الضيعة التي يبيان ،
فتسلم ميمون الضيعتين وورثها ولده وإليهم نسبت قلعة حزم ، فشكره ميمون
وأثنى عليه وقام عنه . وقد أنف الصميل من قيامه اليه ، فأقبل على أرتباش
وقال له : كنت أظنك أرجح وزناً ، أدخلُ عليك وأنا سيد العرب بالأندلس
في أصحابي هؤلاء وهم سادة الموالى فلا تزيدنا من الكرامة على الإقعاد على أعوادك
هذه ، ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث صرت ؟ . فقال له :
يا أبا جوشن ، ان أهل دينك يخبروننا أن أديهم لم يرهفك ، ولو كان لم تنكر علي
ما فعلته ، انكم اكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما
أكرمه الله تعالى ، فقد روينا عن المسيح ، عليه السلام ، انه قال : من أكرمه
الله تعالى من عباده بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه ، فكأنما ألقمه حجراً ،

وكان الصميل أمياً ، فذلك عرض به ، فقال له القوم : دعنا من هذا ، وانظر
فيما قصدنا له فحاجتنا حاجة الرجل الذي قصدك فإكرمه فانظر في شأننا ،
فقال له : أنتم ملوك الناس ، وليس يرضيكم إلا الكثير ، وها أنا أهب لكم
مائة ضيمة تقسمونها عشراً عشراً وكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم ،
فكان القوم يرونها من أطيب أملاكهم (١) .

(١) نفع الطيب ١ / ٢٦٧ - ٢٦٨

التيسير الثالث

الفصل الثالث

الفتوح في عهد الولاة

- ١ - فرنسا و بلاد الفال ، عند فتح العرب للأندلس .
- ٢ - يوم التروية .
- ٣ - مأساة عنبة بن سحيم الكلبي .
- ٤ - معركة بواتيه ... بلاط الشهداء .
- ٥ - معركة بواتيه في التاريخ .
- ٦ - المحور الخامس ، والقاعدة المتقدمة في ايطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا .
- ٧ - حول عمليات المحور البحري .

قراءات

- السمع بن مالك الخولاني .
- عنبة بن سحيم الكلبي .
- عبد الرحمن العافقي .

الفتوح في عهد الولاة

٩٦ - ١٣٨ هـ = ٧١٤ - ٧٥٥ م

تعاقب على حكم الاندلس ما بين عامي ٩٦ هـ ، حيث ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير و ١٣٨ هـ ، حيث استقر الحكم لبني أمية عدد من الولاة وصل عددهم الى عشرين والياً ، طالت ولاية بعضهم سنوات عديدة واقتصرت ولاية البعض الآخر على شهر قليلة ، وقد حاول بعض هؤلاء الولاة متابعة الفتوح في بلاد غالبا « فرنسا » فاصطدمت بمحاولاتهم بمقاومات عنيفة وحدثت معارك حاسمة . أما في المجال الداخلي فقد تميز عهد الولاة بالاستقرار ، والتركيز على بناء المجتمع واقامة علاقات عامة جديدة^(١) .

- كانت اسبانيا عند الفتح تمتد الى ما وراء جبل البربات او البرانس « البيرنيه » فكان يتبعها من أرض فرنسا مقاطعة روسيون ، وهي المقاطعة المسماة اليوم بالبيرنيه الشرقية^(٢) وقسم من اللانغدوك^(٣) بالاضافة الى قسم من البروفانس^(٤) ، وقد توغل موسى بن نصير في هجومه الاول على محور واحد هو محور « ندبون حتى ليون » تاركاً خلفائه من بعده متابعة التقدم على المحاور الأخرى ..

(١) يمكن مطالعة تسلسل حكم الامراء في الجداول الملحقه .

(٢) روسيون Rousillon استولت عليها فرنسا سنة ١٦٥٩م وقاعدتها بريبيان

Perpignan

(٣) اللانغدوك Languedoc ، وهي المقاطعة الواقعة الى الشمال من روسيون وقاعدتها تولوز ،

وكان استيلاء فرنسا عليها عام ١٢٧١م .

(٤) البروفانس Provence ، في جنوب فرنسا تضم جبال الألب السفلى ومصب نهر الرون

وبلاد العاك والفركلوز .

– تركز الجهد في عهد الولاة على محاولات فتح ما وراء جبل البيرنيه ، وقد جرب العرب المسلمون التوغل على محاور مختلفة لكن الفشل كان من نصيب هذه التجارب التي لم تحقق نتائج هامة ولهذا يمكن اعتبارها عمليات وقائية – دفاعية أكثر منها عمليات هجومية . وكان الولاة هم الذين يقودون هذه العمليات بانفسهم نظراً لما كانت تتميز به من أهمية . وبرز من خلال أعمال القتال أسماء عدد من القادة الذين قضوا فوق أرض « غاليا » فرنسا وسطروا ملاحم رائعة ..

– احتلت معارك عهد الولاة وفتوحاتهم فيما وراء « البيرنيه » أهمية خاصة عند الغربيين ، وتعرضت للتحليل والنقد ورسمت هالة حولها وبصورة خاصة منها معركة « بلاط الشهداء » ، بينما لم يعط المؤرخون العرب لها من الأهمية أكثر مما تستحقه على اعتبار أنها ، بمثابة لغيرها من المعارك الكثيرة التي قادها العرب المسلمون في عهد الفتوحات والتي رافقتها الانتكاسات والانتصارات ، وكانت الدروس التي أفاد العرب من الانتكاسات والانتصارات على مستوى واحد من الأهمية ..

١ – فرنسا « القال » عند فتح العرب للأندلس ..

– كانت فرنسا عندما فتح العرب الأندلس تحت حكم الافرنج والميروفنجيون ، وان معرفة شكل الحكم فيها يفرض بالضرورة العودة الى نهاية القرن الخامس حيث كانت غالبا مقسمة الى ست مناطق كبرى ، ففي الشمال كانت مملكة الافرنج ، وفي الشمال الشرقي الآلامان ، وفي الجنوب الشرقي مملكة بورغونيا ، وفي الجنوب الغربي الفيذغوطيون أو القوط الغربيون ، وحول لويس « باريس » كانت المملكة الغالية الرومانية ويحكمها الملك سيباجريوس الذي كان يحافظ على شكل من أشكال الوحدة مع الشعوب المتحدة مع الرومان ، أما في غرب فرنسا فكان « البريتون » ثم فصمت عرى الوحدة مع الامبراطورية الرومانية عام ٤٠٧ م .

- كانت مملكة الافرنج « الميروفنجيون » من أقوى هذه الممالك ، فقد بدأ مؤسس هذه المملكة « ميروفي » (١) ٤٤٨ - ٤٥٧ م بقيادة الفرنج لمهاجمة الهون في حقول كاتالونيه وأسهم في دحر الهون وأعطى اسمه للأسرة المالكة « الميروفنجية » التي حكمت بلاد الغال « « فرسه القديمة » حتى ٧٥١ م .

وقد جاء كلوفيس الأول (٢) ٤٨١ - ٥١١ م حفيد ميروفي فانتصر على سياغريوس ملك المملكة الغالية - الرومانية في معركة سواسون ٤٨٦ م وعلى الآلامان قرب تولونيه ٤٩٦ م وعلى البورغونديين قرب ديجون ٥٠٠ م وعلى الفيزيقوط في فوييه ٥٠٧ م ، وأسس الملكية الفرنجية وأصبح ملكاً أوحداً لبلاد الغال بعد مقتل زعماء كولونيه الفرنج وزعماء كامبري وتيروان .. وقد جعل كلوفيس من مدينة « باريس » عاصمة له ..

- لم تلبث هذه المملكة القوية ان قسمت الى اربعة ممالك حكمها ورثة كلوفيس وهم : تيبيري و كلودومير وشيلدبير و كلوتير ، وبقي الأمر كذلك حتى جاء داغوبير ٦٢٨ - ٦٣٨ م فاعاد توحيد المملكة ، لكن الآلامان والبريتون والاكيتانيون أعلنوا استقلالهم بعد مهات داغوبير .

- لم يكن خلفاء الملك داغوبير على مستوى الحكم ، فولوا شؤون الدولة الى وزراء القصر ، ولم يبق لهم من الحكم شيئاً حتى عرفوا باسم « الملوك الكسالى » ونتيجة لذلك نشأت في كل ممالك الافرنج « أسر متوازية » تتنازع مركز الصدارة ، فوزير قصر مملكة « اوسترازيه » - بيبان الهيرستالي - دحر جيش نوسترازيه في تربستري ، وأعاد تنظيم المملكة لزم من ما ، وشارل مارتل ابن بيبان أخضع مملكة نوسترازيه ، ومقاطعة أليتانيه وهزم البافاريين والساكسون والآلامان .. ثم ورث شارل مارتل ابن بيبان بمجمل مملكة الافرنج وقام

(١) ميروفي Mérovée

(٢) كلوفيس الأول Clovis-1

بمحاصرة ديديه ملك اللومبارديين في بافيه واغتصب منه التاج ، واصبح ملك الافرنج واللومبارديين ودفع حدود مملكته حتى نهر « غاريفليانو » في ايطاليا ، كما أوصل حدود مملكته فيما وراء الراين حتى وصل « الايلب » ، وقد جاء « بيبان الحاسم » ابن شارل مارتل ، فجمع « الأوفياء »^(١) في سواسون وجعلهم ينتخبونه ملكاً وقد باركه البابا اتيان الثاني عام ٧٥٤ م ، وهكذا خلفت « أسرة الكارولنجيين » في حكم فرنسا اسرة « الميروفينيين » او الافرنج ، واستمر حكم الكارولنجيين طوال الفترة بين ٧٥١ - ٩٨٧ م .^(٢)

- اكتسب الافرنج « الميروفنجيون » ومن بعدهم ، الكارولنجيون ، خبرات واسعة في مجال الحرب ، نتيجة لصراعهم المستمر مع خصومهم في الداخل والخارج ، وعندما جاء شارل مارتل ، طور اساليب القتال فحصد شواطئ الأطلسي وبحر المانش وبحر الشمال اتقاء لكل هجمات مباغته وقاد حملات ضد الساكسون طوال ثلاثين عاماً من حكمه ، وأدخل شارل مارتل تطورات جديدة على « الفالانج » القديم فجعله كثير العمق حتى اصبح كالجدار الصلب الذي لا يمكن اختراقه ، كما اعتمد على سلاح الفرسان فزاد من قوته وعدده ، وقد عمل على استبدال نظام النفرة الجماعية بتجنيد شامل في البلاد ، لا يقتصر تعبئة المناطق المهدة فقط ، مما وفر امكانيات بشرية ضخمة للحرب ..



(١) الأوفياء - تروست - Truste قوة دائمة - هي نواة الجيش الذي ينضم اليه المتطوعون والمستنفرون أثناء الحرب .
(٢) تاريخ جيوش العالم ، ترجمة يوسف يازجي ، الفصل الثالث عشر المجلة العسكرية ، العدد ٩ - السنة الرابعة والعشرين .

٢ - يوم الترويه

١٠٢ هـ = ٧٢٠ م

الوضع العام :

في عام ٩٦ هـ ، وبعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ولي الاندلس ايوب بن حبيب اللخمي ، ابن اخت موسى بن نصير ، وذلك بعد ان اجتمعت كلمة اهل اشبيليا على توليته ، لكن فترة ولايته لم تدم اكثر من ستة اشهر حيث تولى حكم الاندلس من قبل الامويين ، الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، وقد استمر الحر في ولاية الاندلس سنتين وثمانية اشهر ، وانصرف الحر بن عبد الرحمن الثقفي لبناء الاندلس وتنظيم أموره واقامة الحاميات في الثغور .

في عام ٩٩ هـ ، تولى الخلافة في دمشق الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد اظهر اهتماماً خاصاً بالاندلس ، ففكر في تعيين وال لها مستقل عن افريقية واختار لذلك السمع بن مالك الحولاني^(١) ، فوصل السمع الى الاندلس عام

(١) جاء في اخبار مجموعة ، ص ٢٣ حول تعيين السمع بن مالك الحولاني :

... كان في الخلفاء اذا جاءتهم جبايات الامصار والآفاق يأتهم مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس واجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم الا أخذ بحقه وحسب يعلف الوفد باله الذي لا اله الا هو ما فيها دينار ولا درهم الا من فضل اعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية ، والا بعد أن أخذ كل ذي حق حقه ، فأتى وفد افريقية بخراجها وذلك انها لم تكن يومئذ تقرأ فكان ما فضل بعد اعطيات الاجناد وفرائض الناس ينقل الى الخليفة، فلما وفدوا بخراج افريقية في زمان سليمان ، أمروا أن يعلفوا فعلف الثمانية ونكل سهيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم ونكل بنكوله السمع بن مالك الحولاني فأعجب ذلك عمر بن عبد العزيز من فعلهما ثم ضمهما الى نفسه ، فلما ولي عمر ، ولي سهيل افريقية وولى السمع بن مالك الاندلس وأمره أن يخلص أرضها وعقارها ويقر القرى في يدي ضمهما بعد أن يأخذ الخمس وأن يكتب اليه بصفة الاندلس وانهارها وكان رأيه انتكال أهلها منها لا تقطاعهم عن المسلمين .. فقدمها السمع .. فوضع يداً في السؤال عن الضوة ليميزه عن الصلح وفي اخراج البصوت ، وبني قنطرة قرطبة ..)

« نفع الطيب ١٤/٣ ، وأخبار مجموعه ٢٣ » .

١٠٠ هـ - ٧١٨ م فانصرف الى البناء الداخلي وتنظيم المجتمع واقامة العلاقات الجديدة ، وعندما شعر ان البناء الداخلي قد اصبغ على درجة كافية من القوة توجه الى متابعة اعمال الفتوح .

ناربيون « أربونه » قاعدة الانطلاق (١)

- في نهاية عام ١٠١ هـ ، ٧١٨ هـ - انطلق السمع بن مالك الى الشمال يقود جيش المسلمين واخترق جبال البيرنيه ، ووصل « ناربيون » وكان الفرنج قد استعادوها خلال فترة الاضطراب التي أعقبت مقتل عبد العزيز بن موسى ، فنظم حصارها ،

(١) أربونة Narbonne ، كانت أربونة يجاورتها للبحر وسهولة الوصول اليها بالسفن من اسبانيا . ثم بمنعتها الطبيعية من جهة البر تصلح أن تكون ملحة للعرب في ارض الافرنج ، فزاد السمع Zama ، في تحكيم حصونها ووضع الحاميات في المدن المجاورة لها وبذلك تمكن العرب من صد غارة شارل مارتل الذي حاصر أربونة عام ٧٣٧ م بعد أن هزم العرب في معركة بواتيه ، ثم ان ببيان القصير ، ابن وزير القصر « شارل مارتل » والذي عاش تقريبا بين ٧٢٥-٧٦٨ م وكان دوق نوسترية وبورغونية والبروفانس عام ٧٤١ م مع أخيه شارلمان ، نودي به ملكاً على الفرنج عام ٧٥١ م بموافقة البابا زكرا .

- وقد فكر ببيان هذا بفتح اربونة وانتزاعها من العرب المسلمين ، لكنه نكص عنها ولم يتمكن منها سوى شارلمان سنة ٧٥٩ م ، وذلك بعد أن حاصرها مدة سبع سنوات ، وقد أدى هذا الحصار إلى ثورة الاهالي الذين ملوا الحصار فاندفعوا الى ذبح الحامية العربية ، ثم عاد للعرب سنة ٧٩٢ م ، فعاصروا أربونة ، فبعث شارلمان لتجديتها بعضاً عدته عشرون الف مقاتل عقد لواءه للقارس المشهور غليوم ، وتلقى الجمعان بقرب أربونة ، فاستأصل العرب جيش الافرنج ولم يبق من هؤلاء الا غليوم وثلاثة عشر من رفاقه ، وسلم أنف غليوم في المعركة ولقب من ذلك اليوم بذئ الانف القصير Guillaume Au Court Nez لكن العرب لم يتمكنوا من فتحها ورغم هذا النصر حتى جاء هشام بن عبد الرحمن الداخل فأعاد فتحها عام ٧٥٧ م . تاريخ غزوات العرب ، ارسلان ، ٦٥ ، تاريخ جيوش العالم ، الممد ٩ ، السنة الرابعة والعشرون ، المجلة العسكرية .

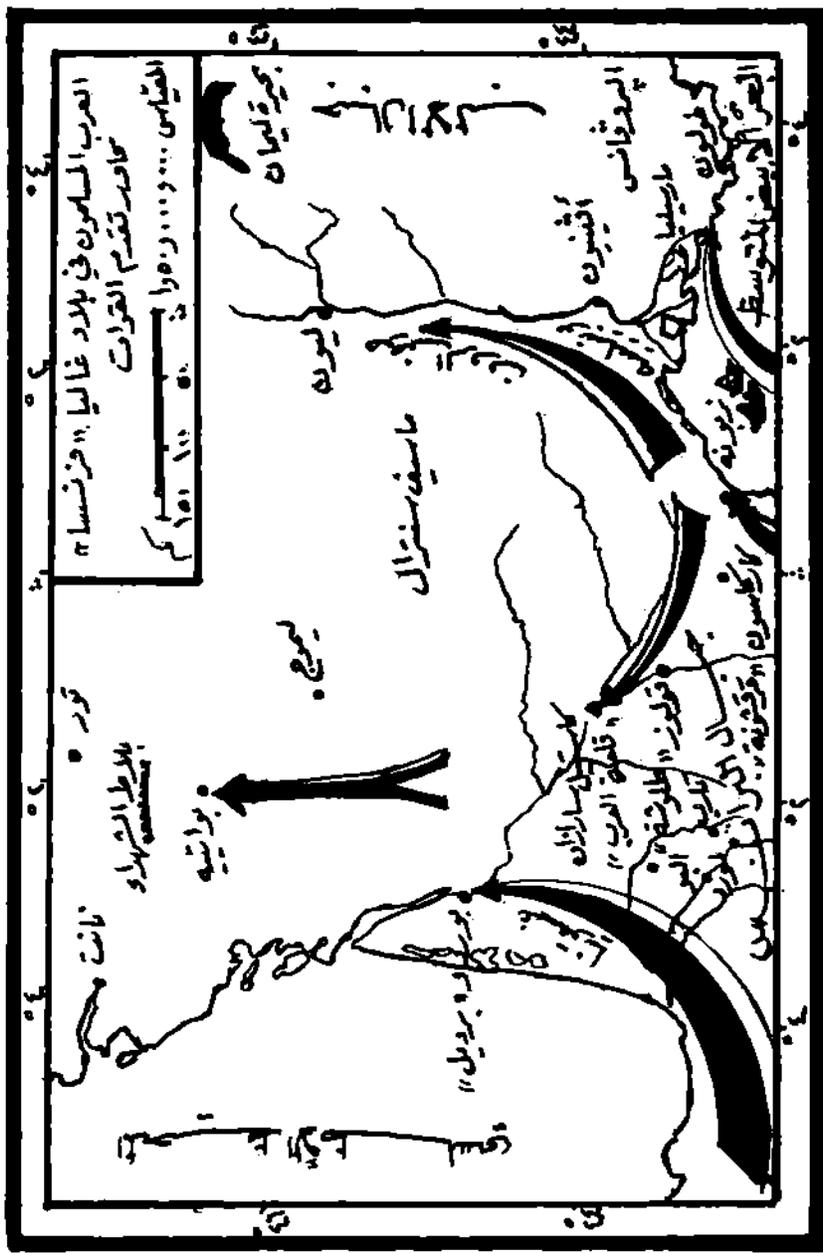
واستمر في تشديد قبضة الحصار طوال ثمانية وعشرين يوماً حتى خضعت له ،
وقدر السمح أهمية ناربيون كقاعدة لانطلاق الهجوم داخل بلاد الغال ، فرمى
جهده من اجل تحصين المدينة وتقوية الدفاع عنها وجعلها مستودعاً للمواد
التموينية والاعتدة الضرورية واصبح بإمكانه بعد ذلك التوغل في هجومه
الى العمق ..

محور جديد للعمليات « وادي غارون » ..

لم يتابع السمح بن مالك تقدمه نحو المحور السابق الذي سلكه موسى بن
نصير وطارق بن زياد ، وانما اختار محوراً جديداً لعملياته هو محور « تارن
- و - غارون » فتوجه نحو الشمال الغربي واوغل في تقدمه حتى وصل تولوز
« طلوشه » بعد ان اخضع سبتمانيا و بروفانس .

- توقف السمح بن مالك امام « تولوز » وحاصرها ، فصمدت المدينة ثم
اسرع دوق اكيثانيا لانقاذ مدينته ، وزج قواته في معركة حاسمة قاتل فيها
المسلمون بعناد لكن قوات اكيثانيا تفوقت عليها وانتهى يوم ٩ حزيران ٧٢١م -
ذي الحجة ١٠٢ هـ بمقتل السمح بن مالك وتمزق جيشه فتولى عبد الرحمن
الفاقي مهمة حماية الانسحاب ، وتراجع جيش المسلمين حتى قاعدة الانطلاق
« اربونة » وسميت المعركة باسم «يوم التروية » او «معركة التروية» وكان السبب
الرئيسي للهزيمة هو تفوق قوات الافرنج تفوقاً ساحقاً على جيش العرب
المسلمين .





العرب المسلمون في بلاد غاليا، فرنسسا
مخاض تقدم القوات

قياسا بالكيلومتر

مأساة «عنبسه بن سحيم الكلبى»

– تولى عبد الرحمن النافقي أمر حماية الانسحاب بعد مقتل السمح بن مالك ونظراً لعدم تعيين والي للأندلس فقد تولى عبد الرحمن الولاية لفترة شهرين ريثما وصل والي الجديد عنبسة بن سحيم الكلبى في عام ١٠٣ هـ – ٧٢١ م .

– أمضى عنبسة السنوات الأولى من حكمه في ترسيخ دعائم المسلمين في الأندلس والاستعداد للقتال ، والحرب ودعم الثغور وفي عام ١٠٧ هـ – ٧٢٥م توجه عنبسه بقوة ثمانية آلاف مقاتل حتى وصل القاعدة المتقدمة «ناربون» .

– قام عنبسة بدراسة المنطقة خلال توقفه في «ناربون» وقرر التوجه بقواته في محور جديد ، فاستولى مرة أخرى على إقليم سبتمانيا ثم توجه الى حوض الرون وتابع تقدمه في إقليم «برغنديا» فاستولى على مدينة «قرقشونه» وانطلق منها شمالاً فاحتل ماكون ، وشالون وتذكر بعض المصادر ان عنبسه وصل في تقدمه حتى سانس على بعد ثلاثين كيلو متراً من «باريز» – .

– شعر عنبسه أن توغله بعيداً عن قاعدة انطلاقه لا يتناسب مع حجم قوته فقرر العودة ، والتوقف عن متابعة الفتوح ، وفي طريق العودة تصدت له مقاومات الفرنج ثم التحم معهم في معركة حاسمه اصيب خلالها بجراح قاتلة توفي على اثرها في شعبان ١٠٧ هـ – ٧٢٥ م ، وكانت مدة ولايته اربع سنوات ونيف .



٤ - معركة بواتيه « بلاط الشهداء »

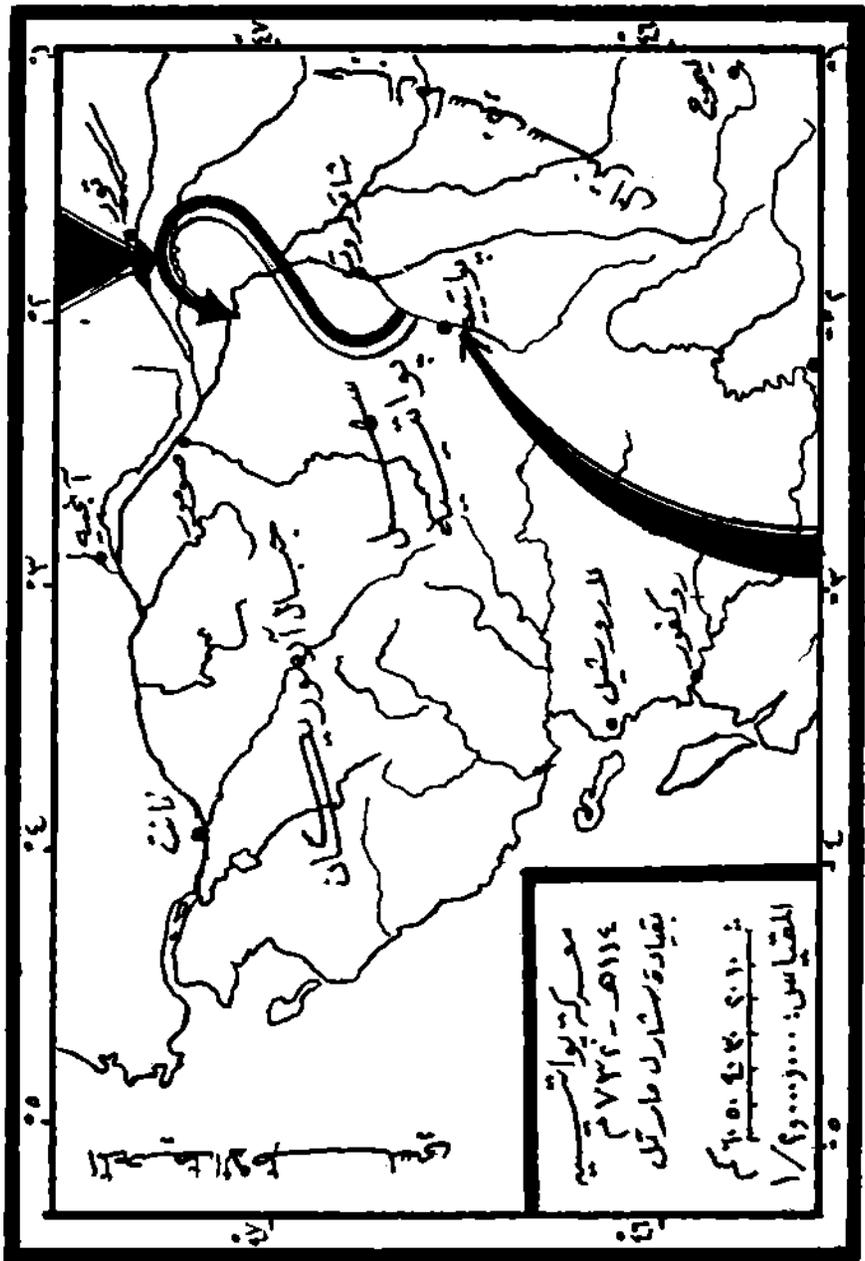
رمضان ١١٤ هـ = ١٧ تشرين الأول - اكتوبر ٧٣٢ م

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
مقتل عنبسة بن سحيم الكلبي في فرنسا .	٧٢٥ م	١٠٧ هـ
غزو اسد بن عبد الله الحنظلي والخور في خراسان وغزو مسلمة بن عبد الملك الروم وفتح قيسارية ومجموعة حصون .	٧٢٦ م	١٠٨ هـ
ظهور دعاة بني العباس في خراسان وتصاعد قوتهم .	٧٢٧ م	١٠٩ هـ
موقعة « بلاط الشهداء » ومقتل عبد الرحمن الغافقي .	٧٣٢ م	١١٤ هـ
وقوع طاعون بالشام وقحط شديد في خراسان .	٧٣٣ م	١١٥ هـ
حدوث حركات تمرد في خراسان وافريقية .	٧٣٥ م	١١٧ هـ
وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد ابن عبد الملك .	٧٤٢ م	١٢٥ هـ
اضطراب أمر بني أمية وتمرد حمص وفلسطين .	٧٤٣ م	١٢٦ هـ

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
بيعة مروان بن محمد بن مروان ، وتمرد حمص والشام .	م ٧٤٤	هـ ١٢٧
تمرد الأندلس وخلع أبي الخطار .	م ٧٤٤	هـ ١٢٧
تعاقد خراسان على نصره أبو مسلم الخراساني .	م ٧٤٦	هـ ١٢٩
دخول أبو مسلم مرو ، وهروب نصر بن سيار والي الأمويين .	م ٧٤٧	هـ ١٣٠
موت نصر بن سيار ومسير قحطبة الى ابن هبيرة في العراق .	م ٧٤٨	هـ ١٣١
قيام الدولة العباسية ومقتل مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم .	م ٧٤٩	هـ ١٣٢
دخول عبد الرحمن الأندلس ..	م ٧٥٥	هـ ١٣٨





معركة بواتيه

الوضع العام :

تعاقب على حكم الاندلس بعد مقتل عنبسه بن سحيم الكلبي سنة من الولاة واذا استثنينا منهم يحيى بن سلمة الكلبي الذي تجاوزت مدة ولايته السنتين فإن البقية لم تتجاوز مدة ولايتهم الأشهر القليلة مما لم يسمح لهؤلاء الولاة بوضع مخططات لامتثاف اعمال الغزو في فرنسا وبقي الأمر كذلك حتى تم تعيين عبد الرحمن النافقي للمرة الثانية ، فركز جهده لتحقيق الاستقرار وحشد الطاقات - وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمه ، وكانت هذه الغزوات الاستطلاعية ذات هدف وقائي - دفاعي ، ومن اجل جمع المعلومات الكافية .

- وفي الوقت ذاته كان « شارل مارتل » من الأسرة الكارولنجيه يعيد تنظيم قواته ويعمل على توسيع حدود مملكته .
- عندما عرف عبد الرحمن النافقي انه انهى اصلاح الادارة واعاد تنظيم الجيش انطلق بجيشه الذي لم يتجاوز ثمانية آلاف مقاتل .

طبيعة ميدان المعركة : (١)

- اختار عبد الرحمن النافقي محوراً جديداً لعملياته عبر « اقليم غرب فرنسا ، وعلى محور اكيثانيا ، سهل تور ، وتقسّم الطبيعة الجغرافية للاقليم الى اقسام اربعة .

١ - اقليم غرب فرنسا ، « الغال » وهو مكون من برزخ من الأراضي الحديثة التكوين بين الكتل الجبلية القديمة « في بريثانيا وليموزين » وهي تشكل اقليماً من للسهول المتموجة التي تخترقها خطوط المواصلات بين حوض

(١) أطلس القرن العشرين Atlas. Du XX Siecle .

باريس وحوض اkitانيا عبر سهول «بواتيه» الخصبة والغنية بمواردها الزراعية كالحبوب والذرة والاشباب ونظراً لوقوع بواتيه في وسط هذا السهل فقد احتلت اهمية كبرى عبر التاريخ كمحور للعبور وكمركز للصراع بين قوى العالم القديم .

٢ - اما حوض اkitانيا فيقع بين جبال البيرنيه والمحيط الأطلسي والجبال المركزية « ماسين سنترال » وهذا السهل لا يأخذ شكل تقعر كما هو حوض باريس وانما يأخذ شكل مسطح محدب يفتح بصورة واسعة في اتجاه المحيط ويخترقه نهر الفارون ومناخ هذا السهل رطب وبارد وموارده الزراعية تحتل المرتبة الأولى في موارد الاقليم وتكثر فيه الغابات ومن اشهر المراكز الحضرية العريقة في هذا الاقليم مدينتي : برديل « بوردو » وطلوشه « تولوز » ..

٣ - سلسلة جبال البيرنيه : وهي كتلة من الجبال الحديثة تمتد بين المتوسط والمحيط الاطلسي بصورة عرضانية فتشكل حاجزاً طبيعياً منيعاً بين الاندلس ، وفرنسا وترتفع جبال البيرنيه حتى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف متر ، وهي مرتفعة وحادة في اتجاه فرنسا مشكلة منحدرات كلسية تخترقها الأودية القائمة وتعتبر الممرات الشرقية والغربية هي محاور الاتصال الطبيعية بين فرنسا واسبانيا .

٤ - وادي الرون : يفتح كطريق واسع بين اوربا البحر الابيض المتوسط واوربا الشمالية وتسيطر عليه من الشمال الهضاب الكلسية، وتحده جبال الألب شرقاً وجبال الكتلة المركزية غرباً ، ويضم الوادي سهولاً زراعية لها مناخ حوض البحر الابيض المتوسط ، وقد أصبحت ليون ، عقدة مواصلات للطرق الجبلية المخترقة للألب ، نتيجة لوقوعها في وسط السهل ، ويمتد هذا السهل بشكل طولاني مواز لأحواض بواتيه و اkitانيا الواقعة الى غربها ..

التقدم في اتجاه « تور » :

- جعل عبد الرحمن الغافقي من « بامبلونا »^(١) قاعدة له ، وحشد فيها قواته وذلك في صيف ١١٤ هـ - ٧٣٢ م ، ثم اخترق بقواته سلسلة جبال البيرنيه من منطقة « باب - شزروا » ، محرات رونسيسفال^(٢) ، ثم توجه الى برديل « بوردو » على نهر الغارون ، وذلك قبل التقاء الغارون بنهر « دوردونيا » في منطقة غير بعيدة عن مصبه ، وهناك التقى « بدوق اكينانيا » اودو حيث دارت معركة قصيرة وحاسمة انتصر فيها عبد الرحمن الغافقي على خصمه ، ودخل مدينة بوردو ، بعد ذلك ، فنهبها جنده وحصلوا على غنائم كبيرة أنقلت الجيش وأخذت تعيق تحركه وأفقدته مرونته^(٣) .

- تابع عبد الرحمن تقدمه في اتجاه « تور » دون أن يلتقي بمقاومات تذكر .

- لجأ دوق اكينانيا الى « شارل مارتل » طالباً دعمه لمهاجمة تقدم العرب المسلمين فأسرع شارل مارتل الى حشد قواته وتوجه بها نحو تور فوصلها قبل وصول عبد الرحمن اليها ثم تابع زحفه جنوباً حيث التقى بطلائع المسلمين وقواتهم المتقدمة عند طريق روماني قديم يبعد مسافة عشرين كيلو متراً الى الشمال الشرقي من بواتيه .

- اصطدمت قوات العرب المسلمين بقوات الافرنج وكان شارل مارتل قد نظم قواته على شكل فالانج عميق [... فكان قوم الشمال كالجدار الساكن المتجملد ...]^(٤) الذي لم تؤثر فيه سهام العرب أو مزاريقهم وهكذا لم يتمكن عبد الرحمن الغافقي من احراز نصر حاسم ، منذ بداية المعركة ، واستمرت

(١) بنبلونة : Pam - Peluna

(٢) باب شزروا : Roncesvalles

(٣) كان محور مسير عبد الرحمن هو بيغور Bigorre وبيارن Bearn ، قرب Tarb

وآير Aire وبازاس Basas واوليرون Oleron .

(٤) تاريخ جيوش العالم ٩ / السنة ٢٤ المجلة العسكرية .

أعمال القتال ستة أيام دون تحقيق نصر لصالح طرف من الطرفين المتحاربين .
- وفي اليوم السابع لبداية القتال ، أعاد عبد الرحمن الغافقي تنظيم قواته وانطلق بهجوم قوي حاسم ونجح في احراز بعض النجاح وتحطمت قوة المشاة « الفالانج » وبدأت بواكبر النصر تلوح في الأفق ، وفي هذه اللحظة الحاسمة حدثت المأساة ..

كان شارل مارتل ، قد دفع قوة فرسانه للقيام بحركة التفاف عميقة ونجحت قوة الفرسان في الوصول الى مؤخرة جيش العرب المسلمين . وكان ظهور « فرسان الافرنج » مباغتاً مما أوقع الفزع في قلب المقاتلين وبصورة خاصة أولئك الذين خافوا على غنائمهم من الضياع فتركوا مواقعهم وأسرعوا الى منطقة الشؤون الادارية لحمايتها والحفاظ على الغنائم ، وأفاد مشاة « الفرنج » فانطلقوا بهجوم مضاد ، وتصدى عبد الرحمن الغافقي للهجوم وحاول ايقاف زحف « الافرنج » واعادة تنظيم قواته ، لكن سهماً أصابه فوق أرضاً وسقط في المعركة وانطلق جند الفرنج يدمرون خصومهم فسقط آلاف القتلى في ساحة المعركة التي حملت اسم [بلاط الشهداء] ..

- عرف شارل مارتل كيف يستثمر ظفروه ، فأعاد تنظيم قواته وانطلق مباشرة لمطاردة فلول القوات المنسحبة ووصل في هذه المطاردة حتى « أربونة » في سفوح جبال البيرنيه ، وقد تمكنت الحامية المدافعة عن المدينة من ايقاف تقدم « شارل مارتل » وردعه عن متابعة التقدم ، وتذكر بعض المصادر العربية أن شارل مارتل لم ينجح في اصابة جيش المسلمين أثناء انسحابه نظراً لانسحاب فلول الجيش تحت جنح الظلام في ليلة المعركة ذاتها مما فوت الفرصة على شارل مارتل وأعاقه عن تحقيق هدفه في تدمير جيش المسلمين وبادته اباداة تامة (١) .

(١) نفع الطيب ١٥/٣ ، تاريخ جيوش العالم ٩/ السنة ٢٤ من المجلة المسكوية الغزوات الاسلامية ، دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ٢٨ ، تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ١/٣٢٠ .

كما تذكر بعض المصادر أن شارل مارتل لم يطارد فلول القوات المنسحبة مباشرة خشية ان يكون ذلك خطة مدبرة .

٥ - معركة بواتييه في التاريخ :

هناك تناقض كبير واختلاف واسع في تقييم معركة « بلاط الشهداء » ونتائجها بين المؤرخين قديمهم وحديثهم على حد سواء .

فبينما نجد مؤرخي العرب ، كإبن الأثير ، والمقري ، وإبن خلدون واضرابهم يذكرون أحداث هذه المعركة بإيجاز وبخطوطها العامة ، مثلها في ذلك مثل جميع المعارك التي خاضها العرب المسلمون .. نجد أن مؤرخو الغرب بصورة خاصة اعتبروها من معارك التاريخ الحاسمة التي أحاطت قائدها ، شارل مارتل ، بهالة كبيرة من التمجيد الذي يصل حتى درجة « التقديس » ..

وقد هذا المؤرخون المحدثون حذو القدامى ، فاعتبرها بعضهم من معارك التاريخ الحاسمة على اعتبار انها أوقفت تقدم المد العربي - الاسلامي في بلاد « الافرنج » ، بينما يعتبرها البعض الآخر معاملة لغيرها في مقدمتها ومسيرتها ونتائجها .

ولكل من الطرفين - في الواقع - مبرراته ووجهات نظره ، وقد يكون كل طرف من الطرفين مخطئاً في تحليله لهذه الحادثة التاريخية وذلك لأنه يفصلها عن اطرافها العام وعن مسيرة الأحداث التالية ..

ولإيضاح ذلك ، يفضل العودة الى الجدول الزمني لمسيرة الاحداث وطرح المعطيات التالية :

١ - أن معركة « بلاط الشهداء » وما رافقها من هزيمة لا تختلف عن هزيمة عقبة بن نافع ومقتله في « تهوذه » او مأساة ابو عبيد الثقفي في يوم النهر او مقتل مصقلة بن هبييرة في فارس او غيرها من المعارك الفاشلة الكثيرة التي رافقت فتوح العرب المسلمين ، وقد تعرض العرب المسلمين بالقتال

وفن الحرب فلم تعد الهزيمة تصيبهم باليأس ولم يعد النصر يصيبهم بالغرور واكتسبوا مناعة ضد الانفعالات الطارئة واصبح تقييمهم للنصر والهزيمة موضوعياً ، ولهذا فان معالجتهم لها وكتابتهم عنها اتصفت بالوضوح والايجاز والذكر كحادثة تاريخية فقط تتوافق مع غيرها سواء بسواء ، وان مراجعة معارك افريقية الشمالية وحدها وما رافقها من انتصارات وهزائم كاف لايضاح هذه الحقيقة ، كما ان معاودة محاولات غزو فرنسا بعد وقوع مجموعة من الانتكاسات ومقتل عدد من الولاة وكبار القادة يعبت هذه الحقيقة ذاتها .

٢ - لقد اصيبت الدولة الأموية ، بعد معركة بلاط الشهداء ، بعدد من النكبات والمصاعب حاولت الصمود لها ومجابتها ، فقد كانت الحرب مع بيزنطة مستمرة وفي تصاعد مما تطلب تكريس جهد خاص لمجابهة خطر الشمال . وفي الجبهة الشرقية كانت أعمال التمرد في خراسان مستمرة ، ثم اضيف الى ذلك ظهور - دعاة بني العباس - واستفحال أمرهم مما فرض تكريس جهد آخر اضافي وكان هذا المسرح يحتل المرتبة الأولى في سلم الأولويات بسبب اتصال خراسان وفارس البري ومناختها لحدود دولة الشام . وإذا اضيف الى ذلك ، متطلبات الجهد البحري وأعمال الغزو في بحر الشام « البحر الابيض المتوسط » يظهر بوضوح عجز الدولة عن دعم الاندلس بجهد اضافي لمتابعة الفتوحات عبر اوروبا ، بداية من مجابهة بلاد الغال « فرنسا » ..

٣ - وحدثت خلال الفترة أوبئة ، كالتاعون في الشام سنة ١٠٩ هـ و ١١٥ هـ و ١٣٧ هـ - والمجاعة والتحط في فارس ، مما اعاق الدولة الاموية عن دعم قواتها في الجبهات المختلفة ، ويجب ان يضاف الى ذلك الجهد الذي تطلبه قمع حركات التمرد في الاقاليم المختلفة علاوة على الجهد الذي استنزفته الانقسامات الداخلية والخلافات بين افراد الامرة الاموية ذاتها ، مما جعل الدولة في حالة عجز عن دعم جبهة الاندلس بالقوات ودفعها لمتابعة الفتوح ومجابهة « الافرنج » في بلاد الغال . -

٤ - وجاء بعد ذلك انهيار دولة بني أمية في الشام ، ثم استقلال الاندلس عن الدولة العباسية وقيام الحكم الاموي ليضعف من القدرة القتالية لدولة « الامويين » ، ويضع حداً حاسماً للتوسع في شمال الأندلس .

- لقد كانت وحدة الدولة - في زمن بني أمية - من العوامل الأساسية في حشد الطاقات البشرية الضخمة ، والتوسع في أعمال الفتوح على مختلف الجبهات وبجبهة التحديات بتحديات أكبر ، وعندما فصمت عرى « وحدة الدولة الاسلامية » لم يعد لدى الأمويين في الاندلس من طاقات يستطيعون بها القيام بأعمال الفتوح على نحو ما كانوا يمارسونه خلال حكمهم في الشام ..

٥ - وعلى الرغم من هزيمة « معركة بلاط الشهداء » فإن المسلمين لم يتوقفوا عن متابعة الفتوح والقيام بعمليات محدودة تتناسب وامكاناتهم . فقد اقدم يوسف بن عبد الرحمن حاكم « اربونة » في عام ١١٦ هـ - ٧٣٤ م وبعد الهزيمة بستين فقط ، اقدم على التوغل في حوض الرون واحتل آرل^(١) ، وابينيون^(٢) وتجاوزهما في اتجاه الشمال ، وقام بالبحارة المسلمون بالسيطرة على اقليم « البروفانس » متبعين في ذلك محوراً جديداً للغزو واستمر حكمهم لمنطقة البروفانس مائة عام تقريباً ٢٧٧ - ٣٦٥ هـ - ٨٩٠ - ٩٧٥ م ، وهذا برهان على ان فكرة التوسع لم تتوقف نتيجة لهزيمة « بلاط الشهداء » وانما توقفت بسبب « التصور في الامكانات الذاتية وضعف الطاقة البشرية . -

٦ - اكتسب شارل « مارتل » شهرته ، كواحد من مؤسسي الأسرة الكارولنجية لا بسبب انتصاره على العرب المسلمين في معركة « بلاط الشهداء » وإنما بسبب الانتصارات المتتالية والمعارك الكثيرة التي خاضها وأخضع مملكة

.....
(١) آرل : Arles

(٢) ابينيون : Avignon

نوسترازيه ومقاطمة اكينتانية وهزم البافاريين والساكسون والآلمان وانتصر على لومبارديا وضمها الى مملكته وقاد جيوشه طوال ثلاثين عاماً ضد الساكسون كما قاتل السلافيين والأفار ووحده مملكة الكارولنجيين . وبذلك اكتسب شهرته الواسعة ..

- ان ما سبق ذكره هو بعض الشواهد التي يمكن وضعها لاجراء تقييم صحيح ، لنتائج معركة بلاط الشهداء - .

- ويمكن القول ان معركة بلاط الشهداء لا تختلف عن معركة يوم التروية او توغل عنبسة بن سحيم الكلبي او حتى توغل موسى بن نصير وطارق ابن زياد في وادي الرون ، والاختلاف الوحيد هو ان اطارها الزمني يختلف بعض الشيء ، نظراً لما اصاب الدولة الاموية بعدها بحيث لم يمد باستطاعتها دعم فكرة متابعة الفتوح ولهذا فان تاريخ ١١٤ هـ - ٧٣٢ م هو مجرد تسجيل لأقصى ما وصله العرب المسلمون في بلاد غاليا ولا يحمل معنى اعمق من ذلك .

٦ - المحور الخامس

والقاعدة المتقدمة في ايطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا

بقي هناك محور خامس ، وهو محور التقدم البحري الى جنوب فرنسا ، ولقد جاء التحرك عن طريق هذا المحور متأخراً ، وتم بواسطته تكوين قاعدة متقدمة أسهمت الى حد كبير في تخفيف الضغط عن الاندلس وحل عبء في الدفاع عنها .. ويمكن ايجاز ظهور هذه للقاعدة حتى زوالها بما يلي :

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية	
كان حاكم اقليمى بروفانس ودوفيني خلال هذه الفترة غير خاضع للأسرة الكارولنجية ، وكان يحكمها أمير اسمه « بوزون ^(١) » أطلق على نفسه اسم « ملك آرل » . وكان موقفه ضعيفاً بسبب قربه من الأندلس جنوباً ومناهضة الدولة الكارولنجية له شمالاً .	٨٨٩	٢٧٦	١
قذفت أمواج البحر الأبيض المتوسط زورقاً صغيراً إلى عين الطيب « آنتيب » ونزل من هذا الزورق عشرون ملاحاً عربياً في خليج « غريماد » ^(٢) المعروف باسم « سانت تروبيز » ^(٣) وتسلل هؤلاء بعيداً عن كل رقابة عبر الغابات وأمكن لهم التسلق صعداً في سلسلة الجبال الواقعة الى شمال الخليج وأمكن لهم العثور على موضع جيد تتوفر فيه الميزات التالية :	٨٩١	٢٧٨	٢
١ - القرب من البحر - حيث الامداد -- والاتصال بقاعدة الاندلس .			
٢ - السهول والقرى المحيطة، حيث الوسط المحيط الملائم للغزو والتمايش والاستقرار			

(١) بوزون : Bason .

(٢) غريماد : Grimad .

(٣) سانت تروبيز : Saint - Tropes .

الأحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
<p>ومخاور الاتصال بين الغرب والشرق « إيطاليا وفرنسا » وبين شمال أوروبا وجنوبها ..</p> <p>٣ - غابات « الألب » ومسالكها الوعرة مع ما تقدمه من وسائل طبيعية للدفاع ضد التهديدات الخارجية .. وبدأ هؤلاء فوراً في العمل على إنشاء قاعدة قوية أطلقوا عليها اسم فريكسيناتوم^(١) وأرسلوا الى الأندلس وإفريقية طالبين الانضمام اليهم ودعمهم ..</p>		
<p>وصلت قوة جديدة من العرب المسلمين - من الأندلس وإفريقية - وانضمت الى القوة السابقة وقامت ببناء الحصون التي أطلق على مجموعها اسم فراكسينيت ، وأخذ هؤلاء في التوسع ، ونظراً لشدة بأس هؤلاء المقاتلين فقد أخذ السكان وأمراء المقاطعات يستعينون بهم بعضهم على</p>	٢٧٩	٨٩٢

(١) فريكسيناتوم : Fraxinetum . وهو اسم مشتق من شجر الدردار ، ويظهر ان شجر الدردار كان منتشرأ في عهد فتح العرب المسلمين لها ويعتقد ان فريكسيناتوم هذه في موقع « غارد فرنيه الحالي Garde - Frainet » في سفح جبل الالب حيث تحيط بها غابة « المور » او « العرب » ، وقد شيد العرب مجموعة من القلاع اطلق على كل واحد منها اسم « Fraxinet » لكن « الفراكسينيت » الأول على ما يمتدده بعض علماء الآثار هو ذلك القائم على انقاض مدينة رومانية اسمها « فراكسينيت » وان الحصن العربي لم يكن له من الطول اكثر من ثلاثمائة قدم ولا يتسع لأكثر من مائة مقاتل تحيط به الحتادق ، مما يدل على ان هذه المواقع كانت مخافر مراقبة ومراكز مقاومة لا اكثر أنشئت بهدف دفاعي ، وان الفراكسينيت الاول المشار اليه يقع في ذروة جبل يحمل اليوم اسم سيدة ميرامار Notre Dame de Miramar

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
بعض وقد انضم اليهم اعداد من المغامرين فقوي بذلك أمرهم وارتفع شأنهم.. ووصلوا في توسعهم حتى قسم الألب وسيطروا على أقاليم دوقيني وسافوا وبيجونت .		
– أفاد العرب المسلمون خلال هذه الفترة من التناقضات والأوضاع الداخلية لفرض سلطانهم على الأقاليم التي سيطروا عليها .		
– فقد أصبحت مملكة آرل تحت حكم لويس ابن بوزون ، وكان لويس هذا قد سار بجيشه الى ايطاليا لقتال بيرانجه ملك ايطالية ، فترك بلاده خالية من الحاميات القوية ..		
– وتعرضت فرنسا لغزو النورمان والسلاف في الشمال وقد استطاع هؤلاء توجيه تهديد خطير للدولة الكارولنجية حتى كادوا يطرُقون أبواب باريس في احدى مراحل تقدمهم .		
– قامت قوة من العرب – المسلمين بالانزال من جديد عند سواحل « لنغدوك » قرب ايغورط .	٩٠٨	٢٩٦
أصبحت سيطرة العرب المسلمين كاملة على محاور المرور وطرق المواصلات ومضائق جبال	٩١١	٢٩٩

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	
الألب ، ولم يكن باستطاعة أحد المرور دون التعرض لخطر مجابهة قوة العرب المسلمين .			
تولى حكم الاندلس ، عبد الرحمن « الثالث » ، وامكن له توحيد قوة الاندلس في قبضته ، وتحالف حنشو غرميه ملك نابار وأردونه ملك ليون والثائر ابن حفصون .	٩٢	٣٠٠	٦
وجه عبد الرحمن جيشاً كبيراً بقيادة عمه (عبد الرحمن) تجاوز جبال البيرنيه واكتسح قسماً من غسكونيا حتى وصل قريباً من تولوز ، وفي الوقت ذاته عملت قوة العرب المسلمين في القاعدة المتقدمة على تصعيد عملياتها مما حمل الأغنياء ، ورجال الكنيسة على استثارة القوى المختلفة وحشدها في قوة واحدة ضد العرب المسلمين .	٩٢٠	٣٠٨	٧
أعلن الكونت « هوغ » ^(١) ملك بروفانس عزمه على طرد المسلمين وطلب من امبراطور القسطنطينية دعمه ، فأرسل اليه أسطولاً فزحف هوغ على حصن فراكسينيت بجيش كبير ، وفي الوقت ذاته كانت القطع البحرية ، قاذفة النار	٩٤٢	٣٣١	٨

(١) هوغ Hugues ، كان مصاعراً لامبراطور بيزنطة .

الاحداث

السنة الهجرية | السنة الميلادية

اليونانية ، تحرق القطع البحرية للمسلمين ، ونجح هوغ في الاستيلاء على الحصن ، والتجأ العرب المسلمون الى الجبال ، وتزايد الخطر عليهم ، وفي هذه الفترة الحرجة وصلت أخبار فرار « بيرانجه »^(١) الذي كان ينازع هوغ في عرش مملكة ايطالية . فعمد هوغ مع العرب صلحاً بشرط أن يساعده العرب في الامساك بمجاور الطرق عبر الألب ومنع كل قوة معادية من قوات خصمه « بيرانجه » في المرور عبر هذه المحاور ، وتم الاتفاق على ذلك^(٢) .

شعر العرب المسلمون بمد هذا الاتفاق بالاستقرار فانطلقوا الى التعايش مع السكان ، وتراوجوا معهم ، وسكن بعضهم المدن فكانت لهم احياء في نيس « نيقه » وغرونوبل وعرفت

٩٥٤

٣٣٩

٩

(١) بيرانجه Berenger .

(٢) استقبل بعض رجال الكنيسة هذا الاتفاق بالنقمة والسخط وقد عبر عن ذلك المؤرخ ليوفبراند بقوله (لقد قام بعمل لا سبيل للقدر فيه ، ثم قال ما معناه : انه سهل بعمله هذا هلاك الاتقياء وجعل من نفسه حصناً واقياً للطغاة الذين يقال لهم « المور » ، ثم يخاطب هوغ بقوله : (ألا تحجل من نفسك ايها التمس وانت تبسط ظلك على اناس يسفكون الدماء ويعيشون من قطع الطريق ؟ . وماذا اقول لك ، لمعري جدير بك ان تنقض عليك صاعقة . او ان تكسر تكسيراً او ان تفنى فناء ابدياً ...) .

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
هذه الاحياء السكنية بعد ذلك باسم معسكرات المسلمين ^(١) .		
- وانصرف العرب الى الزراعة ، وأصبحوا يسيطرون سيطرة تامة على معبر سان برنارد الكبير «جبل المشتري» المحور الرئيسي للاتصال بين سويسرا وايطالية ، عبر فاليه ^(٢) ووادي اوسط ^(٣) .		
اكتسح السلاف «الجر» الازاس، وسيطروا على جبال جورا فوضع امير بورغونيا وسويسرة ودوفيني «الكونت كونراد» مخططه لتدمير القوتين ، ووجه الجهر ضد العرب فحاضوا معهم معارك ضارية ، وفي اللحظة الحاسمة انقض كونراد بجيش كبير على قلول قوات الطرفين ونجح في ابادتها اباده شبه تامة ، ولجأ من بقي من العرب الى المعامل والجبال في حين تعرض من بقي من الجهر للمذبحة جديدة أعدها «أوتون» ملك المانيا ..	١٠	٩٥٢

(١) معسكرات المسلمين ترجمة لاصطلاح Canton des, Sarrazins وقد اخذ الافرنج يظلمون هذا الاسم على جميع المسلمين كما يطلقون عليهم اسم «المور» وكان بالاصل خاصة لأبناء المغرب، ثم عمم على كل العرب المسلمين وهناك عدد غير محدود من القلاع والاماكن التي تحمل اليوم في اوروبا اسماء قلاع العرب Castle Sarrazins .
(٢) فاليه : Valais .
(٣) وادي اوسط Aoste .

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	
قام الاسقف « ايزاردون » بقيادة قوة كبيرة واخرج العرب المسلمين من غرونويل .	٣٤٥	٩٥٦	١١
قام الاسقف « برنار دو منتون » ^(١) بقيادة قوات كبيرة ونجح في اخراج العرب المسلمين من مضائق « سان برنارد » .	٣٤٩	٩٦٠	١٢
مات عبد الرحمن الثالث (الناصر) وخلفه ابنه الحكم الثاني .	٣٥٠	٩٦١	١٣
أعلن الامبراطور « اوتون » عن عزمه لطرد العرب المسلمين من البروفانس ..	٣٥٨	٩٦٨	١٤
وقع عدوان من المسلمين على « القس مايول » ^(٢) واستثمر أحد النبلاء في « نوايه » ^(٣) هذا الحادث ، فحشد قوة كبيرة زحف بها الى	٣٦٢	٩٧٢	١٥

(١) برنار دومنتون Dementhone .

(٢) مايول Mayeul كان قساً يتمتع بشعبية واسعة وكان قسيس بلدة كلوني Cluny في بورغونية ، وقد ذهب الى رومة لزيارة كنائسها كما هي عادة القديسين ، ولما وصل مايول كان في انتظاره جمهور كبير من المستقبلين له ، وعند وصول القافلة اطراف الوادي باعتمهم العرب المسلمون بقوة الف مقاتل ، واعتقلوه ، واقتادوه اسرى وطلبوا منهم فدية كبيرة ، ويذكر القسيس مايول - الذي جعلوه بعد ذلك قديساً - عن فترة الاعتقال فيقول:

(كان اذا اشتبى الطعام جاء احدهم وغسل يديه واصلح له طعاماً شياً ووضع بين يديه بأدب جم ، وكان مع القسيس نسخة من التوراة ، فجاء احد المسلمين ومد يده اليها دون احترام ، فلامه رفاقه وقالوا له : ان هذا كتاب مقدس ونحن معاشر المسلمين نقدم جميع الكتب السماوية ..)

(٣) نوايه : Noyers قرية تقع في نواحي سيسترون Sisteron واسم النبييل « بوبون ».

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية	
« سيمترون » وشيد حصناً مقابل حصن المسلمين في «بيترا - امبيا» ^(١) وأفادوا من بعض الظروف فانقضوا على المسلمين وذبجهم ..			
استنفر « غليوم » كونت بروفانس أهالي بروفانس ودوفيني السفلى وتوجه بقوات كبرى لقتال العرب المسلمين ، فزل هؤلاء من معاقلهم الجبلية ونظموا صفوفهم ووقعت بينهم وبين أهالي بروفانس معركة كبيرة في « تور تور » قريباً من « دراغينهان » ولقيت قوات المسلمين هزيمة منكرة فالتجأت فلول قواتهم الى حصن معين لكن قوات غليوم طاردتهم وأحاطت بالمعقل فتسلل العرب المسلمون ليلاً ، وهربوا إلى الحراج المجاورة وطاردهم غليوم قتلاً وأسرأ واستسلمت أعداد منهم «للرق» وسقط حصن «فراكسينيت» ولم يبق من المسلمين سوى مجموعات قليلة متفرقة اندمجت في مجتمعا ودانت بدينه .	٩٧٥	٣٦٥	١٦
مات الخليفة ، الحكم الثاني في قرطبة ، واستولى العامريون « بني عامر » على السلطة فيها بقيادة « المنصور » .	٩٧٦	٣٦٦	١٧
توفي المنصور ، وعرف التمزق الداخلي طريقه الى قرطبة ، وبدأ بعد ذلك استقلال الامارات ، وعصر انحطاط الاندلس ^(٢) .	١٠٠٢	٣٩٣	١٨

(١) بيترا - امبيا Petra - Empia .

(٢) المراجع : غزوات العرب - ارسلان - ١٦٠ - ١٩٠ .

٧ - حول عمليات المهور البحري :

- يشابه دور احتلال العرب المسلمين لجنوب فرنسا ومنطقة جبال الألب وشمال إيطاليا ذلك الدور الذي مارسته القواعد المتقدمة والمستقلة خلال الحرب العالمية الثانية وبصورة خاصة ما كان منها على مسرح آسيا ، في شمال الهند والصين^(١) ، ولقد وجد العرب المسلمون في الاندلس حماية مستقلة وفرتها لهم هذه القاعدة ، ولهذا فقد حظيت باهتمام امير قرطبة ونالت دعمه . وفي الوقت ذاته وفرت هذه القاعدة حماية نسبية للعمليات البحرية في حوض البحر الابيض المتوسط .

-- وما يؤخذ على عمليات هذه القوات انها دمرت كثيراً من الكنائس ، وأبادت عدداً من القسس ، ولإيضاح هذه النقطة يجدر الانطلاق من المعطيات التالية :

١ - لقد تزعم القسس حركات المقاومة - والحرب هي الحرب - في كل زمان ومكان صراع بين ارادتين ، لا مجال للتهاون فيها ، والاسرع فيها والاكثر تصميماً هو الذي يحرز النصر ويضمن لنفسه البقاء . .

٢ - لقد كتب تاريخ هذه العمليات وسجلها القسس ذاتهم ، ولهذا كان فيها الكثير من التجني والمبالغة في وصف الوقائع والاضطهادات ، وان هذه الشهادات قد سجلت بعد مضي وقت على مرور احداثها فهي مطعون بها من ناحيتين ، من ناحية صدق وقائدها ، ومن ناحية حقيقة حدوثها .

٣ - لقد توافق حدوث غزوات العرب مع حدوث هجمات النورمان والسلاف . وعرف عن غزوات السلافيين والنورمان من القسوة والوحشية ما يفوق كثيراً على ما كان يفعله العرب في حروبهم التي تميزت - بالفروسية -

.....

(١) كان اول من نظم هذه القواعد ، « فرقة وينيث » الذي عمل على تدريب العصابات الصهيونية في اسرائيل ومارس دوراً كبيراً في حرب الحبشة واعادة امبراطورها اليها بعد ان أخرجه القوات الايطالية .

وبالتزامها لقواعد اخلاقية في سلوكها وفي أسلوبها ، وكان أهل فرنسا يعتبرون الغزاة جميعهم من الوثنيين وليس من المستبعد الصاق ما فعله النورمان والسلاف - الجر - بالعرب المسلمين ..

٤- وبينما يبرز كثير من مؤرخي الغرب ما قام به العرب من غزوات همجية نراهم يطبقون بصمت أو ينوهون بشكل عابر الى ما قام به برابرة الشمال، نظراً لنجاح الكنيسة في ادخالهم دين المسيحية واعتمادهم بعد ذلك في الحروب الصليبية ضد الاندلس وضد المسلمين في حروب الشرق الصليبية .. وهذه النقطة تثبت صحة المعطيات السابقة .

٥- توافق تاريخ عمليات هذا المحور مع مضي مرحلة من قيام الدولة الأموية في الأندلس . وفي هذه الفترة ، كانت قوات العرب المسلمين تضم اليها أعداداً غير قليلة من غير المسلمين ، بل ومن غير العرب كالصقالبة والمتطوعين من اوروبا ذاتها . وقد سجل بعض المؤرخين أو بعض من عاصر تلك الأحداث وعاشها .. ان بعض هؤلاء لم يكونوا من المسلمين ، ولم يكونوا يتحدثون باللغة العربية ، ومعنى ذلك ، إما قيام النورمان ببعض هذه الغزوات وقد حدث ذلك فعلاً ، وإما قيام العناصر غير المسلمة بأعمال مميّنة ، ألصقت بالعرب المسلمين عن عمد أو غير عمد ..

- وفي كل الأحوال ، فان هذه المعطيات والحقائق التاريخية قد أصبحت في سجلات الماضي السحيق وليست هناك ضرورة لاثباتها أو نفيها لولا وجود بعض العناصر التي تحاول بين فترة وأخرى إثارة بعض سلبات الماضي ان وجسدت والتلويح بها ، فتلجأ نحن الى الدفاع ، وان الأسلوب الصحيح للرد على مثل هؤلاء من كتاب أو مؤرخين هو :

ماذا فعلتم في مرحلة الاستعمار ، والمد الاستعماري ؟ وخلال أيام الحروب الصليبية ذاتها منذ بدايتها ؟.

ثم كم هو عدد الكنائس التي دمرها المسلمون، وما هو العدد المقابل للمساجد التي دمرها الصليبيون في الأندلس، وجزر البحر الأبيض المتوسط؟

— وللانصاف يجب القول ان عدداً من المؤرخين المحدثين قد انصفوا العرب المسلمين . واعترفوا ان من بعض ما ترك العرب من أثر ، تعليم الغرب روح الفروسية والنبيل وهما الصفات التي سادت اوروبا في عصر نهضتها وعاشت اوروبا عليها حتى الآن ..

— ومن بعض ما أدخله العرب أيضاً التطوير في فن الحرب، وكان الاحتكاك الدائم والصراع المستمر مدرسة اقتبس منها الغرب الأسس الصحيحة والمتطورة لفن الحرب ثم عملوا على تطبيقها واستخدامها ضد العرب المسلمين ذاتهم ، في الأندلس ، وفي الشرق وفي كل مكان ..



قراءات

السمح بن مالك الخولاني

... - ١٠٢ هـ = ... - ٧٢١ م

- السمع بن مالك الخولاني أمير من خولان من قضاة ، استعمله عمر بن عبد العزيز على الأندلس لما لمس فيه من الأمانة والاستقامة ، وأوصاه أن ينجس الأرض ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهاها وبجارها ، وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم ..

- سنة ١٠٠ هـ : وصل السمع بن مالك الأندلس ، ونظم أمورها وبدأ ببناء قنطرة قرطبة ثم أعاد تنظيم قواته وتقدم حتى تاربون « اربونه » فجعلها قاعدة متقدمة وزاد من تحصينها ، وهناك شارع فيها لا يزال يحمل اسمه (١) .

- سنة ١٠٢ : تابع السمع بعد ذلك غزواته في اكيثانيا وقتل في موقعة « يوم الترويه » ..

- من ذريته في الأندلس حفيده « اسحاق بن قاسم بن سمره بن نهشل بن مالك بن السمع بن مالك الخولاني » (٢) .

.....

(١) Rue de Zama

(٢) غزوات العرب ٦٦ ، الاعلام ٣ - ٢٠٣ ، البيان المغرب ٢ - ٢٦ ، نفع الطيب

٣ - ١٤ ، جذوة المقتبس ٢٢٠ .

عنبسة بن سحيم الكلبي

... - ١٠٧ هـ = ... - ٧٢٥ م

- عنبسة بن سحيم الكلبي ، عامل الأندلس أيام هشام بن عبد الملك ، تولى الأندلس بعد مقتل السمح بن مالك ، واستقر في قرطبة وأعاد تنظيم جيشه لمتابعة الغزو ، ثم انطلق الى الشمال فاستولى على سبتانية .

- سنة ١٠٧ هـ : توغل السمح بقواته في غاليا « فرنسا » وافتتح كاراكسون « قرقشونه » وعبر الرون شرقاً وأوغل في إقليم برغنديه حتى بلغ مدينة ليون واستولى عليها .

وصف اسقف « باجه » فتوحات عنبسة [بأنها فتوحات حنق ومهارة أكثر من فتوحات بعلش وقوة] .

أصيب خلال معاركه الأخيرة بجراحات توفي على اثرها (١) .
كانت مدة ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر ..

- وفي أيام عنبسة ظهر بجيليقية « شمال شرق الأندلس » علج خبيث يدعى « بلاي » فعاب على قومه طول الفرار ، وأذكى قرائنهم حتى سما بهم الى طلب الثأر ، ودافع عن أرضه وعندما امتدت سيطرة المسلمين الى منطقة جيليقية كلها قاد « بلاي » أنصاره الى منطقة حصينة حملت اسم « صخرة بلاي » فحاصروهم المسلمون حتى لم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً ونحو عشرة نسوة ، وكان هؤلاء يوفرون غذاءهم من عمل النحل في خروق الصخرة ، فاستهان المسلمون بهم وقالوا [ثلاثون علجاً ، ما عسى أن يجيء منهم] فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والكثرة ان سيطروا على الأندلس واحتلوا قرطبة ، وكان « بلاي » وصحبه نواة عملية « الغزو المضاد » (٢) La ReconQuista .

(١) غزوات العرب ٧٣ و ٨٥ ، نفع الطيب ٣ - ١٦ ، ابن الأثير حوادث سنة ١٠٧ هـ ، البيان المغرب ٢ - ٢٧ ، الاعلام ٥ - ٢٦٩ ، تاريخ الاسلام الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٣٢٠ ، تاريخ الاسلام الذهبي ٢ - ٢٤٣ ، جبهة الانساب ١٠٢ .
(٢) بلاي Pelayo أو Pelagius باللاتينية ، فجر الأندلس الدكتور مؤنس ٣١٣ .

عبد الرحمن الغافقي

... - ١١٤ هـ - ... - ٧٣٢ م

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي ولقبه أبو سعيد .. وعرفه بالعكي نسبة الى بني عك وغافق بطن منهم في اليمن ..

- ذهب الى افريقية وعاد الى دمشق حيث وفد على الخليفة سليمان بن عبد الملك وذهب الى الأندلس فالتقى فيها بموسى بن نصير وابنه عبد العزيز .
- سنة ١٠٢ هـ : كان في القوة التي قادها السمح بن مالك الخولاني وعندما استشهد السمح تولى عبد الرحمن قيادة القوات حتى « ناربون » ، وبقي على ولاية الأندلس فترة قصيرة ريثما التحق والي الجديد عنبسة بن سحيم الكلبي .
استمر عبد الرحمن في غزو بلاد الأفرنج .

سنة ١١٢ هـ : عينه هشام بن عبد الملك والياً على الأندلس ، فقام بجولة على اقاليم الأندلس « كورها » وحشد الامكانيات لغزو بلاد الغال - فرنسا .

سنة ١١٤ هـ : عبر بقواته جبال البيروني « البربات » من منطقة « البشكنس - الباسك » واستولى على بوردو بعد حصاره لها ، وهرب من وجهه ملك اkitانيا ، الذي طلب دعم شارل مارقل فتقدم هذا يحميه المكون من الغالين والجرمانيين .
ووقعت معركة في سهل بواتيه جنوب تور استمرت ثمانية أيام ، ثم قتل عبد الرحمن فوق أرض المعركة ، وسميت المعركة باسم « بلاط الشهداء » .

(١) نفع الطيب ٣ - ١٥ ، غزوات العرب ٨٧ - ١٠٢ ، الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١١٤ هـ ، البيان المغرب ٢ - ٢٦ ، الاعلام ٤ - ٨٥ ، جفوة المقتبس ٢٥٣ .

الفصل الرابع

الفصل الأول

الدولة الاموية في الاندلس

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يالونكم خيالاً ، ودوا ما عنتم قد بدت البضياء
في أقرانهم وما تحققي صدورهم اكبر ، قد بينا
لكم الآيات ان كنتم تعقلون » صدق الله العظيم .
آل عمران - ١١٨ -

- ١ - الوضع العام .
- ٢ - الوضع على الجبهة الشمالية .
- ٣ - الوضع الداخلي .
- ٤ - عبد الرحمن الداخل في الاندلس .
- أ - الإصلاحات ، واعداد التنظيم - تشكيل الجيش المحترف .
- ب - استراتيجية الردع - تنظيم الصوائف وحماية الثغور .
- ج - سياسة الاحلاف .
- د - عبد الرحمن الداخل وبناء الدولة .

- ٥ - هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الهجمات الوقائية .
أ - العمليات في جيليقه .
ب - العمليات في ناربون ، واكتانيا .
ج - معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جيليقه - موقعة الصخرة .

٦ - الحكم بن هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الردع .

جدول توقيت الأحداث

- أ - الوضع العام .
ب - الوضع الخاص .
ج - مسيرة الاعمال القتالية :
١ - الهجوم الوقائي الأول .
٢ - سقوط برشلونه .
٣ - استعادة تطيله .
٤ - هجوم وقائي جديد .
٥ - استراتيجية الردع - معركة وادي الحجارة .
٦ - اخضاع التمرد في طليطله .
٧ - تطوير عمليات الردع .

الدولة الأموية في الأندلس

الوضع العام

توالى على حكم الأندلس بعد مقتل عبد الرحمن الفاطمي في معركة بلاط الشهداء ١١٤ هـ - ٧٣٢ م ستة من الولاة ، اولهم عبد الملك بن قطن الفهري ١١٤ - ١١٦ هـ - ٧٣٢ م وآخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري ١٢٩ - ١٣٨ هـ - ٧٤٦ - ٧٥٦ م^(١).

- حاول هؤلاء الولاة متابعة الفتوحات ومقاومة الحركات المناوئة والثورات المضادة ، فعلم عبد الملك بن قطن على غزو اقليم البشكنس « منطقة الباسك جنوب غرب فرنسا حالياً » بعد ان جعلت المقاومة من هذا الاقليم مستقراً لنشاطها ومنطلقاً لعملياتها ونجح الفهري في القضاء على المقاومة لكنه اضطر للقسوة واستخدام العنف في اخضاع حركات « الثورة المضادة » مما جعله مكروماً ، وعندما جاء بعنده عقبه بن الحجاج السلوي ١١٧ - ١٢٣ هـ - ٧٣٥ - ٧٤١ م ، ركز جهده على الفتوحات الخارجية وتحصين الثغور [حتى بلغ سكنى المسلمين أربوفة « فاربون » وصار رباطهم على نهر ردونة « الرون »...]^(٢) ، وكان من بين ما حصنه المسلمون اقليم اللانغدوك^(٣) حتى ضفاف الرون ، واقاموا الحاميات في الحصون والقلاع ، كما نظم عقبه الهجرات على درفينيه^(٤) وهو الاقليم

(١) انظر الملحق فيه جدول يضم اسماء الولاة وتسلسلهم .

(٢) فتح الطيب ١ - ٢٣٧ و ٣ - ٢٦ ، وغزوات العرب ١١١ .

(٣) اللانغدوك Languedoc .

(٤) درفينيه Dauphine .

الواقع شمال البروفانس وغرب سافوا وشرق ليون ، ودمر المسلمون بلدة سان بول^(١) بسبب مقاومتها واحتلوا فالانس^(٢) الواقعة على الرون ..

- وفي الوقت ذاته دعم عقبة أعمال الهجوم على امتداد ساحل البروفانس وهي الأعمال التي فرضت وجود المسلمين في ليرين^(٣) وعين الطيب^(٤) التي كان القسس والرهبان قد جعلوها مستقراً لهم ، وعندما هاجم المسلمون عام ٨١٢٢ - ٧٣٩ م كان هناك خمسمائة راهب يتزعمهم الراهب « بورسير »^(٥) الذي ضم اليه رجال الكنيسة من ايطاليا وفرنسا وسائر اوروبا . وقد طالبهم المسلمون كما هي عادتهم بالجزية او الدخول في الاسلام او الحرب ، ورفض القسس فاضطر المقاتلون المسلمون لاعدامهم .

- خلال هذه الفترة من حكم الولاة أخذت الخلاقات الداخلية تظهر على شكل ثورات مضادة ، فقام البربر ضد العرب بثورة كانت استمراراً لثورتهم في شمال افريقيا ، ونهض أهل الاندلس فأعادوا لحكمهم عبد الملك بن قطن ، وبقي فيها فترة قصيرة واستمر الاضطراب حتى جاء أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي ومعه أهل الشام فاستقر له الوضع في بداية أمره ، وانصرف الى تنظيم الأمور الداخلية ، وفي فترة ولايته أصبحت قرطبة تضيق بأهل الشام فعمل على توزيعهم في الأقاليم .

(١) سان بول : المعروفة بالثلاثة قصور ودونزير

Saint Paul et Trois Chateaux et Donzère .

(٢) فالانس Valence في منتصف المسافة تقريباً بين ليون وافينيون على نهر الرون .

(٣) ليرين Lerin .

(٤) عين الطيب : هي مدينة اتيب Antibes الواقعة على البحر الابيض المتوسط جنوب فرنسا في مقاطعة « الالب - ماريتم » التي مركزها « غراس » ومدينة اتيب الى الشرق من نيس

على الشاطئ ، الازوردي Cote d'Azur .

(٥) الراهب بورسير : جعلوه قديساً بعد موته وهو Saint Porcair .

[.. فانزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وانزل أهل حمص اشبيليا وسماها حمص وأهل قنسرين بجيان وسماها قنسرين وأهل الاردن ريه ومالقة وسماها الاردن وأهل فلسطين شنونة وهي شريش وسماها فلسطين وأهل مصر تدمير وسماها مصر ..]^(١)

لكن أبو الخطار حسام أظهر تحيزاً لأهل اليمن فتصدى له الصميل بن حاتم - زعيم المضربة - وخلعه وأسره وولى على الاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي ، ثم توفي ثعلبة ، وتفاقم الأمر وبقيت الاندلس اربعة اشهر دون وال يضبط أمورها فاجتمع أهل الأندلس على تعيين يوسف بن عبد الرحمن الفهري والياً لمدة سنة (وهو مضري) على أن يخلفه في السنة التالية وال « يني » وعندما جاء أهل اليمن في السنة التالية تصدى لهم يوسف واستأثر بالأمر دونهم وقتل منهم خلقاً كثيراً فركن اليمينيون الى الهدوء وانتظاراً لفرصة مناسبة يحققون فيها انتقامهم .. وهكذا كان الوضع الداخلي خلال حكم الولاة وضع تمزق بين عرب وبربر ، وبين مضربة وينيية ، وبين شامية وبلدية « عرب الحجاز » مما ترك لأعداء المسلمين المتربصين بهم فرصة للتجمع وإعادة التنظيم وبدء المقاومة .

٢ - الوضع على الجبهة الشمالية -

- كان الملوك الكسالي من الميروفنجيين^(٢) قد تركوا السلطة لوزرائهم في الفترة الاخيرة من حكمهم ، فنشأت أسر متوازية تتنازع مركز الصدارة ، واستطاع بيبان الميريستالي وزير قصر مملكة اوسترازية ان يسحق جيش

(١) نفع الطيب ١ - ٢٣٧ و ٣ - ٢٦ .

(٢) الميروفنجيين نسبة الى Mérovée : ملك الفرنج ٤٤٨ - ٤٥٧ م . قاد الفرنج في معركة « حقول كاثولنيه » Champ Catalauniques الممتدة بين شالون على المارت ورتوا ، واعطى اسمه للأسرة المالكة الميروفنجية التي حكمت بلاد الغال « فرنسا » القديمة حتى ٥١٧م ، وتلتها الاسرة الكارولنجية التي أسسها بيبان الاول وزير القصر ومن بعده ابنه شارل مارتل وحكمت هذه الاسرة من ٧٥١ - ٩٨٧ م .

نومسترازية واعاد تنظيم المملكة ، واستطاع شارل مارتل ابن بيبان اخضاع مملكة اومسترازية ومقاطعة اكيثانيا وهزم البافاريين والساكسون والالامان – وورث شارل مارتل مجمل مملكة الافرنج وتابع جهده لتوسيع حدود مملكته .

بدأت الأسرة الكارولنجية عهدها بإصلاح عام في البلاد ، بعد أن عملت على توحيدها ففرضت نظام الجندية ، وقامت بإصلاحات عسكرية ، وأخذت تزيد من اهتمامها بقوة الفرسان مع إنشاء مراكز إدارية لتموين الجيوش على محاور الطرق المختلفة وأفادت من أموال الكنيسة للقيام بإصلاحاتها ، ونظراً لتطبيق نظام التجنيد الشامل فقد أصبح باستطاعة شارل مارتل^(١) ومن بعده ابنه بيبان^(٢) ثم شارلمان^(٣) زج قوات غير محدودة من جميع الاقاليم .. كان شعور الافرنج ، رغم انتصارهم في يوم الترويه – وبلاط الشهداء –

(١) شارل مارتل Charles Martel وزير القصر وابن بيبان دو هيرستال Pèpin de Héristal عاش تقريباً بين ٦٨٨ – ٧٤١ م . وجاء في اللاروس المصور للقرن العشرين ان انتصار شارل مارتل في بواتيه هو الذي انقذ الحضارة المسيحية .

(٢) بيبان الحاسم Pepin le Bref ولد عام ٧١٤ في جوبيل Jupille « بلجيكا » وهو ابن شارل مارتل ، وفي عام ٧٤١ عينه والده دوقاً على نسطريا وبورغونيا والبروفانس مع اخيه كارلمان ، وقام بقيادة القتال ضد اكيثانيا والالامان وبافاريا والساكسون والعرب ، توجه البابا زكريا عام ٧٥١ ملكاً على الافرنج بعد ان جمع الاوفياء « Troste » في سواسوت ، وارغم لومبارديا على اعطاء ايتين للبابا مقابل تتويج البابا له ، فاعتبر اول ملك الاسرة الكارولنجية وتوفي عام ٧٦٨ تقريباً .

(٣) شارلمان Charlemagne ، كان ملك نوستريه ، ثم اصبح ملك الافرنج ٧٧١ – ٨١٤ م وامبراطور الغرب ٨٠٠ – ٨١٤ م خلف اياه بيبان وحكم مع اخيه كارلومان حتى موت هذا الأخير عام ٧٧١ م حارب الاكيثانيين واللومبارديين وقاد حملة ضد العرب في اسبانيا حيث هزمت مؤخرة جيشه في رونسقو وقتل رولان ٧٧٨ م . قام بحروب كبيرة وتوجه البابا امبراطوراً عام ٨٠٠ م ، اشتهر بالقوانين التنظيمية التي عرفت بقوانين شارلمان ، اصلح القضاء ، ونظام التقيش .

يتلخص في أن المسلمون قوة لا تقهر ، وانهم على امتداد دولتهم يستطيعون زج طاقات بشرية غير محدودة ، ولعل قصيدة الشاعر الانجليزي « روبرت سوزي » تصور هذا الشعور ، حيث قال :

جمع لا يحصى

من عرب وبربر وشأم وروم .
وفرس وقبط وتتار عسبة واحدة
يفيض شبابها ايماناً فتياً وطيد الدعائم
وتستعر حماسة برائع ماضيها
تتوق الى سلب مدن النصرانية واثقة من هول بأسها
ولم يك الزعماء
اقل ثقة بالنصر ، وقد اخلصوا في محالفتهم .
يتيهون كثيراً بتلك القوة الجارفة
التي وثقوا من انها حيث اندفعت
تستمر ظافرة ، دون منازع ، الى الأمام
حتى يصبح الغرب مقهوراً كالشرق .
يطأطئ الرأس اجلالاً لمحمد .
وينهض الحجاج من أقاصي المتجمد .
ليطؤوا باقدام التوبة والاخلاص ، الرمال المحرقة
المتناثرة فوق سحارى العرب وأرض مكة الصخرية^(١)

لكن الانقسامات الداخلية تركت بعض الأمل في نفوس عناصر المقاومة الداخلية والأعداء الخارجيين . ثم جاء انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م فترك باب الأمل مفتوحاً على مصراعيه ، وبدأ العمل بخطوات جديدة أكثر حزمًا وأكثر تصميماً .

(١) تاريخ العرب في اسبانيا ، عبد الله غنان طبعة ١ عام ١٩٢٤ ص ٣٥ .

- شمرت الامارات في البروفانس وسبتانيا بضعف قبضة العرب المسلمين فأخذ الأمراء المحليون « كونتات » في نيم والمدن المجاورة وفي بيزيه وماغلون في تنظيم ادارة محلية مستقلة مع بقاء الاعتراف بسيادة المسلمين .

وفي عام ١٣٠ هـ - ٧٤٧ م ، وجه يوسف بن عبد الرحمن الفهري قوة الى البيرنيه بمهمة متابعة الفتوح لكن القوات المسيحية جابهت المسلمين بقوة ، وقاومومهم بعناد ، ونظراً لصعوبة الاتصال بين العاصمة « قرطبة » وبين ناربون وبصورة خاصة في فصل الشتاء فقد اضطر المسلمون للتراجع وبدأت حركات التمرد ضد المسلمين ، لكن النزاع بين بيان ابن شارل مارتل وبين فيفر^(١) ابن دوق اكيثانيا حول حكم البلاد السبعة السابق ذكرهما ، وضع حداً مرحلياً للانتفاض ضد المسلمين ..

- في عام ١٣٥ هـ - ٧٥٢ م ، سار بيان بجيش كبير ، فاستولى على نيم واوقت وماغلون وبيزيه وسيطر على اللانغدوك ثم تابع تقدمه حتى وصل ناربون ، فتصدت له المدينة وقاومته ، فضرب حصاراً حولها وطال أمد الحصار حتى يش بيان من فتحها فترك حامية صغيرة بقيادة أمير من أمراء القوط هو انسينوندوس^(٢) بمهمة متابعة الحصار وعاد يجيشه ..

- استمرت مقاومة العرب للحصار المضروب عليهم ، ونصبوا كميناً قتلوا فيه قائد قوة الحصار « انسينوندوس » لكنهم لم ينجحوا في ارغام الخصم على رفع قبضة الحصار ..

- طال أمد الحصار حتى وصل الى عامه السابع وكانت الاتصالات الخفية مستمرة بين الملك بيان وبين الأمراء المحليين المتعاونين مع المسلمين ، وأمكن من خلال هذه الاتصالات عقد اتفاق للغدر بالمسلمين وابدتهم للاء ترك

(٢) فيفر Vaifre .

(٣) انسينوندوس Anseniundus .

الحرية للبلدة في اقامة حكم محلي تدار فيه الامور حسب عادات القوط وتقاليدهم^(١) ..

في عام ١٤٢ هـ - ٧٥٩ م ، وبينما كانت الحامية العربية في ناربون منصرفه لمتابعة مجابهة عدو الخارج ، بوغت بالسكان المحليين وهم ينقضون بهجومهم ، وأبديت الحامية المسلمة ، ووقعت ناربون بقبضة ببيان ولم يبق فيما وراء البيرينيه سوى أعداد قليلة من المسلمين الذين انتشروا في مقاطعات دوفينيه ونيس أو - نيقيه - وأعاد ببيان تنظيم الأقاليم فرمم الحصون وشحنها بالمقاتلين وأقام الحاميات على امتداد الرون وفي اكيثانيا وعلى امتداد الحدود ..

- نتيجة لهذه الانتصارات الموضعية ، وبعد أن تم للكارولنجيين توحيد « الافرنج » تحت قيادة واحدة ، لم يعد هناك خطر يتهدد فرنسا ، واصبح باستطاعة ببيان وابنه شارلمان من بعده الانطلاق من مواقع القوة والاستعانة عند الضرورة بجيوش من بلجيكا وآلامانيا وايطاليا لدعم الجيوش المحلية . وتحول ببيان من خنادق الدفاع إلى خنادق الهجوم ، وأخذ باجراء الاتصالات السرية مع زعماء كاتالونيا وآراغون ونافار ليوحدوا جهودهم ضد المسلمين وليشكلوا معه حلفاً دفاعياً ، ولم يقف نشاط ببيان وابنه شارلمان من بعده عند هذا الحد بل أخذ في اثارة الفرقة بين أمراء المسلمين وتحريض بعضهم على بعض .

- كان ببيان « الحاسم » يعتبر سلسلة جبال البيرينيه هي الحد الطبيعي الفاصل بين مملكته وبين « اندلس المسلمين » ، وعندما تم له الاستيلاء على « ناربون » واجلاء المسلمين من جنوب فرنسا ، انصرف لمعالجة هجمات الشمال ومتابعة فتوحاته في اتجاه الشرق وتوافق ذلك مع دخول « عبد الرحمن - صقر قریش »

(١) تاريخ جيوش العالم الاعداد ٥ و ٦ و ٧ و ٩ من المجلة العسكرية ترجمة يوسف يازجي وتاريخ غزوات العرب - ارسلان ١١١ وما بعدها .

الى الأندلس وتركيز جهده لإعادة تنظيم الدولة ، فشهدت الحدود فترة من الهدوء النسبي ..

٣ - الوضع الداخلي :

- كانت عناصر المقاومة المحلية قد نزحت الى الشمال وتمركزت في جيليقية شمال غرب الأندلس معتصمة بجبالها المنيعه وقلاعها الحصينة وقد نجح المسلمون في تمزيق كل مقاومة حتى لم يبق إلا فئة صغيرة يتزعمها « بلاي » لا تزيد في عددها على ثلاثين رجلاً .. وكانت عناصر المقاومة هذه تتابع مسيرة الأحداث وتجمع الانتصار ، وتتلقى الدعم من البشكنش والافرنج فاشد ساعدها وقوي أمرها ، وأفادت هذه المقاومة من تمزق الجبهة الداخلية للمسلمين وتفرقهم فقامت بهجوم مضاد كبير سنة ١٣٤ هـ - ٧٥١ م بقيادة الفونسو « صهر بلاي » ونجحت في القضاء على وجود المسلمين في جيليقية واحتلت براغه (١) وپورتو (٢) وفيزو (٣) وسيطرت قواتهم على الساحل حتى مصب نهر دورو ، وأصبح الاقليم بين الساحل والوادي الجوفي (٤) خالياً من المسلمين ..

٤ - عبد الرحمن « الداخل » في الأندلس

وصل عبد الرحمن الداخل الى الأندلس ، ووجد نفسه في موقف صعب ، ففي الجنوب « علوة المغرب » تناصبه العداة ، وفي الشرق تقف له الدولة العباسية بالمرصاد وتلاحق خطواته وتحاول تدميره ، وفي الشمال - حيث مركز الجهد

(١) براغه Braga .

(٢) پورتو Porto .

(٣) فيزو Viscu .

(٤) دورو ، أو الوادي الجوفي Duero .

وجاء في نفع الطيب ١ - ٣٣٠ ان الجلائقة استولوا خلال هذه الفترة على لك Luco وپرتقال Porto وشنقه Salamanca وقشتاله Castillos وشقوبه Segovia .

الرئيسي ، أصبحت هناك دولة قوية ، موحدة ، ترغب في القضاء على دولته ، وتمزق داخلي ، وولايات مستقلة ، وثورات مضادة متلاحقة . وقد وصف ابن حيان هذا الوضع بقوله :

لقى الداخل الاندلس ثغراً قاصياً غفلاً من حلية الملك عاطلاً ، فأرهب أهلها بالطاعة السلطانية ، وحنكهم بالسيرة الملوكية ، واخذهم بالآداب فأكسبهم عما قليل المروءة واقامهم على الطريقة .. [وبدأ فدون الدواوين ورفع الأواوين وفرض الأعطية وعقد الألوية وجند الاجناد ورفع العماد وأوثق الاوتاد فأقام للملك آتة واخذ للسلطان عدته فاعترف له بذلك اكابر الملوك وحنروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث ان دانت له بلاد الاندلس ، واستقل له الأمر فيها ..]^(١)

– وانصرف عبد الرحمن الداخل الى البناء الداخلي ، واقامة الدولة على قواعد ثابتة بحيث يستطيع الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ..

الاصلاحات ، واعادة التنظيم :

أ – تشكيل الجيش المحترف ..

– بدأ عبد الرحمن الداخل أعماله باعادة اصلاح الجيش ، ووجد ان القوة البشرية – من العرب وحدهم – لا تكفي لمجابهة أعداء دولته المتربصين به ، فكان نواة جيش من المتطوعين الصقالبة والموالي والبربر ، ليكون هذا الجيش نواة القوة الضاربة – المستعدة دائماً للحرب – ولم يعد واجب القتال مفروضاً على العرب والبربر وحدهم . وقد يكون الدافع لذلك أيضاً كثرة الشكوك التي تولدت في نفس عبد الرحمن من اعتماده على العرب وحدهم بسبب الثورات المتلاحقة التي كان يقودها العرب ضده أحياناً بتأثير النوازع الفردية والطموح إلى

(١) نفع الطيب ١ - ٢٣١ .

المنافسة في الحكم وأحياناً بتحريض من الخلفاء العباسيين في بغداد وولاتهم في المغرب .

ويرى بعض المؤرخين كابن خلدون مثلاً ان سبب اعتماد الأمير عبد الرحمن في حروبه على الصقالبة والموالي وصرفها عن العرب هو كثرة ثورات العرب وتكررها . لكن مراجعة أسلوب حكم الأمويين وطريقتهم في الإدارة وماورثوه من الخبرات والتجارب تدحض هذا الزعم ، فلقد جابهت دولة الأمويين في الشام من الثورات أقواها ومن الاضطرابات أخطرها ومع ذلك لم تنزع ثقة الخلفاء الأمويين بالعنصر العربي ولم تتغير نظرتهم اليه واعتمادهم عليه ، لكن العزلة المضروبة على الأندلس ، دفعت عبد الرحمن الداخل الى زج قوات اضافية والاعتماد على عناصر أخرى بهدف بناء قوته الذاتية ، وكان من نتيجة ذلك تناقص أهمية العنصر العربي والنحار دوره القيادي ، مما كان له أخطر النتائج في المستقبل ، ويقول ابن خلدون في ذلك وهو قول لا يحتاج الى دحض بعدما سبق ذكره :

[.. كثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبد الرحمن الداخل وناقسوه ملكه ، ولقي منهم خطوباً عظيمة وكانت العاقبة له ، واستراب في آخر امره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالي ...]^(١)

– ولقد تطلبت عملية إعادة تنظيم الجيش أموالاً كثيرة ، ففرض الأمير عبد الرحمن ضريبة على العرب لقاء اعفائهم من الخدمة في الجيش ، ثم كرس ثلث موازنة دولته لبناء القوات المسلحة ، وبذلك استطاع تكوين جيش قوي ، وقد بلغت موازنة الدولة في عهد الأمير عبد الرحمن ثلاثمائة الف دينار . [. فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة الف دينار ،

(١) فتح الطيب ٢ - ٣٣٣ .

وينفقون في امورهم ونوائهم وموت اهلهم مائة الف دينار ، ويدخرون
لحادث ايامهم مائة الف دينار .. [(١)]

.. اعتمد الامير عبد الرحمن في تنظيم الجيش على تقسيمه الى اسلحة رئيسية
ثلاثة وضع على كل سلاح قائداً مستقلاً ، وولى الجميع قائداً عاماً .. وكان في كثير
من الأحيان يقود الجيش بنفسه وكانت تقسيمات اسلحة الجيش هي : ١ - الفرسان
٢ - المشاة أو الرجالة . ٣ - الهندسة و المجانيق وأدوات الحصار ، ويظهر ذلك
بوضوح من تصرف الأمير عبد الرحمن عندما أراد قمع حركة تمرد عبيد بن ابان:
[.. فدعا صاحب خيله وقال له امض فيمن امكنك من اصحابك .. ثم
دعا عبد الحميد بن غانم صاحب الرجالة ..] [.. وفي حصار سرقسطه .. خرج
الامير غازياً فمند ذلك نصب عليها المجانيق من كل جانب فيقال انه حفظها بستة
وثلاثين منجنيقاً ...] (٢)

- واعتمد في التسليح على مصانع « بوردو - برديل » حيث اكتسبت شهرة
خاصة بصناعة السيوف ، ثم طورت هذه الصناعات بعد ذلك وأصبح الاعتماد في
توفير الحاجة منها على ما تنتجه طليطله ..

ب - استراتيجية « الردع في الحروب » (٣)

- تنظيم الصوائف ، وحماية الثغور :

- كان العدو الاول الذي يتهدد الاندلس هو عدو الشمال ممثلاً بالدولة

(١) نفع الطيب ١ - ١٤٦

(٢) اخبار مجموعة : ١٠٣ و ١٠٤ .

(٣) ترجمة للاصطلاح الانكليزي Deterrence Intrawar ، والفرنسي
Strategie de Dissuasion on Stratigie de Cuerre وهو اصطلاح جديد
في لفظه حديث في مفهومه قديم في تطبيقه كأسلوب قتالي ويقصد منه (الردع الذي يمارس أثناء
حرب محدودة او محلية بهدف ارغام الخصم على التبتد ببعض الحدود في الحاق الضرر والتخلي
عن تصعيد النزاع) .

« الكارولنجيه » ، وقد عرف الامويون في الشام عدو الشمال ممثلاً ببيزنطة واتبعوا معه اساليب استراتيجية مختلفة ، ومارسوا ضده عمليات متنوعة فكانت لديهم خبرة طويلة في اسلوب الدفاع الثابت الممثل في الثغور والدفاع المتحرك^(١) المتمثل بعمليات الصوائف والشواتي ، وكان هدف العمليات الاول هو ردع العدو عن القيام بهجمات ضد دولة المسلمين سواء في الشام او الاندلس -

[. . . فقد عرف الامير عبد الرحمن انه لا يستطيع تصعيد عملياته للقيام بهجمات واسعة تستطيع تهديد الدولة الكارولنجيه ، ولهذا ركز جهده على تنظيم عملياته الدفاعية ، وتطويرها بما يحقق له المحافظة على كيان دولته والدفاع عنها ضد كل تهديد . . .] .

- ومن هنا يظهر بوضوح ايضاً ان اعتماد عبد الرحمن الداخل على الصقالية والموالي قد جاء لدعم « المقاتل العربي » وليس ، بديلاً له . ولا أدل على ذلك من اسقاط « البديل النقدي » عند اعلان التمنية العامة ، وحشد كل الامكانات وزجها في المعركة على نحو ما فعله هشام بن عبد الرحمن فيما بعد ..

- انطلاقاً من هذا المفهوم ، وضمن مفهوم « استراتيجية الردع في الحروب » نظم الامير عبد الرحمن ، الصوائف - جمع صائفة ، وهي مشتقة من الصيف ، [. . . وهي الحملات التي جرت عادة بني امية وحلفائها على توجيهها الى دار الحرب خلال فصل الصيف ، وقد استمر تقليد هذه الحملات حتى اصبحت وظيفة ثابتة يعهد بها الى احد القواد الكبار او الى واحد من افراد الاسرة المالكة ، وكثيراً ما كان الأمير او الخليفة نفسه هو الذي يضطلع بقيادتها ، وكان الاستعداد لها يبدأ في شهر « يونيو » وكانت قيادة الجيش تتكتم دائماً اخبار الطريق الذي ستنتهجه حملة الصائفة حتى تكون ضرائبها

(١) ترجمة للاصطلاح Defense - Mobile ، ويقصد من الدفاع المتحرك (... العمل الدفاعي الذي يتم تنفيذه ضمن منطقة معينة ، ويعتمد بصورة رئيسية على قدرة القوات المدافعة على الحركة ...)

مفاجئة للعدو ، وقد وافقتنا المراجع الاندلسية بكثير من التفاصيل حول هذه الحملات .. التي أصبحت على طوال ايام الدولة الأموية وفي ظل العاصرين بعدم تقليدا محترماً سنوياً (١) .

– وقد عمل الأمير عبد الرحمن على تنظيم « البديل » والتناوب بين حملات الصوائف نظراً لما قد تتعرض له من الخسائر، وحتى يستطيع المحافظة باستمرار على قوة زخم الهجوم .. [وقطع الأمير المبعوث على الأجناد وجعلها بينهم دواً في كل ستة أشهر ، فاذا انقضت دولة نذب اخرى ..] (٢) .

ج - سياسة الاحلاف :

– أدرك الأمير عبد الرحمن نتيجة لمجاهدة المواقف التي يتعرض لها ان العدو الأكبر والحصم الأول في مقاومته هو « الملك بيبان ملك الافرنج ، فقد برز كيان اشتورية ، وكيان نافار ، في شمال الاندلس في الوقت الذي استقلت فيه جيليقية مما جعل الأمير عبد الرحمن يفكر في أسلوب درء خطر هذا العدو ، وتجسدت هذه الضرورة بصورة أكثر وضوحاً في ثورة سليمان الكلبي أمير برشلونه (٣) ..

– كان أسلوب عبد الرحمن في الحكم ، ومركزيته الشديدة ، وبطشه بكل من ينازعه السلطة من الأسباب التي ادخلت الذعر في قلوب حكام الأقاليم

(١) المقتبس ٢٦٧ وقد بقي لفظ الصائفة بعد ان انتقل اليها من العربية في صورة Aceifa .

(٢) اخبار مجموعة ١٠٣ .

(٣) كان سليمان الكلبي أمير برشلونه ، وكانت بينه وبين شارلمان علاقات منذ كان أميراً بسرقطة ، ثم ثار سليمان بسرقطة وثار معه حسين بن يحيى الانصاري فبعث اليه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبد ، واستطاع سليمان نصب كمين لثعلبة فاعتقه وأرسله الى شارلمان مع رسالة يستنجد به ، فتقدم شارلمان عام ٥١٦٢ - ٧٧٨ م ، وتصدى له المسلمون في سرقطة ودارت معارك طاحنة ، ثم علم شارلمان بزحف الساكسون في الشمال فانسحب وتراجع نحو الشمال ونظم المسلمون قوات للاغارة على مؤخرته في رونسفو Roncevaux ، وأبيدت مؤخرة شارلمان ومعها رولان Roland ، البطل الشعبي للافرنج .

وأمرائها ، وعندما سقطت « أربونه - ناربون » وجد حكام المسلمين في المملكة الكارولنجية ، قوة كبيرة على تخوم بلادهم ، وقام ببيان ومن بعده شارلمان باجراء الاتصالات مع أمراء مقاطعات الشمال فاستجاب سليمان الكلبي ودخل في علاقات مع ببيان ثم أصبح هذا الأسلوب تقليداً متبعاً لدى أمراء الشمال ، فإذا حاول أمير المسلمين في قرطبة ممارسة ضغط عليهم هربوا الى فرنسا أو استعانوا بها ، وإذا لمسوا خطراً فيها أو لمسوا مطامعها عادوا الى أمير قرطبة وقد ساعدتهم طبيعة الاقليم الوعرة على هذا « الاستقلال الذاتي » . وقام « الكارولنجيون بدور كبير في تعزيز هذه النزعة وانماؤها .

وكان الامير عبدالرحمن في حاجة الى فترة من الهدوء النسبي حتى يستطيع اكمال بنيانه الداخلي ، فتظاهر بالرغبة في العيش بسلام مع جواره ، وتذكر بعض المصادر العربية ان الامير عبد الرحمن اتصل بقراله « شارلمان » [... فاصابه صلب المكسر تام الرجولية فمال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم ... فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة ..]^(١)

وقد تجاهلت المصادر العربية ، وحتى الشرقية موضوع المصاهرة ، ولكنها جاءت على ذكر السلم ..

- وجد ببيان ملك « الكارولنجيين » في انقسام الدولة الاسلامية فرصة مناسبة لضرب المسلمين بعضهم ببعض فأرسل في عام ١٤٨ هـ - ٧٦٥ م وقدأ إلى بغداد لعقد أواصر الصداقة ، ومكث هذا الوفد في بغداد ثلاث سنين ثم رجع الى فرنسا وبرفقته وفد من المسلمين « رسل الخليفة المنصور » وقد لقي الوفد رعاية كبيرة فتم انزاله في متز^(١) باللورين ثم نقل الى قصر سلس^(٢) على ضفاف اللوار .. واستمرت اقامته في فرنسا ثلاثة أعوام .

- كانت الدولة العباسية ، تحاول باستمرار تحطيم الكيان الأموي بالأندلس

.....
(١) متز Metz . (٢) سلس Sels .

ولم تتمكن عملية القضاء على ثورة العلاء بن مغيث البحصبي سنة ١٤٦ هـ وارسال رؤوس زعماء الثورة الى القيروان ومكة ، ان تتزع من رؤوس العباسيين فكرة الاقلاع عن التآمر ضد الأمويين ، وفي الوقت ذاته كان عبد الرحمن الداخل يطمح لاستعادة حكم الأمويين في الشام وقد عمل لهذا الهدف بصورة جدية عام ١٦٣ هـ . واستمر النزاع بين أمراء قرطبة وخلفاء بغداد ، فانصرفوا عن الفتوحات .

وبينما كان خلفاء المشرق يعقدون معاهدات مع ملوك « كارولنجيا » الذين كانوا في حرب مستمرة مع أمراء قرطبة ، كان أمراء قرطبة يعقدون معاهدات مماثلة مع ملوك القسطنطينية الذين كانوا بدورهم في حرب مستمرة مع أمراء بغداد ، وهكذا انتهى الصراع الى نشوء محورين متضادين بغداد - كارولنجيا ، ضد القسطنطينية - قرطبة .. كل ذلك والعلاقات التجارية مستمرة في النمو والازدهار بحيث كانت سفن المسلمين وأساطيلهم تنقل البضائع من الهند والصين الى بغداد ، ففرنسا « مرسيليه وفريجوس » عبر موانئ سوريا ومصر ..^(١)

— جاء شارلمان وخلفاؤه من بعده فاستمروا في تنفيذ « استراتيجية الاحلاف » وفي الوقت ذاته عمل الامبراطور البيزنطي « قوميلس » الذي جابه المعتصم في زبطه وعموريه ، على ارسال وفد الى قرطبة يحمل بالهدايا ويطلب اليه تنسيق التعاون معه ، ويرغبه في ملك سلفه بالشرق من أجل ما ضيق عليه المأمون والمعتصم ، فأرسل الأمير عبد الرحمن بن الحكم وفداً محملاً بالهدايا وبعث معه يحيى الغزال سنة ٢٢٥ هـ - ٨٣٩ م من كبار أهل الدولة وكان مشهوراً في الشعر والحكمة ، فاستطاع يحيى الغزال ان يوطد الصلة بين الدولتين ، وارتفع ذكر عبد الرحمن عند مناقبيه العباسيين ..

لقد كانت سياسة الاحلاف او استراتيجية المحاور المتعاضدة من أهم

(١) غزوات العرب - ارسلان ١٢٥ .

الاسباب التي اضعفت مقاومة المسلمين ، وجعلتهم ينتقلون الى مواقع الدفاع ، بينما حفزت خصومهم على الانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ..
 - وهناك كثير من المؤرخين - الشرقيين منهم والغربيين على حد سواء - يناقشون هذه السياسة بصورة عرضية ولا يهتمون لها قيمتها الحقيقية على اعتبار ان هذه الاحلاف ، لم تقدم دعماً حقيقياً وفعالاً لأطراف الحلف ، وان هذه التناقضات كانت موجودة فعلاً ولم تكن سياسة الاحلاف الا تكريماً لهذا الواقع ..

- ومع هذا الطرح ، ومع الاعتراف ان بيزنطة والكارولنجيين كانوا يقومون بأعمال هجومية اثناء قيام الدولة الاموية ، لكن هذه الاعمال الهجومية كانت في اطار « الهجمات الوقائية »^(١) في حين ان وجود هذه الاحلاف قد حمل بيزنطة والنوالة الكارولنجية على تطبيق استراتيجية « الهجمات الاستفزازية »^(٢) و « الردع الممتد »^(٣) ، بينما اصبحت استراتيجية المسلمين في المشرق والمغرب في اطار « الهجمات الوقائية » وكانت سياسة الاحلاف من ام العوائل في تبادل الادوار والمواقف ..

- ان سياسة الاحلاف لم تقدم للأطراف المتنازعة دعماً مادياً حقيقياً ، ولكنها حققت تحولاً كبيراً في مسيرة الاحداث وأسلوب العمل العسكري ،

(١) الهجمات الوقائية، ترجمة للاصطلاح الانكليزي Attack Preemptive والمصطلحات الفرنسية Attaque Par Anticipation أو Attaque Preemptive ويقصد منه القيام بالهجوم عندما تتكون قناعة تامة ان العدو على وشك القيام بهجومه، أو انه مقبل عليه.
 (٢) الهجمات الاستفزازية : ترجمة للاصطلاح الانكليزي Attack Catalytic أو المصطلح الفرنسي Attaque Catalytique ويقصد منه : الهجوم الذي يهدف الى ايقاع حذب بين قوتين متخاصمتين من خلال الهجوم او المكيدة التي تديرها دولة ثالثة ضد احدهما .
 (٣) الردع الممتد: ترجمة للاصطلاح الانكليزي Deterrence' Extended أو الفرنسي Dissuassion Étendue ويقصد منه التهديد الذي يعمل في مضمونه انه القوة الرادعة لدولة ما تتجاوزها حتى تشمل حلفاءها او قواتها المتمركزة على ارض اجنبية .

حتى يمكن القول ان زوال الوحدة السياسية ، التي كانت للأمويين ، وما تبع ذلك من انقسام في مسارح العمليات ، وتجزئة في الطاقات البشرية والامكانيات المادية في طليعة العوامل التي أسهمت في تغيير أسس الاستراتيجية الاسلامية ..

د - عبد الرحمن الداخل ، وبناء الدولة (١) :

- أمضى عبد الرحمن الداخل الفترة ما بين عام ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م تاريخ دخوله الاندلس وعام ١٧٢ هـ - ٧٨٨ م ، في بناء الدولة ورسم سياستها الخارجية ، وتنظيم جيشها ، وردع الطامعين بها والقضاء على الثورات المتلاحقة التي حفل بها عهده ، وقد استنزفت هذه الأعمال جهد الدولة طوال فترة حكمه وقد دفع عبد الرحمن الداخل قواته لفرز بلاد « الافرنج » ومحاربة البشكنش « سكان الباسك » وحقت هذه الاعمال التمرضية انتصارات رائعة وغنم المقاتلون غنائم كبيرة ، واستطاع « الداخل » ان يقنع خصومه بقوة دولته ، لكن هذه العمليات لا تتجاوز في واقمها وحققتها اطار « الهجمات الوقائية » .
وعندما توفي الأمير عبد الرحمن الداخل ترك خلفه كيان دولة ، وطبّد الأركان ، قوي البنيان ، واصبح باستطاعة هذا الخلف الانطلاق من قاعدة « قوية ومأمونة » .

٥ - هشام بن عبد الرحمن

١٧٢ - ١٨٠ هـ - ٧٨٨ - ٧٩٦ م

واستراتيجية « الهجمات الوقائية »

تسلم هشام بن عبد الرحمن مقاليد حكم الاندلس بعد وفاة أبيه ١٧٢ هـ ، وتابع تنفيذ سياسته الداخلية ، وبصورة خاصة منها تنظيم الجيش ، وأقام قوة احتياطية من الفرسان تابعة له واهتم ببناء الاسطول ..

كان بناء دولة الاندلس قد وصل الى مرحلة من الاستقرار النسبي ، على الرغم من ظهور بعض حركات التمرد والثورات المضادة كخروج سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام سنة ١٧٢ هـ . ولهذا وجه الأمير هشام جهده

(١) حياة عبد.الرحمن الداخل « في قراءات » مع نهاية هذا الفصل ..

لحماية الثغور ، ووجد ان الاعتماد على الجيش المحترف والحاميات الثابتة في الاقاليم لا يحقق له اهدافه الهجومية فأعلن « الجهاد » لغزو منطقة البيرينه ، وحث الناس على دعم الجهود الحربي [فمن لم يقدر على الجهاد بنفسه وجب ان يجاهد بماله ..] ووزع اعلان الامير على المساجد وفيه الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد ، فأقبل الناس ، وتدفقت جموع المقاتلين من كل مكان للجهاد في سبيل الله ، ورغم ان أبواب افريقية والشام وجزيرة العرب كانت موصدة دون المتطوعين للحرب في الاندلس فقد تجمع في جيش هشام قوة تقارب المائة ألف مقاتل ..

– كانت ثغور المسلمين في بداية عهد الامير هشام قد انحسرت نحو الجنوب بعد أن ابعد المسلمون الى ما وراء جبال البيرينه وانتزعت منهم تاربون ، وبعد ان استقلت جيليقية بأموورها واعلنت تمردها واخرجت المسلمين من أرضها ، فأصبحت الثغور الجديدة هي قويمره وطلبيره وطليطله وبنبلونه .. وكان ضغط الشمال يتزايد خطورة ، فقرر الأمير هشام تنفيذ عملياته واعطاء الأفضلية لمحور عمليات الشمال الغربي «جيليقية» نظراً لأن هذا الاقليم يقع داخل الاندلس ذاتها.

أ – العمليات في جيليقية (١٧٥ هـ - ٧٩١ م) :

وجه الامير هشام قواته بعد أن قسمها الى جيشين :

١ – الجيش الاول بقيادة ابا عثمان عبيد الله بن عثمان بمهمة القضاء على حركة تمرد اخويه سليمان وعبد الله ونصيرهما «مطروح بن سليمان بن يقظان» في سرقطة ثم التوجه غرباً لدعم عمليات جيليقية .

٢ – الجيش الثاني بقيادة يوسف بن بخت لتنفيذ عمليات اخضاع جيليقية .
– انطلق الجيش الاول الى هدفه ، ووصل سرقطة وضرب حصاراً حولها ،

ولما طال الحصار دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، انسحب الجيش الى « حصن طرسونه » وترك أمر الحصار لحامية صغيرة مع تنظيم أعمال الاغارة على الاقليم بقوات صغيرة وبصورة مستمرة بهدف التضييق على سرقطة وحرمانها من المواد الحياتية ، وعندما اشتد الحصار ، تأمر اثنان من أصحاب « مطروح »

وقتلاه وانتهت الفتنة ، ثم تابع الجيش الاول تقدمه فاحتل « البه^(١) » والقلاع الجاورة ، وقضى على الحاميات المدافعة عن الاقليم ، وانطلقت مجموعات فرسان المسلمين لمطاردة فلول القوات المنسحبة وملاحقتها في السهول والجبال الوعرة حتى أمكن ابادة جيش العدو ، وبلغ عدد قتلى العدو أكثر من تسعة آلاف قتيل .
 - وتوجه الجيش الثاني الى جيليقية مباشرة ، وعندما وصلها وجد قائد الجيش يوسف بن بخت أن خصمه « برمند^(٢) » ملك جيليقيا قد استعد للحرب وحشد قواته ، وبدأت المعركة بين الطرفين ، ووقعت مجازر دامية انتهت بانتصار المسلمين ، وخسر العدو ما يقارب العشرة آلاف قتيل .

ب - العمليات في « ناربون » واكيتانيا ١٧٦ هـ - ٧٩٢ م :

- لم يكد الامير هشام ينهي عمليات « جيليقية » حتى وجه جيشاً جديداً بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث بمهمة القيام بهجوم « وقائي » على المحور الشمالي - الشرقي .. فانطلق عبد الملك بجيشه شمالاً حتى وصل امارة « نافار » فحاصر المقاومة فيها ، واستخدم المجانيق فثلم اسوارها ودمر القلاع ، وتابع تقدمه حتى أشرف على معابر البيرنيه وبقي شهوراً وهو يدمر حصون العدو ومراكز مقاومته ثم تابع تقدمه شمالاً ، في اتجاه « ناربون » ..

كان شارلمان « امبراطور الكارولنجيين » خلال هذه الفترة ، يخوض معارك ضارية ضد الآفارين الذين وصلوا الدانوب وأخذوا في تهديد امبراطوريته ، بينما كان جنود اkitانيا يخوضون معارك ماثلة في ايطاليا بقيادة « لويس » ابن شارلمان ، وكان لويس ملك اkitانيا قد كلف « كونت تولوز غليوم » بمهمة ادارة شؤون المملكة ..

(١) اليه Alava أو Alba : احدى مقاطعات شمال الاندلس ، تقع جنوب البيرنيه ، سكانها من البشكنش « الباسك » .
 (٢) في البيان برمود « Vermudo » وابن منده في غزوات العرب ولعله تحريف من Bermude .

- عندما وصلت أنباء زحف المسلمين وحصارهم قاعدة « ناربون » أرسل شارلمان جيشاً قوته ٢٠,٠٠٠ مقاتل ، وتوجه غليوم نحو الجنوب واصطدم بقوات المسلمين في فيلدانيا^(١) على ضفاف نهر « أوربيو »^(٢) ، ودارت رحى معركة طاحنة أظهر فيها « الافرنج » من العناد بقدر ما أظهر المسلمون من التصميم لانقزاع النصر . واستطاع المسلمون في النهاية سحق جيش غليوم حتى لم يبق معه سوى ثلاثة عشر رجلاً ، وسلم أنف غليوم ذاته فأصبح يطلق عليه منذ ذلك اليوم « غليوم ، ذو الأنف المصلوم »^(٣) ..

خلال هذه المعارك كانت قوات المسلمين تشدد قبضة الحصار على « ناربون » وقد نجحت قوات المسلمين أخيراً في فتحها ، وكانت قوات الجيش الثاني تحقق انتصارات ماثلة في جيليقية ، ونظراً لكثرة تمرد هذا الاقليم وفتكه بالمسلمين ، اشترط عليهم نقل احمال التراب من ناربون الى قرطبة من أجل بناء المسجد واكمله ..^(٤)

كانت غنائم المسلمين في هذه المعارك كثيرة ، وتذكر مصادر عديدة أن غنائم الذهب وحدها بلغت خمسة وأربعين الف مثقال ..

(١) فيلدانيا Villedaigne : تقع بين كاراكسون « قرقشونة » وناربون « اربونه » .

(٢) اوربيو Orbieux .

(٣) غليوم ذو الانف المصلوم Guillaume, au Court nez

(٤) نفح الطيب ١ - ٣٣٧ وفيه : (وفي ايامه فتحت اربونة الشهيرة واشترط على المعاهدين من أهل جيليقية من صواب شروطه انتقال عدد منه احمال التراب من سور اربونة المفتوحة يعملونها الى باب قصره بقرطبة ، وبني من المسجد الذي « قدام » باب الجنان ، وفضلت منه بقية مكومة ..) انتهى . وهناك مصادر تدحض هذا الزعم وتدعي ان اعادة فتحها لم يتحقق الا في عهد الحكم بن هشام وتبرر ذلك معاودة غزو ناربون في السنة التالية ، ولكن الاحتمال الأرجح هو فتحها في هينسلتلويخ ، ثم انها أعادت التمرد فأعيد فتحها على نحو ما كان يحدث في جيليقية ، وعلى نحو ما حدث أيضاً في معارك الفتوح في الشرق والغرب لا سيما وان عدد مقاتلي المسلمين وامكاناتهم البشرية أصبحت هنا محدودة بحيث يصعب ترك حاميات كبرى في جميع الحصون والمواقع الشبهية الكثيرة .

- وفي عام ١٧٧ هـ - ٧٩٣ م ، تابع عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث تصعيد عملياته بعد أن وصله جيش جديد أمده به الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وقد ركز عبد الملك - قائد الجيش - جهده الرئيسي لتدمير المقاومات المتفرقة في جرنده^(١) والقضاء على أنصار « الكارولنجيين » ، وحقق انتصارات رائعة ودمر القلاع والحصون والأسوار ثم تابع زحفه فعبّر جبال البيرونيه ، وتجاوز « ناربون » ، وأوغل في بلاد الغال [وجاس البلاد شهوراً يخرب الحصون ويحرق ويفتح وقد أجفل العدو من بين يديه هارباً وأوغل في بلادهم ورجع سالماً .. وهي من أشهر مغازي المسلمين بالأندلس ..]^(٢) .

ج - معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جيليقية ..

موقعة الصخرة - ١٧٩ هـ - ٧٩٥ م :

- في نهاية عام ١٧٨ هـ - ٧٩٤ م ، توفرت المعلومات عند الامير هشام بن عبد الرحمن عن تجمع قوات جيليقية وعزمها على استئناف القتال بعد أن وصلتها قوات دعم كبيرة من منطقة الباسك « بشكنش » ومن مملكة الافرنج « كارولنجيا » ، فوجه الامير هشام جيشاً بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد الى البه والقلاع ووجه جيشاً آخر بقيادة أخيه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الى جيليقية ، ووصلت طلائع قوات المسلمين الى « أسترقه » .

- كان الفونس « اذفونش » ملك جيليقية قد حشد قواته والقوات التي وصلته من كل النواحي في المنطقة بين جيليقية والصخرة ، وعمل على اخراج السكان من السهول وطلب اليهم الاعتصام « بشواهي جبال السواحل » .

.....

(١) جرنده Gerona واسمها الروماني القديم Gerunda انتزعتها شارلمان قبل ذلك بشأنيه أعوام (٧٨٥ م) ثم استعادها العرب عام ٧٩٣ م ، ثم أخذت منهم عام ٧٩٧ م ، ثم عاودوا فتحها ، وانتزعت منهم نهائياً عام ٨٠٠ م . غزوات العرب ٦٧ .
(٢) الكامل ، لابن الأثير ٥ - ٩٤ .

– انسحب « الفونسو » ملك جيليقه في اتجاه المنطقة التي اختارها مسرحاً لعملياته فعمل عبد الكريم بن عبد الواحد على دفع مجموعة قتالية مكونة من أربعة آلاف فارس للعمل « كمقدمة » وانطلق ببقية الجيش في اثر « مقدمته » ..

– اصطدمت قوات المسلمين بجيش الفونسو ، ودارت رحى معركة طاحنة قاتل فيها الطرفان بتصميم وعناد واستطاع المسلمون في النهاية احراز النصر حيث انطلقت مجموعات الفرسان في مطاردة فلول القوات المنسحبة التي كان يقود تراجعها الفونسو ، ذاته .. ووقعت خلال مرحلة المطاردة مجموعات من الأسرى في قبضة المسلمين الذين انطلقوا إلى مراكز المقاومة المتناثرة والقرى فأعملوا فيها حرقاً وتدميراً حتى تم لهم إبادة كل مقاومة .. وتابع عبد الكريم قيادة جيشه في اتجاه « ساره » حيث كان حاكمها قد حشد قوة ثلاثة آلاف مقاتل لمجابهة تقدم المسلمين .

– زج عبد الكريم جيشه في المعركة بعد أن أعاد تنظيمه ، وكانت معركة قاسية انتهت بنصر المسلمين وحصولهم على أعداد كبيرة من الأسرى في مقدمتهم « حاكم ساره » .

– أفاد الفونسو من أعمال الاعاقة التي اضطلعت بها قوات « ساره »^(١) فنظم قواته ووزعها في القلاع الجبلية الحصينة المشرفة على وادي « بيونه »^(٢) وتركز هو في أكثر هذه القلاع منعة وتحصيناً ، وتقدمت قوات المسلمين في اتجاه القلعة ، وعندما وصلتها ، انسحب الفونسو الى حصن قريب آخر ، ودخل المسلمون القلعة فوجدوا فيها كميات كبرى من [.. الاطعمه وضروب اللدخرو ..] فاستولوا عليها ، ووجه عبد الكريم في اليوم التالي قوة من عشرة آلاف مقاتل بقيادة فرج بن كنانه ، وعندما اقترب فرج من الحصن تخلى عنه الفونسو ، وأسلم عدته وذخره ففتم المسلمون جميع ذلك .

(١) ساره : Sarria ، جنوب لك Luco من اقليم جيليقية ، تحتل موقعاً حصيناً على نهر يرقد نهر مينييه الذي يصب في الاطلسي .

(٢) بيونه : مدينة حصينه على الاطلسي ، اكتسبت منعتها من موقعها في الجبل وعلى الهيط .

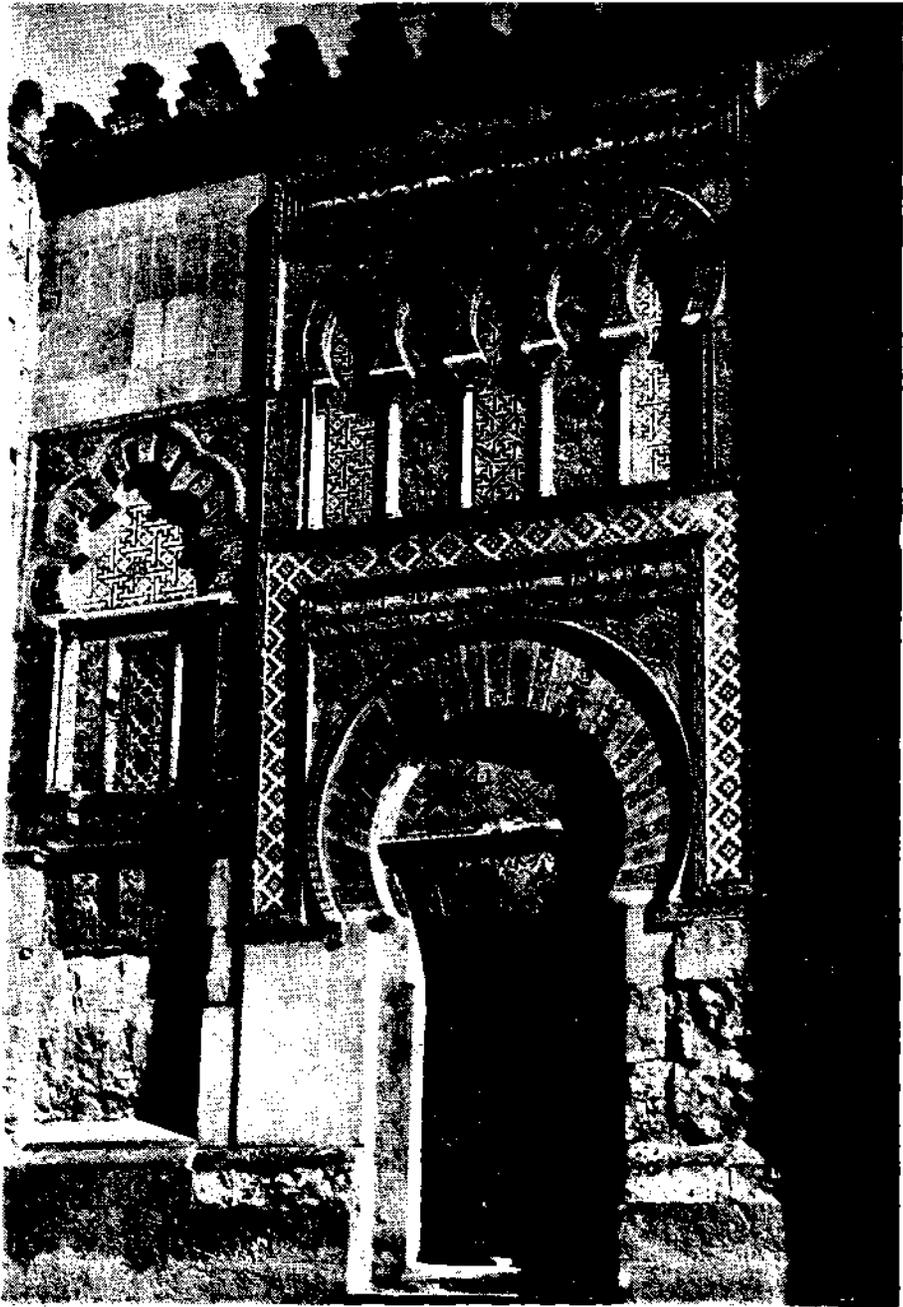
- تكلفت عمليات المسلمين بالنجاح ، وأمكن تحقيق انتصارات رائعة ، وغنم المسلمون غنائم ضخمة وبدؤوا في الانسحاب من الأقليم ، وكان « الفونسو » قد نظم مفارز صغيرة لضرب مؤخرة الجيش خلال انسحابه ، وأمكن لهذه المفارز إلحاق بعض الضرر وإزالة بعض الحساثر بقوات المسلمين ..

- كانت معركة « الصخرة »^(١) من المعارك الكبرى التي زج فيها الجلائقة والمسلمون قوات كبرى ، وخاضوا فيها معارك طاحنة ، ويضعها المؤرخون الغربيون في طليعة المعارك الحاسمة التي أمكن فيها إلحاق الهزيمة بالمسلمين في الأندلس . وان استمرار مسيرة الأحداث ونتائجها يظهر ان هذه المعارك بجمعها قد انتهت في صالح المسلمين ، لكن الاعمال القتالية لم تنجح في استئصال المقاومة والقضاء على تمرد « جيليقية » بصورة نهائية بحيث يمكن القول ان المعارك العسكرية الناجمة لم تحقق هدفاً استراتيجياً يكسبها أهمية خاصة ..

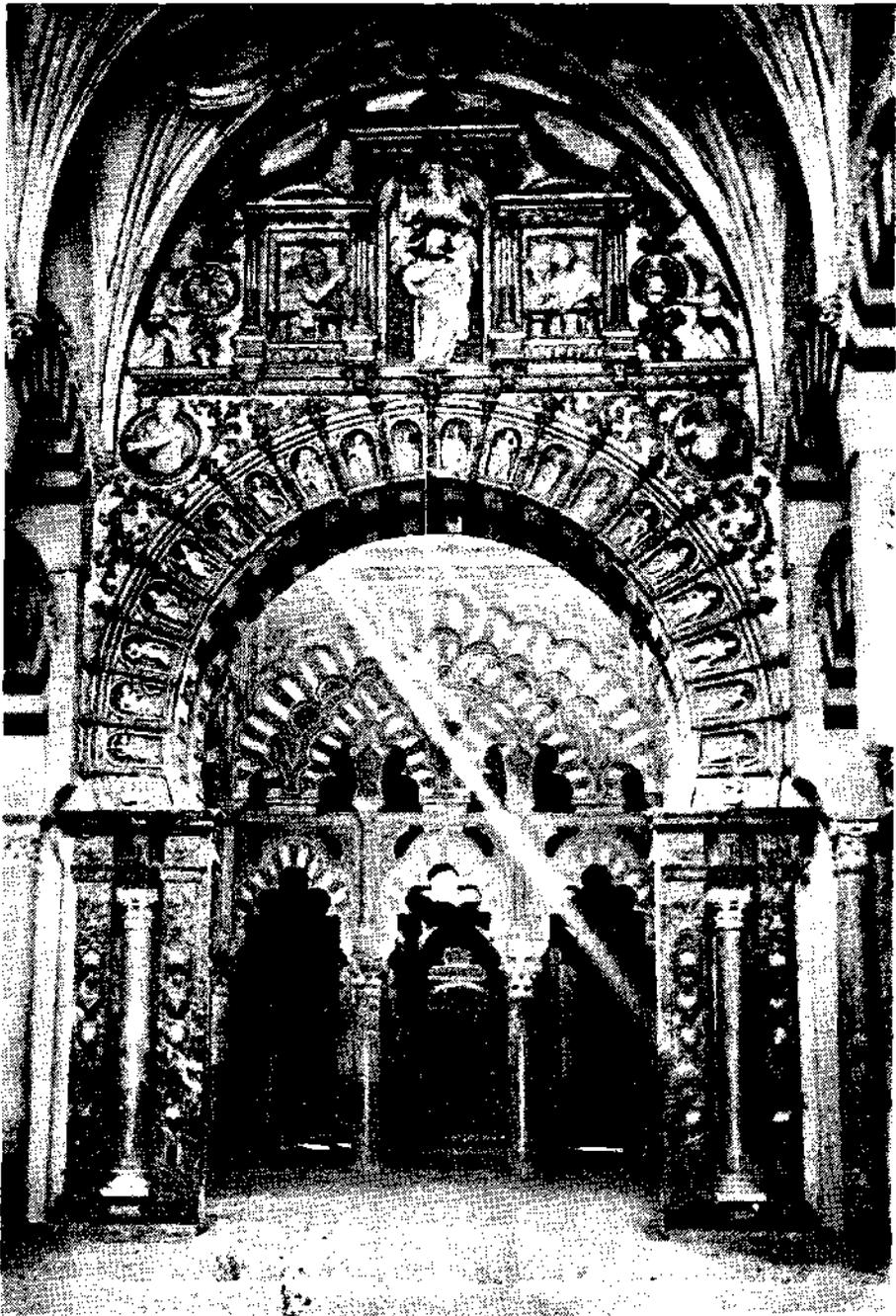
لقد خاض المسلمون قبل هذه المعركة ، ثم اشتبكوا بعدها أيضاً بقوات جيليقية وقوات الامارات التي استحدثت نوعاً من الحكم الذاتي في ظل أمويي الأندلس . ولعل فشل المسلمين في تحقيق الهدف الاستراتيجي والقضاء على وجود « كيان الفونسو » هو الذي يحمّل الكتاب الغربيين ومؤرخيهم على اعتبار معركة الصخرة في طليعة معارك « الغزو المضاد » الذي انتهى بإخراج المسلمين من الأندلس^(٢) ..

(١) معركة الصخرة : ويسمونها الغربيون معركة « كوفادونغا » Cavadonga نسبة الى « صخرة بلاي » حسبها يسميها العرب حيث تركزت نواة المقاومة في مغاور هذا الجبل وكهوفه ثم أخذت في التوسع وتحريض السكان على متابعة الصراع والاستمرار في النضال ، وقد خلف بلاي قائد هذه المقاومة أبناءه وأقاربه في قيادة الثورة المضادة وامكن لهم خلال سنوات حشد قوات كبيرة واستعانوا بالثكنش والدعم الذي كان يوفره لهم بيسان وشارلمان والكارولنجيين علاوة على المتطوعين والمأجورين من كل مكان ، وأفاد الجلائقة من الظروف المحيطة بهم ومن نزاع المسلمين قصفوا عملياتهم وأمكن لهم إقامة كيان ذاتي لم يلبث حتى تطور الى دولة قوية تحتل في حدودها « البرتغال حالياً » .

(٢) حياة هشام بن عبد الرحمن - في قراءات - مع نهاية هذا الفصل ..



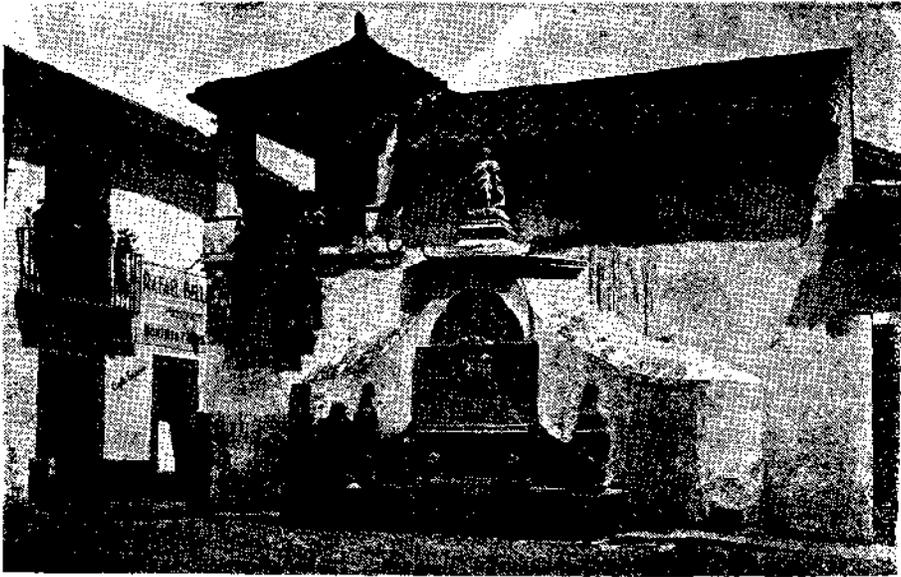
قرطبة - الباب الخارجي للمسجد
يا للمساجد عادت للعدا يوماً وللشهداء غداً أتناها جرساً
« نفع الطيب ٤ / ٤٥٧ »



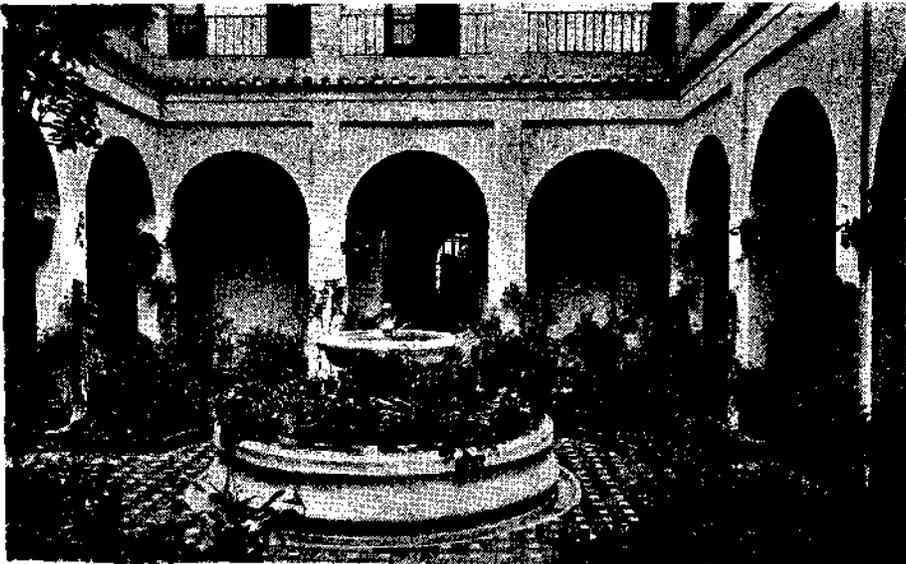
قرطبة « صحن الجامع وقد تحول الى كنيسة »
حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن الا نواويس وصلبات
« الرندي » من فصح الطيب ٤ / ٤٨٧



قرطبة : مئذنة الجامع وقد وضعت بها النواقيس
مساجدها كنائس أي قلب على هذا يقر ولا يطير
نفع الطيب في رثاء طليطله - ٤ / ٤٨٤



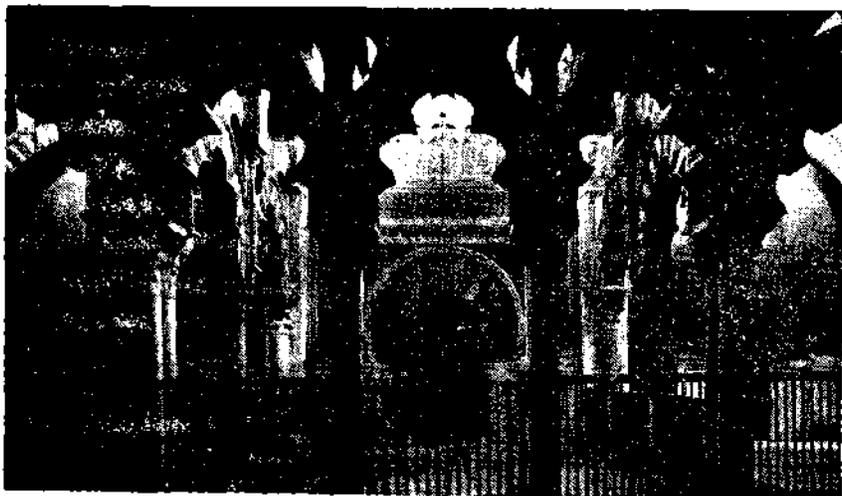
السبيل - في قرطبه - بعض ما تركه العرب من عادات وتقاليد .



فناء بيت من بيوت قرطبة .. ما أشبهه بيوتات الشام التي أخذت تندثر تحت نعل الألفية الحديثة ..



قرطبة - نموذج البناء - بايوانه وسقفه وأقواسه وأعمدته ، وأصص الزرع في صحن
الدار ، والفرنسكات الخرف العلوية ، كل ذلك وكأنه منزل دمشقي أصيل



مسجد قرطبة

حتى الحاروب تبكي وهي جامدة حتى المنابر توثي وهي عيدان

٦ - الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

واستراتيجية الردع

١٨٠ - ٨٢٠٦ = ٧٩٦ - ٨٢٢ م

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنة المصرية
سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية .	٧٥٠	١٣٢
قيام الدولة الأموية في الأندلس .	٧٥٦	١٣٨
حكم عبد الرحمن الداخل « صقر قريش » .	٧٥٦ - ٧٨٨	١٣٨ - ١٧٢
هشام بن عبد الرحمن .	٧٨٨ - ٧٩٦	١٧٢ - ١٨٠
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن .	٧٩٦ - ٨٢٢	١٨٠ - ٢٠٦
خلافة هارون الرشيد - العباسي -	٧٨٦ - ٨٠٨	١٧٠ - ١٩٣
وقد شارلمان في بمداد والقيروان .	٨٠١	١٨٦
استيلاء « الافرنج » على برشلونه .	٨٠١	١٨٦
معركة وادي الحجاره ..	٨١٠	١٩٤
بيسان ابن شارل مارتل ، أول ملوك الدولة الكارولنجية وامبراطور الغرب .	٧٤١ - ٧٦٨	١٢٤ - ١٥١
شارلمان ابن بيسان ، ملك فرنسا وامبراطور الغرب .	٧٦٨ - ٨١٤	١٥١ - ١٩٩
لويس الحليم - أو لويس الاول - امبراطور الغرب .	٨١٤ - ٨٤٠	١٩٩ - ٢٢٦
خلافة المعتصم ببغداد .	٨٣٣ - ٨٤٢	٢١٨ - ٢٢٧
غزوة صوريه ، في بيزنطة .	٨٣٨	٢٢٣
فتح طليطله ، واخضاع قردها .	٨٣٨	٢٢٣

« استراتيجية الردع »

١٨٠ - ٢٠٦ = ٧٩٦ - ٨٢٢ م

أ - الوضع العام :

- تولى الحكم بن هشام بن عبد الرحمن امارة الاندلس خلال هذه الفترة ، وتوافق ذلك مع حكم هارون الرشيد ببغداد وشارلمان وبداية عهد لويس الحليم في فرنسا وولاية عبد الله بن الاغلب (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) في افريقية ، ثم زيادة الله ابن ابراهيم بن الاغلب من بعده ..

- بدأ شارلمان في وضع مخططه لتطوير عملياته في الاندلس ، فأرسل الى بغداد وفدأ للصدقة . وقمل مثل ذلك مع افريقية حيث أرسل وفدأ إلى قرطجنه بمرر طلب الأذن لنقل رفات القديس فبريانس المدفون بقرطجنه وغيره من القديسين المدفونين هناك ، فأذن لهم ابراهيم بن الاغلب بذلك وأرسل في اثرهم موفدأ خاصاً لمقابلة شارلمان والتقرب منه .

- لقد كان « الاغاليه » يطمحون لفرض سيطرتهم على افريقية والاستقلال بأمورها ، وكان وجود « أندلس قوية » مصدر قلق لهم وخطر عليهم ، ووجدوا في قوة شارلمان عوناً لهم بحيث ينصرف حكام الاندلس عنهم لمجابهة خطر أكبر ، وفي الوقت ذاته فقد كان هدف شارلمان من مديد الصداقة للاغالية هو ضمان عدم تقديم دعم - على الأقل - لمساعدة مسلمي الاندلس ، وعندما وثق شارلمان من نجاح مخططه ، وفي السنة التي تم فيها ارسال الوفود الى بغداد وافريقية ، انطلقت جيوش - العرب - فتجاوزت البيرويه واندفعت في اتجاه « برشلونه » واستولت عليها ..

ب - الوضع الخاص :

- جابهت الحكم منذ بداية امارته مجموعة من الثورات المضادة والحركات الاستقلالية التي استمرت طوال مدة إمارته ، وكان القسم الأكبر من هذه الثورات

على اتصال وثيق بالمخططات التوسعية التي ينفذها شارلمان بالتعاون مع الأمراء الأندلسيين .

- وكان على الحكم تقوية جيشه - [فكان اول من جند الاجناد واتخذ العدة ... واستعد بالماليك حتى بلغوا خمسة آلاف ، منهم ثلاثة آلاف فارس وأنفا راجل . وقد سمي هؤلاء بالخرم لمجتهم .. كما اتخذ من أسراء حرساً خاصاً له ، وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الخشم ... وكان للحكم ألفا فرس مرتبطة بباب قصره على جانب النهر عليها عشرة من العرفاء ، تحت يد كل عريف مائة فرس ..]^(١)

- ونظراً لما يتطلبه تطوير الجيش من موارد فقد عمل الحكم على فرض الضرائب ، وعدم تركها طواعية واختياراً .. [.. وكان بما نعوه عليه ان جعل العشر ضريبة على الناس بعد ان كان مصروفاً الى أمانتهم ..] .

ثم قسم البلاد الى « مناطق عسكرية » وأقام بها روابط مستقلة لمجابهة كل عدوان فكانت هذه المناطق تزج قواتها كنسق أول ثم تدعم هذه القوات بالجيش المتمركز في قرطبة ..

ج - مسيرة الاعمال القتالية ..

١ - الهجوم الوقائي الاول .. « غزوة الصائفة »^(٢) ،

- وجه الامير الحكم منذ تسلمه السلطة جيشاً الى الشمال بقيادة عبدالكريم ابن عبد الواحد ، بمهمة حماية الثغور ..

- كان الامير الحكم يعرف ان « الدولة الكارولنجية » ستقوم بعملية

(١) البيان المغرب ٢ - ١١٨ ، الكامل في التاريخ ٥ - ٢٠٣ ، نفع الطيب ١ - ٣٤٢ ، المغرب في حلل المغرب ١ - ٤٤ ، غزوات المغرب ١٣٢ .
(٢) البيان المغرب ٢ - ١٠٢ ، الكامل احداث سنة ١٨١ ، المغرب في حلل المغرب ١ - ٤٠ .

« سير »^(١) منذ اللحظات الأولى لتوليه الأمانة ، فأراد القيام بعملية ردع قبل أن تتمكن من تنظيم هجوم قوي ضده ، وتوجه عبد الكريم إلى الشمال وتجاوز سرقسطة « نهر الشمال » وتوافت عليه الجيوش ، ثم تابع تقدمه حتى وصل البحر شمال برشلونة فقسم الجيش إلى ثلاثة مجموعات قتالية وعين قائداً لكل مجموعة ، وحدد له هدفاً بالأغارة على محاور المرور بجبال البيرينيه .. وانطلقت المجموعات إلى أهدافها فلم تلق مقاومة كبيرة ، وتم خلال هذه العملية تدمير المقامات والحصون وغنمت القوات غنائم كبيرة ، ثم رجعت إلى قاعدة انطلاقها.

٢ - سقوط برشلونه - ١٨٤ - ١٨٦ هـ = ٧٩٩ - ٨٠١ م :

- حول المسلمون مدينة برشلونه إلى قاعدة متقدمة ، وعملوا على تحصينها ، وكان فرسانهم ينطلقون منها في اغاراتهم المحدودة وهجياتهم الكبرى إلى ما وراء البيرينيه ونظراً للخطورة التي أصبحت تمثلها هذه المدينة فقد وضع شارلمان خطته للاستيلاء عليها في أول فرصة تمكنه من ذلك .

- توفرت المعلومات عند الحكم عن عزم شارلمان للقيام بغزو برشلونه ، ووصلته اخبار اتصاله ببعض قادة المسلمين وعلى الرغم من انصراف الحكم إلى قمع الثورات المضادة والحركات الاستقلالية في الأقاليم وبصورة خاصة في الأقاليم الشمالية والشمالية الغربية ، فقد قرر الحكم توجيه جيش قوي لمهاجمة المدون واحباطه . وقد تمت عملية استيلاء « الأفرنج » على برشلونه ، وفق مراحل ثلاثة ..

المرحلة الأولى : احباط هجوم جيش شارلمان - ١٨٤ هـ - ٧٩٩ م ..

كان شارلمان يتابع اخبار الصراع بين الحكم وبين عمه سليمان في بلنسية ، وهو الصراع الذي استمر ثلاثة أعوام ، فاتصل ببعض أمراء المسلمين في الشمال ،

(١) سير Sondage ، مصطلح يقصد منه القيام بأعمال تعريضية وعمليات هجومية محدودة هدفها معرفة نوايا العدو وإستمداده القتالي ومستوى تسليحه وتدريبه ، وتنظيم مواقفه القتالية وهي عمليات استطلاع بالقوة ولكنها على نطاق أوسع وهدف أكبر .

وأظهر له هؤلاء الطاعة ، وظن ان الفرصة مواتية بهجومه ، وخلال هذه الفترة تم الصلح بين الحكم وبين عمه عبد الله ، فوجه الحكم جيشه بقيادة عمه عبد الله « البلنسي » بمهمة القضاء على هجوم « الافرنج » واحباطه ، ووصل عبد الله وتوافق يوم وصوله الى برشلونه مع يوم وصول جيش شارلمان اليها ، فعقد عبد الله مؤتمراً ، اقترح فيه قادة المسلمون البدء بالهجوم فوراً ، لكنه قرر تأجيل الهجوم الى اليوم التالي ، وهو يوم الجمعة .

– انصرف عبد الله منذ الصباح المبكر لاجراء التنظيم للمعركة [فامر بتعبئة الكتائب ونصب الرودود « المغانيق » ، وصى ركعتي الجمعة .. ثم نادى في الناس ، وركب هو ومن معه ..] (١) وبدأت الحرب ..

– كان شارلمان يتوقع الوصول الى برشلونه واحتلالها دون مقاومة ، ولكنه بوغت بمقاومة الامراء الذين اظهروا له الطاعة ، ثم اصطدم جيشه بجيش المسلمين أمام برشلونه فكانت المباغثة الثانية ، وعلى الرغم من ذلك فقد خاضت قوات الافرنج معركة ضارية ، وقاتل المسلمون بتصميم وعناد حتى استطاعوا انزاع النصر من أعدائهم وعندما انتهت المعركة وتوقف القتال [نصب الحكم قناة طويلة فأثبتت في الارض وأمر بالرؤوس فجمعت وطرحت حوالها حتى غابت القناة فيها ..] (٢) .

المرحلة الثانية : الحصار الطويل ١٨٤ - ١٨٦ هـ - ٧٩٩ - ٨٠١ م ..

– كان لويس - ملك اكيثانيا - هو الذي يقود عمليات الهجوم على الاندلس وعندما لحق به الفشل ووجد ان الاستيلاء على برشلونه يتطلب جهداً أكبر ،

.....
(١) و (٢) البيان المغرب ٢ - ١١٠ وهو يجعلها في احداث سنة ١٩٩ ، لكن هناك شبه اجماع بين مؤرخي الشرق والمغرب ان سقوط برشلونه قد حدث عام ١٨٦ هـ - ٨٠١ م وان هذه المعركة حدثت قبل سنتين من سقوط برشلونه ، ولهذا فان الاحتمال الاقرب للصحة هو حدوث المعركة عام ١٨٤ وليس ١٩٩ هـ ، أما المغرب في حلى المغرب فيذكرها في احداث ١٩٧ هـ ، وفتح الطيب ١٨٥ .

قرر الدخول بحرب استنزاف طويلة الأمد فاتفق مسيح غليوم كونت « تولوز »
وعقد جمعاً من أمراء البلاد بهدف تنسيق التعاون للاستيلاء على برشلونه وفرض
حصار حولها .. وزحفت القوات المشتركة وأحاطت بالمدينة وضربت نطاقاً
محكماً حولها ووجهت الاغارات لتدمير المرافق الهامة حولها وحرمانها من
الموارد الحياتية ، ورغم ذلك فقد صمدت برشلونه للحصار وقاومت بعناد
محاولات الأفرنج ..

- في عام ١٨٥ هـ - ٨٠٠ م : كان شارلمان في رومة مشغولاً بقضية
تتويجه امبراطوراً على الغرب . واستمر الحصار على برشلونه ، دون ان تظهر
ولو بادرة ضعف واحدة تشير الى احتمال الاستسلام أو الخضوع للأفرنج ، وكان
أمراء سرقسطه وطرطوشه رغم مناوأتهم للحكم يتفقون معه على ضرورة
الصمود واحباط مخططات « الأفرنج » ..

- في عام ١٨٦ هـ - ٨٠١ م : أرسل شارلمان وقدأ الى بغداد للتهنئة
وتوثيق عرى الصداقة ، والتحريض ضمناً ضد « أمويي الاندلس » وأرسل في
الوقت ذاته وقدأ آخر الى افريقية بمهمة ماثلة للاتصال بإبراهيم بن الاغلب .
- في هذه الفترة أرسل ملك اشتوريه الى شارلمان طلباً للنجدة والعون من
أجل غزو المسلمين ، ووجه شارلمان قوات ضخمة بقيادة ابنه لويس ملك
اكتانيا^(١) ، وانضم بهلول بن أبي الحجاج الى الأفرنج بعد أن استمر في ثورته
طوال السنين الماضية^(٢) .

.....

(١) لويس الأول ، أو ، لويس الحليم Louis 1er le Débonnaire ou Le Pieux
ابن شارلمان ريهيلديغاراد Hildegard ، ولد في كاسونوي عام ٧٧٨ م ، ثم أصبح ملك اكتانيا ،
ثم ملك فرنسا ، وأصبح امبراطوراً للغرب وملكاً لفرنسا خلال الفترة بين ٨١٤ - ٨٤٠ م ،
قضى على ثورة حفيده برنارد ملك ايطاليا عام ٨١٨ ، تزوج ايرمينغاراد ثم جوديت دوبا فيير
عام ٨١٩ ، وقضى خلال حكمه على الثورات التي قادها ابتائوه ضده وهم لوتر ولويس وبيبان
وذلك بسبب غيرتهم من اخيهم شارل الذي أراد أبوه ايثاره بقسم من ميراثه ومات أثناء حملته
ضد واحد من هؤلاء الأبناء .

(٢) غزوات العرب ١٣٧ .

المرحلة الثالثة : سقوط برشلونه ١٨٦ * - ٨٠١ م ..

عندما وصلت جيوش « الافرنج » أعيد تنظيمها وتحديد الواجبات لها فكانت على النحو التالي :

- ١ - القسم الاول بقيادة الملك لويس - ملك اكيانيا - ومهمته السيطرة على محاور المرور في البيرنيه ، والقيام بهجمات على المناطق القريبة ..
- ٢ - القسم الثاني بقيادة غليوم كونت تولوز ومهمته السيطرة على محاور الاقتراب بين قرطبة وبرشلونه بهدف عزلها عن كل دعم ..
- ٣ - القسم الثالث ، بقيادة ملك اشثوريه ، ومهمته حصار المدينة والاستيلاء عليها ..

توجه الحكم يحيثه لمجابهة العدوان ، ومعه عمروس أمير طليطله وسرقسطة ومحمد بن مفرج قائد الفرسان ، وعندما وصل سرقسطة وصلته أخبار تمرد طليطله وعلان الثورة فيها فوجه قوة بقيادة عمروس للقضاء على التمرد .

- لم يتمكن الحكم من الوصول الى برشلونه نتيجة للمقاومات المنظمة على محاور الطرق والمواقع الحصينة ، فحول الحكم الى « اشثورية » لتخفيف الضغط عن برشلونه وحل ملكها على الانسحاب من قوة التحالف . والتوجه للدفاع عن اقليمه ، ولكن الحكم لم يلق مقاومة في اشثورية فتابع تقدمه الى نافار ووصل بنبلونه ووشته . وعندما لم ينجح مخطط الحكم في اجتذاب جيش التحالف وحمله على التحول عن هدفه ، تحول في مسيرته نحو الغرب ، ووصلته أخبار عن تقدم بهلول بن أبي الحجاج الى طركونه ، فتوجه الحكم لقتاله ولكن بهلول تقدم خلال ذلك فوصل طرطوشه ، فلحق به واستطاع القضاء عليه وحمل رأسه الى قرطبة في محاولة لردع كل من يفكر في التعاون مع قوات الشمال واقناعه بالمصير الذي ينتظره لقاء خيانتة أمتة والتعاون مع أعدائها ..

- مضى على حصار « برشلونه » عامان كاملان ، وفي النهاية اشتد الحصار عليها ، فقرر أميرها القيام بهجوم يائس ، فنظم قواته واندفع في هجوم مباغت ،

لكن هذا الهجوم لم ينجح في تحقيق هدفه وفشل أمام تفوق العدو الساحق ، ووقع أمير برشلونة أسيراً في قبضة العدو ، وقام الافرنج بتنظيم هجوم كبير أعدوا له كل ما هو ضروري من أعمال ، كحفر الانفاق واعداد أعتدة تملق الأسوار وتوفير الامدادات الضرورية وأمکن بذلك اختراق تحصينات المدينة واسقاط موانعها ووصلت قوات العدو الى المدينة وأزالت كل مقاومة فيها ، وخرجت برشلونة من قبضة المسلمين بعد أن بقيت تحت حكمهم تسعين سنة ، وأصبحت فرنسا تسيطر على دولتين في شمال الاندلس احدهما كتالونيا وقاعدتها برشلونة ، والثانية غاسقونيا ، ومنها نافار وآراغون ..

٣ - استعادة تطيله ١٨٧ هـ - ٨٠٢ م :

كان عمروس بن يوسف أمير ثغور الشمال يرافق الحكم أثناء تحركه في محاولة دعم حامية برشلونة ، وعندما ظهر التمرد في طليطلة توجه اليها وأرسل قوة بقيادة ابنه يوسف الى تطيله (١) .

- وكانت هناك قوات من الاندلس قد انضمت الى الافرنج والتحقت بهم خوفاً من بطش الحكم وفي محاولة لتقوية مركزهم عند الافرنج للاستقلال بثغور الشمال وسيطر هؤلاء بقواتهم على تطيله ، وتمرركزوا فيها ، وعندما قدمها يوسف أمکن لهم نصب كمين أوقعوه فيه ، وأخذوه سجيناً الى « صخرة متيس » .

- استقر عمروس بن يوسف بمدينة « سرقطة » وجعلها مقراً له نظراً لموقعها المتوسط من ثغور الشمال ، وبسبب ما تتميز به من المنعة والقوة ، ثم تابع مهمته في اخضاع حركات التمرد ، ووجه جيشاً بقيادة ابن عمه للقائه الافرنج ، وتمکن هذا الجيش من تمزيق قوة الافرنج بعدد أن كبدهم فادح الخسائر في معركة حاسمة ، وتابع المسلمون تقدمهم فاستولوا على تطيله ، ولم يعد باستطاعة

(١) تطيله Tudela على نهر ابره « Ebro » غرب سرقطة وجنوب ببلونة .

أتصار الأفرنج الصمود في وجهه تقدم جيش عمرو بن ، فأخذوا في التفرق ، واستطاع هذا الجيش تحرير يوسف بن عمرو من قبضة الأسر^(١) .

٤- هجوم وقائي جديد ١٩٢ هـ - ٨٠٧ م^(٢) :

- اكتسب « الأفرنج » بعد سقوط « برشلونه » مزيداً من الثقة بقدرتهم على تطوير هجماتهم ، وتابعوا عملياتهم التخريبية وهجماتهم على ثغور المسلمين ، وفي عام ١٩٢ هـ توفرت المعلومات لدى الحكم عن تصميم « رودريك - لذريق » لتوجيه جيش بمهمة الاستيلاء على طرطوش^(٣) مستفيداً من تركيز جهد الحكم على « مارده » للقضاء على التمرد فيها ، فوجه الحكم جيشاً كبيراً بقيادة ابنه عبد الرحمن وطلب الى ولاته في الثغور « عمرو بن » و« عبدون » ان يعملوا على زج قواتها والاتحاق بجيش ابنه عبد الرحمن ..

وصل عبد الرحمن بن الحكم الى الشمال ، وانضمت اليه قوات الثغور والتحققت به قوات كبيرة من المتطوعين . وتواقفت وصول عبد الرحمن مع وصول جيش رودريك الى مضائق البيروني ، ودارت رحى معركة طاحنة ، نبت فيها المسلمون حتى استطاعوا احراز النصر وأبادوا جيش « رودريك » ابادة شبه تامة ، وأمكن بذلك احباط هجوم العدو في مهده ..

٥- استراتيجية الردع ..

معركة وادي الحجارة - ١٩٤ هـ - ٨١٠ م :

- تابع الأفرنج أعمالهم التخريبية ، واغاراتهم الاستفزازية في المناطق الشمالية ، وأفادوا في ذلك من انصراف الحكم لقمع الثورات المضادة والحركات

(١) الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، احداث ١٨٧ .

(٢) في البيان المغرب احداث ١٩٣ ، وفي نفع الطيب جعلها من أحداث سنة ١٩٦ هـ وجعل قيادتها للحكم نفسه ، وفي الكامل لابن الاثير أحداث سنة ١٩١ هـ .

(٣) طرطوشة Tortosa .

الناوثة ، وذات يوم وبينما كان الشاعر العربي عباس بن ناصح ، في وادي الحجارة^(١) وصل سمعه صوت استغاثة امرأة عربية وهي تقول :

[.. واغوثاه بك يا حكم .. لقد اهلطنا حتى كلب العدو علينا ، فأينما وأيتمنا ..] وتقدم عباس بن ناصح من المرأة مستوضحاً أمرها ، فقالت له :
[.. كنت مقبلة من البادية في رفقة ، فخرجت علينا خيل العدو .. فقتلت وأسرت ..]

ورجع الشاعر عباس بن ناصح الى قرطبة ، ودخل مجلس الحكم فأنشده :
تلمت في وادي الحجارة مسهراً أراعي نجوماً ما يرون ثغوراً
اليك أبا العاصي فضيت مطيقي تسير بهم سارياً ومهاجراً
تدارك نساء المسلمين بنصرة فانك أحرى ان تغيث وتنصرا
واستوضح الحاكم من الشاعر عباس عن حقيقة الموقف وما سمعه وما رآه ، فوقف الحكم من فوره وأعلن الجهاد والاستعداد وزحف بقواته بعد أيام ثلاثة نحو الشمال^(٢) ..

- وصلت قوات المسلمين الى « وادي الحجارة » وانطقت الى الحصون تدمرها والمواقع تزيلها والمقاومات تبيدها ، وأمكن خلال ذلك الحصول على اعداد كبيرة من أسرى العدو ، وتابع الحكم دفع القوات حتى لم تبقى مقاومة تعترض سبيل تقدمهم ، ورجع الى وادي الحجارة وتوقف فاستدعى المرأة المستغيثة وتوافد أهل الناحية ، فأمر الحكم لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم يصلحون به أحوالهم ويفدون به سباياهم وخص المرأة وآثرها ووزع عدداً من

(١) وادي الحجارة Guadaljara . راد يتد بين طليطلة ومدريد يخترقه رافد من روافد نهر التاج وهو راد كثير الوعورة ، به فج يحمل اسم فج طارق ، نسبة الى طارق بن زياد عندما اخترقه الى الشمال لاحتلال سرقسطة .
(٢) الكامل ، احدث ١٩٤ هـ .

الأسرى هل من أسر احد من أقربائهم وأمر بضرب اعناق البقية ، ثم التفت
الإمير الحكم الى الشاعر - عباس - وقال له :

[.. سلها .. هل اغاثها الحكم ؟] فأجابت المرأة وكانت عربية نبيلة :
[.. والله لقد شفى الصدور وأنكى في العدو ، وما غفل عنا إذ بلغه امرنا ،
فأغاثه الله وأعز نصره ..]

ثم خاطب الحكم الشاعر عباس بقوله :

ألم تر يا عباس أني اجبتها على البعد اقتاد الخيس المظفرا
فأدرت أوطاراً وبردت غلة ونفست مكر وبأوأغنيت معمرأ

فأجاب عباس : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين^(١) .

- ورجع الحكم ظافراً الى قرطبة ..

٦ - اخضاع التمرد في طليطلة ١٩٩ هـ - ٨١٤ م :

على الرغم من الجهود المبذولة لاختضاع طليطلة، وعلى الرغم من اخفاق حركات
التمرد المرة بعد المرة ، فقد تابعت هذه المدينة سيرتها في الثورة والتمرد حتى
أصبحت بؤرة لاستنزاف قوة الدولة وقدراتها ، فصمم الحكم على اخضاعها
بنفسه ، ونظم جيشه وانطلق الى الشرق متظاهراً بالتوجه الى « مرسية » مركز
اقليم « تدمير » .

- وصل الحكم اقليم تدمير شرقاً ونزل بمض حصونها وكتب الى عمال
الثغور بنزوله فيها ، واطمأن أهل طليطلة وتابعوا ممارسة حياتهم العادية ، وكان
الحكم قد أرسل عناصر استخباراته « عيون » لموافاته بأخبار طليطلة وهو
يقترّب منها شيئاً فشيئاً ، وعندما وجد الفرصة المناسبة تحرك بسرعة نحو الشمال
وسار ليلاً حتى وصلها بعد أن دفع أمامه بعض العناصر الخفيفة والافراد

(١) البيان المغرب ٢ - ١٠٩ ، ونفع الطيب ١ - ٣٤٣ .

(٢) اخبار مجموعة ١٢٩ ، والمغرب في حلى المغرب ١ - ٤١ ، والبيان المغرب ٢ - ١١٠ .

المتفرقين الذين دخلوا المدينة في غفلة من أهلها . ووصل الحكم ودخل طليطلة دون أن يعرف أحد أمر دخوله ، ثم استمر تدفق الجيش ، وقام الحكم بعزل المدينة وعندما شعر أهلها أنهم عاجزون عن القيام بأي محاولة للمقاومة استسلموا وعمل الحكم على اعتقال قادة التمرد، ونقلهم الى « ترجله » من اقليم بطليوس ، ثم أمر سكان المناطق الجبلية والمواقع المنعزلة بمغادرة مراكزهم فعمس على احراقها وتدميرها ، وبذلك أمكن اخضاع طليطلة والقضاء على مراكز المقاومة المحيطة بها ، وعاد الهدوء اليها ، لكن إلى حين ..

٦- تطوير عملية الردع ٢٠٠ هـ - ٨١٥ م :

استطاع الحكم أخيراً ، اخضاع حركات التمرد ، وقمع الثورات المضادة ، فوجه جيشاً كبيراً بقيادة عبد الكريم بن مفيث لتطوير عمليات الردع ، فوجه عبد الكريم يبيشه شمالاً حتى وصل وادي الرون (١) ، وبذلك تجاوزت قوات المسلمين للمرة الاولى في عهد الحكم حدود « الأندلس » ووصلت أرض فرنسا « غاليسيا » .

— انطلقت قوات المسلمين في وادي الرون تدميراً للقلع و اباداة للمقاومات وخلال ذلك كان أمير الاقليم يطلب قوات الدعم من المقاطعات ، ووصلته قوات دعم كبيرة ودارت معارك طاحنة حقق فيها المسلمون انتصارات رائعة وأرغموا قوات « الافرنج على البقاء عند الضفة الأخرى من نهر الرون ، وعندما

(١) البيان المغرب ٢ - ١١٨ ، والكامل في التاريخ حوادث سنة ٢٠٠ هـ .. ولم يذكر بوضوح موقع المعركة ، ولكن المصادر الغربية تنوه اليها ، وقد جاء في المصادر العربية :
(.. فدخلها وتوسطها وأهلك معايشها .. حتى استوفى جميع قرى وادي اردون ..
وانجلت النصرانية من كل مكان وأقبلت الجوع ونزلت بعدة نهر اردون ..) ، ولم يذكر ابن الاثير اسم النهر او مكان الوقعة بدقة وتجاهلها المغرب في حلى المغرب وأسقطها القري .. وكل ما ذكره في فتح الطيب ١ - ٣٤٠ (.. وأقبل عليه « اليط » ملك الجلائقة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه إماماً رجال المسلمون منهم أعظم النيسل وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ..) .

وضع عبد الكريم مخططة للعبور ولقاء قوات عدوه عند الطرف الآخر من النهر هطلت الأمطار الغزيرة وتدفقت السيول مما جعل عملية العبور مستحيلة، فاضطر عبد الكريم بن مغيث الى الانسحاب بعد معارك ضارية استمرت طوال ثلاثة عشر يوماً تكبد فيها « الافرنج » خسائر كبيرة في الارواح والممتلكات ورجع عبد الكريم بجيشه وهو مثقل بالفنائم ..

— وقد يكون من الغريب ألا يحاول الحكم استعادة برشلونه ، وتركها كموقع في جانب المسلمين ، وقد يكون السبب في ذلك :

١ — وجود امارات مستقلة في الشمال خاضعة اسماً لخلافة قرطبة مثل امارة آراغون ونافار ..

٢ — استقلال شمال غرب الاندلس — اقليم جيليقية — .

٣ — تصاعد حركات المقاومة ، وتكرر حدوث الثورات المضادة ..

٤ — عدم توفر الامكانات المادية والطاقت البشرية الكافية لتكريس قوات خاصة لحصار المدينة والبقاء فيها حتى اخضاعها مع احتمال ضرورة زج قوات اضافية لمهاجمة كل دعم قد يصل لدعم قوات الافرنج في برشلونه .



الفصل الرابع

الفصل الثاني

عهد الفتنة والاضطراب

- ١ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام « الاوسط » :
 - ١ - عملية الردع الأولى .
 - ٢ - استعادة السيطرة على اراغون .
 - ٣ - عمليات الردع لحماية الثغور .
 - ٤ - العمليات في جيليقه .
 - ٥ - ائزال النورمان في الأندلس .
 - ٦ - عمليات الردع ضد جزر مينورقه - ميورقه - يابسه « جزر الباليار »
 - ٧ - ثورة ماردة .
 - ٨ - الفتنة الطائفية .

٢ - محمد بن عبد الرحمن وحروب الاستنزاف .

احباط عملية السير .

١ - عمليات الردع الخارجية :

أ - معركة وادي سليط .

ب - مجابهة غزو النورمان .

ج - عمليات الردع في الشمال .

د - الثورات المضادة في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن .

هـ - ثورة عمر بن حفصون .

٢ - حروب الاستنزاف واستمرار الثورات المضادة

في عهدي المنذر وعبد الله ابني محمد بن عبد الرحمن

أ - عناصر الثورات المضادة .

ب - نشوء مملكة نافار ، أو البشكنش .

ج - نشوء مملكة جيليقية - اشتوريش ، ثم ليون .



١ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
والهجمات الوقائية واستراتيجية الردع
٢٠٦ - ٢٣٨ هـ - ٨٢٢ - ٨٥٢ م

- تولى حكم الاندلس في الفترة بين عام ٢٠٦ - و ٢٣٨ هـ الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام رابع امراء الاندلس . وقد توطلدت سيطرة الدولة في عهده ، وظهرت بوضوح الاسس الاستراتيجية لعملياته القتالية التي كانت ضمن احدى مجموعتين اما هجمات وقائية لاحباط نوايا العدو ، واما عمليات ردع هدفها اقناع خصومه بقوة وعجزم عن مواجهته بتحدياتهم .

- وتواقت حكم عبد الرحمن الاوسط مع حكم لويس الحليم في « كارولنجيا » ، ونظراً لما تميز به هذا الحكم من الضعف والتمزق الداخلي فقد توفرت الفرصة أمام الامير عبد الرحمن لاعادة تنظيم الجبهة الداخلية بعيداً عن كل تدخل خارجي وتطوير العمليات لنقل مسرح العمليات حتى قلب بلاد الغال « فرنسا » عوضاً عن ممارسة عمليات الردع فوق أرض الاندلس ذاتها .

١ - عملية الردع الاولى ٢٠٨ هـ - ٨٤٣ م :

- انطلق الفونسو الثاني - أمير ليون - بهجوم كبير فور علمه بوفاة الحكم وتسلم عبد الرحمن مقاليد السلطة ، ووصل بهجومه حتى مدينة « سالم » من أعمال الثغر الأعلى ، وفي الوقت ذاته تحركت بعض القبائل المسيحية الشائرة في الشمال فأغاروا على ثغور المسلمين وأعملت فيها حرقاً وتدميراً وسيبياً ، وعلى اثر ذلك وجه الامير عبد الرحمن جيشاً كبيراً بقيادة حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البه ، والقلاع وهزم الثوار في مجموعة من المعارك المتتالية ، وعندما وصل « ليون » عاصمة اقليم جيليقية ، أمر باحراقها وتدمير حصونها ، وطلب

الثوار الصلح فاشترط عليهم شروطاً قاسية منها دفع غرامة كبيرة وتسليم بعض زعمائهم كرهائن يتم الاحتفاظ بهم في قرطبة لضمان عدم معاودة التمرد ، مع إطلاق سراح أسرى المسلمين .

– وفي الوقت الذي كان فيه عبد الكريم يمارس عملياته في جيليقية كان الأمير عبد الرحمن قد وجه جيشاً ثانياً بقيادة ابنه محمد للقضاء على التمرد في كاتالونيا فزحف الأمير محمد بن عبد الرحمن الى بنبلونا عاصمة نافار ، واستولى عليها وقتل ملك نافار ، ودمر حصونه وقصوره ، وهربت فلول الثائرين الى ما وراء البيرنه ..

– انتهت المرحلة الاولى من هذه العمليات بنجاح ، وأصبح بالإمكان تطوير العمليات فعمد عبد الكريم بن عبد الواحد اجتماعاً للقادة لمناقشة موضوع اختراق البيرنه ، لا سيما وقد أصبح جيش عبد الكريم قادراً على متابعة هجومه بفضل ما وصله من قوات دعم ، وما لحق به من متطوعين ..

عندما اجتمع القادة لمناقشة الموقف وقع اختلاف حول المحور الذي يجب اتباعه وبعد حوار أمكن الاتفاق على أن يكون محور التقدم هو «باب البه»^(١) وكان سبب اختيارهم لهذا المحور هو أنه :

[... أنكى للعدو وأحسم لدائه فاقتحموا من فج يقال له «جرنيق» وكان وراءه بسيط للعدو فيه خزائنه وذخيره ، فوضع أهل العسكر على

.....

(١) عرف العرب أربعة محاور للمرور من الأندلس الى الأرض الكبيرة «فرنسا» عبر جبال البيرنه «البرانس» وأطلق العرب على هذه المحاور اسم الأبواب وهي :

١- محور برشلونة - بيرينيان Perpignan - نابيون، وبيرينيان هي مركز مقاطعة روسيليون - أو - البيرنه الشرقية .

٢- محور بويودا - سردانه Cerdagna .

٣- محور بنبلونه - سان جان بييه دوبورت Saint Jean Pied de Port .

٤- محور طولوزا «الاسبانية» بايون Toloza - Bayonne

ارسلان - عن غزوات العرب ١١٨ .

تلك البسائط فاستصفوها وعلى ذخر تلك الخزائن فانتهبوها واستوعبوا
خراب كل ما مروا به عليه من العمران والقري وأقفروها وانصرف المسلمون
غانمين ظافرين .. [(١)] .

٢ - استعادة السيطرة على اراغون ٢٠٩ هـ - ٨٢٤ م :

في عام ٨٠٩ م ، توفي الكونت « اوربول » قائد الجيرش الفرنسية في اقليم
اراغون ، ووجد « عمروس » امير سرقسطة ، وهو من المولدين أن الفرصة سانحة
للانتقام من الافرنج لقاء ما ألحقوه به من الذل خلال وقوعه بالأسر في عملية
استعادة طليطلة خلال فترة حكم «الحكم بن هشام» ولهذا تقدم بقواته واستولى
على المواقع والمراكز التي كان يسيطر عليها الكونت « اوربول » (٢) زاعماً انه
سيقوم بتسليم هذه الأماكن عندما يتقدم الفرنسيون ، ولكن عندما وصلت
قوات « الافرنج » رفض تسليمهم اياها وبقيت في قبضة المسلمين .

٣ - عمليات الردع لحماية الثغور :

استمر عبد الرحمن بن الحكم في تنفيذ استراتيجية الردع بهدف حماية الثغور
وابعاد كل خطر عنها ، وكان تنفيذ هذه الاستراتيجية يخضع لمجموعة من
العوامل أهمها :

١ - توفر الاستقرار الداخلي ، وعدم وجود ثورات مضادة ..

٢ - وجود احتمال بالتهديد الخارجي ..

٣ - توفر القناعة عند أمير قرطبة بوجود اتصال بين عناصر الثورة المضادة

وبين القوى الخارجية ..

وان استعراض أحداث سنوات حكم الأمير عبد الرحمن يبرز بوضوح معالم

هذه الاستراتيجية ..

(١) البيان المغرب ٢ - ١٢٣ ، ابن الاثير أحداث سنة ٢٠٨ ، فتح الطيب ١ - ٣٤٥ ،

فريخ العرب في اسبانيا - عنان ٨٨ .

(٢) اوربول Aureole .

ففي عام ٢٠٩ هـ - ٨٢٤ م ، وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً إلى الثغور ، وهو جيش الصائفة ، بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ، وأصيب عبد الكريم بمرض أعاقه عن متابعة التحرك ، ثم لم يلبث أن توفي ، فخلفه في قيادة الجيش أمية بن معاوية بن هشام ، فتقدم أمية بالصائفة حتى وصل اوريط^(١) ونزل بها ، وخلال توقفه ألقى القبض على زعماء التمرد وقتلهم وعفا عن الباقين ممن ليس لهم دور قيادي في التمرد على الثورة ، ثم تابع أمية تقدمه إلى « شنت بريه »^(٢) للقضاء على التمرد فيها .

- وفي عام ٢١٠ هـ - ٨٢٥ م : وجه الأمير عبد الرحمن مجموعة قتالية كبرى بقيادة عبيد الله « المعروف بابن البلنسي » كما وجه مجموعة قتالية ثانية بقيادة فرج بن مسره عامل جبات وتوجهت هذه القوات الى أهدافها ، فأوغلت المجموعة الأولى في التقدم داخل أرض « الافرنج » وأعملت فيها قتلا للمقاومات واحراقاً للقرى وتدميراً للحصون ثم التقت بقوات العدو ودارت رحى معارك طاحنة انتصر فيها المسلمون وحصلوا على غنائم كبيرة واعداد من الأسرى . أما المجموعة الثانية فقد توجهت الى حصن « القلعة » وأمكن لها الاستيلاء عليه ، وفي الوقت ذاته وقعت ثورة في تدمير « بين الجانية والمضرية » .

- وفي عام ٢١١ هـ - ٨٢٦ م : حدثت ثورة في تاكرنا فوجه اليها الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة ابن غانم فظفر بقائد الثورة - طويل - .

- وفي عام ٢١٢ هـ - ٨٢٧ م : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة عبيد الله بن عبد الله « البلنسي » لقيادة عمليات الصائفة ، فركز قائد الجيش عبيد الله عملياته في اقليم برشلونه واستمر في تنفيذ الاغارات والأعمال الهجومية لفقرة شربين كاملين ، وشملت العمليات اقليم « جرنده » .

- وفي عام ٢١٣ هـ - ٨٢٨ م : أمكن القضاء على الفتنة بتدمير ، بعد أن

(١) اوريط Oreto جنوب قلعة رباح .

(٢) شنت بريه أو شنتمريه Santa Maria .

استمرت اربعة اعوام . واستنزل قائد الفتنة أبو الشماخ وغيره من القلاع وعمل
الامير عبد الرحمن على تعيين أبو الشماخ والياً من ولاته في الاقاليم (١) .
تابع عبد الرحمن بعد ذلك عملياته لردع الاعداء الخارجيين وقمع ثورات
الاعداء الداخليين . ومن أكثر عمليات الردع الخارجية العمليات التالية :

٤ - العمليات في جيليقية :

١ - عام ٢٢٢ هـ - ٨٣٦ م : وجه الامير عبد الرحمن قوة كبيرة بقيادة
أخيه الوليد بن الحكم إلى جيليقية ، ونجح الوليد في عمليات الردع ، وفتح عدداً
من الحصون والقلاع .

٢ - وفي عام ٢٢٤ هـ - ٨٣٨ م . وجه الأمير عبد الرحمن قوة بقيادة عبد
الله المعروف بابن البلنسي ، لاختضاع البتة والقلاع ، وجابههم جيش جيليقية
فدارت رحى معارك طاحنة ، وانتهت العمليات بهزيمة جيش جيليقيا وابيدت
قوات كبيرة منهم ، وأراد رودريك الافادة من هذه الظروف فانطلق بقوة
كبيرة في محاولة لاحتلال مدينة « سالم » فتصدى له فرتون بن موسى والحق به
الهزيمة ، وأوقع بجيشه الخسائر الفادحة في الأرواح ، ثم تابع فرعون تقدمه في
اتجاه الحصن الذي أقامه أهل « البتة » لمجابهة تقدم المسلمين فحاصره ثم اقتحمه
ودمره .

٣ - وفي عام ٢٢٥ هـ - ٨٣٩ م : قاد الأمير عبد الرحمن الجيش بنفسه لتطوير
عمليات الردع في جيليقية ، ففتح حصونها وأوغل في تقدمه واستمرت عملياته
هذه فترة طويلة ، ثم عاد الى قرطبة بعد أن أخضع عدوه .

٤ - وفي عام ٢٢٦ هـ - ٨٤٠ م : وجه الامير عبد الرحمن جيشاً الى جيليقية

(١) المراجع : الكامل لابن الاثير ، أحداث السنوات ، البيان المغرب ٢ - ١٢٣ - ١٢٧
فتح الطيب ١ - ٤٧ - ٥١ ، المغرب في حلى المغرب ١ - ٣٤٤ - ٣٥٠ .

بقيادة القائد عبد الواحد بن يزيد « الاسكندراني » . وقام الجيش بتنفيذ عمليات ناجحة وعاد الجيش في الموعد المحدد لايقاف عمليات الصائفة .

٥ - وفي عام ٢٢٧ هـ - ٨٤١ م : خرج عبيد الله بن عبد الله قائد الصوائف بقواته حتى وصل منتصف المسافة بين أربونة وسرطانية ، وباغته الأعداء بقوة كمين كبيرة وأحاطوا به من كل جانب ، ودارت معركة قاسية طوال الليل وعندما أشرق فجر اليوم التالي ، أعاد المسلمون تنظيم قواتهم وانطلقوا بهجوم حاسم دمروا فيه قوات العدو .

٦ - وفي عام ٢٢٨ هـ - ٨٤٢ م قاد الأمير عبد الرحمن الجيش بنفسه بعد أن استخلف في قرطبة ابنه المنذر وعين لقيادة ميمته ابنه محمد ولقيادة الميسرة ابنه المطرف ، وعندما وصل الجيش الى بنبلونة ، تصدت له قوات العدو ، وخاضت معه معركة طاحنة ، واستطاع المسلمون بصمودهم انتزاع النصر ، وقتل اعداد كبيرة من جيش أعدائهم (١) .

٧ - وفي سنة ٢٣١ هـ - ٨٤٥ م : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً ، الى جليقية ، فقام الجيش بضرب الحصار على مدينة ليون وربما بالمنجنيق ، فتغلب أهلها عنها وتزحوا منها فقم المسلمون ما فيها وأحرقوها ، وأرادوا هدم سورها فلم يتمكنوا من ذلك ، بسبب قوة بنيانه ، وكان عرضه سبعة عشر ذراعاً ، فثلّموا فيه ثلثة ورجعوا في اتجاه برشلونة فقاموا بغزوها وحاصروا جرنده وتقدموا حتى وصلوا اليربينيان .

٨ - وقعة البيضاء - ٢٣٧ هـ - ٨٥١ م (٢) :

قاد موسى بن موسى جيش الصائفة حتى وصل إلى البلدة ، أو البيضاء ،

(١) الكامل لابن الأثير - أحداث السنوات - البيان المغرب ١٢٦ - ١٢٨ ، فتح الطيب

١ - ٣٤٤ - ٣٥٠ ، المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٥ - ٥١ .

(٢) القتيبي ، علي مكّي ، صفحة ١٥٦ ، وفيه :

البيضاء Albelda : حصن صغير شيده موسى بن موسى القسوي على بعد كيلو مترات

وهناك اصطدم بقوة كبيرة منظمة وجيدة التسليح ، من غاسكونيا أو الجاشفين كما يسميهم العرب ودارت معركة قاسية لقي العرب فيها عناء كبيراً وبذلوا جهداً رائعاً حتى استطاعوا الصمود واصيب موسى بن موسى نفسه بخمسة وثلاثين جرحاً . وفي اليوم التالي وعلى الرغم مما نزل بجيش المسلمين وقائدهم ، أعاد موسى تنظيم جيشه وتحامل على نفسه وانطلق بهجوم حاسم استطاع به ان يحرز النصر ، وهزم جيش الغاسكون هزيمة منكرة ، وتكبدوا فادح الخسائر [حتى فرشت الارض بصراخهم] ..

٥ - ازال « النورمان » في الاندلس (١) :

تعرضت اوربا في القرن السابع والثامن الميلادي لغزوات شعوب وثنية

.....

قليلة جنوب مدينة لوغرون Logrone وعلى مسافة قريبة من نبلونة وهي الآن مدينة صغيرة تقع على بعد ٩١ كم الى الشمال الغربي من تطلة ويتردد ذكر البيضاء في الحوليات المسيحية ، اذ تذكر انه لم يكذب موسى بن موسى يتم بناءها حتى حاصره ملك جيليقية واشتوريش « اردون الاول » Ordone 1 ، فخرج موسى للقائه ودارت بين المسلمين والنصارى معركة حامية تعرف في الحوليات المسيحية باسم معركة كلافيجو Clavijo ، وتقول هذه الكتب ان المسلمين اصيبوا فيها بهزيمة منكرة وان موسى أصيب بجراحات شديدة وقتل زوج ابنته غارسيه وتحدد هذه المراجع المسيحية المعركة بسنة ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ - ٨٦٠ م ، على ان المصادر الاسلامية لا تذكر شيئاً عن هذه المعركة مما يجعل الشك محيطة بصحة الرواية المسيحية ، وقد ذكر ابن الاثير معركة البيضاء بكلمات قليلة في احداث سنة ٢٣٧ وقال انها وقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين وهي الوقعة المعروفة بوقعة البيضاء وهي مشهورة بالاندلس ..

(١) النورمان أو الفايكنج ، ويسميهم المؤرخون العرب بالاردمانيين ، وهم قوم من البربرية الوثنيين ، هبطوا من الشمال ، عن طريق البحر قادمين من النروج والدانمارك على متن زوارق خفيفة ، يحمل الزورق منها ستين الى خمسة وستين مقاتلاً . وكان هؤلاء النورمان - أو الفايكنج - مقاتلون أشداء يقومون بالانزال عند السواحل ، ثم يستخدمون الجياد التي يسطون عليها في غاراتهم متحولين الى فرسان ، وكانت غزواتهم تترك الحراب الرهيب ، وقد صعد النورمان انهار فرنسا بين عام ٨٤١ و ٩١٢ م وامضوا في المدن الفرنسية ذبحاً ونهباً وظهروا امام باريس في أعوام ٨٤٥ ، ٨٥٦ ، ٨٦١ ، ٨٨٥ ، وقد دافع الكونت أود بنجاح عن موقع

←

بربرية هبطت من الشمال وهم السلافيين والنورمان ، وكان النورمان والسلافيين أو الجر مقاتلين أشداء ، أدخلوا الدمار والفرع الى اوروبا كلها ، وتميز النورمان بغزواتهم البحرية وسيطرتهم على البحار واسهامهم بدور كبير في نشر أعمال القرصنة .. وقد تعرضت الاندلس لغزوتين من غزوات النورمان .

في عام ٢٢٩ هـ - ٨٤٣ م : كان الامير عبد الرحمن يقود عمليات القتال في تظيلة للقضاء على ترمود موسى بن موسى ، ثم تابع الامير عبد الرحمن تقدمه حتى ينبلونة حيث خاض فيها معارك ضارية ضد قوات « الافرنج » ومعهم موسى بن موسى ، وحقق جيش قرطبة انتصارات رائعة ، وفي هذه الفترة وصل كتاب الى الأمير عبد الرحمن من عامله في لشبونة « وهب الله بن حزم » يذكر فيه انه ظهر في الساحل المقابل للمدينة أربعة وخمسون مركباً من مراكب النورمان « الجوس » ويرافقها أربعة وخمسون قارباً ، فكتب الأمير عبد الرحمن الى عمال السواحل بالتحفظ ، ثم لم تلبث هذه القوات أن قامت بالانزال قرب اشيلية ، ثم اقتحموها بسبب عدم وجود حامية كبيرة للدفاع عنها ، واستباحوها سبعة أيام ، ووجه الامير عبد الرحمن قوات كبيرة لمهاجمة الغزو بقيادة نصر الحضي ، وقد استطاع نصر الحاق الخسائر الفادحة في قوات النورمان وأرغمهم على

باريس فانتخب عام ٨٨٧ م ملكاً ، ومع ان ملوكاً كارولنجيين جاؤوا بعده الا انه يعتبر أول ملوك الكابيين ، وجاء الملك شارل البسيط - حفيد شارل الألع - ليجعل النورمان يقيمون مستقرين نهائياً على مصب نهر السين بموجب معاهدة سان كلير سور - ايبث عام (٩١١ م) واتخذ قائد النورمان المدعو رولون لقب دوق نورمانديه ، ولم يلبث هؤلاء أن دخلوا الدين المسيحي وصاروا من أشد الانصار حماسة له .. وقد شملت عمليات النورمان وقرصنتهم بلاد اوروبا وانكلترا ، والاندلس والبحر الابيض المتوسط ، وكانت غزواتهم للاندلس عامي ٨٤٣ و ٨٤٤ م .

(٢) تذكر المصادر الغربية ان الغزو وقع عامي ٨٤٤ و ٨٤٩ م وهو مخالف للتواريخ العربية التي يمتد عليها أكثر من المصادر الغربية .

الانسحاب ، بعد أن كبدهم فادح الخسائر وطاردهم فالحقوا براكبهم بعض الخسائر ، وفي ذلك يقول عثمان بن المثنى :

يقولون إن الاردمانيين أقبلوا فقلت اذا جاؤوا بعثنا اليهم نصرا
ثم اقترح عبد الملك بن حبيب بناء سور في مواجهة البحر لحماية اشبيلية من كل هجوم محتمل وقوعه في المستقبل (١) .

- وفي عام ٢٣٠ هـ - ٨٤٤ م : تقدمت قوة من النورمان على متن ثمانين مركباً وقامت بالانزال عند ساحل لشبونة ، ثم تقدموا حتى قادس وشذونة واستمر تقدمهم ثلاثة عشر يوماً خاضوا خلالها معارك ضارية ضد الحاميات الضعيفة لقوات المسلمين وانتصروا عليها ثم تقدموا حتى وصلوا اشبيلية حيث توقفوا على مسافة ٤ اثني عشر فرسخاً منها ، وتصدى لهم المسلمون ودارت رحى معارك ضارية انتهت بهزيمة المسلمين ، فتابع النورمان تقدمهم وتوقفوا على مسافة ميلين منها حيث دارت رحى معركة قاسية خاضها أهل اشبيلية ضد النورمان واستطاع هؤلاء تحقيق انتصار حاسم فدخلوا اشبيلية وأعملوا فيها قتلاً وتدميراً وسبياً طوال يوم وليلة وأقاموا بها سبعة أيام وعندما وصلت أنباء هزائم الحاميات المسلمة الى الأمير عبد الرحمن وجه جيشاً من الفرسان بقيادة عيسى بن سعيد الحاجب ثم أتبعه بجيش آخر يقود قوة الفرسان فيه عبد الله بن كليب وابن وسيم وغيرهما ، كما كتب الأمير عبد الرحمن الى ولاة الاقاليم والكور ، لاستنفار الناس ، وبدأ المتطوعون يتدفقون من كل مكان ، وكان النورمان قد وصلتهم موجة جديدة من قوات الدعم فتقدموا حتى قرطبة وأعملوا فيها فتكاً وقتلاً وتدميراً وسبياً طوال ثلاثة عشر يوماً - وفي القلائد سبعة ايام - ووقعت خلال ذلك بينهم وبين المسلمين ملاحم كبيرة ، وقتل من النورمان خمسمائة مقاتل واضطروا الى العودة والالتجاء الى مراكبهم ، وعاود

.....
(١) المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٩ والبيان المغرب ٢ - ١٢٨ .

النورمان اغاراتهم فوصلوا « قبطيل » حيث أقاموا بها ثلاثة أيام ودخلوا قورة فقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين ثم دخلوا الى طلياطه فنزلوها ليلاً وأصبحوا على بعد ميلين من اشبيليا ، ثم ظهروا بموضع يعرف بالقغارين ، ومضوا بعد ذلك براكبهم واعتركوا مع المسلمين وألحقوا بهم الهزيمة وقتلوا منهم ما لا يحصى . ثم عادوا الى مراكزهم ليتابعوا تقدمهم حتى شدونة ، ووصلت قوات الامير والامدادات من قرطبة فحاصرت النورمان وقذفتهم بالمجانيق ودمرت أربعة مراكز للنورمانيين ، فأمر ابن وسيم باحراقها وبيع ما فيها من الفياء ، ثم كانت المعركة الحاسمة التي خسر فيها النورمان ثلاثون مركباً ، وصب عدد كبير منهم على جذوع النخيل وقتل قائد النورمان واستمرت هذه العمليات التخريبية ٤٢ يوماً . (١)

٦ - عمليات الردع ضد جزر ميورقة ، ومينورقة ويابسة :

-- جزر الباليئار :

- كان موسى بن نصير قبل انزال الاندلس قد وجه قوات لغزو جزر الباليئار . مينورقة وميورقة ويابسة ، واخضعها بقواته البحرية .

- وكان اسطول افريقية هو الذي يوفر عمليات الاتصال والامداد بين افريقية والاندلس ويقوم بواجب حماية الشواطئ من كل عدوان .

وعندما استقل الامويون بحكم الاندلس ، وجاء المقيث اليحصبي الى الاندلس وأشعل نيران الثورة ضد عبد الرحمن الداخل ، ظهرت الضرورة الحتمية لانشاء اسطول خاص بالاندلس . ولم يكن الامويون مجهلون دور القوات البحرية في حماية الثغور والدفاع عن حدود الدولة وهم اول من عمل على انشاء القوات البحرية وطوروا أساطيلها وأقاموا دور صناعتها واعتمدوا عليها في

(١) الكامل لابن الاثير وهو يجمع أحداث الفزرتين ويجعلها في احداث عام ٢٩٢ ٠٨
البيان المغرب ٢ - ١٣٠ - ١٣٢ . نفع الطيب ١ - ٣٤٥ - ٣٤٦ .

تقليص ظل الدولة البيزنطية وافتزاع مجالها الحيوي من قبضتها ودفعها عن البحر الابيض المتوسط حتى أصبح يعرف باسم « بحر الشام » وقد تابع الامويون وولاتهم في الاقاليم اعتماد السلاح البحري والاهتمام به حتى آخر ايام دولتهم فانتشرت المصانع في مصر ، والقيروان وتكونت ثلاثة اساطيل مستقلة هي اسطول الشام ومركزه طرطوس واسطول مصر ومركزه الاسكندرية واسطول افريقية وقاعدته تونس .

— كان من الطبيعي أن يبذل الامير عبد الرحمن « الداخل » اهتمامه لبناء قوته البحرية في مرحلة اعادة تنظيم الدولة وإرسائها على قواعد ثابتة فأصدر تعليماته لاقامة دور الصناعة، والعمل على بناء السفن وتعيين « أمير الماء » لتنظيم الأسطول ولم تفض فترة حكم عبد الرحمن الداخل حتى انتهى العمل في اقامة القواعد وأصبحت المصانع تنتج القطع البحرية في موانئ طراكونة وطرطوشة وقرطجنة واشبيليا والمرية وغيرها .. ولم يلبث أسطول الاندلس حتى بدأ في اثبات وجوده وممارسة عملياته .

— كانت جزر الباليئار وسردانية وكورسيكا عرضة للغزوات البحرية بسبب قربها من شواطئ الاندلس ، وعندما اشتدت وطأة الاغارات على هذه الجزر ، أرسل أصحابها الى شارلمان واضعين أنفسهم تحت حمايته ..

— في عام ١٩١ هـ - ٨٠٦ م : اكتسح المسلمون جزيرة كورسيكا ، وكان بيبان بن شارلمان ملكاً على ايطاليا ، وشعر المسلمون باقتراب أسطول « الافرنج » فانسحبوا ، وظن « آدمر »^(١) كونت جنوه انه يستطيع مناهضتهم ، فتوجه بقوة بحرية لمطاردتهم ، فعادت القوات البحرية الاسلامية وخاضت معركة ضد أسطول جنوه ونجحت في إلحاق الهزيمة به وقتل آدمر وأمكن أسر ستين راهباً ، أرسل شارلمان فدية عنهم وفك أسارهم .

(١) آدمر : Admer .

- وفي عام ١٩٣ هـ - ٨٠٨ م : توجهت قوة بحرية من الاندلس الى سردينيا ، فاصطدموا بمقاومة عنيدة اضطررتهم للانسحاب الى كورسيكا ، حيث جابهتهم مرة أخرى حامية الجزيرة بقيادة بورشارد^(١) وأغرقت لهم ثلاثة عشر مركباً وأرغمتهم على الانسحاب ..

- في عام ١٩٤ هـ - ٨٠٩ م : توجهت قوة بحرية من الاندلس الى كورسيكا ووصلت في الوقت ذاته قوة بحرية أخرى من افريقية ، وتم الانزال في الجزيرة وخيم المسلمون في الجهة الشرقية من الجزيرة ، بين أطلال مدينة « آليبره »^(٢) ولم يتمكن « الافرنج » من دحرهم إلا بعد جهود كبيرة ..

وفي عام ١٩٨ هـ - ٨١٣ م : قامت قوة بحرية من الاندلس بالانزال في كورسيكا وأغارت عليها ، وفي طريق العودة ، وضع الكونت « امبورياس »^(٣) كميناً بالقرب من « بير بينيسان » استولى على ثمانية مراكب للمسلمين كان فيها ما يزيد على خمسمائة أسير ، فانتقم المسلمون لهزيمتهم واجتاحوا سواحل نيس « نيقه » والبروفانس وسيفيته فيشيا^(٤) قرب روما ..

في تلك الفترة كانت اعمال القرصنة تتصاعد واصبحت خطورتها تهدد مصالح دولة الاندلس ، كما تهدد النوبة الكارولنجية . وكان القرصان يستهدفون بالدرجة الاولى القطع البحرية التجارية بين مصر والشام وبين الغرب والاندلس فارسل شارلمان الى الرشيد يلتمس وقف نشاط اسطول افريقية ، وامر الرشيد ، ولاته الاغالبية ، بالابتعاد عن حدود مملكة شارلمان وتوفي الرشيد عام ٦٩٤ هـ ٨٠٩ م . وعاود الاغالبية اعمال الغزو ، واصبحت موانئ تونس وسوسة من المراكز الاولى لقرصنة البحر . وكانت القطع البحرية

(١) بورشارد Burchard .

(٢) آليبره Aleria .

(٣) امبورياس Amporias .

(٤) سيفيته فيشيا Civita Vecchia .

للتورمان تهاجم موانئ بحر الشمال وتتمثل الى البحر الابيض المتوسط فتسهم في تصعيد اعمال القرصنة وزيادة خطورتها .

- أمام هذا الموقف توجه أمير البحر - وهو يحيى بن حكيم على الأغلب - الى اكس لاشابيل ، وعقد معاهدة مع شارلمان لجباية - أعمال القرصنة - وذلك في عام ١٩٥ هـ - ٨١٠ م ثم جددت هذه المعاهدة بعد سنتين ، ولكن نصوص هذه الاتفاقية لم تحترم وقام أسطول الاندلس بغزو كورسيكا عام ١٩٨ هـ - ٨١٣ م ، كما تقدم عبد الرحمن بن الحكم بقيادة جيش أبيه الى حدود فرنسا ..

- ولكن هذه الحادثة لم تمنع من متابعة الحوار مع « الافرنج » فتوجه الأمير عبد الرحمن بتعليمات والده في عام ٢٠١ هـ - ٨١٦ م الى مدينة كومبيان^(١) مقر الامبراطور ثم انتقل الى اكس ، لاشابيل حيث كان سيقدم مجلس شوري ، بهدف عقد اتفاقية لقمع اعمال القرصنة .

وفي عام ٢٠٥ هـ - ٨٢٠ م : انطلق أسطول الاندلس لغزو سردينيا ، واصطدم بالأسطول المدافع عنها ، وانتصر أسطول الاندلس فأغرق ثمانية مراكب وأحرق عدداً كبيراً من قطع أسطول سردينيا ..

في عام ٢٢٩ و ٢٣٠ هـ : ٨٤٣ و ٨٤٤ م قام التورمان بالانزال في الاندلس واغاروا على عدد من المدن وازلوا بها الدمار والحراب وقتلوا وسبوا أعداداً من المسابيين . وقدمت جزر الباليار مساعدة للتورمان بما اثار أمير قرطبة ودفعه الى ارسال قوة لردع هذه الجزر عن تقديم كل مساعدة للسفن الأجنبية والالتزام بنصوص الاتفاقيات الموقعة مع المسلمين والتي يجب بموجبها الامتناع عن تقديم كل دعم أو مساعدة للسفن غير الاسلامية .

في عام ٢٣٤ هـ : ٨٤٨ م : غادرت الموانئ الأندلسية قوة بحرية مكونة من ٣٠٠ سفينة بمهمة غزو جزر الباليار [... لنكايتها واذلالها ومجاهرتها بنقض

(١) كومبيان Compiegne .

العهد واضرارها بمن مر عليها من مراكب المسلمين.. [(١)] .

وقد استطاعت هذه القوة البحرية فتح جزر البليثار والحاق الضرر بها فكتب أهلها الى الامير عبد الرحمن في قرطبة رسالة للمطالبة بإيقاف اذى المسلمين . فأجابهم الامير عبد الرحمن :

[.. أما بعد .. فقد بلغنا كتابكم نذكرون فيه أمركم ، واغارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم لجهادكم واصابتهم ما أصابوه منكم من فراركم واموالكم والمبلغ الذي بلغوه منكم وما أشقيتم عليه من الهلاك ، وسأتم التدارك لأمركم وقبول الجزية منكم وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروهمم والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم ، ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم وتمنعكم عن العود الى مثل الذي كنتم عليه وقد أعطيناكم عهد الله وذمته ...] [(٢)] .

- وفي الوقت ذاته ، أصدر الأمير عبد الرحمن بتحصين المدن الساحلية ، وشحنها بالعتاتين ، واقامة حاميات ثابتة للدفاع عنها وكذلك فعل شارلمان وخليفته « لويس الحكيم » فكان ذلك بداية تحصين المدن الساحلية ضد أعمال القرصنة . كما عمل الامويون في الاندلس على تطوير صناعة السفن [وقد ذكروا انه كان للمسلمين لذلك العهدة بارعة متناهية في الكبر يظنها الراني من بعيد سوراً عالياً سائراً في البحر غزت مرة جزيرة « اوي » في بريطانيا ، عند مصب نهر لوار ...] [(٣)] .

وأما بالنسبة لأحداث الجبهة الداخلية في الاندلس خلال فترة امارة عبد الرحمن الاوسط فيمكن تلخيصها بالصفحات التالية ..

(١) و (٢) البيان المغرب ٢ - ١٢٢ - ١٣٣ ، وغزوات العرب ١٣٩ - ١٤٨ .

(٣) اوي Oye . غزوات العرب ١٤٩ .

٧ - ثورة ماردة : ٢١٣ - ٢٢٠ هـ : ٨٢٨ - ٨٣٥ م

بدأت الثورة بنهوض الثائرين الى عامل ماردة « حاكمها » وقتله ، فوجه الأمير عبد الرحمن جيشاً حاصر ماردة واخضع الثائرين وأخذ الرهائن منهم ثم انسحب الجيش بعد أن خرب سور المدينة ودمر تحصيناتها ، ثم أرسل الأمير عبد الرحمن طلباً بنقل حجارة السور إلى النهر حتى لا يعود أهل ماردة إلى الثورة والتمرد ، فعاد أهل ماردة إلى التمرد وجددوا بناء السور وأتقنوه . فتوجه الأمير عبد الرحمن عام ٢١٤ هـ ، وقاد جيشه لحصار ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله أهلها وافتكوا رهائنهم بالعامل الذي اسروه وغيره واستمر الحصار ثم عاد الأمير عبد الرحمن إلى قرطبة دون أن ينجح في إخضاع تمرد المدينة ، ووجه الأمير عبد الرحمن قواته في كل سنة . ونجح زعيم الثائرين محمود ابن عبد الجبار الماردي بالحاق هزائم في اكثر المعارك التي خاضها ضد جيش قرطبة وشهدت الجبال المحيطة بماردة ، ومدن منت ساروط ، وهلقب ومينة معارك ضارية بين الثائرين وجيش قرطبة .

لم تكن ثورة ماردة بعيدة عن الاتصال الخارجي ، فكتب لويس الحليم رسالة الى اهل ماردة جاء فيها :

[باسم ربنا الاله وباسم مخلصنا يسوع المسيح ، من لويس الامبراطور السعيد بالنعمة الالهية الى الأماقفة والشعب في ماردة ، قد اتصل بنا ماتقاسونة من العذاب من جهة الملك عبد الرحمن الذي لا يزال يرهقكم عسراً متبعاً في ذلك طريقة أبيه « ابولاز - الحكم » الذي كان يبتز أموالكم بعد ان جعل اصدقاءه اعداء وجعل الطانع عاصياً ، فالיום يريدون أن يجرموكم حريتهم وان يثقلوا كاهلكم بالضرائب وان يمسوا كرامتكم وقد علمنا انكم ايتم تحمل الاهانسة ودفتم عنكم ظلم ملوكهم ووقفتم في وجه ظمهم وغدرهم وقد جاءنا هذا الخبر من مصادر عدة فرأينا ان نكتب هذا الكتاب لتعزيتكم على ما انتم فيه

وتحريضكم على الثبات في خطتكم هذه ولما كان هذا الملك البربري عدواً لنا - كما هو عدو لكم - فأننا على استعداد للاشتراك معكم في قتاله ، وسنرسل لكم بعون الله تعالى في هذا الصيف جيشاً يجتاز البيرينة ، ويعمل باشارتكم ، فإذا زحف اليكم عبد الرحمن كان جيشنا بالمرصاد له . كما نعلمكم منذ الآن أنكم اذا ما خلعتم ملاعة عبد الرحمن واصبحتم من رعايانا فسنعيد لكم حريتكم الاولى ، دون مساس بها ، ودون مطالبتكم بأدنى مال تؤدون له لنا . ولكم أن تختاروا القانون الذي تريدون السير عليه ، ونحن نعاملكم كاصدقاء يريدون الاشتراك في الدفاع عن سلطتنا . [١٠] (١) .

مضى على الثورة سبعة أعوام ، وضاقت الأُمير عبد الرحمن ذرعاً ، فقاد جيشاً كبيراً ومضى بنفسه ، وشدد قبضته ، وبصور صاحب اخبار مجموعة اللوحة الاخيرة للمقاومة بما يلي :

[... أشقى أهل ماردة على العطب ، ونظر الأمير عبد الرحمن الى جنده وقد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه ومنعوا أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فامر بالامساك عنهم واوقف الجند عن الاستمرار في قتالهم ، ثم دعا بوزرائه وقواده وقال لهم قد علمتم ما كان من تغلب رجالنا على هؤلاء ، الظلمة لانفسهم ، ولم يكن رفعتنا ما رفعتنا عنهم الا قريبي الله عز وجل فيهم ورافقتهم قتل اولادهم واطفالهم ومن لا ذنب لهم ممن استكروا على نفسه منهم ، ونحن نرى استجداب النصر من حيث عودنا الله وعرفنا من العفو والصفح ، وقد عزمنا على الانتقال عنهم ، فان ابصروا قدر يدنا في الابقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من

(١) الكامل لابن الاثير احداث ١١٣ ، تاريخ غزوات العرب ، اوسلان وفيه ان الرسالة كتبت عام ٨٢٦ ، والاحتمال الاكثر صعة هو انها كتبت عام ٨١٦ . وفقاً لسيرة الاحداث عند المؤرخين العرب .

ورائهم محيطاً وعلى الانتقام منهم قديراً ، فهو الذي أيدنا وقهرهم ونصرنا
وكتبهم ..] فلم ينتقل من موضعه حتى وافته رسلهم بطاعتهم والالتقاء اليه
بايديهم ، واخراج اصحاب الفتنة من بينهم (١) .

— لم يبق امام قائد الثورة محمود بن عبد الجبار ، الا الفرار ، فالتجأ الى
العدو ووصل إلى جيليقية ، ثم انه أراد العودة الى بلاد المسلمين ، والخضوع
لأمير الاندلس عبد الرحمن ، فحاربه الفونس ملك جيليقية ، وجمع فرس الثائر
محمود ، فصدم الفارس بشجرة بلوط قتله ، وبقي مجدلاً في الارض حيناً عام
٢٢٥ هـ (٢) .

٨ - الفتنة الطائفية :

فتح العرب المسلمون الاندلس ، وتركوا لأهلها حريتهم الدينية ، وكذلك
فعلوا عندما اقتحموا بلاد الغال « فرنسا » وانتشرت قواتهم في اللانغدوك
والبروفانس وسبانيا (٣) .

— ثم ظهر تطور جديد بعد معركة بلاط الشهداء ، فبدأت الاغارات تحمل
طابع القسوة والعنف وأخذت الهجمات تنتقم من المقاومة بطريقة شرسة فدمر
بنتيجة ذلك عدد من الكنائس الواقعة في مدن الثغور مثل : دير جوسل قرب
بيزييه ، ودير القديس بوزيل (٤) قرب نيم ، ودير صنجيل (٥) قرب آرل ، ودير

(١) أخبار مجموعة ١٣٩ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ٤٨/١ .

(٣) السبائية : الاقليم الذي ضم المدن السبعة الآتية : ناربون ، نيم ، واقد ، بيزييه ، لوديف ،
كاركاسون ، ماغلون .

Narbonne. Nime. Agde. Beziers, Loodéve. Carcassonne.
et Maguelone.

(٤) القديس بوزيل Saint Bausile

(٥) دير صنجيل Saint Gilles

الترتيل^(١) قرب آغيمورت^(٢) وسمي هذا الدير بدير الترتيل نتيجة لتناوب الرهبان في تلاوة الأناشيد الدينية في الليل والنهار وباستمرار .. لكن معاملة الجيش الاسلامي للأقاليم الخالية من المقاومة لم تتغير ولم تتعرض مدنها للخراب ولا كنائسها للدمار ..

- استمرت بعد ذلك أقاليم شمال الاندلس والحدود الجنوبية من فرنسا مسرحاً للصراع بين المسلمين و « الافرنج » وأخذ الدمار يستولي على المدن والقرى والمساكن والكنائس دون تمييز .

ولم يكن وضع هذه المناطق عندما استعادها شارلمان وخلفاؤه أحسن مما كان وضعها بين أيدي العرب ، فقد كان من سياسة مؤسسي الدولة الكارولنجية الاستيلاء على أموال الكنيسة^(٣) والاستعانة بثرواتها من أجل دعم الجهاز الاداري والقوات المسلحة ، فاذا ما أضيف الى ذلك ان جميع أهالي جنوب فرنسا كانوا يعتبرون جيش الشمال من البرابرة في حين يمدون أنفسهم بطبيعة احتكاكهم مع حضارات البحر الابيض المتوسط من رومانية ويونانية ، أصحاب حضارة سابقة وأصيلة ، ولهذا لقي العرب عوناً صادقاً من سكان الجنوب خلال المرحلة الأولى من الفتوحات .. ومقابل ذلك انضم عدد من القسس والرهبان الى جيش شارل مارتل أمثال « هينثا روس » مطران اوكسير وقاتلوا الى جانبه وهم في ثياب الاسقفية ، واعتبروا شارل مارتل منقذاً للمسيحية .

(١) دير الترتيل Psalmodie .

(٢) آغيمورت Aiguemortes .

(٣) عندما اخراج شارل مارتل المسلمين من جنوب فرنسا وزع شارل مارتل أموال الكنيسة وأراضيها على الكونتات فوجد اسقف فيين ، واسه فيلكاريوس Wilicarius نفسه بدون ابرشية فتوجه الى فاليس Valais حيث عينوه اسقفاً لكنيسة سانت موريس . Saint Maurice

وعندما انتهى الامر الى الامويين في الاندلس ، تابعوا سياستهم المعروفة باطلاق الحريات الدينية فكان هناك اسقفية في قرطبة واشبيلية وطليطلة وفي كل مدينة كبيرة ، وكان هناك قسيسون في كل مكان وقد افاد هؤلاء من مناخ الحرية فانطلقوا يمارسون اعمالهم واقبلوا على تعلم العربية ، ومراعاة مشاعر السكان المسلمين مثل تجنب أكل لحم الخنزير ، واخذوا يطلقون على ابنائهم الاسماء العربية وفتحت الدولة العربية - الاسلامية صدرها للمخلصين لها من المسيحيين واليهود فتربعوا على اسمى مناصب الدولة واحتلوا مراكز الصدارة في السلطة ..

- خلال هذه المراحل من الصراع بين أندلس المسلمين ، وفرنسا المسيحية أخذت الكنيسة تمارس دورها لاثارة السكان ضد « دولة الاسلام في الاندلس » وتجاوب مع هذه الدعوة في بدايتها عدد ضئيل من القسس يحتل « هارفكتس » مركز الصدارة بينهم وقد برز اسمه بسبب الحادثة التالية :

[ذات يوم وبينما كان القسيس « هارفكتس » يصير في قرطبة ، تعرض له احد المسلمين لاستشارته حول امور زواج المسيحيات بالمسلمين ، ثم تطور الحديث الى مناقب نبي الاسلام ، فكان في بعض اجابات القسيس ما ينال من مكانة النبي العربي ، وانتشر قول القسيس بين المسلمين فاعتقلوه وذهبوا به الى قاضي قرطبة ، فلم ينكر اقواله ، وقذف الالهات والشتائم ، فأصدر القاضي حكمه باعدامه ، فأعدم مع عدد من انصاره امثال (يولوجيوس) ، و (الفارو) ، ومن النساء (فلورا)^(١) نظراً لما كانوا يقومون به من الدعاية واثارة الحماسة ضد المسلمين] .

- كان لهذا الحدث دور كبير في اشعال نار الحقد الكامن في صدور بعض المسيحيين فانطلقوا بصورونها « بمأساة انسانية » وتطور الوضع الى ما يهدد الانفجار ، وخشي قسس الاندلس اضاعة المكاسب التي وفرتها لهم الدولة الاسلامية

(١) فلورا Flora .

فأسرعوا الى عقد اجتماع عام ٢٣٦ هـ - ٨٥٠ م قرروا فيه منع شتم النبي العربي ،
[وان القذف بنبي الاسلام عمداً ، حباً بالقتل والشهادة ، هو مخالف لروح
الانجيل ..]

وتمت تسوية المشكلة - ظاهرياً - .

٢ - محمد بن عبد الرحمن

وحروب الاستنزاف

٢٣٨ - ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ - ٨٨٦ م

ولي حكم الاندلس خلال هذه الفترة الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم
ابو عبد الله .

- كانت الاندلس في حرب دائمة ومعارك مستمرة وصراع مرير ، حرب مع
اعداء الخارج ، ومعارك مع اعداء الداخل وصراع مع القوى المتنافرة . وكانت
هذه الحروب والمعارك تستنزف قدرة الدولة ، فكان أمراً طبيعياً أن يهتم أمراء
الاندلس بأمر إعادة التنظيم في اعقاب كل معركة ومع بداية كل عهد . ومن الامور
الواضحة في عمليات الاندلس العمل باستمرار لإعادة تنظيم القوات بحيث يتم
التناوب لقيادة الصوائف وتوجيه الجيوش مع إعادة تنظيم قوى الحاميات واستبعاد
القادة غير الكفاء وتعيين من هم اكثر قدرة وكفاءة .

تولى الامير محمد بن عبد الرحمن أمور الاندلس ولديه من الخبرات القتالية قدراً
كبيراً وكان ممن يهيم بالقتال وقيادة الجيوش فكان أول عمل له إعادة بناء القوات
المسلحة والقوات البحرية وإعادة تنظيم الحاميات ، وتحديد قوتها مع الاخذ بعين
الاعتبار قدرة كل اقليم .

ففي مجال بناء القوات المسلحة ، زج الامير محمد كل الامكانيات ، وأسقط
ضريبة البعوث والحشود ، وهي تماثل بدل خدمة العلم ، لكنها كانت تدفع في
كل سنة لقاء عدم الاشتراك في القتال . ولم يعمل الأمير محمد على اتباع أسلوب

الالزام في خدمة الجيش مقابل اسقاط الضريبة ، بل ترك الأمر طواعية لكل قادر على القتال ، واستثار حمية العرب المسلمين في قرطبة والأقاليم فأقبل المتطوعون عليه من كل مكان وتدفقت جموعهم فنكون لديه جيش ضخم .

– وعمل الأمير محمد على دعم القوة البحرية وزيادة قدرتها لتحقيق اهداف ثلاثة :

١ – ردع كل محاولة للعدوان على المياه الاقليمية مستفيداً في ذلك من تجربة انزال النورمان في عهد والده ، واغارتهم على المدن الاندلسية وتخريبهم لها .

٢ – القيام بعمليات غزو بحري عند الساحل الشرقي للاندلس .

٣ – القيام بعمليات غزو بحري عند الساحل الغربي للاندلس ، والتخطيط لغزو جيلية من البحر ، بعد أن فشلت كل محاولات الغزو البري في الوصول الى نتيجة حاسمة وتصفية تمرد الاقليم .

– ونظراً للدور الكبير الذي يقوم به الفرسان كقوة ضاربة أساسية فقد عمل الامير محمد على اعادة تنظيم هذا السلاح وزيادة حجمه ، وفرض عدد محدود على كل اقليم ، فتكون من ذلك سلاح قوي وقادر على الاضطلاع بالاعباء الملقاة على عاتقه في تحقيق الامن والاستقرار الداخلي وردع العدوان الخارجي ، وتظهر قوة سلاح الفرسان من خلال الجدول التالي :

قوة الفرسان المستنقرة من كل اقليم لغزو الصانفة
في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

ملاحظات	كتيبة	قوة الفرسان	المنطقة أو الاقليم «الكورة»
	الفان وتسع مائة	٢٩٠٠	ألبيره
	الفان ومائتان	٢٢٠٠	جيان
	الف ومائتان	١٨٠٠	قبره
	تسع مائة	٩٠٠	باغه
	مائتان وتسع وتسعون	٢٩٩	تاكرفنا
	مائتان وتسعون	٢٩٠	الجزيره
	الف ومائتان	١٢٠٠	اسجه
	مائة وخمسة وثمانون	١٨٥	قرمونه
	ستة آلاف وسبع مائة وتسعون	٦٧٩٠	شدونه
	الفان وستة مائة	٢٦٠٠	ريسه
	اربع مائة	٤٠٠	فحص البلوط
	الف واربع مائة	١٤٠٠	مورور
	مائة وستة وخمسون	١٥٦	تدمير
	مائة وستة	١٠٦	ريينه
	ثلاثمائة وسبعة وثمانون	٣٨٧	قلعة رباح واوريط
	واحد وعشرون الفاً وستمائة وثلاثة عشر فارس	٢١,٦١٣	المجموع

* يضاف الى هذه القوة ، المتطوعون من قوطبة ومن الاقاليم الاخرى ،
وبذلك يتضاعف العدد اخضاعاً ، ولكن ليس هناك احصاء دقيق لها ..



- تولى الأمير محمد بن عبد الرحمن حكم الأندلس وقد أخذ الاستقرار النسبي والهدوء الظاهري يعرفان طريقهما الى ربوع الجزيرة بعد أن جهد والده الأمير عبد الرحمن حتى استطاع ردع الأعداء الخارجيين ، واخضاع تمرد الثوار في الداخل ، وساعده في ذلك تمزق سلطة الكارولنجيين وتواتر غزوات الشمال من نورمان وسلاف « بحر » ، لكن الصعاب والعقبات ظهرت من جديد مع تسلم الأمير محمد مقاليد السلطة ، حيث استأنف أعداء الأندلس التقليديين استخدام أساليب «السر» لمعرفة ردود فعل العهد الجديد ، ومتابعة أسلوب «الاستنزاف» لامتناس قدرة الدولة وارهاقها بالاعباء الثقيلة حتى تصل المرحلة التي يستحيل عليها بعدها متابعة الصمود والاستمرار.. ويمكن تقسيم أعمال حرب الاستنزاف ضمن اطار مجموعتين :

١ - قمع الثورات الداخلية .

٢ - أعمال الردع - الخارجية - والهجمات الدفاعية ..

احباط عملية السير :

- كان الأمير محمد يعرف ان قوات الشمال ستبدأ عدوانها منذ الايام الاولى لاستلامه الحكم ، فأسرع الى تنظيم قواته وتوجه بها نحو الشمال فوجد العدو وقد حشد قواته ، وزج كل امكاناته [حتى ضاق بخيله الفضاء الواسع والمكان الداني والثاسع ..] . وقرر الأمير محمد في البداية الرجوع وعدم مجابهة تفوق العدو ، والاستعداد لمعركة مقبلة ، واستشار الأمير محمد المخلصين له فقال له أحدهم :

[.. ايها الأمير ، قال تعالى : الذين قال لهم الناس ان الناس ان جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ..]^(١)
وأخيراً ، قرر الأمير خوض المعركة . وانصرف الى تنظيم القوات واثارة

(١) آل عمران الآية ١٧٣ - ١٧٤ .

الحامسة والاستعداد للقتال ، وبدأت قوات المسلمين معركتها منذ الفجر المبكر ،
[ولم يؤذن مؤذن الظهر الا ومن رؤوس الأعداد جملة آلاف مقطوعة
لأعداء الله ..]

وانتهت المعركة بتحقيق نصر حاسم . ورجع الأمير محمد الى قرطبة يحمل
رايات الظفر (١) .

١ - عمليات الردع الخارجية ..

أ - معركة وادي سليط .

ردع لقوات جيليقية والبشكنش ، وقمع لثورة طليطلة ..

قد يكون من الصعب فصل عمليات ردع جيليقية والبشكنش عن عمليات
قمع ثورة طليطلة بسبب تلاحمها الوثيق ، وان استعراض أحداث هذه الثورة
وقائعها يظهر بوضوح طبيعة التلاحم العضوي بين اعداء الداخل واعداء الخارج .
وكان من الطبيعي مجابهة هذه العمليات بردود فعل مزدوجة .

- لم يكفد الأمير محمد ينهي عملياته لردع عمليات السبر حتى تحركت طليطلة
واعتقل الثائرون فيها عامل أمير قرطبة وطالبوا اطلاق رهائنهم ممن تحتفظ بهم
قرطبة ، لقاء اطلاق سراح عامل الامير محمد . فاضطر الأمير أن يستجيب
لطلب الثائرين ، ريثما تتوفر فرصة أفضل يكون فيها أكثر استعداداً لقمع
حركة التمرد .

(١) البيان المغرب ٢ - ١٦٢ ، وفيها قال الشاعر العتي :

سائل عن الشعر الصوارم تصدق	وامتنطق السمر العواني نطق
تركت وقائع في الثغور وقد عدت	ملا بكل مغرب وشرق
وأداخ ارض الشركين بوقعة	تركهم مثل الأشاء المحرق
جادت عليهم حرب بصواعق	تركهم مثل الرماد الأزرق

الأشاء : صفار النحل .

- وفي صيف عام ٥٢٣٩ هـ - ٨٥٣ م : وجه الأمير محمد ابنه الحكم لقيادة الصائفة ، ووصل الحكم قلعة رباح فوجد ان أهلها قد غادروها بسبب ثقل وطأة ثوار طليطلة عليهم وتخريبهم لحصونهم ، فأمر الحكم بإعادة تحصين المدينة ، وتشديد أسوارها ، ثم أعاد أهلها إليها ، واستنزلهم من القفر والجبل . وكان الأمير محمد قد وجه في الوقت ذاته جيشاً كبيراً بقيادة قاسم بن العباس وفيه قائد قوة الفرسان تام بن أبي العطاف ، للقيام بمهمة اخضاع طليطلة ، وتوجه الجيش في اتجاه شندلة ، وعندما وصل « اندوجر » وقع جيش قرطبة في الكمائن التي وضعها ثوار طليطلة ، ودارت رحى معركة طاحنة انتهت بهزيمة جيش قرطبة هزيمة منكرة^(١) .

- وفي الوقت ذاته كلف الامير محمد ، جيش « تطيلة » بالهجوم على ألبة والقلاع ، وانطلق والي تطيلة موسى بن موسى يبيشه وهاجم اقليم البة والقلاع وفتح بعض حصونها كما وجه قوة أخرى إلى اقليم برشلونة ، فعاثوا فيها وفتحوا حصوناً من برشلونة ورجعت القوة إلى قاعدة انطلاقتها في تطيلة بعد أن نجحت في تنفيذ عمليات الردع^(٢) .

- وفي محرم سنة ٥٢٤٠ هـ - يونيو ٨٥٤ م : خرج الامير محمد بنفسه إلى طليطلة بهدف اخضاع تمردها ، وأرسل أهل طليطلة إلى أردون بن الفونس ملك جيليقية ، والي ملك البشكنش ، يستنجدان بها فأرسل أردون قوات كبيرة من جيليقية بقيادة أخيه « غثون » في جمع عظيم من النصارى ، وعلم بذلك الأمير محمد فنظم قواته في « وادي سليط »^(٣) ونصب الردود « الجانيق » ، وأقام الكمائن ثم انطلق بقوة صغيرة وعندما وصل إلى طليطلة وشاهد الأعداء هذه القوة الصغيرة ، خرجوا لقاتلها ، وتظاهر الامير محمد بالانسحاب واستطاع قيادة

(١) ابن عذارى ٢ - ١٤١ ، وابن الاثير احداث ٥٢٣٩ هـ .

(٢) نفع الطيب ، احداث سنة ٥٢٣٩ هـ .

(٣) وادي سليط Auzalete ، نهر يصب في التاجه جنوب طليطلة .

قوات أعدائه حتى وصل بهم إلى مواقع الكهائن . وأحاطت قوات المسلمين بجيوش جيليقية والبشكنش وأهل طليطلة ، وبدأت معركة طاحنة ، أفاد فيها المسلمون من عامل المباغتة وأرغموا خصومهم على الفرار بعيداً عن ميدان القتال بعد أن تركوا في ساحة المعركة ما يزيد على ثمانية آلاف قتيل . في حين وصلت الخسائر الكاملة للعدو حتى عشرين ألف قتيل (١) .

– على الرغم من هذا النصر الحاسم ، فإن الأمير محمد لم يتمكن من إخضاع طليطلة وتابع المتعصبون أمثال « ايلوج » وصحبه في نفث السموم الحاقدة وتصوير موقف النصارى في حكم المسلمين بأبشع الصور ، وأصبحت طليطلة القاعدة الرئيسية لعمل القسس الحاقدين (٢) .

– أمام هذا الموقف وجه الأمير محمد عام ٢٤١ هـ - ٨٥٥ م ، حاميات ثابتة للدفاع عن قلعة رباح وطلبيرة وعين عليها قائداً حازماً هو الحارث بن بزيح . وفي الوقت ذاته قاد الأمير محمد جيشه إلى البية والقلاع وأوغل في تقدمه حتى وصل آخر حدود نافار والباسك وفتح عدداً كبيراً من الحصون وذلك لردع المملكتين المذكورتين وعدم السماح لهما مرة أخرى بتقديم دعم فعال لثائري طليطلة .

وفي صيف عام ٢٤٢ هـ - ٨٥٦ م : وجه الأمير محمد جيش تطيلة بقيادة موسى بن موسى للقيام مرة أخرى بالاغارة على « برشلونة » فغزا موسى بن موسى برشلونة ، واقتتح حصن طراجة ، وهو من آخر حصون برشلونة كما نجح في أسر بعض امرائها وأرسلهم الى قرطبة .

– في الوقت الذي كان فيه موسى بن موسى يمارس عمليات عزل طليطلة من الشمال ، كان المنذر ابن الأمير محمود يقود جيشاً كبيراً لحصار طليطلة وعزلها عن

(١) البيان المغرب ، ابن عذارى ٢ - ١٤٢ ، والكامل في التاريخ أحداث سنة ٢٤٠ هـ .

(٢) لمطالعة تفاصيل دور هؤلاء القسس التخريبي ، يفضل مراجعة كتاب تاريخ المسلمين في

الاندلس ، دوزي ٥ - ٣٥٥ ، طبعة باريس ١٩٣٢ .

كل ما يحيط بها وتدمير مرافقها الحيوية ، ولم يحاول أهل طليطلة مجابهة جيش المنذر بعد الكوارث الكبيرة التي نزلت بهم في عمليات السنين السابقة (١) .

وفي عام ٥٢٤٣ هـ - ٨٥٧ م : غادر أهل طليطلة مواقعهم ، وانطلقوا بهجوم منظم وقوي في محاولة للاستيلاء على طليطلة وتدمير الحامية المدافعة عنها ، فتصدى لهم قائد الحامية « مسعود بن عبد الله العريف » وأوقع بهم فادح الخسائر وقتل منهم مئاة أرسلت رؤوس سبعائة منهم الى قرطبة ..

وفي عام ٥٢٤٤ هـ - ٨٥٨ م : خرج الامير محمد بنفسه الى طليطلة ، وعلى الرغم من كل ما أصاب الثائرين من مصائب ، وما توالى عليهم من نكبات ، فقد تابعوا بعناد تمردهم ، وعندما وصل الأمير محمد الى طليطلة ، اعتصم أهلها بمواقعهم ، فجمع الأمير قاداته ، والعرفاء من البنائين والمهندسين ، وطلب اليهم تفويض دعائم الجسر ، ثم تظاهر جيش قرطبة بالانسحاب واندفع أهل طليطلة بعد أن ثبت لهم حقيقة تراجع جيش الأمير محمد ، ووقفت جموع أهل طليطلة على الجسر - القنطرة - فانهارت بهم وسقطت أعداد كبيرة منهم فماتت غرقاً بالنهر ، ووجد أهل طليطلة استحالة الاستمرار في حرب أمير قرطبة لا سيما بعد أن توقفت كل مساعداتهم من الشمال فطلبوا الصلح ، ووافق الامير محمد على ذلك . وخدمت ثورة المولدين والتصارى المعاهدين (٢) وكانت معركة

.....

(١) البيان المغرب ٢ - ١٤٣ - ١٤٥ ، وابن الاثير احداث سنوات ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) وفي الوقت ذاته عمل الامير محمد على قمع ثورة التصارى المتمصين في قرطبة وحوكم القس ايلوج ، المرحض الارل على الثورة ، وقضى بإعدامه ونفذ الاعدام فيه كما نفذ الاعدام بصاحبته ومعاونته ليوكريسيا ، في آذار ٨٥٩ م ، وبذلك أمكن للامير محمد اخفاء هيب الثورة ، ولطالمة مزيد عن تعريض التصارى ، وما قاموا به من أعمال - للطالمة - :

Histoire des Musulmans de L'Espagne Paris 1932 V.i P. 355, 356 , 362 .

وادي سليط^(١) هي البداية الحاسمة التي انتهت باخضاع هذا التمرد الذي استمر حتى عام ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م .

ب - مجابهة غزو - النورمان -

لم يكد الأمير محمد ينهي عصيان طليطلة حتى جوبه بعدوان جديد قام به النورمان .

ففي عام ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م ظهرت في مياه المحيط ، غرب الاندلس قوة بحرية مكونة من ٦٢ اثني وستين مركباً . وكانت قطع البحرية الاندلسية قد أفادت من المدوان السابق فنظمت عملياتها وأخذت تقوم بجولات مستمرة على امتداد المسافة ما بين جيليقية شمالاً والجرف جنوباً ، وحاولت قوات النورمان الاقتراب ودفعت مركبين فاستولى عليها المسلمون بالقرب من « باجة » مع ما عليها من ذهب وفضة وسبي وأعتدة . فتابعت مراكب النورمان تقدمها حتى وصلت قريباً من مصب نهر اشبيليا في البحر ، وأصدر الأمير محمد أوامره الى الأقاليم باستنفار المقاتلين . ووجه قوة كبيرة بقيادة عيسى بن الحسن الحاجب .

— نجحت زوارق ، النورمان في اقتحام الاندلس عند مصب نهر أشبيلية .
وتم انزال القوات التي تقدمت حتى الجزيرة الخضراء وخاضت معركة مع

(١) وصف الشاعر عباس بن مرداس معركة « وادي سليط » بقصيدة منها :

لهوم الفلا عبل القبانل ملتف	ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف
بروقاً تراهى في الغمام وتستغني	اذا أومضت فيه الصوارم خلتها
قراقير في يم عجزن عن القذف	كان ذرى الأعلام في ميلاتها
على النفر المبدان والعصبة الغلف	بكنى جبلاً وادي سليط فأعولا
أرى الموت قدامي وتحقي ومن خلفي	بقول ابن يوليس لموسى وقد تأتي
وألفاً وألفاً بعد ألف إلى ألف	قتلنا لهم ألفاً وألفاً ومثلها
فاغرق فيه أو تدأدأ من جرف	سوى من طواه النهر في مُسَلْحَبِه

ابن عذارى ٢ - ١٦٦

المسلمين انتصر فيها النورمان . واعملوا في اشبيليا تدميراً واحراقاً رسيماً . ثم رجعوا الى ريف الاندلس وتجمعت قواتهم عند ساحل « تدمير » ، ثم تقدموا منه الى حصن اوربولة ومنها الى افرنجة حيث شتوا بها واستباحوا الأموال والنساء والأطفال . وبعد ذلك رجعوا الى ريف بحر الأندلس ، وكانت البحرية الاسبانية تلاحق مراكب النورمان فاغرقت منها أربعين مركباً . وركب النورمان زوارقهم فطاردتهم قطع البحرية الأندلسية واستولت على مركبين قرب شذونة كاتا مثقلين بالغنائم والأموال ، ومضت بقية المراكب ، وأمكن لها الفرار بعد أن تكبدت خسائر فادحة . ثم ظهرت مراكب النورمان في الشمال فقامت بازال قريباً من بنبلونه ، ونجحت في أسر ، حاكمها غرسيه ، ولم تطلق سراحه الا بعد أن دفع فدية كبيرة . كما أغارت قوات منهم على الجزائر الشرقية « البليثار » وعلى شواطئ بروفانس حيث عبروا وادي اردونة « الرون » ودمروا مدن آرل ، ونيقة « نيس » ، وفالانس « (١) » .

٣ - عمليات الردع في الشمال :

١ - أصبح تحالف غرسية اوجارسيا ملك نافار وأردون (٢) ملك جيليقية يشكل خطراً على الحدود الشمالية للاندلس . وأفاد الأمير محمد من الضربة التي وجهها النورمان ضد نافار ، فنظم قوات كبيرة ووجهها عام ٢٤٦ هـ - ٨٦٩ م . بقيادة حاكم طرطوشة للقيام بمهمة الردع في مملكتي نافار وجيليقية . [وخرج حاكم طرطوشة بجيشه خروجا لم يخرج قبله مثله جمعاً وكثرة وكمال عدة وظهور هيبة] وانطلق في اقاليم بنبلونة متردداً فيها اثنين وثلاثين يوماً يخرب المنازل ويقتحم الحصون وفي طبيعتها أهمية حصن « قشتيل » حيث أسر فيه

(١) ابن الاثير ، احداث سنة ٨٤٥ هـ ، وابن عذارى ٢ - ١٤٦ هـ ، ونفع الطيب ١ - ٣٥٠ .

(٢) هو اردن ، أو ، اردون بن الفونس Ordano

فرتون بن غربية المعروف « بالأنقر » وقدم به الى قرطبة فأقام بها نحواً من عشرين سنة ثم رده الأمير الى بلده .

٢ - وفي عام ٨٢٤٧ - ٨٦١ م : أراد الأمير محمد متابعة أعمال الردع في جيليقية فكتب له عامله موسى بن موسى طالباً تقدم الصائفة عن محور غير محور تطيلة نظراً لما أصاب قوات موسى من إرهاب وخسائر في عملياته السابقة ونظراً لما تعرض له اقليمه من دمار وخراب بسبب وقوع الحرب في اقليمه فاستجاب الأمير محمد لطلب واليه موسى بن موسى ووجه جيشاً كبيراً بقيادة محمد بن سليم ، ونجح جيش قرطبة بانزال فادح الخسائر باقليم جيليقية .

٣ - وفي عام ٨٢٤٨ - ٨٦٢ م : تقدم موسى بن موسى ^(١) لمقاتلة ابن سالم

(١) موسى بن موسى بن فرتون بن قسي « القسوي » وكان جدهم الاعلى الكونت قسي Kasi من أشرف القوط ، وكان جدهم الأعلى هذا وقت الفتح من حكام الثغر الأعلى « أراجون » فاعتنق الاسلام حتى يحتفظ بمكائنه وأصبح اولاده من بعده زعماء المولدين في الثغر ، وكانت لهم باستمرار علاقات مصاهرة مع جيرانهم من أمراء البشكنش النصارى وغيرهم (المقتبس ، ابن حبان القرطبي ١٦ و ١٧) . كان موسى بن موسى ، ينزع الى الاستقلال باقليمه بحيث لم تكن علاقته بأمر قرطبة تتجاوز حدود الولاء الاسمي وقد رضي الأمير عبد الرحمن ومن بعده الأمير محمد بذلك للافادة منه ، كقاعدة متقدمة في مواجهة الشمال . وكانت علاقات موسى بن موسى بملك ليون - اردونيو - تتأرجح بين الخصومة والتحالف وفقاً للظروف ، ذلك أن اردونيو كان ينظر الى نمو جاره في القرب - موسى - بعين الغلظ . وكان موسى في الوقت ذاته يحرص على تحصين ثغوره المتاخمة لمملكة ليون . فتوجه عام ٨٢٤٨ - ٨٦٢ م الى الثغر لتحصين قواعده ومعه صهره جارسيا امير نافار فحاول « اردونيو » دعه ، موسى ، وهاجم بعض الحصون التابعة لموسى وفي مقدمتها حصن « البلوة » . ونشبت بين الفريقين معركة ضارية قتل فيها جارسيا كما أصيب ذاته بجراح توفي على أثرها .

- خسرت قرطبة بوفاة موسى عاملاً قوياً ، كان يحفظ لها الشمال الشرقي ، ويقف سدأ في وجه كل عدوان فلما توفي أعلن ابنه « لب » خضوعه لاردونيو ملك ليون ، وتحالف معه ضد

←←

في وادي الحجارة ، وخاض معركة تضارية اصيب فيها بجراح لم يلبث أن توفي على أثرها .

٤ - وفي عام ٨٢٤٩ - ٨٦٣ م ، توجه عبد الرحمن بن الأمير محمد على رأس جيش كبير بقيادة عبد الملك بن العباس ، في اتجاه الشمال ، ووصل إلى اقليم « البه والقلاع » وطبق في عملياته « استراتيجية الأرض المحروقة » فدمر الحصون ، وأحرق المزارع والقرى ومزق كل مقاومة جابهته ، وعندما وصل جيش المسلمين الى « مضيق الفج » وهو محور التقدم إلى قلب جيليقية إصطدم بقوات الجيش الكبير الذي وجهه ملك جيليقية « أردون بن ألفونس » بقيادة أخيه ، ووقعت معركة طاحنة أظهر المسلمون فيها قدراً كبيراً من الصبر والتصميم حتى استطاعوا انتزاع النصر ، ونجح القائد عبد الملك في تعزيق جيش جيليقية وكعبه فادح الخسائر وكان من بين قتلى العدو تسعة عشر كونتاً - قومساً - . وأمضى الأمير عبد الرحمن السنة التالية في إعادة تنظيم القوات والاستعداد ، ثم وجه جيشه بقيادة ابنه عبد الرحمن لتابعة أعمال الردع في الشمال .

٥ - وقعة الخندق - بمركوين - ٨٢٥١ : ٨٦٥ م :

- أفاد رودريك من الهدوء الذي تميز به عام ٨٢٥٠ بسبب عدم توجيه جيش من قرطبة إلى جيليقية ، فعمل رودريك على تحصين حدود اقليمه وسخر أهل مملكته لاقتطاع أطراف الجبال عند المضائق وجعلها قائمة يصعب على الفرسان تسلقها ، ثم حفر الخنادق عند محاور الطرق وفي الوقت ذاته ضمن حماية جبهة بلاده باقامة تحالف بين حكام القلاع وتوته وبرجيه ومسافقه .

المسلمين وزحف الى وادي الحجارة بهدف الاستيلاء عليه . فتصدى له ابن سالم والحق به الهزيمة وأصابه بجراح توفي بعدها فانتهى الأمر لاختوته الثلاثة اسماعيل ، ومطرف وفرتون . واصبحت الولايات الشمالية ، مصدر الاضطرابات مما فرض على امير قرطبة تركيز جهدها خاص بها .

- في بداية صيف عام ٨٦٥ م ، قاد عبد الرحمن بن الأمير محمد قوة الصائفة ووصل بها حتى نهر دوبره ، وانضمت اليه قوات دعم كبيرة من الأقاليم كلها ، فأعاد تنظيم قواته ، ثم تقدم حتى مضيق « برديش » ، اوفج برديش ، حيث وقع الصدام الأول مع حاميات الحصون والقلاع ، ونجح عبد الرحمن في الاستيلاء على أربعة منها ودمرها وابد الحاميات المدافعة عنها ، ثم استأنف تقدمه مدمراً ، التحصينات التي جابهته حتى لم يبق في الأقاليم الأربعة موضع للمقاومة إلا وأصابه الدمار . وبذلك أصبح الطريق إلى جيليقية مفتوحاً ، فتقدم جيش المسلمين إلى « الملاحة » وكانت من أكثر أقاليم جيليقية أهمية ، فاعمل فيها تدميراً واحرقاً وعندما وصل في تقدمه الى « مضيق الماركوين » تصدت له الحامية المدافعة عن محور الطريق ، لكن قوات المسلمين نجحت في ازالة المقاومة بسرعة وارغمتها على ترك مواقعها . وتوقفت قوات المسلمين أمام الخندق .

- أرسل عبد الرحمن مغازز الاستطلاع لتعديد مواقع الكيائن المعادية وقوتها عند جانبي الطريق وفي العمق . ثم قام بتنظيم هجومه الحاسم على ضوء المعلومات الدقيقة التي أمكن الحصول عليها ، ودارت معارك قاسية بين قوات الطرفين وقعت خلالها خسائر فادحة من قوات المسلمين وخصومهم على حد سواء ، لكن قوات المسلمين استطاعت في النهاية أن ترغم جيش جيليقية على ترك مواقعه الحصينة والانسحاب حتى التلال الواقعة على مسافة بعيدة خلف الخندق .

- أصدر قائد الجيش ، عبد الرحمن - أوامره بالتوقف ، واقامة معسكر للمسلمين بهدف اقناع خصمه بعدم جدوى المقاومة ، وتعريفه بتصميمه على البقاء حتى احراز نصر حاسم . وتابع قائد الجيش في الوقت ذاته توجيه الاغارات في الوقت الذي كان يتم فيه ردم الخندق ونسوية المواقع وازالة المقبات ، وعندما

انهى المسلمون استعدادهم ، نظم قائد الجيش هجوماً حاسماً استطاع أن يمزق به قوات خصمه التي أخذت في الفرار بعيداً عن ميدان المعركة دون نظام . طارد فرسان المسلمين فلول قوات جيش رودريك حتى الأزون ، واقتحموا عليهم نهر ابرة فالقى عدد كبير منهم أنفسهم بالنهر وماتوا غرقاً . - وفي الوقت ذاته انطلقت مجموعات أخرى من الفرسان لمطاردة الهاربين في الجبال والقياض وأبادوا منهم مجموعات كبيرة .

- كانت معركة الخندق « في مر كوين » من المعارك الكبرى بحيث وصل عدد قتلى العدو إلى ٢٠٤٧٢ عشرين ألفاً وأربعمائة واثنين وسبعين قتيلاً^(١) .

٦ - ٢٥٢ هـ - ٨٦٦ م : وجه الأمير محمد حملة أخرى إلى الشمال بقيادة الحكم بن محمد مغاث في أرض النصارى ، واستولى على بعض الحصون وكانت هذه الغزوات المتوالية قد استنزفت قوة الامارات المستقلة في الشمال فركنوا حيناً إلى السكينة والهدوء وفي هذه السنة ، ٨٦٦ م ، توفي ملكهم اردونيو فخلفه ولده الفونسو الثالث الذي عرف فيما بعد باسم الفونسو الكبير .

- في الوقت الذي كانت قوات الحكم تقوم بعملياتها في جيليقية كان أسطول المسلمين يقلع من موانئه ، غرب الأندلس ، ويسلك محوراً موازياً للساحل عبر المحيط الأطلسي متوجهاً من الجنوب نحو الشمال حتى وصل مصب نهر منهو ، بقيادة أمير الماء « عبد الحميد بن مقيث » ولكن قوات الاسطول لم تنجح في تنفيذ عملياتها بسبب العواصف القوية التي مزقت قطع الاسطول وأغرقت قسماً كبيراً منها في مياه المحيط . ولكن هذه التجربة كانت رائدة في هذا المجال ، فقد استطاع المنصور بن أبي عامر ، إعادة العملية ذاتها عام ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م

(١) ابن عذارى ٢ - ١٤٩ ووضح ابن الاثير هذه الاحداث في سنة ٢٥١ هـ وذكر الحاشئ ٢٤٩٢ قتيلاً ، وقد يكون هذا الرقم اقرب الى الدقة .

ونجح بواسطتها في احتلال جيلية كلها وتدمير المقاومات ، وفتح سنت
ياقب (١) .

لم يتمكن الامير محمد من متابعة عملياته بعد ذلك في الشمال بسبب
الثورات المضادة التي استمرت طوال عهده واستنزفت قوة الدولة وامكاناتها ،
ورغم انه لا علاقة لفن الحرب بهذه الثورات ، لكنها كانت ذات تأثير غير
مباشر ، في استنزاف قوة العرب ، المسلمين في الاندلس ولهذا فسيتم ايجازها فيما
يلي نظراً لما كان لها من دور خطير ستظهر نتائجه في مستقبل مسيرة العمليات .

(١) ذكر ابن عذارى هذه المعركة في احداث سنة ١٢٦٦ هـ .

د - الثورات المضادة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

كان من أبرز هذه الثورات ثورة عمر بن حفصون ، ونظراً لامتداد هذه الثورة حقبة طويلة من الزمن فسيتم ايجازها بصورة منفصلة ، في حين سيتم ايجاز بقية الثورات فيما يلي :

الرقم	تاريخ الثورة	قائدها	مكان تمركزها	الاجراءات	النتيجة
١	٥٢٥٤ - ٨٦٨ م	عبد الرحمن بن مروان وابن شاكر وابن مكحول	مارده	قاد الأمير محمد جيشاً بنفسه	القضاء على الثورة وحمل قادتها إلى قرطبة .
٢	٨٢٥٥ - ٨٦٩ م	سليمان بن عبدوس	مريه	توجيه مجموعة قتالية بقيادة الحكم ابن الأمير محمد .	القضاء على الثورة وحمل قائدها إلى قرطبة .
٣	٨٢٥٦ - ٨٦٩ م	لب بن زكريا بن عمروس	وشقه	توجيه عدة مجموعات قتالية .	القضاء على التمرد وقتل لب بن زكريا بن عمروس
٤	٨٢٥٧ - ٨٧٠ م	زكريا بن عمروس	سرقسطه	توجيه عبد الفاخر ابن عبد العزيز حاكم تطيله للقضاء على التمرد .	قتل ابن عمروس وأهله وأنصاره ..
٥	٨٢٥٨ - ٨٧١ م	مطرف واسماعيل أولاد لب بن زكريا ابن عمروس ومهم يونس بن زبابط .	سرقسطه وتطيله	قاد الأمير محمد الجيش بنفسه في السنة التالية إلى تطيله وبنبلونه	اخضاع التمرد وقتل عدد من الثائرين وفرار البعض الآخر .

نتيجة	الاجراءات	مكان تمرورها	قائدها	تاريخ الثورة	رقم
إخضاع الأقاليم الثائرة وتدميرها.	توجيه المنذر بن محمد والقائد هاشم ابن عبد العزيز	سرقسطه وبفيلونه	ثورات الثغور	٥٢٦٠ - ٨٧٣ م	٦
اخضع التمرد ووافق على طلب الثائر ابن مروان الاستقرار في بطليوس والاقامة فيها ..	قاد الأمير محمد الجيش بنفسه	قلعة حنش بمادده	ابن مروان الجليقي	٥٢٦١ - ٨٧٤ م	٧
هزيمة جيش قرطبة ووقوع هاشم بن عبد العزيز أسيراً.	أرسل الأمير قوة بقيادة وزيره هاشم ابن عبد العزيز	بطليوس	هرب ابن مروان الجليقي مرة أخرى	٥٢٦٢ - ٨٧٥ م	٨
هرب ابن مروان إلى الشمال والتجأ إلى «بلاد العدوة».	وجه الأمير قوة بقيادة ابنه المنذر	بطليوس		٥٢٦٣ - ٨٧٦ م	٩
تدمير الأقاليم التمردة .	حارب المنذر بن محمد في سرقسطه ثم انتقل إلى تطيله ودخل البراء بن مالك إلى جيليقية	سرقسطه وجيليقية	استمرار تمرد بني موسي في الثغور	٥٢٦٤ - ٨٧٧ م	١٠

النتيجة	الاجراءات	مكان تمرکزها	قائدها	تاريخ الثورة	الامصار
اخضاع التمرد وحمل زعيم الثورة إلى قرطبة .	قام الوزير هاشم بن عبد العزيز بقيادة الهجوم .	ريابوقاكرنا والجزيرة	يحيى المعروف بالجزيري	٨٢٦٥ - ٨٢٧٩ م	١١
اخضاع التمرد ونقل قبائل عربية منها بني رفاعه وغيرهم، واستمرت العملية حتى العام التالي ^(١) .	قام الوزير محمد بن أمية بن شهيد بقيادة الهجوم .	كورة ريا وكورة البيرة	تمرد الثغور	٨٢٦٩ - ٨٨٣ م	١٢

٥ - ثورة عمر بن حفصون

ينسب عمر بن حفصون إلى أسرة تزعم انها تنحدر من نسل نبيل قوطي يدعى الفونسو ، وكان جعفر والد جد الثائر أول داخل في الاسلام .

وذكر ابن عذارى نسبه كما يلي :

عمر بن حفصون المعروف بحفص بن جعفر بن شيتم بن ذيبان بن فرغلوش بن اذفونش - الفونس - من مسالة النمة ، ومن كورة تاكرنا التابعة لرنده ، وكان الذي اسلم منهم جعفر بن شيتم ففشا نسله في الاسلام^(٢) .

(١) لطالعة تفاصيل حركات الثورة المضادة في البيان المغرب ١٤٩ / ٢ - ١٦٦ .
وتاريخ العرب في الاندلس محمد عبد الله عنان « عهد الفتنة الكبرى » . وتاريخ المسلمين في الاندلس - دوزي - ٣٥٦ - ٣٦٢ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ١٥٦ .

كان حفص والد الثائر ذا مال ووجاهة فأضاف الى اسمه «ون» للتأكيد على اصلته فأصبح يعرف باسم حفصون . وترك ثلاثة أولاد أكبرهم عمر الذي تميز عن أخويه بمزاجه الحاد وشراسة طبعه فقتل وهو في حداثة عمره جاراً له مما دفعه إلى الهروب نحو الجبال حيث ألف حياة العصابات ومارس أعمال السلب فقبض عليه وكان عامل الاقليم يجهل ماضيه فأشفق على حدائه سنة ولم يقتله كما كان يفعل مع الخارجين على القانون وإنما اكتفى بجلده ثم اطلق سراحه . وخاف عمر بن حفصون افتضاح أمره فهرب الى افريقية ، واستقر بتاهرت وعمل عند خياط من أهل جلده وتعرف عليه أحد شيوخ المولدين ، وخاف الوشاية فرجع مرة أخرى الى الاندلس ولجأ الى بربشتر ، حيث بدأ ظهوره فيها ..

كان عمر بن حفصون شجاعاً ، كريماً ، شديد البأس على أنصاره ، يلزمهم بطاعته طاعة عمياء ، ويقتل منهم كل خارج على تعاليمه ، فانتشر الأمن في الربوع التي سيطر عليها وكان في ذلك مصدر قوته حيث خضع له الأغنياء لمخائمتهم ، وأطاعه المشردون لتأمين موارد حياتهم ، وضم في صفوف أنصاره مجموعات متناقضة يجمعها عامل واحد هو الحق على «الحكم الأموي» فكان بين المقاتلين من جموعه العرب والبربر والمولدين والمستعربين والنصارى والمسلمين .. ولعل أفضل وصف له : [.. انه ، امام الثائرين وقوتهم ، وهو اعلامهم ذكراً في الباطل ، وأضعفهم بصيرة في الخلاف ، واشدهم سلطاناً واعظهم كيداً وأبعدهم قوة ...]^(١) .

(١) ابن حيان - المقتبس - ١٩ .

ثورة عمر بن حفصون

موجز الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
<p>وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم « الاوسط » وخلافة محمد بن عبد الرحمن .</p>	<p>ايلول ٨٥٢</p>	<p>ربيع ٢ ٢٣٨</p>
<p>جمع عمر بن حفصون حوله أربعين رجلاً ، وجعل من بربشتر (١) قاعدة له واستقطب حوله العصاة والشائرين فسيطر بهم على المناطق الجبلية الوعرة بين رندة ومالاقا .</p>	<p>٨٨٠</p>	<p>٢٦٧</p>
<p>حاول عامل رية القضاء على الثورة في مهدها فتوجه إلى بربشتر ، لكن ابن حفصون انتصر عليه ، فعزل الأمير محمد العامل المهزوم وعين عاملاً جديداً لم يتمكن من اخضاع ابن حفصون فاكتفى بمقد هدنة معه ، وعندما وجه الأمير محمد وزيره ، هاشم بن عبد العزيز على رأس جيش كبير فشدد الوزير هاشم قبضة الحصار على بربشتر وأسر عدداً من أنصار ابن حفصون وأرغمه في النهاية على الاستسلام وحمله إلى قرطبة ومع سائر عصابته فعفى عنه الأمير محمد وضمه إلى جيشه .</p>	<p>٨٨٠</p>	<p>٢٧٨ ٢</p>

(١) بربشتر Bobastro ، من أمنع حصون الأندلس ، على بعد ٥ كم الى الشمال الغربي من بليش حالياً (Velez de Malaga) على الساحل الجنوبي للأندلس .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٧٠	٨٨٣	توجه المنذر إلى الثغر الأعلى لقتال محمد بن لب و من بني قس المولدين أيضاً . وكان ابن حفصون من كبار قادة جيش المنذر ، بيد أنه لم يكن راضياً كل الرضى عن منصبه فلم يلبث أن فرحت جنح الليل ومعه نفر من أصحابه وعاد إلى بربشتر حيث استأنف ثورته ، وانضمت اليه جموع الخوارج والتمردين .
٢٧٣	٨٨٦	خرج المنذر لقتال ابن حفصون وبدأ عملياته بالتوجه إلى الحامة شمال مالاقا حيث الثائر ابن حمدون حليف ابن حفصون فأسرع ابن حفصون لنجدة حليفه وحاصر المنذر « الحامة » مدة شهرين ، وعندما أشرفت المدينة على الاستسلام وقد نفذت مؤناتها ، خرج الحليفان ابن حفصون وابن حمدون للقاء المنذر ودارت معركة طاحنة انتصر فيها المنذروهزم الثوار وجرح ابن حفصون ، وارتد مع قلوب أصحابه إلى الحامة واعتصم بحصونها من جديد . وبينما المنذر مقيم على حصار الحامة . علم بوفاة أبيه فاضطر لرفع الحصار والعودة إلى قرطبة .
٢٩ صفر	اول تموز	وفاة محمد بن عبد الرحمن وخلافة المنذر :
٢٧٣	٨٨٦	أفاد عمر بن حفصون من فترة انتقال الحكم للمنذر ،

موجز الاحداث

السنة الهجرية | السنة الميلادية

فسيطر على القواعد والحصون الجنوبية كلها .
وخضعت له كورة رية وأرشدونة ومالاقا وجيان
واستجة وغيرها واجتمع اليه الخوارج والمغامرون
من جميع أنحاء الأندلس ، وأخذ يطمح في
الاستيلاء على الأندلس كلها . وأظهر الدعوة لبني
العباس ، وكتب « ابن الأغلب » ، وجعل من
بريشتر قاعدة له بعد أن طرد عامل أمير قرطبة
منها وسبى جاريتته وتزوجها وكانت هذه أم ولده
الأكبر سليمان الذي قاد ثورته بعد وفاة أبيه .

قاد المنذر بنفسه جيشاً كبيراً ، وأظهر تصميمه
على سحق تمرد ابن حفصون فتوجه إلى رية
وحاصر أرشدونة الواقعة غرب ليوثة حتى
خضعت له ، وافتتح حصون « باغة » (١) وقبض
على عيسون حاكم أرشدونة ، وبني مطروح حلفاء
ابن حفصون في باغة وبعث بهم جميعاً إلى قرطبة
حيث قتلوا جميعاً وصلب مع عيسون خنزير
وكلب امعانا في التمثيل به ، ثم تابع المنذر
تقدمه حتى وصل بريشتر فحاصرها وعزلها عن
كل ما يحيط بها وضيق عليها ، وعندما اشتد الأمر
على ابن حفصون لجأ إلى الحيلة فطلب الصلح وعرض
التسليم وأعلن عزمه على السير إلى قرطبة بأهله

٨٨٧

٢٧٤

٥

(١) باغه ، أو بريجو Priego .

موجز الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	
		<p>وولده ، فأجابه المنذر ، وأمدّه بما طلبه من غذاء ودواب ولباس ، فبعث بها ابن حفصون إلى قلاعهم وقفل المنذر بجيشه يتبعه ابن حفصون الذي استطاع الهرب من جديد والعودة إلى بربشتر ، فعاد المنذر وهو أكثر تصميمًا على سحق الثائر لخيانته وغدره ، وحاصر بربشتر معزماً ألا يبرحها حتى يقبض على الثائر . واستمر الحصار ثلاثة وأربعين يوماً ، ومرض المنذر ، فاستقدم أخاه عبد الله من قرطبة ليتابع الحصار عوضاً عنه ، وتوفي المنذر تحت أسوار بربشتر ..</p>
٦	منتصف صفر ٢٧٥	<p>وفاة المنذر وخلافة أخيه عبد الله ..</p>
	حزيران يوليو ٨٨٨	
	٨٨٨	٢٧٥
		<p>طلب ابن حفصون الصلح من الأمير عبد الله حتى تتاح له فرصة إعادة تنظيم قواته ، ووافق الأمير عبد الله في انتظار انتهاء استمداده ، ثم لم يلبث ابن حفصون طويلاً حتى نكث بوعده وأخذ في توسيع نطاق عملياته .</p>
٧	٢٧٦	٨٨٩
		<p>قاد الأمير عبد الله جيشاً لاختراع ثورة ابن حفصون ، ونجح في تدمير الأقليم ولكنه لم ينجح في اخاد الثورة ، مما ضاعف من قوة ابن حفصون حتى أصبح يهدد قرطبة وينازع أميرها سلطته .</p>

موجز الاحداث

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	
	٢٧٨	٨٩١	٨
- معركة بلاي -			
<p>كانت بلاي من أمنع حصون قبره ، وقد وجه الأمير عبد الله قوة مكونة من ١٨,٠٠٠ مقاتل بقيادة قائد الفرسان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة ، والتقت هذه القوة بجيش ابن حفصون الذي ضم ٣٠,٠٠٠ ثلاثين ألف مقاتل ، وتجاه هذا التفوق ركز قائد الفرسان عبيد الله ثقل هجومه على الجناح الأيسر لقوات ابن حفصون فسحقه ، ثم نقل مركز ثقل الهجوم إلى الجناح الآخر وأمكن له تدمير العدو المتفوق فانسحبت فلول جيش ابن حفصون من بلاي إلى بربشتر ، وتابع عبيد الله تقدمه حتى وصل استجه فأخضعها وأرسل زعماء الثورة إلى قرطبة (١) .</p>			
	٢٨١	٨٩٤	٩
<p>توجه المطرف ابن الأمير عبد الله الى بربشتر ، وحاصرها ، ودارت معارك طاحنة قتل خلالها حفص بن المره أشجع قادة ابن حفصون ، واستولى على استجه للمرة الثانية ..</p>			
	٢٨٤	٨٩٧	١٠
<p>- استطاع ابن حفصون اعادة سيطرته مرة أخرى على استجه .</p>			

(١) كافأ الأمير عبيد الله قائد فرسانه بتعيينه وزيراً بعد هذا النصر الحاسم، وهناك قصيدة رائعة تشيد بنصر معركة بلاي في المقتبس - ابن حيان ص ٩٧ - ١٠٠ .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٨٥	٨٩٨	- أرسل الامير عبدالله جيشاً كبيراً بقيادة ابنه ، ومعه أحمد بن أبي عبيدة لقتال ابن حفصون ، وقام هذا الجيش بجولة واسعة في اقليم ريه ومالاقا ، وخاض معارك ثانوية لكنه لم يحقق انتصاراً حاسماً ..
٢٨٦	٨٩٩	- عقد ابن حفصون في هذه الفترة حلفاً مع محمد ابن لب - القسوي - وأرسل محمد بن لب ابنه « لباً » في بعض قواته الى ابن حفصون بهدف توثيق عرى التعاون بينهما ، ولكن لباً تلقى بعد فترة قصيرة نبأ وفاة أبيه محمد ، أمام أسوار طليطلة فنادر بربشر ، دون أن يبرم أمراً مع ابن حفصون وفشل التحالف وهو في بدايته ^(١) .
١٢	٨٩٩	اعلن ابن حفصون اعتناقه وماتر أفراد أسرته النصرانية واستبدل اسمه باسم « ساموئيل » وقاوض القونسو الثالث ملك ليون وبنو قمي ، كما قاوض بعض امراء المغرب . وكان اشهاره النصرانية سبباً في تخلي عدد كبير من المسلمين عن نصرته والامتناع عن تأييدهم له .

(١) المقتبس ١٢٧ .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١٣	٢٨٨	٩٠٠
		– تحالف ابن حفصون مع سيد اشيلية ابراهيم ابن حجاج ، وحاول أمير قرطبة الوصول الى صلح مع ابن حفصون لكن هذا امتنع ، ولم تستمر الهدنة بينهما طويلاً ..
١٤	٢٨٩	٩٠١
		– وجه الأمير عبد الله جيشاً كبيراً لقتال ابن حفصون ، فأرسل عمر بن حفصون قواته يدعها فرسان ابراهيم بن حجاج والتقت قوات الطرفين عند مدينة استبه على مقربة من نهر شيل ودارت رحى معركة رهيبة انتهت بانتصار جند قرطبة ، وأعدم الأمير عبد الله رهائن ابن حفصون فخاف ابراهيم بن حجاج أن يعمل الأمير عبد الله على اعدام ابنه عبد الرحمن الذي كان يحتفظ به أمير قرطبة رهينة عنده ففاوض الامير عبد الله في الصلح ، واستجاب الامير لطلبه وأطلق سراح عبد الرحمن وأعادته مكرماً فعاد ابراهيم الى سابق عهده وولائه لأمير قرطبة .
١٥	٢٩٥	٩٠٨
		– وجه الامير عبد الله جيشه إلى بريشتر، حيث معقل الثائر ابن حفصون ، وعات جند قرطبة في الاقليم ، لكنهم لم يحققوا انتصاراً حاسماً على خصمهم ..

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٢٩٧	٩١٠	١٦ - توجهت حملة قوية بقيادة أحمد بن أبي عبيدة الى « كورة ربه » واشتبكت مع قوات ابن حفصون في عدد من المعارك الثانوية التي لم تحقق نصراً حاسماً .. واستمر توجيه الحملات بعد ذلك في كل عام دون الوصول الى نتيجة ..
ربيع أول	تشرين الأول ٩١٢	١٦ - وفاة الأمير عبد الله وخلافة عبد الرحمن الناصر « الثالث » .
شعبان	آذار مارس ٩١٣	١٧ - قاد الأمير عبد الرحمن بنفسه الجيش المتوجه لحرب ابن حفصون، وأخذ مدينة ربه من الحصار الذي كان قد نظمه ابن حفصون ، ثم انتزع منه حصون منتاون وشمنتان ومنتيشه وغيرها ، وتابع تحرير المدن الموالية لابن حفصون في كورة البيره وتطهيرها من أنصاره ، وتوجه بعد ذلك الى وادي آش ، فاحتسل الحصون والقلاع المنتشرة فيه وأوغل في تقدمه عبر شعاب جبل الثلج « سيرانيفادا » وعاد الى قرطبة بعد ثلاثة أشهر من العمليات المستمرة ..
٣٠١	٩١٤	١٨ - تقدم الامير عبد الرحمن في غزوته الثانية لحرب ابن حفصون ، وسلك محور وادي ربه ، ووقعت معركة بينه وبين ابن حفصون أمام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		قلعة طرش قتل فيها عدد كبير من جنود ابن حفصون وحلفائه النصاري ، واستطاع أسطول عبد الرحمن أن يستولي على مجموعة من السفن المحملة بالموثون والامداد من عدوة المغرب لدعم ابن حفصون وعمل على احراقها ..
		سار الأمير عبد الرحمن بعد ذلك الى شذونه ومنها الى قرمونه وحاصرها حتى استسلمت له.
١٩	٣٠٥	٩١٨
		- وفاة عمر بن حفصون ، وقد خلف أربع أبناء هم جعفر وعبد الرحمن وسليمان وحفص وابنة هي « أرجنثا » ، فقام جعفر مكان ابيه في بريشتر . واستقل عبد الرحمن في حصن طرش . بينما تمركز سليمان في ابدنه ..
		- وجه الامير عبد الرحمن جنود الاندلس الى ابدنه ، فاستولى عليها وأخذ سليمان أسيراً إلى قرطبة ، فأكرمه الأمير عبد الرحمن وعفاه عنه وضمه الى جيشه ، واستسلم عبد الرحمن بن حفصون دون قتال .
٢٠	٣٠٥	٩١٨
		- قتل جعفر في بريشتر ، فقام أخوه سليمان مكانه وأقره عبد الرحمن على ولايته ولكنه نكث عهد الطاعة فسار الامير عبد الرحمن لحصاره فامتنع في حصونه ..
٢١	٣٠٨	٩٢٠

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٢	٣١١	٩٢٣ - قاد الامير عبد الرحمن جند الاندلس لحصار بربشتر ، لكنه لم ينجح في اخضاعها .
٢٣	٣١٤	٩٢٦ - أرسل الامير عبد الرحمن جند الاندلس بقيادة وزيره عبد الحميد بن سبيل الى بربشتر ، وخرج سليمان بن عمر بن حفصون للقائه ، فهزمت قوات ابن حفصون وقتل سليمان ، وقدم حفص أخاه مكانه ، واستمر على المقاومة ، لكنه اضطر في النهاية الى الاستسلام ، فأخذ أسيراً الى قرطبة فمضى عنه الامير عبد الرحمن وضمه الى جيشه ..
٢٤	٣١٦	٩٢٨ - سار عبد الرحمن الى بربشتر ، وعين والياً لها ، وأمر باخراج رفات عمر بن حفصون وولده سليمان وأرسلهما الى قرطبة لتعليقهما على أبوابها ، وهدم جميع الكنائس والأديرة التي ابتناها الثائر ابن حفصون في تلك المنطقة واستولى على المعقل والحصون جميعها وطهرها من آثار الثورة الأخيرة .
	٣١٩	٩٣١ - اصدر امير قرطبة ، الخليفة عبد الرحمن الناصر ، أوامره بالقبض على « ارجنثا » ابنة عمر بن حفصون واعدائها لارتدادها عن دين الاسلام . ونفذ الحكم ^(١) .

(١) البيان المغرب ٢ / ١٩١ - ٢٠٩ ، وابن خلدون ٤ / ١٣٥ .

حروب الاستنزاف واستمرار الثورات المضادة

تميزت الفترة الأخيرة من حكم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
٢٣٨ - ٢٧٣ م - ٨٥٢ - ٨٦٦ م . وفترة حكم المنذر ٢٧٣ - ٢٧٥ م -
٨٨٦ - ٨٨٨ م . وفترة حكم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ٢٧٥ - ٣٠٠ م -
٨٨٨ - ٩١٢ م .

كانت هذه الفترة من حياة الأندلس الإسلامية حافلة بالاضطرابات الكثيرة ،
والثورات المضادة والحركات الاستقلالية مما أضعف الحكم الأموي في قرطبة ،
وجعل الحكام في حالة عجز تام عن مجابهة أعداء الشمال ..

ورغم ان عمليات قمع حركات التمرد ومقاومة الثورات قد نفذت وفق
مخططات عسكرية دقيقة ، لكنها لم تتميز بلامح جديدة ولم تحدث تطوراً جديداً
في فن الحرب ولهذا فان دراستها تشكل موضوعاً مستقلاً يمكن وضعه في اطار
« الثورات المضادة » وهو ما يخرج عن موضوع الدراسة الحالية .

ولهذا ، ورغم ان هذه الدراسة بعيدة عن موضوع الكتاب فانه قد يكون
من الضروري التعرض لبعض ملامحها وذلك :

١ - لاطهار الصورة العامة للموقف خلال هذه الفترة ..

٢ - لما كان لها من اثر في استنزاف قوة الدولة وقدرتها ..

٣ - لما كان لها من اثر في نمو دول الشمال وتعاظم قوتها وانتقالها الى مراحل
متطورة ساعدت بالمقابل على تطوير أعمال الردع والهجمات الوقائية خلال المرحلة
التالية وهي التي تعاقب فيها ثلاثة من الحكام ، وهم : عبد الرحمن الثالث وابنه
الحكم وأبي عامر « المنصور » ..

عناصر الثورات المضادة

أ - مراكز القوى في الشمال ..

ان استمرار مسيرة الأحداث ومطالعة تطورات الثورات المضادة يظهر بوضوح ان حركات التمرد الخطيرة هي تلك التي تركزت في الشمال واستندت بصورة أساسية الى العناصر غير العربية ، من مولدين ومستعربين وبربر ، وكان القاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً تحقدهم على العنصر العربي في البداية ثم تطور الحقد - بتأثير الكنيسة - الى كراهية للعرب ودين العرب .

وقد تم في الصفحات السابقة ذكر بعض الاسباب التي دفعت عناصر الثورة المضادة الى التمرکز في الشمال ، والتي يمكن ايجازها وجمعها بما يلي :

١ - وجود طليطلة عاصمة « القوط » في الشمال ، كمرکز للاشعاع المضاد ولاستقطاب العناصر الثائرة .

٢ - استيطان العرب في الجنوب بالدرجة الاولى ، بسبب قربهم من عدوة المغرب ، وبسبب طبيعته المائلة لطبيعة المشرق ، والرغبة في الاستيطان عند المناطق الحصنة والابتعاد عن المناطق الجبلية الوعرة في الشمال وذلك على نحو يشابه تماماً ما فعله العرب المسلمون عند احتلالهم الشام واستيطانهم فيها . وكان لهذا الاستيطان محاسنه ومزاياه أيضاً بالنسبة لتوفير الامكانيات الضرورية لتنظيم الدولة وبناء القوات المسلحة وحشد القوات في موقع متوسط ، ولا ريب ان قلة العنصر العربي كان من الاسباب الرئيسية التي حالت دون الاستيطان في الشمال ، وبالتالي السباح للعناصر المضادة بالعمل في مناخ من الحرية المطلقة ..

٣ - أفادت مراكز القوى في الشمال من بعدها عن العاصمة ومن وعورة محاور التقدم لتدعيم مواقعها وبناء قوتها الذاتية كما أفادت من قوة تحصيناتها وطبيعة مواقعها الصعبة لبناء قوتها الدفاعية ، وبذلك استكملت مراكز القوى هذه كل الضرورات الأساسية للقيام بحركاتها الاستقلالية .

٤٢ - وأفادت مراكز القوى من مواقعها القريبة الى الدول النصرانية فيما وراء
البيرويه ومن دول الشمال النصرانية لتلقي الدعم الضروري لنجاح الثورات
المضادة واستمرارها ، وقد مر هذا الدعم بمراحل :

أ - اقتصر في البدايات الاولى على تبادل الرسائل ، وتنسيق التعاون بين
الهجمات الخارجية والحركات الداخلية .

ب - تطوير التعاون الى دعم كامل بالقوات بين حركات التمرد وبين جيوش
دول الشمال .

ج - الانطلاق من قاعدة قوية وذلك باللجوء الى الدول النصرانية في حال
الفشل من أجل الاستمرار في الصراع ضد العرب - المسلمين ..

د - وضع المخططات لتنسيق التعاون بين الحركات المضادة وذلك لتبادل
الدعم فيما بينها مع نقل أعمال التمرد حتى الجنوب لاضعاف الدولة وجعلها
عاجزة عن مجابهة تطورات الشمال ..

وان خير من يمثل هذا الاتجاه في الواقع ويصوره بوضوح تام ، زعيم حركة
التمرد الكبرى - عمر بن حفصون - الذي قاد ثورة استمرت فترة طويلة حتى
امكن القضاء عليها في عهد عبد الرحمن الناصر^(١) ، وكذلك ثورة بنو قسي في
التمر الأعلى « سرقسطه » الذين كانوا يرتبطون برباط المصاهرة مع حكام مملكة
نافار « البشكتش » .

ب - مراكز القوى في الاقاليم الجنوبية والمدن :

- استوطن العرب والبربر في الاندلس وفق نظامهم القبلي ، فكانت لكل
قبيلة كبيرة أو عصبية من العصبيات مركزها في مدينة معينة أو اقليم محدد ،
وكانت هذه العصبيات في حد ذاتها مراكز للقوى يمكن لها دعم الحكومة
المركزية في قرطبة أو اضعافها ، وفقاً للظروف وطبعاً لتطور الاحداث .

.....
(١) سيأتي فصل خاص يتم فيه استعراض ثورة عمر بن حفصون وذلك في الصفحات التالية .

- ولم يكن بالمستطاع ، حشد جميع المقاتلين في معسكرات منفصلة ، كما لم يكن بالمستطاع جعل هذه المعسكرات في منطقة واحدة ، فكان لكل اقليم جيشه الصغير الخاص به ، وكان حجم هذا الجيش يتراوح في زيادة ونقصان حسب طبيعة الاقليم وحسب الكثافة السكانية ودرجة الاستيطان فيه ، ونظراً لطبيعة مسرح العمليات ومتطلبات القتال فقد كان يتم الاعتماد بالدرجة الأولى على قوة الفرسان ، ولهذا كانت مجموعات فرسان الأقاليم هي التي تشكل مجموعة القوة الضاربة الرئيسية لجيش قرطبة . وعندما كان يتم التحرك للصائفة أو لردع العدوان أو للقيام بهجوم وقائي ، كان الخليفة يعمل على تعيين منطقة الحشد وموعد وصول القوات حيث تتم في منطقة الحشد عملية اعادة التنظيم وتبدأ مرحلة الانطلاق الى مسرح العمليات ..

- ونتيجة لوجود روح العصبية المتفجرة بين العرب والبربر على حد سواء ، ونظراً لوجود جيش مستقل في كل مدينة واطليم فقد أصبح بالإمكان لزعماء الاقاليم الاستقلال بأقاليمهم ، وكان هذا الاستقلال يتأرجح زيادة ونقصاناً حسب قوة الحكم في قرطبة ، وحسب درجة التعاون والتوافق بين أمير قرطبة وأمرء الأقاليم ، فإذا حدث تنافر ، أو اختلاف ، كان الاقليم مهيناً لاعلان الثورة والانفصال .. ولكن وفي كل الظروف ، فان مراكز القوى هذه لم تكن في خطورتها تعادل خطورة مراكز قوى الشبال نظراً لرفض العرب - بصورة عامة - فكرة التعاون مع « الافرنج » ضد أبناء عصبيتهم العربية وضد اخوان عصبيتهم الدينية ، ولكنها تبقى في كل الاحوال مصدر استنزاف لقوة العرب المسلمين في الاندلس ..

ولعل خير من يمثل مراكز القوى هذه ابراهيم بن حجاج « حاكم اشبيليا » الذي اصبح في فترة من ايام حكم العرب للاندلس منافساً قوياً لحاكم قرطبة الامير الاموي ، وقد يكون من المناسب ذكر لمحة عنه لاثبات خطورة مراكز القوى هذه واثرها في تمزيق قوة العرب المسلمين واضعافها ..

- كانت زعامة اشبيليا لابراهيم بن حجاج والأخوين كريب بن خلدون وخالد بن خلدون وكان جميعهم على اتصال بالأمير عبد الله ، وشمر ابراهيم بن حجاج بخطورة ابناء خلدون على مركزه وقدرتهم على منافسته فدبر مؤامرة قتل فيها الأخوين كريب وخالد وطلب من أمير قرطبة الاعتراف بسلطته على اشبيليا ، ولم يكن باستطاعة الأمير عبد الله وهو يجابه حركات « الثورات المضادة » في كل اقليم إلا الاعتراف وقرار ابراهيم بن حجاج على سلطته ، وأصبحت زعامة اشبيليا له دون منازع .. فاجتبي الأموال واصطنع الرجال وارتقى في الأحوال ، وارتفع ذكره وبعد صيته واتخذ لنفسه جنداً ورتب لهم الأرزاق كفعل السلطان ، فكان في مصافه خمس مائة فارس وكان له في بلده اشبيليا قاضٍ يقوم بالحكم وصاحب مدينة يقيم الحدود - محافظ - وكان لابراهيم بن حجاج في بساط السلطان بقرطبة قوم يقفون في حقه ويعلمونه بما عند السلطان من حاله وينصحونه في أمره ..

- وكان ابراهيم بن حجاج - أبا اسحاق - فظاً على أهل الريب ، قاطعاً لأهل الشر ، منتجماً على البحر والبر ، مقصوداً بالغرائب والطرف ، وكانت له باشبيليا طرز يطرز فيها على اسمه كفعل السلطان إذ ذاك ، وكانت قرمونه تحت ملكته وهو الذي حصنها وحسن بنيان سورها وفيها كانت مرابط خيله المتخذة لركوبه وبينها وبين اشبيليا كان ترداده سائر أوقاته ، وكان جواداً ممدحاً يرتاح للثناء ويعطي الشعراء ويضاهي في فعله كبار الأمراء ويعقد أهل البيوتات والشرف بالعطاء ، وقد امتدحه أبو عمرو أحمد بن عبد ربه ووصف تنقله بين اشبيليا وقرمونه بقصيدة منها الأبيات التالية :

فاشبيلية الزهراء تزهر بوجهه	وقرمونة الغراء ذات الفضائل
إذا ما تحللت تلك من نور وجهه	غدت هذه للناس في زي عاقل
وان حل هذي فهو يوحش هذه	فتهدى برسسل نحوه ورسائل

وسمع ابراهيم بن حجاج بجارية بغدادية اسمها قمر^(١) فوجه بأموال عظيمة إلى المشرق في ابتياع هذه الجارية إلى أن استقرت بدار مملكته اشيلية .. وبقيت في رغد من العيش طوال اقامتها في اشيليا . وتوفي ابراهيم بن حجاج في عام ٢٨٨ هـ - ٩٠٠ م وخلفه ابنه عبد الرحمن الذي توفي في بداية عهد الناصر ٣٠٦ هـ - ٩١٣ م .

- كانت مراكز القوى هذه منافساً قوياً لأمير قرطبة ، وقد اندلعت فيها الثورات المضادة وحركات التمرد طوال الفترة الأخيرة من حكم محمد بن عبد الرحمن وفترة حكم المنذر وأخيه عبد الله ، ولم يتم اخضاع هذه المراكز إلا في عهد عبد الرحمن الناصر - الثالث - .

- وقبل الانتقال إلى العمليات القتالية في عهد عبد الرحمن الناصر ، ويهدف ايضاح الصورة العامة للموقف ، قد يكون من المناسب تلخيص بداية ظهور دول الشمال النصرانية ومراحل تطورها وما كان لها من دور كبير في استنزاف قوة العرب في الأندلس .

.....

(١) البيان المغرب ، ابن عذارى ١٩٠ / ٢ - ١٩٢ وفيه : كانت قمر كالبدر المنير ، ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء ، فوجدتها ابراهيم بن حجاج قمرأ عند اسمها ، وكان لها شعر يستحسن ويستحل منه :

قالوا أنت قمر في زي أطمار	من بمدنها هتكت قلباً بأشعار
تمشي على وحل تغدو على سبيل	تشق امصار أرض بعد أمصار
لا حرة هي من أحرار موضعها	ولا لها غير ترسيل وأشعار
لو يعقلون لما عابوا غريبتهم	له من أمة تزري بأحرار
ما لابن آدم فخر غير همته	بعد الديانة والاخلاص للباري
دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه	لا يخلص الجهل من سب ومن عار
لو لم تكن جنة الا لجاهلة	رضيت من حكم رب الناس بالتار

ب- نشوء مملكة نافار - أو - « البشكنش »
ثم تحولها الى مملكة اسبانيا ..

موجز الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
نشأت مملكة نافار ، في منطقة البشكنش ، غرب البيرويه ، وكانت عاصمتها - او قاعدتها - بنبلونه . ويحيط القموض اصل هذه المملكة النصرانية ..		
- وفاة هشام بن عبد الرحمن وخلافة الحكم ابن هشام « الربضي » .	٧٩٦	١٨٠
- ظهر في نافار زعيم قوي يدعى « ازوار » واستقل بامارته وأخذ في بناء قوته الذاتية وتنظيم امارته ..	٧٩٩	١٨٣
- وفاة الحكم وخلافة عبد الرحمن بن الحكم « الأوسط » .	٨٢٢	٢٠٦
- توفي ازوار وخلفه في الامارة أخوه سانشو ، لكن أميراً آخر هو « جارسيا انيجيز بن أنيجو أريستا » انتزع الامارة من سانشو ، وتذكر المصادر الاسلامية هذا الأمير باسم « ونقة بن شانجة » ملك البشاكسة ، وارتبطت هذه الامارة في مرحلة نشوئها مع امارة اسلامية مجاورة لها يحكمها المولدون وهي امارة « بني قسي » سادة	٨٣٦	٢٢٢

توقيت الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
الثغر الأعلى ، وجاء هذا الارتباط عن طريق المصاهرة حيث تزوج انيجو اريستا بأرملة موسى بن فرقون بن قسي ، وتزوج موسى ابن موسى من ابنة جارسيا انيجيز ، وتزوج جارسيا واخوته من بنات لب بن موسى بن فرقون ، وتزوج بعض اخوة موسى وأبنائه من بنات أمراء نافار فتوطدت روابط التحالف والمصاهرة بين الأسرة النصرانية والأسرة المسلمة « من المولدين » ..		
– أظهر جارسيا نزعاته العدائية للدولة المسلمة عندما عمل على دعم ثورة عمر بن حفصون ، المولدين ..		
– كما أن العلاقة بين نافار وجارتها الكبيرة « ليون » لم تكن حسنة بسبب مطامع مملكة ليون في ضم مملكة نافار الصغيرة اليها ..		
– وفاة عبد الرحمن بن الحكم وخلافة محمد بن عبد الرحمن .	٨٥٢	٢٣٨
– ظهر العداء الواضح بين ليون ونافار فزحف أمير نافار – جارسيا انيجيز – ومعه صهره موسى بن موسى لدفن عدوان ليون ووقعت معركة طاحنة في « البلدة » قتل فيها جارسيا	٨٦٢	٢٤٨

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
		ثم خلفه ابنه فرتون ، الذي بقي فترة طويلة في أسر أمير قرطبة ، ثم خلفه ولده « سانشو جارسيا » وهو أول من تلقب من « أمراء نافار » بلقب الملك وبه تبدأ مملكة نافار الحقيقية .
٢٧٣	٨٨٦	- وفاة الامير محمد وخلافة المنذر بن محمد .
٢٧٥	٨٨٨	- وفاة الامير منذر وخلافة اخيه عبد الله ابن محمد ..
٢٩٥	٩٠٧	- قتل لب بن موسى على أبواب بنبلونه خلال الصراع الطويل والمرير بين سانشو وبين « بنو قسي » ..
٣٠٠	٩١٢	- وفاة الامير عبد الله وخلافة عبد الرحمن الناصر « الثالث » .
٣١٤	٩٢٦	- توفي سانشو ، وقامت بالأمر زوجته « طوطه » وصية على ولده جارسيا وأظهرت ولاءها لأمير قرطبة ..
٣٢٥	٩٣٦	- نقضت طوطه عهد الناصر ، ففزا الناصر بلادها ، وضرب نواحي بنبلونه فجاءته طوطه بطاعتها وعقد لابنها غرسيه « جارسيا » على بنبلونه .
٣٥٠	٩٦١	وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلافة الحكم ابن عبد الرحمن المستنصر بالله ..

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٣٦٦	٩٧٦	- وفاة الخليفة الحكم بن عبد الرحمن وخلافة هشام بن الحكم في وصاية الدولة العامرية .
٣٨٥	٩٩٥	- حكم غرسيه سانشيز .
٣٩١	١٠٠٠	- وفاة غرسيه سانشيز ، وخلفه ولده سانشو الكبير .
٤٢٧	١٠٣٥	- وفاة سانشو الكبير ملك نافار بعد أن أوصى بتقسيم مملكته على النحو التالي : ١ - فرناندو : ملكاً على قشتاله وليون وجيليقية . ٢ - غرسيه : أكبر أولاده ، ملكاً على نافار ، الوطن الأصلي . وهو يمتد من غرب البيرنيه حتى منابع الايبرو - نهر ابره - . ٣ - راميرو : ابنه غير الشرعي ، ملكاً على اراغون ، التي تمتد في حيز ضيق موازية لنافار بداية من « باب شيزروا » . ٤ - كوزالو : ملكاً على ولايتي سوبرافي وريبا جرسا في أواسط البيرنيه .
٤٢٧	١٠٣٥	على أثر وفاة سانشو الكبير - ملك نافار - أو ملك اسبانيا كما أصبح يلقب نفسه ، توجه برمودو الملك الشرعي لمملكة ليون - اشتوريش - الى مملكته واستطاع استرجاع جزء من أملاكه ،

موجز الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	
وأقام بلاطاً لمملكته ودارت بينه وبين صهره فرناندو ملك قشتاله حرب طويلة استمرت فترة عامين كاملين .			
دارت رحى معركة نهائية وحاسمة بين ملك ليون ، وملك قشتاله انتصر فيها فرناندو ، وقتل برمودو في « تامارون » ونظراً لعدم وجود وريث شرعي ، فقد استولى فرناندو على مملكة ليون بحكم المصاهرة والوراثة وأصبح ملكاً على قشتاله وليون الموحدة ..	١٠٣٧	٤٢٩	٩
قتل كونزالو - غيلمة - وهو عائد من رحلة صيد ، ونادى سكان سوبراني وريباجرسا بأخيه « راميرو » ملكاً على الامارتين فضمامها اليه وتوحدت الامارتين والمملكة تحت حكم ملك اراجون ..	١٠٣٨	٤٣٠	١٠
وقعت معركة بين راميرو ملك اراجون وأخيه غرسيه ملك نافار بسبب رغبة راميرو في ضم ملك أخيه لمملكته ، لكن المعركة انتهت بهزيمة راميرو ، وفراره ..	١٠٤٢	٤٣٤	١١
- وقعت معركة بين غرسيه ملك نافار وأخيه راميرو ملك اراجون من جهة ضد أخيهما فرناندو ملك ليون وانتهت المعركة بانتصار فرناندو	١٠٥٤	٤٤٦	١٢

موجز الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
ومقتل غرسيه واختار فرناندو ابن أخيه غرسيه لملك نافار ولم يقطع من مملكته شيئاً سوى تعديل بعض القلاع على الحدود .		
عبر فرناندو الأول ملك قشتاله وليون نهري دويره وتورمس واجتاح لوزيتانيا، قاصية أراضي المسلمين من الشمال الغربي وكانت تابعة لمملكة بطليوس ، فاستولى عليها ..	٤٤٩	١٠٥٧
قام فرناندو الأول بعدوان جديد على بلاد المسلمين وأغار على مدينة سالم واوسيدا وطمعته ووادي الحجارة وقلعة النهر ، فاستغاث أهلها بالمأمون ابن ذي النون صاحب طليطلة فجمع المأمون مقادير كبيرة من الذهب والفضة وفاخر الأقمشة وسار بنفسه الى معسكر الملك النصراني وقدم اليه الهدايا وأعلن اعترافه بطاعته وتعهده بأداء الجزية - وكانت المرة الأولى التي يدفع فيها حكام المسلمين الجزية للملك الافرنج في الاندلس .	٤٥٤	١٠٦٢
عاد فرناندو الأول لتنفيذ عدوان آخر ، فهاجم مملكة اشبيلية وأرغم المعتمد بن عباد على أن يخدر حذو المأمون فيعترف بسيادته ويدفع له الجزية .	٤٥٥	١٠٦٣
سقطت قلمرية في قبضة فرناندو الأول .	٤٥٦	١٠٦٤

موجز الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	
توفي فرناندو الأول بعد ان قسم مملكته على النحو التالي :	٤٥٧	١٠٦٥	
١ - سانشو - ولده الكبير - ملكاً على قشتاله وحقوق الجزية على سرقسطه .			
٢ - الفونسو : ملكاً على ليون ، واشترش وحقوق الجزية على طليطله .			
٣ - غرسيه - ولده الأصغر - ملكاً على جيليقية والبرتغال وضمها في مملكة واحدة مع حق الجزية على مملكتي اشبيليا وبطليوس . كما عين لابنتيه قلعتين صغيرتين تحكمانها بشكل مستقل .			
استولى سانشو على ليون وطرد أخاه الفونسو الذي هرب الى طليطله ، وعاش تحت حماية المسلمين .	١٧	١٠٧١	٤٦٤
استولى سانشو على جيليقية وضمها إلى مملكته .	١٨	١٠٧٢	٤٦٥
دبرت اوراكا مقتل أخيها سانشو ، وساعدت الأخ الثاني الفونسو على استعادة ملكه ، فأصبح الفونسو ملكاً على قشتاله وليون وجيليقية باسم الفونسو السادس ..	١٩	١٠٧٢	٤٦٥
استولى الفونسو السادس على طليطله ..	٢٠	١٠٨٥	٤٧٨
توفي الفونسو السادس .		١١٠٩	٥٠٣

ج - نشوء مملكة جيليقية - اشتوريش - ثم ليون

موجز الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
<p>بدأ اسم جيليقية يتردد في التاريخ الاسلامي منذ الفتح حيث التجأ إلى الجبال شاب فآثر يدعى - بلاي - رفض الخضوع للعرب المسلمين وطارده المسلمون حتى لم يبق معه سوى ثلاثون رجلاً وامرأة ، ثم أخذ في استقطاب المقاومة وتنظيم القوات في معاقلة الجبلية وأقاد من فترة حكم - الأمراء - وما رافق ذلك من فتن داخلية فأعاد تنظيم أمور الاقليم الذي يحكمه وكان له مع المسلمين معارك مستمرة ، وعندما توفي تابع صهره ثم أبناؤه دورهم القيادي .</p>		
<p>تولى حكم جيليقية الملك العفيف باسم - الفونسو الثاني - وأطلق على مملكته - في الشمال الغربي من الجزيرة - اسم مملكة جيليقية أو اشتوريش - استورياس - ونقل عاصمة مملكته من الجبال إلى اوفيدو ، وأصبحت حدود المملكة تمتد من غسكونيا شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً ومن خليج غسكونيا شمالاً حتى نهر دويره جنوباً ، ثم استقلت عنها نافار أو - بلاد البشكش - .</p>	٧٩١	١٧٥

موجز الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
في عهد هشام بن عبد الرحمن		
- حدثت معركة الصخرة بين العرب المسلمين وقوات جيليقية وانتهت بهزيمة الفونسو الثاني هزيمة ساحقة .	١٧٩	٧٩٥
في عهد الحكم بن هشام		
- عبر الفونسو الثاني بقواته نهر دويره ، وغزا الأراضي الاسلامية ووصل قلمريه واشبونه ..	١٩٣	٨١٠
- رد الحكم بهجوم مضاد ، فتقدم عبر وادي الحجارة ، وأخضع جيليقية .	١٩٤	٨١١
في عهد عبد الرحمن بن الحكم		
- غزا عبد الكرم بن عبد الواحد بن مغيث البه والقلاع وأوقع بقوات جيليقية هزائم منكرة ..	٢٠٨	٨٢٣
توفي الفونسو الثاني وخلفه ولده راميرو الأول ، رزمير عند مؤرخي العرب .	٢٢٨	٨٤٢
توفي راميرو الأول وخلفه اردونيو ملكا على اشتوريش وبردوليا - قشتالة - . وعمل اردونيو على بناء وتحسين ثغور بلاده فأقام - تودة ، وليون ، واسترقة .	٢٣٦	٨٥٠

موجز الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	
٢٥٢	٨٦٦	٤ توفي أردونيو وخلفه ابنه البكر، الفونسو، الذي عرف باسم الفونسو الثالث، أو، الفونسو الكبير. ودفع الفونسو الثالث حدود مملكته حتى جبال البيرنيه شرقاً كما عبر نهر دويرة مرات كثيرة لغزو بلاد المسلمين .
٢٥٨	٨٧١	٥ عقد مؤتمر كهنوتي في ، اوفيدو ، لاعادة تنظيم الكنيسة الاسبانية .
٢٩٧	٩١٠	٦ تنازل الفونسو عن الحكم لابنائه بعد سلسلة من المؤامرات ، فكان توزيع السلطة ونظام الحكم كما يلي : ١ - جارسيا ، أو ، غرسيه ، الابن الأكبر ، وصياً على العرش . ٢ - أردونيو ، اردن ، ابن الفونسو ، ملكاً على جيليقية . ٣ - فروبلة ، ملكاً على أستوريش . - توفي الفونسو الثالث، بعد ذلك بفترة قصيرة . وأجري تعديل على اسم الملكة فأصبحت تعرف بملكة ليون عوضاً عن جيليقية وأشتوريش . ونقل ابنه ، جارسيا ، قاعدة الملكة من أوفيدو إلى ليون لموقعها المتوسط بين جيليقية واشتوريش .

موجز الأحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	
قام أردونيو ، أرذن ، بالأغارة على الحدود الإسلامية ووصل في تقدمه حتى ماردة واستولى على بعض قلاعها . كما احتل أيضاً بمض قلاع بطليوس .	٣٠٢	٩١٤	٧
وجه الخليفة عبد الرحمن الثالث جيشاً بقيادة وزيره أحمد بن أبي عبدة لغزو مملكة ليون ، فدمر جيش المسلمين الحصون والقلاع وقضى على المقاومات التي جابهته .	٣٠٤	٩١٦	٨
قاد ، أردونيو الثاني ، قواته وهاجم إقليم طلييرة تالافيرا ، وأحرق مدنه ، فجاء رد الخليفة عبد الرحمن بإرسال جيش قوي ، لكن هذا الجيش لم ينجح في إخضاع ليون ، ولحقت به الهزيمة وقتل قائده أحمد بن أبي عبدة ومعه مجموعة من أفضل القادة. وتعرف هذه المعركة باسم «موقعة شنت اشتين أو ، سنت استيفان»	٣٠٥	٩١٧	٩
عاد أردونيو الثاني ، ملك جيليقية وحليفه سانشو ملك نافار لغزو ثغور المسلمين .	٣٠٦	٩١٨	١٠
قاد الخليفة عبد الرحمن بنفسه جيشاً كبيراً ، فوصل مدينة أوسمة «وخشمة» فأحرقها ، وانتقل إلى قلونية ، فدمرها وأحرقها وتابح تقدمه ، وسانشو ينسحب بقواته حتى عبر الخليفة	٣٠٦	٩١٨	١١

موجز الاحداث

السنة الهجرية | السنة الميلادية

عبد الرحمن نهر ابيرة، ابرة. فقام سانشوبهجوم مباغت ، لكن الخليفة عبد الرحمن احبط هذا الهجوم وهرب جيش ليون إلى الشمال واعتصم بالمواقع المتبعة ، ولجأ سانشو إلى حليفه أردونيو فجمع الملكان قواتهما، وعندما وصل الخليفة عبد الرحمن في تقدمه حتى مضائق جبال البيرية ، انقضت قوات جيش ليون وناقار وأوقعا بعض الخسائر في مؤخرة جيش المسلمين ، فانسحب الخليفة عبد الرحمن إلى السهل، وأقام معسكره، وتقدمت قوات ليون وناقار ، وخاضت مع المسلمين معركة ضارية انتهت بانتصار المسلمين الذين تابعوا أعمالهم القتالية بتدمير المواقع والمناطق المحصنة .

توفي أردونيو الثاني ملك ليون وخلفه أخوه فرويلا .

٩٢٥

٣١٣

توفي فرويلا وتنازع الملك ولدا - أردونيو - وهما سانشو والفونسو وشغلت ليون بحرب أهلية استمرت أعواماً .

٩٢٦

٣١٤

استطاع روميرو انتزاع السلطة وجلس على العرش باسم روميرو الثاني .

٩٣٢

٣٢٠

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٣٩	٩٥٠	توفي روميرو الثاني ملك ليون وتارت الحسرب بين ولديه - أردونيو وسانشو .
٣٧٢	٩٨٢	استولى على حكم ليون برمودو الثاني .
٣٩٠	٩٩٩	توفي برمودو وخلفه ابنه الفونسو بوصاية منديث كونثالث .
٤١٦	١٠٢٥	شكل الفونسو الخامس مجلساً دستورياً لوضع دستور للمملكة ووضعت القوانين التي أصبحت بموجبها الحكم وراثياً .
٤١٨	١٠٢٧	توفي الفونسو الخامس فخلفه ولده برمودو الثالث .

* * *

الفصل الرابع

الفصل الثالث

عصر القوة في الاندلس

الردع في عهد عبد الرحمن الثالث

- ١ - غزاة موبش :
 - ٦ - الوضع العام : آ - الموقف في الشمال .
 - ب - الموقف في الدولة العباسية .
 - ج - الموقف في بيزنطة .
 - د - الموقف على الحدود الجنوبية للاندلس .
- ٢ - الوضع الخاص .
- ٣ - غزوة موبش - مسيرة العمليات .
- ٢ - غزوة بنبلونه :
 - ٦ - الوضع الخاص قبل المعركة .
 - ٢ - مسيرة الأعمال القتالية .
 - ٣ - معركة الخندق « غزاة القدره » .
 - موجز الأحداث .

- ٦ - الوضع العام .
- ٧ - الوضع الخاص .
- ٨ - مسيرة الأعمال القتالية .
- ٩ - نتائج المعركة .

الردع في عهد « الحكم المستنصر »

- ١ - الوضع العام .
- أ - الموقف في دول الشمال .
- ب - الموقف في الجنوب .
- ٢ - الوضع الخاص .
- ٣ - الأعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد .
- ٤ - احباط غزو النورمان .
- ٥ - عملية الردع في غزو « غرماج » .
- أ - التحدي .
- ب - الهجوم القادر الثاني .
- ج - مؤتمر الحرب .
- د - العرض والاستعراض .
- هـ - الاعداد للمعركة الحاسمة .
- و - المعركة الحاسمة .
- ز - استثمار الظفر .
- ح - معركة ثانوية على أبواب سرقسطه .

تصعيد استراتيجية الردع في عهد الحاجب المنصور

- ١ - قتال مستمر .
- ٢ - غزوة شنت ياقتب .
- أ - الوضع العام .

- ب - الوضع الخاص .
 ج - مسيرة العمليات .
 ٣ - منجزات الحاجب المنصور وأسلوب عمله .
 الفوز المضاد ما بعد المنصور ، وبداية حركة الاسترجاع
- ١ - ديركلوني قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية .
 - ٢ - اجتماع كليرمونت واطلاق الحرب الصليبية .
 - ٣ - استراتيجية حركة الاسترجاع .
 - ٤ - المنطلقات الأساسية لاستراتيجية الاسترجاع .
 - ٥ - الحرب الصليبية في الشرق والغرب .

قراءات

- عبد الرحمن الداخل .
- هشام بن عبد الرحمن .
- الحكم بن هشام .
- عبد الرحمن بن الحكم .
- محمد بن عبد الرحمن .
- المنذر بن محمد .
- عبد الله بن محمد .
- عبد الرحمن بن محمد .
- الحكم المستنصر .
- الحاجب المنصور .

الردع في عهد عبد الرحمن الثالث

٣٠٠ - ٨٣٥٠ = ٩١٢ - ٩٦١ م

١ - غزاة موبش - ٨٣٠٨ - ٩٢٠ م

٦ - الوضع العام :

كان عهد عبد الرحمن الثالث الناصر هو عهد ازدهار الاندلس قوة وعمراناً وعلماً وعرافناً ، واصبحت قرطبة في عهده عاصمة « الدنيا » يقصدها الملوك والأمراء ، وتحج إليها الوفود ، ويفزل بها السفراء فيجدون فيها الحضارة والتطور ، وان معرفة هذه الفترة تتطلب استعراض الوضع العام في الدول المجاورة بالدرجة الاولى والدول الكبرى في تلك الفترة بالدرجة الثانية .

آ - الموقف في الشمال : تعاقب على حكم الدولة الكارولنجية خلال فترة الفتح الاسلامي لاندلس : شارل مارتل ٦٩ - ١٢٤ م ، ثم شارلمان الكبير وابنه بيبان الحاسم ١٢٤ - ١٥١ م ، وجاء بعد ذلك لويس التقي ١٩٩ - ٨٢٢٦ م ، وكان لويس ضعيفاً بحيث أخذت الملكة الكارولنجية تسير في طريق الضعف .. وعندما توفي لويس الضعيف « التقي » خلفه ابنه الأكبر لوثر^(١) فاتفق ضده اخويه لويس الجرمانى^(٢) وشارل الأصلع وحدثت بين

.....

(١) لويس التقي Louis Le Pieux ، ويسمى لويس الأول لتمييزه عن لويس الثاني ٨٢٢ - ٨٧٥ م والذي أصبح ملكاً لاطاليا عام ٨٤٤ م وامبراطوراً للغرب عام ٨٥٠ - ٨٧٥ م وهذا ابن لوثر الأول ، ثم لويس الثالث « الأعمى » والذي أصبح امبراطوراً للغرب بين عام ٩٠١ و ٩٠٣ م .

(٢) لوثر الأول : Lothaire 1er .

(٣) لويس الجرمانى : Louie De Germanie .

الأخوين المتحالفين وأخيهما لوثر الأول معركة في فونتينيوي Fontenoy التي انتهت بانتصار الأخوين وارغام لوثر على تقسيم المملكة الكارولنجية بموجب اتفاقية فردان على النحو التالي :

- مملكة الفرنجة الغربية، تحت حكم شارل الأصغر^(١) وتضم حدود فرنسا الحالية باستثناء برجنديا والبروفانس والازراس واللورين ..
 - مملكة الفرنجة الشرقية ، تحت حكم لويس الجرمانى وتضم حدود المانيا الغربية حالياً .
 - المملكة الوسطى ، وبقيت تحت حكم لوثر وهي تضم القسم الأكبر من الأراضي المنخفضة واللورين وبرجنديا والنصف الشمالي من ايطاليا ..
 - في عام ٨٤٢ م - ٨٥٥ م توفي لوثر الأول بعد أن قسم مملكته بين أبنائه الثلاثة على النحو التالي :
 - ١ - مملكة ايطاليا ، وملكها لويس الثاني الذي خلف والده لوثر في الامبراطورية .
 - ٢ - مملكة لوتارنجيا^(٢) ، وملكها لوثر الثاني .
 - ٣ - مملكة البروفانس وليون ، وملكها شارل (المصاب بالصرع) .
- في عام ٨٥٦ م - ٨٦٩ م توفي لوثر الثاني ملك لوتارنجيا فقسمت أملاكه بين شارل الاصغر ولويس الجرمانى بموجب اتفاقية تقسيم مرسين^(٣) وتم تنفيذ ذلك في عام ٨٥٧ م - ٨٧٠ م ، كما انهما اقتسما أيضاً بالاتفاق فيما بينهما قسماً كبيراً من الاراضي التي كانت من نصيب شارل المصاب بالصرع ، والتي سبق تقسيمها بين لويس الثاني ولوثر الثاني ..

(١) شارل الأصغر : Charles Le Chauve أو شارل الثاني .

(٢) لوتارنجيا : Lothairingia .

(٣) مرسين : Partition of Meersen .

في عام ٢٦٢ هـ - ٨٧٥ م توفي لويس الثاني ، وحاول كل من شارل ولويس
الجرماني الحصول على التاج الامبراطوري ، وقد نجح شارل في هذه المحاولة .
وفي عام ٢٦٣ هـ - ٨٧٦ م توفي لويس الجرماني فأسرع شارل في محاولته
للحصول على نصيبه من اقليم لوتارنجيا ، ولكن ابن لويس 'لويس الثاني الصغير'
هزمه في اندرناخ ، وأحبط له محاولته ..

في عام ٢٦٤ هـ - ٨٧٧ م توفي شارل وخلفه ابنه الضعيف ' لويس الثاني
المتلعثم ' الذي توفي بعد ذلك بعامين ، ثم لم تمض فترة طويلة حتى توفي لويس
الثاني (ولويس الثالث وكارلومان) أبناء لويس الثاني فتم انتخاب شارل البسيط
أو شارل البدين وهو أخ لويس الثاني امبراطوراً على كل من مملكتي الفرنجة
الشرقية والغربية ..

في عام ٢٧٤ هـ - ٨٨٧ م ، قامت ثورة عامة في مملكتي الافرنج انتهت
بانتخاب أرنولف الكارنشي ملكاً على المانيا ، وأود ملكاً على شمال فرنسا ، كما
أقيمت ممالك مستقلة في كل من بروفانس وبرجنديا وابطاليا^(١) .

ان الاستعراض السريع للمراحل السابقة يظهر [بداية ظهور اوربا
ومعاناتها من الانقسام والتجزئة . وبديهي ان هذه التطورات لم تمر دون صدام
مسلح بين افراد العائلات المالكة ، مما جعل دول الافرنج اكثر اهتماماً بأمورها
الداخلية مما كان يجري حولها . وكانت السلطة الوحيدة التي تتابع التطورات
بجهد ويقظة هي السلطات الكنسية . فهي التي كانت تحاول باستمرار ايقاف
الصدام ضمن حدود ضيقة ، وتذكر بالاحطار الخارجية ، وتحاول تكتيكل
القوى ضد العرب المسلمين في الاندلس .]

ب - الموقف في الدولة العباسية :

في عام ١٩٣ هـ : توفي مارون الرشيد ، وكان عهده يمثل الفترة الذهبية في

(١) المصدر : Nouveau-Larousse Illustré-1653 .

حياة الدولة العباسية ، ولم تلبث الامور أن تطورت بعد وفاته الى حرب بين الاخوين المأمون والأمين .

في عام ١٩٨ هـ - ٨١٣ م ، قتل الأمين بن هارون الرشيد ، وانتصر المأمون وكان انتصاره نجاح كبير للعنصر الفارسي وهزيمة للعنصر العربي .

- وفي عام ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م : توفي المأمون وخلفه المعتصم فاستعاض عن العنصر الفارسي بالعنصر التركي .

- وفي عام ٢٢٧ هـ - ٨٤١ م : توفي المعتصم وخلفه الواثق بالله .

- وفي عام ٢٣٢ هـ - ٨٤٦ م توفي الواثق بالله وخلفه المتوكل على الله .

- وفي عام ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م : قتل المتوكل وخلفه المنتصر بالله .

- وفي عام ٢٤٨ هـ - ٨٦٢ م : توفي المنتصر وخلفه المستعين بالله .

ولا حاجة بعد ذلك لتابعة مسيرة الاحداث في بغداد ، وسامراء . فقد شغلت الدولة العباسية بمتاعبها الداخلية والثورات المضادة التي اشتملت في كل مكان والتي انتهت بتمزيق الدولة العباسية الى ممالك وامارات مستقلة حتى لم يبق للخليفة العباسي من الخلافة سوى اسمها .

كان من أهم الأحداث التي جابهتها الدولة العباسية في هذه الفترة ، ثورة الزنج طوال الفترة بين ٢٦٢ - ٢٧٠ هـ - ٨٧٥ - ٨٨٣ م .

ثم ظهور القرامطة ٢٧٧ هـ - ٨٩٠ م وتزايد قوتهم بحيث سيطروا على شبه الجزيرة العربية ووصلوا مكة عام ٣١٧ هـ - ٩٢٩ م مع تماظم نفوذ بيزنطة ، وتصعيد عملياتها في الشام .

نتيجة لذلك فانه لم تعد لدى الدولة العباسية القدرة على تشكيل خطر يتهدد الامويين في الاندلس ..

ج - الموقف في بيزنطة :

استمرت « استراتيجية الحاور » التي وضعها شارلمان سارية المفعول فكانت

الاتصالات تستأنف بين فترة وأخرى تبعاً للظروف ، والمواقف ، وحسبما تكون عليه بيزنطة من القوة ، فإذا أصبحت قوة بيزنطة تشكل تهديداً للغرب ، وكان للحكم العباسي قوياً تزايدت روابط الصداقة قوة بين الغرب وبعثداد وتعود لتدعيم محور « حلفها » فتعمل القسطنطينية بالمقابل على تدعيم روابطها بالأندلس لتشكل تهديداً موجهاً ضد جنوب أوروبا مع توفير مناخ الحرية للعمل ضد « بلاد الشام » ولتوجيه ضربات قوية في اتجاه الثغور مع تطوير العمليات إذا كان الموقف ملائماً للتوغل الى قلب بلاد الشام والجزيرة .

د - الموقف على الحدود الجنوبية للأندلس :

— كانت افريقية والمغرب الأقصى منها بصورة خاصة مصدر تهديد قوي ضد الأندلس في مرحلة نشوئها وتطورها ولكن هذا الخطر أصبح ضئيلاً بعد أن تكونت قناعة عند الدولة العباسية بفشل محاولاتها ، وبعد أن شغلت الدولة العباسية بشؤونها الداخلية ومتاعبها الخاصة . ولكن ومع زوال هذا الخطر ، ظهر خطر جديد هو انتشار الدعوة الشيعية في المغرب وكان خطر هذه الدعوة يتهدد بصورة غير مباشرة الأندلس ، مما يجعل الأمراء والخلفاء الأمويين في الأندلس على توجيه قسم من مجهودهم نحو الجنوب لضرب حركة الشيعة في المغرب وعدم السماح لها بالوصول إلى الأندلس .

٣ - الوضع الخاص :

تسلم الأمير عبد الرحمن الثالث حكم الأندلس ، والبلاد في حالة من الفوضى ، فالتمزق الداخلي قد جعل من كل مدينة دولة مستقلة ، ومن كل إقليم امارة منفصلة ، وكانت الحروب الداخلية التي استمرت طوال عهدي المنذر وأخيه عبد الله ٢٧٣ - ٥٣٠ = ٨٧٦ - ٩١٢ م قد أرهقت البلاد وأفقرتها واستنزفت كامل قوتها .

وكانت الدول النصرانية في الشمال (« ليون - أو - جيليقية » و « نافار

- أو - البشكنش) تتابع مسيرتها نحو بناء قوتها الذاتية مستفيدة من التناقضات الداخلية وعاملة على دعم « الثورات المضادة » ضد دولة قرطبة .. وكانت دولة ليون - أو - جيليقية ، قد أصبحت من أقوى دول الشمال ، بحيث شملت حدودها المنطقة الشمالية الغربية من الأندلس بين المحيط ونهر دويره ، ولهذا فقد أخذت هذه الدولة على عاتقها زعامة الدول الشمالية لممارسة عملية الصراع ضد العرب المسلمين ، وكانت أول خطواتها تحرير الثغور والمدن المتاخمة لحدودها بحيث لم يبق في مدن استورقه ومموره وشلفه وشقموبيه وميرانده وغيرها وجود للعرب المسلمين .

وأقام « الفونسو الثاني » مجموعة من القلاع والتحصينات على امتداد حدود بلاده لمهاجمة الأعمال الهجومية للعرب المسلمين والانطلاق من هذه القلاع والتحصينات - في الوقت ذاته - لضم أقاليم جديدة وانتزاع بلاد أخرى من العرب المسلمين .. وقد اتبع « الفونسو الثاني » ومن بعده « غرسيه » أسلوباً خاصاً لمهاجمة المسلمين في الثغور ، وكان هذا الأسلوب يعتمد في أساسه على « استراتيجية الأرض المحروقة » وقتل النساء والأطفال والشيوخ في اغارات قصيرة وحاسمة ، واخضاع السكان لظروف نفسية قاسية يستحيل عليهم معها البقاء على حدود الشمال ، والاستمرار في الاستيطان عند الثغور ..

كان الأمير عبد الرحمن يفضل دونما ريب عدم الدخول في معارك مع دول الشمال حتى يتفرغ لتصفية أعمال التمرد في الجنوب بحيث يستطيع تركيز جهده بكامله للانطلاق في عمليات حاسمة ضد الشمال ، والدليل على ذلك هو قيادته بنفسه لبواكير العمليات ضد حركات التمرد ولما يمض على تسلمه السلطنة سوى أشهر قليلة لكن دول الشمال لم تترك له هذه الفرصة ، وبدأت على الفور ممارسة عمليات « السبر » ثم طورت عملياتها فانطلق « اردونيو الثاني » ملك ليون بهجوم كبير في عام ٨٣٠٢ - ٩١٤ م ، ووصل بهذا الهجوم حتى مدينة

« مارده » فاستولى على بعض القلاع وأباد الحاميات المدافعة عنها وسبى النساء والأطفال ثم تابع تقدمه حتى « بطليوس » فأرسل أهلها وفداً محملاً « بالفدية » مظهراً الطاعة وعاد « اردونيو » من هجمته مثلث بالغنائم دون أن يصطدم بقوة حقيقية .

– كانت منطقة مارده من المناطق الثائرة باستمرار ، ووجد الأمير عبد الرحمن الفرصة مناسبة لظهور التلاحم بين المسلمين في الأندلس ضد عدوهم المشترك فوجه جيشاً بقيادة وزيره وقائده أحمد بن أبي عبده مع بداية عام ٣٠٤ هـ - ٩١٦ م وذلك بهمة « ردع المدوان » والمهجوم على مملكة « ليون » .

– انطلق أحمد بن أبي عبده بجيشه الكبير ، واصطدم بجيش ليون في مجموعة من المعارك الثانوية التي نجح في تحقيق انتصارات متتابة خلالها وغنم غنائم كثيرة وعاد من عملياته بعد أن ألحق أضراراً كبيرة في ممتلكات ليون وأراضيها .

– في عام ٣٠٥ هـ - ٩١٦ م : قاد اردونيو الثاني من جديد جيشاً كبيراً وركز جهده على اقليم « طليبره - تالفيرا » ولم يغادر الاقليم إلا بعد أن ترك المدن حرائق مشتعلة والقرى ركماً من الدمار ، وحدثت نتيجة لذلك نقمة عامة ضد قرطبة لمعجزها عن القيام بهجوم وقائي ، يوفر للسكان الحماية والأمن ..

– أمام هذا الموقف وجد الأمير عبد الرحمن نفسه مرغماً على تركيز الجهد في عمليات الشمال ، فوجه جيشاً قوياً بقيادة أحمد بن أبي عبده أيضاً ، ولمهارة الواجب ذاته ..

– كانت قلعة « كاسترو موروس » ، قاشتر - مورش « أو سنت استيفان من أقوى قلاع الشمال وأكثرها تحصيناً ، ولهذا أراد القائد أحمد بن أبي عبده احراز نصر حاسم في عمليات الردع وذلك باحتلال هذا الثغر ، فتوجه بجيشه وحاصر قلعة سنت استيفان ، ومضت فترة أوشكت فيه الحامية على الاستسلام وفي هذه المرحلة وصلت قوات ليون بقيادة اردونيو ، وكانت تتفوق على قوات

المسلمين تفوقاً ساحقاً .. وانطلق اردونيو بهجومه ، ولم ينجح جيش قرطبة أن يصمد لقوة الصدمة ، فبدأ بالتراجع والانسحاب وصمد القائد أبي عبده ومعه مجموعة من قادته واعداد قليلة من المقاتلين فأبيدوا اباداة تامة ، واستطاعت بقية القوات أن تنسحب بكامل قواتها وعتادها ، في حين تذكر المصادر الأندلسية ان هزيمة المسلمين في هذه المعركة كانت هزيمة منكرة بحيث غطت جثث قتلى المسلمين جميع السهول والتلال والغابات بين دويره و ايتزا « انيشه » (١) ..

كان انتصار اردونيو ملك ليون في « سانت استيفان » حافزاً لدفع سانشو « شانجه » ملك نافار ، للقيام بعمليات مماثلة ، وفي ربيع ٣٠٤ هـ - ٩١٨ م ، انطلقت قوات الحلف المكون من ملكي ليون ونافار ، للقيام بهجوم جديد قبل مضي أشهر قليلة على الهجوم السابق وقبل أن تتمكن قرطبة من تضييد جراحها . ووصلت قوات الشمال الى « ناجره - أو - ناجيرا » وطليلة فأعملت في أقاليمها هدماً واحرقاً وسبياً واستولى « سانشو » على مدينة « بلتيره - أو - فالتيرا » فأحرق مسجدها وأذل أهلها قتلاً وسبياً ، وأعمل في بنائها تدميراً واحرقاً ..

- لم يكن باستطاعة عبد الرحمن الناصر - البقاء في مواقع السلبية - فوجه جيشاً كبيراً بقيادة حاجبه « بدر بن أحمد » بمهمة ردع العدوان ، ووجه رسائل الى الأقاليم لتوجيه القوات من أجل دعم الجيش ، وأسرعت حاميات الثغور وقوات الأقاليم في الانضمام الى الجيش .

- كانت مملكة ليون ومملكة نافار على علم بتحرك قوات المسلمين ، وكانت قوات الملكتين قد أكملت استعداداتها وزجت بكل امكاناتها في انتظار وصول جيش قرطبة إلى حدود مملكة ليون ..

- اندفعت قوات المسلمين في اجتياز مملكة ليون كالسيل المدمر ، فانسحبت

(١) البيان المغرب ٢ / ٢٦٠ - ٢٦٦ ر

مفارز الاستطلاع والمراقبة واعتصمت بالمواقع الجبلية الحصينة ، وأسرع فرسان المسلمين الى هذه القوات فمزقتها وأرغمتها على ترك مواقعها . ثم تقدم المسلمون حتى وصلوا الى مسافة قريبة من « مطونه » حيث دارت رحى معركة بين كبيرتين في يومي الثالث والخامس من ربيع الاول سنة ٣٠٦ هـ - ١٣ - ١٥ آب اغسطس سنة ٩١٨ م ، وأظهرت قوات ليون تصميماً كبيراً لكن قوات المسلمين نجحت في احراز النصر وسحق قوات العدو وهزيمتها هزيمة منكرة بحيث لم تتمكن سوى مفارز قليلة في التخلص من ميدان المعركة والانسحاب بعيداً عن مسرح العمليات ، ثم عاد جيش المسلمين الى قرطبة وهو يرفع رايات النصر ..

- على الرغم من هذه الهزيمة ، فقد تابعت قوات ليون ونافار عملياتها العدوانية على الثغور والحدود الشمالية ، كما استمرت أعمال الردع ، ولكن هذه العمليات المحدودة والمستمرة لم تحقق نتيجة حاسمة في اقناع الشمال بإيقاف أعماله العدوانية ، فقرر « الناصر » تصعيد عمليات الردع وقيادتها بنفسه ، لاسيما بعد أن وصلت رسائل من اردونيو ، تنهدهه باجلائه عن الأندلس [بمواعيد وعدها من نفسه ..] فأظهر عبد الرحمن الناصر ، قبول التهديد ، وأضمر الكيد له ، وأخذ في الاعداد لمعركة حاشمة مع خصمه - ملك ليون - .

٣ - غزوة موبش - مسيرة العمليات - :

- في محرم ٣٠٨ هـ - حزيران ٩٢٠ م ، وبعد اتخاذ اجراءات العمليات ضمن نطاق محكم من السرية ، انطلق الأمير عبد الرحمن على رأس جيش المسلمين حتى وصل مخاضة الفتح بعد أربعة أيام من المسير المتصل .. وفي « مخاضة الفتح » استقبل عبد الرحمن الناصر كتاباً من عامل « مدينة الفرج » للاعلام عن قيام جيش « جيلقيه » بعدوان كبير على ريف « المدينة » وأنه استولى على ما فيه من خيول وماشية ، ثم تابعوا تقدمهم حتى وصلوا « حصن القليعة » الواقع على مسافة قريبة من « مدينة الفرج » ، وعند ذلك تم حشد كل الامكانات المتوفرة واندفع جميع أهل المدينة من فرسان ومشاة « رجاله » لمجابهة العدوان ودارت

معركة قاسية انتهت بانتصار المسلمين انتصاراً حاسماً وبدأ جيش جيليقية بالانسحاب فاندفع فرسان المدينة لمطاردته واستمرت أعمال المطاردة و إبادة قوات الخصم طوال النهار ..

– تابع عبد الرحمن الناصر تقدمه نحو الشمال ، في الوقت الذي كانت فيه الحشود وقوات الدعم تتلاحق بصورة مستمرة من سائر أقطار الأندلس ، وتنضم الى جيش الناصر ، حتى وصل الى مدينة طليطلة ، فكان في استقباله لب بن الطربيشة على رأس حامية المدينة ، ثم انضمت قوات طليطلة الى جيش الناصر الذي استمر في تقدمه حتى وصل مدينة الفرج ، حيث توقف فيها لاعادة تنظيم قواته ، وتمتددة جيشه ، واستأنف بعد ذلك مسيرته فوصل مدينة سالم واحتلها وانطلق منها في اتجاه « البه والقلاع » [.. وطوى من نهاره ثلاث مراحل... حتى احتل بوادي دويره ..]

– ارهقت هذه المسيرة المديدة جيش قرطبة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أسرع عبد الرحمن الناصر لاعادة تنظيم قواته مستفيداً من التوقف الليلي ، ثم وجه مع أول ضوء قوة من الفرسان [في جرائد الخيل ومرعان الفرسان] بقيادة وزيره سعيد بن المنذر بمهمة احتلال حصن « وخشمه » (١) .

– كان ظهور قوة فرسان المسلمين في وادي دويره مباغتاً لقوات جيليقية ، وعمل سعيد بن المنذر على توجيه مجموعات صفرى من الفرسان في طرفي الوادي في الوقت الذي كان فيه أهل الوادي والمدافعين عنه على غير استعداد قتالي ودونما حالة انذار مسبق [.. ففشتتهم الخيل المفجرة على حين غفلة وأصابوا نصحهم وسوامهم ودوابهم وهي مسرحة مهملة ، فاكتسحوا جميع ذلك وانصرفوا الى العسكر سالمين غانمين ..] (٢) .

– أفادت بقية قوات جيش قرطبة من نهار التوقف ، ومن ثوفرا الحماية بانطلاق

(١) وخشمه ، أو ، اكشومة Osma على نهر دويرة شرق شنت اشتين .

(٢) البيان المغرب ٢/٢٦٤ .

مجموعة الفرسان الى وادي دويره ، فتمت اعادة التنظيم وأخذ الجميع قسطاً من الراحة وعندما عاد المنذر من عملياته في نهاية نهار يوم الخميس ١١ صفر ، اطلع الأمير عبد الرحمن الناصر على الموقف ، وفي صباح الجمعة ، انطلق فرسان المسلمين [.. وهم في اكمل تعبئة وأهدب ترتيب وأوكد ضبط وأبلغ حزم .. الى حصن وخشمه ..]

— لم تكن الحامية المدافعة عن حصن وخشمه تتوقع مثل هذا الهجوم المباغت ويمثل هذه القوة ، فعملت على اخلاء الحصن والانسحاب منه [.. الى الفياض الأشبه والصخور المنقطعة ..] واقتحم المسلمون الحصن فوجدوه خالياً فغنموا جميع ما فيه ، وأضرموه ناراً ، وانسحبوا منه ..

— توقف الناصر ليلة واحدة عند حصن وخشمه ، وفي صباح اليوم التالي انطلق الى « حصن قاشتر - مورش »^(١) ، وكانت المعلومات قد تسربت عن سقوط « حصن وخشمه » ، ووجدت الحامية المدافعة عن قاشتر مورش ، انها لا تستطيع الصمود لزحف جيش المسلمين فقامت بالجلء عن الحصن ، وتخلوا عنه دون دفاع ، فدخله المسلمون ، وغنموا ما فيه ، وانطلقت مجموعات الى حصن القبيلة المجاور له ، فدمروه . وفي الوقت ذاته كانت بقية مجموعات الفرسان تنطلق في كل اتجاه لتدمير جميع الحصون والقلاع ، [حتى لم يترك لأعداء الله في تلك الجهة نعمة يأوون اليها ..]

— وفي صبيحة اليوم التالي ، انتقل أمير المؤمنين ، عبد الرحمن الناصر من شرق قلعة « قاشتر - مورش » الى غربيها وليس بين الموضعين سوى ميل واحد . ونظم مجموعات الفرسان لمتابعة أعمال الاستطلاع ، ومطاردة فلول قوات العدو في كل اتجاه ..

(١) قاشتر مورش ، وه شنت اشتين : San-Esteban . كان من الثغور الرئيسية الشمالية ، وكانت القوات الشمالية تستخدمه للانطلاق في عملياتها الهجومية ضد ثغور المسلمين ومدنهم وتعرف أيضاً باسم : Castro-Muros .

- كانت « قلوبيه »^(١) من أمهات المدن التي تستخدمها - مملكة نافار -
للاغارة على حدود المسلمين ، فوضع المنصور مخططه للسير اليها وتدميرها ،
وكانت هذه المدينة تقع على محور تحركه نحو تطيله التي أراد الناصر دعمها
استجابة لطلب الحامية المدافعة عنها بعد أن تعرضت لكثير من هجمات نافار
بقيادة « سانشو - سانجه » ملك نافار ..

- توجه عبد الرحمن الناصر يبيش في اتجاه « قلوبيه » ، فلم يصطدم بمقاومة
كبيرة وتقدم عبر القرى المتناثرة ، فغتم جميع ما كان فيها ، وعندما وصل
المسلمون « قلوبيه » كان أهلها قد تركوها ، والتجأوا الى الجبال المجاورة ، فانطلق
الجند الى المنازل والأبنية والكنائس يدمرونها ويحرقونها ويفنمون ما فيها ،
واستمرت أعمال التدمير طوال أيام ثلاثة [بهدف المطاولة لنكاية المشركين
وانتصاف نعمهم ..]

- عرف الناصر ، ان عامل المباغثة قد زال تأثيره بدليل اخلاء المدين
والقرى التي سار خلالها يبيش ، وعرف أيضاً ان المسير المستمر طوال الفترة
السابقة قد أرهق جنده ، فأخذ الناصر بالرفق في نهوضه .. وسار على محور
مواز لوادي نهر دويره حتى قطع صحراء الشمال في خمسة مراحل وصل بعدها
الى اقليم تطيله حيث كان « محمد بن لب » عامل الاقليم في انتظاره ، فوجه مجموعة
قتالية من الفرسان بقيادته للاغارة على حصن قلقره^(٢) .

- قاد محمد بن لب المجموعة القتالية الى حصن قلقره ، فوجد أن الحامية
المدافعة عنها قد غادرت ، فاحتله المسلمون ، وفي الوقت ذاته قاد الناصر بقية

(١) لم تحدد المصادر موقع هذه المدينة بدقة ، ولكن وصف مسيرة العمليات في البيان المغرب
٢٦٦/٢ ، مع تحديد مسافات المسير ، يعمل على الاعتقاد بان قلوبيه هي قلعة النور ، الواقعة
شمال شرق « وخشمة » ، أو « رمة » .
(٢) قلعة « أر » ، ركة Ricla في موقع متوسط بين روطه ، وقلعة أيوب على رافد
نهر ابرة .

الجيش الى حصن قلهره^(١) ، ولم تحاول الحامية المدافعة عن الحصن مجابهة تقدم المسلمين ، بل عملت على الانسحاب والجلء عن الحصن الذي دخله المسلمون ، وأخذوا في تدمير منشآته ومراكزه طوال يومين كاملين ..

— كانت العمليات السابقة كلها جنوب وادي « نهر ابره » ، وعندما تم للمسلمين تدمير قلهره ، أمر قواته بعبور النهر .. واندفعت المقدمة لحماية العبور في الوقت الذي استمر فيه تدفق القوات نحو الشمال. وفي هذه الفترة انطلق ملك نافار « شانجه » بهجوم قوي محاولاً تحطيم مقدمة المسلمين فاندفعت قوة الفرسان في المقدمة ، وجابهت الهجوم واستطاعت احباطه بسرعة ، فأخذت قوات « سانشو - شانجه » بالانسحاب ، ولكن قوات المقدمة ألقت بثقلها في المعركة ونجحت في تحويل الانسحاب الى هزيمة وانطلقت الفرسان في مطاردة فلول قوات العدو ، ثم عادت عناصر المقدمة عند توقف القوات بعد العبور ، لاعلام الأمير عبد الرحمن بما حدث واطلعه على الموقف ..

— خلال هذه الفترة توفرت المعلومات عند الناصر ، حول اجتماع قوات مملكتي ليون ونافار ، واسراع « اردونيو الثاني » ملك ليون و « سانشو شانجه » ملك نافار على زج قواتهما ، عبر المضائق الجبلية بهدف تحطيم المقدمة أو المؤخرة « الساقه » .. ونظراً لأن تقدم القوات سيتم في مناطق جبلية صعبة ، فقد أعاد الناصر تنظيم قواته [وأمر بتعبئة قواته وضبط اطرافها ..] وبعد أن أكمل الناصر دعم المقدمة ، والاجناب، والمؤخرة، ودفع مفارز الاستطلاع، انطلق في هجومه عبر اقليم نافار ..

— أوغل الأمير عبد الرحمن الناصر في تقدمه ، وكانت قوات ليون ، ونافار تحتل المرتفعات الشاهقة والمواقع المحصنة ، وتتابع تحركات جيش المسلمين ، وحاولت اخضاعهم لحرب نفسية لاضعاف روحهم المعنوية [وجعلوا يتصايحون ..

(١) قلهره Calahoria غرب تطلية على نهر « ابرة » . وفي البيان الغرب ٢/٢٦٧ .
(وكان شانجه قد اتخذ معقلاً ومكناً) .

ويولولون ليضعفوا من قلوب المسلمين ..] ثم أخذت مغازز « الافرنج »
تتعرض لأطراف المسلمين « العناصر الوقائية » واستمر الأمر كذلك حتى تجاوز
الأمير عبد الرحمن المناطق الجبلية ووصل منطقة سهلية ، فأمر جيشه بالتوقف ،
واقامة المعسكر . وهنا أخذت القوات المعادية للمسلمين في التدفق عبر المعابر
الجبلية وبدأ القتال ، ودارت رحى معارك كبيرة انتهت بهزيمة قوات ليون
ونافار [فهربوا لا يلوون على مكان مضطربهم ، ولا يهتدون لوجه منقلبهم ،
والمسلمون على آثارهم يقتلون من ادركوا منهم حتى حجز الظلام بينهم ..]

— كان « حصن موبش » — القريب من ميدان المعركة — ينفرد بمميزات
دفاعية جيدة ، فهرب ما يزيد عن الألف مقاتل إلى هذا الحصن على أمل أن
يجدوا فيه الحماية اللازمة ، فأمر الناصر بدفع « المجانيق » الى الحصن ، واستخدام
أجهزة الحصار ، وتم تطويق الحصن من جميع جهاته ، ثم اندفع المقاتلون فاقترحوا
الحصن وقاتلوا داخله وتم استخراج جميع المقاتلين ، وقدموا الى الناصر ، حيث
قتلوا جميعاً وغنم المسلمون ما في الحصن من أمتعة وحلية متقنة وآنية كثيرة
وألف وثمانمائة فرس .. وتوقف الناصر في « الحلة » المجاورة للحصن فترة أربعة
أيام [.. يغير جميع ما حواليتها من نعم المشركين وثمراتهم ومزارعهم ..]

— كان ملك نافار « سانشو شانجه » قد عمل على تحصين بقيرة^(١) ، فعمل
الناصر على إنهاء عملياته في التقدم الى حصن « بقيرة » ، ووجد ان الحامية المدافعة
عن الحصن قد تركته دون قتال ، فأمر بهدمه ، وازالته ..

— توجه الأمير عبد الرحمن في طريق العودة الى حصون المسلمين لتفقدتها

(١) بقيرة : Vigura ، هي الآن تابعة لمدينة لكري أو لوجرونو Logrono . وتسمى
بقيرة أيضاً « فتورية » . وجاء في المقتبس ، ابن حيان ، تحقيق مكى ، ص ٢٥٦ ان موسى
ابن موسى القسوي هو مؤسس بقيرة ، وهو الذي عمل على بنائها وتحصينها ثم ضمها نافار الى
بلادها ، وتقع بقيرة على بعد ٩١ كم ، شمال غرب تطيلة .

ودراسة متطلبات أهلها ، وتدعيم حامياتها ، وكلما ألقى بقرب حصون المسلمين معقلاً للمشركين أمر بهدمه واحراق ما يحيط به [.. حتى لقد اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة أميال في مثلها ..] واجتمع عند الناس من الأطمعة والخيرات ما عجزوا عن حمله .

— انتهت جولة الناصر في « انتيشه »^(١) فتوقف بها يوماً واحداً ، اجتمع فيه الى قادة الثغور ، وأذن لهم بالترق والعودة الى قواعدهم بعد أن قدم لهم الهدايا المناسبة ، ثم دخل قرطبة بعد أن استمرت غزوته هذه ثلاثة أشهر ..

٢ - غزو بنبلونه - عاصمة نافار -

٨٣١٢ - ٩٢٤ م

٦ - الوضع الخاص قبل المعركة :

استطاع « سانشو شانجه » ملك نافار ، أن يعيد تنظيم قواته بسرعة ، ولا ريب في ان مملكة ليون قد قدمت له دعماً قوياً ليتمكن من التغلب بسرعة على الرواسب التي تركتها الهزيمة المنكرة في معركة « موبش » الكبرى .. وكان من بعض ما تركته هذه المعركة هو حدوث انهيار عند سكان الثغور المتاخمة لحدود بلاد المسلمين ، ولهذا فقد عمل « سانشو » على معالجة هذا الانهيار بممارسة أعمال عدوانية من جديد على حدود المسلمين فانطلق في عام ٣١١ هـ - ٩٢٣ م على رأس جيش كبير في اتجاه « بغيره » ..

— كانت الحامية المدافعة عن بغيره بقيادة « ابن لب » وكان مع ابن لب مطرف بن موسى ذي النون ، ومحمد بن محمد - ابن عمه - ووجوه رجالهم ..

(١) اتينزه Atienza ، غرب مدينة سالم وفي مدخل وادي الحجارة . ويذكرها بعض المؤرخين العرب باسم « انيجة » الروض المطار ، (وفيها قتل المحافظ أبو الربيع الكلاعي عام ٥٦٣ : ١٢٣٦ م عند الدفاع عنها قبل أن تسقط في يد الافرنج ، بصورة نهائية) .

– جاء هجوم جيش نافار بقيادة سانشو مباغتاً للحامية المدافعة عن حصن « بقيرة » ورغم ذلك فقد استطاعت الحامية الصمود للعدوان لكنها لم تتمكن من الاستمرار في الدفاع ونجح «سانشو» في اقتحام بقيرة فعمل على ابادة الحامية وقتل ابن لب وأبناء ذي النون جميعاً ..

– كان عبد الحميد بن بسيل وزير المال في بلاط الامير عبد الرحمن الناصر ، وقد عرف عن ابن بسيل الكفاءة في القيادة ، والقدرة على مجابهة العدوان ، فعمل الناصر على تعيين ابن بسيل لقيادة قوات كبيرة ، بمهمة ردع العدوان .. وقاد ابن بسيل جيشه حتى وصل الثغر حيث وصلت قوات الدعم من الثغر الأقصى أو الثغر الأعلى ، فدخل مدينة تطيله ، وجعلها قاعدة لعملياته .. ثم أخذ الأمير عبد الرحمن الناصر في الاستعداد لتصعيد عمليات الردع من جديد .

٢ – مسيرة الأعمال القتالية :

كانت عمليات الصوائف تبدأ في شهر حزيران – يونيو – وأراد الأمير عبد الرحمن تحقيق المباغثة والاسراع في تنفيذ عملية الردع ، والثأر لمقتل بني لب وبني ذي النون في حصن « بقيرة » فخرج لفضوته مبكراً عن عادة تحرك الصائفة ، وغادر قرطبة على رأس جيشه الكبير في يوم الخميس ٣ ذي الحجة ٣١٢ هـ ، الموافق ١٢ شباط – فبراير ٩٢٤ م ، وأقام معسكره قريباً من قرطبة وانصرف الى اعادة تنظيم القوات واعدادها للمعركة ، وبعد ٣ يوماً من الاستعداد ، وفي يوم ١٦ محرم – ٢٧ نيسان – ابريل ، غادر الجيش الكبير منطقة الحشد في قرطبة وتوجه الى « بالش »^(١) حيث توقف فيها يومين .

اكتشف الامير عبد الرحمن الناصر تهاوناً في الاستعداد القتالي وقصوراً في الحماسة ، وأفاد من توقفه في « بالش » لمعالجة هذه الظواهر [.. وتوجيه اللوم

(١) بالش ، ابن عذارى ٢/٢٧٨ ، وفي المغرب ونجح الطيب « بليش » Velez-Malaga ، قريباً من مالاقا على البحر الأبيض المتوسط . اشتهرت بشارها وتينها بصورة خاصة .

الى المجاهدين معه من أجناده ورعيته والمحشورين من أقطار كوره .. [

— لم يكن باستطاعة الناصر الانطلاق الى الشمال وتركيز الجهد على العدو الخارجي ، قبل تطهير الداخل من العصاة والمتمردين ومنهم في تدمير وبلنسيه عبد الرحمن بن وضاح ويعقوب بن أبي خالده التوبري ، وعامر بن أبي جوشن وأمثالهم . فتوجه الناصر بجيشه الى كورة تدمير وانطلق منها الى كورة بلنسيه ، فاستنزل العصاة من معاقلمهم ولم يمتنع عليه سوى — محمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ — الذي أصر على عناده وأظهر تصميمه على الاستمرار في التمرد ، فترك الأمير عبد الرحمن الناصر قوة لحصاره ، وانطلق بجيشه الى « ثمر تطيله » فانضم اليه جيش الثغور والتجيبين وجميعهم في أكمل استعداد قتالي ، فتكون لديه جيش [كعدد الحصى ..]

— كان حصن « قلقره — أو — ركله » أول حصون دولة نافار ، فتقدم اليه المسلمون فوجدوا أن « سانشو — شانجه » قد أمر باخلائه ، فاحتله المسلمون وأمر الناصر بتدميره واحراق جميع ما فيه ، ثم انتقل منه الى حصن « بيتر — ألبه » وكانت حوله مجموعة من الحصون والقلاع ، فأخلاها جيش نافار ، ويظهر أن حركة الجلاء عن القلاع والحصون قد تمت بسرعة حتى أن الحاميات تركت في السهول جميع المتاع والطعام فغنم المسلمون ذلك كله ، وكان سكان السهول قد جمعوا أهلهم ، وانضم اليهم بعض الجند والتجأوا الى بعض المناطق الصعبة التي تتوفر فيها ينابيع المياه ، فتابع المسلمون تقدمهم حتى النهر — ابره — واشتبكوا مع الجند ، وأرغومهم على القتال ثم قام بعض المقاتلين بمركات التفاف حتى سيطروا على المرتفعات المحيطة بمواقع الجند ، وعلوا على ابادتهم [وسبوا الذراري وغنموا الأمتعة ، وهدموا الحصون التي كانت في تلك الجهة ، ولم يبق منها صخرة قائمة ..]^(١)

(١) ابن عذارى ٢٧٧/٢ - ٢٨٠ .

- توقف جيش قرطبة في هذه المنطقة - الفيران - يوماً واحداً ، وانتقلوا منه الى حصن « فالجش » حيث أضرموها - أرباضه ناراً - واستقصيت زروعها ونعمه انتسافاً وتغييراً ، وبعد أن تم انجاز عمليات التدمير ، انتقل جيش قرطبة الى حصن بقاليه ، وهو من الحصون المنيعة ، فتكررت عمليات التدمير والاحراق ذاتها بعد الاستيلاء على المواد التموينية التي تركها جيش نافار - سليمة - وتابع الجيش تقدمه الى حصن « قرقستال » على نهر أراغون .

- وضع الناصر مخططه للوصول الى بنبلونه عاصمة « نافار » وكان لزاماً عليه أن يعبر في تقدمه « فج المراكوير - أو مضيق المراكوير » بين السلاسل الجبلية الشاهقة ، والانتقال بعد ذلك الى وادي « هيفه » الضيق ، حتى الوصول الى بنبلونه ولم يكن هناك محور عمليات تبادلي يمكن اتباعه ..

- أعاد الناصر تنظيم قواته ، للتقدم في المناطق الجبلية ، ودعم المقدمة والمؤخرة والمجنبات بقوات الفرسان [.. فأخذ في الحزم ، وعهد بضبط مجنبات العسكر ، وتقدم من فج المراكوير في أتم تعبئة ، وأهذب ترتيب ، وتقدم الجيش لخرق ما يصادفه ويدمر الحصون والمسكن حتى وصل قرية بشكونسه والتي ينسب اليها ملك نافار ، فهدمت مبانيها ، وأحرقت ..]

- كان ملك نافار « سانشو - سانجه » قد حشد قواته في المرتفعات الجبلية الشاهقة وأخذ يتابع تقدم جيش قرطبة ، ويستطلع تنظيمه للعشور على ثغرة يمكن توجيه ضربة من خلالها .

[.. جمع العليج سانجه - كفرته - واستمد بنصرانيته من كل مكان طمع أن يغاث منه حتى توفي له جمع رجا أن يكافح المسلمين به ..]

- وكان الأمير عبد الرحمن الناصر يتابع تحركات فرسان خصمه على قمم الجبال ، فاتخذ الاجراءات الضرورية لتجنب وقوع أي مباغتة ، ودفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه ، واتخذ تدابير الأمن ، وأمر القادة بالحذر واليقظة ، ثم

استأنف تقدمه منذ الصباح المبكر عبر الوديان السحيقة وبين الجبال الشاهقة ، وعندما وصلت قوات المسلمين الى المضيق الصعب في وادي «هيفه» أخذ فرسان - جيش شانجه - في الهبوط من الجبال لاعاقبة تقدم المسلمين ، وحدثت اشتباكات بسيطة فأمر الناصر بالاستعداد للهجوم ، وانطلق المسلمون في هجومهم ، وعبروا النهر اليهم ولم تتمكن الحامية المدافعة عن المضيق الصمود لثقل هجوم المسلمين ، فراجعوا عن مواقعهم [واقتلوهم عن موضعهم ووضعوا سيوفهم ورماحهم حتى اضطروهم إلى مرتقى وعر وجبل منقطع . فتلقح المسلمون عليهم . وبسطت الأرض باجسادهم . واستمرت الخيل المخيرة في بسطهم فاصابت الفئانم والسوازم وضروب النعم ، وانصرفوا سالين لم يصب منهم غير يعقوب بن ابي خالد التوبري ، ونفر قليل ..] .

- لم يبق أمام جيش قرطبة ما يميح انطلاقته بسرعة فتوجه الى « محلة لنييره » ومنها الى « لفين » ثم الى بنبلونه ، والجيش لا تمر بموضع إلا دمرته ، ولا بزراع إلا أحرقتها ولا بقري إلا هدمتها ، وأزيلت المواقع المحصنة .

- عندما وصل جيش قرطبة الى « بنبلونه » كان أهلها قد غادروها ، كما كانت الحامية المدافعة عنها قد غادرتها ، فدخلها الأمير عبد الرحمن الثالث ، وأمر بتدميرها وتخريب مبانيها ..

- كان ملك نافار « سانشو - شانجه » قد شيد « في صخرة قيس » كنيسة كبيرة ، وبذل كثيراً من تأنيقها ، وحصن المدينة تحصيناً كبيراً ، كما عمل سانشو ، على حشد قوات كبيرة في الجبال والمرتفعات المشرفة على صخرة قيس ونظم جيشه للدفاع عنها ..

بعد انهاء عمليات التدمير في بنبلونه وجه الناصر جيشه نحو « صخرة قيس » فاقتحمها ، وأخذ الجند في تدمير المدينة وتخريبها ، فقاد « سانشو » جيشه للدفاع عن المدينة وتصدت له قوات المسلمين وبعد معركة قصيرة وحاسمة حقق

المسلمون انتصارهم .. [وفي لحظة طرف اقتلع - المسلمون - جيش - نافار -
وصرعوا من فرسانه ووجوه اصحابه من كان عن « مانشو » محامياً ودونه
مستهلكاً ، واخربت الكنيسة وما احيط بها ، وعادت القرية ناراً لاهبة ..] .

- انتقل جيش قرطبه الى « محلة اساربه » عبر فج ضيق يسمى « فج هرقله »
واراد جيش « نافار » اغتنام فرصة مرور الجيش بمناطق شديدة الوعورة لتوجيه
ضربة اليه .. [فامر الناصر بالتعبئة والاحتراس ونهض على ام
التحفظ والضبط حتى جاوزت العساكر ذلك المضيق وخرجت منه ..]

واستندت قوات جيش نافار الى الجبال لحماية مؤخراتها وانطلقت في هجوم
مباغت لضرب مؤخرة جيش المسلمين فتصدت قوة الفرسان لهجوم جيش نافار
والحقته به هزيمة منكرة وكبدته خسائر فادحة ، وارغمته على الفرار .. ثم تابع
الجيش سيرته في اتجاه العودة على محور أسارير - مينير - ذي شره - وهي
قلاع صغيرة ، ثم وصل الى « شنت - اشيبين » ، حيث كان ملك نافار قد
جعلها مستقراً له ، وموضعا يلجأ اليها للراحة ، وأمر الناصر بتدميرها ..

كان ملك نافار - أثناء هذه العمليات - يتابع تنظيم قواته ، وطلب الدعم
من ألبه ، والقلاع ، فوصلته قوات الدعم ، وقام بتنظيم هجوم على جيش المسلمين
عند الوصول الى « شنت - اشيبين » فتصدى لهم جيش المسلمين ودارت معارك
قاسية كانت روح المسلمين فيها عالية جداً بسبب ما حققوه من انتصارات
متلاحقة وما ألحقوه بملكة نافار من تخريب وتدمير ، فاستطاع جيش المسلمين
الحاق الهزيمة بجيش « مانشو » وأرغمهم على الفرار الى مرتفعات الجبال
[ففترقوا في الأرض الكثيرة الشجر وذات الغابات المتصلة] واستمر فرسان
جيش قرطبة في مطاردة خصومهم .

- انتقل الناصر بعد ذلك الى « رابية سريه » في طريقه الى « قلهره » ،

فتصدى سانشو بجيشه لجيش المسلمين - مرة ثانية - مستفيداً من سيطرته على المرتفعات فأسرعت مجموعات الفرسان الى السباق نحو تلتق المرتفعات وأمكن تدمير بعض قوات جيش نافار وارغامه على الانسحاب .

- وصل جيش قرطبة الى قلهره ، وكانت الحامية المدافعة عنه قد انسحبت فأمر الناصر بهدمه وانتقل منه الى حصن « بلتيريه » وهو من حصون المسلمين المجاورة لحصون - المشركين - فعهد بادخار الأطعمة عندهم ، وتفريق الأموال فيهم واحتل بمدينة تطيله وأقام بها يوماً واحداً .

- كان لهذه الانتصارات صداها في الأندلس ، وعند مرور الناصر في طريق عودته على بني ذي النون ، استسلموا اليه ، وكان من بينهم يحيى بن موسى ، ويحيى بن أبي الفتح ، وعندما دخل الناصر قرطبة كان قد مضى على غيابه عنها أربعة أشهر ، مرت كلها في مسير متصل ومعارك متلاحقة ، وكان النجاح حليفاً لهذه العمليات كلها بحيث لم تتكبد القوات خسائر تذكر وكان عدد الحصون التي تم فتحها في هذه الفترة ثلاثون حصناً .

٣ - معركة الخندق « غزاة القدس »

٥٣٢٧ هـ - صيف ٩٣٩ م^(١)

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١ ٢٩٥-٣٢٢	٩٠٧-٩٣٣	خلافة المقتدر بالله العباسي في بغداد .
٢ ٣٠٠-٣٥٠	٩١٢-٩٦١	خلافة عبد الرحمن - الناصر - « الثالث » .
٣ ٣١٣	٩٢٥	وفاة اردونيو الثاني ملك ليون و خلافة أخيه فرويلا .
٤ ٣١٤	٩٢٦	وفاة فرويلا ، والنزاع حول العرش بين ولدي اردونيو : سانشو ^(٢) والفونسو ، ثم استمرار الصراع طوال أعوام حتى وفاة سانشو وتجدد الصراع بعد ذلك بين الفونسو وأخيه راميرو ، وهو الصراع الذي انتهى بانتصار راميرو الذي جلس على العرش في مملكة ليون باسم « راميرو الثاني » ، عام ٣٢١ هـ - ٩٣٢ م .
٥ ربيع ٢-٣١٨	مايس ٩٣٠	تمردت طليطلة ، فوجه الناصر وقدأ من العلماء لاقتناع زعمائها بالعدول عن الثورة ، وعندما فشلت المحاولات السلمية وجه الناصر جيشاً لاختضاع طليطله الثائرة ..

(١) نفع الطيب ١ - ٣٦٣ .

(٢) سانشو أو سانجه Sancho .

موجز الأحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
معاودة غزو طليطلة ، وقد توجه روميرو بجيشه لدعم ثوار طليطلة وتجاوز مدريد فتصدت له قوات المسلمين شمال طليطلة وأحبطت هجومه ، ووجد أهل طليطلة أنفسهم أمام موقف خطر بعد أن فقدوا كل أمل في الدعم الخارجي فاستسلموا ودخل عبد الرحمن طليطلة ظافراً .	٣٢٠	٩٣٢
توجه « راميرو الثاني » الى وخشمه ^(١) واحتلها وأبعد المسلمين عنها .	٣٢١	٩٣٣
قاد الخليفة عبد الرحمن الصائفة لاختراع وخشمه - او سمه - فتركها أهلها واعتصموا بالجبال وحاول عبد الرحمن دفع خصمه « راميرو الثاني » على ترك مواقعه الجبلية والدخول معه في معركة حاسمة ولكن راميرو تجنب الصدام مع جيش قرطبة .	٣٢٢	٩٣٤

(١) وخشمه Osma .

٣ - معركة الخندق « غزاة القدره »

٦ - الوضع العام :

افاد الخليفة عبد الرحمن الناصر من الحرب الأهلية في مملكة ليون خلال الفترة بين عام ٣١٣ - ٣٢٠ هـ = ٩٢٥ - ٩٣٢ م وذلك اثر كيز الجهد على البناء الداخلي ووقوع الثورات المضادة ، مع العمل في الوقت ذاته على تأمين الجبهة الجنوبية وذلك بالاضاء على الدعوة الفاطمية في المغرب الأقصى . وعندما انتهى الأمر في مملكة ليون الى « راميرو الثاني » بدأت مرحلة صراع جديد في الشمال ، فقد عرف عن راميرو الشجاعه والعناد والتصميم على مناهضة الساميز . فأخذ في اذكاء عوامل الفتنة الداخليه والافاده من التناقضات لاستنزاف قوة المسلمين في الاندلس مع العمل في الوقت ذاته على تنظيم الاعمال الهجوميه في محاولة لانتزاع بعض الاقاليم الشماليه وتدمير ثغور المسلمين .

- وكانت مملكة نافار . بلاد البشكنش قد التزمت بالهدوء وعدم الاعتداء على حدود المسلمين خلال الفترة الأولى التي اعقبت وفاة سانشو ملك نافار وقيام أرملة « تيودا » التي تذكرها المصادر الاسلاميه باسم « طوطه »^(١) وصيه على ابنها غرسيه « أوجارسيا » - ولكن تيودا لم تلبث ان بدأت في محاربه الاعمال العدوانييه ضد ثغور المسلمين وذلك في عام ٣٢٦ هـ - ٩٣٧ م .

كان عبد الرحمن الناصر يتبع سياسة حازمة وقوية في اخضاع حكام الأقاليم ويعمل على تحطيم « مراكز القوى » بعد ان اثبتت هذه المراكز انها مصدر تهديد دائم لوحدية الدولة ، فخاف حكام الأقاليم التقليديين من زوال سلطتهم ونفوذهم فتظاهر بعضهم بالخضوع والاستسلام بينهـا اعلن بعض حكام الشمال استقلالهم مستفيدين من قوة مواقعهم وتحصيناتهم ومن قريهم الى

(١) طرطة Teoda ، وفي تاريخ بروفنسال ٧٣/٢ : Toda .

بلاد الافرنج ، مما يسمح لهم بالتعاون مع المالك والامارات النصرانية
واللجوء اليها عند الضرورة - .

- كان يحكم سرقسطه محمد بن هشام التجيبي ، كما كان يحكم قلعة أيوب
مطرف بن مندف التجيبي وكلهم من بني هاشم ، وعندما اندلعت نيران الحرب
بين « راميرو الثاني » وعبدالرحمن الناصر ، تم عقد اتفاق سري بين راميرو الثاني
وبين التجيبيين - على اساس اعتراف حاكم سرقسطه محمد بن هشام التجيبي بالولاء
لحاكم ليون مقابل دعم هذا لاستقلال سرقسطه وظهرت آثار هذا التحالف عام
٣٢٣ هـ - ٩٣٤ م حينما كان عبد الرحمن الناصر يزحف بقواته لتدمير مملكة
ليون حيث اعلن بنو هاشم تمردهم ضد قرطبه ودعمهم للملك ليون « راميرو »
وحالوا التأثير على حكام بعض الحصون الشمالية لكن هؤلاء رفضوا خيانة
قومهم فوجه راميرو الثاني جيشاً لدعم محمد بن هشام التجيبي ونجح جيش
ليون وقوات التجيبيين في الاستيلاء على بعض المواقع والحصون وضمها الى سرقسطه
ثم تطور هذا الحلف عندما انضمت اليه « طوطه » ملكة نافار « البشكنش »
وهكذا توحد الشمال كله ضد قرطبة وكان تحالفاً قوياً بشكل خطورة كبرى
ضد الخليفة عبد الرحمن الثالث .

٢- الوضع الخاص :

لم تقف قرطبه موقف المتفرج من تطور احداث الشمال ، فأسرع الخليفة
عبد الرحمن الثالث نحو الشمال يقود جيشاً كبيراً في عام ٣٢٦ هـ - ربيع عام
٩٣٧ م ، وبدأ الخليفة عبد الرحمن عملياته بحصار قلعة أيوب التي تصمد طويلاً
للحصار ، فاقتمها جيش قرطبه ، واعدم الخليفة عبد الرحمن قائد القلعة
« مطرف بن مندف التجيبي » وقتل معه قادة قوات الدعم التي ارسلها راميرو
الثاني لمساعدة مطرف ، وتابع جيش قرطبه تقدمه حتى وصل اقليم البيا
« ألفا » واقتحم مجموعة من القلاع والتحصينات ثم وصل الجيش الى سرقسطه

وترك قوة لحصارها بقيادة قريبه قائد الفرسان « احمد بن اسحاق » وعينه حاكماً للشعر .

- كان احمد بن اسحاق وزيراً لعبد الرحمن وكان له اتصالات مع الفاطميين في عدوة المغرب للتآمر معهم ضد حكومة قرطبة ، وعندما عينه الخليفة حاكماً للشعور وسرقسطه وجد احمد بن اسحاق الفرصة مناسبة لتناجيه فأظهر تهاوناً في الحصار ، وشعر الخليفة عبد الرحمن بموقفه ثم وقف على جلية أمره ، فأصدر اوامره باعدامه ، وعلم أمية بن اسحاق باعدام اخيه احمد فتابع ثورته في « شترين » ، « سنتاريم » في غرب الاندلس ، ولكن احد القادة من انصار الخليفة تصدى لمقاومة التمرد ، وأرغم أمية بن اسحاق على الفرار فالتجأ الى « راميرو الثاني » .

- تابع جيش قرطبة حصاره لسرقسطه ، وأخذت القلاع والحصون تتساقط تباعاً في قبضة جند قرطبة ثم سقطت سرقسطه وأسر فيها محمد بن هشام التجيبي ، كما سقطت أمنع حصون الشعور وأقواها وهو حصن « روطه » وأسره يحيى التجيبي ، وبذلك انهارت ثورة التجبيين ، وتقدم محمد التجيبي من الناصر بطلب العفو فعفى عنه وأعادته الى منصبه حاكماً لسرقسطه فاستمال اليه « بنو هاشم » وأمن عصبيتهم .

- في الوقت الذي كان فيه جند قرطبة يخضعون تمرد سرقسطه ، كانت جيش عبد الرحمن الناصر يتابع عملياته في نافار ، ووصل الى عاصمة الاقليم « بنبلونه » مدمراً في طريقه كل الحصون والحاميات المدافعة عنها ، وتمزق جيش البشكنس ووجدت « طوطه » انها عاجزة عن الاستمرار في المقاومة ، فقررت الاستسلام للخليفة الناصر ، وتقدمت اليه بطلب الخضوع والطاعة ، فقبل الناصر طلبها وأقر ولدها « غرسيه - جارسيا » ملكاً على نافار .

كان من نتيجة سياسة الناصر الداخليه ، ظهور طبقة من « الانتهازيين » امثال نجدة الخيري واصحابه - ممن ترك لهم الناصر المجال لتقلد الامور في النوله

والجيش لضرب زعماء العرب واخضاع اصحاب العصبية . وتطلب اصحاب
الولاء الشخصي على اصحاب النفوذ المتوارث . وكان لذلك اثره في مسيرة
الاحداث التالية^(١) .

٣ - مسيرة العمليات :

بعد نجاح الخليفة عبدالرحمن الناصر في تمزيق شمل التحالف الثلاثي : ليون -
ناقار - التجيبين - واخضاع شمال شرق الاندلس لسيطرته ، لم يبق أمامه
سوى شمال - غرب الاندلس حيث خصمه العنيد « راميرو الثاني » ملك ليون ،
فأخذ في الاستعداد وحشد القوات للمركة الحاسمة ونظم جيشاً وصلت قوته
حتى مائة الف مقاتل ..

- لكن هذا الجيش على كبره ، وقوته الخارجية ، كان مفكك الأوصال
في الداخل ، فقد استولى العجب على الناصر ، فاستمد بغير الكفاة وأغاظ
الأحرار باقامة الاندال .. والجأ اكبر الاجناد ووجوه القواد والوزراء من
العرب وغيرهم الى الخضوع له والوقوف عند امره ونهيه .. [..
وعندما انتهى الناصر استعداداه انطلق من قرطبة في احتفال كبير ، فسميت
الغزوة هذه « بغزاة القدره » لاحتفاله فيها وعظيم مشهدها^(٢) ، وامند قيادة
الجيش الى نجدة الصقلي .

- كانت سموره^(٣) هي القاعدة المتقدمة لدولة ليون ، وهي من أقوى الثغور
محصيناً ، وقد أحيطت بسبعة أسوار وبين الأسوار خنادق واسعة وعميقة
تغمرها المياه ، وكانت بها حامية قوية للدفاع عنها ، ولهذا جعل الناصر هدفه
الأول الاستيلاء على « سموره » ..

(١) ابن الأثير ٢٧١/٦ احداث سنة ٣٢٧ ، نفع الطيب ١/٣٥٤ - ٣٥٥ ابن خلدون
١٤٠/٤ - ١٤٢ . تاريخ السنين في الأندلس ، دوزي /١٤٨/ .
(٢) أخبار مجموعة ١٥٥ .
(٣) سموره Zamora .

- وصل جيش قرطبة الى هدفه الأول ، وأحاط المسلمون بالمدينة ونجحوا في اقتحام السور الأول والثاني ، وخفت حدة هجوم المسلمين ، وحانت الفرصة المناسبة أمام القادة الذين تنقصهم الحماسة ، فعمدوا الى الاسترخاء والتهاون في متابعة دفع الهجوم .

- أفادت الحامية المدافعة عن المدينة من هذه الفرصة فتنظموا هجوماً مضاداً قوياً أمكن لهم بواسطته تحطيم قوة الهجوم ، وانزال الاضطراب بالتنظيم القتالي للمسلمين . فبدأت الهزيمة . وأفاد منها راميرو فتحول انسحاب المسلمين إلى هزيمة منكرة .. وكان ذلك في شوال ٣٢٧ هـ - تموز - يولييه ٩٣٩ م .

- توقف الناصر عند سلمنقه^(١) وحاول إعادة تنظيم قواته مرة أخرى عند شاطئ نهر دويره . ولكن جيش نافار - البشكنش - بقيادة طوطه وجيش ليون بقيادة « راميرو الثاني » لم يتركا الفرصة الكافية ودارت معركة ثانية في يوم ٥ آب - اغسطس ٩٣٩ م .. وهنا .. (تواطأ أهل الحفاظ من رجال - جيش عبد الرحمن - ووجوه اجناده على ما كان من انهزامهم) وانسحب جيش عبد الرحمن مرة أخرى ، وبدأت قوات الشمال أعمال المطاردة ووصل المسلمون الى « الانديجا - أو - الحندق جنوب سلمنقه . وحاول المسلمون تنظيم صفوفهم والانطلاق بهجوم جديد ، ولكن هذا الهجوم لم ينجح ، ولم يتمكن المسلمون من مجابهة قوة صدمة جيش الشمال ، الذي أخذ في تطوير عملياته حتى تحول انسحاب المسلمين الى هزيمة وتحول تقدم جيش الشمال الى مطاردة [.. بحيث لم يكذب منهم الا قوم جمعوا اصحابهم على الويتهم وتخلصوا من القتال وانسحبوا الى بلدانهم ..] وخلال هذه العمليات من

(١) سلمنقه ، أو ، سلمنقة Salamanca على نهر دويره .

(٢) الحندق Al Handeca « جنوب شرق سلمنقة وعلى نهر دويره أيضاً » .

المطاردة قتل قائد الجيش «نجدة الصقلي»^(١) وأسر محمد بن هشام حاكم سرقسطة الذي كان يقاتل الى جانب الناصر وحمل الى ليون ، كما أصيب الخليفة عبد الرحمن بجراح ، فولى شطر قرطبة في ثلة من الفرسان ، ولم ينج من الأسر ، إلا بأعجوبة ..

— حاول راميرو الثاني الاستمرار في المطاردة حتى الوصول الى قرطبة ، ولكن الدم العربي ثار في قلب « أمية بن اسحاق » فنجح في خداع « راميرو » وحذره من احتمال وجود كهائن في الطريق ورغبه بما حصل لديه من غنائم فتوقفت عملية المطاردة ، ثم ان أمية بن اسحاق استأن الناصر « فأمنه وعفا عنه وأكرمه » وعمل الناصر بعد ذلك على اقتداء محمد بن هشام حاكم سرقسطة ، فأفرج عنه ملك ليون بعد أن لبث في السجن ثلاثة أعوام تقريباً ..

(١) كانت كلمة الصقالبة في الاندلس تعني جميع الأسرى والحصيان من الأجناس الصقلية، السلاقية ، الحقيقية ، ثم أصبحت تطلق على جميع الأجانب الذين يضمهم القصر ، من جلالسة وألمان وفرنسين ولومبارديين وإيطاليين ، وكان معظمهم يعملون صفاراً بواسطة «خوارج البحر» الفرسان ، وتجار الرقيق . وكانوا يختارون من الجنسين ويرون منذ الحداثة تربية عربية حسنة ويلقنون مبادئ الاسلام وقد نبغ بعضهم في النثر والتنظم وألّفوا الكتب والمقاصد ثم تعاضم نفوذ الصقالبة في عهد الناصر لسيطرتهم على شؤون الادارة والحكم والقصر ، وصارت اليهم المناصب الكبرى في الدولة والجيش . وتزايدت أعدادهم ، وامتلكوا الضياع وأصبح لديهم أموال ضخمة . وكان للناصر يدعم سلطانهم ونفوذهم ويرغم زعماء العرب وأشرفهم على الخضوع لهم ، فكان منهم قائد الجيش نجدة الصقلي وصاحب الخيل ، قائد سلاح الفرسان - أفلح ، كما كان منهم صاحب الشرطة « ودري » بالإضافة إلى ياسر وتام صاحب النظر في الشؤون الخاصة . وهذا ما أضعف الروح المضوية للجيش وساعد على التمزق الداخلي ، وفقد الحماة للقتال فكانت كارثة الحندق - الانديجا .

البيان المغرب ١٢٣/٢ ، نفع الطيب ١/٣٦٣ . أخبار مجموعة ١٥٥ ، دولة الاسلام في الاندلس/ عنان / ١٥٥ - ١٥٦ وتاريخ المسلمين ، دوزي ،
Histoire des Musulmans de l'Espagne Dozi, Paris 1932. II p. 153.

٤ - نتائج المعركة :

١ - تمزق جيش المسلمين ، وسقط في المعركة الاولى عند حصون سموره اربعين ألف مقاتل ، وتذكر بعض المصادر ان الخسارة وصلت الى خمسين الف قتيل . كما استمرت الخسارة خلال المعارك التالية ، وتذكر بعض المصادر انه لولا نصيحة امية بن اسحاق لايقاف المطاردة لكان الفناء التام مصير الجيش الاسلامي في هذه المعركة .

٢ - كان وقع الهزيمة كبيراً في العالم القديم كله ، وبصورة خاصة في اوربا فقد استقبلت اوربا اخبار الهزيمة بفرحة كبرى وهناك بعض المؤرخين الذين يعتبرون معركة الخندق هي بداية مرحلة الغزو المضاد^(١) . في حين يعمل بعض المؤرخين ، فتح طليطلة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م ، هو بداية الغزو المضاد ..

٣ - اما على الصعيد الهلي ، فان هذه الهزيمة لم تغير كثيراً من واقع دولة قرطبة ، فقد اسرع الناصر لاعادة تنظيم قواته ، وتطهير جيشه من عوامل الضعف واعاد الثقة الى الاكفاء من قاداته ، واعتمد على اهل الخبرة ممن لديهم كفاءة قيادية ، وعلى الرغم من توقف عبد الرحمن عن الغزو بنفسه ، الا انه تابع ارسال البعث والغزوات ، فوجه في عام ٣٢٩ هـ - ٩٤١ م ، ولما يعض على كارثة الخندق اكثر من عامين قوة كبيرة استطاعت ان تقتحم حدود مملكة ليون وتعمل فيها تدميراً وتخريباً .

٤ - وفي الوقت ذاته عمل الناصر على زيادة الكفاءة القتالية لحاميات الحدود ، فعصن مدينة سالم و مدينة سالي ، واقام بها حامية قوية للدفاع عنها وجعلها بكل ما هو ضروري للدفاع وكذلك فعل بالنسبة لبقية المراكز الدفاعية المتقدمة - الثغور - .

(١) الغزو المضاد أو سياسة الاسترداد ترجمة للاصطلاح الاندلسي : La. Reconquista

الردع في عهد « الحكم المستنصر »

٣٥٠ - ٣٦٦ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م

١ - الوضع العام :

توفي عبد الرحمن الناصر ، وترك دولة وطيدة الاركان ثابتة البنيان ، فقد استطاع خلال فترة حكمه أن يضع الأمس الثابتة لسولة الامويين في الاندلس حتى وصلت في عهده الى ثروة مجدها ورفعتها ، ونجح الناصر في القضاء على ثورات المولدين وتمرد العرب والمستعربين ، وألزم دول الشمال بالتوقف عن الاعمال العدوانية فعادت الاندلس الاسلامية الى مثل ما كانت عليه أيام الفتح الأولى ، وعاشت الاندلس في حياة الناصر أيام سلم واستقرار وأمن لم تعهدها من قبل. وعندما تولى الحكم المستنصر الخلافة عام ٣٥٠ هـ ، سار على خطوات أبيه ، واتبع طريقته في الحكم والقيادة .

—*—

١ - الموقف في دول الشمال :

كان الناصر قد أعان سانشو الأول - شانجه بن أردونيو الثالث بالمال والجند من أجل استرجاع عرشه وذلك قبيل وفاته بفترة قصيرة ، وهرب ابن عمه و منافسه أردونيو الرابع الى برغش في عام ٣٤٩ هـ - ٩٦٠ م ، وكانت شروط الناصر مقابل هذا الدعم تتلخص في التزام « سانشو » بهدم القلاع والحصون المتاخمة لحدود المسلمين وتسليم بعضها الآخر اليهم ، وعندما توفي الناصر نكث سانشو العهد ورفض تنفيذ مواعيده .

- كانت قشتاله تابعة لمملكة ليون ، واقليماً من أقاليمها ، وخلال هذه الفترة ظهر في قشتاله زعيم قوي ، طمح في الاستقلال بإقليمه ، والتفت حوله العناصر المتطرفة والمناوئة لسياسة سانشو في التقارب مع دولة قرطبة ، ولم يلبث هذا الزعيم « فرنان كونتالت » حتى أعلن عن استقلاله ، وانطلق في اغاراته على

الغفور والأقاليم المتاخمة لحدود قشتاله . ويظهر أن هذه الحركة لم تكن إلا تعبيراً عن الصراع الداخلي بين انصار الهدنة مع دولة قرطبة الاسلامية وبين أنصار الكفاح الملح المستمر ضدها .

– أفاد ازدونيو الرابع من هذا الموقف فليجأ الى الحكم المستنصر بهدف الحصول على الدعم لاسترداد سلطته والحصول على تأييده في العودة الى عرشه ضد ابن عمه « سانشو الأول » « شانبه » ملك ليون ، واستقبلت قرطبة « اردونيو الرابع » استقبالاً رائعاً ترددت أصدائه في قلب العاصمة ليون ، فأسرع سانشو الى ارسال وفد بهدف التقرب من الخليفة الحكم المستنصر، وضم هذا الوفد مجموعة من القسس وذوي السلطة في مملكة ليون . وقد وعد سانشو بتنفيذ ما كان قد قطعه من وعود للخليفة الراحل – الناصر – مع الاعتراف بالولاء للحكم المستنصر وتجديد العهود والمواثيق ..

– كانت هذه الظواهر السلمية ، تخفي وراءها النوايا العدوانية ، ولم تكن هذه النوايا غريبة على قرطبة أو مجهولة بالنسبة لها وهي التي تمست بالصراع الدائم مع دول الشمال، وقد تأكدت هذه النوايا العدوانية بدليل استمرار أعمال « الاستفزاز على الحدود » وهذا ما دفع الحكم المستنصر على اتخاذ تدابير الحذر، وعلان حالة الطوارئ في البلاد وتوجيه حملات الصوائف باستمرار لتابعة « أعمال الردع » ..

في عام ٣٥٦ هـ – ٩٦٦ م توفي « سانشو » ملك ليون مسموماً، وخلفه ولده الطفل « راميرو الثالث » بوصاية عمته الراهبة « البيرة »^(١) فتجدد الصراع الداخلي ووقع التمزق في مملكة ليون، وأعلن عدد من الزعماء تمردهم واستقلالهم . وفي عام ٣٦٠ هـ – ٩٧٠ م توفي « فرنان – كوثالث » ملك قشتاله ، وخلفه

.....
(١) البيرة ، أو ، حلوية : Elvira وصية على راميرو الثالث ، أو ، زعيم بن شاذبة
Ramiro III ملك جيليقية « ليون » .

ابنه غرسية فرناندز ، وتولى عرش نافار سانشو غرسية الثاني بعد وفاة أبيه غرسية فرناندز^(١) ، واستمر على سياسة أبيه ولكنه عندما ظن أن الفرصة مواتية للقدر بدولة قرطبة ، بسبب انشغالها في حرب الشيعة في المغرب ، قام بعدوان على الحدود ، ووضع مخطط العدوان بدقة فأوفد إلى قرطبة «وقدا» ، للصدقة وجعل توقيت بداية العدوان مع مغادرة وفده لقرطبة بحيث يستطيع تحقيق المباغثة ، وقد وصل هذا الوفد فعلاً وأجري له استقبال حافل ، وتقدم رئيس الوفد من الخليفة الحكم بطلب السلم والمهادنة ، فأجابهم الحكم إلى ما طلبوا ، وما كادوا ينصرفون من قرطبة حتى جاءت الأنباء بوقوع عدوان على الحدود بقيادة غرسية فرناندز ، فأسرع الحكم بإرسال مندوب عنه لاستدعاء الوفد ، فأبوا عليه ، ومما يقتله ، فرجع المندوب وأخبر الحكم ، الذي أرسل عندها «أفلق» الوكيل في دار الخيل ومعه سرية من وجوه الجند للقبض على سفراء قشتالة ، فهرعت في اثرهم واستطاعت أن تظفر بهم حيث أعيدوا إلى قرطبة وزجوا في سجن المطبق ، وذلك في عام ٣٦٣ هـ - ٩٧٣ م ..

ب - الموقف في الجنوب - المغرب :

ان دراسة الموقف في الجنوب تفرض بالضرورة العودة الى بداية الدعوة الشيعية - الفاطمية - .

- كان عبيد الله المهدي أول من حمل بين زعماء الشيعة في المغرب لقب الخليفة ، وقد استطاع الخليفة عبيد الله المهدي ان ينظم جيشاً قوياً جعل من تونس قاعدة له ، وأخذ في توجيهه نحو المغرب ، ونحو مصر .. وقد اخذت دعوة المهدي تكتسح افريقية بسرعة كبيرة نظراً لعدم وجود مقاومة لها .

- كان هذا النجاح السريع للدعوة الفاطمية مصدر قلق كبير لحكام قرطبة الذين كانوا يعتبرون المغرب هي قاعدة العدوان عليهم وهي الخط الدفاعي الأول

(١) غرسية فرناندز Garcia ، Fernandez

عن جنوب الاندلس . ومما كان يزيد من خطورة الموقف ، ظهور الحركات المناوئة والثورات المضادة بصورة مستمرة ، واتصال قادة هذه الحركات والثورات بالفاطميين ، والتآمر معهم ضد حكام الاندلس .

— أمام هذا الموقف ، وجه عبد الرحمن الناصر « الثالث » جيشاً قوياً ، وأسطولاً ضخماً لغزو المغرب وذلك في عام ٣١٩ هـ - ٩٣١ م ، وذلك للسيطرة على ثغر سبتة ، وتحريرها من قبضة « بني عصام الموالين للفاطميين » ، فبادر زعماء البربر من الأدارسة - وزناته الى اظهار ولائهم للحكم الأموي والالتفاف حوله والقيام بالدعوة له فامتدت سيطرة هؤلاء الزعماء حتى فاس ، وأرسل موسى بن أبي العافية أمير مكناسه الى الخليفة الناصر يطلب دعمه والدخول في طاعته فأجابته الناصر ، ووفر له الدعم وبذلك استطاع الصمود في وجه الفاطميين الذين أرسلوا قوات لاختضاعه في عام ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م ، فاستطاع الحاق الهزيمة بهم ، وتمزيق جيش عبيد الله الفاطمي ، وفي عام ٣٢٣ هـ - ٩٣٤ م توفي عبيد الله ، فسير ولده الخليفة القائم ، جيشاً الى المغرب بقيادة « ميسور الصقلي » ، واستطاع هذا الجيش ارغام موسى على الفرار حتى الصحراء ، واستولى الأدارسة - حلفاء الفاطميين في هذه المرة - على مملكته ، فاضطر عبد الرحمن خليفة قرطبة الى توجيه حملات متتابة بمهمة ايقاف نفوذ الفاطميين وتدمير حلفائهم من الأدارسة وغيرهم .. واستمرت أرض المغرب مسرحاً للنزاع الذي وصل ذروته في عهد المعز - رابع الخلفاء الفاطميين - حيث وصلت الدولة الفاطمية أوج قوتها ، وأخذت أساطيلها في تصعيد عملياتها على جبهة بيزنطة وفي حوض البحر الأبيض المتوسط مما كان يندرج الدولة الأموية في الأندلس بأخطار كبيرة . وفي عام ٣٤٤ هـ - ٩٥٥ م تحول هذا الانذار الى حقيقة واقعة ، فهاجم أسطول الفاطميين - ثغر المريه - أكبر الثغور البحرية للدولة الاندلسية الاسلامية ، وأحرقت القطع البحرية الاسبانية في الميناء وألحقت الدمار بمدينة المريه ذاتها فاضطر عبد الرحمن الثالث الخليفة الأموي في الاندلس أن يوجه قواته البحرية والبرية لغزو شواطئ

افريقية بقيادة أمير البحر « غالب » .. وانطلقت جيوش الاندلس الى تونس فوجهت ضربة مضادة للفاطميين . وبعد ذلك بثلاثة أعوام، وجه الخليفة الناصر أسطوله مرة أخرى بقيادة احمد بن يعلى وذلك بمهمة تهديد القوات الفاطمية التي كانت تتقدم على محور مواز للساحل الافريقي بقيادة « جوهر الصقلي » ، كما قامت بالمعبر قوات أخرى فوصلت سبته وتمركزت في المغرب وبقيت فيها حتى تراجع الفاطميون عنها . استمر هذا الوضع في حكم الخليفة الحكم المستنصر .. ثم تصاعد الموقف خطورة في عام ٣٦١ هـ - ٩٧١ م عندما أظهر حسن بن قنون الحسيني عداوة للحكم الأموي ومجاهرته الدعوة للفاطميين ، فأرسل الحكم المستنصر محمد بن قاسم الناصر الى سبته ، واستطاع الأسطول فتح طنجة بقيادة أمير البحر عبد الله بن رياحين ثم دارت معركة حاسمة بين قائد جيش قرطبة « محمد بن قاسم الناصر » وبين حاكم المغرب الفاطمي « حسن بن قنون الحسيني » انتهت بهزيمة ابن قنون وفراره فطاردته قوات جيش قرطبة الى دلول ومنها الى أصيلا ، ثم قتل محمد بن قاسم عام ٣٦٢ هـ - ٩٧٢ م وهو في محصن مهران وقتل معه خمائة جندي اندلسي .. فاستدعى المستنصر بالله - غالب بن عبد الرحمن - كما جمع مستشاريه وأمرهم بالتأهب للغزاة في الأسطولين المجهزين - أسطول اشبيليا وأسطول المريه - .

[.. واقلع غالب بن عبد الرحمن من مدينة الجزيرة .. الى طنجة بعد ان استكمل اهتته فيها وقدم اجازة الاجناد والخييل والانتقال، وآلات الحروب ..]
وفي الوقت ذاته وجه الحكم المستنصر ، جيشاً آخر بقيادة صاحب الشرطة وقائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بمهمة دعم غالب بن عبد الرحمن ..
[.. وغطى الحكم المستنصر البحر بينه وبين المغرب بأساطيل الأموال والأسلحة والعدد والاطعمة ..]
[ثم ارسل الحكم المستنصر بالله ، الوزير يحيى بن محمد التجيبي الى المغرب بعسكر مدداً للقائد غالب ..]

بدأ القتال بالمغرب ، وحدثت معارك متلاحقة كان النصر فيها الى جانب جيش قرطبة ، وانتهى الأمر عام ٣٦٤ هـ - ٩٧٤ م بتحقيق انتصار نهائي ، وخضوع حسن بن قنون لحكم قرطبة ، وقدمه وشيعته بنو ادريس ، الى قرطبة مع جيش غالب بن عبد الرحمن حيث أجري لهم استقبال رائع ..

- وضع الخليفة الحاكم المستنصر مخططة الجديد لاعادة الاستقرار في المغرب ، فضم فرسانها وجيشها الي جيشه متبعاً في ذلك [مسيل سلفه بني مروان في احتوائهم ، للرغبة فيهم ... والاستكثار منهم ، فكان ذلك من بعده سبباً لتقدمهم طوائف الجند الأندلسي ..]^(١) .

٢ - الوضع الخاص :

تابع الحكم المستنصر سياسة أبيه في بناء « القوة الذاتية » لدولة الاندلس الاسلامية ، وان مطالعة تقسيم الجند والأسلحة في عهد المستنصر ، تظهر مدى ما وصلته القوات المسلحة من تنظيم قتالي .

- كانت التسلسل القيادي في جيش الأندلس يخضع لقيادة القائد الأعلى ، وكانت تم تسمية هذا القائد لممارسة العمليات في جبهة معينة وخلال فترة محددة ، وكثيراً ما كان يضطلع بهذا المنصب الخليفة ذاته أو وزير من وزرائه أو قائد من كبار قادته . وكان يخضع لهذا القائد الأعلى « قائد » يمارس وظائف - قائد ثان - ثم يلي ذلك قائد البحر « قائد الماء » ، الذي يتبعه بدوره قادة الأساطيل ، وكانت الأساطيل الرئيسية هي أسطول اشيليا وأسطول المريه ..

- كانت الاندلس مقسمة من الناحية العسكرية إلى « مناطق » وكان لكل منطقة جيشها الذي يخضع لأميرها أو واليها . وكانت هذه الجيوش في الحرب أو عند الخروج للصائفة تلتقي في منطقة معينة - منطقة حشد - ثم تقوم

(١) المتقبس ، ابن حيان القرطبي / تحقيق المجي / ٨١ و ١١٥ و ١٨٩ و ١٩١ وكذلك ابن عذارى ٢/٣٦٤ - ٣٧١ ، وفقح الطيب ١/٣٨٥ و ٣٩٧ :

بعملياتها تحت قيادة القائد الأعلى ، وعند انتهاء العمليات ، تفترق في المنطقة التي يحددها القائد الأعلى حيث تعود بعد ذلك إلى أقاليمها . وإذا ما وقع عدوان مباغت فإن واجب الدفاع يقع على عاتق القوات المنتشرة في المناطق ، فتكون هذه القوات بمثابة الخط الدفاعي الأول الذي يحمي الثغور خلال المفترة اللازمة لتقدم قوات الدعم ووصول الجيش الرئيسي .. وهكذا أمكن التمييز بين الجند الزاهريون - المقيمون بالزاهراء - والجند القرطبيون - المقيمون بقرطبة - والجند المالقيون - المقيمون في مالاقا - وجند المريه - وجند طليطلة ، الخ ...

- كان الجيش في عهد الحكم المستنصر يضم طبقتين رئيسيتين : الأحرار والعبيد ، وفيهم الخمسين والطنجيين ، وغيرهم ... وهؤلاء هم نواة الجيش العامل وكان ينضم اليهم في حالة العمليات : المرتزقة ، والمطوعة ، والملحقون من المالك والصقالبة والأسرى ...

- أما التقسيمات داخل الجيش وحسب التوزيع على الأسلحة فقد وصل في عهد المستنصر الى مراعاة الاختصاص ، فكانت الأسلحة الرئيسية هي سلاح الفرسان وسلاح المشاة « الرجالة » .. وكان سلاح الفرسان ذاته يقسم حسب التسليح على النحو التالي :

- ١ - الفرسان أصحاب التجافيف .
- ٢ - الفرسان أصحاب الجواشن .
- ٣ - الفرسان المدرعين .
- ٤ - الفرسان المدرعين حاملي القنوات الناصلة .
- ٥ - الفرسان الطنجيين المدرعين .
- ٦ - الفرسان الخمسين .
- ٧ - فرسان العبيد .
- ٨ - فرسان الرياضة .

كما كان سلاح المشاة يقسم أيضاً حسب الاختصاص بحيث امكن التمييز بين :

- ١ - رجالة الرماة .
- ٢ - رجالة الرماة الأحرار .
- ٣ - الرماة .
- ٤ - الرماة الأحرار .
- ٥ - رجالة فرسان الرياضة .
- ٦ - رجالة الأرباض .

وقد روعي عند تنظيم الأسلحة - تقسيمات المناطق العسكرية - والتقسيمات القبلية ، فكان سلاح الفرسان مثلاً يضم : فرسان طنجة ، وفرسان قرطبة ، وفرسان الزهراء . وكذلك منهم العرب ، والبربر ، والصقالبة ، الخ .. وكان يتم التمييز بين الأسلحة باللباس والتسليح .

- عندما تولى الحكم المستنصر خلافة قرطبة ، وجه اهتمامه الى الجيش [وأخذ في التأهب للحرب ، وأنفذ الكتب الى سائر الولاة والقادة بوجوب الأهمية والاستعداد للجهاد في سبيل الله ..]^(١) .

- قامت دول الشمال كعادتها ببداية العدوان ، وقاد فرنان كوثالث ملك قشتاله قوات المدوان فاستولى على قاعدة « غرماج » ثم استردها جيش قرطبة في صائفة عام ٣٥٣ هـ - ٩٦٣ م وعملوا على تحصينها .. واستمرت بعد ذلك أعمال العدوان وأعمال الردع على نطاق محدود ..

وفي عام ٣٥٣ هـ أيضاً ، قصد الحكم المستنصر « ثغر المريه » للاشراف على تحصين المدينة واتخاذها هو ضروري لتجديد الأسطول وتعزيزه وتأمين متطلباته من الخشب والزفت والقطران من كورة جيان الى اشبيليا والجزيرة لصناعة السفن ، وكانت السفن الراسية في ميناء المريه يومئذ ثلاثمائة قطعة^(٢) ..

(١) ابن عذارى ٣٥٠/٢ . (٢) الاطاحة ٤٨٧/١ .

– كما اهتم الحكم المستنصر بتحسين الثغور فأوفد أحمد بن نصر لبنيان مدينة بشفر طليطله وتشييدها وتوثيق أمورها وجعل بين يديه أحمال الأموال^(١).
شغلت قرطبة بعد ذلك بما أصاب البلاد من قحط وبوقوع غزو النورمان ثم بحروب المغرب ، فعملت دول الشمال على عقد حلف فيما بينها برعاية بمكة ليون – قشتالة ، لايقاف القوة المتهاظمة لدولة قرطبة فكان الرد هو تصعيد أعمال الردع ، واقناع دول الشمال بهجزها عن متابعة العدوان ..

٣ – الاعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد ٣٥٢-٩٦٢ م :

عمليات السبر في بداية عهد الحكم المستنصر^(٢) :

أ – (... لأول وفاة الناصر ، طبع الجلائقة « ملكة ليون » في الثغور ، فغزا الحكم المستنصر بنفسه ، واقتحم بلد فردلند بن غندشلب^(٣) فنازل شنت اشتين^(٤) وفتحها عنوة واستباحها ، فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ، ثم ب – أغزى غالباً مولاة بلاد جيليقية وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب ، فجمع له الجلائقة ، وتقيهم فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلد فردلند ودوخها . ج – وكان شانجسه بن رذمير ملك البشكنس قد انتقم من فأغزاه الحكم التجيبي صاحب سرقمطه في العساكر ، وجاء ملك الجلائقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقوريه وعاشوا في نواحيها وقفل . د – ثم أغزى الحكم احمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونه فعانت العساكر في نواحيها ، وأغزى هنديل بن هاشم ومولاة غالباً الى بلاد

(١) ابن عذارى ٣٥٢/٢ .

(٢) ابن خلدون ١٤٤/٤ ، والمقري ، نفع الطيب ٣٨٢/١ .

(٣) فرداند : Ferdinand : Fernando ، وغندشلب ، جنثالث Gonzola سبق الكلام

عنه ، باسم فرنان كوثالث .

(٤) شنت اشتين : San-Esteban وقد سبق ذكرها أيضاً .

القومس ، فعانا فيها وقفلا . وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية ، وكان من أعظمها فتح قلهره من بلاد البشكنش على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطوبيه على يد قائد وشقه^(١) وغنم فيها من الأموال والسلاح والأقوات والأثاث وفي بسيطهمـا من الغنم والبقر والرمك^(٢) والأطعمة والديبي ما لا يحصى ..)

ان ما سبق ذكره يوضح المعطيات التالية :

١ - قيام تحالف بين الجلالة - مملكة ليون - ومملكة نافار - ومملكة برشلونة .

٢ - توجيه مجموعات قتالية مستقلة لكل اقليم ، وفي توقيت واحد بهدف عزل قوات التحالف وضربها كل بمعزل عن القوى الأخرى ..

٣ - وجود جيش قوي تحت سلطة الخليفة في قرطبة بحيث يستطيع ممارسة العمليات في أقاليم منفصلة ومتباعدة وعلى محاور مختلفة ..

٤ - تقدير حجم الردع بما يوازي العدوان ويعادله ..
استمرت أعمال الردع بعد ذلك .

ففي عام ٣٥٤ هـ - ٩٦٤ م [سار غالب بن عبد الرحمن الى البه ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فابتنى حصن غرماج ودوخ بلادهم ...]^(٣) .

(١) وشقة Huesca .

(٢) الرمك : نوع من البسط « السجاد » .

(٣) فتح الطيب ٣٨٣/١ وتاريخ ابن خلدون ١٤٥/٤ .

وحصن غرماج . Gormaz يقع على نهر دويرة في الشمال ، على مقربة من سنتاستيين . استولى عليها فرنان كوثالث في عام ٣٥١ ثم استرجعه المسلمون ، وأعادوا تحصينه ، وسياتسي ذكره في المعارك المقبلة .-

ثم تكررت هذه الأعمال ، واستمرت أعمال الصوائف في كل عام تقريباً ، وكان من أبرز الأعمال القتالية :

– احباط غزو النورمان .

– عملية الردع في غزوة « غرماج » ..

٤ – احباط غزو النورمان ^(١) ٨٣٥٥ - ٩٦٥ م :

– قام النورمان بهجومهم الأول على ثغور الأندلس في عهد عبد الرحمن بن الحكم عام ٢٣٠ هـ - ٨٤٥ م ، وقد اتخذت الاجراءات منذ تلك الفترة لتحسين الثغور البحرية وتنظيم عمليات الدفاع الساحلية ..

– وفي عام ٣٥٥ هـ - ٩٦٥ م ورد كتاب الى الخليفة الحكم المستنصر من حاكم ثغر « قصر أبي دانس » ^(٢) للاعلام عن ظهور أسطول الجوس « النورمان » ببحر الغرب ، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك لتقدم عادتهم بطروق الأندلس من قبله فيما سلف وكانوا في ثمانية وعشرين مركباً ، ثم ترادفت الكتب من تلك السواحل بأخبارهم وانهم قد أضروا بها ووصلوا الى بسط لشبونة ^(٣) وكان النورمان في هذه المرة من أهل الدانمرك بقيادة ريتشارد الأول دوق نورماندي وحفيد زعيمهم الأكبر - رولو - .

– أصدر الحكم المستنصر أوامره إلى القادة لاتخاذ تدابير الحيلة واعلان حالة الطوارئ للدفاع عن الساحل . كما أمر قائد البحر « عبد الرحمن بن رماحس » بتعجيل حركة الأسطول ، وأمر أيضاً « ابن فطيس » باقامة الأسطول بنهر قرطبة واتخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب الجوس - النورمان ^(٤) .

(١) ابن عذارى ٣٥٥/٢ و ٣٦٠ ، نفع الطيب ٣٨٣/١ - ٣٨٤ . وفي ابن خلدون ١٤٥/٤ . انها كانت عام ٨٣٥٤ .

(٢) قصر أبي دانس : Alcacer de Sal ، ميناء بحري على محيط الاطلسي جنوب لشبونة . (٣) ابن عذارى ٣٥٦/٢ .

(٤) نفع الطيب ٣٨٤/١ وابن عذارى ٣٥٦/٢ .

– التقت قوات المسلمين بقوات الغزو من النورمان في سهول لشبونه ودارت بين الطرفين معارك طاحنة تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة في الأرواح وانتهت بهزيمة قوات النورمان ، الذين عادوا الى سفنهم ، وكان أسطول اشبيليا بقيادة أمير البحر عبدالرحمن بن رماحس قد خرج من اشبيليا عبر الوادي الكبير . وأخذ محوراً موازياً للساحل ، في مياه المحيط الأطلسي .

– كانت زوارق النورمان قد أبحرت ومعها الأسرى والغنائم في اتجاه الجنوب ، واصطدمت بالقوة البحرية للمسلمين عند وادي شلب ، فخسر « النورمان » عدداً من مراكبهم وقتل عدد كبير من جندهم ، وتم انقاذ أسرى المسلمين وانسحب النورمان لكن سفنهم تابعت جولاتها قريباً من الساحل ، « والمسلمون لهم بالمرصاد » بحيث لم ينجحوا في الاغارة ثانية على المدن الاندلسية .

– في عام ٣٦٠ هـ - ٩٧٠ م ، وبعد خمسة أعوام من الغزوة السابقة ، ظهرت زوارق النورمان من جديد في مياه الأطلسي . وأخذت تهدد السواحل الغربية للأندلس ، فأصدر الخليفة الحكم المستنصر أوامره بزعج القوى البحرية كلها فاجتمع أسطول المريه وأسطول اشبيليا لمواجهة قوات الغزو ، وعندما شعر النورمان بتفوق أسطول المسلمين الساحق ، انسحبوا دون قتال .

٥ - عملية الردع في غزو « غرماج » :

أ - التحدي :

[في يوم السبت ٨ بقين من ذي الحجة ٣١٣ هـ - ٩٧٣ م ، ورد الخبر من الثغر الأوسط بفجأة انتكاث الطاغية [غرسيه بن فردلند بن غندشلب صاحب قشتالة - بعد اظهاره الرغبة في السلم والعمل على تحقيقه - وسرعة خروجه إلى بلد المسلمين واغارته الشواء على حصن « دسه » وما يليه من عمل بني عمر بن تيملت ضعوة يوم الخميس لأحد عشر خلت من ذي الحجة منها ...]^(١)

(١) ابن حيان - المتقرب - تحقيق الحجي - ١٨٨ .

وهكذا بدأ العدوان بصورة مباغتة فأغار ملك قشتاله فردلند جنثالث على حصن دسه^(١) وأحرق المزارع وقتل من تصدى لمقاومته واقتاد الماشية وتراجع محاولاً الوصول الى بلاده بما كسبه من غنائم .

- كانت هذه المنطقة تابعة لولاية أبناء عمريل بن تيمرت ، فعمل زروال ، ومضا ابني عمريل على حشد بعض القوة ومحاوله ضرب مؤخره جيش قشتاله واستعادة الغنائم ، ونجحا في ذلك ولعنن جيش قشتاله وضع كميناً لقوة ابني عمريل ، ونجح في قتل زروال مع نخبة من رجاله على مقربة من حصن مضا وفي موقع يطلق عليه اسم « فحص البركه » ..

- وفي العام التالي وفد على الحكم أبناء زروال بن عمريل الخمسة فأحسن الحكم المستنصر استقبالهم ، وأوصى بتقليدهم عمل والدهم فقسمت بينهم المناطق والحصون على رضا منهم وبموافقتهم ، وبعد استشارة غالب بن عبد الرحمن القائد الأعلى للجيش الذي شهد بكفاءتهم وحزمهم وقدرتهم على حماية الثغور ..

ب - الهجوم الفادر الثاني :

- لم تكن العملية سابقة الذكر سوى عملية سبر، هدفها رفع الروح المعنوية في قوات دول الشمال ، وحفز ملوك هذه الدول وأمراثها للعمل معاً ضد دولة المسلمين في قرطبة ، وأمكن الافادة من هذا النصر الموضعي لتكوين التحالف الذي ظهرت بواكيره في عملية حصار « حصن غرماج » ..

- في منتصف شهر رجب ٣٦٤ هـ - ٩٧٤ م وصلت الى قصر الخلافة في قرطبة أخبار تفيد ان قوات كبرى من دولتي « ليون - و - نافار » الجلالقة والبشكس « قد تقدمت الى حصن « غرماج » - ثغر مدينة سالم - وان هذه

(١) دسة : Deza . ومنطقة الحصن حالياً في منطقة سربة Soria على بعد ٥٠ كم شمال شرق مدينة سالم .

القوات تقدمت الحصن ولكنها اصطدمت بجيش الثغر ، وقوات المسلمين في الشمال ووقعت معركة استمرت يومين متتاليين وانتهت بهزيمة جيوش الشمال ، فأخذت في الانسحاب عبر وادي دويره ، وتابعت حصار حصن غرماج ، وطلبت الدعم من قياداتها ، مستفيدة من [... اشتغال الجند بالحرب مع اهل العدو - المغرب - وبعد المسافة عليهم في اللحاق بهم .. فحاصروا الحصن ووالوا أهله الحرب ..] ..

أظهر أهل « حصن غرماج » والحامية المدافعة عنه ارادة صلبة للدفاع عن حصنهم ومواقعهم واستعداداً كبيراً للصمود والمقاومة ، وأخذوا في تنظيم الاغارات ، والهجمات على قوة أعدائهم بحيث لم يمض يوم واحد دون صدام أو مقاومة .

ج - مؤتمر الحرب :

- عندما توفرت الأخبار عن حجم العدوان وقوته أسرع الخليفة الحكم المنتصر الى توجيه قوات الدعم ، واعداد الصائفة للتحرك مع زيادة حجم قوة الصائفة ، وكان الوزير - القائد الأعلى - أبا تمام ، غالب بن عبد الرحمن قد عاد من حروب المغرب منتصراً ، فقرر الحكم تعيينه لقياده الصائفة وعمل على عقد مؤتمر للحرب حضره الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان وبعض المستشارين وعرض الخليفة الحكم على قائده غالب بن عبد الرحمن ، أمر تولى قيادة الصائفة بعد أن شرح له الموقف وضرورة الاسراع بالتحرك ، فتلقى الوزير غالب الأمر بالقبول [فعمل الحكم على تقليده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين حليتا غديهما أثقل حلية بأغرب صنعة ... كما ضم الى ركابه فرس أشهب رائع من مقربات الخليفة بسرج معرق ، ولجام مفرغ ..] .. وغادر الوزير غالب - ذو السيفين - دار الخليفة ، وأسرع في الاستعداد لتنظيم قواته ومغادرة قرطبة .. وفي الوقت ذاته ، أصدر الخليفة الحكم الى وزرائه ومستشاريه العمل جميعاً لزوج كل الامكانات الضرورية وجميع متطلبات قائد الصائفة ، الوزير غالب .. ولم يمض

سوى يومين فقط حتى انتهت الاستعدادات ، وأصبح باستطاعة الصائفة ان تتحرك الى وجهتها نحو ثغر الشمال ..

د - العرض والاستعراض :

وقف الخليفة الحكم المستنصر ، في الموعد المحدد لانطلاق الصائفة فوق المرتفع المشرف على ساحة العرض - في السطح فوق باب السدة - وعندما أنهى الوزير غالب تفقد قواته ، أعطى أوامره ببداية التحرك ، وبدأ العرض حيث كانت تمر القوات أمام الخليفة الحكم ، تعبئة بعد تعبئة ، وترتيب بعد ترتيب من جيوش منتظمة ومقانب متصلة قد طبقت الأفق ، وأغصت الطرق وهي تمر على باب القصر بقرطبة ... والخلق يشيعونه الى أن فارق أبيات قرطبة ..

- توقف جيش قرطبة في نهاية مرحلة مسيره النهارية بوادي شوس أرملاط ، ثم ارتحل في غده ، يطوي المراحل ، ويسرع في تقدمه مع المحافظة على الاتصال بقرطبة ، وفي الوقت ذاته تابع الوزراء والمحتصون في الدولة عملية حشد القوات والحاق المتخلفين بالجيش .

- بعد مغادرة الصائفة العاصمة قرطبة ، استدعى الخليفة الحكم صاحب الشرطة الوسطى عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي ، المقيم في قرطبة ، وأمره بالتوجه الى سرقسطه - بلده - بمهمة حشد القوات في الشمال ، ودعم عمليات الصائفة .

- طلب القائد الأعلى ، الوزير غالب ، توجيه قوات الدعم بقيادة « سهل - الفتى الكبير » وقاد سهل هذه القوات ومنهم العبيد الحمسين ، والرماة ، والتحق بجيش الصائفة .

- وقبل مضي أسبوع واحد على مغادرة الصائفة قرطبة ، أصدر الخليفة الحكم أوامره الى محمد بن احمد بن أمية بن شهيد ، لحمل الأموال الضرورية واللعاق بالجيش وتأمين متطلبات القائد الأعلى غالب ، والاتفاق على جند الصائفة .

هـ - الاعداد للمعركة الحاسمة :

- مضت اسابيع ثلاثة على مغادرة الصائفة للعاصمة قرطبة ، ووصلت قوات المسلمين الى الشمال فاحتلت حصن « برهون » وتقدمت الى « ابرلقه أو زلقه » ثم الى « جبل الوسيط » جنوب حصن « غرماج » وأصبح نهر دويره حاجزاً بين قوات المسلمين وقوات خصومهم ، المحاصرين للحصن ..

- كانت قوات الشمال ، قد أقامت الحواجز والتحصينات في المناطق الصالحة للمبور من نهر دويره ، ودفعت نقاط الحراسة ومخافر المراقبة الى حافة النهر .. في حين كانت الحشود الكثيفة تحيط بحصن غرماج وتحرق به ..

- قام القائد الأعلى بحولة استطلاعية وتبين له صعوبة العبور من الحركة أو الدخول في معركة تصادية مع قوات الحصن المتفوقة بأعداد كبيرة ، فقرر التوقف عند جنوب نهر دويره في موقع مقابل لقوات الشمال ، ولحصن غرماج ..

- استمر تدفق المتطوعين من أهل قرطبة بأعداد كبيرة لدعم جيش الصائفة وامتداده وكانت قوات الدعم تصل تباعاً وبشكل مستمر .. وفي الوقت ذاته ، أعلن في قرطبة عن وضع عقوبات بحق المتخلفين من الجند النظاميين لاعداد مختلفة فتسابق هؤلاء نحو الشمال للالتحاق بالجيش .

خلال مرحلة التوقف ، حدثت بعض الاشتباكات الثانوية بين وحدات حراسة النهر « الحافظين للمخاض » ، وقد حاول جنود الشمال العبور الى الجنوب والاعارة على جيش المسلمين بصورة مباغته ، فتصدت لهم مفارز صغيرة من المسلمين وحدثت معارك قاسية ووصلت اخبار بعض الاشتباكات - في يوم ٧ رمضان مثلاً - الى القائد الأعلى الذي قاد قوة معه واقتحم بها المعركة ونجح في تحويل الموقف وتحقيق النصر ، وابداء العدد الأكبر من قوة العدو التي قامت بالعبور حتى بلغ عدد القوامس - الكونت - الذين سقطوا فوق أرض المعركة (٢٠ كونتاً) .

– على أثر هذه الاشتباكات ، قرر القائد الأعلى ، نقل المعسكر الى برهون والتوقف على مسافة مناسبة من العدو ، للأسباب التالية :

– اخفاء الاستعدادات للمعركة عن أنظار العدو وعناصر استطلاعهم ..

– التوقف في منطقة مناسبة لاستقبال قوات الدعم واعادة تنظيمها .

– انتظار الفرصة المناسبة للقيام بهجوم حاسم وذلك بمتابعة استطلاع العدو .

– الابتعاد عن مواقع كهائن العدو ، لحماية قوات المسلمين ، والحفاظ على

استعدادها القتالي وروحها المعنوية .

– انتقل القائد الأعلى بمعسكره الى « برهون » ووصل الفتي الكبير الجعفري

من قرطبة ومعه كتائب من بقايا صنف الاجناد والعبيد والرماة والوفود ،

بالاضافة الى ارتال متصلة من المواد التموينية والأعتدة والأسلحة والتجهيزات

القتالية .

– كان التجاوب بين عمليات جبهة الشمال وبين جماهير الشعب قوياً ، وكانت

تستغل كل مناسبة لاثارة الحماسة ودفع المتطوعين للالتحاق بجيش المسلمين حتى

أن احد المشيعين لجنازة الزاهد المعروف بالحضرمي ، أفاد من الحشد الكبير

الذي خرج لتشييع الراحل فوقف خطيباً وكان مما قاله :

[.. عباد الله ، اخلصوا دعاءكم وارفعوا اليه اصواتكم بالنداء والابتهال

في حقن دماء اخوانكم المؤمنين وأوليانكم المسلمين اهل حصن غرماج الذين قد

احاط بهم جمع المشركين واخذوا بمخنقهم واستطالوا عليهم بكثرتهم ..]^(١).

– وكان من الطبيعي ان تتفاوت درجة الحماسة للمعركة في اوساط اجهزة

الحكم ، ولسن الحكم المستنصر قصوراً عند البعض فأصدر أوامره بترقيع عبد

العزیز بن حكم التجيبي من منصب قيادة الشرطة الوسطى الى قيادة الشرطة

العليا ، كما تم عزل احمد بن سعيد الجعفري عن الشرطة العليا ويعلي بن احمد

.....

(١) ابن حيان - تحقيق الحجبي - ٢٢٩ .

ابن يعلي عن الشرطة الوسطى ، وصدرت الأوامر اليها للالتحاق بجيش الصائفة ك مقاتلين عاديين ليس لهم دور قيادي . وصدرت تعيينات اخرى لصالح العمليات في الشمال ..

و - المعركة الحاسمة :

- مضت فترة تزيد على الشهرين منذ بداية العمليات ولم ينجح جيش الشمال في تحقيق نصر حاسم ، واستتبأ ملك ليون الفتح ، فتوجه بنفسه لقيادة العمليات ومعه عمته « حلوريه - أو - حلويره » ، ودارت معارك ثانوية ثم عقد اجتماع بين :

- ملك بنبلونه « نافار » شانجه بن غرسيه بن شانجه (ومعه صهره « ملك قشتاله ») .

- ملك قشتاله - غرسيه بن فردلند بن غندشلب .

- أمراء البه والقلاع - بنو غومس .

- ملك ليون - رذمير بن شانجه .

وكانت القوات التي تحت قيادتهم ٦٠,٠٠٠ ستون الف مقاتل (وقيل اكثر) وفي هذا الاجتماع ، وضعت خطة الهجوم للمعركة الحاسمة وحدد توقيتها لتكون في يوم ١٥ شوال ، أي بعد مضي اربعة وسبعين يوماً على بداية حصار « حصن غرماج » ..

- في الموعد المحدد ، قامت قوات التحالف بهجومها الكبير الذي وضعت فيه جميع الامكانيات ، ولكن حصن غرماج والمواقع الدفاعية فيه صمدت لقوة صدمة الهجوم ، واستطاعت تحطيم انقضاض العدو ، وامتصاص اندفاعته الأولى ، ثم انطلقت الحامية المدافعة عن الحصن بهجوم مضاد على بعض نقاط العدر التي ظهرت ضعيفة ، وامكن تحقيق نصر حاسم في هذه النقاط وتم تصعيد عملية الهجوم المضاد حتى تحولت الى هجوم عام اشترك فيه كل قادر على حمل السلاح

في غرماج ، وبدأت قوات العدو في الانسحاب ثم تحول الانسحاب الى هزيمة منكرة ، ولم تتمكن حامية حصن غرماج من مطاردة فلول العدو واستثمار الظفر بسبب :

- التفوق العددي الساحق للعدو .
- الخوف من الكيانات التي يحتمل للعدو تركها لحماية انسحابه .
- الحفاظ على قوة الحامية لمواجهة احتمال « غدر العدو » .

- وجهت الحامية المدافعة عن حصن غرماج مفارز صغيرة من قوتها وذلك للاستيلاء على الأعتدة الثقيلة والمواد التموينية وغيرها مما تركه العدو - تخففاً منه - واستطاعت هذه المفارز الحاق بعض الأذى بمؤخرة العدو - ساقته - وتكبيده بعض الخسائر ..

ز - استئثار الظفر :

- اعلمت الحامية المدافعة عن المدينة ، عن تفاصيل المعركة ، وطلبت الى القائد الأعلى الوزير غالب التقدم الى « حصن غرماج » لمجابهة احتمال قيام العدو بهجوم جديد . وأسرع القائد الأعلى فألقى بثقل قواته في غرماج وكتب الى الخليفة الحكم يعلمه عن عزمه على متابعة التقدم حتى « شنت اشتين » لمطاردة العدو ، ثم انطلق بجيش الصائفة في اثر العدو .

وصلت قوات المسلمين حتى سهل « برلنقه » قريباً من « شنت اشتين » فاصطدمت هناك بجيش قشتاله الذي كان يقوده غرسيه بن فردلند ، ودارت معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة جيش قشتاله وتمزيقه حيث لجأت فلول المنهزمين الى الجبال ، وانطلق المسلمون يدمرون المعامل ويحرقون المزارع المحيطة بقلمة شنت اشتين ، وأزالوا كل مقاومة فيها ..

ح - معركة ثانوية ، على مقربة من مرقسطه :

كان ملك ليون - ردمير بن شانجه - يعرف أن قادة الثغور قد حشدوا

قواتهم كلهم في قلعة غرماج ، ولم يكن يتوقع انفصال حاميات الثغور وعودتها بسرعة الى اقاليمها ، وأراد الانتقام لهزيمته ورفع الروح المعنوية لقواته وذلك بتوجيه ضربة الى سرقسطه .. ولكن عبد الرحمن بن يحيى قائد شرطة سرقسطه انفصل بقوته بعد معركة « قلعة غرماج » مباشرة ، وسلك محور التقدم الى الثغر .

- خلال مرحلة التقدم في الشمال ، وجد قائد الشرطة عبد الرحمن بن يحيى ابن محمد بن هاشم التجيبي بعض الشواهد التي تشير الى تقدم العدو نحو سرقسطه ، فاتبع الأثر ، وأرسل الطلائع ، وعناصر الاستطلاع ، الى جبل بردنيه المشرف على نهر ابره ، وتوفرت المعلومات عن وصول العدو الى قرية استركور - أو - اشتر كوي ، جنوب مدينة تطيله ، وعلى مسافة ميل واحد فقط على محور سرقسطه - الجنوب .. واصطدمت عناصر الاستطلاع بالعناصر الوقائية لجيش ليون ، وبعد معركة قصيرة وصلت القوات الرئيسية للمسلمين واستطاعت تدمير العناصر الوقائية للخصم والحصول على بعض الأسرى ، ولدى استجواب هؤلاء تبين ان رذمير بن شانجه ملك ليون ، خرج من حصن شوش بقوة خمسمائة فارس ، وأنه دفع قوة الاغارة التي دمرتها قوات المسلمين وعددها مائتي مقاتل واحتفظ ببقية القوة في موقع قريب من نهر ابره .. وهنا أسرع قائد الشرطة التجيبي وقاد قواته نحو الموقع المحدد ، وعندما شعر رذمير ، باقتراب قوة المسلمين قام بانقضاض سريع ، وبعد معركة قصيرة وحاسمة ، مزقت قوات رذمير ، وسقط فوق أرض المعركة أفضل قادته مثل فرتون بن لب حاكم حصن شوس من قبل رذمير .. وفرتون محونس والدليل « نيقه بن بلشك » في حين هرب الملك رذمير مع قوة صغيرة من جنده ، وقام فرسان المسلمين بالمطاردة حتى ابتعد كل أثر لقوة ليون ، وعمل قائد الشرطة - التجيبي - على اعلام الخليفة الحكم بتفاصيل العملية .

- بهذه العملية امكن للحكم تمزيق قوة تحالف دول الشمال ، التي لم تلبث ان طلبت عقد الهدنة ، ثم وقعت بها احداث داخلية شغلتها عن الاستمرار في العدوان على ثغور المسلمين .

تصعيد استراتيجية الردع
في عهد الحاجب المنصور
٣٦٦ - ٤٣٩٣ = ٩٧٦ - ١٠٠٢ م

١ - قتال مستمر ،

أ - توفي الخليفة الحكم المستنصر ، وولى ابنه المؤيد هشام وهو غلام لا يزيد عمره عن تسع سنين ، وقامت أمه صبح البشكنسية بالاشراف على الحكم وكان اعتمادها على وزيرها الحاجب المصحفي والحاجب ابو عامر محمد بن أبي عامر المعافري المعروف بالمنصور ..

- استقبلت دول الشمال وفاة الحكم المستنصر بالارتياح ، وأسرعت كعادتها لاجراء عملية السبر ، فتقدمت قوات ليون «جيليقية» حتى وصلت قلعة رباح ، وأحاطت بها ، فأظهر الحاجب المصحفي تحاذلاً في مجابهة العدوان ، وأفاد المنصور الحاجب من هذه الظاهرة لاثبات مقدرته القيادية وكفاءته في معالجة المواقف الخطرة ، واكتساب مزيد من ثقة والده المؤيد «صبح البشكنسية» .
فبينما كانت أوامر الحاجب المصحفي تتلخص بنصح أهل «قلعة رباح» بتدمير قناة المياه التي ترفد المدينة بالحياة - وذلك لحرمان العدو من استثمارها - واذا بالحاجب المنصور يصدر أوامره لحشد القوات وقام بقيادتها لردع قوات العدوان .

(١) المغرب في حلجى المغرب ١٩٥/١ ، وفيه (.. كانت النصرانية قد جاشت بموت المستنصر وجاء صراخهم الى باب قرطبة . وظهر من المصحفي جبن وأمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم يلتمس بذلك دفاع العدو عن حوزته ، فأنف ابن أبي عامر من ذلك وقام بأمر الجهاد ، ووعد من نفسه الاستقلال على أن يختار الجهاز ويعان بهائة الف مثقال . فلما قفل ظافراً وقد ملك الجند بما رآه من حسن كرمه سمحت همته وأخذ نفسه بالتقلب على مكان المصحفي ..)

- لم يعمل الحاجب المنصور على مجابهة قوات العدو ان في قلعة رباح بل عمل على نقل المعركة الى قلب بلاد العدو ، فقاد قواته الى حصن الحامه « في جيليبه » فحاصره وسيطر بقواته على الاقليم كله وعزل الحصن عزلاً تاماً حتى نجح في اخضاعه . وبعد ثلاثة وخمسين يوماً من بداية انطلاق قوة الردع ، عاد الحاجب المنصور بالجيش وهو مثقل بالفنائم والسبي ، وعمل الحاجب المنصور على منح المقاتلين الهبات والهدايا الكثيرة فأحببه الجند والتفوا حوله ، واستعان بالوزير أبي تمام غالب الناصري ، فتم تقسيم قيادة القوات بحيث أصبحت قوات الثغور بقيادة غالب الناصر وقيادة الجيش في قبضة الحاجب المنصور (١) . .

ب - لم يمض على بداية الغزوة الاولى اكثر من ثلاثة اشهر ، وفي عام ٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م أيضاً ، قاد الحاجب المنصور جيش الحضرة الى الشمال والتقى بمريد مع قائد قوات الثغر الوزير غالب ، وانطلقا معا ، وافتتحا عدداً من الحصون بينها « حصن موله » ، وكان أكثر الأثر فيها للوزير غالب الذي عمل على نسب الانتصارات لابن عامر بموجب اتفاق بينهما وذلك لتعزيز مكانة ابن عامر في قرطبة وتوفير الفرصة للتخلص من الحاجب المصحفي ، وعاد ابن عامر الى قرطبة محمداً بالفنائم والكثيرة والسبي الكثير . . ونجحت الخطة فتم اقضاء المصحفي وتولى ابن عامر ولاية الشرطة والجيش ، ولم يلبث ابن عامر حتى تزوج بأسماء ابنة الوزير غالب الناصري .

- ومهما كانت طبيعة الحوافز التي دفعت الحاجب المنصور للغزو ، فقد كانت هذه البداية كافية لاشعار دول الشمال باستمرار الاستراتيجية التي طبقت في عهده

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ٣٩٤ - ٣٩٥ . وفيه . . (لم يزل ابن أبي عامر يقوم بشأن ، الخليفة هشام ، ويخدمه داخل الدار عند السيدة أم هشام وسائر الحرم حتى تم مراده فيه كي يستعين به على اهلاك المصحفي فانهض غالباً الى خطة الوزاريين وانفذ اليه كتاب الخليفة بذلك وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير على الصوائف ، على أن يدير ابن ابي عامر جيش الحضرة ويدير غالب جيش الثغر .

عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر . واقناع ملوك هذه الدول بتوفير قيادة قادرة على ممارسة أعمال الردع ومجابهة كل عدوان .

ج - في عام ٣٦٧ هـ - ١٧٧ م : قاد الحاجب المنصور للمرة الثالثة جيش الأندلس ووصل طليطلة حيث اجتمع مع صهره الوزير غالب وسارت قواتهما معاً لاحتلال الحصون ، فتم لها الاستيلاء على حصن المال وحصن رنيق وتابعت قواتها تقدمها في مملكة ليون ، فسيطرت على اقليم (السلنقة - سلمنقة) واستولت على ما فيه من غنائم وسي ، واعملت في الحصون تدميراً وفي المزارع احراقاً ثم عاد الحاجب المنصور الى قرطبة بعد أربعة وثلاثين يوماً من خروجه . وكان لما حققه من نصر في ردع دول الشمال وما أنجزه في سياسته الداخلية من سيطرة قوية ونشر للأمن دور كبير في استلامه « خطة الوزارتين » واحتلال مركز السلطة في دولة الأندلس .

[.. انصرف الحاجب المنصور بعد ذلك الى توليد سلطته والقضاء على منافسيه بضرب بعضهم ببعض وتصفيتهم واحداً بعد الآخر حتى لم يبق من مراكز القوى المناوئة له سوى الوزير غالب الناصري . فأخذ في الاعداد لذلك والاعتماد على البربر وتشجيعهم على الانتقال من عدوة المغرب والانضمام الي قوته ، (فانثالوا على ابن ابي عامر وما زالوا يتلاحقون وفرسانهم يتواترون .) ثم عين الحاجب المنصور وزيراً له من زناته وهو جعفر بن علي ابن حدون وبذلك أصبحت سيطرة البربر كاملة على الدولة العامية . واستطاع الحاجب المنصور أن يستعين بهم للقضاء على منافسيه جميعاً . كما اتبع الاسلوب ذاته في تصفية مراكز القوى بين البربر وذلك بضرب زعماء البربر بعضهم ببعض ، والافادة من التناقضات لتدعيم مركزه ، فأصبحت سيطرته قوية على الداخل مما جعله قادراً على الانطلاق في اعمال غزو الشمال من قاعدة قوية ، وزج كل الامكانات والقوى في جبهة واحدة ...] (١) .

(١) ابن الأثير ٧- ٢١٧ حوادث سنة ٣٩٣ هـ وابن عذارى ٢- ٤١٦ ونفح الطيب ٣٩٧/١ وابن خلدون ٤- ١٤٧ .

د - تابع الحاجب المنصور تنفيذ استراتيجية الردع فكان له في كل عام غزوتين أو أكثر بين صائفة و شاتية .

- ففي عام ٣٧١ هـ - ٩٨١ م ، استولى الحاجب المنصور على سمورة ، وأعمل فيها احراقاً وتدميراً ، وسبياً .

- وفي عام ٣٧٣ هـ - ٩٨٣ م ، انتقل أولاد زيري بن منقاد ، وهم زاوي و جلاله وما كسن اخوة بلكين الى الاندلس فاستقبلهم الحاجب المنصور ، وطلبوا اليه السماح لهم بمشاركتة شرف القتال وبما قالوه له : [انما اخترناك على غيرك ، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله . .] واشترطوا الانفراد بالأعمال القتالية وحدهم ، فعمل الحاجب المنصور على تسليحهم وتزويدهم بالخيال والاموال والأدلاء . فافتحموا حدود جيليقية ليلا وأقاموا كمائنهم في الحقول القريبة من المدينة وقتلوا كل من بها بهدف تحقيق المباغثة والمحافظة على السر ، فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلهم جميعهم فرجعوا ، وتسامع العدو ، فركبوا في أثرهم ، فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا في مؤخرتهم - ساقنهم - وكبروا ، فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير ، فانهزموا وتبعهم جند صنهاجة فقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة . وأثارت هذه الغزوة حماسة العرب وهم ينطلقون يجمعهم الكبيرة التي تم حشدها من جميع الاقطار لغزو ليون .

٥ - غزوة ليون ٣٧٣ هـ - ٩٨٣ م ، انطلق الحاجب المنصور بجيشه الكثيف الى ليون ، عاصمة مملكة ليون ، وعندما وصلها ضرب حصاراً حولها ، وطلب ملك ليون الدعم من الدول المجاورة ، فأمدته الافرنج بجيوش كثيرة . ووقعت معارك ضارية اتصل فيها القتال ليلا ونهاراً ، وأظهر الافرنج قدراً كبيراً من الصمود ، كما أظهر المسلمون ارادة أقوى على انتزاع النصر ، وخلال مراحل

الصراع استشهد عدد كبير من قادة الروم ، وأخذ الموقف في التحول لصالح المسلمين ..

[... وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم ما لا يحصى وملك المدينة وغنم ابن أبي عامر غنيمة لم ير مثلها واجتمع من السبي ثلاثون ألفاً ، وأمر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وأمر مؤذناً فأذن فوق القتلى المغرب .. وخرب مدينة ، قامونة - قد تكون سيمانقة - وعاد جيش الحاجب المنصور الى قرطبة ...]^(١) .

و - وفي عام ٣٧٦ هـ - ٩٨٦ م : قاد الحاجب المنصور جيشه ، واستطاع اقتحام أسوار برشلونه واحتلالها وفرض سيطرته عليها بعد أن طال انفصالها عن دولة الأندلس الاسلامية وخضوعها للوك فرنسا - الكارولنجيين - بصورة اسمية .

ز - غزوة البياض ٣٧٩ هـ - ٩٨٩ م : أعلن عبد الله بن الحاجب المنصور تمرده على أبيه واعتصم بشتت اشيبين « سان استيفان » ، فقاد المنصور الجيش وحاصر « شنت اشيبين » فهرب عبد الله والتجأ الى البشكنس « ووعد ملك البية والقلاع » غرسية بن فردلند « بالحماية والدعم » فتحرك الحاجب المنصور في اتجاه منطقة « البشكنس ، الباسك » وطالب غرسية بتسليم ابنه عبد الله فرفض الملك غرسية ، فأقسم الحاجب المنصور ألا ينسحب أو يعود الى قرطبة قبل أن يتسلم عبد الله ، وتقدم نحو الشمال فاصطدم بمقاومة البشكنس ، ونجح في ازالة المقاومات الصغرى ثم جابه جيش البشكنس فمزقه وتابع تقدمه فاحتل حصن وخشمة « اوسمة » وأنزل بها رابطة من المسلمين ، وعندما وصل الموقف الى هذه المرحلة من التدهور وأدرك غرسية أن الحاجب المنصور مصمم على الاستمرار حتى يحقق أهدافه أرسل اليه وفداً للتفاوض وأعلن عن استعداده لقبول شروط الحاجب المنصور جميعها ، ودفع عبد الله وغيره من اللاجئين الى « البشكنس » .

(١) الكامل ، ابن الاثير ٧ - ١٢٠ .

وتم الاتفاق على عقد الصلح وبعث المنصور من تسلم اللاجئين وأصدر أوامره بقتلهم بما فيهم ابنه عبد الله (١) .

ج - وعندما رجع جيش الحاجب المنصور ، أفاد « ملك ليون - قشتالة » فحشد قواته واندفع بقواته متجاوزاً الحدود فتصدى حاكم مدينة سالم « الوزير قند » للعدوان ، وتوجه بقواته الى حدود ليون فتجاوزها وأعمل في سهولها احراقاً وفي قلاعها تدميراً وحصل على غنائم كبيرة ثم اكتفى بهذا القدر من الردع وأخذ في الانسحاب والتراجع ، فعمل غرسية ملك ليون على قيادة قطعة مختارة من قواته محاولاً ضرب قوة الثغر التي يقودها الوزير قند . ولكن قوة الثغر جابهت محاولة غرسية بقوة ، وصمدت في القتال ونجحت في انتزاع النصر والحصول على عدد من الأسرى بينهم غرسية ملك ليون ، وكان غرسية جريحاً . فبذل الوزير قند العناية اللازمة ولكنه لم ينجح في انقاذ أسيره من الموت . فعمل على « حزر رأسه » ووضعه في تابوت وأرسله الى قرطبة ، واحتفظ بحجده وأعلم الحاجب المنصور بمسيرة الأحداث ونتيجتها . وتولى شانجة بن غرسية الحكم ، فعقد الصلح مع الحاجب المنصور ، وطالب استلام جثة والده ، فتم إرسالها اليه (٢) .

ط - وفي عام ٥٣٨٥ - ٩٩٥ م: وجه الحاجب المنصور جيشاً كبيراً للغزو في مملكة ليون ، وحقق الجيش انتصارات كبرى ، وأمكن له أسر أعداد كبيرة كان فيهم غرسية بن شانجة بن غرسية ملك ليون ، الذي حمل إلى قرطبة وهو طفل فأقام في قرطبة فترة طويلة ، وتمهده الحاجب المنصور بالرعاية والعناية (٣) .
وفي عام ٥٣٨٧ - ٩٩٧ م : قام المنصور بغزو « شانت ياقب » في جيليقية . ونظراً لأهمية هذه الغزوة ، فيستمر استعراض أحداثها ببعض التفصيل .

-
- (١) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ٤٢١ .
(٢) ابن بسام - الذخيرة ، القسم الرابع ٣١ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٧ - ١٧٣ .

٢ - معركة « شنت ياقب »

٥٣٨٧ = ٩٩٧ م

١ - الوضع العام :

استطاع الحاجب المنصور ، اخضاع شبه الجزيرة لحكمه ، ونجح في ردع المقاومات الشالية ، ورغم ذلك فقد استمر الدور التأمري للكنيسة ضد دولة قرطبة ، وكانت مملكة - ليون قشتاله - كعدها ، المركز الاساسي للتأمر ، بسبب قوتها وبسبب موقعها في مناطق جبلية صعبة ، وقد حاول اكثر من خليفة التوغل في اقاليمها ولكن جميع المحاولات لم تحقق نصراً حاسماً وهذا ما دعم من مكان مملكة ليون وزاد من قوتها حتى أصبحت معقد الآمال عند دول نصارى الشمال لضرب الحكم العربي الاسلامي وممارسة دور قيادي في اضعاف قوة العرب - المسلمين واستزافها ..

- كانت « شانت ياقب » في جيليقية تحتل مكانة خاصة بسبب وجود قبر القديس يعقوب - احد الحواري الاثني عشر [.. وكان اخصهم بيمسى عليه السلام .. وهم يسمونه اخاه للزومه اياه .. وكان اسقفاً ببيت المقدس فجعل يستقرى الأرضين داعياً لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصيه ، ثم عاد الى ارض الشام ، فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية ، فاحتفل اصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى اثره ...]^(١) .

أخذ - موريفانو - بعد ذلك في اضعاف هالة حول مكانة القديس بطرس ، فتحولت مدينة « شانت ياقب »^(٢) الى مدينة مقدسة يتوافد اليها الحجاج من اوربا كلها وتحتل المرتبة الثالثة بعد القدس ، وروما .. وعندما جاء الفونسو الثاني أعاد بعث أسطورة القديس يعقوب على اعتباره حامي جزيرة ايبيريا وسيدها

(١) نفع الطيب ١ - ٤١٤

(٢) شنت ياقب : Santiago de Compostela

وتعلقت الآمال بحماية القديس لجزيرة الاندلس وتخليصها من الحن المدمرة التي تتعرض لها ، وقد وضعت طقوس خاصة وأناشيد حماسية لتمجيد القديس يعقوب ودفع النصارى الى التضحية والجهاد ضد الكفار - الذين هم المسلمون - .
- ونظراً لوقوع « شنت ياقب » في أقصى الشمال الشرقي من الاندلس في وسط مناطق صعبة ، فقد استحال على قوات المسلمين فتحها والوصول اليها ، وبقيت معقل الثائرين وموئل المتمردين .

٢ - الوضع الخاص :

- وجد الحاجب المنصور ان اقناع مملكة ليون « اشتوريش » بالتوقف نهائياً عن ممارسة كل أعمال عدوانية يتطلب القيام بهجوم كبير يصل حتى « شنت ياقب » ذاتها ، وكانت الأوضاع الداخلية ، والاستقرار ، وتعاضم قوة جيش الاندلس ، واخامد الفتن في عدوة المغرب من العوامل المساعدة لاجراج مشروع الهجوم الكبير من « عالم الفكر » الى « واقع التنفيذ » فأصدر الحاجب المنصور أوامره بالاستعداد للعملية ..

- كان قصر أبي دانس^(١) ، هو القاعدة الرئيسية للأسطول على المحيط الأطلسي فعمل المنصور على انشاء أسطول كبير في هذه القاعدة ووجه اليها قوات كبرى من رجال البحرية وقوات المشاة « الرجالة » كما نقل اليها كميات كبرى من الأسلحة والأعتدة والأطعمة .. وأظهر اهتماماً خاصاً بالوحدات الهندسية لاقامة الجسور وتسوية الطرق وحفر الانفاق وجهازها بالأعتدة الثقيلة الضرورية للغزو ..

- في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات للتحرك البحري تسير في قصر أبي دانس بخطوات متسارعة ، كانت قرطبة تشهد استعداداً مماثلاً في تجهيز قوات الفرسان وحشدها من كافة أقاليم الأندلس ، وعندما انتهت مرحلة

(١) قصر ابي دانس : Alcacer - do - Sol ، مرسى الاسطول على ساحل البرتغال جنوب لشبونه ..

الاستعداد ، أصدر الحاجب المنصور أوامره بالتحرك وبدأت جحافل الفرسان في الانطلاق من قرطبة بينما كانت الوحدات البحرية المحملة بقوات المشاة والمهندسين والشؤون الادارية تغادر ميناء قصر ابي دانس يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة هـ - ٩٩٨ م .

٣ - مسيرة العمليات :

كانت هذه الغزوة هي الثامنة والأربعون في سجل غزوات الحاجب المنصور ، وكان الصراع المستمر ، والقتال المتصل قد أكسب المقاتلين خبرات كبيرة ، كما كانت الانتصارات المتلاحقة قد أكسبت الجند روحاً معنوية عالية وثقة بقياداتهم وقدرتهم على انتزاع النصر ومجابهة التحديات جميعها .

- كانت المرحلة الاولى من تقدم القوات الضاربة - الفرسان - تهدف الوصول الى قوريه^(١) ، وفي هذه المدينة الواقعة على الحدود الجنوبية لمملكة ليون توقف الحاجب المنصور فترة قصيرة [.. فوفاء عسدد عظيم من القوامس « جمع قومس - كونت » المتمسكين بالطاعة في رجالهم ، وعلى أتم احتفالهم فصاروا في عسكر المسلمين .. وركبوا في المغاورة سبيلهم ..]

- تابعت القوات تقدمها في المرحلة الثانية ، وتم الوصول الى ميناء « بورتو - البرتغال »^(٢) على نهر دويره ، حيث تم وصول القوات البحرية وبدأت عملية انزال القوات ، وقامت وحدات الهندسة بدفع الاسطول في النهر الى الموضع الذي تقرر العبور منه ، وعقد هناك جسر من هذا الاسطول على مسافة قريبة من الحصن الذي يقف بأسواره لحراسة الاقليم في اتجاه المحيط ، وامكن احتلال الحصن بسرعة ، وتمت عملية اعادة تنظيم القوات والامداد بالأغذية والمتطلبات الادارية ثم انطلق الجيش الكبير نحو أهدافه .

(١) قوريه Coria : تقع على رافد من روافد التاج ، شمال مارده .

(٢) البرتغال - بورتو - Porto على نهر دويره Duero - Duero .

تابع جيش المسلمين تقدمه على محور مواز لساحل المحيط الأطلسي، وتجاوز في تقدمه مجموعة من المواقع الطبيعية وعبر مجموعة من الأنهار والخلجان المتصلة بالمحيط .. ثم وصلت القوات الى سهول « فرطارش - أو - فلطارش » الواقعة جنوب نهر « منهو »^(١) ثم اصطدمت القوات بسلسلة الجبال الواقعة بين السهل وبين مجرى نهر منهو ، وحاولت عناصر الاستطلاع البحث عن محور للمرور ، وعندما لم تعثر الوحدات على الممر ، دفع الحاجب المنصور وحدات الهندسة [.. فتقدم الفعلة بالتحديد لتوسعة الشعاب وتسهيل المسالك الجبلية ..] وعبرت الوحدات المضائق الجبلية ثم قامت بعبور نهر منهو ، واندفعت قوات الفرسان بعد ذلك في السهول الشمالية حتى وصلت دير قسطان^(٢) وسهل بلنبو^(٣) على المحيط الأطلسي وفتحت حصن سانت بلاي^(٤) وغنمت ما فيه ، ثم عبر الجند سباحة الى جزيرة قريبة لجأ اليها [.. خلق عظيم من اهل تلك الناحية .. فسبوا من فيها بمن لجأ اليها ..]

- وصل جند المسلمين في تقدمهم حتى جبل مراسيه^(٥) [المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط .. فتخللوا أقطاره .. واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجاً في معبرين أرشد الأدلاء اليها .. ثم نهر ايله^(٦) ، ثم افضوا الى سهول - بسائط - واسعة العمارة ، منها سهول اونبه وقرجيطه ودير شنت بريه ، ثم انتهوا الى موضع من مشاهد صاحب القبر ، تلو مشهد قبره عند النصرارى في الفضل ، يقصد نساكهم له من أقاصي بلادهم ومن بلاد القبط والتوبه وغيرهما .. فغادره المسلمون قاعاً ..]

-
- (١) نهر منهو أو منيه - ومنيو : Minho - Rio Mino .
 - (٢) دير قسطان أو دير قسان .
 - (٣) نفع الطيب ١ / ٤٥١ وفي البيان المغرب - بلنبوط و « بلنبوا » .
 - (٤) وفي نفع الطيب شنت بلايه : San Pelayo .
 - (٥) جبل مراسيه : M. Morrazo .
 - (٦) نهر ايله : R. Ulla .

- وصل جيش الحاجب المنصور الى هدفه النهائي واندفعت القوات نحو « شنت ياقب » واقتحمتها ، وكان أهلها قد غادروها ، فجاز المقاتلون ما ضمه المدينة من غنائم ، وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها ، وكلف الحاجب المنصور مفرزة مهمة حماية قبر القديس يعقوب والحفاظة عليه ، واستمرت أعمال التدمير حتى تحولت المدينة الى مجموعة من الانقاض .. واندفعت بعد ذلك الى جزيرة « شنت مانكش » [.. منقطع هذا الصقع على البحر المحيط ، وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ، ولا وطنها لغير أهلها قدم ، فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراعها انتقال ..] ..

- كان نجاح الحاجب المنصور في غزو شنت ياقب رائعا ، ولم تصطدم قواته بمقاومة تذكر ، فأعاد تنظيم جيشه واختار لطريق العودة محورا جديدا ، فقد أراد استئثار موقفه لغزو مملكة نافار من الشمال ، فأطلق جيشه يعمل تدميراً واحراقاً حتى وصل حصن بلقيه^(١) فعمل على افتتاحه ، وتوقف قليلاً لوداع القوات التي انضمت اليه في قوربه ، [فأجاز هنالك القوامس بجملتهم على اقدارهم ، وكسام ، وكسار جاهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بلقيه ، وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه للملك الروم ولبن حسن غناؤه من المسلمين الفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي ..]

ورجعت القوات الى قرطبة وعلى قيادتها الحاجب المنصور وهي تحمل أكابيل الغار والغنائم الكبيرة دون أن تتكبد في غزوتها شيئاً من الخسائر^(٢) ..

(١) بلقيه وهي عند ابن عذارى مليقه ولعلها لبقيه - لاميجو Lamego .

(٢) نفع الطيب ١ / ٤١٣ - ٤١٦ وابن عذارى ٢ / ٤٤٠ - ٤٤٣ .

منجزات الحاجب المنصور وأسلوب عمله

كان الحاجب المنصور يعتمد - وبالدرجة الأولى - على الاستطلاع والجانوسية وجمع المعلومات الدقيقة عن موقف الصديق والعدو مما كان يساعده على اتخاذ القرارات الصحيحة ، وهناك أكثر من حادثة يمكن الاستشهاد بها لاثبات هذه الحقيقة ومنها ما يلي :

١ - [... كان - الحاجب المنصور - جالساً في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة البرد والرياح والمطر ، فدعا بأحد الفرسان وقال له : انهض الآن الى فج طليارش وأقم فيه فأول خاطر يخطر عليك سقه إلي ، قال : فتنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والرياح والمطر واقفاً على فرسه ، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب ، فقال له الفارس : إلى أين تريد يا شيخ ؟ فقال : وراء حطب ، فقال الفارس في نفسه : هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطباً فما عسى أن يريد المنصور منه ؟ قال : فتركته فسار عني قليلاً ثم فكرت في قول المنصور ، وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له : ارجع الى مولانا المنصور ، فقال له : وما عسى ان يريد المنصور من شيخ مثلي ؟ سألتك بالله ان تتركني لطلب معيشتي . فقال له الفارس : لا أفعل ، ثم قدم به على المنصور ، ومثله بين يديه وهو جالس لم يتم ليلته تلك ، فقال المنصور للصقالبة : ففتشوه ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً ، فقال : فتشوا برذعة حماره ، فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد تزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى اصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في احدى النواحي (الموصوفة) . فلما انبلج الصبح أمر باخراج اولئك النصارى الى باب الزاهرة ، فضربت اعناقهم ، وضربت رقبة الشيخ معهم ...]^(١) .

(١) نفع الطيب ١ / ٤١١ وابن عذارى ٢ / ٤٣٤ .

٢ - وكان الحاجب المنصور يتبع اكثر من وسيلة للحصول على المعلومات عن خصومه وكانت بعض وسائله إرسال مندوبين عنه للقيام بجولات في أقاليم ممالك الشمال المعادية له ، وقام واحد من هؤلاء المندوبين بجولة في مملكة البشكنس حيث استقبله ملكها « غرسيه » استقبالا جيدا ، ثم انطلق المندوب للقيام بجولة في أنحاء المملكة بحيث لم يترك موقعا أو مدينة أو قلعة إلا قام بارتياحها ، وفي ذات يوم وبينما هو يتجول في إحدى الكنائس تقدمت اليه سيدة عربية وقالت له [... بعد ان عرفته بنفسها : ارضي المنصور ان ينسى بتعمه بؤسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نضت لبوسها ، وزعمت ان لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة وبكل ذل وصغار ملبسه وناشدته الله في انها قصتها وبراء غصتها واستحلفته بأغلظ الايمان ، واخذت عليه في ذلك أوكد موثيق الرحمن ..]

عاد الوفد الى قرطبة واجتمع بالمنصور ، وعرفه بما يجب تعريفه به واعلامه ، وهو مصغ اليه حتى تم كلامه ، فلما فرغ قال له المنصور : هل وقفت هناك على أمر أنكرته ، أم لم تقف على غير ما ذكرته ؟ .. فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه ، وبالمواريق التي أخذت عليه ، فقبلته ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ، ثم أخذ للجهاد من فوره ، وأصبح غازيا ، ووصلت أخبار الهجوم الى ملك البشكنش غرسيه ، فأرسل رسالة يستوضح سبب الهجوم المباغت ونقض اتفاق السلم المعقود . فأجابه الحاجب المنصور : ان الاتفاق المعقود ينص على اطلاق سراح جميع الأسرى ، وان هناك أسيرة في تلك الكنيسة .. وأقسم الحاجب المنصور أمام الوفد المكلف بنقل رسالة الملك غرسيه انه لن ينسحب بقواته حتى يكتسح أرض البشكنش ويطلق سراح الأسيرة . فأرسل ملك البشكنش الوفد مرة اخرى للاعلام بأن غرسيه لم يكن على علم بأمر هذه الأسيرة وأنه أرسلها على الفور مع اثنتين ، وعلاوة على ذلك فانه [بالغ في هدم الكنيسة تحقيقا لقوله والتزاما بوعده .. وتضرع اليه في الأخذ فيه بطوله ..] فاستهيا الحاجب

المنصور ، وصرف الجيش ، وأوصل المرأة الى نفسه ، والحف توحشها بأنسه ،
وغير من حافها ... وحملها الى قومها ... [(١)] .

٣ - وكان الحاجب المنصور يعتمد اسلوب « الثورى » في اتخاذ قراراته ،
ولكنه لم يكن يستسلم لآراء مستشاريه دائماً ، بل كثيراً ما كان يخالفهم معتمداً
على ما يحصل عليه من معلومات بوسائله الخاصة ، كما انه كان يرفض في معالجة
الأمر بالأساليب الروتينية التي كانت تشير عليها أمور الدولة ، وبمعنى اوضح
فانه لم يكن يستسلم لطبقة « البيروقراطيين » حسب التعبير العلمي الحديث ..

٤ - وكان الحاجب المنصور ايضاً يعتمد اسلوب تصعيد الردع لاقناع خصومه
باستعالة الاستمرار في مقاومته ، كما كان يتبع في حروبه أساليب متنوعة
ووسائل مختلفة وبذلك استطاع تحقيق انتصاراته الحاسمة ، ويمكن استقراء
أسلوبه المذكور من خلال القراءة التالية :

(أ - ... كان - للحاجب المنصور - في كل غزوة من غزواته المنيفة
على الحسين مفعرة من المفاخر الاسلامية ، فمنها ان بعض الأجناد نسي رايته
مركوزة على جبل يقرب احدى مدائن الروم ، فأقامت عدة أيام لا يعرف الروم
ما وراءها بعد رحيل العسكر .. وهذا بلا خفاء مما يقتخر به أهل التوحيد
على أهل التثليث لأنهم لما أشرب قلوبهم خوف شذمة المنصور وحزبه ، وعلم
كل من ملوكهم أنه لا طاقة له بحربه لجأوا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع
ولم يحصل منهم غير الاشراف من بُعد والاطلاع ...) (٢) .

(ب - ... ومن مفاخر المنصور في بعض غزواته أنه مر بسين جبلين
عظيمين في طريق عرض برید بوسط بلاد الإفرنج ، فلما جاوز ذلك المحل - وهو
أخذ في التحريق والتخريب والفارات والسبي يميناً وشمالاً - لم يجسر أحد من

(١) ابن عذارى ٢ - ٤٤٤ - ٤٥٥ ونفع الطيب ١ - ٤٠٤

(٢) نفع الطيب ١ - ٥٩٥ .

الإفرنج على لغائه ، حتى أفقرت البلاد مسافة أيام ، ثم عاد فوجد الإفرنج قد استجاشوا مَنْ وراءهم ، وضبطوا ذلك المدخل الضيق الذي بين جبلين ، وكان الوقت شتاء ، فلما رأى ما فعلوه رجع واختار منزلاً من بلادهم أتاخ به فيمن معه من العساكر وتقدم ببناء الدور والمنازل ، ويجمع آلات الحَرْث ونحوها ، وبث سراياه فَسَبَتْ ، وغنمت ، فاسترق الصغار ، وضرب أعناق للكبار ، وألقى جثثهم حتى سَدَّ بها المدخل الذي من جهته ، وصارت سراياه تخرج فلا تجد إلا بلدأ خراباً فلما طال البلاء على العدو أرسلوا إليه في طلب الصلح ، وأن يخرج بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك ، فلم تزل رسلهم تتردد إليه حتى سألوه أن يخرج بغنائمه وأسراه فأجابهم : إن أصحابي أبوا أن يخرجوا وقالوا : إنا لا نكاد نصل إلى بلادنا إلا وقد جاء وقت الغزوة الأخرى فنقمعد هنا الى وقت الغزاة فإذا غزونا عُدنا ، فما زال الإفرنج يسألونه إلى أن قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي وأن يمدوه بالميرة حتى يصل إلى بلاده ، وأن ينحوا جيف القتلى عن طريقه بأنفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف ...)

— في عام ٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م ، وفي الوقت الذي فرض المسلمون سيطرتهم على الأندلس كلها ، وكان من المتوقع العودة الى غزو - غاليا - فرنسا . وبينما كان الحاجب المنصور يتابع أعمال الردع في الشمال ، أصيب بالمرض ، فانسحب الى مدينة سالم ، وتوفي فيها وبها دفن .. وبذلك طويت صفحة خالدة من حياة الأندلس الاسلامية ، ولم تلبث ان تمزقت وحدة الأندلس السياسية بظهور ملوك الطوائف ، ثم لم تلبث ان انهارت الدولة الأموية وبدأ عهد جديد من الصراع بين العرب المسلمين وبين دول الشمال النصرانية ثم تطور الصراع الى اعلان الحرب الصليبية في الشرق والغرب ..

ولقد كانت دروس « فن الحرب » قد نضجت بفعل المعارك المتصلة بين العرب المسلمين وأعدائهم الذين أفادوا من هذه الدروس وعملوا على استخدامها ضدهم ..

لقد كان الصراع فوق ارض الاندلس مدرسة قتالية غنية بالدروس ،
وان هذه الدروس ستبقى مفخرة من مفاخر العرب المسلمين ومأثرة خالدة في
جملة مآثرهم ..

الغزو المضاد

– ما بعد المنصور – وبداية حركة الاسترجاع

أخذ بنيان الدولة الأموية في الانهيار بعد وفاة الحاجب المنصور ، بحيث
لم تمر سوى فترة قصيرة هي في حدود العشرين عاماً حتى انتهت الدولة الأموية
الى الزوال وتمزقت وحدة الاندلس تحت سيطرة ملوك الطوائف .

– لقد استطاع عبد الرحمن الناصر بناء دولة الأندلس القوية وجاء بعده
الحكم المستنصر فعزز من قدرة الدولة وزاد على قوتها ثم استمرت هذه الاستراتيجية
في عهد الحاجب المنصور الذي استولى على ممره عام ٣٧١ هـ – ٩٨١ م ، ثم
هاجم ليون ذاتها عام ٣٨٦ هـ – ٩٩٦ م ، وفي عام ٣٨٧ هـ – ٩٩٧ م سيطرت
قوات المسلمين على شنت ياقب في كومبوستيلا ..

وفي عام ٣٧٦ هـ – ٩٨٦ م استعاد المسلمون سيطرتهم على برشلونه بحيث لم
يبق عليهم سوى عبور البيروني للعودة بدولة الاسلام في الاندلس الى عهد الفتح
الأول ، وبذلك اصبحت الاندلس الاسلامية في القرن العاشر الميلادي مصدر
خطر كبير على العالم المسيحي في أوروبا . لكن الاحداث التي أعقبت وفاة
الحاجب المنصور جعلت هذا العالم يستعيد أنفاسه ويضع مخططاته ..

– كانت مملكة ليون ، نواة حركة الغزو المضاد، وزعيمة حركة الاسترداد،
وأكبر دول الشمال في الاندلس . وقد أخذت مملكة ليون في بناء قوتها الذاتية
والافادة من خبرة الصراع الطويل مع العرب المسلمين ، واستثار التناقضات
الموجودة بينهم لاستعادة الاندلس واخراج العرب المسلمين منها ..

– في عام ٤٢٢ هـ – ١٠٣٢ م ، انتهى حكم الدولة الاموية في الاندلس ،

وكان ملوك الطوائف قد بنؤوا بالاستقلال منذ عام ٤٠٣هـ - ١٠١٢ م .
وقد أفاد ملوك مهالك الشمال النصرانية وفي مقدمتهم ملك ليون « الفونس »
وتسميه العرب « الأذفونش » من التناقض القائم بين ملوك المهالك وذلك بفرض
سيطرته عليهم واحداً بعد الآخر وانتزاع الأقاليم مدينة بعد مدينة وقلعة بعد
قلعة . وقد أخذ كثير من المؤرخين على اعتبار المرحلة التي بدأت بسقوط طليطلة
عام ٤٧٥هـ - ١٠٨٣ م هي بداية حركة الاسترجاع ، التي انتهت بإخراج العرب
المسلمين من الأندلس . وقد حدثت خلال هذه المرحلة معارك كبرى لعل أكثرها
شهرة في التاريخ ممركتي الزلاقة بقيادة امير المرابطين يوسف بن تاشفين عام
٤٧٨هـ - ١٠٨٦ م ، وموقعة الأرك بقيادة يوسف بن عبد المؤمن عام ٥٩١هـ -
١١٩٤ م ، ثم موقعة العقاب التي هزم فيها المسلمون هزيمة منكرة عام ٦٠٩هـ -
١٢١٢ م . ولكن المعارك جميعاً كانت في اطار العمليات الدفاعية أو الهجمات
الوقائية . وان تأخر حركة الاسترجاع وامتداد فترة الصراع تعود الى قوة
العرب المسلمين في الأندلس من جهة والى انصراف الغرب نحو الشرق للقيام
بالحروب الصليبية من جهة أخرى .. وان هذه المعارك جميعاً خلال فترة الصراع
المريرة تقع خارج نطاق بحث هذا الكتاب نظراً لوقوعها « خارج نطاق الدولة
الأموية » .. وكل ما يمكن قوله بالنسبة لفن الحرب خلال مرحلة هذا الصراع
هو انها كانت استمراراً للمراحل « الأموية » بحيث انها لم تتميز بطابع جديد ..
لقد ارتبطت مرحلة « الاسترجاع » بالحروب الصليبية ونشاط الكنيسة
« ديركلوني مثلاً واجتماع كليرمونت » ، كما ارتبطت بأحداث الشرق ، وقد
يكون من المفيد مطالعة موجزة لهذه الاحداث ..

١ - ديركلوني - قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية :

- تعاقب على بطريركية ديركلوني البطريرك اوديلو ٣٨٤ - ٤٤٠هـ =

٩٩٤ - ١٠٤٨ م ، ثم البطريرك هيو ٤٤٠ - ٥٠٣هـ = ١٠٤٨ - ١١٠٩ م ..

وقد مارس دير كلوني دوراً قيادياً في الحرب الصليبية ضد مسلمي الأندلس، وكان من مطالبه ، تأمين طرق الحج الى كومبو ستيللا ، والاحتفاظ بإسبانيا المسيحية .

كان سانشو الكبير « الثالث » ملك نافار يقود عملية « الغزو المضاد »^(١) ضد المسلمين وتحالف مع ملك ليون وقشتاله ووليم دوق غاسكونيا ، وطلب من روبرت ملك فرنسا دعمه ، لكن ملك فرنسا لم يستجب له ، فقام دير كلوني باستقدام روجر توسني^(٢) من نرمنديا لدعم ملك نافار . كما وجه إيرسلند^(٣) لدعم كونتية برشلونه ، ونجح قسس دير كلوني في اقناع امير غسقونيا - وليم - لدعم سانشو ملك نافار بهدف انتزاع سرقسطه من المسلمين ، وكان لذلك دوره في تشجيع « ريمون برغار الأول » أمير برشلونه على المضي في زحفه نحو الجنوب ومتابعة طرد المسلمين من جنوب الأندلس ..

٢ - اجتماع كليرمونت واطلاق الحرب الصليبية :

في عام ٤٨١ هـ - ١٠٨٨ م : احتل أودو - دو - لاجيري^(٤) مركز البابوية في روما وتوج باسم ايربان الثاني ، وبدأ على الفور باجراء اتصالات واسعة لتوحيد جهد الكنيسة وجمع المعلومات الكافية عن الأوضاع في اوربا كلها والشرق ، ثم قام بجولة واسعة لزيارة الأديرة والكنائس للاضطلاع بحل مشاكلها ودراسة قضاياها ومتطلباتها ، وتوحيد جهد الكنيسة في اتجاه واحد ، مع ازالة المنازعات الصغرى في سبيل تحقيق هدف كبير - هو الحرب الصليبية - .
- وفي عام ٤٨٩ هـ - ١٠٩٥ م وجه ايربان الثاني الدعوة لعقد اجتماع في

.....

(١) الغزو المضاد : La Reconquesta .

(٢) روجر توسني : Roger of Tosni .

(٣) إيرسلند : Ereslind .

(٤) اودي دو لاجيري Odo de Lagery من مواليد أسرة نبيلة في شاتيون سير

مارن Chatillon Sur Marne وكان دمثاً ، قوي الشخصية ، دائم الحركة .

بيا كترًا ، تمت فيه دراسة الامور الداخلية ، وحل المشكلات الفردية المتعلقة بملوك اوربا وأمرائها . وفي الفترة بين ١٨ - ٢٨ تشرين الثاني - نوفمبر من السنة ذاتها عقد اجتماع كليرمونت الذي احتل شهرة خاصة في التاريخ بسبب ما انتهى اليه من اعلان الحرب الصليبية ..

- تكونت لدى البابا ايربان الثاني القناعة بأن موقف اسبانيا اصبح مقررًا ، فقرر توجيه الجهد نحو جبهة أخرى ، والانتقال من العمل بالسر الى العمل بالعلن . - حضر اجتماع كليرمونت ٣٠٠ من رجال الكنائس المنتشرة في اوربا ، وفي نهاية المؤتمر ، وأمام الجماهير المحتشدة ألقى البابا ايربان خطابه الذي طالب فيه بذل الجهد لتحرير الاخوان المسيحيين في الشرق ، وأنهى خطابه بالنداء المشهور :

[فلينطلق المسيحيون بالغرب لتجدة الشرق ..] وبدأ العمل لاعداد حملات الحرب الصليبية التي كان من اكثر المتحمسين لها بطرس الناسك ووالتر المفلس .

٣ - استراتيجية حركة « الاسترجاع » والغزو المضاد :

هناك اختلاف بين المؤرخين حول تحديد بداية « مرحلة الاسترجاع » فمنهم من يحدد بداية هذه المرحلة بسقوط طليطلة ، ومنهم من يحددها بمرحلة العقاب على اعتبار انها كانت آخر محاولة لظهور قوة المسلمين ، لاسيما وقد انتهت هذه المعركة بزوال دولة الموحدين . وهناك من يحددها بنهاية عهد المنصور على أساس « انتهاء الوحدة السياسية للدولة بزوال عهد الحاجب المنصور » ولعل بعض المؤرخين العرب ومنهم المقري كانوا أكثر عمقاً في تحليل احداث التاريخ عندما وصفوا بداية المرحلة مع ظهور بلاي في جيليقية^(١) منذ العهد الأول للفتوح ، وتصاعد شدة المقاومة منذ البداية بحيث اضطر عنبة بن سحيم الكلبي الى دفع كل القوى للسيطرة على اقليم جيليقية شمال شرق الجزيرة ، ويمكن في الواقع تقسيم مرحلة الاسترجاع الى فترات توافقاً مع مسيرة الاحداث :

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع في نفع الطيب للمقري ٣-١٧ و ٤-٣٥٠ .

١ - المرحلة الأولى : التي بدأت بانهبان الدولة الأموية في الشام وقيام الدولة الأموية في الأندلس عام ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م وانتهائها بوفاة الحاجب المنصور عام ٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م . وفيها ظهرت دول الشمال وتكونت مقاومات منظمة ووضعت مخططات محلية ومخططات بعيدة المدى لاجراج العرب المسلمين من الأندلس ..

٢ - المرحلة الثانية :* وهي التي بدأت باعلان الحروب الصليبية بصورة غير رسمية ضد الأندلس وبصورة رسمية ضد الشرق ، ويمكن تحديد تاريخ لها بنهاية الحروب الصليبية في الشرق أي بين عام ٣٩٣ - ٦٩٨ هـ = ١٠٠٢ - ١٢٩٨ م .

٣ - المرحلة الثالثة : تصفية الوجود العربي الاسلامي في الأندلس ويمكن تحديد بداية هذه الفترة مع نهاية الحروب الصليبية في الشرق وضياع مدن الأندلس الرئيسية « مارده - قرطبه - مرسية - اشبيليا شرق الأندلس » مع تحديد نهايتها بمخروج العرب المسلمين نهائياً من الأندلس والاستيلاء على ما بقي في قبضتهم عام ٨٩٨ هـ - ١٤٩٢ م ..

كانت فترة الصراع في الأندلس طويلة وشاقة استمرت ٧٥٠ سنة تقريباً ، واتبعت دول الشمال استراتيجية تتوافق مع المراحل التي مر بها النضال لتنفيذ استراتيجية الاسترجاع ولكن هذه السياسة المرحلية لم تكن لتتناقض مع الاستراتيجية العامة للاسترجاع . ويمكن القول ، ان وضع حدد زمني للمراحل لا يعني وجود انفصال بينها ، فأحداث التاريخ نسيج متلاحم لا انقطاع فيه وان احداث كل فترة شديدة الاتصال بالفترة التالية لها وبالفترة التي سبقتها ، ولهذا فانه من المستحيل الأخذ بظواهر احداث معينة ضمن اطار زمني محدد واسقاط ما سبقها من تفاعلات ورواسب واهمال ما تبعها من نتائج لا سيما عندما تحدث هذه التفاعلات في بوتقة واحدة فتأخذ ظواهر واحدة وتنتهي بنهايات متماثلة ، وان استعراض تاريخ الصراع في بوتقة « الأندلس » يظهر - بوضوح ان هناك استراتيجية واحدة كانت هي المسيطرة على الاحداث وهي المسيرة لها وقد يكون

من المفيد الرجوع بهذا الصراع الى بداياته الاولى حتى تظهر معالم الاستراتيجية التي طبقت طوال مرحلة الصراع والتي تعتمد في أساسها على دعامتین ثابتتين :

١ - استراتيجية مرحلية تأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية ومتطلبات المرحلة الراهنة التي تمر بها قضية « الاسترجاع » .

٢ - استراتيجية بعيدة المدى تهدف في النهاية الى اخراج العرب من الاندلس .

كان هدف الاستراتيجية المرحلية سبر قوة العرب المسلمين في كل فترة واستنزاف قدرتهم القتالية وقوتهم في اثاره التناقضات الداخلية واشمال نيران الحروب الخارجية ..

وكان هدف الاستراتيجية بعيدة المدى انتزاع مدن الاندلس وقلاعها وأقاليمها على مراحل متتالية .

وبقدر ما كانت الاستراتيجية المرحلية مرنة ومتغيرة كانت الاستراتيجية بعيدة المدى ثابتة وصلبة .. ويدهي القول ان تطبيق الاستراتيجية المرحلية لم تكن موضع اتفاق بين ملوك دول الشمال وحكامها ، بل كانت موضع اختلاف وكثيراً ما انتهى هذا الخلاف الى صراع مسلح .. في حين كانت الاستراتيجية بعيدة المدى موضع اتفاق تام بين جماهير الشمال وحكامهم وملوكهم .

٤ - المنطلقات الاساسية لاستراتيجية « الاسترجاع » :

على الرغم من الاختلاف الذي كان يحدث بين ملوك الشمال حول تطبيق الاستراتيجية المرحلية . وعلى الرغم من ضرورة تطبيق استراتيجية خاصة للتمييز بين ما هو مرحلي وبين ما هو خاص للمستقبل . وتغيير الوسائل تبعاً لذلك ، إلا أن وحدة الهدف فرضت نوعاً معيناً من الوحدة في وسائل العمل وأساليب العمل بحيث اخذت الاستراتيجية المرحلية والاستراتيجية بعيدة المدى ظواهر واحدة . ويمكن ايجاز المنطلقات الاساسية لاستراتيجية الاسترجاع بنوعها في عدد من النقاط :

١ - اثارة التناقضات الداخلية واستئثارها ..

- لقد ولدت مملكة اشتوريش - ليون - ومملكة البشكنس - نافار - في قلب التناقضات التي ضمتها عناصر الفتح العربي الاسلامي . وقد أدركت هذه الممالك منذ نشوئها ان بقاءها واستمرارها مرتبط والى حد بعيد باثارة التناقضات في المجتمع العربي - الاسلامي ، وتمزيقه الى مراكز قوى ثم ضرب هذه المراكز بعضها ببعض وبالتالي استنزاف قوتها وازعافها وتوفير الفرصة المناسبة امام دول الشمال لبناء قوتها الذاتية وتطوير امكاناتها .

٢ - عزل العرب المسلمين عن اهل البلاد الأصليين ..

استطاع الفتح العربي الاسلامي استقطاب اهل البلاد وضمهم اليه والتعاون معهم لبناء أندلس المسلمين . ولم يكن هناك ما يميّز المخلصين من اهل البلاد الى احتلال المراكز الرئيسية في الدولة والجيش فقد ترك العرب المسلمون لأهل البلاد حريتهم الاجتماعية والدينية ، فأقبل أهل الأندلس وأظهروا كل تعاون وأخذت اعداد منهم في تعلم اللغة العربية ، وأطلقوا على أبنائهم أسماء عربية وأصبح بعضهم شعراء وأدباء ، وأدرك المتعصبون منهم خطورة هذا التعاون على مستقبل حركة الاسترجاع فأعلنوا التمرد وظهرت ثورات « كنيسة قرطبة » منذ العهد الأولي للفتح وتبع ذلك اثارة حركات المولدين في الشمال ، وتحريض المستعربين ، ثم وضعت المخططات لعزل اهل البلاد عن العرب المسلمين والقضاء على سياسة التعايش ، وقد اصطدمت هذه المخططات في بداياتها بتصميم حكام العرب المسلمين وقوة ارادتهم فلم تتمكن من تحقيق النجاح . ولكن الثبات على تنفيذ مخططات « الاسترجاع » والعمل بشتى الوسائل على النجاح مخططات العزل والقضاء على سياسة التعايش اخذت كلها في اكتساب الانصار ، والمؤيدين وبأعداد متزايدة يوماً بعد يوم حتى تم الوصول الى الهدف النهائي ..

٣ - اثارة عامل الحقد ..

- اعتمدت دول الشمال في استراتيجيتها على « عامل الحقد » لاذكاه روح

النضال واثارة الحماسة ضد العرب المسلمين ، وقد أدركت قيادات الشمال منذ البداية ان تسامح العرب المسلمين هو العامل الاساسي في نجاح تنفيذ « سياسة التعايش » وحمل المواطنين الاسبان والمولدين والمستعربين على التعاون مع الحكم العربي . ولهذا وحتى تستطيع دول الشمال دفع العرب المسلمين الى استخدام القسوة والعنف وخلق هوة فاصلة بين العرب المسلمين من جهة وبين أهل البلاد الاصليين من جهة اخرى ، انطلقت قيادات الشمال في ارتكاب الجرائم الوحشية من قتل وتدمير فجاءت استراتيجية الردع موازية لأسلوب الشمال ، فبدأت الثفرة وقد استثمرت دول الشمال كل الظروف للمبالغة وللعمل على توسيع الثفرة وتعميقها .

٤ - تكوين ايدولوجية للحرب ..

- درست الكنيسة أسباب نجاح العرب المسلمين في فتوحاتهم ، فعرفت ان العامل الاول هو عمق ايمان العرب المسلمين واستعدادهم للتضحية باستمرار للمحافظة على دينهم ونشر دعوتهم في كل مكان . ولهذا عمل قادة الشمال على اعادة تمجيد أسطورة القديس يعقوب وخلق هالة حولها ، واعطاء الصفة الدينية للصراع مع العرب المسلمين . وقد وقع تناقض بين رجال الكنيسة حول هذا الموضوع ذلك ان التعاليم المسيحية لا تجيز التضحية وازهاق النفس من أجل نشر الدعوة المسيحية ، فبدأت الكنيسة في تغيير النصوص وابتعاد المبررات واصدار الوعود - بالفقران - ومنع الصكوك لمن يقتل أثناء الصراع مع توفير مغريات مادية ، مثل اعطاء الارض التي يتم الاستيلاء عليها وانتزاعها من العرب المسلمين الى اولئك المقاتلين الذين يحققون الانتصارات ويلحقون الهزائم بجند المسلمين ..

٥ - ربط الصراع بالاندلس - بالظروف العامة - .

تابع حكام الشمال ، وملوك اوربا الاحداث الجارية على مستوى الوطن

العربي الاسلامي وأدركوا منذ البداية ان انفصال الوحدة السياسية للعالم الاسلامي هي نقطة الضعف الاولى في كيان الامة السياسية .

وعرفوا ايضاً ان حكم الاندلس أصبح في عزلة عن العالم العربي الاسلامي ، فأخذوا في العمل لتكريس هذا الواقع واستثماره ، وكان شارلمان هو أول من استثمر هذا الواقع فعمد أواصر الصداقة مع بغداد لضرب قرطبة ، واستمر العمل بهذه الاستراتيجية طوال مرحلة « الاسترجاع » .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عرف النصارى في اوربا اهمية « وحدة الهدف » في الصراع مع العرب المسلمين فعملوا على ازالة الخلافات الموضعية والطائفة . والعمل على وحدة الصف ووضع « واجب الحرب المقدسة » فوق كل الخلافات الثانوية وقد مارست الكنيسة دوراً كبيراً في هذا المضمار ونجحت في ازالة التناقضات ، والقضاء على الصراع الداخلي من اجل تركيز الجهد للعمل على جبهة واحدة . وهذه هي الاستراتيجية التي انتهت باعلان الحروب الصليبية ..

وكان تطبيق الاستراتيجية المرحلية يسير في خطوات متماثلة واجراءات متشابهة بحيث يمكن تمييز أسلوب العمل بوضوح ، وتحديد معالجه بما يلي :

١ - القيام بعمليات سبر مع بداية كل مرحلة ، وفي كل مناسبة أو ظرف ملائم .
٢ - تركيز الجهد على قلعة أو مدينة أو اقليم وانتزاعه من العرب المسلمين والتوقف فترة ثم معاودة العمل من جديد في منطقة أخرى ..

٣ - اظهار الخضوع والاستسلام اذا جاءت استراتيجية الردع قوية أو اذا طور العرب المسلمون أساليبهم وعملوا على تطبيق استراتيجية « الهجمات الوقائية » .

٤ - تنفيذ عمليات السبر - وأعمال الهجوم - بقسوة وعنف لحمل القيادات في قرطبة على استخدام أسلوب ردع معاتل وخلق هوة بين العرب المسلمين وأصحاب البلاد .

٥ - العمل في كل الظروف على استنزاف قوة العرب المسلمين ، بإثارة المولدين ، في البداية ، وتشجيع مراكز القوى على التمرد والثورة وضرب بعضها ببعض ..

٦ - استنزاف قوة العرب المسلمين بالحروب المستمرة والصراع المتصل مع دول الشمال .

٧ - الاستعانة بالمتطوعين ودول « الافرنج » كلما كان ذلك ممكناً ..

- ان هذه الاستراتيجية لم تكن مجهولة أو غائبة عن أنظار جماهير العرب المسلمين وقياداتهم في الأندلس . فقد كانت الرؤيا واضحة ، وكان أسلوب دول الشمال واستراتيجيتهم موضع مناقشة وحوار ، وان ما خلفه كتاب العرب المسلمين وشعراؤهم من قصائد وأقوال تظهر ان العرب المسلمين كانوا يعرفون أبعاد استراتيجية الشمال وخطورتها ، وان ما قيل من قصائد شعرية ومقطوعات في رثاء طليطلة وغيرها يؤكد وضوح الرؤيا عند عرب الأندلس . ولهذا فان الاستعانة بالمرابطين والموحدين قد جاءت تلبية لمتطلبات الصراع بهدف مجابهة التكتل الذي تزعمته دول الشمال ، وان نجاح هذه الاستراتيجية قد جاء نتيجة طبيعية لاختلال ميزان القوى ..

٥ - الحرب الصليبية في الشرق والغرب

موجز الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية	
تكونت دولة جيليقية في شمال غرب الاندلس وظهرت دولة نافار وبدأ الصراع ضد المسلمين فوق أرض الاندلس ذاتها ..	٧٩٩	١٨٣	١
سقوط يرشالونه في قبضة الافرنج .	٨٠١	١٨٦	٢
تعاون البابا يوحنا العاشر مع بيزنطة - القسطنطينية - لتكوين تحالف من الأمراء المسيحيين بهدف طرد المسلمين من قلعته الواقعة على جبل جاريجليانو .	٩١٥	٣٠٣	٣
طلب ملك بروفانس الكونت هوغ من امبراطور القسطنطينية دعمه لطرد المسلمين من البروفانس ووجه امبراطور بيزنطة أسطولاً أحرق سفن المسلمين ودمرها في ميناء البروفانس .	٩٤٢	٣٣١	٤
انتزع يوحنا كركواس أعالي الجزيرة الشامية من المحدثين أيام سيف الدولة .	٩٤٥	٣٣٤	٥
انتزع نقفور فوقاس جزيرة كريت وطرد المسلمين منها .	٩٦١	٣٥٠	٦
احتل نقفور فوقاس عين زربة ومرعش وعزل قسطنطينية الاسلامية .	٩٦١	٣٥٠	٧
وفاة عبد الرحمن الناصر ، واستيلاء العامريين على السلطة في الأندلس .	٩٦١	٣٥٠	٨

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٩	٣٥٥	استولى نقفور امبراطور بيزنطة على قيليقيا ، وانتزع قبرص من المسلمين .
١٠	٣٥٦	قاد نقفور حملة الى حوض الفرات الأوسط ..
١١	٣٥٩	استولى نقفور على حلب ، حماه ، حمص ، شيزر ، ودمر مدن الساحل انطرسوس ، جبيل ، اللاذقية .
١٢	٣٦١	استولى الامبراطور يوحنا زمكيس على نصيبين وأخضع حمص والشام .
١٣	٣٦٥	قاد - غليوم - عملية اخراج المسلمين من البروفانس .
١٤	٣٧١	استولى المنصور على « سموره » جنوب ليون .
١٥	٣٨٥	اعاد باسيل الثاني سيطرة بيزنطة على حلب .
١٦	٣٨٦	قاد المنصور هجوماً حاسماً ضد ليون ، ووصل ليون فدمرها وأحرقها .
١٧	٣٨٧	قاد المنصور جيشاً كبيراً ووصل « شانت ياغب » في كومبوستيلا ثالث الأماكن المقدسة عند المسيحيين بمدن القدس وروما . وقد احتل المنصور شانت ياغب ودمرها ثم تركها طعمة للنيران ..
١٨	٣٩٢	توقيع هدنة بين امبراطور بيزنطة والحليفة الفاطمي في مصر لمدة ١٠ سنوات .
١٩	٣٩٣	اغار البحارة المسلمون على « أنيتب - عين الطيب » في البروفانس .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٩٦ و	١٠٠٥ و	أغار البحارة المسلمون على بيزا .
٣٩٧	١٠٠٦	
٤١١	١٠٢٠	أغار البحارة المسلمون على نابون - أربونه - .
٤٣٢	١٠٤٠	نجح ستة اخوة أبناء فارس « نورماني » مغمور اسمه فانكرد - هوتفيل في الاستيلاء على مدينة « ميلقي » بتلال ابوليا ، وأقاموا بها إمارة بفضل مساعدة امبراطور الغرب هنري الثالث ، والبابا الجرمانى الذي رشحه هنري للبابوية ، واستطاع النورمان توطيد سيطرتهم على امارات لومبارديا ، ورحبت الكنيسة بهذه الخطوة وذلك للاستعانة بالنورمان في الحروب ضد المسلمين .. ولاضعاف موقف بيزنطة من جهة اخرى واخضاعها لسلطة الكنيسة ..
٤٤٥	١٠٥٣	مات هنري الثالث ..
٤٣٧	١٠٤٥	- سلم الملك آني اكبر ملوك ارمينيا ، بلاده للبيزنطيين ..
٤٤٧	١٠٥٥	دخول طغرل بك الى بغداد ..
٤٥٧	١٠٦٤	استولت بيزنطة على اماره قارس ، آخر اماره مستقلة في ارمينيا .
٤٦٤	١٠٧١	استولى تسيز بن أبق - ينتمي الى البارسلان - على القدس وسيطر الترك على فلسطين .

موجز الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	
استولى النورمان على آخر قاعدة لبيزنطه في ايطاليا ..	١٠٧١	٤٦٤	٢٣
تقدم رومانوس ديوجين زوج امبراطورة بيزنطه - رايدوسيا - والوصية على ميخائيل السابع ، واقتحم منطقة الفرات الأعلى ، فجابمه الب ارسلان وهزمه في موقعة « مانزيكرت » .	١٠٧١	٤٦٤	٢٤
استولى تسيز على دمشق .	١٠٧٥	٤٦٨	
اغتيال تسيز بيد تتش النبي اصبح يسيطر على الشام من حلب وحتى حدود مصر .	١٠٧٩	٤٧٢	
استولى السلطان سليمان السلجوقي على انطاكية ومدن قيليقيه .	١٠٨٥	٤٧٨	
استولى بازان التركي على الرها ..	١٠٨٧	٤٨٠	
لقي راميرو الأول ملك أراغون مصرعه في « غرادوس » ^(١) على يد احد المسلمين عندما قام بهجومه ضدهم ، فأعلن البابا الاسكندر الثاني انه يبذل الغفران لكل مقاتل من أميل الصليب في اسبانيا ، وبدأ انايا بتنظيم جيش لتابعة مشروع راميرو ، وأخذ المقاتل النورماني	١٠٦٣	٤٥٦	٢٤

(١) غرادوس : Grados .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
		« ويليم مونتراي » ^(١) في تطويق المقاتلين لخدمة البابا وجمعهم من شالك ايطاليا . كما عمل إبلس كونت روسي ^(٢) شقيق فيليشيا ^(٣) ملكية أراغون على جمع المقاتلين النورمان من شمال فرنسا ، لكن هذه الحملة لم تحقق النجاح المطلوب .
٢٥	١٠٧٣	أعاد إبلس كونت روسي تنظيم حملة جديدة من الفرنسيين ، ودعا البابا جريجوري السابع أنصار المسيحية جميعهم لدعم هذه الحملة والانضمام إليها واعدأ المسيحيين باعطائهم الفنائم التي سيستولون عليها من أيدي الكفار - المسلمين - .
٢٦	١٠٧٨	تولى هيو الأول - دوق برجنديا - قيادة جيش لدعم صهره القوزمو السادس ملك ليون - قشتاله .
٢٧	١٠٨٠	- أعلن البابا جريجوري السابع تأييده الشخصي ومباركته للحملة التي قادها جاي جفري .
٢٨	١٠٨٥	استولى القشتاليون على طليطاله .
٢٩	١٠٨٦	دخل المرابطون الأندلس وانتصروا في معركة الزلاقة على « الافرنج » .

(١) ويليام مونتراي : William of Montreuil .

(٢) إبلس - روسي Ebles of Rucy .

(٣) فيليشيا : Flicia .

موجز الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
اشتدت دعوة الفرسان المسيحيين للزحف على الأندلس ومواجهة المرابطين .	٤٨٠	١٠٨٧
عقد مجمع كليرمونت ، واعلان البابا ايربان الثاني الحرب الصليبية على المسلمين .	٤٨٩	١٠٩٥
سقوط وشقه في يد الافرنج في الأندلس .	٤٩٠	١٠٩٦
وصول الحملات الصليبية الى المشرق وسقوط انطاكية .	٤٩٢	١٠٩٨
احتلال الصليبيين لبيت المقدس « القدس » واحتلال طرابلس وبيروت والرملة ومدن الساحل ..	٤٩٣	١٠٩٩
ضياع كتنده وسرقسطه .	٥١٤	١١٢٠
سقوط بلنسية وبريشتر ثم ضياعها .	٤٨٨ و ٥٢٢	١٠٩٥ و ١١٢٩
ضياع المريه .	٥٤٢	١١٤٧
سقوط شلب ثم استرجاعها ثم ضياعها .	٥٨٦	١١٩٠
موقعة الأرك بقيادة يوسف بن عبد المؤمن « الموحدين » .	٥٩١	١١٩٤
موقعة العقاب بقيادة محمد الناصر بن يوسف ، وهزيمة المسلمين بالاندلس ..	٦٠٩	١٢١٢
ضياع لوشه .	٦٢٢	١٢٢٥

موجز الأحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية	
ضياع مارده .	١٢٢٨	٦٢٦	٣٩
ضياع قرطبة ومرسيه .	١٢٣٨	٦٣٦	٤٠
ضياع اشبيلية وشرق الأندلس .	١٢٤٧	٦٤٥	٤١
نهاية الحملات الصليبية في الشرق .	١٢٩٨	٦٩٨	٤٢
إخراج من بقي من المسلمين في مالاقا، وغرناطة والبيازين وبعض قلاع الجنوب .	١٤٩٢	٨٩٨	٤٣

* * *

قراءات

عبد الرحمن الداخل

١١٣ - ١٧٢ هـ : ٧٣١ - ٧٨٨ م

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وأمه بربرية من قبيلة نغزاة اسمها « راح »^(١) ولد بدير حنا من أرض دمشق وقيل بالعلياء من قدمر .

- توفي والده وهو صغير ، فضمه مسلمة بن عبد الملك إليه ، وتوسم فيه منذ طفولته الطموح والذكاء . وله حادثة مع جده يرويها عبد الرحمن فيقول :

(أتى جدي هشام يوماً فوجدني عند مسلمة وكنت صبياً ، فأمر جدي بتنحيتي عنه فقال له مسلمة : دعه يا أمير المؤمنين ، فإنه صاحب بني أمية ومحبي دولتهم بعد زوالها ، فلم أزل أعرف لي مزية من جدي ...) .

سنة ١٣٢ هـ : وقع الاختلال في دولة بني أمية . وفر عبد الرحمن متنقلاً بأهله وولده إلى أن حل بقرية على الفرات ، ودخلت كتائب العباسيين القرية التي يقيم فيها عبد الرحمن فهرب إلى موضع ناء عن القرية ولحقه أخوه ، ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى لحقت به الخيل فقذف بنفسه في النهر وأخوه يتبعه . ثم عاد أخوه بعد أن بلغ منتصف النهر معتمداً على ما سمعه من وعود تابع عبد الرحمن طريقه وهو يشهد ما حل بأخيه من نكبة وكيف ضرب الجند عنقه وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

- وصل عبد الرحمن إفريقية ولحق به مولاة بدر بعد أن أوفدته إليه اخته

(١) في البيان المغرب ٢ - ٧١ ، اسم ام عبد الرحمن « راحا أر رداحا » .

« أم الأصبح » ومعه دنانير للنفقة . وعلم أن عاملها (عبد الرحمن بن حبيب الفهري) يلاحق الأمويين وأنه قتل ابني الوليد ، فهرب عبد الرحمن إلى المغرب الأقصى والتجأ إلى أخواله « قبيلة نغزاوة » في مفيلة وقيل بمكناسة .

سنة ١٣٦ هـ : اتصل عبد الرحمن بن يعرفهم في الأندلس ، وطلب دعمه ومساعدته للاستيلاء على الأندلس . وأجمعت كلمة اليمنية على نصرته ، وأرسل اليهم بدرأ مولاة للتأكد فعاد بدر ومعه مجموعة من وجوه الأندلس فرافقهم ونزل في المنكب (١) .

سنة ١٣٨ هـ : وفي ربيع الأول منها ، أخذ عبد الرحمن في التوجه إلى واش من كورة البيرة ولم يكن أنصاره يزيدون على أربعائة مقاتل . لكن جموعه أخذت تتزايد كلما تحرك من مدينة إلى مدينة أخرى فتابع مسيرته إلى رية ومنها إلى شدونة ثم مورور وأشبيلية حيث أصبحت قوته تزيد على ألفي مقاتل . وعندما غادرها أصبح جيشه يضم ثلاثة آلاف فارس .

كان والي الجزيرة عبد الرحمن بن يوسف الفهري ووزيره الصميل في جيليقية عندما دخل عبد الرحمن الأندلس ، فرجعا وقد أخذت القوات تنفض عنها ، لكنها صمما على الدخول معه في معركة حاسمة بعد أن حاولا خداعه ففشلا وحاولا استرضاءه ، دون الامارة فرفض أيضا .

- في الطريق إلى قرطبة وفي موضع يسمى « بطشانة » (٢) عقدت الراية لعبد الرحمن الذي تابع تقدمه بينما كان يسير خصمه الصميل في الطرف الآخر من النهر وبعد ثلاثة أيام من المسير : وفي موضع « المصاراة » (٣) غربي قرطبة ، أنهى عبد الرحمن استعداده للمعركة ، وسمر الليل كله على نظام أمره ثم وقف أمام خادته وقال لهم :

(١) المنكب : Almuncab .

(٢) بطشانة : Tocina .

(٣) ورد في أخبار مجموعة ١١٨ ، اسم هذه الواقعة « المارة » .

(هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه ، إما ذل الدهر ، وإما عز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون ، تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون) .

ووقعت المعركة الفاصلة وانتصر عبد الرحمن ، ودخل قرطبة بعد ثلاثة أيام . وانصرف الى تنظيم أمور الدولة ، ووضع خاتماً له نقش عليه :

[عبد الرحمن بقضاء الله راض]

سنة ١٣٩ هـ : خرج ضده الفهري والصيل واستمرت ثورتها حتى عام ١٤٢ هـ حيث قتل يوسف الفهري ومات الصميل في سجنه .

سنة ١٤٦ هـ ثار العلاء بن مغيث اليحصبي بباجة من قبل المنصور ، ولقيه عبد الرحمن بجهة أشبيلية فهزمه وجيء به وباعلام أصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه وأعناقهم وأمر ففرطت الصكاك في آذانهم بأسائهم وأودعت جوارقاً محصناً ومعه اللواء الأسود وانفذ بالجوارق تاجراً من ثقاته وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم ففعل ، ووافق أبا جعفر المنصور قد حج ، فوضعه على باب سراقده ، فلما كشفه ونظر اليه سقط في يده وقال : [عرضنا هذا البائس ، يعني العلاء للتحف - ما في هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه] .

سنة ١٤٧ هـ : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة مولاة بدر وتام بن علقمة للقضاء على تمرد هشام بن عروة في طليطلة ، وأمكن لها اعتقال هشام بن عروة وهشام بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وحياة بن الوليد ، فاعدوا وأرسلت رؤوسهم إلى قرطبة .

سنة ١٤٩ هـ : ثار سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بكورة لبلة .

سنة ١٥٠ هـ : هاجت فتنة البربر في سانتا ماريا ، شنت برية .

سنة ١٥٢ هـ : ثار رجل من البربر اسمه سفين بن عبد الواحد الكناسي واما فاطمة وادعى أنه من أهل البيت وأنه ينتسب للحسن بن علي واستمرت فتنته حتى تم قتله سنة ١٦٠ هـ . واسمه في الكامل لابن الأثير شقنا ، ٥ - ٣٤ .

سنة ١٥٦ هـ : أعلن عبد الغافر اليحصبي ثورته في أشبيليا وخرج عبد الرحمن في السنة التالية ففضى على الثورة .

سنة ١٥٧ هـ : ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الخنزرجي (١) وشايحه سليمان بن يقظان الاعرابي الكلبي رأس الفتن وآل أمرها الى فتك الحسين بسليمان وقتل الحسين على يد الأمير عبد الرحمن .

سنة ١٦٤ هـ : غزا الأمير عبد الرحمن الجزيرة ، وبها الرمامس بن عبد الرحمن (٢) فهرب الرمامس وأطلق الأمير عبد الرحمن اسرى الامويين .

سنة ١٦٨ هـ : ثار المغيرة بن الوليد بن معاوية على عبد الرحمن ، وقتل المغيرة وانصاره .

سنة ١٧٠ هـ : بدأ العمل ببناء جامع قرطبة .

سنة ١٧٢ هـ : توفي عبد الرحمن الداخل .

صقر قريش

قال أبو جعفر المنصور يوماً لأصحابه: من صقر قريش؟ قالوا: أمير المؤمنين الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الأدواء ، قال ما صنعتُم شيئاً ، قالوا فمعاوية ، قال ولا هذا . قالوا فعبد الملك بن مروان ، قال : لا . قالوا فمن يا أمير المؤمنين ، قال : [عبد الرحمن بن معاوية . الذي تخلص بكيده عن سنن الاسنة وظلابة السيوف ، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً أعجيباً فمصر الأمصار وجند الأجناد وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه ، ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان . وذلالا له صعبه ، وعبد الملك

.....

(١) في البيان المغرب يذكر ابن عبادة الانصاري ويجعلها من أحداث سنة ١٦٥ هـ ، البيان المغرب ٢ - ٧١ ، نفع الطيب ١ - ٤٨ .

(٢) في البيان المغرب ٢ - ٧١ ويذكر في نفع الطيب ١ - ٤٨ ان اسمه الرمامس بن عبد العزيز الكناني .

ببيعة تقدمت له ، وامير المؤمنين بطلب عترته واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرداً بنفسه مؤيداً برأيه مستصحباً لمزمه ... [(١)] .

تنظيم الدولة

— بدأ الأمير عبد الرحمن عهده بتدوين الدواوين ، وفرض الاعطية ، وعقد الألوية وجند الأجناد ، وكان متصل الحركة لا يتخذ الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد في ابرامها برأيه ، شجاعاً ، مقداماً ، بعيد الغور ، شديد الحدة ، قليل الطنائنة بليغاً ، مفوها .

وكان الى ذلك ، يميل الى المركزية في السلطة ، فقتل كل من حاول الوقوف في وجه سلطته ، ومنهم أقرب الناس اليه مثل ابي الصباح يحيى زعيم اليمانية ، وعبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وعبيد الله بن ابان بن معاوية ابن هشام وابن أخيه المظيرة بن الوليد بن معاوية وشرذ مولاة بدر فمات شرمية .

الحنين الى الوطن :

— وكان الامير عبد الرحمن شديد الحنين لوطنه ، شاهد يوماً نخلة فريدة في الرصافة فأطلق خياله :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة	تنامت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شيبني في التغرب والنوى	وطول اكتنابي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة	فمثلك في الامضاء والمنتأى مثلي
سقتك غواصي المزن في المنتأى الذي	يسح ويستمرى السماكين بالوبل

.....
١ - مجموعة ١١٨ - ١١٩ ، الكامل لابن الأثير ٥ - ١٨٢ و ٦ - ٣٧ نفع
٢ - ٣٣٠ و ٣ - ٢٧ والاستقصا ١ - ٥٣ - ٥٤ ، أخبار مجموعة ١٠٤ ، ابن
٣ - ١٢٠ ، الاعلام ٤ - ١١٣ تاريخ غزوات العرب ١١٢ ، البيان المغرب ٢ - ٧٧ .

. - وقد حمل هذا الحنين على التفكير في معاودة غزو الشام وانتزاعها من قبضة العباسيين، وأشاع ذلك سنة ١٦٣ هـ . وكاتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته وعل على ان يستخلف ابنه سليمان بالأندلس ويذهب بعامة من أطاعه ، ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين الأنصاري الذي أعلن الثورة في سرقسطة . ومن شعره الذي يستشهد به على تفكيره في الرجوع الى الشام وحنينه اليها الأبيات التالية :

أقرني بعض السلام لبعض	أيها الراكب الميمم أرضي
وفؤادي ومالكيه بأرض	ان جسمي كما تراه بأرض
وطوى البين عن جفوني غمضي	قدر البين بيننا فافترقنا
فعمى باجتماعنا سوف يقضي ^(١)	قد قضى الله بالفراق علينا

هشام بن عبد الرحمن « الداخل »

١٣٩ - ١٨٠ هـ = ٧٥٦ - ٧٩٦ م

هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان - الأموي - .
- أمه تسمى جمال^(٢) ولقبه أبو الوليد ونقش خاتمه [بالله يثق عبده هشام
وبه يعتصم ..]

- ولد بقرطبة ، وعينه أبوه عندما أصبح شاباً لحكم « مارده » .. وصله
خبر موت أبيه وهو بمارده ، فأسرع إلى قرطبة ووصلها بعد ستة أيام وبإيعه

(١) نفع الطيب ١ - ٥٤ .

(٢) البيان المغرب ، ابن عذارى ٩١/٢ ، اسم امه جمال ، وفي نفع الطيب للمقري ٣٣٤/١

اسمها حلال وفي الحميدي حوراء .

ابن خلدون ١٢٤/٤ . ابن الاثير ٨٥/٥ - ١٠١ . الاعلام ٨٤/٩ . اخبار مجموعة ٩٥

البيان المغرب لابن عذارى ٩١/٢ وما بعده . جذوة المقتبس ١١ . الحلة السراء ٣٧ .

الخاصة والعامية . ثم أراد أخوه سليمان منازعته في الحكم فغادر طليطلة يمحسه وعندما وصل كورة « جيان » توجه إليه أخوه هشام ووقعت مجبة بلج معركة طاحنة هزم فيها سليمان .

— قال الأمير عبد الرحمن الداخل يوماً لابنه هشام : لمن هذا الشعر :

وتعرف فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
ساحة ذا ، وبرّ ذا ، ووفاء ذا ونائل ذا ، إذا صحا وإذا سكر

فقال له : يا سيدي لامرئ القيس ملك كنده وكأنه قاله في الأمير أعزه الله ، فضمه إليه استحساناً بما سمع منه وأمر له بإحسان كثير وزاد في عينه ، ثم قال الأمير عبد الرحمن لابنه الثاني سليمان على انفراد : لمن هذا الشعر ؟ وأنشده البيتين ، فقال : لعلهما لأحد أجلاف العرب ، أما لي شغلٌ غير حفظ أقوال بعض الأعراب . فأطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية . .
سنة ١٧٢ هـ : تولى هشام إمارة الاندلس ، فانصرف لتنظيم أمور دولته ، وأحسن معاملة الرعية حتى شبهه الناس بعمر بن عبد العزيز . .

كان هشام يبعث بثقاته الى الكور يسأل الناس عن سيرة عماله فإذا انتهى إليه ان أحدهم ظلم أحداً عزله عن عمله وأنصف المظلوم . كما عين في المدن عساً لمنع ارتكاب الجرائم .

من أعماله العمرانية : اكمال جامع قرطبة وبناء القنطرة التي أقامها السمع ابن مالك . وشيد المساجد في أنحاء البلاد ، وعني بنشر اللغة العربية . قرب إليه الفقهاء واعتمدهم في مشورته . وأحبه الناس لمدله .

توفي بقرطبة ١٨٠ هـ ، وبها دفن . .



الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

١٥٤ - ٢٠٦ هـ = ٧٧١ - ٨٢٢ م

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، أبو العاص ، ولقبه الرضي نسبة لمعركة الرض التي قمع فيها حركة التمرد ضده . أمه ، أم ولد اسمها زخرف ، ونقش خاتمه : [بالله يثق الحكم وبه يعتمصم ..]

١٨٠ هـ - ٧٩٦ م تولى الحكم امارة الاندلس بعد وفاة ابيه .

[.. كان افضل بني اميه بالاندلس واشدهم اقداماً وصرامة وأنفة وأبهة وعزة ، الى ما جمع لذلك من جودة الضبط وحسن السياسة واثار النصفه وكان يشبه بالمنصور العباسي في شدة الملك وقهرة الأعداء وتوطيد الدوله ..]^(١)

١٨١ هـ - ٧٩٧ م : اعلن بهلول بن ابي الحجاج بجهة الثغر الأعلى وملك سرقسطه^(٢) وانضم اليه عبد الله ابن الامير عبد الرحمن بن معاويه .. واستمر تمرده حتى عام ١٨٤ هـ حيث اتصل باخيه وطلب الصلح فوافقه عليه .

وفي هذه السنه ايضاً اعلن عبيده بن حميد الثورة بطليطله فوجه الحكم عمرو بن يوسف لحربه من طلييره ، واستخدم عمروس الدهاء ، واستطاع التأثير على بعض الانصار فقتلوا عبيده وحلوا رأسه الى عمروس فأرسله الى الحكم ثم تابع عمروس خطته لتصفية المقاومه فدخل طليطله مستكيناً لأهلها وبنى قصرأ عند مدخل المدينة ، ثم تظاهر بالاحتفال ودعى وجوه طليطله ونظم الحفل على ان يكون الدخول افرادياً فكان الحجاب يقتلون كل داخل واستطاع بذلك

(١) المغرب في حل المغرب ٣٩/١ ونفح الطيب ١/٣٤٠ .

(٢) المغرب في حل المغرب ٤٠/١ وفي تاريخ ابن خلدون ١٢٦/٤ بهلول بن مرزوق ، وفي البيان المغرب ١٠٢/٢ بهلول بن مروان المعروف بأبي الحجاج ، وفي الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١٨١ هـ بهلول بن مرزوق المعروف بأبي الحجاج .

أن يقتل سبعمائه رجل من كبار قادة التمرد وبذلك أخضع طليطله (١) .
١٨٢ هـ - ٧٩٨ م : دخل سليمان بن عبد الرحمن عم الأمير هشام الى الأندلس
وأعلن تفرده « ببلنسية » فسمي « البائسي » واستمرت ثورته ثلاثة أعوام حتى
تمكن الحكم من قتله عام ١٨٤ هـ .

١٩٨ هـ - ٨١٣ م : ثورة الربض ، بقرطبة (٢) وسببها تحريض أهل العلم
والورع بقرطبة وفي مقدمتهم القاضي يحيى بن يحيى الليثي - المصمودي - بسبب
ما أشيع عن الحكم من انصرافه الى الملهذات حتى كانوا ينادونه ليلاً من أعلى
صوامعهم عند الأذان لصلاة الفجر [.. الصلاة ، الصلاة ، يا مخور ..]

وعندما زادت استنارة أهل قرطبة لحرس الحكم عمل على تحصين قرطبة
وعمارة أسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخيل على بابه واستكثر المماليك ورتب
جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح ، ثم عمداً الى عشرة من رؤساء سفرائهم
فقتلهم وصلبهم ، فهاج لذلك أهل الربض ، ووقعت معركة طاحنة انتهت باحراق
الربض وتدميره طوال ثلاثة أيام ، وقتل الحكم من أسرام ثلاثمائة وصلبهم ، ثم
اصدر عفوه بعد ذلك .. كما اصدر عفوه بعد ذلك عن قائدي الثورة وهما يحيى
ابن يحيى وطالوت بن عبد الجبار المعافري .

سنة ١٩٠ هـ - ٨٠٥ م : قاد الحكم جيشاً للقضاء على ثورة اصبح بن عبدالله
ابن واسنس في « ماردة » ، لكنه اضطر الى العودة ورفع الحصار عن ماردة
للقضاء على الثورة التي هددت قرطبة ، وقد استمرت الثورة في ماردة سبعة أعوام
قبل أن يتمكن الحكم من القضاء عليها ..

(١) البيان المغرب ١٠٨/٢ وفي المغرب في حلى المغرب ٤٠/١ ، عبيد بن خمير وفي ابن
خلدون عبيدة بن عمير وفي الكامل لابن الاثير ، حوادث هذه السنة ، عبيد بن حميد .
(٢) في المغرب من حلى المغرب ٤٢/١ جعلها من أحداث سنة ٢٠٢ هـ . وفي الكامل لابن
الاثير سنة ١٩٨ هـ . والبيان المغرب في أحداث ٢٠٢ وهو الاكثر صحة .

- كانت فترة امارة الحكم ثورات متصلة في الداخل وحروب مع الأعداء الخارجيين وتنظيم أمور الدولة الادارية والمالية والعسكرية .

- وكان الحكم في بداية عهده ، قد انهمك في لذاته من غير افحاش وكانت له عيون بطالعونة بأحوال الناس وكان يباشر الأمور بنفسه ويقرب الفقهاء والعلماء الصالحين .. وكان الى ذلك شاعراً ، ومن أقواله يوم وقعة الرض^(١) :

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعاً وقدماً لأمت الشعب مذ كنت ياقعاً
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة أبادرها مستنضي السيف دارعاً
تنبئك أني لم أكن في قراعهم بوانٍ وقدماً كنت بالسيف قارعاً
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم فوافوا منايا قدرت ومصارعاً
فهذي بلادي انني قد تركتها مهاداً ولم اترك عليها منازعاً
توفي الحكم عام ٥٢٠٦ - ٨٢٢م بعد أن أمضى حياة حافلة بجلالات الأعمال .



عبد الرحمن بن الحكم

١٧٦ - ٥٢٣٨ = ٧٩٢ - ٨٥٢ م

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، لقبه ابو المطرف ، ويسمى عبد الرحمن الاوسط ، امه تسمى حلاوه ، ونقش خاتمة ، عبد الرحمن بقضاء الله راض (وهو توقيع جده) ومن توقيعاته البليغة : (من لم يعرف وجه مطلبه فالحرمان اولى به) وهو من مواليد طليطله .

بويغ بالخلافة في اليوم التالي لوفاة ابيه الحكم وله من العمر ٢٣ سنة و ٩ اشهر .

(١) نفع الطيب ١/٣٣٨ - ٣٤٤ . المغرب من حلى المغرب ١-٣٨-٤٥ . الكامل ، لابن الاثير ، أحداث السنوات ، اليبسان المغرب ٢/١٠٢ - ١١٨ ابن خلدون ٤/١٢٥ ، غزوات العرب ١٢٩-١٣٠ . الوقفيات ١/١٤٦ الاعلام ٢-٢٩٧ .

استفتح عهده بأحداث دار السكة « في قرطبه » وضرب الدراهم باسمه ولم يكن فيها ذلك منذ فتحها العرب ، واتخذ للوزراء في قصره بيت الوزارة ورتب اختلافهم اليه في كل يوم يستدعيهم معه او من يختص منهم او يخاطبهم برفاع فيما يراه من امور الدولة ، وبدأ حكمه بهدم فندق الخمر واطهار البر وهو اول من جرى على سنن الخلفاء في الآنية والشكل وترتيب الخلافة وكسا الخلافة ابهة الجلالة فشيّد القصور وجلب الماء العذب الى قرطبه وبني له مصيفاً كبيراً يرتاده الناس وبني الرصيف وعمل عليها السقائف وبني المساجد في الاندلس ومنها جامع اشبيليا وسورها وعمل السقاية على الرصيف ، ونظم الجيش واستكثر من الأسلحة والعدد .

- وفي ايامه انتهى مال الجباية الى الف الف دينار في السنة وكان قبل لا يزيد على ستمائة الف ، يصرف ثلثها لتسليح الجيش واعداده وصرف مرتباته .

- وكان الأمير عبد الرحمن شديد الاهتمام بالكتب حتى انه وجه الشاعر عباس بن ناصح الى العراق في التماس الكتب القديمة فأثابه « بالسندهند »^(١) وغيره من الكتب ، كما كان يقرب اليه العلماء والفقهاء وينظم الشعر ، وله اشعار رقيقة في الغزل والفخر - .

تميز عهده بالرخاء والهدوء النسبي حتى قيل لايامه « ايام العروس » واستطاع القضاء على جميع حركات التمرد والثورات المضادة ، وتوطدت في عهده سيطرة الدولة فسعى اليه امبرطور بيزنطة « توفليس »^(٢) وارسل وفداً للصدقة وكذلك فعل عدد من الامراء - .

- توفي في قرطبه وله من العمر ٦٢ عاماً وكانت مدة خلافته ٣٢ سنة تقريباً .^(٣)

(١) السند هند ، من أقدم الكتب التي ترجمها العرب عن الهندية وتعلموا منها الحساب والاعداد الهندية . (٢) تيوفليس : Theophilus .

(٣) المغرب في حلى المغرب ١-٤٥ - ٥١ . نفع الطيب ١- ٣٣٤ - ٣٥٠ الكامل في التاريخ أحداث سنة ٢٣٨ هـ ، البيان المغرب ٢- ١٢١ - ١٣٢ ابن خلدون- ٤- ١٢٧ اخبار مجموعة ١٣٩ ، الحلة السراء ٦١ جذوة القيس ١١ ، الاعلام ٤٠ - ٧٦ .

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام^(١)

٢٠٧ - ٢٧٣ هـ = ٨٢٢ - ٨٨٦ م

مدة ولايته ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ - ٨٨٦ م « ٣٤ عاماً

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، ابو عبد الله ، امه بهير . نقش خاتمة
« بالله يشق محمد وبه يعتصم » مولده ووفاته في قرطبة .

تولى امارة الاندلس وله ثلاثين سنة ونيف ، وكان ابوه قد رشح اخوه عبد
الله بن طروب لولاية العهد ، كما كان نصر الحصي يعضد عبد الله ويخدم امه
طروب الحظية عند عبد الرحمن الاوسط لكن عبد الله كان مستهتراً ،
منهمكاً في اللذات فكان أولو العقل يميلون الى اخيه محمد فلما مات ابوهما
وكان ذلك بالليل ، اتفق رؤساء الخدم ان يعدلوا بالولاية عن عبد الله الى محمد
فمر أحدهم الى منزله وجاء به ، فلما مر على دار اخيه عبد الله وسمع ضجة
المناديين وليس عنده خبر من موت أبيه أنشد :

فهنئاً له الذي هو فيه والذي نحن فيه أيضاً هنانا

ولما دخل القصر وتم له الأمر ، تلقاه بجزم ولم يختلف عليه أحد من أقاربه .
- أعاد الأمير تنظيم شؤون دولته ، وبذل جهده لقمع حركات التمرد ،
ورد غزوات الطامعين ومجابهة الاضطرابات الى جانب الاهتمام بالنهضة العمرانية
وفي طليعتها اكمال ما بدأه أبوه وجده ، وهو توسيع جامع قرطبة ، وزيادة
بنيان القصر الكبير والمناظر الخارجة عنه ..

- عرف عن الأمير محمد قوة الارادة ، وسداد الرأي ، فكان ، بنو مدرار

(١) البيان المغرب ٢ - ١٤١ - ١٧٠ ، نفع الطيب ١ - ٣٥٠ - ٣٥٢ . الكامل ، ابن
الانير ، احداث السنوات . المغرب في حلى المغرب ١ - ٥١ - ٥٣ ابن خلدون ٤ - ١٣ ،
أخبار مجموعة ١٤١ ، جذوة القتبس - ١١ - الاعلام ٧ - ٦١ ، الحلة السراء ٦٤

في سجلها: ، ومحمد بن افلح حاكم تاهرت وغيرهم من رجال « عدوة المغرب »
يستشيرونه في كل أمر من أمورهم ويرجعون اليه في كل عقبة تجابههم أو صعوبة
يستعصي حلها عليهم ..

- وكان الأمير محمد غزاة لأهل الشرك وربما أوغل في بلاد العدو الستة الأشهر
والأكثر وله فيهم وقائع مشهورة ..

- وكان الى ذلك محباً للعلم والعلماء ، كريماً ، دقيقاً في عمله فضبط أمور
الدولة وأحسن ادارتها .

- توفي عن عمر يناهز الثالثة والستين عاماً ، ويشير بعض المؤرخين الى ان
وزيراً له اسمه هاشم بن عبد العزيز أساء السيرة ، فضاعت هيبة الدولة في
أواخر أيامه ..

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (١)

حياته : ٥٢٢٩ - ٢٧٥ - ٨٤٣ - ٨٨٨ م

امارته : ٥٢٧٣ - ٢٧٥ - ٨٨٦ - ٨٨٨ م

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ، وأمه تسمى أيل .

نقش خاتمه « المنذر بقضاء الله راض » .

كان والده الأمير محمد يعتمد عليه كثيراً في حروبه ، وكان على أبواب بربرشتري في
أقصى الشمال عندما بلغه وفاة أبيه فعاد الى قرطبة حيث أخذت له البيعة .
تفرق العطاء في الجند ، وأسقط عن الرعية عشر ذلك العام ، وأخذ في الاستعداد

(١) البيان المغرب ، ٢ - ١٧٠ - ١٧٦ ، الكامل ابن الاثير ٧ - ١٤١ - ١٤٥
اخبار مجموعة ١٤٩ ، نفع الطيب ١ - ٣٥٢ ، المغرب في حلى المغرب ١ - ٥٣ ابن خلدون
٤ - ١٣٢ جذوة المقتبس ١٢ ، الاعلام .

لاخضاع حركات التمرد وفي طبيعتها ثورة عمر بن حفصون . فسير إلى طيطة جيشاً وقد بلغه تمردها . فأخضعها وقضى على حركة التمرد ، وفي الوقت ذاته غزا محمد بن لب زعيم الثغر الأعلى البة والقلاع وقاتل « النصارى » وهزمهم . في السنة التالية ، قاد المنذر جيشاً كبيراً لتصفية ثورة ابن حفصون ، ووصل بربشتر وحاصرها . وشعر خلالها بالمرض فكتب إلى أخيه عبد الله يطلب إليه الحضور لتولي القيادة ومتابعة الحصار حتى النهاية . وهناك بعض المصادر التي تذكر ان الامير المنذر مات مقتولاً بتأثير أخيه عبد الله الذي أشار إلى الطبيب الذي يعالجه أن يستخدم مبخعاً مسموماً لفضده ، ومات المنذر وهو على أبواب بربشتر فحملة أخوه عبد الله وعاد به الى قرطبة .

— كان المنذر كريماً محباً للأدب والأدباء مكرماً للشعراء ولكنه كان أيضاً مر العقاب ، شكس الأخلاق . وان قتله لوزير أبيه ووزيره هاشم بن عبد العزيز نموذج لشدة بطشه . وان اصراره على تصفية ثورة ابن حفصون برهان على تصميمه وقوة ارادته ، وفيه قيل :

بالمندر بن محمد صلحت بلاد الأندلس



عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (١)

حياته : ٢٢٩ - ٥٣٠٠ : ٨٤٣ - ٩١٢ م

امارته : ٢٧٥ - ٥٣٠٠ : ٨٨٨ - ٩١٢ م

عبد الله بن محمد وكنيته « أبو محمد » وامه تسمى بهار ، وقيل عشار .
بويح في اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر في الحلة « على بربشتر » فقفل إلى

(١) ابن عذارى ، البيان ٢ - ١٧٥ - ١٨٢ وما بعده ، ابن حبان ، المغتسب ، تحقيق مكى وتاريخ اسبانيا الاسلامية ، تحقيق بروفسال - ٢٧ - ابن خلدون ٤ - ١٣٢ ابن الاثير ٦ - ٦٥ ، الحلة السراء ٦٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ - ٢٣٩ الاعلام ٤ - ٢٦٢ .

قرطبة باخيه . حيث استتم البيعة فيها . وكانت الأندلس في بداية عهده تضطرم ناراً بعد ان اقتسم الثوار أقاليمها فكان منهم :

اسم الثائر	مكان الثورة (١)
١ عمر بن حفصون	بربشتر
٢ ابن حجاج	اشبيلية وقرمونه
٣ عبد الرحمن بن مروان الجليقي	بطليوس
٤ عبد الملك بن ابي الجواد	باجة الغرب
٥ ابن السليم	شذونه
٦ ابن الياس	القلعة المنسوبة اليه
٧ خير بن شاكر	شوذو
٨ عمر بن فصم الهزولي وسعيد بن هذيل	حصن المتلون
٩ سعيد بن مستنه	باغو
١٠ بني هابيل	حصون جيان
١١ اسحاق بن عطاف	حصن منتاشه
١٢ سعيد بن سليمان بن جودي	غرناطه
١٣ محمد بن أضحي « كبير العرب »	البيره
١٤ أبي بكر بن يحيى	شنت ماريه
١٥ سليمان بن محمد الشذوني	شريش
١٦ عبد الوهاب	مورين
١٧ يحيى التجيبي الأنقر	سرسطه

— وأمام هذا التمزق. تفرقت عن الأمير عبد الله أجناده ، وعجز عن نصره

قواده . وتضاءلت موارد الجباية ، فالتزم سياسة « التقشف » ، وأنفق الوفير الموجود في خزانة الدولة .

– قضى الامير عبد الله فترة امارته في نضال مستمر ، وصراع متصل ضد الخارجين على الدولة ، وقد استنزفت هذه الأعمال جهد الدولة وامكاناتها .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله « الثالث »

حياته : ٢٧٨ – ٨٣٥٠ : ٨٩١ – ٩٦١ م

خلافته : ٣٠٠ – ٨٣٥٠ : ٩١٢ – ٩٦١ م

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل . وأمه ام ولد تسمى ماريا « مرتة أو مزنة » . ولقبه : الناصر لدين الله « أبو المطرف » وكان والده قد قتله أخوه المطرف بن عبد الله في صدر دولة أبيهما وترك ابنه عبد الرحمن ابن عشرين يوماً ، وعندما توفي جده عبد الله تصدى للامارة بحضور أعمامه وأبيه واجتازها دونهم . واضطلع بأعباء الحكم فأظهر مقدرة فائقة في القيادة حتى أصبحت الأندلس أقوى دول عصرها . وأسرع ملوك وحكام الدول شرقها وغربها لاكتساب صداقته . تسمى عبد الرحمن بلقب امرة المؤمنين واستمر على ذلك حتى السنة السابعة عشرة من ولايته، وعندما بلغه ما صارت اليه الخلافة العباسية بالمشرق، واستبداد موالي الترك بأمورها ومقتل الخليفة المقتدر بيد مولاة « مؤنس » ، مع ظهور الشيعة بالقيروان ، تسمى بالخلافة فكان أول أمير في الأندلس يدعى « بالخليفة » .

– استقبل الناس ولاية عبد الرحمن بن محمد بالتفاؤل لا سيما بعد أن قباد بنفسه أول عمليات القتال لاختضاع حركة عمر بن حفصون فقال ابن عبد ربه صاحب المقد :

بدا الهلال جديداً والملك غض جديداً
يا نعمة الله زيدي إن كان فيك مزيد

– كان عبد الرحمن الناصر ، يعرف الرجال ويقدر المواقف بدقة ولعل في جوابه لابن عمه سعيد بن المنذر الذي كان يحاصر ابن حفصون ما يوضح ذلك حيث كتب له يحذره من غدر ابن حفصون :

[... مها تحققت من غدر بني حفصون ومكرهم ، فزد فيه بصيره واثبت على تحقيقك ، ومها ظننت فصيرون ظنك تحقيقاً ، فانهم شجرة نفاق أصلها وفروعها تسقى بماء واحد ، فاهجر فيهم المنام والدعة فالصيون اليهم تنظر والآذان نحوهم تسمع فمق استنزلتهم من معقلهم أغناك ذلك عن مكابدة غيرهم ...] فلم يزل سعيد بن المنذر على حصارهم حتى أخضعهم .

– وعرف الخليفة عبد الرحمن الناصر بالبلاغة وقوة الحججة والبيان ، كتب اليه محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ . يطلب الصفح عن عصيانه وتعمده في حصن « لقت » فأجابه الناصر : [.. ولما رأيناك قد تدرعت باظهار اتقاء الله رأينا أن نعرض عليك أولاً ما لا بد لك منه آخرأ وليس من أطاع بالمقال كما أطاع بعد الفعالم ...] فأسرع محمد المعروف بالشيخ الى قرطبة ، وغادر حصن « لقت » واستسلم لارادة الخليفة .

وكان عبد الرحمن الناصر قوي الشخصية ، شديد البأس ، كانت عنده جارية بمنزلة حباية من يزيد بن عبد الملك ، سكر ليلة فأكثر من تقييلها ، فأكثر الضجر والتبرم وقبضت وجهها ، فأمر ألا يزال وجهها بلثم باللسنة الشمع وهي تستغيث فلا يرحمها حتى هلكت .

– وحاول ابنه عبد الله تنظيم مؤامرة لقتله وأخذ الخلافة ، فأمر باحضار ابنه عبد الله وقتله ذبيحاً بيده .

– تولى الوزارة في عهد الخليفة عبد الرحمن شخصان تميزا بالكفاءة والقدرة

وهما عبد الملك بن جمهور ، وأحمد بن عبد الملك بن شهيد ، وكان لهما دور كبير في ادارة شؤون الخلافة وتعزيز قدرتها .

— استقبال عبد الرحمن الثالث امور ولايته بعزيمة لا تلين ، فعمل على اخاد الفتن الداخلية والقضاء على حركات التمرد واستنزل العصاة من معانقهم وحصونهم ، وعمل على نشر الأمن والاستقرار في ربوع الأندلس ، فأخذت مدن الأندلس تدين له بالطاعة واحدة بعد أخرى بداية من اشبيلية والجرف ونهاية بعمر بن حفصون في بربشتر وطلليطة التي اسلمت له القيادة عام ٥٣٢٠ هـ . وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر يعامل الناس حسب درجة عدائهم لخلافته . فكان يفتدق على العصاة الذين يستلمون له ويكرمهم ، ويوسع عليهم ، وكان مقابل ذلك شديد الوطأة على من يستمرون في مناوئته ، وكان للنصارى وضع خاص عنده بسبب ما أظهروه من العداء المستمر والتحريض الدائم على السلطة . أما بالنسبة لدول الشمال فكان له أسلوبه أيضاً والذي يتلخص في « تدمير هذه الدول دون هواده وعدم اعطائها الفرصة للقيام بهجوم ضده » مع تركيز الجهد على تمزيق كل تحالف ضده واجباطه في مهده .

— نتيجة لهذه السياسة الحكيمة ، ازدهرت دولة الأندلس ، وبلغ فيها الرفاه مبلغاً لم يتحقق من قبل حتى بلغت [الجباية في عهده خمسة آلاف وأربعمائة الف وثمانين الف دينار ، ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستين الف دينار ، وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان ..] وهذا يعني أن موازنة الدولة بلغت في عهد عبد الرحمن الثالث مقدار ستة ملايين ومائتين وخمسة وأربعين الف دينار (٦٠٢٤٥٠٠٠) دينار بالإضافة الى أخماس الغنائم ، واستمر الخليفة عبد الرحمن في تقسيم الموازنة على نحو ما كانت عليه في السابق (ثلث للجنسد وثلث للبناء وثلث مدخر ..) . وقد ساعد هذا الرفاه الاقتصادي على دعم الدولة بجيش قوي وصل عدده في بعض غزواته حتى (١٠٠٠٠٠٠) مائة الف مقاتل ، كما ساعد على اظهار قوة الدولة فأسرع خصومها إلى تقديم الطاعة ، واسرع

الآخرون الى اكتساب صداقتها ، وقد زاد في قوة الاسطول حتى بلغ عدد القطع البحرية مائتي سفينة (٢٠٠) .

أظهر عبد الرحمن الناصر اهتماماً كبيراً بإظهار دولته بمظهر القوة والتنظيم ، وساعد الدخل المرتفع على الاضطلاع بالمشاريع العمرانية الضخمة ، ومن أبرز اعماله في هذا المجال ، توسيع جامع قرطبة وبناء مدينة الزهراء . وان الآثار الخالدة التي تركها في الاندلس لا زالت تشهد بعظمة ما وصلت اليه الدولة في عهده من القوة المقترنة بالترف ، وهي برهان على ما وصل اليه الفن المماري من تطور في عهد المسلمين مما يعتبر مفخرة لا زالت تزدهي بها الاندلس . ويذكر المؤرخون الاندلسيون عن عمارة الزهراء فيقولون :

[... كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب الف وخمسةائة دابة ..] وقال ابن حيان : [كان - الناصر - يشيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزمه من النفقة على قطعها ونقلها ومؤونة حملها وجلب اليها الرخام الأبيض من المرية . والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية ، اسفاقس ، وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام ، وقيل من القسطنطينية ... وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة . وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق ... وكان هذا المجلس يدور ويستقبل الشمس ... وقد تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم ..]

- وقد أخذت وفود الدول وسفراؤها في الوصول الى قرطبة حيث حل بها عام ٣٣٦ هـ وقد بيزنطه يحمل رسالة قسطنطين بن ليون ومعه هدية فاخرة ، ثم رجع الى بلاده ومعه وفد عربي برئاسة هشام بن هذيل ..

- وأرسل ملك الصقالبة « اوتون »^(١) وفداً أقام سنتين ثم عاد الى بلاده ومعه وفد من قرطبة برئاسة الاسقف « ربيع » .

(١) اوتون : Otton .

- وأرسلت المانيا وفداً مماثلاً .

- كما أرسل مركز البروفانس^(١) وفداً الى الناصر .

- وأرسل غيدو^(٢) بن البرت مركز تسكانيا وفداً، وعندما وصل برشلونه انضم اليه وفد باسم ملك برشلونه وطر كونه ..

- وفي عام ٣٤٧ هـ : وكان غرسيه بن شانجه قد تولى حكم جيليقية بعد وفاة أبيه شانجه بن فرويله^(٣) فطمع فرديناند حاكم قشتاله في ضم جيليقية الى مملكته ، ونجح في ذلك ، فغضبت « طوطه » ملكة البشكنس^(٤) وتوجهت مع ابنها شانجه فاستقبلهم الناصر استقبالاً رائعاً وعقد لوطوه وابنها شانجه على البشكنس ، كما أرسل جيشاً لدعم غرسيه بن شانجه ومساعدته على استرجاع مملكته جيليقية وانتزاعها من سيطرة ملك قشتاله ..

- اخذت مراسم استقبال الوفود في عهد الناصر طابعاً خاصاً تميز بالبذخ والعظمة ، فكانت الزهراء وقرطبة تزدهم بالسكان وتفص بالآلاف النظارة ، وكانت ظواهر العظمة تتزايد كلما اقترب الزائر من القصر ، حتى كانت الوفود تصاب بالدهول وهي تترجل امام ابواب القصر وكثيراً ما كان افراد الوفود يقومون بتصرفات تشير الى فقد سيطرتهم على انفسهم وتدل على قدر الدهول الذي هيمن عليهم ..

- قضى الناصر فترة حكمه الطويل وهي نصف قرن في نضال مستمر وعمل دائم حتى استطاع رفع الدولة الأموية من هاوية التمزق الى قمة الرفعة والقوة . وقد وجد عند وفاة الناصر ورقة بخط يده كتب فيها الساعات والأيام التي قضاها الناصر في صفاء بعيداً عن مشاغل الدولة ومتاعبها فكانت مجموعها [أربعة عشر يوماً] فقط ..

(١) مركز البروفانس : Hugues d'arles .

(٢) غيدو ، دوق تسكانيا : guido

(٣) فرويله : Fruela .

(٤) المقصود بها هنا ملكة « نافار » .

- كان الناصر يحترم العلم والعلماء ويبذل الكثير لتشجيع الكتابة والتأليف
وجمع الكتب فأصبحت قرطبة حاضرة الدنيا في العلم والثقافة ..
- توفي الناصر بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، وكان ماتم القصر يوم وفاته
يتناسب مع عظمة الراحل ، وسع ما وصلته الدولة الاسلامية في الأندلس خلال
فترة حكمه (١) .

الحكم بن عبد الرحمن « المستنصر »

حياته : ٣٠٢ - ٣٦٦ هـ = ٩١٤ - ٩٧٦ م

خلافته : ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م

الحكم بن عبد الرحمن . لقبه « المستنصر بالله » . أمه : أم ولد ، اسمها
مرجانة أو مهرجان عند ابن عذارى .
ولد بقرطبة ، وولي الخلافة بعد أبيه . ويذكر المؤرخون الصورة التي تمت
فيها البيعة والتي تدل على ما وصلت اليه الدولة الاسلامية في الأندلس من التنظيم
والعظمة فنطالع :

[... اعتلى الحكم المستنصر سرير الملك ثاني يوم وفاة أبيه ، وقام بأعباء
الملك أتم قيام ، وأنفذ الكتب الى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس الى بيعته ،
واستقبل من يومه النظر في تهديد سلطانه وثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب
أجناده وأول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكبر ،
كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفلوا بأخذها على من]

(١) فتح الطيب ١ - ٣٥٣ - ٣٨٢ و ٤٩٠ - ٥٢٠ . الكامل في التاريخ ، أحداث
السنوات ، المغرب في حلى المغرب ١ - ١٨٠ - ١٨٢ تاريخ ابن خلدون ٤ - ١٣٧ ،
البيان المغرب ٢ - ٢٣١ - ٢٥٢ . الحلة : ١ - ١٣٢ . جذوة المقتبس ١٢٣ . أزهار
الرياض ٢ - ٢٧٠ - ٢٨٥ .

وراهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم وأوصل الى نفسه في الليل دون هؤلاء الأكارم من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت بيعة أهل القصر تقدم الى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض إلى أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض أيضاً إلى أبي الأصبح عبد العزيز شقيقه الثاني ، فمضى اليها كل واحد منها في قطيع من الجند وأتيا بها إلى قصر مدينة الزهراء ونفذ غيرهما من وجوه الرجال في الخيل لإتيان غيرهما من الأخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم الزهراء في الليل فنزلوا في مراتبهم بفصلان دار الملك ، وقعدوا في المجلسين الشرقي والغربي وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الأوسط من الأبهاء المذهبة القبلية التي في السطح المرقد فأول من وصل إليه الإخوة فبايعوه وأنصتوا لصحيفة البيعة والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ، ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس فإنه كان قائماً يأخذ البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكبر الفتيان يميناً وشمالاً إلى آخر البهو كل منهم على قدره في المنزلة عليهم الظواهر البيض شعار الحزن قد تقلدوا فوقها السيف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفيين منتظمين في السطح وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض ، بأيديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ، ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الأسلحة الرائقة والمعدة الكاملة ، وقامت التعمية في دار الجند والترتيب من رجاله العبيد عليهم الجواشن والأقبية البيض ، وعلى رؤوسهم البيضات الصقلية وبأيديهم التراس الملونة

والأسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدة الأعظم البوابون وأعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان العبيد الى باب الأقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكباً إثر موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء ...]

- اتبع الحكم المستنصر خطوات أبيه في القيادة والادارة ، فحقق الأمن والاستقرار في الداخل ، وردع أعداء البلاد في الخارج وحطم بقوة كل مقاومة جابته ، فضمن بذلك استمرار الازدهار واستطاع متابعة النهضة العمرانية التي كان قد بدأها والده ..

- ركز الحكم جهده على اخضاع افريقية ووجه القوات اليها فخضعت له ، وتلقى دعوتهم ملوك زناته من مغراوه ومكناسه فبشوها في أعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحوا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ، كما استنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوه في ناحية الريف ونقلهم الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية في مصر ..

- وكان الحكم محباً للعلم والعلماء ، مشجعاً للكتابة والتأليف ، عاملاً على ضم الكتب الى مكتبته حتى أصبح لديه خزائن من الكتب لم تكن لأحد قبله ولا من بعده .. وقيل انها كانت أربعمئة ألف مجلد ، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها .

- حافظ الخليفة الحكم المستنصر على ظواهر الأبهة التي ورثها عن أبيه وزاد عليها وفي قصة استقباله لاردون سنة ٣٥١ هـ - ٩٧٢ م ما يوضح قدر ما وصلت اليه دولة الاسلام في الاندلس من العظمة في البذخ والترف :

[... أخرج الخليفة الحكم المستنصر ياقه موليه محبداً وزيادة ابنه افلح للناصري يكتيبة من الحشم لتلقي غالب الناصري صاحب مدينة سالم المورد للطاغية ليون بن الفونس - اردون بن أذفونش - وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور فأنزلاهم ، ثم تحركا بهم ثاني يوم تزولهم الى قرطبة فأخرج المستنصر

بالله اليهم هشاماً المصحفي في جيش عظيم كامل التعبية وتقدموا الى باب قرطبة
 فمروا بباب قصرها ، فلما انتهى ليون الى ما بين السدة وباب الجنان سأل عن
 مكان رمس الناصر لدين الله فأشير الى ما يوازي موضعه من داخل القصر في
 الروضة ، فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا، ثم رد قلنسوته الى رأسه ،
 وأمر المستنصر بانزال - ليون - في دار الناعورة ، فأقام بها الخميس والجمعة فلما
 كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء ليون ومن معه بعد اقامة الترتيب
 وتعبية الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والأسلحة والزينة ، وقعد المستنصر
 بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم
 والوزراء ونظراؤهم صفاً في المجلس ... فأتى محمد بن القاسم بن طملىس بالملك
 - ليون - وأصحابه وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس يؤنسونه
 ويبصرونه ، فيهم وليد بن خيزران - حيزون - قاضي النصارى بقرطبة وعبيد
 الله بن قاسم - مطران طليطله - وغيرها فدخل بين صفى الترتيب يقلب الطرف
 في نظم الصفوف ويحبل الفكر في كثرتها وتظاهر أسلحتها ورائق حليتها فراعهم
 ما أبصروه وصلبوا على وجوههم ، وتأملوا ناكسي رؤوسهم غاضين من أجفانهم
 قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا الى باب الأقباء أول باب قصر الزهراء ،
 فترجل جميع من كان خرج الى لقائه ، وتقدم الملك ليون وخاصة القوامس
 - الكونت - على دوابهم حتى انتهوا الى باب السدة فأمر القوامس بالترجل
 هناك والمشي على الأقدام فترجلوا ودخل الملك ليون وحده راكباً مع محمد بن
 طملىس ، فأنزل في باب البهو الأوسط من الأبهاء القبلىة التي بدار الجند على كرسي
 مرتفع مكسو الأوصال بالفضة ، ... فقدم ليون على الكرسي وقعد أصحابه
 بين يديه ، وخرج الإذن من المستنصر بالله بدخول ليون عليه فتقدم يمشي
 وأصحابه يتبعونه الى ان وصل الى السطح ، فلما قابل المجلس الشرقي الذي فيه
 المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقي حاسراً اعظماً لما ظهر له

من الاقتراب الى السرير . واستنهض فمضى بين الصفيين المرتبين في ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو ، فلما قابل السرير خر ساجداً سوية ثم استوى قائماً ثم نهض خطوات وعاد الى السجود ووالى ذلك مراراً الى ان قدم بين يدي الخليفة وأهوى الى يده فناوله إياها وكر راعماً مقهقراً على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب ... فجلس عليه والذهول قد هيمن عليه ... ووصل بوصولهم وليد بن خيزران قاضي النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك ليون ذلك اليوم، فأطرق الحكم عن تكليم ليون وقتاً كما يفرج روعه... [- توفي الحكم المستنصر بعد أن ترك دولة قوية البنيان ، عزيزة المكانة ودفن بقرطبة (١) ..

المنصور أبو عامر « العامريين »

حياته : ٣٢٦ - ٣٩٢ = ٩٣٨ - ١٠٠٢ م

حكمه : ٣٦٦ - ٣٩٢ = ٩٧٦ - ١٠٠٢ م

محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن سويد بن عبد الملك ، وعبد الملك جده هو الداخل للأندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب وهو وسيط قومه ..

- خلف الحكم المستنصر ابنه هشاماً ، وهو غلام لا يزيد عمره عن تسع سنين وقامت على الوصاية أمه صبح فوثقت بابن عامر لما عرفته فيه من القدرة على

(١) فتح الطيب ١/٣٨٢ - ٣٩٦ . المغرب في حلى المغرب ١/١٨١ - ١٨٢ ، الكامل ابن الأثير ٦/٣٦٠ واحداث السنين ، ابن خلدون ٤/١٤٤ ، جبهة انساب العرب ٩٢ ، جفوة المتيسر ١٣ ، البيان المغرب احداث السنين ، غزوات العرب ١٩ ، ١٨٢ - ١٩٢ ، ازهار الرياض ٢/٢٨٦ - ٢٩٤ ، الاعلام ٢/٢٩٥ .

الاضطلاع بأعباء الدولة ولما لمسته فيه من الرجولة ، فأخذ في التمهيد لسلطانه والقضاء على خصومه ومنافسيه حتى استتب له الأمر ، واستأثر بالحكم وحجب هشام المؤيد الخليفة الشرعي فلم يبق له من الخلافة إلا اسمها وكانت أول خطواته القضاء على الصقالبة المواليين للخليفة الشرعي ، ومصادرة أموالهم . وتبع ذلك القضاء على الحاجب الصحفي ، منافسه في الحكم والوزارة .

- كان المنصور أبو عامر كثير الغزاة للعدو حتى بلغت غزواته نيفا وخمسون غزوة وله فتوح كثيرة وكان في أكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة ، وكانت غزوة « شنت ياغب » أكثر غزواته شهرة ، وقد ضم جيشه من المرتقة فقط عشرين ألف مرتقة ..

- عندما استتب الأمر للمنصور أبو عامر ، قام ببناء الزاهرة ، لمنافسة الزهراء وأمر بالانتقال إليها وجعلها « عاصمة له » .

- كان المنصور يعرف الرجال ويقدرهم حتى قدرهم ، ويقرب اليه العلماء والأدباء والشعراء ، عادلاً .. وكان الى ذلك صلباً ، يطالب جنده بالانضباط الشديد .

[... وقف المنصور أبو عامر يستعرض جنده ... وكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلاً في الاطراق ، حتى إن الخيل لتمثل اطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والمحمة ، ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان هزل أو جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال : علي بشاهر السيف ، فمثل بين يديه لوقته فقال : ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن ؟ فقال إني أشرت به الى صاحبي مغمداً فزلق من غمده . فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيء برأسه ونودي عليه بذنبه ...] ..

- كان المنصور قائداً فذاً ، قاد غزواته كلها ، فلم تنتكس له راية ولا قل له جيش وما أصيب له بعث وما هلكت له سرية وأجاز عساكره الى

العدوه - المغرب - وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك المغرب وأخبتت له ملوك زناته وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه .

- اعتنى المنصور أبو عامر بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منزله حتى اجتمع له صرة ضخمة ، عهد بتصويره في حنوطه وكان يحملها حيث سار ، معه اكفانه توقفاً لحلول منيته ، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل نباته ، وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد ، فكان كذلك حيث توفي ودفن بمدينة « سالم » وكتب على قبره :

آثاره تنبيك عن أوصافه حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحصي الثغور سواه



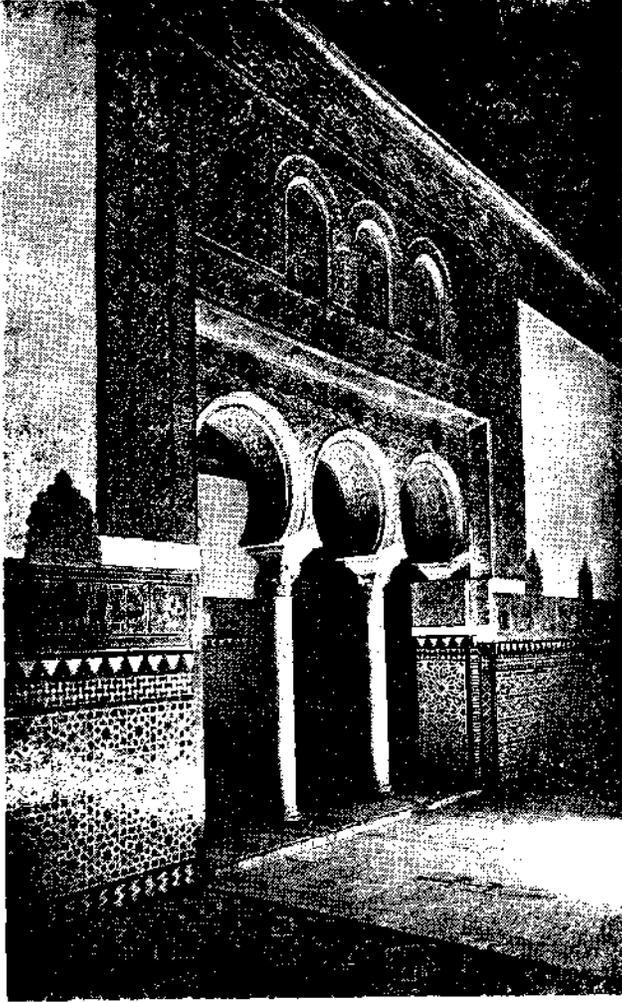
(١) المغرب في حلى المغرب ١/١٩٤ - ١٩٨ . نفع الطيب ١/٣٩٦ - ٤١٦ . غزوات العرب ١٩٢ - ١٩٧ . تاريخ قضاة الاندلس ٨٠ . ابن خلدون ٤/١٤٧ . الحلة السيرة ١٤٨ ابن الاثير ٧/٢١٧ - ٢١٨ . الواقي بالرفيات ٣/٣١٢ . الذخيرة ابن بسام المجلد الاول من القسم الرابع ٣٩ - ٥٨ . البيان المغرب ٢/٣٠١ . بغية الملتصم ١٠٥ . الاعلام ٧/٩٩ .

من ذكريات الماضي

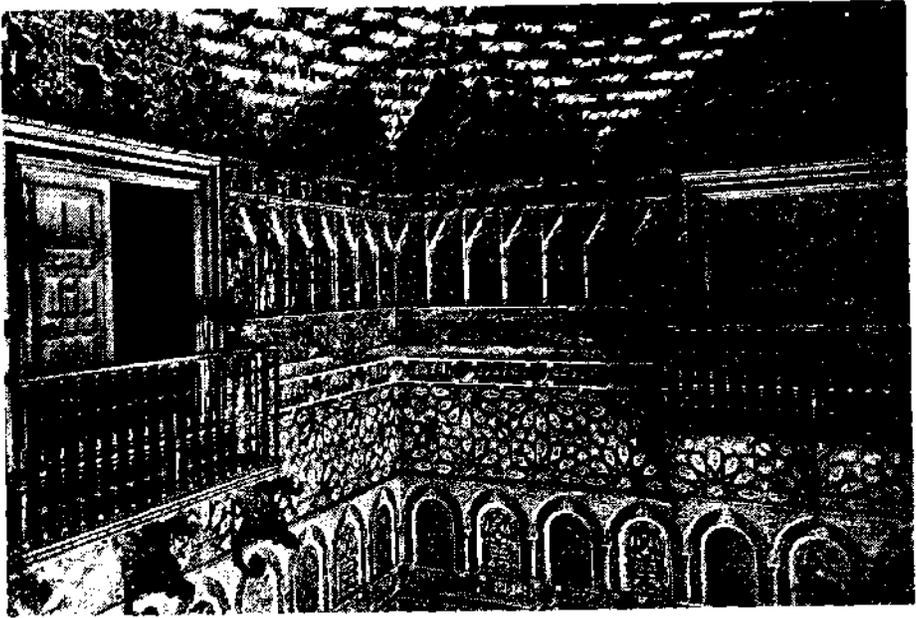
آثار العرب في الاندلس



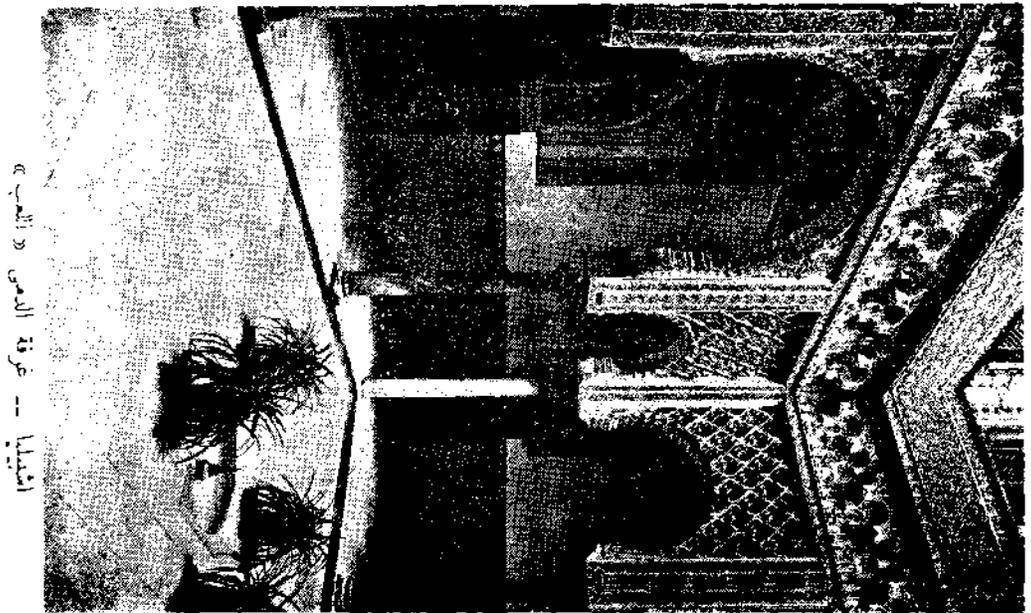
اشبيليا - مئذنة الجامع « الجيرالدا »



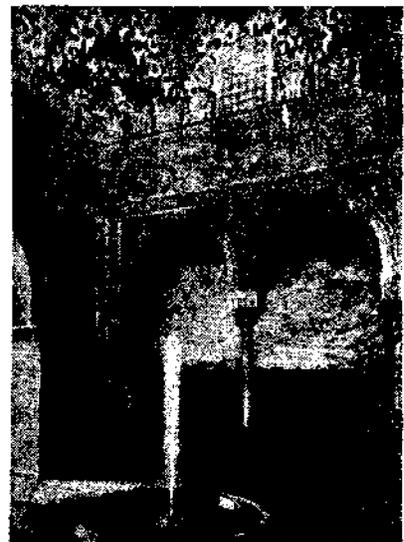
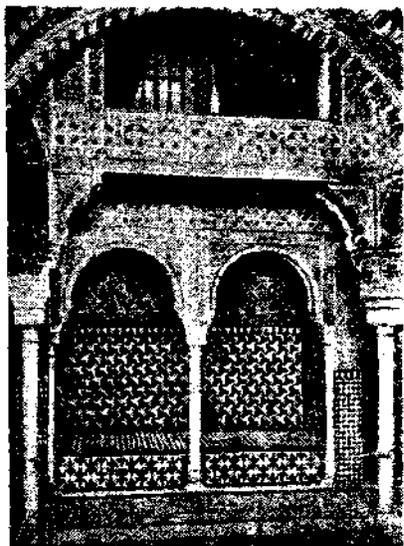
اشبيلية - غرفة النوم



اشبيليا - قاعة السفراء في القصر



اشبيليا - غرفة الملوك «الملك»



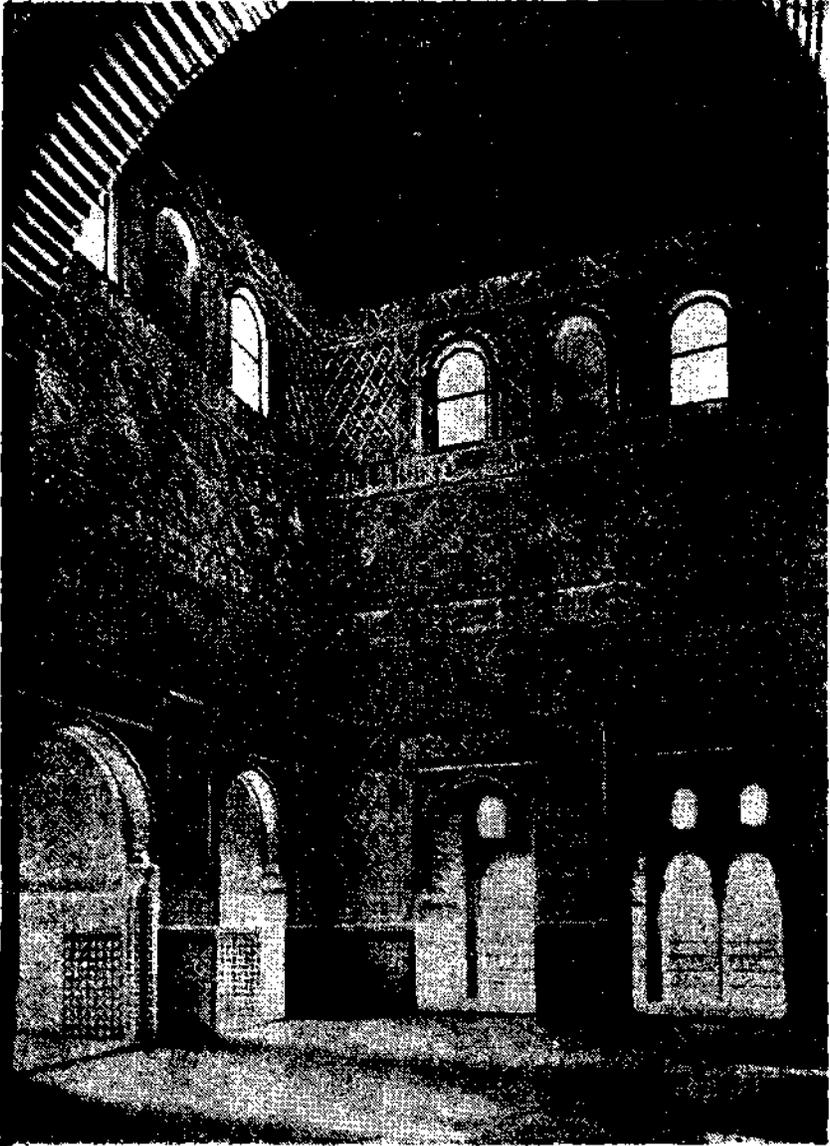
غرناطة - قصر الحمراء

٢ - صالة الاستراحة

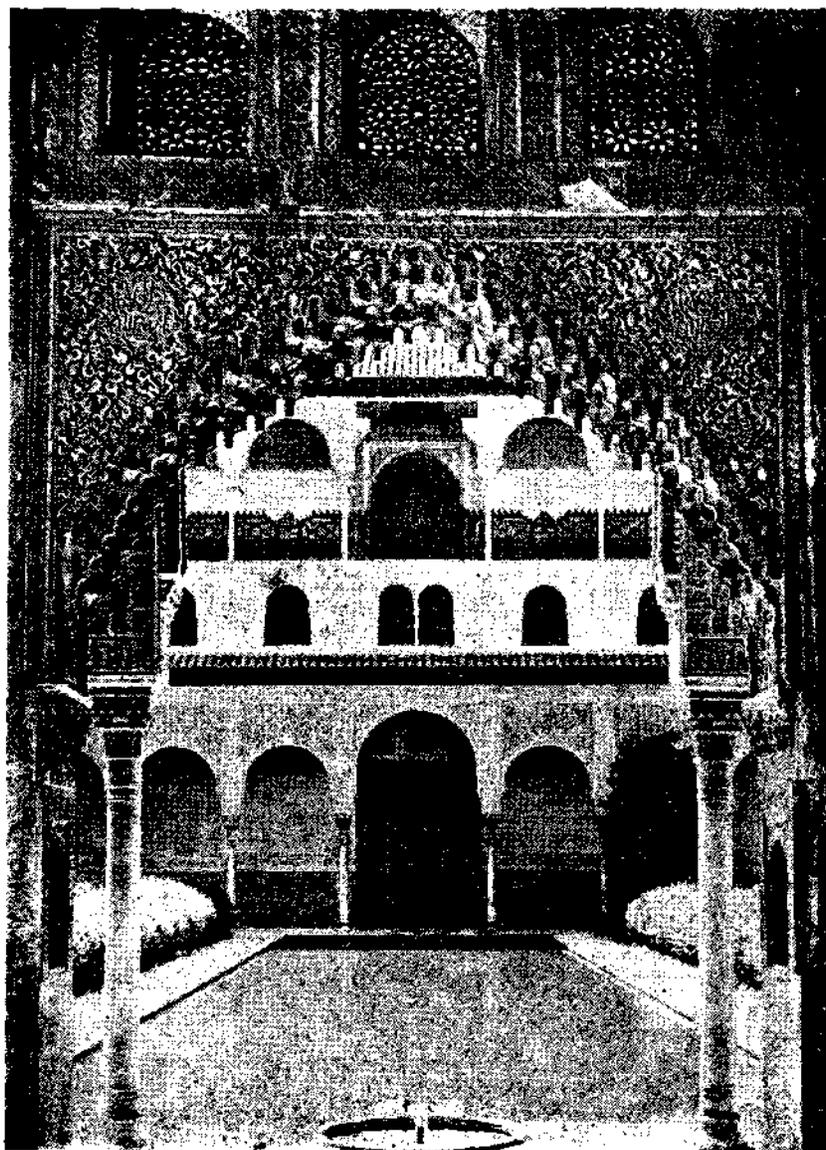
١ - المدخل

٤ - قاعة ابن سراج

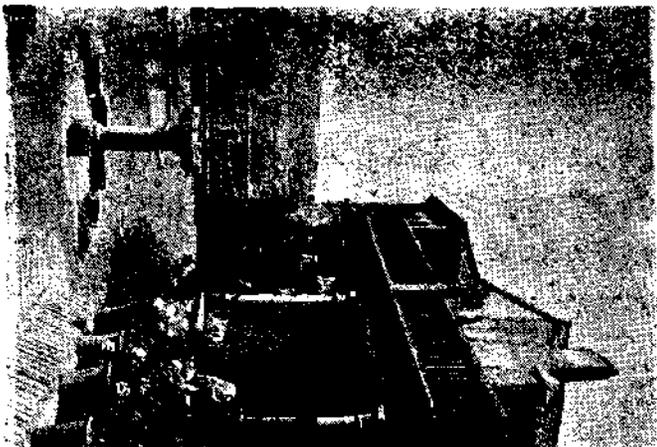
٣ - الممر الى القصر الداخلي



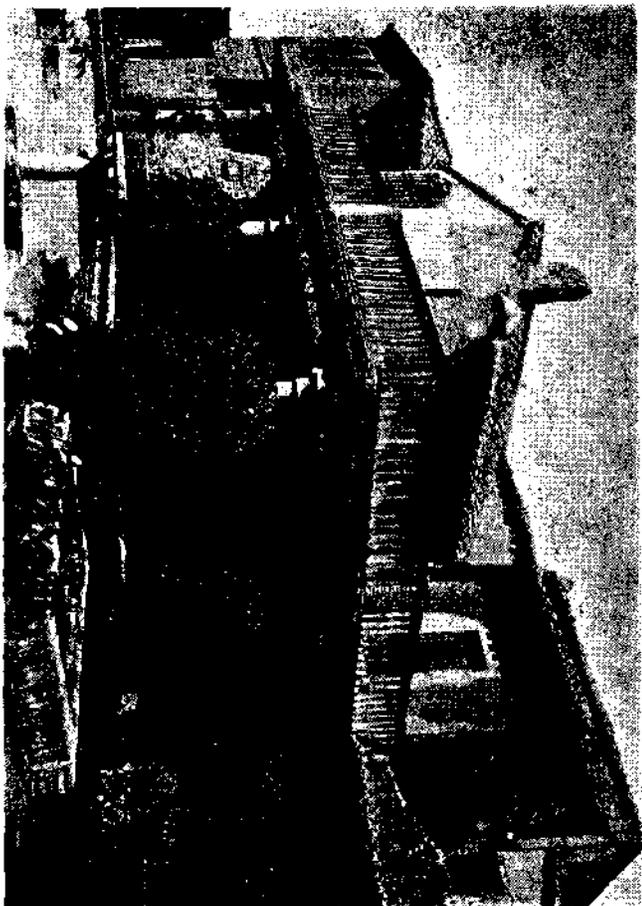
غرناطة - قصر الحمراء - قاعة الحمراء



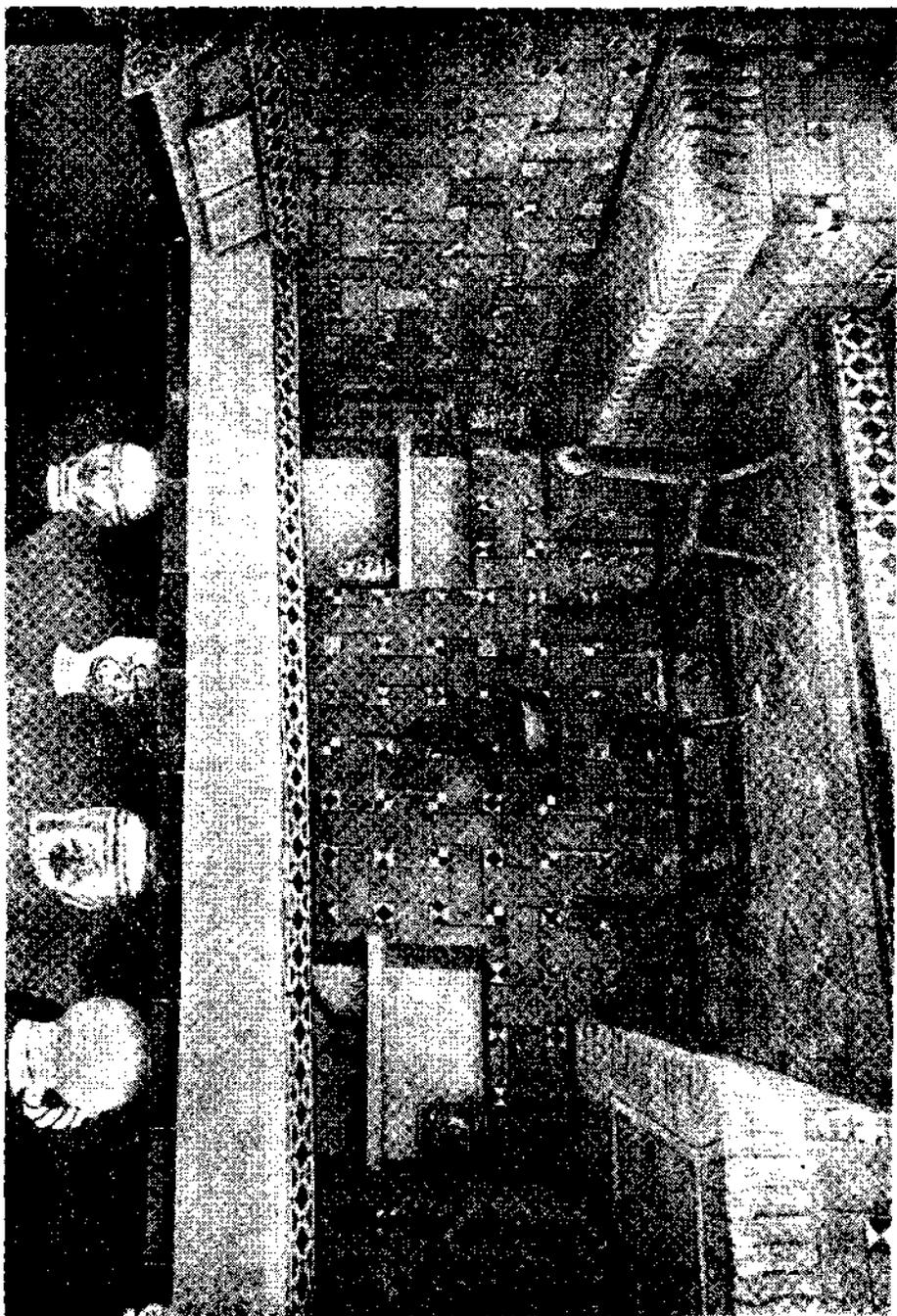
غرناطة - قصر الحمراء من الداخل



منزل الفنان التركي (مشه آمر)



مطبخة - منزل الفنان التركي . لا زال الفن المرري في السارة يحتل مكانته في الأندلس



غرفة من منزل الفنان الإسباني « الثوريكو » بمسقطيا ، وزخرفتها ، ونموذج عمارتها تمشي ذكرى أيام العرب المسلمين .

ملحق الكتاب

- ١ - الحكم في مصر منذ ظهور الاسلام .
- ٢ - حكم المسلمين في الأندلس .
- ٣ - قادة العرب المسلمين وولاتهم في الأندلس .
- ٤ - الدولة الأموية في الأندلس .
- ٥ - الامارات المستقلة في الأندلس .
- ٦ - الحرب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس .

الملحق رقم ١

الحكم في مصر منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١ قبل ٣- قبل الهجرة	قبل ٦٣٩	النيل والدلتا تحت حكم الروم والصحراء في حكم القبائل الوثنية .
٢ ٢ قبل الهجرة حتى ٧ بعدها	٦١٩ - ٦٢٨	فارس « الماسانيون » يحتلون مصر .
٣ ١٨ - ٧	٦٢٨ - ٦٣٩	بيزنطة تعيد سيطرتها على مصر .
٤ ٢٢ - ١٨	٦٣٩ - ٦٤٢	عمر بن العاص يفتح مصر .
٥ ٤١ - ٢٢	٦٤٢ - ٦٦١	حكم الخلفاء الراشدين .
٦ ٣٦ - ٣٥	٦٥٥ - ٦٥٦	الفتنة تسيطر على مصر .
٧ ٤١ - ٣٩	٦٥٩ - ٦٦١	
٨ ١٣٣ - ٤١	٦٦١ - ٧٥٠	مصر قاعدة للفتح في عهد الأمويين .
٩ ٦٥ - ٦١	٦٨٠ - ٦٨٤	عبد الله بن الزبير يناقش الأمويين في حكم مصر .
١٠ ٢٥٤ - ١٣٣	٧٥٠ - ٨٦٨	العباسيون .
١١ ٢٩٣ - ٢٥٤	٨٦٨ - ٩٠٥	الطولونيون في القطائع وهم يخضعون اسمياً للخليفة العباسي في بغداد.. وقد

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		شمل حكمهم مصر وبرقه «ليبيا» وأولهم أحمد بن طولون .
١٢	٢٩٣ - ٢٢٤	العباسيون يستعيدون السيطرة والحكم في مصر .
١٣	٣٢٤ - ٣٥٨	الاخشيدون في القسطنطينية ، وأولهم محمد ابن طنج ثم اونوجور بن محمد ، واستولى كافور بعد ذلك على الحكم في مصر .
١٤	٣٥٩ - ٣٦٢	العبيدون «أو الفاطميون» وهم يدعون أنهم من آل البيت . ومنهم : ^(١)
	٢٩٧ - ٣٢٣	سعيد بن عبيد الله المهدي بن حسين في القيروان .
	٣٢٣ - ٣٣٥	محمد القائم بأمر الله بن سعيد عبيد الله في القيروان .
	٣٣٥ - ٣٤١	اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم في القيروان .
	٣٤١ - ٣٦٥	محمد المعز لدين الله بن اسماعيل المنصور في القاهرة .
	٣٦٥ - ٣٨٦	نزار المعز لدين الله بن محمد في القاهرة .

(١) بدأ الفاطميون حكمهم في القيروان «تونس» من ٩٠٩ - ٩٧٢ م ثم وجها
تقدم جوه الصقلي ففرض سيطرته على مصر وقتلها عام ٩٧٢ م .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٨٦ - ٤١٢	٩٩٦ - ١٠٢١	المنصور الحاكم بأمر الله بن نزار « الحاكم المجنون » في القاهرة .
٤١٢ - ٤٢٧	١٠٢١ - ١٠٣٥	الظاهر بن المنصور .
٤٢٧ - ٤٨٧	١٠٣٥ - ١٠٩٤	المستنصر بالله بن الظاهر .
		وقد تعاقب بعد ذلك عدد من الحكام لم يكن الحكم في يدهم ..
٣٦٢ - ٥٦٧	٩٧٢ - ١١٧١	الفاطميون في القاهرة .
٥٦٧ - ٦٤٨	١١٧١ - ١٢٥٠	الأيوبيون يحكمون مصر .
٥٦٧ - ٩٠	١١٧١ - ١١٩٣	صالح الدين الايوبي الذي تولى السلطة فعلا منذ عام ٥٦٥ هـ - ١١٦٩ م .
٦٤٨ - ٧٨٤	١٢٥٠ - ١٣٨٢	المماليك البحرية « أtrak » .
٧٩٢ - ٧٩٣	١٣٨٩ - ١٣٩٠	
٦١٥ - ٦١٨	١٢١٨ - ١٢٢١	الحملة الصليبية بقيادة جان دوبرين تستولي على دمياط والدلتا .
٦٤٦ - ٦٤٨	١٢٤٨ - ١٢٥٠	الحملة الصليبية التاسعة بقيادة لويس التاسع .
٧٨٤ - ٧٩٢	١٣٨٢ - ١٣٨٩	المماليك البرجية « شراكس » .
٧٩٣ - ٩٢٢	١٣٩٠ - ١٥١٦	

موجز الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
نهب الصليبيون الاسكندرية بقيادة بيير ده لوزينيان .	١٣٦٥	٧٦٧
المماليك يخضعون للدولة العثمانية .	١٥١٦ - ١٨٠٥	٩٢٢ - ١٢٢٠
التمرد على الدولة العثمانية .	١٧٦٦ - ١٧٧٣	١١٨٠ - ١١٨٧
نابليون الأول يقود حملة الفزو ويفتح مصر .	١٧٩٨	١٢١٣
نلسون قائد الاسطول البريطاني يدمر الاسطول الفرنسي في « أبي قير » .	١٧٩٩	١٢١٤
الانكليز يطردون الفرنسيين من مصر .	١٨٠١	١٢١٦
محمد علي باشا - مؤسس الدولة العلوية - والياً للعثمانيين على مصر .	١٨٠٥ - ١٨٣٢	١٢٢٠ - ١٢٤٨
احتل الانكليز الاسكندرية لفترة قصيرة ثم قاموا بالجلده عنها .	١٨٠٧	١٢٢٢
مصر شبه مستقلة عن الدولة العثمانية في حكم الأسرة العلوية - محمد علي وسلالته - وقد حل النفوذ الفرنسي محل النفوذ العثماني ثم انتهى الأمر بفرض الانكليز نفوذهم على مصر منذ عام ١٨٧٥ م .	١٨٣٢ - ١٨٨٢	١٢٤٨ - ١٣٠٠

السنة الهجرية.	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١٢٧٦ - ١٢٨٦	١٨٥٩ - ١٨٦٩	شق قناة السويس .
١٣٠٠ - ١٣٥٥	١٨٨٢ - ١٩٣٦	مصر تحت الحكم البريطاني .
١٣٣٣ - ١٣٤١	١٩١٤ - ١٩٢٢	اعتبار مصر بحمة تابعة لبريطانيا ، ومستقلة اسمياً بعد عام ١٩٢٢ .
١٣٥٥	١٩٣٦	اعلان استقلال مصر .
١٣٥٩	١٩٤٠	ايطاليا تهاجم حدود مصر الغربية .
١٣٦١	١٩٤٢	القوات الالمانية تصل حدود مصر الغربية .
١٣٧٢	٢٣ تموز - يوليو ١٩٥٢	ثورة الضباط الأحرار في مصر بقيادة اللواء محمد نجيب .
١٣٧٣	١٩٥٣	اعلان الجمهورية في مصر وتسلم جمال عبد الناصر الحكم .
١٣٧٦	٢٦ تموز - يوليو ١٩٥٦	تأميم قناة السويس . والعدوان الثلاثي : البريطاني - الفرنسي - الاسرائيلي على مصر .
١٣٧٨	٢٢ شباط ١٩٥٨	اعلان وحدة مصر وسوريا باسم الجمهورية العربية المتحدة .
١٣٨١	٢٨ ايلول ١٩٦١	الانفصال بين مصر وسوريا .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١٣٨٧	٥ حزيران ١٩٦٧	العدوان الاسرائيلي واحتلال القوات الاسرائيلية الضفة الشرقية للقناة .
١٣٩١	٢٨ ايلول ١٩٧١	وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتولي الرئيس أنور السادات رئاسة الجمهورية .
١٠ رمضان ١٣٩٣	٦ تشرين الأول اكتوبر ١٩٧٣	الحرب مع اسرائيل واستيلاء القوات العربية في مصر على الضفة الشرقية للقناة .



ملحق رقم ٢

حكم المسلمين في الأندلس

موجز الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد وموسى ابن نصير .	٧١١ - ٧١٤	٩٢ - ٩٦
حكم الولاة .	٧١٥ - ٧٥٦	٩٧ - ١٣٨
حكم الأمويين وعاصمتهم قرطبة .	٧٥٧ - ١٠٣١	١٣٩ - ٤٢٢
ملوك الطوائف .	١٠١٣ - ١١٧١	٤٠٣ - ٥٦٧
المرابطون .	١٠٨٦ - ١١٥٧	٤٧٨ - ٥٤٢
الموحدون .	١١٤٥ - ١٢٣٥	٥٤٠ - ٦٣٣
سقطت قرطبة بيد الافرنج .	١٢٣٦	٦٣٤
سقطت اسبانيا بيد الافرنج ، وغادر بنو نصر «غرناطة» .	١٤٩٢	٨٩٨
اخرج الاسبان بقية المسلمين الذين عرفوا بالموريسكو .	١٦٠٩	١٠١٨

ملحق رقم ٣

قادة العرب المسلمين وولاتهم في الاندلس^(١)
بداية من الفتح وحتى قيام الدولة الأموية « حكم الولاة »

$$٩٢ - ١٣٨ هـ = ٧١١ - ٧٥٦ م$$

السنة الهجرية	السنة الميلادية	القائد أو الوالي	مدة قيادته
١ رجب ٩٢	نيسان - ابريل ٧١١	طارق بن زياد	سنة
٢ رمضان ٩٣	٧١٢	موسى بن نصير	سنتين
٣ ٩٦	٧١٤	عبد العزيز بن موسى	سنة
٤ ٩٧	٧١٥	ايوب بن حبيب اللخمي	سنة
٥ ٩٧	٧١٦	الحمر بن عبد الرحمن الثقفي	ثلاثة أعوام تقريباً
٦ ١٠٠	٧١٩	السمح بن مالك الخولاني « ابن اخت موسى بن نصير »	سنتين وثلاثة أشهر
٧ ١٠٢	٧٢١	عبد الرحمن بن عبد الله العافقي « للمرة الأولى »	شهرين
٨ ١٠٣	٧٢١	عنبسة بن سحيم الكلبي .	أربع سنين وثمانية أشهر
٩ ١٠٧	٧٢٦	عذرة بن عبد الله الفهري .	شهرين

(١) نفع الطيب ٢٩٩/١ : فترة الولاة ٤٦ عاماً تعاقب فيها عشرون والياً .

مدة قيادته	القائد أو الوالي	السنة الهجرية	السنة الميلادية
سنتين وثلاثة أشهر	يحيى بن سلمة الكلبي .	١٠٧	٧٢٦
سنة أشهر	حذيفة بن الأحوص القيسي .	١١٠	٧٢٨
سنة أشهر	عثمان بن أبي نسعة الحثعمي .	١١٠	٧٢٨
أربعة أشهر	الهيثم بن عدي الكلابي .	١١١	٧٢٩
ثلاثة أشهر	محمد بن عبد الله الأشجعي .	١١١	٧٣٠
سنتين وسبعة أشهر	عبد الرحمن بن عبد الله العافقي « للمرة الثانية »	١١٢	٧٣٠
سنتين وشهر	عبد الملك بن قطن الفهري .	١١٤	٧٣٢
سبع سنين وشهر	عقبة بن الحجاج السلولي .	١١٦	٧٣٤
شهرين	عبد الملك بن قطن الفهري « للمرة الثانية »	١٢٣	٧٤١
سنة تقريباً	بلج بن بشر القشيري .	١٢٣	٧٤١
تسعة أشهر	ثعلبة بن سلامة العاملي أو الجذامي .	١٢٤	٧٤٢
سنتين	أبو خطار ، حسام بن ضرار الكلبي .	١٢٥	٧٤٣
بضعة أشهر	ثعلبة بن سلامة الجذامي « للمرة الثانية »	١٢٧	٧٤٥
عشرة أعوام	يوسف بن عبد الرحمن الفهري (١) .	١٢٩	٧٤٦

(١) اعتبرت وفاة ثعلبة بن سلامة الجذامي فترة من الاضطراب لمدة أربعة أشهر تولى بعدها الحكم يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالاشتراك مع الصميل بن حاتم ، ثم قتل الصميل .

ملحق رقم ٤

السنة الأموية في الاندلس

بداية من عهد عبد الرحمن الاول وحتى قيام النول المستقلة

$$١٣٨ - ٤٢٢ = ٧٥٦ - ١٠٣١ م$$

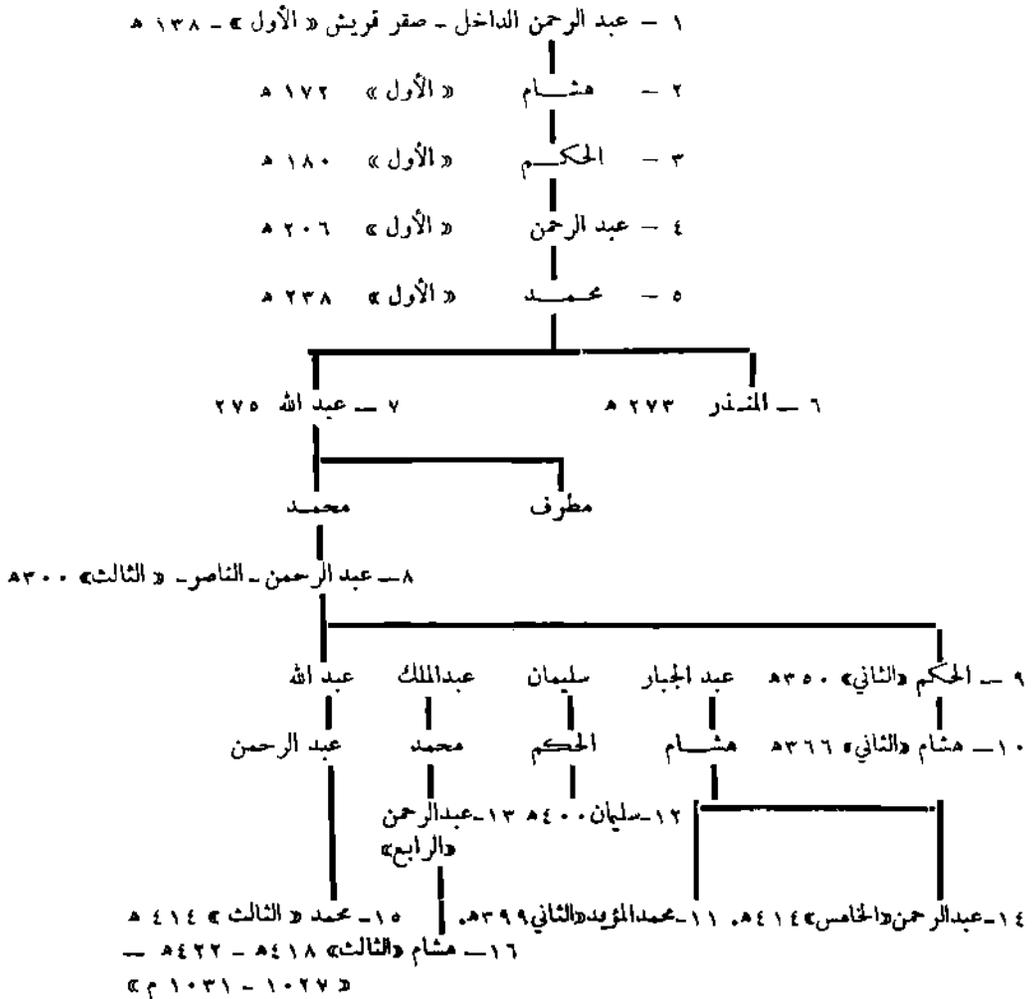
مدة الحكم	أمراء الأمويين	السنة الميلادية	السنة الهجرية	
٣٣ عاماً	عبد الرحمن الداخل «صقر قريش»	٧٥٦	١٣٨	١
٨ أعوام	هشام بن عبد الرحمن «الأول»	٧٨٨	١٧٢	٢
٢٦ عاماً	الحكم بن هشام «الأول»	٧٩٦	١٨٠	٣
٣٠ عاماً	عبد الرحمن بن الحكم «الثاني»	٨٢٢	٢٠٦	٤
٣٤ عاماً	محمد بن عبد الرحمن «الأول»	٨٥٢	٢٣٨	٥
سنتين	المذخر بن محمد	٨٨٦	٢٧٣	٦
٢٤ عاماً	عبد الله بن محمد	٨٨٨	٢٧٥	٧
٥٠ عاماً	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الأول «الثالث» الملقب بالناصر	٩١٢	٣٠٠	٨
١٦ عاماً	الحكم بن عبد الرحمن الناصر «المستصر» «الثاني»	٩٦١	٣٥٠	٩
٣٣ عاماً	هشام بن الحكم المستصر «المؤيد» «الثاني»	٩٧٦	٣٦٦	١٠

مدة الحكم	أمراء الأمويين	السنة الميلادية	السنة الهجرية	
بضعة شهور	محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن - المؤيد - «الثاني»	١٠٠٩	٣٩٩	١١
بضعة شهور	سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن «المستعين بالله»	١٠٠٩	٤٠٠	١٢
ثلاثة أعوام	محمد المؤيد الثاني «للمرة الثانية»	١٠١٠	٤٠٠	١٣
ثلاثة أعوام	سليمان المستعين بالله «للمرة الثانية»	١٠١٣	٤٠٣	١٤
سنتين	علي بن حمود من أسرة الحموديين في مسبه .	١٠١٦	٤٠٧	١٥
بضعة شهور	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر «المرتضى»	١٠١٨	٤٠٨	١٦
ثلاثة أعوام	القاسم بن حمود «من أسرة الحموديين»	١٠١٨	٤٠٨	١٧
سنة	يحيى بن علي «من أسرة الحموديين»	١٠٢١	٤١٢	١٨
سنة	القاسم بن حمود «من أسرة الحموديين» «للمرة الثانية»	١٠٢٢	٤١٣	١٩
شهر وسبعة عشر يوماً	عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار المستظهر «الخامس»	١٠٢٣	٤١٤	٢٠
سنة وأربعة أشهر	محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الرحمن المستكفي «الثالث»	١٠٢٤	٤١٤	٢١
سنتين	يحيى بن علي «من أسرة الحموديين» «للمرة الثانية»	١٠٢٥	٤١٦	٢٢
أربعة أعوام	هشام المعتد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك «الثالث»	١٠٢٧ - ١٠٣١	٤٢٢ - ٤١٨	٢٣

الدولة الأموية في الأندلس

جدول يبين نسب امراء الامويين في دولة قرطبة

١٣٨ - ٤٢٢ هـ = ٧٥٦ - ١٠٣١ م



ملحق رقم ٥

الامارات المستقلة في الاندلس

ملاحظات	مدة الامارة	اسم الدولة والأمراء	السنة الميلادية	السنة الهجرية
	٤٠ - أربعون عاماً	١ - دولة بنو حمود في ملقا		
	حكم في قرطبة سنة	علي بن حمود «الناصر»	١٠١٦	٤٠٧
	حكم في قرطبة ثلاث سنين	القاسم بن حمود «المأمون»	١٠١٨	٤٠٨
	حكم في قرطبة	يحيى بن علي بن حمود «المعتلي»	١٠٢١	٤١٢
	» » »	القاسم بن حمود «للمرة الثانية»	١٠٢٢	٤١٣
	» » »	يحيى بن علي بن حمود «للمرة الثانية»	١٠٢٥	٤١٦
		ادريس بن علي بن حمود «المتأيد»	١٠٣٥	٤٢٧
		حسن بن يحيى بن علي «المستنصر»	١٠٣٩	٤٣١
		ادريس بن يحيى بن علي «الثاني - العالي»	١٠٤٠	٤٣٤
		محمد بن ادريس بن علي «الأول - المهدي»	١٠٤٦	٤٣٨
		ادريس بن يحيى بن علي «الثالث - الموفق»	١٠٥٢	٤٤٤
		ادريس بن يحيى بن علي «العالي»	١٠٥٣	٤٤٥
		» للمرة الثانية		
		محمد بن حسن بن يحيى بن علي «المستعلي»	١٠٥٤ -	٤٤٦ - ٤٤٩
			١٠٥٧	

استيلاء المرابطون على «ملقا»

الامارات المستقلة في الاندلس^(١)
ملوك الطوائف

ملاحظات	مدة الامارة	اسم الدولة والأمراء	السنة الميلادية	السنة الهجرية
	٤٠ أربعون عاماً	١ - دولة بني جهور في قرطبة أبو الحزم بن جهور . أبو الوليد محمد بن جهور . عبد الملك بن محمد بن جهور .	١٠٣١ ١٠٤٤ ١٠٧٠ - ١٠٦٤	٤٢٢ ٤٣٥ ٤٥٧ - ٤٦٣
	سبعون عاماً	المعتمد بن عباد يستولي على قرطبة ٢ - دولة بني عباد في اشبيلية القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد . عباد بن محمد المعتضد . محمد بن عباد المعتمد .	١٠٢٣ ١٠٤٢ ١٠٩١ - ١٠٦٩	٤١٤ ٤٣٣ ٤٦١ - ٤٨٤
	٧٢ - اثني وسبعون عاماً	٣ - دولة بني الأفطس في بطليوس عبد الله بن محمد بن مسلمة المنصور . محمد بن عبد الله المظفر . يحيى بن محمد المنصور . عمر بن محمد المتوكل .	١٠٢٢ ١٠٤٥ ١٠٦٨ ١٠٩٤ - ١٠٧٢	٤١٣ ٤٣٧ ٤٦١ ٤٦٤ - ٤٨٨

(١) دولة الاسلام في الاندلس - محمد عبد الله عنان ١ / ٤٣٣ .

ملاحظات	مدة الامارة	اسم الدولة والأمراء	السنة الهجرية	السنة الميلادية
	ثلاثون عاماً	٤ - دولة بني يحيى في « لبه » أبو العباس أحمد بن يحيى . محمد بن يحيى عز الدولة . فتح بن خلف ناصر الدولة . المتعضد بن عباد يستولي على لبه	٤١٤	١٠٢٣
			٤٣٤	١٠٤٢
			٤٤٣ - ٤٤٤	١٠٥١ - ١٠٥٣
	خمس وعشرون عاماً	٥ - دولة بني مزين في باجه و شلب الحاجب عيسى بن محمد . محمد بن عيسى عميد الدولة . عيسى بن مزين المظفر . محمد بن عيسى الناصر . عيسى بن محمد المظفر . المتعضد بن عباد يستولي على شلب	٤٣٢	١٠٤١
			٤٤٠	١٠٤٨
			٤٤٥	١٠٥٣
			٤٥٠ - ٤٥٥	١٠٥٨ - ١٠٦٣
	أربعون عاماً	٦ - دولة بني البكري في ولبه وجزيرة شلطيش عبد العزيز البكري « عز الدولة » المتعضد بن عباد يستولي على ولبه وشلطيش	٤٥٣ - ٤٥٣	١٠١٢ - ١٠٥١

ملاحظات	مدة الامارة	اسم الدولة والأمراء	السنة الميلادية	سنة الهجرية
	خمس وعشرون عاماً	٧ - دولة بني هارون في شنتمرية الغرب		
		سعيد بن هارون .	١٠٢٦	٤١٧
		محمد بن سعيد « المتصم » .	١٠٥١ - ١٠٤١	٤٤٣ - ٤٣٦
		المتعضد بن عباد يستولي على شنتمرية الغرب		
	خمسون عاماً	٨ - دولة بني ذي النون في طليطلة		
		اسماعيل بن ذي النون « الظافر »	١٠٣٦	٤٢٧
ابو الحسن		يحيى بن اسماعيل « المأمون »	١٠٤٣	٤٣٥
حفيد المأمون		يحيى بن اسماعيل بن يحيى « القادر »	١٠٨٥ - ١٠٧٥	٤٧٨ - ٤٦٦
		الفونسو السادس يستولي على طليطلة		
	سبع وسبعون عاماً	٩ - دولة بني مناد في غرناطة		
		زاوي بن زيري .	١٠١٣	٤٠٣
		حيوس بن ماكسن .	١٠٢٠	٤١١
		باديس بن حيوس « المظفر » .	١٠٣٧	٤٢٨
		عبد الله بن يلقين .	١٠٩٠ - ١٠٧٣	٤٨٣ - ٤٦٥
		استيلاء المرابطين على غرناطة		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
٤٠٤	١٠١٣	١٠ - دولة بني برزال في قرمونه محمد بن عبد الله بن برزال .	خمس وخمسون عاماً	
٤٣٤ - ٤٥٩	١٠٤٢ - ١٠٦٧	عزيز بن محمد « المستظهر » . ابن عباد يستولي على قرمونه		
٤٠٣	١٠١٣	١١ - دولة بني دمر في مورور نوح بن أبي تزيدي الدمري .	ثلاث وخمسون عاماً	
٤٣٣	١٠٤١	محمد بن نوح « عز الدولة » .		
٤٤٥ - ٤٥٨	١٠٥٣ - ١٠٦٦	مناد بن محمد « عماد الدولة » . ابن عباد يستولي على مورور		
٤٠٢	١٠١١	١٢ - دولة بني خزرون في أركش محمد بن خزرون « عماد الدولة » .	سبع وخمسون عاماً	
٤٢٠	١٠٢٩	عبدون بن محمد بن خزرون .		
٤٤٥ - ٤٦١	١٠٥٣ - ١٠٦٨	محمد بن محمد بن خزرون « القائم » . ابن عباد يستولي على أركش		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		١٣ - دولة بني يفرن في رنده	خمسون عاماً	
٤٠٦	١٠١٥	هلال بن أبي قره اليفرني .		
٤٤٥	١٠٥٣	باديس بن هلال .		
٤٤٩-٤٥٧	١٠٥٧ -	أبو نصر فتوح بن هلال .		
	١٠٦٥			
		ابن عباد يستولي على رنده		
		١٤ - الدولة العامرية في « المريه »	سبع وسبعون عاماً	
٤٠٥ - ١	١٠١٤	خيران العامري .		
٤١٩	١٠٢٨	زهير العامري .		
٤٢٩	١٠٣٨	عبد العزيز « المنصور » .		
٤٣٣ - ٢	١٠٤١	معن بن صمادح .		
٤٤٣	١٠٥١	محمد بن معن « المعتصم » .		
٤٨٤	١٠٩١	أحمد بن محمد « عز الدولة » .	شهور قليلة	
		استيلاء المرابطون على المريه		
		١٥ - الدولة العامرية في مملكة مرسيه	تسع وسبعون عاماً	
٤٠٣ - ١	١٠١٢	خيران العامري .		
٤١٩	١٠٢٨	زهير العامري .		
٤٢٩ - ٢	١٠٣٨	أبو بكر بن طاهر (١) .		

(١) حكم بنو طاهر باسم عبد العزيز المنصور صاحب بلنسيه وولده عبد العزيز .

ملاحظات	مدة الامارة	اسم الدولة والأمراء	السنة الميلادية	السنة الهجرية
المتمسد بن عباد يستولي على مرسية - ٥٤٧١ م ١٠٧٨ م		أبو عبد الرحمن بن طاهر .	١٠٦٣	٤٥٥
		ابن عمار .	١٠٧٨	٤٧١ - ٣
		ابن رشيق .	١٠٩١ - ١٠٨١	٤٧٣ - ٤٨٤
		استيلاء المرابطون على مرسية		
	اثنين وثمانين عاماً	١٦ - مملكة دانية والجزائر		
		مجاهد العامري « الموقق » .	١٠٠٩	٤٠٠ - ١
		علي بن مجاهد « اقبال الدولة » .	١٠٤٤	٤٣٦
		المقتدر بن هود « صاحب سرقسطه »	١٠٧٦	٤٦٨ - ٢
		المنذر بن هود .	١٠٩١ - ١٠٨١	٤٧٤ - ٤٨٤
		استيلاء المرابطون على دانية		
	ثلاث وتسعون عاماً	١٧ - مملكة بلنسية		
		الفتيان « مظفر ومبارك » .	١٠٠٩	٤٠٠ - ١
		لييب العامري .	١٠١٧	٤٠٨
		عبد العزيز المنصور .	١٠٢١	٤١١
		عبد الملك بن عبد العزيز .	١٠٦٥ - ١٠٦١	٤٥٢ - ٤٥٧
		المأمون بن ذي النون يستولي على بلنسية		
		أبو بكر بن عبد العزيز « نائب عن المأمون »	١٠٦٥	٤٥٧ - ٢
	فترة قصيرة	عثمان بن أبي بكر .	١٠٨٥	٤٧٨

ملاحظات	مدة الامارة	اسم الدولة والأمراء	السنة الهجرية	السنة الميلادية
		القادر بن ذي النون .	٤٧٨	١٠٨٥
		القاضي ابن جحاف .	٤٨٥	١٠٩٢
		السيد الكميادور والقشتاليون .	٤٨٧ - ٤٩٥	١٠٩٤ - ١١٠٢
		استيلاء المرابطون على « بننسيه »		
	اثنين وتسعون عاماً	١٨ - اماره شتمريه الشرق		
		هنديل بن عبد الملك بن رزين .	٤٠٣	١٠١٢
		عبد الملك بن هنديل .	٤٣٦	١٠٤٥
		يحيى حسام الدولة .	٤٩٦ - ٤٩٧	١١٠٣ - ١١٠٤
		استيلاء المرابطون على شتمرية الشرق		
	ثلاث وتسعون عاماً	١٩ - اماره ألبوت		
		عبد الله بن قاسم .	٤٠٠	١٠٠٩
		محمد بن عبد الله « بمن الدولة »	٤٣١	١٠٣٩
		أحمد بن محمد « عز الدولة » .	٤٣٤	١٠٤٢
		عبد الله بن محمد « جناح الدولة » .	٤٤٠ - ٤٩٥	١٠٤٨ - ١١٠٢
		استيلاء المرابطون على ألبوت		
	ثلاث وتسعون عاماً	٢٠ - مملكة سرقسطه		
		المنذر بن يحيى التجيبي .	٤٠٨ - ١	١٠١٧

ملاحظات	مدة الامارة	اسم الدولة والأمراء	السنة الميلادية	السنة الهجرية
		يحيى بن المنذر « المظفر » .	١٠٢٣	٤١٤
		المنذر بن يحيى « معز الدولة » .	١٠٢٩	٤٢٠
		سليمان بن هود « المستعين » .	١٠٣٩	٤٣١
		أحمد بن سليمان « المقتدر » .	١٠٤٦	٤٣٨
		يوسف بن أحمد « المؤمن » .	١٠٨١	٤٧٤
		أحمد بن يوسف « المستعين » .	١٠٨٥	٤٧٨
	فترة قصيرة	عبد الملك بن أحمد « عماد الدولة » .	١١١٠	٥٠٣
		استيلاء المرابطون على سرقسطه		

الملحق رقم ٦

الحرب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس

موجز الأحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
قاد شارلمان هجوماً ، إلا أنه أحبط في مهده في سرقسطه .	٧٧٦	١٥٩
انتزع الفونسو الأول والفونسو الثالث جيليقية وليون من يد المسلمين ودفعهم حتى وراء نهر دويره بعد معركة « كوفادونكا » .	٧١٨ - ٩١٠	١٠٠ - ٢٩٨
قاد شارل مارتل الفرنجة ضد المسلمين وانتزع منهم تور عام ٧٣٢ م ، واريونه « تاريون » عام ٧٥٩ م .	٧٣٢ - ٧٥٩	١١٤ - ١٤٢
قاد شارلمان الفرنجة ضد المسلمين وانتزع منهم سرقسطه ٧٧٨ ، دونشه ٧٧٨ ، برشاونه ٨٠١ . وأصبح ٢٥٪ من الأندلس خارج قبضة حكم العرب المسلمين .	٧٧٧ - ٨٠١	١٦١ - ١٨٥
انتزع الفرنجة منطقة البروفانس من العرب المسلمين ودفعهم إلى ما وراء جبل البرانس « البيرونه » .	٨٩٠ - ٩٧٥	٢٧٧ - ٣٦٥
وأصبح ٣٠٪ من الأندلس خارج قبضة حكم العرب المسلمين .		

موجز الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
قاد الفونسو السادس القشتاليون وأقام قشتاله الجديدة «نيوكاستل» وانتزع من المسلمين مدريد ١٠٨٥ م ، طليطلة ١٠٨٥ م .	١٠٣٧ - ١٠٩٥	٤٢٩ - ٤٨٨
قاد يوسف بن تاشفين المسلمين في معركة الزلاقة ، وانتصر على الفرنجية ، لكنه لم يستثمر النصر لاسترجاع طليطلة .	١٠٨٦	٤٧٩
قاد فرديناند الأول القشتاليون في البرتغال الوسطى وانتزع من المسلمين - قويره - ١٠٦٤ م .	١٠٥٥ - ١٠٦٤	٤٤٧ - ٤٥٧
قاد الفونسو السادس الارغونيون في ارغون الشالية وانتزع من المسلمين « وشقه » ١٠٩٦ م وسرقسطه ١١١٨ م ، وطرطوش ١١٤٨ م .	١٠٩٦ - ١١٩٤	٤٩٠ - ٥٩١
انتزع البيزيون من المسلمين جزر الباليار ثم استردها منهم الموحدون ١١١٥ م ، ثم عاد الارغونيون بقيادة جيمس الأول فانتزعوا ميورقه عام ١٢٣٠ م ، ومنورقه عام ١٢٣٢ م .	١١١٣ - ١١١٥	٥٠٧ - ٥٠٩
تعاون البرتغاليون والانكليز لدعم البرتغال الجنوبية وقاد الفونسو هنريك عمليات القتال فانتزع من المسلمين لشبونه عام ١١٤٧ م وشلب عام ١١٩٧ م ومارتيله عام ١٢٣٩ م .	١١٣٩ - ١٢٥٧	٥٣٤ - ٦٥٥
قاد الفونسو السابع الحرب ضد المسلمين وانتزع منهم قشتالة الجنوبية .	١١٤٤ - ١١٤٧	٥٣٩ - ٥٤٢

موجز الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
تعاون القشتاليون والارغونيون بقيادة الفونسو الثامن وجيمس الأول لتنظيم الحرب ضد المسلمين وأمكنهم انتزاع قرطبة عام ١٢٣٦ م ، واشبيليا عام ١٢٤٨ م ، ومرسيه عام ١٢٦٦ م .	١٢٦٦ - ١٢١٢	٦٦٥ - ٦٠٩
قاد جيمس الأول الارغونيون وانتزع من المسلمين فالانسيا عام ١٢٣٨ م ، وشاطبه عام ١٢٤٤ م .	١٢٤٥ - ١٢٣٣	٦٤٣ - ٦٣١
تعاون القشتاليون والارغونيون بقيادة فرديناند الثاني وانتزعوا من المسلمين جبل طارق عام ١٤٦٢ م ، ومالاقال عام ١٤٨٧ م ، وغرناطة عام ١٤٩٢ م (١) .	١٤٩٢ - ١٤٦٢	٨٩٨ - ٨٦٧

(١) المرجع في تعديل للتواريخ الهجرية والميلادية - اطلس التاريخ الاسلامي ، تصنيف هاري و - هازارد - رسم سميلي و - كوك - اصدار مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثالثة عام ١٩٥٥ .

المصادر

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - في ظلال القرآن - سيد قطب - الطبعة الخامسة ١٩٦٧ .
- ٣ - البيان المغرب في أخبار المغرب .
(ابن عذارى) المراكشي ، مكتبة صادر ، بيروت .
- ٤ - التاريخ الكبير - « التهذيب »
(ابن عساكر) ، مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ هـ .
- ٥ - آثار البلاد وأخبار العباد .
زكريا بن محمد (القزويني) ، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٠ هـ .
- ٦ - أخبار مجموعة ، مؤلف مجهول .
طبع في مدينة جربيط « مدريد » ١٨٦٧ .
- ٧ - العبر وديوان المتدا والخبر .
عبد الرحمن (ابن خلدون) المغربي ، المطبعة البولاقية ، مصر ١٩٦٠ .
- ٨ - الكامل في التاريخ .
(ابن الأثير) ٥٦٣٠ هـ ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .
- ٩ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .
أبي الحسن علي (بن بسام) الشنتري ، لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ١٠ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .
(أحمد بن خالد) الناصري السلاوي ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤ .

- ١١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب .
يوسف بن عبد الله بن محمد (ابن عبد البر) تحقيق علي محمد البجاوي
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٩٦٠ م .
- ١٢ - المقتبس من أبناء أهل الأندلس .
أبي مروان (ابن حيان القرطبي) ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ،
١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .
- ١٣ - المقتبس في أخبار بلد الأندلس .
أبي مروان (ابن حيان القرطبي) ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،
المكتبة الأندلسية - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م .
- ١٤ - المقتبس في تاريخ رجال الأندلس .
أبو القاسم عبيد الله المعروف (ابن خرداذبه) ، باريس ١٩٣٧ م .
- ١٥ - المسالك والممالك .
(ابن خرداذبه) ، نشر ليدن ، مطبعة برييل ١٣٠٦ هـ .
- ١٦ - المغرب في حلى المغرب .
(ابن سعيد) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ،
مجموعة ذخائر العرب (١٠) .
- ١٧ - الامامة والسياسة .
أبي محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) ، مطبعة الأمامة ، مصر ١٣٢٨ هـ .
- ١٨ - العقد الفريد .
(ابن عبد ربه) ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .
- ١٩ - الخراج .
(أبي يوسف) يعقوب بن إبراهيم ، المطبعة السلفية ، مصر ١٣٤٦ هـ .
- ٢٠ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس .
أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (الضبي) ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م .

- ٢١ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام .
شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (الذهبي) ، مكتبة المقدسي ١٣٦٨ هـ .
- ٢٢ - تاريخ افتتاح الأندلس .
(ابن القوطية) ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، اصدار دار النشر للجامعيين .
- ٢٣ - تاريخ اسبانيا الاسلامية .
ذي الوزارتين (لسان الدين الخطيب) السلطاني ، تحقيق ، بروفنسال دار المكشوف ١٩٥٦ .
- ٢٤ - تاريخ الخميس .
حسين بن محمد بن الحسن (الديار بكري) ، مطبعة عثمان عبدالرزاق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٠٢ هـ .
- ٢٥ - تاريخ العلماء والرواة بالأندلس .
ابن الفرضي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٧٤ هـ .
- ٢٦ - تاريخ الطبري « تاريخ الرسل والملوك » .
أبي جعفر محمد بن جرير (الطبري) ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠ ، ذخائر العرب (٣٠) .
- ٢٧ - تاريخ اليعقوبي .
(أحمد بن أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح .
مطبعة الغزي ، النجف ١٣٥٨ هـ .
- ٢٨ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس .
أبو عبد الله محمد بن قنبر بن فتوح بن عبيد الله (الحميدي) ، مطبعة الخانجي ، ١٣٧٢ هـ .
- ٢٩ - الحلة السراء .
أبو عبد الله محمد (ابن الأبار) ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ م .

- ٣٠ - حلية الفرسان وشعار الشجعان .
علي بن عبد الرحمن (ابن هذيل الأندلسي) ، تحقيق محمد عبدالغني
حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
- ٣١ - فتوح مصر والمغرب .
أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ابن عبد الحكم) القرشي .
مطابع لجنة البيان العربي ، القاهرة .
- ٣٢ - فتوح البلدان .
أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري) ، مطبعة السعادة ،
القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٣٣ - مقدمة ابن خلدون .
تصحيح « نصر الهوريني » ، عام ١٢٧٤ هـ .
- ٣٤ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع .
عبد الله بن عبد العزيز (البكري - الأندلسي) ، تحقيق مصطفى
السقا ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- ٣٥ - مسالك الممالك .
أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (الاصطخري) ، ليون ،
مطبعة بريل ١٩٣٧ م .
- ٣٦ - نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب .
أحمد بن محمد (المقرئ) التلمساني .
- ٣٧ - زهرة المشتاق في اختراق الآفاق .
(الشريف الإدريسي) ، دوزي ، ليون ، ١٨٦٦ م .
- ٣٨ - وفيات الأعيان .
أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ابن خلكان) ، تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .

المراجع

- ١ - الرسول العربي وفقن الحرب .
اللواء الركن مصطفى طلاس .
مطابع الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة .
دمشق ١٣٩٢ هـ / ٤ - ١٩٧٢ م / ٥ .
- ٢ - الاعلام .
خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٧٣ - ١٣٧٨ هـ .
- ٣ - تاريخ الحروب الصليبية .
ستيفن زونسيان ، ثلاثة أجزاء ، ترجمة الدكتور السيد الباز العريبي
اصدار : دار الثقافة ، بيروت - لبنان .
- ٤ - تاريخ العرب والشعوب الاسلامية .
كلود كاهن ، ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم ، الطبعة الاولى ١٩٧٢ م
اصدار دار الحقيقة ، بيروت - لبنان .
- ٥ - تاريخ فن الحرب .
الجنرال ستوكوف ، ترجمة العميد الركن صباح الدين الاناسي .
اصدار وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية ،
الطبعة الاولى ١٩٦٨ م .
- ٦ - تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ثلاثة أجزاء .
الدكتور حسن ابراهيم حسن ، اصدار مكتبة النهضة المصرية ،
الطبعة السابعة ١٩٦٤ م .

- ٧ - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر ،
الأمير شكيب أرسلان .
- اصدار مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر .
- ٨ - تاريخ الشعوب الإسلامية - بروكلمان .
نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس - منير البعلبكي .
اصدار دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٩ - دولة الإسلام في الأندلس .
محمد عبد الله عنان ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- ١٠ - فتح العرب للمغرب .
الدكتور حسين مؤنس ، مطبعة مصر ، القاهرة .
- ١١ - الفتوحات العربية الكبرى ، جون باجوت غلوب .
تعمير وتعليق خيرى حماد .
مكتبة المنسى ، بغداد ١٩٦٤ م .
- ١٢ - فتوح مصر والمغرب والأندلس .
شارل توري ، أيدن ١٩٢٠ م .
- ١٣ - قادة الفتح الإسلامي .
المغرب العربي ١ - ٢ ، قادة فتح الشام ومصر
اللواء الركن محمود شيت خطاب .
- دار الفكر -

المراجع الاجنبية

- ١ - أطلس التاريخ الاسلامي ، هاري - و - هازارد .
ترجمة ابراهيم زكي خورشيد، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 2 — Atlas Classique — Hachette - 1950 .
- 3 — Atlas Du X X e Siecle .
Fernand - Nathan
- 4 — Nouveau Petit - Larousse Illustré .
Dictionnaire - Encyclopédique 1953 .
- 5 — Encyclopedia - Britannica .
- 6 — Revue Militaire Generale - Paris .
- 7 — Strategie . Paris .
- 8 — Histoire Des Musulmans D' Espagne - Dozy.
Leyden - 1861 .

المخططات والخرائط

الصفحة

- ٢٨ - خارطة مصر - في حكم الفراعنة .
- ٥١ - فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص .
- ٥٢ - فتح برقة بقيادة عمرو بن العاص .
- ١٣٩ - فتح المغرب الأدنى تونس بقيادة عبد الله بن سعد .
- ١٥١ - عمليات عقبة بن نافع .
- ١٩٠ - محاور عمليات موسى بن نصير في افريقية .
- ٢٣٨ - مراحل الفتوحات العربية الاسلامية .
- ٢٦١ - عمليات طارق بن زياد
- ٢٧٥ - فتح الاندلس .
- ٣٢٤ - العرب المسلمون في بلاد غاليا « فرنسا » .
- ٣٢٨ - معركة بواتيه .
- ٣٥٦ - امبراطورية شارلمان .
- ٣٧٢ - محاور العمليات وحدودها في عهد هشام بن عبدالرحمن .
- ٤٩٢ - غزوات عبد الرحمن الناصر .

جدول الصور

	الصفحة
قرطبة - الباب الخارجي للمسجد .	٣٧٨
قرطبة « صحن الجامع وقد تحول الى كنيسة » .	٣٧٩
قرطبة : مثذنة الجامع وقد وضعت بها التوافيس .	٣٨٠
السييل في قرطبة .	٣٨١
فناء بيت من بيوت قرطبة .	٣٨١
قرطبة - نموذج البناء - .	٣٨٢
مسجد قرطبة .	٣٨٢
اشبيليا - مثذنة الجامع « الجير الدا »	٥٨٣
اشبيليا - غرفة النوم .	٥٨٤
اشبيليا - قاعة السفراء في القصر .	٥٨٥
اشبيليا - غرفة الدمى « اللعب » .	٥٨٥
غرناطة - قصر الحمراء .	٥٨٦
غرناطة - قصر الحمراء - قاعة السفراء .	٥٨٧
غرناطة - قصر الحمراء من الداخل .	٥٨٨
طليلطة - منزل الفنان الغريكو .	٥٨٩
غرفة من منزل الفنان الاسباني « الغريكو » .	٥٩٠

الفهارس العامة للجزء الثاني من فن الحرب

المحتوى :

- ١ - فهرس الاعلام .
- ٢ - فهرس المواقع والأماكن الجغرافية .
- ٣ - فهرس الشعوب والقبائل والأديان والمذاهب والفرق والجماعات .
- ٤ - فهرس المخططات والخرائط .
- ٥ - فهرس الصور والمصورات .
- ٦ - فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الأعلام

حرف الألف

- | | |
|-------------------------------------|-----------------------------------|
| أحمد بن نصر : ٥١٠ . | أدمر كونت جنوه : ٤٠٩ . |
| أحمد بن يعلى : ٥٠٦ ، ٥١٠ . | آرل (ملك) : ٣٣٧ . |
| أخبيكا : ٢٤٤ ، ٢٤٧ . | أريوس (صاحب مذهب مسيحي) : |
| أخيلا بن غيطشه : ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، | ٣٢ |
| ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، | آنين اكبر : ٥٤٩ . |
| ٣١١ . | إبراهيم بن الأغلب : ٣٨٤ ، ٣٨٨ . |
| أذفونش : ٥٣٨ . | إبراهيم بن حجاج : ٤٥٠ ، ٤٥١ ، |
| اراجون : ٤٥٧ . | ٤٥٢ . |
| الأردون : ٥٧٦ . | إبراهيم بن عيسى بن مزاحم : ٣١٢ . |
| أردون بن أذفونش : ٥٧٦ . | إيلس كونت روسي : ٥٥١ . |
| أردون بن ألفونس : ٤٢٣ ، ٤٢٩ . | أثناسيوس (صاحب مذهب مسيحي) : |
| أردونه (ملك ليون) : ٣٤٠ . | ٣٣ ، ٣٢ |
| أردونيو : ٤٣١ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، | ابن الأثير : ٣٣٣ . |
| ٤٧٩ . | أحمس الأول : ٢١ ، ٢٦ . |
| أردونيو (أرذن) ابن ألفونسو الثالث | أحمد بن اسحاق : ٤٩٧ . |
| (انظر أردونيو الثاني) . | أحمد بن سعيد الجعفري : ٥١٨ . |
| أردونيو الثاني : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، | أحمد بن عبد الملك بن شهيد : ٥٧١ . |
| ٤٦٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، | أحمد بن أبي عبدة : ٤٦٣ ، ٤٧٧ . |
| ٤٧٩ ، ٤٨٣ . | |

- الفونسو الكبير (الثالث) : ٤٣١ .
 ألفونسو ملك ليون بن فرناندو الأول
 (انظر الفونسو السادس) .
 ألمند بن غيطشة : ٣٦٤ ، ٣١١ ،
 . ٣١٢
 ابن إلياس (نائر) : ٥٦٨ .
 أم الأصبح : ٥٥٥ .
 امرأة لذريق (أم عاصم) : ٢٩٩ .
 امرئ القيس : ٥٦٠ .
 أمنحوتب الرابع (اخناتون) :
 . ٢٧ ، ٢١
 أميان مارسيلان : ٩٤ .
 أمير برشلونة : ٣٩٠ .
 الأمين : ٤٧٤ .
 أمية بن اسحاق : ٤٩٧ ، ٥٠٠ ،
 . ٥٠١
 أمية بن معاوية بن هشام : ٤٠٢ .
- انسينونديوس : ٣٥٩ .
 أنيجو اريستا : ٤٥٤ .
 أوتون (ملك ألمانيا) : ٣٤٢ ،
 . ٣٤٣
 أوتون (ملك للصقالبة) : ٥٧٢ .
 أودو - دو - لاجيري (انظر ايربان
 الثاني) : ٥٣٩ .
 اوراكا (ابنة فرناندو) : ٤٥٩ .
 أوربول (الكونت) : ٤٠١ .
 اوكتافيوس : ٢٤ ، ٢٥ .
 ايزاردون (أسقف) ٣٤٣ .
 اينغورط : ٣٣٩ .
 أيوب بن حبيب اللخمي : ٣٢١ .
 ايرسلند : ٥٣٩ .
 أيل (أم المنذر بن محمد بن عبد
 الرحمن) ٥٦٦ .
 ايوان سيميسكي : ١١ .

حرف الباء

- البايا اتيان الثاني : ٣٢٠ .
 البايا الاسكندر الثاني : ٥٥٠ ، ٥٥١ .
 البايا ايربان الثاني : ٥٣٩ ، ٥٤٠ .
 البايا الجرماني : ٥٤٩ .
 البايا جريجوري : ٥٥١ .
 البايا يوحنا العاشر : ٥٤٧ .
 باسيلي (أسقف نقيوس) : ٦٨ .
 . ٥٥٢

- بلاي : ٢٩١ ، ٣٤٩ ، ٣٦١ ، ٤٦٠ .
 بليزير : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٠ .
 بلكين : ٥٢٥ .
 بنيامين البطريرك القبطي : ٣٤ ،
 ٦٨ ، ٩٦ .
 بهار (أم عبد الله بن محمد بن عبد
 الرحمن) (وقيل عشار) : ٥٦٧ .
 بهلول بن أبي الحجاج : ٣٨٨ ، ٣٨٩ .
 بوزون : ٣٣٧ .
 بورسير (الراهب) : ٣٥٤ .
 بومي : ١١٦ .
 بوميوس (قائد روماني) : ٢٤ .
 بيان بن شارل مارقل ابن بيان : ٣٢٠ ،
 ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ .
 ٤٧١ .
 بيان بن شارلمان : ٤٠٩ .
 بيان اليريستالي : ٣١٩ ، ٣٥٥ .
 بيرانجه (ملك إيطاليا) : ٣٣٩ ،
 ٣٤١ .
 بيروس (بطريرك القسطنطينية) :
 ٣٣ .

- بازان التركي : ٥٥٠ .
 بدر بن أحمد : ٤٧٨ .
 بدر مولى عبد الرحمن : ٥٥٦ ، ٥٥٨ .
 برمند : ٣٧٣ .
 برمودو : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .
 برمودو الثاني : ٤٦٥ .
 برمودو الثالث : ٤٦٥ .
 برنار دومنتوف (أسقف) : ٣٤٣ .
 بمر بن أرطاة : ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
 ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ .
 بشر بن مروان : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
 بطرس الناسك : ٥٤٠ .
 البطريرك اوديئو : ٥٣٨ .
 البطريرق يوحنا : ١٨٠ ، ١٨٣ ،
 ١٨٤ .
 بطليموس : ٣٩٤ .
 أبو بكر الصديق : ٩ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٤ ،
 ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٨٩ ،
 ٢٣١ .
 أبو بكر بن يحيى (نثر) : ٥٦٨ .

حرف التاء

- | | |
|---------------------------------------|-------------------------------------|
| تام بن أبي العطاف : ٤٢٣ . | تاكفواس : ١١٦ . |
| تام بن علقمة ٥٥٦ . | تانكرد (هو تقييل فارس نورماني) : |
| تميمة بنت حمران (أم عبدالله بن حذافة | ٥٤٩ . |
| السهمي) : ١٠٢ . | تتش : ٥٥٠ . |
| توسيديد : ١٧ . | تحوتمس الثالث : ٢١ ، ٢٦ . |
| توفليس (امبراطور بيزنطة) : ٥٦٤ . | تراجان (امبراطور) : ١١٨ . |
| تيودور (قائد قوات الروم) : ٥٦ . | تريستري : ٣١٩ . |
| تيودوسيوس : ٣٢ . | تيز بن أبق : ٥٤٩ ، ٥٥٠ . |
| تيودوسيوس (امبراطور الروم) : ٢٥ . | تعلة بن سلامة الماملي : ٣٥٥ . |
| تير الثالث : ١٧٩ . | تليد (عبد لعبد العزيز بن مروان) : |
| تيري (وريث كلوفيس : ٣١٩ . | ٢٣٥ . |

حرف الجيم

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| ١٣٣ ، ١٢٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ | جارسيا (غربية) بن أفونسو الثالث : |
| ٢٢٦ . | ٤٦٢ . |
| ابنة جرجير : ١٤٣ ، ١٤٥ . | جارسيا انيجيز بن أنيجو اريستا : |
| جرجير (ملك قرطاجنة) : ١٤٢ ، | ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ . |
| ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٣١ . | جارسيا بن ساشو : ٤٩٥ ، ٤٩٧ . |
| جستينيان الثاني : ١٧٩ . | جاي جفري : ٥٥١ . |
| جعفر بن شيم بن ذبيان بن فرغوش | جيلة بن الأحم : ٢٣٤ . |
| ابن افونسو : ٤٣٥ . | جريوروس (جرجير) : ١٣١ ، ١٣٢ . |

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| جنسريك : ١٢٠ . | جعفر الصقلي (صاحب الخيل) : |
| جوستينيان الأول : ١٢٠ ، ١٢١ ، | . ٥٧٤ |
| . ١٣٠ ، ١٣١ . | جعفر بن عثمان : ٥١٥ . |
| جوليان : ١٩٧ . | جعفر بن علي بن خلدون : ٥٣٤ . |
| جون فولر : ٨٥ . | أبو جعفر المنصور (انظر المنصور) . |
| جوهر الصقلي : ٥٠٦ . | جلاله بن زيري بن مناد : ٥٢٥ . |
| جيلدون : ١١٨ . | جمال - أم هشام بن عبد الرحمن : |
| جيلير : ١٢٠ . | . ٥٥٩ |
| | جناها - اوهباهايا (ملك) : ١٤٩ . |

حرف الحاء

- | | |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| حباية (جارية يزيد بن عبد الملك) : | الحاجب المصحفي : ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، |
| . ٥٧٠ | . ٥٧٩ |
| حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن | الحاجب المنصور : ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٥٢٢ ، |
| نافع الفهري : ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ . | ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، |
| الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٧٢ ، | ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، |
| . ٢٣١ ، ٢٩٥ . | ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، |
| ابن حجاج (تأثر) : ٥٦٨ . | . ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٨ . |
| الحرب بن عبد الرحمن الثقفي : ٣٢١ . | الحار بن معاوية الثقفي : ١٧٢ . |
| الحرب بن عبدالله الثقفي : ٣٠٩ . | حاطب بن أبي بلتمة : ٤١ ، ٤٢ . |
| الحريث بن الحكم : ١٤٢ . | حاكم تدمير : ٢٧١ . |
| حسام بن ضرار الكلي (أبو الخطار) : | حاكم ساره : ٣٧٦ . |
| . ٣٥٤ ، ٣٥٥ . | حاكم سبتة : ٢٣٧ . |

الحكم بن عبد الرحمن (انظر

المتنصر بالله) .

الحكم بن محمد بن عبد الرحمن :

. ٤٢٣ ، ٤٣١ .

الحكم المتنصر (انظر المتنصر بالله).

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

الريضي : ٣٥٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،

٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ،

٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٤٧ ، ٤٥٣ ،

٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ،

. ٥٦٣

حلاوة أم عبد الرحمن بن الحكم بن

هشام .

حلويرة (حلويرة) عمه ملك ليون :

. ٥١٩

حنش بن عبدالله الصنعاني : ١٦٦ ،

٢٣٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ .

حنشو غربية ملك نابار : ٣٤٠ .

حنظلة بن صفوان : ٣١٢ .

حومل أبو مذحج (من زبيد) : ٧٣ .

حياة بن الوليد : ٥٥٦ .

ابن حيان : ٣٠٤ ، ٣٦٢ ، ٥٧٢ .

حسان بن ثابت : ٤٢ ، ١٠١ .

حسان بن النعمان الفسائي : ١٣٦ ،

١٣٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ،

٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،

٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ،

٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

الحسن بن علي : ٢٢٤ ، ٥٥٦ .

حسن بن فنون الحسني ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

الحسين : ٢٢٤ .

الحسين الأنصاري : ٥٥٩ .

الحسين بن يحيى بن سعد بن سعد ابن

عبادة الخزرجي : ٥٥٧ .

الحضرمي الزاهد : ٥١٨ .

حفص بن جعفر بن شيم بن ذبيان بن

فرغوس بن اذفوتش (حفصون) :

. ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

ابن حفصون (انظر عمر بن حفصون).

الحكم الثاني (خليفة اندلس) :

. ٣٤٤

حرف الخاء

خديجة بنت خويلد : ٢٣٠ .	خارجة بن حذافة المدوي : ٦٢ ،
أبو الخطار : ٣١٢ .	٧٣ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
خضرع : ١٩ ، ٢٦ .	٢٣١ .
ابن خلدون : ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٨٨ ،	خالد بن خلدون : ٤٥١ .
٣٣٣ .	خالد بن الوليد : ٤٣ ، ٣٩ ، ٢٩٤ ، ٩٨ ،
خوفو : ١٩ ، ٢٦ .	خالد بن يزيد العبسي : ١٧٦ ، ١٧٨ ،
خير بن شاكر فائر : ٥٦٨ .	١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢١١ .

حرف الدال

دوميتان (امبراطور روماني) : ١١٧ ،	الداخل - انظر عبد الرحمن بن
١١٨ .	معاوية الداخل .
دوميتانوس (قائد روماني) : ٦٣ .	داهوبير : ٣١٩ .
دونات (أسقف) : ١٣٢ .	دوزي (مستشرق هولندي) : ٢٤٧ .
ديديه (ملك) : ٣٢٠ .	دوق اكينانبا : ٣٢٣ ، ٣٣١ .
دهيوس : ٢٤٠ .	

حرف اللال

ذات اللطاقين (انظر اسماء بنت	أبي بكر) .
-------------------------------	-------------

حرف الراء

- | | |
|--------------------------------------|-----------------------------------|
| رودريك : ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، | الرازي : ٢٤١ . |
| ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، | راميرو الأول (رذمير) : ٤٦١ . |
| ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ١٨١ ، ٢٩٦ ، | راميرو الثالث : ٥٠٣ . |
| ٣٩١ ، ٤٠٣ ، ٤٢٩ . | راميرو الثاني : ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، |
| رولو (زعيم الدانمراك) : ٥١٢ . | ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ . |
| رومانوس ديوجين : ٥٥٠ . | راميرو بن سانشو : ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، |
| رومولوس : ٢٤ . | ٥٥٠ . |
| روميرو الثاني : ٤٦٤ ، ٤٦٥ . | رايدوسيا : ٥٥٠ . |
| رويغ بن ثابت الأنصاري : ١٥٠ ، | ربيع (أسقف) : ٥٧٢ . |
| ٢٢٦ . | رذمير بن شانجة : ٥١٩ ، ٥٢١ . |
| ريشارد الأول (دوق نورماندي) : | الرماس بن عبد الرحمن : ٥٥٧ . |
| ٥١٢ . | روبرت (ملك فرنسا) : ٥٣٩ . |
| ريمون برغار الأول (امير برشلونة) : | روبرت سوزي (شاعر) : ٣٥٨ . |
| ٥٣٩ . | روجر توسين : ٥٣٩ . |

حرف الزاي

- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| زخرف (أم الحكم بن هشام بن عبد | زائدة بن قدامة الثقفي : ١٧٢ . |
| الرحمن الداخل) : ٥٦١ . | زاوي بن زيري بن مناد : ٥٢٥ . |
| أبو زرعة (شيخ البرابرة) : ٢٦٠ ، | الزبير بن الموام : ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، |
| ٢٧٢ . | ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٥ ، |
| زرعة بن أبي مدرك : ١٩٥ ، ١٩٦ . | ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، |
| زروال بن حمريل : ٥١٤ . | ١٠٥ ، ٢٣٢ . |

زياد بن أبيه : ٩٨ .	زهير بن قيس البلدي : ١٣٦ ، ١٣٨ ،
زياد بن أفلح الناصري : ٥٧٦ .	١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
زياد بن النابغة التميمي : ٣٠٩ ، ٢٩٩ .	١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
زيادة الله بن إبراهيم بن الأغب : ٣٨٤ .	١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ،
ابن أبي زيد : ١٨٩ .	٢٠٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ،
زيري بن مناد : ٥٢٥ .	٢٣٤ ، ٢٣٥ .

حرف السين

ستالين جوزيف : ٨٦ .	سارة بنت ألتند (المعروفة بالقوطية) :
سخية بنت هاشم بن سعيد بن سهم	٣١٢ .
(أم عمير بن وهب الجمحي) :	ابن سالم : ٤٢٨ .
١٠٤ .	سانشو الأول - شانجة بن أردنيو
سعيد بن سليمان بن جودي لائر : ٥٦٨ .	الثالث : ٥٠٢ ، ٥٠٣ .
سعيد بن مستنه (لائر) : ٥٦٨ .	سانشو ملك نافار : ٤٥٣ ، ٤٦٣ ،
سعيد بن المنذر بن عبد الرحمن بن	٤٧٨ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،
الحكم : ٤٨٠ ، ٥٧٠ .	٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ،
سعيد بن هذيل (لائر) : ٥٦٨ .	٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٣٩ .
سعيد اليحصي (المطري) : ٥٥٦ .	سانشو بن روميرو الثاني : ٤٦٥ .
سلة بن سلامة بن وقش : ١٠١ .	سانشو غربية الثاني (ابن غربية
سلوقس : ٢٣ .	فراندرز) : ٥٠٤ .
ابن السليم (لائر) : ٥٦٨ .	سانشو بن فرانندو الأول : ٤٥٩ .
سليمان عليه السلام : ٢٥١ ، ٣٠١ ،	سانشو بن فرويلا (فرويلة) : ٤٦٤ .
٣٠٣ ، ٣٠٤ .	سانشو جارسيا انيجو : ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

٣١٥ ، ٣٢١ ، ٢٢٣ ، ٣٢٥ ،
 ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٥٦٠ .
 سهل (الفقى الكبير) : ٥١٦ ، ٥١٨ .
 سهيل بن عبدالله (مولى بنى مخزوم) : ٣٠٩ .
 سياغريوس (ملك) : ٣١٩ .
 سيرين (جارية الرسول ﷺ) اهداها
 لسان بن ثابت (: ٤١ ، ٤٢ .
 سيسبون (ملك) : ٢٤٧ .
 سيف الدولة : ٥٤٧ .
 سيليان (أسقف) : ١٣٢ .

سليمان بن عبد الرحمن البائسي :
 ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٥٥٩ ،
 ٥٦٠ ، ٥٦٢ .
 سليمان بن عبد الملك : ٢٩٥ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
 ٣١٠ ، ٣٥٠ .
 سليمان الكلبي : ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٥٥٧ .
 سليمان بن محمد الشذوني : ٥٦٨ .
 سليمان السلجوقي : ٥٥٠ .
 السمع بن مالك الخولاني : ٣٠٩ ،

حرف الشين

٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٥٤٥ .
 شانجة بن رذمير : ٥١٠ .
 شانجة بن غرسية بن شانجة : ٥١٩ ،
 ٥٢٧ .
 شانجة بن قرويلة : ٥٧٣ .
 شبيب بن قيس الخارجي الشيباني :
 ١٧٢ .
 شريك بن حمي المرادي : ٦٣ ، ١٥٢ ،
 ٢٣٢ .
 أبو الشاخ : ٤٠٣ .
 شرويه (أخو مردان شاه) : ٣١ .
 شيلديير (ورقة كلوفيس) : ٣١٩ .

شارل الأصغر : ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ،
 شارل البدين : ٤٧٣ .
 شارل البسيط (انظر شارل البدين) :
 ٤٧٣ .
 شارل مارتل بن بيبان : ٢٨٧ ، ٣١٩ ،
 ٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ،
 ٤٧١ ، ٤٧٢ .
 شارلمان : ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،
 ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ،
 ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٠٩ ،
 ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٦ ،

حرف الصاد

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم: ١٠٠.	أبو صالح: ١٧٨، ١٨٠.
الصميل: ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣٥٥.	صبح البشكنية: ٥٢٢.
صولات بن وزمار الزناتي (ملك البربر): ١٤٥.	صفرونيوس (بطريك القدس): ٣٣.
	صفوان بن أمية: ١٠٥.

حرف الضاد

الضحاك بن قيس: ١٦٦، ٣٠٨.	ضريس: ١٠٧.
--------------------------	------------

حرف الطاء

طالوت بن عبد الجبار الماعري: ٥٦٢.	طارق بن زياد: ١٩٧، ٢٥٠، ٢٥١.
طروب أم محمد بن عبد الرحمن: ٥٦٥.	٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٠.
طريف (بربري): ٢٦٠، ٢٧٢، ٢٩٥.	٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥.
طفرك بك: ٥٤٩.	٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩.
ابن الطفيل: ٣١٣.	٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣.
طهمان مولى عثمان بن عفان: ١٧٢.	٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠.
طوطه (زوجة شاتشو جارسيا):	٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤.
٤٥٥، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧.	٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١.
٤٩٩، ٥٧٣.	٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨.
طويل: ٤٠٢.	٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦.
	٣١١، ٣١٢، ٣٣٦، ٥٧٨.

حرف العين

عبد الرحمن الأوسط (انظر عبد
 الرحمن بن الحكم) .
 عبد الرحمن الثالث (انظر عبد الرحمن
 الناصر) :
 عبد الرحمن بن حبيب الفهري :
 . ٥٥٥
 عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد
 الرحمن الداخل : ٣٦٨ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤١٢ ،
 ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٥١٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ،
 . ٥٦٤ ، ٥٦٥
 عبد الرحمن الداخل (انظر عبد
 الرحمن بن معاوية) .
 عبد الرحمن بن رماحس : ٥٠٦ ،
 . ٥١٢ ، ٥١٣
 عبد الرحمن الناصر : ٤٤٩ ، ٤٥٢ ،
 ٤٥٥ ، ٤٦٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٧ ، ٤٧٥ ،
 ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،
 ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٥ ،
 ٤٩٦ ، ٥٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ،

هائشة أم المؤمنين : ٢٣٠ .
 العاص بن وائل (والد عمرو بن العاص) :
 . ٢٢٧ ، ٢٢٨
 هاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل
 (زوجة الزبير) : ١٠١ .
 أبو عامر السلي : ٢٤٢ .
 أبو عامر (المنصور) : ٤٤٧ ، ٥٢٣ ،
 . ٥٢٤ ، ٥٢٦
 عامر بن أبي جوشن : ٤٨٧ .
 هبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي :
 ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٦ ،
 . ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٦
 هباص بن قاصح : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،
 . ٥٦٤
 عبد الحميد بن بسيل : ٤٨٦ .
 عبد الحميد بن غانم : ٣٦٤ .
 عبد الحميد بن مغيث : ٤٣١ .
 ابن عبد ربه : ٥٦٩ .
 عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج :
 . ٤٥٢
 عبد الرحمن بن الأشعث : ٤٧٢ ،
 . ٣٠١

عبد العزيز بن عثمان أبو الأصبع :
. ٥٧٥

عبد العزيز بن مروان : ١٨٧ ، ١٩١ ،
. ٢٣٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ .

عبد العزيز بن موسى بن نصير : ٢٥٤ ،
٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،
٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٥٠ .

عبد السلام بن يزيد بن هشام (اليزيدي) :
. ٥٥٨

عبد القافر اليحصي : ٥٥٧ .

عبد الكرم بن عبد الواحد بن مفيث :
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ،
٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٦١ .

عبدالله (المعروف بابن البلسي) :
. ٤٠٣

عبدالله بن الأغلب : ٣٨٤ .

عبدالله بن جدعان : ٩٨ ، ٢٢٧ .

عبدالله بن جعفر : ٢٢٤ .

عبدالله بن الحاجب التنصور : ٥٢٦ .

عبدالله بن الحجاب : ٢٠٥ .

عبدالله بن حذافة السهمي : ٦١ ، ٧٦ ،
. ٨٨ ، ١٠٢ .

عبدالله بن رياحين : ٥٠٦ .

عبدالله بن الزبير بن العوام : ٥٩ ،

٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥١٠ ، ٥٢٤ ،

٥٣٧ ، ٥٤٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ،

٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

عبد الرحمن النافقي : ٣١٥ ، ٣٢٣ ،

٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٥٠ ،

. ٣٥٣

عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله

(الثالث) (انظر عبد الرحمن

لناصر) .

عبد الرحمن ابن الأمير محمد بن عبد

ابن عبد الرحمن بن الحكم :

٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٦٩ .

عبد الرحمن بن مروان الجلبعي (قائرا) :

. ٥٦٨

عبد الرحمن بن معاوية - الداخل :

٣١٢ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥١ ، ٣٦٠ ،

٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،

٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٤٠٨ ،

٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ،

٤٢١ ، ٤٦٩ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ،

٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ،

عبد الرحمن بن وضاح : ٤٨٦ .

عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن هاشم

التجيبى : ٥٢٦ ، ٥٢١ .

٢٢٤ ، ٢٢٦ .
 عبد الله بن عمرو بن العاص : ٦٣ ، ٦٤ ،
 ٦٥ ، ٨٨ ، ٢٢٤ .
 عبد الله بن غرسية بن فردلند : ٥٢٦ .
 عبد الله بن قيس : ٤٨ ، ٢٠٩ ،
 ٢٢٦ .
 عبد الله بن كليب : ٤٧٧ .
 عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن :
 ٤٤٧ ، ٤٥١ ، ٤٥٥ ، ٤٦٩ ، ٥٦٧ ،
 ٥٦٨ ، ٥٦٩ .
 عبد الله بن مرة : ١٩٨ .
 عبد الله بن مسعود : ١٠١ .
 عبد الله بن موسى : ١٩٢ ، ١٩٣ ،
 ٢٧٤ .
 عبد الله بن نافع بن الحرث : ١٤٠ .
 عبد الله بن نافع بن عبد قيس : ١٤٠ .
 عبد الله بن يزيد : ٣٠٩ .
 عبد الملك (جد المتصور أبي هاجر) :
 ٥٧٨ .
 عبد الملك بن أبي الجواد (ثائر) :
 ٥٦٨ .
 عبد الملك بن جهور : ٥٧١ .
 عبد الملك بن حبيب : ٤٠٧ .
 عبد الملك بن حنشين : ١٩٢ .

١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
 ١٧١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ،
 ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٩٤ .
 عبد الله بن سعد (انظر عبد الله بن سعد
 ابن أبي سرح) .
 عبد الله بن سعد بن أبي السرح : ٧٣ ،
 ٧٤ ، ٩٧ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
 ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 ١٤٨ ، ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ .
 عبد الله ابن طروب (انظر عبد الله بن
 عبد الرحمن بن الحكم) .
 عبد الله بن عباس : ٢٢٤ .
 عبد الله بن عبد الرحمن (الداخل) :
 ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٧ ، ٤٥٢ ، ٤٧٥ ،
 ٥٦١ .
 عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن
 هشام : ٥٦٥ ، ٥٦٧ .
 عبد الله بن عبد الرحمن الناصر : ٥٧٠ ،
 ٥٧٧ .
 عبد الله بن عبد الملك بن مروان :
 ٣٠٢ .
 عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١٥٠ ،

- عبد الملك بن العباس : ٤٢٩ .
 عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث :
 ٣٧٣ ، ٣٧٥ .
 عبد الملك بن قطن الفهري : ١٨٥ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٣ .
 عبد الملك بن مروان : ١٤٨ ، ١٥٠ ،
 ١٥٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
 ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
 ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
 ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
 ٣١٠ ، ٥٥٧ .
 عبد الواحد بن يزيد (الاسكندراني) :
 ٤٠٤ .
 عبد الوهاب (نثر) : ٥٦٨ .
 أبو عبدة : ٣١٣ .
 عبدة بن : ٣٩١ .
 أبو عبيد البكري : ٢٤٢ .
 أبو عبيد الثقفي : ٣٣٣ .
 عبيد الله بن ابان بن معاوية بن هشام :
 ٥٥٨ .
 عبيد الله بن عبد الله البلسي : ٤٠٢ ،
 ٤٠٤ .
 عبيد الله بن عثمان أبو مروان : ٥٧٥ .
 عبيد الله الفاطمي : ٥٠٥ .
- عبيد الله بن قاسم : ٥٧٧ .
 عبيد الله المهدي : ٥٠٤ .
 أبو عبيدة : ١٩٦ .
 أبو عبيدة بن الجراح : ٤٠ ، ٤٣ ،
 ٤٤ .
 عتاب بن ورقاء الخزاعي : ١٧٢ .
 عتبة بن عامر الجهني : ٨٨ ، ٧٦ ،
 ١٠٦ .
 أبو عتيك : ٢٣٦ .
 عثمان بن طلحة : ٤٣ ، ٩٨ .
 أبو عثمان عبيد الله بن عثمان : ٣٧١ .
 عثمان بن عفان : ٤٧ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ،
 ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٣٧ ،
 ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
 ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
 عثمان بن المثني : ٤٠٧ .
 عثمان بن عتبة بن نافع : ١٩٦ ، ٢٠٦ .
 ابن عذارى : ٤٣٥ ، ٥٧٤ .
 عتبة بن الحجاج السلولي : ٣٥٣ .
 عتبة بن نافع الفهري : ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
 ٨٨ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ،
 ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ،

٦٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ٩٧

٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦

١٠٧ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ٢٢٣

٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٣٠٦ .

عمر بن عبد العزيز : ٣٠٩ ، ٣٢١

٣٤٨ ، ٥٦٠ .

عمر بن علي القرشي : ١٥٣ .

عمر بن فصم الهزولي (نائر) : ٥٦٨ .

عمر بن أوس : ١٩٦ .

أبو عمرو أحد بن عبد ربه : ٤٥١ .

عمر بن بكر التميمي : ١٠٣ .

عمر بن جرموز التميمي : ١٠١ .

عمر بن العاص : ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٣

٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩

٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧

٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣

٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦

٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠

٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧

٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤

١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٤٠ ، ١٤١

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٠١

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥

١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١

١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠

٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨

٢٥٧ ، ٣٣٣ .

الملاء بن ميثب اليحصي : ٣٦٨

٥٥٦ .

علقمة بن رمية البلوي : ٢٣٣ .

علي بن رباح : ٢٨٢ .

علي بن أبي طالب : ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٣٨

١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

٢٣٣ .

عمر بن حفصون : ٣٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٣٥

٤٥٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩

٥٧٠ ، ٥٧١ .

عمر بن الخطاب : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤

٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٠

٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢

٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤٩ ،
. ٥٤٠

عياش ابن اخيل : ١٩٣ ، ١٩٥ .

عياض بن عقبة بن نافع : ١٩٥ ،
. ١٩٦

عيسى عليه السلام (وانظر المسيح) :
. ٥٢٨

عيسى بن الحسين الحاجب : ٤٢٦ .

عيسى بن سعيد الحاجب : ٤٠٧ .

عيسى بن فطيس : ٥٧٥ .

عيسى بن مزاحم : ٣١٢ .

٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٣ ،

٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،

. ٢٣٣ ، ٢٣٤

عمروس (امير سرقطة) : ٤٠١ .

عمروس بن يوسف : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ،

. ٣٩١ ، ٥٦١ .

عمريل بن تيمرت : ٥١٤ .

عمير بن سعيد : ٣١٢ .

عمير بن وهب الجمحي : ٦٢ ، ٧٦ ،

. ٨٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

عنبية بن سحيم الكلبي : ٣١٥ ،

حرف الغاين

غربية بن سانشو (انظر جاريسيا) :
. ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٥٢٧ .

غربية شانشير : ٤٢٧ ، ٤٥٦ ،
. ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٦ .

غربية بن فردلند بن غنسد شالب
صاحب قشتاله : ٥١٣ ، ٥١٩ ،

. ٥٢٠ ، ٥٢٦ .

غربية ابن فراندو الاول : ٤٥٩ .

غربية فراندوز بن فرنان كوثالت :
. ٥٠٤

غالب بن عبد الرحمن (امير البحر) :
. ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥١١ ،

٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ،
. ٥٢٤ ، ٥٢٣ .

غالب الناصري : ٥٢٤ ، ٥٢٤ ،
. ٥٧٦

ابن غانم : ٤٠٢ .

غثون : ٤٢٣ .

غربية (ابن اخي فراندو) : ٤٥٨ .

غربية بن شالحية : ٥٧٣ .

- | | |
|---------------------------|------------------------------------|
| غودريان : ٧٨ . | غليوم (كونت بروفانس) : ٥٤٨ ، ٣٤٤ . |
| غيدون بن ألبرت : ٥٧٣ . | غليوم (كونت تولوز) : ٣٧٣ ، |
| غيطشة : ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ . | ٣٧٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ . |

حرف القاء

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| فرذلند بن غند شلب : ٥١٠ . | فاطمة (عليها السلام) : ٥٥٦ . |
| فران كوتفالت : ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٩ . | الفاكهة بن المغيرة : ٩٨ ، ٢٢٧ . |
| فراندرين سانو الكبير : ٤٥٦ ، | فاليا : ٢٤٠ . |
| ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ . | الفي الكبير الجعفري . |
| فروية ملك أشتوريس (فارويلا) : | فرتوب بن لب : ٥٢١ . |
| ٤٦٢ ، ٤٦٤ . | فرتون بن جاريسا انيجيز : ٤٥٥ . |
| ابن قطيس : ٥١٢ . | فرتون بن غرسية : ٤٢٨ . |
| فلورا : ٤١٧ . | فرتون محونس : ٥٢١ . |
| فوكاس : ١٣١ . | فرتون بن موسى : ٤٠٣ . |
| فيفر ابن دوق اكيثانيا : ٣٥٩ . | فرج بن كنانة : ٣٧٦ . |
| فيليب الثاني : ٢٣ . | فرج بن مسرة : ٤٠٢ . |
| فيلشيا : ٥٥١ . | فرديناند (حاكم قشتالة) : ٥٧٣ . |
| | فرذلند جنثالت (ملك قشتاله) : |
| | ٥١٤ . |

كلوديوس، بصليموس : ١٢٤ .	١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ،
كلوفيس الأول : ٣١٩ .	٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
كليوباترة : ٢٥ .	٢٣٤ .
الكونت كونراد : ٣٤٢ .	كلوتير (ورثة كلوفيس) : ٣١٩ .
الكونت هوغ (ملك بروفانس) :	كلود (كاهن) : ٢٥٠ .
٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٥٤٧ .	كلودومير (وريث كلوفيس) :
كوزالوين سانشو الكبير : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .	٣١٩ .
كوتيسة برشلونة : ٥٣٩ .	كلوزويتز : ٩١ .

حرف اللام

٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ .	لب بن الطريشة : ٤٨٠ .
لويس الثاني الصغير ابن لويس : ٤٧٣ .	لب بن موسى بن فرتون : ٤٥٤ ،
لويس الحليم : ٣٩٩ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،	٤٥٥ .
لويس الجرمانى (الثالث) : ٤٧١ ،	اللخمي (قائد لعمر بن العاص) :
٤٧٢ ، ٤٧٣ .	٥٠ .
لوسبوس كويتوس البربري : ١١٧ ،	الليث : ٣٠٠ .
١١٨ .	لذريق : ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ،
ليليان : ١٦٢ .	٢٨٠ ، ٣٩١ .
ليوتيبوس : ١٨٠ .	لوثر الأول : ٤٧١ ، ٤٧٢ .
ليون بن ألفونس (أردون بن	لوثر الثاني : ٤٧٢ .
أذفونش) : ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ .	لويس : ٣٣٩ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ،
ليونيتوس : ١٧٩ .	٣٨٨ ، ٣٨٩ .
	لويس التقي (الضعيف) (الثاني) :

حرف الميم

- الأمون : ٤٧٤ .
 الأمون ابن ذي النون : ٤٥٨ .
 ماريا (مرتبة) (أم عبد الرحمن
 الناصر) : ٥٦٩ .
 حارية (جارية الرسول ﷺ) : ٤١ ،
 ٤٢ .
 ماكسن بن زيري بن مناد : ٥٢٥ .
 مانويل : ٤٠ .
 ماوتسي تونغ : ٩١ .
 المتوكل بالله : ٤٧٢ .
 محمد رسول الله ﷺ : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ،
 ٥٩ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ،
 ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ،
 ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٦٢ ، ١٨٩ ،
 ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ،
 ٢٥٢ ، ٣٥٨ ، ٤١٧ ، ٤١٨ .
 أبو المحجن الثقفي : ١٦٥ .
 محمد بن أحمد بن أمية بن شهيد :
 ٥١٦ .
 محمد بن أضحى (كبير العرب) آثار :
 ٥٦٨ .
 محمد بن أفلح (حاكم تامرت) : ٥٦٦ .
 محمد بن أفلح الناصري : ٥٧٦ .
 محمد بن اوس الانصاري : ١٦٥ .
 محمد بن أبي بكر : ١٤٧ ، ١٧٣ ،
 ٢٣٣ .
 محمد بن أبي حذيفة : ١٤٧ ، ٢٢٤ ،
 ٢٣٢ .
 محمد بن الزبير بن العوام : ٥٩ .
 محمد بن سليم : ٤٢٨ .
 محمد بن طلس (انظر محمد بن
 القاسم بن طلس) .
 محمد بن أبي عامر المافري ابو عامر
 محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (ابو
 عبد الله) : ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ،
 ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ،
 ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ،
 ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٧ ،
 ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٩ ،
 ٥٦٥ ، ٥٦٦ .
 محمد بن عبد الرحمن (المعروف

سروان بن موسى : ١٩٢ ، ١٩٥

١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٨١ .

مرياف (ملك) : ١٨٤ ، ١٨٥ .

مريم (عليها السلام) : ٣٣ .

مزتون (زعيم البشكنس) : ٢٩٠ .

المستمين بالله : ٤٧٤ .

المستنصر بالله (الحكيم بن عبد الرحمن) :

٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ،

٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،

٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ،

٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ،

٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٣٧ ، ٥٧٤ ،

٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ .

مسعود بن عبد الله العريف : ٤٢٥ .

مسلة بن عبد الملك : ١٠ ، ٣١٠ ،

٥٥٤ .

مسلة بن غنك الانصاري الخزري :

٥٤ ، ٧٨ ، ١٥٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

المسيح (وانظر عيسى ابن مريم) :

٣٢ ، ٣٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٣ ،

٣١٤ .

ابن مصاد : ١٦٥ .

مصقلة بن صيرة : ٣٣٣ .

مضا بن حمزيل : ٥١٤ .

بالشيخ) : ٥٧٠ .

محمد بن عبد الرحمن (ابن الشيخ) :

٤٨٧ .

محمد بن عمر بن لبابة المالكي :

٣١٢ .

محمد الفاتح (السلطان المثنائي) :

٢٥ .

محمد بن القاسم بن طيس : ٥٧٧ .

محمد بن قاسم الناصر : ٥٠٦ .

محمد بن لب : ٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ،

٥٦٧ .

محمد الناصر بن يوسف : ٥٥٢ .

محمد بن محمد : ٤٨٥ .

محمد بن هشام التجيبي : ٤٩٦ ، ٤٩٧ ،

٥٠٠ .

محمود بن عبد الجبار : ٤١٣ ، ٤١٥ .

مردانشاه : ٣١ .

المدلبي : ٧١ .

مرجانة (أم المستنصر بالله) : ٥٧٤ .

مريقيانوس : ٣٣ .

مركيز البروفانس : ٥٧٣ .

يعيسى التجيبي الأنقر : ٥٦٨ .

مركيز تسكانيا (انظر عيدو بن

ألبرت) .

مروان بن الحكم : ١٦٦ ، ٢٩٤ .

- المطرف بن عبد الله : ٥٦٩ .
 مطرف بن المغيرة بن شعبة : ١٧٢ .
 مطرف بن غلاف التجيبي : ٤٩٦ .
 مطرف بن موسى ذي النون : ٤٨٥ .
 مطروح بن سليمان بن يقظان : ٣٧١ .
 معاوية بن حديج السكوني : ١٣٤ ،
 ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ .
 معاوية بن أبي سفيان : ٤٥ ، ٩٨ ،
 ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
 ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
 ١٥٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٩٤ .
 معاوية بن يزيد : ٢٣١ .
 المعتمد بن عباد : ٤٥٨ .
 المعتمد : ٣٦٨ ، ٤٧٤ .
 المغزاري (ملك البربر) : ١٤٥ .
 مغيث الرومي (ابن الحارث بن الحويرث
 ابن جبلة بن الأيهم) : ٢٥٤ ،
 ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
 المغيث اليحصبي : ٤٠٨ .
 المغيرة بن أبي بردة : ١٩٥ .
 المغيرة بن الوليد بن معاوية : ٥٥٧ ،
 ٥٥٨ .
 المقندر : ٥٦٩ .
 المقداد بن عمرو : ٨٧ .
 المقداد (ابن الأسود) : ٥٤ .
 المقري : ٣٣٣ .
 المقوقس : جريج بن ميناء بن فرقب
 (حاكم مصر) : ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٠ ،
 ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ،
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٢ ،
 ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
 ١٠٧ .
 ملك آشتورية : ٣٨٨ ، ٣٨٩ .
 مكسيم (الراهب) : ١٣٢ ، ١٣٣ .
 المنتصر بالله : ٤٧٤ .
 منديث كوثالث : ٤٦٥ .
 المنذر بن عبد الرحمن بن الحكم :
 ٤٠٤ ، ٤٢٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٢ ،
 ٤٧٥ ، ٤٨١ .
 المنذر بن محمد بن عبد الرحمن : ٤٥٥ ،
 ٤٦٩ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ .
 المنصور بن أبي عامر : ٤٣١ .

٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ،
 ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
 ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٧ ،
 ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٥٠ ، ٤٠٨ .

موتقنومري : ١٠ .

مهاية بنت جابر الأشعري : ٢٢٣ .

أبو المهاجر دينار : ١٣٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ،

٢٠٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

ميخائيل الرابع : ٥٥٠ .

ميروني (ملك) : ٣١٩ .

ميسور الصقلي : ٥٠٥ .

ميشليه مؤرخ فرنسي : ٢٤٧ .

ميمون العابد (جد بني حزم) : ٣١٣ .

مينا (يفرمر) (ملك مصري) :

١٩ ، ٣٦ .

المنصور (أبو عامر) محمد بن عبد الله

ابن عامر بن أبي عامر : ٥٧٨ ،

٥٧٩ ، ٥٨٠ .

المنصور الخليفة العباسي : ٣٤٤ ،

٣٦٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦١ .

منقرع : ١٩ ، ٢٦ .

منويل الخصي : ٧٢ ، ٧٤ .

مؤنس (مولى المعتذر) : ٥٦٩ .

المؤيد (هشام بن الحكم المنتصر) :

٥٢٢ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ .

موريس : ١٣١ .

موسى (عليه السلام) : ٢٤٧ .

موسى بن أحمد بن حدير : ٥٧٥ .

موسى بن أبي العافية : ٥٠٥ .

موسى بن فرتون بن قسي : ٤٥٤ .

موسى بن موسى : ٤٠٤ ، ٤٠٥ ،

٤٠٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨ ،

٤٥٤ .

موسى بن نصير : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٨٩ ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،

١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،

حرف النون

- | | |
|--|---|
| <p>أبو نصر : ٢٩١ .</p> <p>نصر الحصي : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٥٦٥ .</p> <p>نقفور (البطريق) : ١٤٩ .</p> <p>نقفور فوقاس : ٥٤٧ ، ٥٤٨ .</p> <p>نقنياس بن جريجوريوس : ١٣٢ .</p> <p>نوفل : ١٠٠ .</p> <p>نيسيفور البطريق (انظر نقفور) .</p> <p>نيقه بن بلشك : ٥٢١ .</p> | <p>النايفة (أم عقبه بن نافع : ٢٢٧ .</p> <p>نابليون بونابرت : ١٧ .</p> <p>ناريس : ١٢٠ .</p> <p>الناصر (انظر عبد الرحمن الناصر) .</p> <p>نافع بن عبد القيس : ٢٢٧ .</p> <p>نجدة الحيري : ٤٩٧ .</p> <p>نجدة الصقلي : ٤٩٨ ، ٥٠٠ .</p> <p>نجدة بن مقسم : ١٩٥ .</p> |
|--|---|

حرف الهاء

- | | |
|--|--|
| <p>هشام بن الحكم : ٤٥٦ .</p> <p>هشام بن الحكم المستنصر (انظر المؤيد) .</p> <p>هشام بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٥٥٦ .</p> <p>هشام بن عبد الرحمن الداخل : ٣٥٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ .</p> <p>٣٨٤ ، ٤٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٥٥٩ .</p> <p>٥٦٠ ، ٥٦٢ .</p> <p>هشام بن عبد الملك : ٢٠٥ ، ٣١٢ .</p> <p>٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٥٥٤ .</p> | <p>هارفكتس (قيس) : ٤١٧ .</p> <p>هارون الرشيد : ٣٨٤ ، ٤١٠ ، ٤٧٣ .</p> <p>هاشم بن عبد العزيز : ٥٦٦ ، ٥٦٧ .</p> <p>هانيبال : ١١٤ .</p> <p>هاهيا (ملك) : ١٥٠ .</p> <p>هذيل بن هاشم : ٥١٠ .</p> <p>هرقل : ٣١ ، ٣٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٢ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .</p> <p>١٣٤ ، ١٤٢ .</p> <p>هرقل (الابن) : ١٣١ ، ١٣٢ .</p> |
|--|--|

- هولوديبوس : ٢٥ .
- هيثا روس (مطران) : ٤١٦ .
- ميروذوت : ١٧ ، ١٨ .
- هيلديريك : ١٢٠ .
- هيو الأول : ٥٥١ .

- هشام بن عروة : ٥٥٦ .
- هشام المصعفي : ٥٧٧ .
- هشام بن هذيل : ٥٧٢ .
- هلال بن ثروان اللواتي : ١٧٣ .
- هنري للبابوية : ٥٤٩ .
- هنريك بن جنسريك : ١٢٠ .

حرف الواو

- الوليد بن عبد الملك : ١٨٧ ، ٢١٩ .
- ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ .
- ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
- ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
- ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ .
- ولم حوق غاسكوننا : ٥٣٩ .
- ونقة بن شانجة (وانظر جاريسيا انيجيز) :
- ٤٥٣ .
- وهب الله بن حزم : ٤٠٦ .
- ويليم مونتراي (المقاتل النورماني) :
- ٥٥١ .

- الواثق بالله : ٤٧٤ .
- والثر المفلس : ٥٤٠ .
- أبو الورد النضري : ١٧٢ .
- وردان (مولى عمرو بن العاص) :
- ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٨ .
- ابن وسيم : ٤٠٧ ، ٤٠٨ .
- الوزير قند : ٥٢٧ .
- وقعة بن غيطشة (وانظر أخيلان بن
- غيطشة) : ٣١١ .
- الوليد بن الحكم : ٤٠٣ .
- وليد بن خيزران : ٥٧٧ .

حرف الياء

- يحيى التجيبي (تأثر) : ٤٩٧ ، ٥٠٦ ،
٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٦٨ .
- يحيى بن حكم : ٤١١ .
- يحيى بن سلمة الكلبي : ٣٢٩ .
- يحيى الغزال : ٣٦٨ .
- يحيى بن أبي الفتح : ٤٩١ .
- يحيى بن موسى : ٤٩١ .
- يحيى بن يحيى الليثي المصمودي :
٥٦٢ .
- يزيد بن خلف العبسي : ١٦٥ .
- يزيد بن عبد الملك : ٥٧٠ .
- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ١٣٨ ،
١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢١٤ ،
٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ .
- يزيد بن المهلب : ٣٠١ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ .
- يعقوب بن أبي خالد التويري : ٤٨٧ ،
٤٨٩ .
- يعقوب البراذهي برادبوسى : ٣٤ .
- يعلى بن أحمد بن يعلى : ٥١٨ ، ٥١٩ .
- بليان (حاكم ولاية طنجة) : ٢٤٨ ،
٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،
٢٧٤ ، ٢٧٦ .
- يوحنا زمكيس : ٥٤٨ .
- يوحنا كركواس : ٥٤٧ .
- يوسف بن بخت : ٣٧١ ، ٣٧٣ .
- يوسف بن تاشفين : ٥٣٨ .
- يوسف بن عبد الرحمن : ٣٣٥ .
- يوسف بن عبد الرحمن الفهري : ٣٥٥ ،
٣٥٩ ، ٥٥٦ .
- يوسف بن عبد المؤمن : ٥٣٨ ، ٥٥٢ .
- يوسف بن عمروس : ٣٩٠ ، ٣٩١ ،
يوقنا : ٨٢ .
- يولوجيوس : ٤١٧ .
- يوليوس قيصر : ٢٢٤ ، ٢٤٠ .
- يوليان : ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
٢٩٥ .
- يونييفاس : ١٢٠ .

٢ - فهرس المواقع والأماكن الجغرافية

حرف الألف

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| أجنادين : ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ١٠٧ . | آبار حديج : ١٥٢ . |
| جدابية : ١٢٦ ، ١٧٧ . | آدس (بحيرة) : ١٨٧ . |
| الأجم (مركبة) : ٨ ، ١٢ ، ١٣٥ ، | آراغون : ٣٦٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، |
| ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، | ٤٠١ . |
| ٢٢٦ . | آرل : ٣٣٥ ، ٤١٥ ، ٤٢٧ . |
| أحد : ٩٨ ، ١٠٥ . | آسفي : ١٢٥ ، ١٦٣ ، ٢١٥ . |
| أخيم : ٦٢ ، ١٠٣ . | آسيا : ١٧ ، ٢٥ ، ١١٦ ، ٣٤٥ . |
| أخيت أتون : ٢١ ، ٢٧ . | آسيا الصغرى : ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٠ . |
| أذربيجان : ١٣٧ . | آشور : ٢٤٦ . |
| اراغون : ٤٥٦ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ . | آغيمورت : ٤١٦ . |
| أربة : ١٦١ . | آليريه : ٤١٠ . |
| اربونة - وانظر فاربون : ٢٨٦ ، | آلامانيا : ٣٦٠ . |
| ٢٨٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٥ ، | ابرلنقة : (زلزلة) : ٥١٧ . |
| ٣٥٣ ، ٣٦٧ ، ٤٠٤ ، ٥٤٩ . | أبو بعبتس : ٦٠ . |
| الأردن : ٣٥٥ . | ابوليا : ٥٤٩ . |
| أردون : ٤٢٧ . | أبيط : ٢٩١ . |
| ارض الأندلس : ٥٣٧ . | اينتون : ٣٣٥ . |
| أرض دمشق : ٥٥٤ . | الاتحاد السوفياتي : ٩ ، ١٠ . |
| أرض الذاب : ١٦٤ . | أثينة : ٢٢ . |

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤
 ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦
 ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤
 ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٧
 ١٤٠ ، ٢٢٥ ، ٢٤٧ ، ٤٠٩
 . ٥٧٦
 أسوان : ١٨ .
 أشبونة : ٤٦١ .
 أشبيلية : ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦
 ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٣
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ، ٣١٢
 ٣١٣ ، ٣٥٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧
 ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٧ ، ٤٢٧
 ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٩
 ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٥٤١
 ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧
 ٥٦٨ ، ٥٧١
 اشتريش : ٤٥٩ .
 اشثوريش (وانظر جيليقية) : ٢٤٥
 ٢٩١ ، ٤٥٦ ، ٤٦٠ ، ٤٦١
 ٤٦٢ ، ٥٢٩ ، ٥٤٣
 اشثورية : ٣٦٦ .
 أشدود : ١١٢ .
 الأشراف (غزوة) : ١٩٣ .

الأرك : ٥٣٨ .
 أرمينيا : ٢٥ ، ٣١ ، ٣٩ ، ١١٨
 ١٣٧ ، ٥٤٩ .
 أريولة : ٤٢٧ ، ٤٧١ .
 الأزبكية وانظر أم دنية (كان اسمها
 سابقاً) : ١٠٣ .
 أزيونة : ٢٨٧ .
 اسارير : ٤٩٠ .
 أسبارطة : ٥٢٢ .
 إسبانيا : ٩ ، ١٤ ، ١١٣ ، ١١٩
 ١٩٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧
 ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٧
 ٣١٧ ، ٣٣٠ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦
 ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ .
 استرقة : ٤٦١ .
 استجة : ٢٦٨ .
 استرقة : ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٠
 ٣٧٥ .
 استركور : ٥٢١ .
 استورقة : ٤٧٦ .
 اسفاقس : ٥٧٢ .
 الإسكندرية : ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٤
 ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٨
 ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦

' ١٥٧ ' ١٥٨ ' ١٦٠ ' ١٦٥ ' ١٦٥
 ' ١٦٧ ' ١٦٨ ' ١٧٠ ' ١٧١ ' ١٧١
 ' ١٧٢ ' ١٧٣ ' ١٧٤ ' ١٧٥ ' ١٧٥
 ' ١٧٦ ' ١٧٧ ' ١٧٨ ' ١٧٩ ' ١٧٩
 ' ١٨٠ ' ١٨٣ ' ١٨٥ ' ١٨٧ ' ١٨٧
 ' ١٨٨ ' ١٨٩ ' ١٩١ ' ١٩٢ ' ١٩٢
 ' ١٩٣ ' ١٩٧ ' ١٩٨ ' ١٩٩ ' ١٩٩
 ' ٢٠١ ' ٢٠٢ ' ٢٠٤ ' ٢٠٥ ' ٢٠٥
 ' ٢٠٦ ' ٢٠٨ ' ٢٠٩ ' ٢١١ ' ٢١١
 ' ٢١٢ ' ٢١٣ ' ٢١٤ ' ٢١٥ ' ٢١٥
 ' ٢١٦ ' ٢١٧ ' ٢١٨ ' ٢١٩ ' ٢١٩
 ' ٢٢١ ' ٢٢٢ ' ٢٢٤ ' ٢٢٥ ' ٢٢٥
 ' ٢٢٦ ' ٢٢٧ ' ٢٢٨ ' ٢٢٩ ' ٢٢٩
 ' ٢٣٠ ' ٢٣١ ' ٢٣٢ ' ٢٣٣ ' ٢٣٣
 ' ٢٣٤ ' ٢٣٥ ' ٢٣٩ ' ٢٤١ ' ٢٤١
 ' ٢٤٧ ' ٢٤٩ ' ٢٥٠ ' ٢٥٨ ' ٢٥٨
 ' ٢٦٧ ' ٢٧١ ' ٢٧٢ ' ٢٩٥ ' ٣٠١ ' ٣٠١
 ' ٣٠٢ ' ٣٠٣ ' ٣٠٩ ' ٣١١ ' ٣١١
 ' ٣١٢ ' ٣١٢ ' ٣٣٨ ' ٣٥٠ ' ٣٥٠
 ' ٣٧١ ' ٣٨٤ ' ٣٨٨ ' ٤٠٨ ' ٤٠٨
 ' ٤٠٩ ' ٤١٠ ' ٤١٢ ' ٤٣٦ ' ٤٣٦
 ' ٤٠٤ ' ٤٠٦ ' ٤٠٤ ' ٤٥٢ ' ٤٥٢
 . ٥٢٦

افريقية البربرية : ٢٥٠ .

أشكونية : ٢٤٣ .
 الأشمونين : ٦٢ ، ١٠٣ .
 أشير : ١٢٥ .
 الأصنام (مدينة) : ١٢٧ .
 أصيلا : ١٢٥ .
 أطرابلس : ٣٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ،
 . ٨٣
 الأطلس الأعلى : ١٢٨ .
 الأطلس الأوسط : ١٢٨ .
 الأطلس التلي : ١٢٧ ، ١٢٨ .
 الأطلس الصحراوي : ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 . ١٢٩
 اطلس العليا : ١٩٤ ، ١٩٦ .
 أغادير : ١٢٧ .
 أغمات : ١٢٥ .
 افريقية : ٤٢٧ .
 أفريقيا : ٩ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ،
 ' ٨١ ' ١٠٩ ' ١١٥ ' ١١٦ ' ١١٨
 ' ١١٩ ' ١٢٠ ' ١٢١ ' ١٢٢ ' ١٢٢
 ' ١٢٣ ' ١٢٤ ' ١٢٥ ' ١٢٦ ' ١٢٦
 ' ١٢٧ ' ١٣٠ ' ١٣١ ' ١٣٢ ' ١٣٢
 ' ١٣٣ ' ١٣٤ ' ١٣٧ ' ١٣٨ ' ١٣٨
 ' ١٤٠ ' ١٤١ ' ١٤٢ ' ١٤٦ ' ١٤٦
 ' ١٤٧ ' ١٤٨ ' ١٤٩ ' ١٥٢ ' ١٥٥

امبورياس : ٤٦٠ .
 اتيشه : ٤٨٥ .
 أنيتب عين الطيب : ٥٤٨ .
 اتيفون : ٢٣ .
 اندرفاخ : ٤٧٣ .
 الأندلس (فاندالوسيا) : ١٢ ، ١١١ ،
 ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ،
 ١٧٩ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
 ٢٠١ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
 ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،
 ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ،
 ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
 ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،
 ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ،

أفريقية الشمالية : ١١ ، ١٢ ، ١٠٩ ،
 ١١١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٣٤ .
 افريقيا الوسطى : ١٨ .
 افغانستان : ٢٣ .
 افينيدن : ٢٨٧ .
 اكس لاشايل : ٤١١ .
 اkitانيا : ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ،
 ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ،
 ٣٦٠ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ .
 الألب : ٣٣٩ ، ٣٤١ .
 ألبه : ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ،
 ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٦١ ، ٤٨٠ ،
 ٤٩٠ ، ٤٩٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ،
 ٥٦٧ .
 ألبانيا : ٢٤٠ .
 ألبيرة : ٣٥٥ ، ٥٦٨ .
 أليتانيه : ٣١٩ .
 الأزراس : ٣٤٢ .
 المانيا : ٣٤٢ ، ٤٧٣ ، ٥٧٣ .
 المانيا الغربية : ٢٧٢ .
 أماية : ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ .
 أم دنين : ٣٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ،
 ٥٧ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٠٣ .
 أم القرى : ٣١٠ .

الاهرامات الكبرى : ١٩ ، ٢٦ .	٣٨٧ ، ٣٨٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧١
الأهزون : ٤٣١ .	٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٦ ، ٣٩٩ ، ٣٩٠
أويس : ١٢٦ .	٤١٦ ، ٤١٥ ، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤١٠
أوتان : ١٢٦ .	٤٣٦ ، ٤٢١ ، ٤١٩ ، ٤١٨ ، ٤١٧
الأودر : ١١٩ .	٤٥٠ ، ٤٤٩ ، ٤٤٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٢
الأوراس (جبال) : ١١٦ ، ١٢١ .	٤٧١ ، ٤٦٧ ، ٤٥٩ ، ٤٥٨ ، ٤٥٢
١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٥ ، ١٢٨	٤٧٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٥ ، ٤٧٤ ، ٤٧٣
١٨٣ ، ١٨٢ .	٤٩٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩١ ، ٤٨٠ ، ٤٧٩
أوربا : ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٣٥ .	٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٥ ، ٥٠٢ ، ٤٩٨
١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ .	٥٢٩ ، ٥٢٦ ، ٥٢٥ ، ٥٢٤ ، ٥١٢
١٢٠ ، ١٢٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .	٥٤١ ، ٥٣٩ ، ٥٣٨ ، ٥٣٧ ، ٥٣٦
٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ .	٥٤٧ ، ٥٤٥ ، ٥٤٤ ، ٥٤٣ ، ٥٤٢
٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٧٣ ، ٥٠١ ، ٥٢٨ .	٥٥٩ ، ٥٥٥ ، ٥٥٣ ، ٥٥٢ ، ٥٥١
٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ .	٥٦٧ ، ٥٦٥ ، ٥٦٤ ، ٥٦٢ ، ٥٦١
أوربا الشمالية : ٣٣٠ .	٥٧٣ ، ٥٧٢ ، ٥٧١ ، ٥٦٩ ، ٥٦٨
أوشليم : ٣١ .	٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ .
أوريط : ٤٠٢ .	الأندلس القوطية : ٢٤٨ .
أوسترازيه (مملكة) : ٣١٩ ، ٣٥٥ .	اندوجر : ٤٢٣ .
٣٥٧ .	الانديجا (انظر معركة الخندق) :
أوسمة (وخشمة) : ٤٦٣ .	٤٩٩ .
أوسيدا : ٤٥٨ .	أنطابلس : ١٧٦ .
أوغاريت : ١١٣ .	أنطاكية : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٥٥٠ .
أوفيدو : ٤٦٠ ، ٤٦٢ .	٥٥٢ .
اوقت : ٣٥٩ .	انطرسوس : ٥٤٨ .

٣٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٣٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٠

٤٧٢ ، ٤٠٩ ، ٣٧٣ ، ٣٦٠ ، ٣٥٤

٤٧٣ ، ٥٥١ .

الإيلب : ٣٢٠ .

إيليريا : ١٢٠ ، ٢٤٠ .

أيلوج : ٤٢٤ .

إيلياه (انظر القدس) .

أوكسير : ٤١٦ .

أوينه : ٥٣١ .

الاييرو (نهر أيره) : ٤٥٦ .

ايبيريا (وانظر الأندلس) : ٢٣٩ .

اينزا (اينشة) : ٤٧٨ .

إيران : ٢٣ ، ٧٩ .

أيسوس : ٢٣ .

إيطاليا : ١١١ ، ١٢٠ ، ٢٨٦ ، ٣١٥ .

حرف الباء

٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤

٦٥ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣

٨٥ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٣

١٠٥ .

باجة : ١٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢

٣٤٩ ، ٤٢٦ .

باجة الغرب : ٥٦٨ .

الباروتورس : ٢٨١ .

باريس (باريز) : ٣١٩ ، ٣٢٥

٣٣٠ ، ٣٣٩ .

الباسك : ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٧٠

٣٧٥ ، ٤٢٤ .

باشيلية : ٢٩١ .

باب الأبواب : ١٣٧ .

باب الأقباء : ٥٧٧ .

باب إلبة : ٤٠٠ .

باب تونس : ١٥٢ .

باب الجنان : ٥٧٧ .

باب السدة : ٥١٦ ، ٥٧٧ .

باب سليت : ٢٨١ .

باب شزورا (شيزورا) : ٣٣١ .

باب القصر (قرطبة) : ٥١٦ .

باب قصر الزهراء : ٥٧٧ .

باب النساء : ١٨٤ .

بايل : ٢٣ ، ٢٤٦ .

بايليون : ٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٣ .

- باغاية : ١٧٥، ١٦١ .
 باغو : ٥٦٨ .
 بافيه : ٣٢٠ .
 بالش : ٤٨٦ .
 بامبلوفا : ٣٣١ .
 ببروذ : ١٣٧ .
 بجانة : ٢٤٢ .
 بجاية : ٢٢٩ ، ١٢٥ .
 البحر الأبيض المتوسط : ١٧ ، ١٩ ،
 ١١١ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٠ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٨٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ،
 ٣٤٥ ، ٤١١ ، ٤١٦ ، ٥٠٥ .
 البحر الأحمر : ١٧ .
 البحر الأخضر : ٢٩١ .
 بحر إيجة : ٢٣ ، ٢٥ ، ١١٢ .
 البحر البيزنطي : ٢٠٩ .
 البحر الرومي : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٠٩ .
 بحر الزقاق : ٢٤٩ ، ٢٦٧ .
 بحر الشام : ٢٠٩ .
 بحر قزوين : ٢٣ .
 البحر المحيط : ١٢٤ ، ١٢٥ .
 بحيرة فاندا : ٢٦٦ .
 بجاية : ١٢٥ .
- براغ : ٩ .
 براغة : ٣٦١ .
 البرانس وانظر جبال البيرينه :
 ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٣١٧ .
 بريشار : ٤٣٦ ، ٥٢٢ ، ٥٦٦ ،
 ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧١ .
 البرقات (انظر جبال البيرينه) .
 البرتغال : ٤٥٩ .
 برج الشهداء : ٢٧٨ .
 برجنديا : ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٥٥١ .
 برجيه : ٤٢٩ .
 بردونيا : ٤٦١ .
 برديل (بوردو) : ٢٣٠ ، ٣٣١ .
 برذيشي (انظر فج برذيش) : ٤٣٠ .
 برشلونة : ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٨٦ ، ٣٥٢ ،
 ٣٦٦ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،
 ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ،
 ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،
 ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٢٦ ، ٥٣٧ ،
 ٥٣٩ ، ٥٤٧ ، ٥٧٣ .
 بر المدوة : ٢٦٧ .
 برغش : ٢٧٢ ، ٥٠٢ .
 برغنديا : ٣٢٥ ، ٣٤٩ .
 برقة : ٣٨ ، ٧٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ ،

- ٥٧٣ ، ٥٤٣ ، ٥٣٤ .
 بشامونة : ٤٨٨ .
 البصرة : ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٣٣ ، ٩٠ .
 بطشانة : ٥٥٥ .
 بطليوس : ٥٦٨ ، ٤٦٣ ، ٤٥٩ ، ٤٧٧ .
 بغداد : ٣٨٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧ .
 ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .
 بقيرة : ٤٨٦ ، ٤٨٥ ، ٤٨٤ .
 بلاد برقة (وانظر ليبيا) : ٢٥ .
 بلاد البربر : ٣١١ .
 بلاد البلقان : ٢٥ .
 بلاد الجريد توزر : ١٢٦ .
 بلاد الرافدين : ٢٣ .
 بلاد الشام : ٤٨ ، ٣٠ ، ٤٧٥ .
 بلاد الفال (انظر فرنسا) .
 بلاد ما بين النهرين : ١١٨ .
 بلاط الشهداء (معركة) : ٣١٨ ،
 ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ ،
 ٣٣٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ .
 ٤١٥ .
 بلاط لتريق : ٢٦٢ .
 بلاط مفيت : ٢٨٩ .
 بليس : ٨٠ ، ٧٧ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٣٧ .
 ٨٦ ، ٨١ .
- ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ،
 ١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ،
 ٢٢١ ، ٢١١ ، ٢٠٤ ، ٢٠١ ،
 ٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٤ .
 برهون : ٥١٨ .
 البروفانس (جبل) : ٣٢٣ ، ٣١٧ ،
 ٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٤١٠ ، ٤١٥ ،
 ٤٢٧ ، ٤٧٣ ، ٤٧٢ ، ٤٥٧ ،
 ٥٧٣ .
 بروفانسيا : ٢٤٠ .
 بريتانيا : ٤١٢ ، ٣٢٩ ،
 بريطانيا : ٢٤ .
 بزيوم : ١١٣ .
 بسرت : ٧١ .
 بسكرة : ١٢٦ .
 بسيط : ٤٠٠ .
 البشر : ١٠٣ ، ٦٢ .
 البشكنس - الباسك : ٢٩٠ ، ٢٦٢ ،
 ٣٧٠ ، ٣٦٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٠ ،
 ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٢ ، ٣٧٥ ،
 ٤٧٦ ، ٤٦٠ ، ٤٥٣ ، ٤٤٩ ،
 ٤٩٩ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥ ،
 ٥٢٦ ، ٥١٤ ، ٥١١ ، ٥١٠ .

- بقتيرة : ٤٧٨ .
 بلجيككا : ٧٨ .
 البلدة أو البيضاء : ٤٠٤ .
 بلهيت : ٦٩ .
 بلج : ٥٦٠ .
 بلغاريا : ١١ .
 البلقان : ١١ .
 بنسبة : ٢٨٥ ، ٣٨٦ ، ٤٨٧ ، ٥٥٢ ، ٥٦٢ .
 ببلوتا : ٢٩٠ .
 بنبلونة : ٢٦٢ ، ٣٧١ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤٢٧ ، ٤٥٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٧ ، ٥١٩ .
 بنزرت : ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ .
 بنسيو : ٢٨٤ .
 ببير (أم عبد الرحمن) : ٥٦٥ .
 بوآتييه : ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٥٠ .
 بونة : ١٢٦ ، ١٧٥ .
 بورتو - البرتغال : ٣٦١ ، ٥٣٠ .
 بوردو : ٣٥٠ .
 بورشاد : ٤١٠ .
 بورغونيا (ملكة) : ٣١٨ ، ٣٤٢ .
 بوسير : ٦٢ ، ١٠٥ .
 بينرا - امبيا : ٣٤٤ .
 بيجونت : ٣٣٨ .
 البيازين : ٥٥٣ .
 بياكرا : ٥٤٠ .
 البيرينيان : ٢٨٦ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ .
 بيرينيان : ٤١٠ .
 بيرة : ٢٤٢ ، ٢٧٠ .
 بيروت : ٥٥٢ .
 بيرا : ٥٤٩ .
 بينظلة : ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٣٣٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٤٠٩ ، ٤٦٧ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٠٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٦٤ .
 بيزيه (بيزيه) : ٣٥٩ ، ٤١٥ .

حرف التاء

- التاجه : ٢٨٠ ، ٢٩٢ .
 نادلا : ١٢٥ .
 تارن : ٣٢٣ .
 تاربا (بلد الوليد) : ٢٩٠ .
 تارودنت : ١٦٤ .
 تازا : ١٢٥ ، ١٢٩ .
 تاكرتا : ٤٣٥ ، ٤٠٢ .
 تامارون : ٤٥٧ .
 تاهرت : ١٦١ ، ١٦٢ ، ٤٣٦ ، ٥٦٦ .
 تبة : ١٢٩ .
 تدمير : ٢٤٢ ، ٢٧١ ، ٣٥٥ ، ٣٩٣ ،
 ٤٠٢ ، ٤٢٧ ، ٤٨٧ ، ٥٥٤ .
 ترانسلفانيا : ١١٨ .
 ترجمه : ٣٩٤ .
 ترشيش : ١٨٦ .
 تركستان : ٢٣ .
 للتورية (مركبة) : ٣١٥ ، ٣٢٣ .
 تسكانيا : ٥٧٣ .
 تطية : ٣٥٢ ، ٣٩٠ ، ٤٠٦ ، ٤٢٣ ،
 ٤٢٤ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، ٤٩١ ، ٥٢١ .
 تلسان : ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،
 ٢٢٩ .
 تولونيه : ٣١٩ .
 تونس : ٨ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٣٢١ ،
 ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ،
 ٢٤٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٣٨٨ ،
 ٢١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ،
 ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ ،
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٥٨ ، ٤١٠ ،
 ٥٠٦ .
 تولونيه : ٣١٩ .
 تونس : ٨ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٣٢١ ،

تونة : ١٠٥ ، ٦٢ .	١٩٢ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥
تيروان : ٣١٩ .	٢٢١ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٥ ، ١٩٣
تيفاد : ١١٦ .	٤١٠ ، ٢٥٨ ، ٢٣٥ ، ٢٢٦
تينار (تايد) : ٢٨٠ .	٥٠٦ .

حرف الـثاء

ثيبة : ٢٢ .	الثغر الأعلى : ٢٨٣ .
ثيوداد (رودريكو) : ٢٨١ .	ثغر فطية : ٤٨٧ .
	ثغر المريه : ٥٠٥ ، ٥٠٩ .

حرف الجيم

٤٥٣ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٥٣٧ .	الجابية : ١٠٧ ، ٤٤ .
جبال بيان : ١٢٨ .	جامع اشبيليا : ٥٦٤ .
جبل برونيه : ٥٢١ .	جامع قرطبة : ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥ ، ٥٧٢ .
جبال جورا : ٣٤٢ .	جبات : ٤٠٢ .
جبال الريف : ١٢٩ .	جبال الأطلس (دون) : ١٢٦ ، ١٢٩ .
جبال الريف الساحليه : ١٢٩ .	١٦٣ .
جبال زعران : ١٨٤ ، ١٩٢ .	جبال الالب : ٢٨٦ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ .
جبال السواحل : ٣٧٥ .	٣٤٥ .
جبال سيرا : ٢٣٩ .	جبال ايريا : ٢٣٩ .
جبل طوبقال : ١٢٨ .	جبال ايتريللا : ٢٣٩ .
جبال طوروس : ٢٤ .	جبال اليرينه : ٢٣٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
جبال القصور : ١٢٨ .	٢٩٠ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ .
جبال الكتلة المركزية : ٣٣٠ .	٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ .
جبال الكرمل : ٢١ .	٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ .
جبال كتبريان : ٢٣٩ .	٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ، ٤١٤ ، ٤٤٩ .

- الجبال المركزية (ماسين سنترال) :
 . ٣٣٠
 جبال مورينا : ٢٣٩ .
 جبال نيفادا : ٢٣٩ .
 جبال وارسونيس : ١٢٨ .
 جبل الاحجار : ١٢٩ .
 جبل ألبرقات (البرانس) (البيرينه):
 . ٣١٧ ، ٢٨٦
 جبل أوراس (كتابه) : ١٢٥ ،
 . ١٢٦
 جبل الخليل : ٢٩٤ .
 جبل درن : ١٢٥ ، ١٢٦ .
 جبل دمر : ١٢٦ .
 جبل سلات : ١٢٦ ، ١٥٢ ، ٢٢٦ .
 جبل زرهون : ١٦٣ .
 جبل طارق : ٢٥٠ ، ٢٦٢ .
 جبل القرن (انظر جبل سلات) .
 جبل كتامة : ١٢٥ ، ١٢٦ .
 جبل مراسيه : ٥٣١ .
 جبل المشتري : ٣٤٢ .
 جبل موس : ٢٧٤ .
 جبل الوسيط : ٥١٧ .
 جبيل (جبيلو) : ١١٣ ، ٥٤٨ .
 جربة : ١٥٠ .
- جرجان : ١٣٧ .
 جرمة : ١٥٣ ، ٢٢٧ .
 جرنفة : ٢٨٦ ، ٣٧٥ ، ٤٠٢ ،
 . ٤٠٤
 جرنيق : ٤٠٠ .
 الجزائر : ١٠ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٨ ،
 . ١٧٧ ، ١٩٤
 الجزائر الخالدات : ١٢٤ .
 الجزر الايطالية : ٢٠٨ .
 جزر البليثار : ٢٠٩ ، ٢٥٨ ، ٤٠٨ ،
 . ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٢٧ .
 جزر البحر الأبيض : ٢٠٩ ، ٣٤٧ .
 الجزر اليونانية : ٢٠٨ .
 الجزيرة : ٣٩ ، ١٢٣ ، ٤٧٥ ، ٥٠٩ .
 جزيرة أوي : ٤١٢ .
 جزيرة إيبيريا : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦ ،
 . ٥٢٨
 جزيرة جربة : ٢٢٦ .
 الجزيرة الخضراء : ١٦٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،
 . ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٤٢٦ .
 جزيرة شريك : ١٧٣ ، ٢٢٩ .
 جزيرة الروضة : ٥٤ .
 جزيرة طريف : ٢٦٠ .

جلبقية : ٢٤٥ ، ٢٥٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،
 ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،
 ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ،
 ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ،
 ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ،
 ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧٥ ،
 ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٣ ،
 ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٧ ، ٥٥٥ ،
 . ٥٧٣

جزيرة للمرب : ٣٧١ .
 الجزيرة العربية : ٢٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٩٠ ،
 ٩٣ ، ١١١ .
 جزيرة كريت : ٥٤٧ .
 جزيرة منورقة : ١٩٨ ، ٢٥٨ .
 جزيرة ميورقة : ١٩٨ ، ٢٥٨ .
 جالولاء : ١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٢٦ .
 الجبل (موقعة) .
 جوزجان : ١٣٨ .
 جوفيه : ١٢٥ .
 جيان : ٣١٣ ، ٣٥٥ .
 جيلتنة : ٢٨٥ .

حرف الحاء

حصن بلقية : ٥٣٢ .
 حصن بيتر - البه : ٤٨٧ .
 حصن الحمامه : ٥٢٣ .
 حصن دسة : ٥١٣ ، ٥١٤ .
 حصن ركلة : ٤٨٧ .
 حصن رنيق : ٥٢٤ .
 حصن صمة (انظر حصن وخشمة) :
 . ٥٢٦
 حصن شوش : ٥٢١ .

حبرون (الخليل) : ١١٢ .
 الحبشة : ٤٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٢٣ .
 الحجاز : ١٠٨ ، ١٤٥ ، ١٧١ ، ٢٣١ ،
 . ٢٣٢
 الحديبية : ٤١ .
 حصن ابنيون : ٢٨٧ .
 حصن بارو : ٢٩٠ ، ٢٩١ .
 حصن برهون : ٥١٧ .
 حصن بلتيرية : ٤٩١ .

- | | |
|----------------------------------|----------------------------|
| حصن طرسونة : ٣٧١ . | حصن مهران : ٥٠٦ . |
| حصن غرماج (قلعة) : ٥١٥ ، ٥١٤ ، | حصن موبش : ٤٨٤ . |
| ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، | حصن موله : ٥٢٣ . |
| ٥٢١ . | حصن وخشمة : ٤٨٠ ، ٥٢٦ . |
| حصن قاشتر - مورش : ٤٨١ . | حصون جيان : ٥٦٨ . |
| حصن القبية : ٤٨١ . | حلب : ٥٤٨ ، ٥٥٠ . |
| حصن - قشتيل : ٤٢٧ . | حلاوة : ٦٦ . |
| حصن القلعة : ٤٠٢ . | حمام : ٥٤٨ . |
| حصن قلقرة (انظر ركبة) : ٤٨٢ . | حمص : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٥٥ ، |
| حصن قلهرة : ٤٨٣ . | ٥٤٨ . |
| حصن القبية : ٤٧٩ . | الحنيس : ٦٩ . |
| حصن لقنت : ٥٧٠ . | حوض أكيانبا : ٣٣٠ . |
| حصن ليس : ١٦١ . | حوض يواتيه : ٣٣٠ . |
| الحصن لودون : ٢٨٧ . | حوض الرون : ٣٣٥ ، ٣٢٥ . |
| حصن مضا : ٥١٤ . | حوض القرات : ١١٢ ، ٥٤٨ . |
| حصن مناشة : ٥٦٨ . | حيفا : ٢١ . |
| حصن المتلون : ٥٦٨ . | |

حرف الخاء

• خليج تونس : ١٢٨ .	• خاور : ١٥٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٧ .
• الخليج العربي : ٢٣ .	• خراسان : ٢٣١ ، ٢٣٤ .
• خليج غريباد : ٢٣٧ .	• خريتا : ١٤٧ ، ٢٣٢ .
الختندق (معركة) أو (غزاة القدرة)	• خربة وردان : ٣٨ ، ٦٩ ، ٨٨ .
• ٤٦٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ .	• خليج الاسكندرون : ٢٣ .
• خيخون : ٢٩١ .	• خليج بنزرت : ١٢٨ .

حرف الدال

• دونة : ١٧٠ .	• دات : ٦٢ ، ١٠٣ .
• دقبة : ٦٢ ، ١٠٥ .	• دار السكة : ٥٦٤ .
الدلتا (دلتا النيل) : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ،	• دارايجرد : ١٣٧ .
• ٢٢ ، ٢٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨٠ ،	• دار الصناعة : ١٨٧ .
• ٨٨ ، ٩٠ ، ١٠٦ .	• دار الناهورة : ٥٧٧ .
• دلول : ٥٠٦ .	• الدانمرك : ٥١٢ .
دمشق : ١١ ، ٣١ ، ٩٠ ، ١٨٩ ،	• دانية : ٢٨٥ .
• ٢٢٩ ، ٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ،	• دجلة : ٨١ .
• ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،	• دراغينفمان : ٣٤٤ .
• ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،	• درب الزقاق (وانظر مضيق جبل
• ٣١٢ ، ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ،	• طارق : ٢٣٩ .
• ٥٥٠ .	• درعة : ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٩٤ .
• دمقة : ٢٢٥ .	• دون (انظر جبل دون) .

دير جوسل : ٤١٥ .	دمياط : ١٠٥٠٦٢ .
دير حنا : ٥٥٤ .	دميرة : ١٠٥٠٦٢ .
دير شنت بربه : ٥٣١ .	دنقلة : ١٤٦ .
دير ضجبل : ٤١٥ .	دوروستلا : ١١ .
دير القديس : ٤١٥ .	دوفيني : ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ .
دير قسطان : ٥٣١ .	دوفينييه : ٣٥٣ ، ٣٦٠ .
دير كلوني : ٤٦٩ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ .	ديجون : ٣١٩ .
دير مقاريوس : ٦٨ .	دير الترتيل : ٤١٦ .

حرف الذال

ذوشرة : ٤٩٠ .	الذاب : ١٢٥ .
	ذات الصواري : ١٣٧ ، ١٤٧ ، ٢٢٤ .

حرف الراء

الرصافة : ٥٥٨ .	رأس شمرا : ١١٣ .
رفع : ٤٧ ، ٨٢ .	الرأس الطيب (جبل في تونس) :
الرملة : ١٠٧ ، ٥٥٢ .	١٢٨ .
رنده : ٤٣٥ .	رابية سرية : ٤٩٠ .
الرها : ٣٩ ، ٥٥٠ .	رادس : ١٨٧ .
روسيلون : ٢٨٦ .	الراين : ٣٢٠ .
روسيون (مقاطعة) : ٣١٧ .	رباطة ماسه : ١٢٥ .
الروضة : ٢٠٨ .	الربض (معركة) : ٥٦١ ، ٥٦٢ .

الرون : ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ .	روما : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ١١١ ،
رونسيغال : ٣٣١ .	١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ،
الري : ١٣٧ .	١١٩ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
ريباجرسا : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .	٢٤٠ ، ٢٨٨ ، ٣٨٨ ، ٤١٠ ،
ريتين (مرتفعات جبلية) : ٢٦٦ .	٥٢٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٨ .
رية : ٢٧١ ، ٣٥٥ ، ٥٥٥ .	روما الغربية : ١٢١ .
ريف الاندلسي : ٤٢٧ .	رومانيا : ١١٨ .
ريف طنجة : ١٩٦ .	رومل (معركة) : ٢٢١ .

حرف الزاي

زويلة : ٣٨ ، ٧٠ ، ١٥٤ ، ٨٨ ، ٢٢٧ .	الزاب : ١٦١ ، ٢٥٧ .
زويلة (ابن خطاب) : ١٢٦ .	زبطرة : ٣٦٨ .
الزهراء : ٥٠٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،	زغاوة : ١٢٤ .
٥٧٥ .	زلنقة (انظر ابرلنقة) .
الزهراء (زهراء أبي هانم) : ٥٧٩ .	زوجتيان : ١١٣ .

حرف السين

سان برنارد الكبير (معبر) : ٣٤٢ ،	الساحل الإفريقي : ١٧٣ ، ١٩٤ .
٣٤٣ .	سافوا : ٣٣٩ ، ٣٥٤ .
سان بول : ٣٥٤ .	سامراء : ٤٧٤ .
سانس : ٣٢٥ .	سانت استيفان : ٤٦٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ،
سانتا ماريا : ٥٥٦ .	٥٢٦ .

٤٦٨ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠	سبتانيا : ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٩
٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥٢٠ ، ٥٢١	. ٤١٥
٥٣٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩	سبتة : ١٢١ ، ١٩٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧
. ٥٦١ ، ٥٦٨	٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨
سرقوسة : ١٩٣ .	. ٢٦٢ ، ٢٩٥ ، ٥٠٦
سكرة : ١٦٥ .	سبرت : ٧١ ، ٨٣ .
سلا (سلاكولونيا) : ١١٧ ، ١٢٥ .	سبو - و - ورغة (قصر فرعون) :
سلس : ٣٦٧ .	. ١٦٣
سلطيس (سنطيس) : ٦٣ ، ٦٩ .	سيبلة : ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ٢٢٤
سلنقة : ٢٨١ ، ٤٩٩ ، ٥٢٤ .	. ٢٢٦
سمورة : ٤٧٦ ، ٤٩٨ ، ٥٢٥ ، ٥٤٨ .	سجستان : ١٧٢ .
سنت استيفان : (وانظر سنت	سجلامة : ١٢٥ ، ١٩٤ ، ١٩٦
استيفان) : ٤٧٧ .	. ٥٦٦
سنت يافت : ٤٣٢ .	سجن الملوک : ١٩٥ .
سنتريه : ١٢٥ .	سجومه : ١٩٥ ، ١٩٦ .
السند : ٢٣١ .	السدة : ٥٧٧ .
سهل بلنبو : ٥٣١ .	سرت : ١٢٦ ، ١٥٣ ، ١٧٧ ، ٢٣٥
سهل تور : ٣٢٩ .	سردانية : ١٣٠ ، ١٩٨ ، ٢٩٥
سهل المتيجة : ١٢٨ .	سردينيا : ٤١٠ ، ٤١١ ، ٢٥٨
السهوب العليا : ١٢٨ .	سرطانية : ٤٠٤ .
سهول بوآتييه : ٣٣٠ .	سرقطة : ٢٥٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
السواحل الافريقية : ١٩٨ .	٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٦٤
السواحل الايطالية : ٢٠٩ .	٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
السواحل اليونانية : ٢٠٩ .	٣٩٠ ، ٤٠١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٩

سوسة : ١٢٦ ، ١٥٠ ، ١٨٤ ، ٢٢٦ ، ٤١٠ .	سواسون (معركة) : ٣١٩ ، ٣٢٠ .
سوق الحمام (في بابلون) : ٥٨ .	السواقي : ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٥٣ .
سويسرا : ٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ .	سويراني : ٤٥٧ ، ٤٥٦ .
سويقة ابن مشكوره : ١٢٦ .	السودان : ٢١ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ، ٢٢٧ .
سيسترون : ٣٤٤ .	سوريا : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ١١٢ ، ٣٦٨ .
سيفية فيشيا : ٤١٠ .	السوس : ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٦٢ .
سيانقة : ٥٢٦ .	١٦٣ ، ١٦٤ .
سيناء : ٢١ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٨٢ .	السوس الأدنى : ١٩٦ .
	السوس الأقصى : ١٩٦ .

حرف الشين

٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٩٤ ، ٣٠٠ .	الشاوية : ١٢٨ .
٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤ .	شاطبة : ٢٨٥ .
٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٤٠٩ .	شالون : ٣٢٥ .
٤١٠ ، ٤٧٤ ، ٥٤١ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ .	الشام : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .
٥٥٩ ، ٥٧٢ .	٤٦ ، ٤٩ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٩ .
شبه جزيرة سيناء (انظر سيناء) : ٢٠ .	٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .
شبه جزيرة شريك : ١٥٨ .	١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٤٧ .
شبه الجزيرة العربية : ٢٠ ، ٤٧٤ .	١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .
شذونه : ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٣٥٥ .	١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٨٩ .
٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢٧ ، ٥٥٥ .	٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٣١ .
٥٦٨ .	

- شنت بريه : ٤٠٢ ، ٥٥٦ .
 شنترين : ٢٩٢ ، ٤٩٧ .
 شنت مارية : ٥٦٨ .
 شنت مانكش : ٥٣٢ .
 شنت ياقب : ٤٦٨ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ،
 ٥٢٩ ، ٥٣٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٨ ،
 ٥٧٩ .
 شندلة : ٤٢٣ .
 شوذر : ٥٦٨ .
 شيه : ٢٩٠ .
 شيرز : ٥٤٨ .

- شرفى الأردن : ١١٢ .
 شريش : ٣٥٥ ، ٥٦٨ .
 شطا : ١٠٥ .
 شعوبية : ٤٧٦ .
 شنتبارية : ١٦٩ ، ١٨٤ .
 شنتفة : ٢٦٣ .
 شلب : ٥٥٢ .
 شنتفة : ٤٧٦ ، ٤٩٩ ، ٥٢٤ .
 شنت - اشتين (انظر سانت
 استيفان) : ٤٦٣ ، ٤٩٠ ، ٥١٠ ،
 ٥٢٠ ، ٥٢٦ .

حرف الصاد

- صخرة قيس : ٣٩٠ ، ٤٨٩ .
 صطفورة : ١٧٤ .
 الصميد : ١٨ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ١٠٣ ، ٢٢٣ .
 صفر : ١٥٥ .
 صفين : ٢٣٢ .
 صقلية : ١٤٨ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ،
 ١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ، ٢٥٨ ، ٢٩٥ .
 صور : ٢٣ ، ١١٣ .
 صيدا (صيدون) : ١١٣ .
 الصين : ٣٤٥ ، ٣٦٨ .

- صبراته : ٢٣٠ .
 صحراء الشمال : ٤٨٢ .
 الصحراء العربية : ١٨ .
 الصحراء الكبرى : ١٢٢ ، ١٢٣ ،
 ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .
 الصحراء الليبية : ١٨ .
 صحراء نيسر : ١٢٤ ، ١٢٥ .
 الصخرة : ٣٧٥ ، ٣٧٧ .
 صخرة اينيون : ٢٨٧ .
 صخرة بلاي حصن : ٣٤٩ .

حرف الضاد

الضهرة التونسية : ١٢٧ ، ١٢٨ .

حرف الطاء

طلياطه : ٤٠٨ .
 طلفنكة : ٤٥٨ .
 طليطة : ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣٥٢ ،
 ٣٧١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ،
 ٤٠١ ، ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،
 ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ،
 ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ،
 ٥٢٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٦ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠ ،
 ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٧ ، ٥٧١ ،
 . ٥٧٧
 طنجة : ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،
 ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
 ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤ ،
 ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ .
 طيبة : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٠٣ .

الطالقان : ١٣٨ .
 طبرستان : ١٣٧ .
 طينة : ١٦٤ .
 طغارستان : ١٣٨ .
 طراباس : ٢٢٤ ، ٥٥٢ .
 طرابلس الغرب : ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
 ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ،
 ١٥٠ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ،
 . ٢٣٢
 طراجة : ٤٢٤ .
 طراكونة : ٢٨٤ ، ٣٨٩ ، ٤٠٩ .
 طرطوس : ٤٠٩ .
 طرطوشة : ٢٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ،
 ٣٩١ ، ٤٠٩ ، ٤٢٧ .
 طركونة : ٥٧٣ .
 طرونوط : ٦٢ ، ٦٣ .
 طريق جيان : ٢٧١ .
 طليبة : ٢٨٠ ، ٣٧١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
 ٤٦٣ ، ٤٧٧ ، ٥٦١ .
 طلوشة (تولوز) : ٢٨٦ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ .

حرف العين

عقوبة (مركبة) : ٨ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ،	العابية : ٢٥٦ ، ٣٣٥ ، ٤٧٣ ،
١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٠٧ ،	. ٤٧٤
. ٢٢٤ ، ٢١١ ، ٢٠٩	المدوة : ٥٧٦ .
عكا : ١١٢ .	غدوة المغرب : ٤٤٨ ، ٥٢٩ ، ٥٦٦ ،
عكاظ : ٩٨ ، ٢٢٧ .	. ٥٨٠
العلياء : ٥٥٤ .	غدوة نهر شقندة : ٢٦٩ .
عموريه : ١٠ ، ٣٦٨ .	المراق : ٣٩ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ٩٦ ، ١٧٢ ،
عمان : ٣٣ .	١٨٩ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٩٥ ،
عين تمر : ٢٩٤ .	. ٥٦٤
عين زربه : ٥٤٧ .	المراقين : ٢٣١ ، ٢٩٥ .
عين شمس : ٤٠ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٨٠ ، ٨٣ ،	المرايش : ١٢٥ .
. ١٠٣ ، ٨٨	عرفت : ٣٤١ .
عين الطيب (آنتيب) : ٣٣٧ ،	المریش : ٤٧ ، ٤٨ ، ٨٢ .
. ٣٥٤	عسلان : ١١٢ ، ١٤٧ ، ٢٢٤ ،
عيون أبي المهاجر : ١٦٠ .	. ٣١٢

حرف الغاين

غدامس : ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ،	غاسقوينا : ٣٩٠ .
. ٢٢٧	غاسكونيا (انظر الجاشفين) : ٤٠٥ .
غدوة المغرب : ٣٦١ ، ٥٢٤ .	غاليا - أو بلاد الغال (انظر فرنسا) .
غرادوس : ٥٥٠ .	غانه : ١٢٤ .

غزة : ١١٢ .	غرماج : ٤٦٨ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٣ .
غزوة الصائفة : ٣٨٥ .	٥١٣ ، ٥٢٠ .
غكونيا : ٣٤٥ ، ٤٦٠ ، ٥٣٩ .	الغرماء : ٨ .
الغيران : ٤٨٨ .	غرناطة : ٢٧٠ ، ٥٥٣ ، ٥٦٨ .
غمارة : ١٦٢ .	غرونويل : ٣٤١ ، ٣٤٣ .

حرف الفاء

فج هرقة : ٤٩٠ .	الفاربا : ٨٢ .
فحص البركة : ٥١٤ .	فلرس : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٢٣ .
الفضارين : ٤٠٨ .	٣١ ، ٤٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩٤ .
الفرات : ٢٥ ، ٥٥٤ .	١١١ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ .
فراكسينيت (حصون) : ٣٣٨ ، ٣٤٠ .	فارس البري : ٣٣٤ .
٣٤٤ .	فامس : ١٢٥ ، ١٧٠ ، ١٨٨ ، ٥٠٥ .
فرطارش (انظر فلطارش) : ٥٣١ .	فالحيش : ٤٨٨ .
الفرما : ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٨ .	فالانس : ٣٥٤ ، ٤٢٧ .
٤٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٦ .	فاليه : ٣٤٢ .
فرنسا (بلاد الفسال) : ١٠ ، ٢٤ ،	فاندالوسيا (وانظر الأندلس) : ١١٩ .
١١٨ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ ،	فج برذيش : ٤٣٠ .
٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،	فج طارق : ٢٩٦ .
٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ،	فج طليارش : ٥٣٢ .
٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ،	فج المركوير (انظر مضيق المركوير) :
٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ،	٤٨٨ .
٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ،	فج موسى : ٢٩١ .

ألفوكلوز ٢٨٦ .	٤١٧ ، ٤١٦ ، ٤١٥ ، ٤١١ ، ٣٩٩
فوتلينوي : ٤٧٢ .	٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٥٢٦ ، ٥٣٦ ، ٥٣٩
فوييه : ٣١٩ .	٥٥١
فيلدانيا : ٣٧٤ .	فريخوس : ٣٦٨ .
فيزو : ٣٦١ .	فزان : ١٢٤ ، ١٥٣ ، ٢٢٧ .
الفيستول : ١١٩ .	فسا : ١٣٧ .
فينيقيا : ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٢ ،	فلطارش : ٥٣١ .
٢٤٦ .	فلسطين : ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٩ ، ١١٢ ،
الفيوم : ٤٠ ، ٦٢ ، ١٠٣ .	٢٤٧ ، ٣٥٥ ، ٥٤٩ .
فيتنام : ١٠ .	فمبا (ملك) : ٢٤٤ .

حرف القاف

قبطيل : ٤٠٨ .	قابس : ١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٧٦ ، ١٨٢ .
القدس (البيت المقدس) : ١٥ ، ٢٢ ،	القادسية : ١٢ ، ٣٩ ، ١٦٥ .
٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،	قادس : ٤٠٧ .
٣٣ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٩٤ ، ١٠٧ ،	قادش : ٢١ ، ٢٧ .
١٠٨ ، ١٢١ ، ٥٢٨ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ،	قارس : ٥٤٩ .
٥٥٢ .	القاهرة : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .
قرب المراثش (لكسوس) : ١١٥ .	قامونة : ٥٢٦ .
قرجيطه : ٥٣١ .	قبر القديس يعقوب : ٥٢٨ .
قرطاجنة : ٢٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ،	القبر المقدسي (في كنيسة القيامة) : ٣١ .
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٥٨ ،	قبرص : ١٠٧ ، ١٣٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤ ،
٢٨٦ .	٥٤٨ .

٥٥٣، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٠،
 ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧،
 ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٦،
 . ٥٧٧، ٥٧٨ .
 قرقيستال : ٤٨٨ .
 قرقيشونة : ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٢٥،
 . ٣٤٩ .
 قرمونة : ٢٧٦، ٥٦٨ .
 قسطيلية : ١٨٣ .
 القسطنطينية : ١٠، ١١، ٢٥، ٣٠،
 ٣١، ٩٢، ١٣٣، ١٥٠، ١٥٦،
 ١٥٨، ١٧٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٣٠٠،
 ٣٥٩، ٣٦٨، ٤٧٥، ٥٤٧،
 . ٥٧٢ .
 قسنطينية : ١٢٥، ١٣١ .
 قشتالة القديمة : ٢٨٩، ٢٩٠، ٤٥٦،
 ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦١، ٥٠٢،
 ٥٠٣، ٣٠٤، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٣،
 ٥١٤، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٢٨،
 . ٥٣٩، ٥٥١، ٥٧٣ .
 قصبة كوار : ١٥٤ .
 قصر أبي دانس : ٥٢٩، ٥٣٠ .
 قصر فارس : ٦٦ .
 قصر كتامة : ١٢٥ .

قرطاجنة : ١١٩، ١٢٠، ١٢٢،
 ١٢٤، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٢،
 ١٤٩، ١٥٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤،
 ١٧٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥،
 ١٨٦، ١٨٨، ٢٠٦، ٢١١، ٢٢٨،
 ٢٣٥، ٢٤٠، ٥٧٢ .
 قرطاجنة : ٤٠٩، ٣٨٤ .
 قرطبة : ٢٤٣، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٣،
 ٢٦٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣١٢،
 ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٦٧،
 ٣٦٨، ٣٧٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٢،
 ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٣،
 ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١،
 ٤١٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٢،
 ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩،
 ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢،
 ٤٥٥، ٤٧١، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨،
 ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٨،
 ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٦، ٤٩٧،
 ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣،
 ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨،
 ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦،
 ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥،
 ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠،
 ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٥،

- قناة السويس : ٨١ .
- قنسرين : ٣٥٥ .
- القواصر : ٣٧ ، ٤٩ ، ٨٠ .
- قورة : ٤٠٨ .
- قورية : ٥١٠ ، ٥٣٠ .
- القوط : ٤٤٨ .
- قومس : ١٣٧ .
- قونية : ٣٣ .
- قويمره : ٣٧١ .
- القيروان : ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٣٦٨ ، ٤٠٩ ، ٥٦٩ .
- القيروان الجديدة : ١٥٧ .
- قيسارية : ٤٥ ، ٤٩ ، ١٠٢ .
- قيصرية (وانظر قيسارية) : ٤٥ ، ٤٩ .
- قيلقيا : ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ .
- قصور حسان : ١٧٧ ، ٢٣٥ .
- قضاة : ٣٤٨ .
- قطوية : ٥١١ .
- قفصة : ١٢٦ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٨٣ ، ٢٢٤ .
- قلشانة : ١٦٨ .
- القلع : ٤٠٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ، ٥٦٧ .
- قلعة ابن الياس : ٥٦٨ .
- قلعة أرب : ٢٨٣ ، ٤٩٦ .
- قلعة يسر : ٣٣ .
- قلعة جابر : ٢٧٦ .
- قلعة حزم : ٣١٣ .
- قلعة رباح : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٥٢٣ .
- قلعة غرماج : ٥٢١ .
- قلعة النهر : ٤٥٨ .
- قليرية : ٢٩٢ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ .
- قليرة : ٤٩١ ، ٥١١ .
- قلونية : ٤٦٣ ، ٤٨٢ .
- قونية : ٢٠٤ ، ٢٢٦ ، ١٥٠ .

حرف الكاف

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------|
| . ٥٥٢ ، ٥٤٠ | . كالتونيه : ٤٠٠ ، ٣٦٠ ، ٣١٩ |
| . كنتبريه : ٢٩٠ | الكاروليفية : ٣٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٥ |
| . كنده : ٥٦٠ | ' ٤١٠ ، ٣٩٩ ، ٣٨٥ ، ٣٧٥ |
| . كنيسة الحرقى : ٢٦٩ | . ٤٧٢ ، ٤٧١ |
| . كنيسة روما : ٣٣ | . كاركاسون : ٣٤٩ |
| . كنيسة القيامة : ٣١ | . كامبرى : ٣١٩ |
| . كورسيكا : ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ | . كانى : ٢٨٦ ، ١١٤ |
| . كورة البيرة (جيان) : ٥٥٥ ، ٥٦٠ | . كاوار : ٢٢٧ |
| . الكوفة : ٩٠ ، ١٧٢ ، ٢٩٤ | . كالتونيا : ٣٩٠ |
| . كولونيه : ٣١٩ | . كتنده : ٥٥٢ |
| . كوم حمادة : ٦٣ | . كرتش : ٢٤٣ |
| . كوم شريك : ٦٣ | . كرمان : ١٣٧ |
| . كومبو ستيللا : ٥٣٧ ، ٥٣٩ | . الكرنك : ٢٢ |
| . ٥٤٨ | الكريون : ٦٥ ، ٦٤ ، ٣٨ |
| . كوميان : ٤١١ | . ٨٨ ، ٧٠ ، ٦٦ |
| . كيليكيا : ١١٢ | . كفر مازى : ٢٩٤ |
| . كيف : ١١ | . كلوزوتير : ٨٤ |
| | كلير مونت (اجتاح) : ٥٣٨ |

حرف اللام

- | | |
|--------------------------------------|---------------------------------|
| لوزيتانيا : ٤٥٨ . | اللائقية : ٥٤٨ . |
| لوشة : ٥٥٢ . | لاردة : ٢٨٤ . |
| لومبارديا : ٣٣٦ ، ٥٤٩ . | لامبيز : ١١٦ ، ١١٧ . |
| ليبيا (وانظر بلاد برقة) : ٢٥ ، ٨ ، | اللائقديوك : ٢٨٦ ، ٣١٧ ، ٣٥٣ ، |
| ٧٢ ، ٤٨ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٣٠ . | ٣٥٩ ، ٤١٥ . |
| الليجيون الثالثة : ١١٦ . | لبلة : ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٥٥٦ . |
| ليرين : ٣٥٤ . | لبنان : ٢١ . |
| ليموزين : ٣٢٩ . | لشونة (لأشبونة) : ٢٤٢ ، ٤٠٦ ، |
| ليون (لودون) : ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، | ٤٠٧ ، ٥١٢ ، ٥١٣ . |
| ٣١٧ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، | لغين : ٤٨٩ . |
| ٣٩٩ ، ٤٠٤ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، | لغنت : ٢٧٧ . |
| ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، | لك : ٢٩٠ ، ٢٩١ . |
| ٤٦٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، | لمتونة : ١٦٣ . |
| ٤٨٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، | لنبيرة : ٤٨٩ . |
| ٤٨٥ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٥٠١ ، | لنغدوك : ٣٣٩ . |
| ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ ، | لوانة : ٢٢٧ . |
| ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، | اللوار : ٣٦٧ . |
| ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٧ ، | لوبية : ١٧٦ . |
| ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٣ ، ٥٤٨ ، ٥٥١ ، | لوتارنجيا : ٤٧٢ ، ٤٧٣ . |
| ٥٧٧ . | اللورين : ٣٦٧ ، ٤٧٢ . |

حرف الميم

- | | |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| مخاضة الفتحة : ٤٧٩ . | ماء فرس : ١٥٤ . |
| المدائن : ٣٩ . | ماردة : ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٥٣ ، |
| المدور : ٢٦٨ . | ٢٨١ ، ٣٩١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، |
| مدينة الجزيرة : ٥٠٦ . | ٤٦٣ ، ٤٧٧ ، ٥٤١ ، ٥٥٣ ، |
| مدينة سالم : ٢٩٦ ، ٢٨٣ ، | ٥٥٩ ، ٥٦٢ . |
| ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٥٨ ، ٤٨٠ ، ٥٠١ ، | ماغلون : ٣٥٩ . |
| ٥١٤ ، ٥٢٧ ، ٥٣٦ ، ٥٧٦ ، | ماكون : ٣٢٥ . |
| ٥٨٠ . | مالاقا : ٥٠٨ ، ٥٥٣ . |
| مدينة الفرنج : ٤٧٩ . | مالقة : ٣٥٥ . |
| مدينة المائدة : ٣٧٢ . | مازيكرت : ٥٥٠ . |
| مدينة المفرج : ٤٨٠ . | المائدة المراكشية (مضاب) : ١٢٨ . |
| المدينة (النورة) : ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٩ ، | محة اسارية : ٤٩٠ . |
| ٧٠ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، | المحيط الأطلسي : ١٢١ ، ١٢٧ ، |
| ١٠٧ . | ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٦٣ ، ٢٠١ ، |
| مراكش : ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، | ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، |
| ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، | ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٣٣٠ ، |
| ١٣٠ ، ٢٠٩ . | ٥١٣ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ . |
| مراقبة : ١٧٧ . | المحيط الهندي : ٢٣ . |
| مرج راهط : ١٦٦ ، ٢٩٤ ، ٣٠٨ ، | مجانة : ١٧٥ ، ١٩٧ ، ٢٣٢ . |
| مرسيه . ٣٩٣ ، ٥٤١ ، ٥٥٣ . | مجالات العرب : ١٢٦ . |
| مرس : ١٨٧ . | مجدل : ٨٠ . |
| مرسييه : ٣٦٨ . | مجدو (تل التسم) : ٢١ ، ٣٦ ، ١١٢ . |

٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤
 ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٠
 ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧
 ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠
 ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٧٢
 ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠١
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩
 ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
 ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣
 ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٩٤
 ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٥٥
 ٣٦٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٥٠٤
 . ٥٥٠

مصر السفلى الوجه البحري : ١٩ .
 مصر العليا (الوجه القبلي) : ٢١ ، ١٨
 . ٢٢ ، ٢٧
 مصطيلية : ١٥٥ .
 مضيق جبل طارق : ٢٣٩ .
 مضيق الفج : ٤٢٩ .
 مضيق المركوين : ٤٣٠ ، ٤٨٨ .
 مطونيه : ٤٧٩ .

مرسين : ٤٧٢ .
 مرعش : ٥٤٧ .
 مركوين : ٤٣١ ، ٤٢٩ .
 مروالروذ : ١٣٨ .
 مروتنه : ٣٣١ .
 المرية : ٤٠٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩
 . ٥١٣ ، ٥٥٢
 مزاة : ١٥٥ .
 مسانقه : ٤٢٩ .
 مسجد الرايات : ٢٧٤ .
 مسجد الرحمة : ٧٤ .
 مسجد رينه : ٣٠٠ .
 مسالة : ٤٣٥ .
 مسوفة : ١٦٤ .
 المصية : ١٢٥ .

مصر : ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٥ ، ١٢ ، ٩ ، ٨
 ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩
 ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧
 ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠
 ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢
 ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤
 ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١
 ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨

- . ١١١ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ : مقدونيا
 . ١٤٦ : مقرة
 . ١٠٥ ، ١٠١ ، ٤٤ ، ٤٣ : مكة
 . ٤٧٤ ، ٣٦٨ ، ٣٥٨ ، ٢٢٣
 . مكران : ١٣٧
 . مكناس : ١٧٠
 . مكناسة : ١٢٥ ، ١٧٦ ، ٥٠٥
 . ٥٧٦ ، ٥٥٥
 . الملاحة : ٤٣٠
 . ملوية : ١٦٩
 . مليية (روساير) : ١١٥
 . ممس (معركه) : ١٣٦ ، ١٣٨
 . ٢٢١ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٦
 . ٢٣٤
 . منبج : ٣٣
 . منت ساروط : ٤١٣
 . منف : ٢٠ ، ٢٦ ، ١٩
 . منورقة : ٢٩٥
 . المهديية : ١٣٦
 . مويش : ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥
 . موريتانيا : ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣٠
 . مورطانية : ٢٤٨
 . مورور : ٥٥٥
 . مورين : ٥٦٨
- . المتن : ٦٦
 . مقام : ٢٨٣
 . مفرارة : ١٦٣ ، ٥٧٦
 . المغرب : ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧
 . ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٤
 . ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥
 . ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٢
 . ١٨٩ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١
 . ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٢٠
 . ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٤٨ ، ٤٩٧
 . ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧
 . ٥١٠ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٨٠
 . المغرب الأدنى : ١٢٤ ، ١٢٦
 . المغرب الأقصى : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦
 . ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٠
 . ٢١٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨
 . ٤٧٥ ، ٤٩٥ ، ٥٥٥
 . المغرب الأوسط : ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٦
 . ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥
 . ١٩٦
 . المغرب العربي : ١٢٧ ، ١٣٠
 . مقداش : ١٥٢ ، ١٥٣
 . مضية : ٥٥٥

مينة : ٤١٣ .	موقعة الصخرة : ٣٥٢ .
مينورقة : ٤٠٨ .	مونتقومري (ممركة) : ٢٢١ .
مينير : ٤٩٠ .	ميرانده : ٤٧٦ .
مبورقة : ٢٩٥ ، ٤٠٨ .	ميلني : ٥٤٩ .
	ميلة : ١٥٩ ، ٢٢٩ .

حرف النون

نرمنديا : ٥٣٩ .	نابار : ٣٤٠ .
نصيين : ٥٤٨ .	نابرة (نابيرا) : ٤٧٨ .
نقار : ٢٨٦ .	ناريون : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،
نقزاوة : ١٢٦ .	٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ،
نقيوس : ٤٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٣ .	٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٥٤٩ .
نباوند : ١٢ ، ١٣٧ .	نقار : ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٩ ،
نهر ابرة : ٢٨٩ ، ٢٨٠ ، ٤٣١ ، ٤٦٤ ،	٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤٠٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ،
٤٨٧ ، ٥٢١ .	٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
نهر اراغون : ٤٨٨ .	٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ،
نهر اشيليا : ٤٢٦ .	٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ،
نهر اورييو : ٣٧٤ .	٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ،
نهر ايله : ٥٣٠ .	٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ،
نهر باربالوس : ٢٨١ .	٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٤ ، ٥١١ ، ٥١٤ ،
نهر برباط : ٢٦٦ .	٥١٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٩ ، ٥٤٣ ، ٥٤٧ ،
نهر التاج : ٢٣٩ .	نبا (نيام) : ٦٢ ، ١٠٥ .
نهر جوكار : ٢٣٩ .	ندون : ٣١٧ .

- نهر قورمس : ٤٥٨ .
 نهر التيتار : ٢٨٠ .
 نهر الدانوب : ١١ .
 نهر دوبره : ٤٣٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٩٩ .
 نهر دوردونيا : ٣٣١ .
 نهر دورو : ٢٣٩ ، ٣٦١ .
 نهر دوبره : ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ .
 ٤٦٢ ، ٥١٧ ، ٥٣٠ .
 نهر ردونة انظر نهر الرون .
 نهر الرون (ردونة) : ٢٨٦ ، ٣٥٣ ، ٣٩٤ .
 نهر الغاريان : ٢٣٩ .
 نهر الفارون : ٣٣٠ ، ٣٣١ .
 نهر غاريغليانو : ٣٢٠ .
 نهر قرطبة : ٥١٢ .
 نهر الكيفير : ٢٣٩ .
 نهر لاردة : ٢٤٢ .
 نهر لوار : ٤١٢ .
 نهر ملوية : ١٩٦ .
 نهر مينهو : ٤٣١ ، ٥٣١ .
 نهر مينهو : ٢٣٩ .
 نهر النيل : ١٨ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٣ .
 نوايبه : ٣٤٣ .
 النوبة : ٥٩ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
 ٢٢٧ .
 لوسارازيه : ٣٣٦ ، ٣٥٧ .
 لول : ١٢٥ .
 لوميديا : ١٣٠ .
 نيس (وانظر نيقية) : ٣٤١ ، ٣٦٠ ، ٤١٠ ، ٤٢٧ .
 نيسجستان : ١٣٧ .
 نيقية وانظر نيس : ٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٦٠ .
 ٤١٠ ، ٤٢٧ .
 نينوى : ٣١ .
 نيفي : ١٣٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ .
 نيم : ٣٥٩ ، ٤١٥ .

حرف الهاء

- | | |
|-----------------------|---------------------------|
| هذيان : ١٣٧ . | هانيبال - هانيبيل : ٢٨٦ . |
| هنيح : ١٢٥ . | هضبة الإيرانية : ١٢ . |
| هواره : ٢٢٧ . | هلقب : ٤١٣ . |
| أبر الهول : ٢٠ ، ٢٦ . | هغد : ٢٣ ، ٣٤٥ ، ٣٦٨ . |

حرف الواو

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| ٤٨٢ ، ٥١١ . | الواحات الداخلية : ١٢٥ . |
| وادي ردونة : ٢٨٧ ، ٢٩٦ . | وادي ابرة (رعوات) : ٢٧٦ ، |
| وادي الرون (وانظر أردونة) : | ٤٨٣ . |
| ٢٩٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ، | وادي اردونة : ٢٩٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، |
| ٤٢٧ . | ٣٩٤ ، ٤٢٧ . |
| وادي سليط : ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ . | وادي الأروكامبو : ٢٨٠ . |
| وادي السند : ٢٣ . | وادي انه : ٢٨٠ . |
| وادي شلب : ٥١٣ . | وادي أوسط : ٣٤٢ . |
| وادي شوش : ٣١٣ . | ولدي بيونه : ٣٧٦ . |
| وادي شوش ارملاط : ٥١٦ . | الوادي الجوفي : ٣٦١ . |
| وادي غارون : ٣٢٣ . | وادي الحجارة : ٢٧٢ ، ٢٨٣ ، |
| وادي القرى : ٢٩٥ . | ٢٩٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٥٢ ، |
| الوادي الكبير : ٥١٣ . | ٤٢٩ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ . |
| وادي لكه : ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، | وادي درعة : ١٩٦ . |
| ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٩٦ . | وادي دويره : ٤٨٠ ، ٤٨١ ، |

- | | |
|-------------------------------------|----------------------------------|
| • ٢٣٢ ، ٢٢٧ | • وادي مجردة : ١٢٩ |
| • وشة : ٣٨٩ | • وادي المرص : ٢٨٠ |
| • وشقة : ٥١١ ، ٢٨٤ | • وادي ملوية : ١٢٥ ، ١٩٤ ، ١٩٥ |
| • ونفزاوة : ١٨٣ | • وادي النيل : ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ |
| • وقعة الخندق (معركة) : ٤٣٩ ، ٤٣١ | • ٢٠ ، ٢٦ ، ١٤٦ |
| • الولايات المتحدة الأمريكية : | • وادي موسى : ٢٨١ |
| • ٩ ، ١٠ | • وادي نهر النالون : ٢٩٠ |
| • وليلي (ولي) : ١٦٣ ، ١٧٠ | • وادي هيفة : ٤٨٨ ، ٤٨٩ |
| • وهران : ١٢٥ | • ودان : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٥٢ ، ١٥٣ |

حرف الياء

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| • اليانية : ٤٠٢ | • يابرة : ٢٩٢ |
| • اليمنية : ٥٥٨ | • يابسة : ٤٠٨ |
| • اليمن : ١٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٣٥٠ | • ياقا : ١١٢ |
| • ٣٥٥ | • ييوس (مملكة) (وأيضاً القدس) : |
| • اليونان : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ١٨٦ | • ١١٢ |
| • ٢٦٥ | • يارب : ١٠٤ |
| | • اليرموك : ٨ ، ١٢ ، ٣٩ ، ١٠١ ، ٢٣٠ |

٢ - فهرس الشعوب والقبائل والفرق والجماعات و الاديان والمذاهب

حرف الألف

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| إسبان : ١١٣ ، ٣٠٨ ، ٥٤٤ . | الافاريون : ٣٧٣ . |
| الأسرة البارثية : ٢٣ . | آل الزبير : ١٦٦ . |
| الأعاجم النصرانية : ٣٠٠ . | الالامان : ١١٧ ، ١١٩ ، ٣١٨ ، |
| الاغالبه : ٤١٠ . | ٣١٩ ، ٣٥٧ . |
| الأفارقة : ١٢٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، | الالانيون شعوب : ٢٤٠ . |
| ٢١٧ ، ٢١٨ . | أبناء جفنة : ٢٣٤ . |
| الافرنج (الميروفيغيون) (وانظر | ابناء قوي التون : ٤٨٦ . |
| الفرنج) : ١١٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ ، | الأتراك : ٢١٨ . |
| ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، | الأنثوبيون (الأجباش) : ٢٢ ، |
| ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، | ٢٧ ، ٢٩ . |
| ٤١١ ، ٤٥٨ . | الأدراسة : ٥٠٥ . |
| أفري : ١٢٤ . | أهاسة : ١٢٣ . |
| الافريقيون : ١١٥ ، ١١٧ ، ١٣٢ . | الاردمانيون : ٤٠٧ . |
| الاكتانيون : ٣١٩ . | الأرثوذكس (مذهب مسيحي) : |
| الامريكيون : ٨٣ ، ٨٨ . | ٣٣ ، ٣٤ . |
| الامويون : ٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، | أركار : ١٢٤ . |
| ٢٣٤ ، ٣٠١ ، ٣٢١ ، ٣٣٥ ، | الأريك : ٢٤٠ . |
| | أزداجه : ١٢٣ . |

الانصار: ١٠٩٨، ١٠٦٦، ١٤٧، ٢٥٢.	٤٠٨ ، ٣٧٠ ، ٣٦٨ ، ٣٦٥
أوربة : ١٢٣ ، ١٥٩ ، ٢٢٩ .	٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٥٠٢ ، ٥٥٥ .
أوريفة : ١٢٣ .	أندلسيون (اندلسيا) (فاند
أولاد غبطة : ٣١١ .	الوسيون) : ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٧٨ ،
الايبريون : ٢٣٩ .	٣٨٥ .

حرف الباء

١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٤	البابليون : ١١٢ .
١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١	الباجويون : ١٢٤ .
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩	البارثيون : ١١٨ .
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١	البافارويون : ٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٥٧ .
٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٥	البار : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٨٣ ،
٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧	١٩٤ .
٢٥٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٣٠٨ ، ٣٥٤	البيجة : ١٤٦ .
٣٦٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠	البرابرة : ١١٣ ، ١١٨ ، ١٣٤ ، ١٢٥ ،
٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥٢٤ ، ٥٥٦ .	٢٦٠ ، ٤١٦ ، ٥٨٠ .
البربر المسلمون : ١٧٩ .	برابرة الشمال : ٣٤٦ .
البريتون : ٣١٨ ، ٣١٩ .	البرانص - و - أوربة : ١٧٠ .
البشاكسة : ٤٥٣ .	البرانص : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ،
البطالسة : ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥	١٨٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ .
٢٧ ، ٢٩ ، ٣٤ .	البربر : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
بلدية (عرب الحجاز) : ٣٥٥ ، ٥٠٧ .	١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،
بنو إدريس : ٥٧٦ .	١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
	١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،

بنو أمية : ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٥ ، ٥٥٤	بنو أمية : ٤٤
٥٦١	بنو لب : ٤٨٦
بنو الحارث بن عبدمناة بن كنانة : ١٠٢	بنو لؤي الأكبر : ١٢٣
بنو حزم : ٣١٣	بنو مخزوم : ٣٠٩
بنو حفصون : ٥٧٠	بنو مدرار : ٥٦٥
بنو خزر : (ملوك تلمسان) : ١٤٥	بنو مدليج : ٧١
بنو ذي النون : ٤٨٦ ، ٤٩١	بنو مروان : ٥٠٧
بنو عامر : ٣٤٤	بنو مقيث : ٢٩٨
بنو العباس : ٢٣٤	بنو هاييل : ٥٦٨
بنو عصام : ٥٠٥	بنو هاشم : ٤٩٦ ، ٤٩٧
بنو قسي : ٤٤٩	البورغونديين : ٣١٩
بنو قتيقاع : ١٠٦	البورغونيون : ١١٧
بنو هك : ٣٥٠	البوصيون : ٢٤٠
بنو عمر بن تيملت : ٥١٣	البيزنطيون : ٨٠ ، ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٢٤
بنو غومس : ٥١٩	١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٠٤ ، ٢١١
بنو قسي : ٤٥٣ ، ٤٥٥	٢١٧ ، ٢٢١

حرف التاء

تار : ٣٥٨	التولف : ٢٤٠
التجيبون : ٤٨٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧	تيرغاش : ١٢٣
٤٩٨	تينملك : ١٢٥
الترك : ٥٤٩	
تهوذة : ٢٢٨	

حرف الثاء

الثالوثيون : ١١٩ . | ثيف : ٤٤ .

حرف الجيم

الجاشفيون : ٤٠٥ . | جراوة : ١٧٥ ، ١٧٧ .
 القبائل الجرمانية البربرية : ٢٥ . | جزولة (كزولة) : ١٢٣ .
 الجرمانيون (الشعوب الجرمانية) : | الجلالة : ٣٧٧ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ .
 ١١٩ ، ٢٤٠ ، ٣٥٠ .

حرف الحاء

الحثيون : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ . | الحمدانيون : ٥٤٧ .

حرف الخاء

الخوارج : ٩٩ ، ١٨٩ . | خولان : ٣٤٨ .

حرف الدال

الداسيون : ١١٨ .

حرف الراء

راح : ٥٥٤ . | الرومان : ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
 رفجومة : ١٢٣ . | ٣١٨ .
 الروس : ١١ . | الروم : ٨ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ .

١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧	٥٠ ، ٤٨ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢
١٨٢ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٥ ، ١٧٤	٦٠ ، ٥٩ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣
١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣	٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣
٢١٧ ، ٢١١ ، ٢٠٩ ، ٢٠٤ ، ١٩٧	٨٣ ، ٧٩ ، ٧٧ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١
٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٢	١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ٨٤
٢٩٧ ، ٢٥٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢	١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٣ ، ١٠٩
٥٣٥ ، ٥٣٢ ، ٥٢٦ ، ٣٥٨ ، ٣٠٧	١٤٧ ، ١٤٤ ، ١٣٧ ، ١٣٤ ، ١٢٢
الروم البيزنطيون : ٣٦ .	١٦٢ ، ١٦١ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٤٩

حرف الزاي

زناة : ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٧	الزهيرون : ٥٨ .
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٥٨٠ .	زبيد : ٧٣ .
الزنج : ٤٧٤ .	الزبيرية : ٣٠٨ .

حرف المسين

السلافيون (السلاف) (الشعوب	السارمانيون : ١١٩ .
السلافية) : ١١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩	الساسانيون : ٣٢ .
٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٤٠٦ ، ٤٢١ .	الساكون : ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦
سودانيون : ١١٣ .	٣٥٧ .
السوريون : ٢١ ، ٢٦ .	سانت ترويز : ٣٣٧ .
السوفية (شعوب) : ٢٤٠ .	الستيليكون : ٢٤٠ .

حرف الشين

الشيعة : ٤٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٠٤ .	الشامية : ٣٥٥ . شعوب البحر : ٢٧ ، ٢٩ ، ١١٢ .
----------------------------	---

حرف الصاد

الصليبيون : ٣٤٧ . صنهاجة : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٦٣ . . ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٥٢٥ .	الصقالبة : ٢١٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥٣٣ ، . ٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩ .
--	--

حرف الضاد

ضريبة : ١٢٣ .

حرف الطاء

طبيء : ٤٤ .

حرف العين

العرب : ١١٦٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،	العامريون : ٣٤٤ ، ٣٦٦ ، ٥٤٧ ، . ٥٧٨ العبرانيون : ١١٢ ، ١١٣ ، المعجم : ٢٤٩ ، ٢٦٣ ، ٢٨٧ ، . ٣٠٤ ، ٣٠٨ عجبة : ١٢٣ .
--	---

١٥٠، ١٤٧، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٤٢
 ١٦٨، ١٦٧، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨
 ١٧٦، ١٧٤، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩
 ١٨٣، ١٨٢، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨
 ١٩٦، ١٨٨، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤
 ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٧
 ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥
 ٢١٦، ٢١٥، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١١
 ٢٤١، ٢٢٨، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١٧
 ٢٥٠، ٢٤٨، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢
 ٢٦٦، ٢٦٢، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥١
 ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٣ ، ٢١٨ ، ٢٨٢
 ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٢٣
 ٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٠
 ٤٦١، ٤١٩، ٣٥٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٦
 ٥٣٧، ٥٣٦، ٥٢٨ ، ٤٧٦ ، ٤٧٣
 ٥٤٤، ٥٤٣، ٥٤٢ ، ٥٤١ ، ٥٣٨
 . ٥٤٦ ، ٥٤٥

. العلويون : ٤٩٢

. المموريون : ١١٢

. عنزة : ٢٢٧

١٨٠، ١٧٨، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧١
 ٢٠٤، ١٨٩، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١
 ٢١٧، ٢١٤، ٢١٣ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨
 ٢٦٢، ٢٥١، ٢٥٠ ، ٢٢٧ ، ٢١٨
 ٣٠٦، ٢٩١، ٢٧٤ ، ٢٧١ ، ٢٦٧
 ٣٣٣، ٣٣١، ٣١٨ ، ٣١٣ ، ٣٠٨
 ٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤١
 ٦٦٣، ٣٦٢، ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٤
 ٤٤٩، ٤٤٨، ٤٣٦ ، ٤٣٢ ، ٤١٦
 ٥٢٥، ٥٠٩، ٥٠٢ ، ٤٩٨ ، ٤٥٠
 . ٥٧٨ ، ٥٦٤ ، ٥٦٠ ، ٥٣٨

. عرب الجزيرة : ١٢٣

. العرب المئانيون : ١٤٧

. العرب المسلمون : ١١، ١٠، ٩، ٨

٤٨، ٣٤، ٢٧، ١٤ ، ١٣ ، ١٢

٦٤، ٦٣، ٥٩، ٥٣، ٥٠، ٤٩

٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٧، ٦٦، ٦٥

٨٤، ٨٢، ٨١، ٧٨، ٧٤، ٧٣

٩٣، ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٦، ٨٥

١٤٠ ، ١٣٦ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤

حرف الغاين

. الفاسنة : ٢٣٤

. غمارة : ١٢٣

. الغاليون : ٣٥٠

. خافق : ٣٥٠

حرف الفاء

٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤

٣٩٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٥٠

٤٧٣ ، ٤٨٤ ، ٤٩٦ ، ٥٢٥ ، ٥٣٥

٥٣٦ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥١ ، ٥٥٢

الفرنسيون : ١١٦ ، ٤٠١ .

الفيزيقوط : ٣١٩ .

الفيزيقوطيون (وانظر القوط

الغربيون) : ١١٩ ، ١٢٠ ، ٢٤٠

٢٥٠ ، ٣١٨ .

الفيليستي : (انظر شعوب البحر) .

الفينيقيون : ١١٢ ، ٢٤٠ .

الفاطيون : ٤٩٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

الغالانج : ٣٢٠ ، ٣٣٢ .

الغاندال : ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢٠

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ٢٤٠ .

الغانداليون : ١١٧ .

الغراعة : ٢٠ .

الغرس : ١٥ ، ٢١٨ ، ٣٥٨ .

الغرنج : ١٤٥ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧

١٨٩ ، ١٥٧ ، ٢٨٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩

٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣

٣٣٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦

حرف القاف

قضاة بن مالك بن حمير (قبيلة) : ١٠٦ .

القوط : ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦

٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠

القوط الشرقيون : ١١٧ ، ١٢١ ، ٢٤٠ .

القوط الغربيون : ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١

٢٤٠ ، ٣١٨ .

قيس : ١٠٧ .

القبط : ٣٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٣ ،

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ،

٧٣ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٧ ، ١٨٧

٣٥٨ ، ٥٣١ .

القرامطة : ٤٧٤ .

قرطاجيون : ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٤٠ .

القرطبيون : ٥٠٨ .

قريش : ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٥٥٧ .

قضاة : ٤٣ ، ٩٨ .

حرف الكاف

كتامة : ١٢٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .	الكاثوليك : ٣٣ ، ١٣٠ .
كدميوه : ١٢٥ .	الكارولنجيون : ٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦ .
كزوله : ١٢٤ .	٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ .
الكنعمانيون : ١١٢ .	٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٥ ، ٤٢١ ، ٥٢٦ .

حرف اللام

لواتة : ١٤٨ ، ١٤٩ .	لحم : ٣٠٦ .
لوامة : ١٢٣ .	لثونه : ١٢٤ .
اللومبارديون : ٣٢٠ .	لطة : ١٢٣ ، ١٢٤ .
الليبيون : ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٩ .	لوا : ١٢٣ .

حرف الميم

المسيحيون : ١٢٢ ، ٢٤٧ ، ٤١٧ .	المالقيون : ٥٠٨ .
٥٥٢ .	المجر (وانظر السلاف) : ٣٤٢ ،
المستعربين : ٤٣٦ ، ٤٤٨ .	٤٢١ .
مشكورة : ١٢٥ .	مجلس السوفيات الاعلى : ٨٦ .
المصامدة : ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٩٦ .	المجوسية : ١٦٣ .
المصريون : ٩٧ ، ١١٢ ، ١١٣ .	المرابطون : ٥٣٨ ، ٥٤٦ ، ٥٥١ .
مصودة : ١٢٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ .	٥٥٢ .
المضرية : ٣٥٥ ، ٤٠٢ .	المروانية : ٣٠٨ .
المكدونيون : ٢٢ .	مسراته : ١٢٤ .
الملكيون (مذهب مسيحي) : ٣٣ .	المسيحية : ٣٢ ، ٣٤ ، ١٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

موحدون : ٥٤٠ ، ٥٤٦ ، ٥٥٢ .	مليلة : ١٢٣ .
المولدون : ٤٣٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ .	المالك : ٥٠٨ .
الميروفنجيون : ٣٥٥ .	المهاجرون : ١٠١ ، ٩٨ ، ١٤٧ ، ٢٥٢ .
الميرفيون : ٣٢٠ .	الموالي : ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ .

حرف النون

نفرسة : ١٢٣ .	النصارى : ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٩ .
نقره : ١٢٦ .	٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٦ ، ٥٢٦ .
النوب : ٥٨ ، ٥٩ .	٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٤٦٧ ، ٥٧١ .
النوبة : ١٤٦ ، ٥٣١ .	٥٧٧ ، ٥٧٨ .
النورمان : ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٤٠٥ .	النصرانية : ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ .
٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٩ .	٥٣٨ .
٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٦٨ ، ٥١٠ .	ننزوة : ١٢٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ .
٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ .	ننزوة : ١٢٣ .

حرف الهاء

هوازن : ٤٤ .	مكسورة : ١٢٣ .
الهون : ٣١٩ .	منتانة : ١٢٥ .
البيكوس : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ .	هواره : ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

حرف الواو

وربكة : ١٢٤ .	الوثنية : ١٣٢ .
ولخاصة : ١٢٣ .	الوثنيون : ٢٥ ، ٣٠ ، ١٢٢ ، ٣٤٦ .

حرف الياء

اليهود : ٣٠ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٢٢ ،	اليعاقبة : ٣٣ ، ٣٤ .
٢٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،	يمنية : ٣٥٥ .
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ ،	اليمنيون : ٣٥٥ .
٤١٧ .	اليونانيون : ١٧ ، ٢٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ،
يهود البربر : ٢٤٧ .	١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ٢٣٩ ،
	٢٤٦ .

الفهرس

٥ - الأهداء . ٧ - المقدمة .

القسم الأول

الفصل الأول (١٥ - ٣٦)

وادي النيل عبر التاريخ

- ١٧ - الموقع والطبيعة الجغرافية . ١٩ - الحكم في مصر عبر التاريخ .
٢٢ - مصر في عهد البطالسة . ٢٤ - من البطالسة الى الرومان « بيزنطة » .
٢٩ - مصر عشية الفتح الاسلامي : (أ - الوضع الاجتماعي . ب - العلاقة بين بيزنطة والفرس . ج - المذاهب الدينية . د - التنظيم العسكري البيزنطي في مصر .

القسم الاول

الفصل الثاني (٣٧ - ٧٤)

فتح مصر

- ٣٩ - جدول توقيت الأحداث . ٤١ - النبوة . ٤٣ - القائد .
٤٥ - الخليفة عمر يوافق على فتح مصر . ٤٦ - في الطريق إلى مصر . ٤٨ - خطط الطرف المقابل . ٤٨ - الفرما ، بداية فتح مصر . ٤٩ - من الفرما إلى القواصر .
٤٩ - من القواصر إلى بلبيس . ٥٠ - أم دنين بعد بلبيس . ٥٣ - الحصار الطويل وسقوط بابلينون . ٥٨ - اتفاقية الصلح . ٦٢ - في الطريق إلى الاسكندرية . ٦٤ - الكريون آخر معركة قبل الاسكندرية . ٦٥ - فتح الاسكندرية الأول . ٦٩ - خراب خربة وردان . ٧٠ - رابطة الاسكندرية .
٧٠ - فتح بركة وزويلة . ٧١ - فتح طرابلس . ٧٢ - فتح الاسكندرية الثاني .
٧٤ - تأمين الحدود الجنوبية لمصر .

القسم الاول

الفصل الثالث (٧٥ - ١٠٨)

الدروس المستفادة من عمليات فتح مصر

- ٧٩ - اعطاء الأفضلية لمسارح العمليات ومحاور الهجوم . ٨١ - الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة . ٨٢ - المباغتة . ٨٣ - الحفاظ على الهدف . ٨٥ - وحدة القيادة . ٨٦ - كفاءة افراد القيادة العامة . ٨٨ - الهجوم . ٨٩ - اجبار الخصم على بعثرة قواته . ٩٠ - الحشد ومرونة الحركة . ٩١ - المطاردة . ٩١ - التمويه من مؤونة العدو نفسه . ٩٢ - الحرب النفسية . ٩٣ - التسليح . ٩٤ - الروح المعنوية للمقاتلين . ٩٥ - انشاء علاقات اجتماعية جديدة . ٩٨ - قراءات : عمرو بن العاص . ١٠٠ - الزبير بن العوام . ١٠٢ - عبد الله بن حذافة السهمي . ١٠٣ - خارجة بن حذافة العدوي . ١٠٤ - عمير بن وهب الجمحي . ١٠٦ - عقبة بن عامر الجهني . ١٠٦ - عبادة ابن الصامت الأنصاري الحزرجي . ١٠٧ - مقتل الارطوبون .

القسم الثاني

الفصل الاول (١٠٩ - ١٣٤)

افريقية الشمالية عبر التاريخ

- ١١١ - فينيقيا تشيد قرطاجة في افريقية الشمالية . ١١٣ - قرطاجة دولة عربية في افريقيا . ١١٥ - افريقية الشمالية تحت حكم الرومان . ١١٩ - الفاندال وحكم افريقية . ١٢١ - حكم بيزنطة في افريقية . ١٢١ - المعطيات البشرية . ١٢٤ - المعطيات الجغرافية . ١٣٠ - افريقية عشية الفتح الاسلامي : (آ - الوضع السياسي . ب - الوضع الديني . ج - الوضع العسكري) .

القسم الثاني

الفصل الثاني (١٣٥ - ١٩٨)

فتح افريقية

- ١٤٠ - معركة عقوبة « عبد الله بن سعد » : (آ - الغزوات الاستطلاعية .

ب - الاستعداد وقوى الطرفين . ج - حرب الاستنزاف والحرب النفسية .
د - الصلح مع النوبة . هـ - قمع حركة التمرد الأولى) . ١٤٧ - معركة الأجم
« معاوية بن حديج السكوني » : (آ - الوضع العام قبل المعركة . ب - عقبة
ابن نافع وفتوحه . ج - بيزنطة تحرض على الثورة المضادة . د - ابن حديج
مرة ثالثة في إفريقية ومعركة الأجم . هـ - استئثار الظفر) . ١٥٢ - المد الكبير
وعمليات عقبة بن نافع ، (آ - الفتوح بين ٤٦ و ٦٢ هـ . ب - القيروان
قاعدة متقدمة للعمليات . ج - أبو المهاجر دينار وأعمال الفتوح . د - عقبة
يتابع ثانية فتوحاته . هـ - تهوذة الأساة ومقتل عقبة بن نافع ٦٣ هـ .
١٦٦ - معركة ممس « زهير بن قيس البلوي » : (آ - الوضع العام . ب - خطة
كسيلة . ح - المعركة الحاسمة . د - المطاردة واستئثار الظفر . هـ - العدوان
البيزنطي) . ١٧١ - القضاء على ثورة الكاهنة وتدمير قوة بيزنطة في قرطاجنة
« حسان بن النعمان » : (آ - الوضع العام . ب - الوضع الخاص . ج - الواجب
الأول « قرطاجنة » . د - الواجب الثاني « معركة نينى » وفشل محاولة
القضاء على ثورة الكاهنة) . ١٧٧ - القضاء على ثورة الكاهنة واستعادة قرطاجنة
٨١ - ٨٢ هـ : (آ - الوضع العام . ب - الكاهنة . ج - بيزنطة . د - العرب
المسلمون . هـ - مسيرة الأعمال القتالية . و - تصفية قاعدة العدوان « قرطاجنة » .
ز - القضاء على النفوذ البيزنطي في البحر « بناء تونس » . ١٨٨ - حرب القبائل
« موسى بن نصير » : (آ - الوضع العام . ب - المرحلة الأولى : تأمين قاعدة
الانطلاق . ج - التأمين البحري لأفريقية « غزوة الأشراف » . د - إخضاع
القبائل المتمردة .

القسم الثاني

الفصل الثالث (١٩٩ - ٢٣٦)

فن الحرب وفتح إفريقية والمغرب

٢٠٤ - الانطلاق من قواعد أمنية . ٢٠٥ - تحديد الأولويات على مساح

- العمليات . ٢٠٦ - المباغثة . ٢٠٨ - التنسيق بين العمليات البرية والبحرية .
 ٢٠٩ - الاهتمام بالشؤون الادارية . ٢١١ - الأمن والاستطلاع . ٢١٢ - الحرب
 النفسية . ٢١٤ - كفاءة القيادة . ٢١٥ - الروح المعنوية و ارادة النصر .
 ٢١٧ - إقامة علاقات عامة جيدة . ٢١٩ - دروس النكسات .
 ٢٢٣ - قراءات : آ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح . ٢٢٥ - معاوية بن
 حديج السكوني . ٢٢٦ - عقبة بن نافع الفهري . ٢٢٨ - أبو المهاجر دينار .
 ٢٣٠ - عبد الله بن الزبير بن العوام . ٢٣١ - بسر بن أرطاة . ٢٣٣ - زهير بن
 قيس البلوي . ٢٣٤ - حسان بن النعمان .

القسم الثالث

الفصل الاول (٢٣٧ - ٢٥٢)

فتح الأندلس

- ٢٣٩ - الموقع والطبيعة لجغرافية . ٢٣٩ - المعطيات البشرية . ٢٤١ - المناخ .
 ٢٤٢ - الثروة الطبيعية . ٢٤٣ - الموقف عشية الفتح الاسلامي : (آ - التاج .
 ب - السلك . ج - علاقة السكان باليهود . د - علاقة حاكم سبته بملوك
 الأندلس . هـ - الأسطورة في خدمة قضية الفتح) .

القسم الثالث

الفصل الثاني (٢٥٣ - ٣١٤)

المرحلة الاولى من فتح الاندلس

- ٢٥٧ - من العبور حتى معركة وادي لكة ، « التمهيد للفتح » .
 ٢٥٩ - الغزوات الاستطلاعية . ٢٦٢ - الانزال في الأندلس . ٢٦٣ - معركة
 وادي لكة . ٢٦٦ - نتائج المعركة . ٢٦٧ - استئثار الظفر .

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

- ٢٧٣ - عمليات موسى بن نصير . ٢٧٦ - فتح اشبيليا . ٢٧٧ - التوقف
 عند مارده . ٢٧٩ - قمع حركة التمرد في اشبيليا . ٢٧٩ - معركة السواقي .

٢٨٢- معاودة فتح طليطلة . ٢٨٣ - فتح سرقسطة وفتوح الشمال . ٢٨٩- فتوح شمال غرب الأندلس «جلبقية» . ٢٠٢ - فتح عبد العزيز بن موسى في الأندلس . ٢٩٤ - قراءات : موسى بن نصير اللخمي . ٢٩٦ - طارق بن زياد . ٢٩٧ - مغيث الرومي . ٢٩٨ - عبد العزيز بن موسى بن نصير . ٣٠٠- نهاية موسى بن نصير . ٣١١ - مصير أولاد غيطشة بعد الحرب .

القسم الثالث

الفصل الثالث (٣١٥ - ٣٥٠)

الفتوح في عهد الولاة

٣١٨ - فرنسا « الغال » عند فتح العرب للأندلس . ٣٢١ - يوم التروية . ٣٢٥ - مأساة غنبرة بن سحيم الكلبي . ٣٢٦ - معركة بواتيه «بلاط الشهداء» . ٣٣٣ - معركة بواتيه في التاريخ . ٣٣٦ - المحور الخامس ، والقاعدة المتقدمة في ايطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا . ٣٤٥ - حول عمليات المحور البحري . ٣٤٨ - قراءات : السمح بن مالك الخولاني . ٣٤٩ - غنبرة بن سحيم الكلبي . ٣٥٠ - عبد الرحمن الغافقي .

القسم الرابع

الفصل الاول (٣٥١ - ٣٩٥)

الدولة الأموية في الأندلس

٣٥٣ - الوضع العام . ٣٥٥ - الوضع على الجبهة الشمالية . ٣٦١ - الوضع الداخلي . ٣٦١ - عبد الرحمن الداخل في الأندلس : (آ - الاصلاحات واعادة التنظيم - تشكيل الجيش المحترف . ب - استراتيجية الردع - تنظيم الصوائف وحماية الثغور . ج - سياسة الاحلاف . د - عبد الرحمن الداخل وبناء الدولة . ٣٧٠ - هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الهجمات الوقائية : (آ - العمليات في جلبقية . ب - العمليات في ناربون وأكيتانيا . ج - معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جلبقية - موقعة الصخرة) . ٣٨٣ - الحكم بن هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الردع : (آ - الوضع العام . ب - الوضع الخاص .

ج - مسيرة الأعمال القتالية: ١ - الهجوم الوقائي الأول. ٢ - سقوط برشلونه.
٣ - استعادة تطيله. ٤ - هجوم وقائي جديد. ٥ - استراتيجية الردع -
معركة وادي الحجارة. ٦ - اخضاع التمرد في طليطلة. ٧ - تطوير
عمليات الردع.

القسم الرابع

الفصل الثاني (٣٩٧ - ٤٦٥)

عهود الفتنة والاضطراب

٣٩٩ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، والهجمات الوقائية واستراتيجية
الردع . ٣٩٩ - عملية الردع الأولى . ٤٠١ - استعادة السيطرة على اراغون .
٤٠١ - عمليات الردع لحماية الثغور . ٤٠٣ - العمليات في جيليقية . ٤٠٥ - ازال
النورمان في الأندلس . ٤٠٨ - عمليات الردع ضد جزر مينورقه ، ميورقه ،
يابسه ، جزر الباليئار . ٤١٣ - ثورة ماردة . ٤١٥ - الفتنة الطائفية .
٤١٨ - محمد بن عبد الرحمن وحروب الاستنزاف . ٤٢١ - احباط عملية السبر .
٤٢٢ - عمليات الردع الخارجية : (آ - معركة وادي سليط . ب - مجابهة
غزو النورمان . ج - عمليات الردع في الشمال . د - الثورات المضادة في عهد
الأمير محمد بن عبد الرحمن . هـ - ثورة عمر بن حفصون . ٤٤٧ - حروب
الاستنزاف واستمرار الثورات المضادة : (آ - عناصر الثورات المضادة .
ب - نشوء مملكة نافار ، أو البشكنس . ج - نشوء مملكة جيليقية -
اشتوريش ، ثم ليون) .

القسم الرابع

الفصل الثالث (٤٦٧ - ٥٨٠)

عصر القوة في الأندلس

٤٧١ - الردع في عهد عبد الرحمن الثالث . ٤٧١ - غزاة موبش : (الوضع
العام : آ - الموقف في الشمال . ب - الموقف في الدولة العباسية . ج - الموقف
في بيزنطة . د - الموقف على الحدود الجنوبية للأندلس) . ٤٧٥ - الوضع الخاص .

- ٤٧٩ - غزوة موبش - مسيرة العمليات . ٤٨٥ - غزوة بنبلونه : (١ - الوضع الخاص قبل المعركة . ٢ - مسيرة الأعمال القتالية) . ٤٩٥ - معركة الخندق « غزاة القدره » : (١ - الوضع العام . ٢ - الوضع الخاص . ٣ - مسيرة الأعمال القتالية . ٤ - نتائج المعركة . ٥٠٢ - الردع في عهد « الحكم المستنصر » : (الوضع العام : آ - الموقف في دول الشمال . ب - الموقف في الجنوب) . ٥٠٧ - الوضع الخاص . ٥١٠ - الأعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد . ٥١٢ - احباط غزو النورمان . ٥١٣ - عملية الردع في غزو « غرماج » : (آ - التحدي . ب - الهجوم الفادر الثاني . ج - مؤتمر الحرب . د - العرض والاستعراض . هـ - الاعداد للمعركة الحاسمة . و - المعركة الحاسمة . ز - استئثار الظفر . ح - معركة ثانوية على أبواب سرقسطة) . ٥٢٢ - تصعيد استراتيجية الردع في عهد الحاجب المنصور . ٥٢٢ - قتال مستمر . ٥٢٨ - معركة شنت ياقب : (آ - الوضع العام . ب - الوضع الخاص . ج - مسيرة العمليات) . ٥٣٣ - منجزات الحاجب المنصور وأسلوب عمله . ٥٣٧ - الغزو المضاد ما بعد المنصور وبداية حركة الاسترجاع . ٥٣٨ - دير كلوني قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية . ٥٣٩ - اجتماع كليرمونت و اعلان الحرب الصليبية . ٥٤٠ - استراتيجية حركة الاسترجاع . ٥٤٢ - المنطلقات الأساسية لاستراتيجية الاسترجاع . ٥٤٧ - الحرب الصليبية في الشرق والغرب . ٥٥٤ - قراءات : عبد الرحمن الداخل . ٥٥٩ - هشام بن عبد الرحمن . ٥٦١ - الحكم بن هشام . ٥٦٣ - عبد الرحمن بن الحكم . ٥٦٥ - محمد بن عبد الرحمن . ٥٦٦ - المنذر بن محمد . ٥٦٧ - عبد الله بن محمد . ٥٦٩ - عبد الرحمن بن محمد . ٥٧٤ - الحكم المستنصر . ٥٧٨ - الحاجب المنصور . ٥٨١ - آثار العرب في الاندلس . ٥٩١ - ملحق الكتاب .



هذا الكتاب

موسوعة تاريخية عسكرية تقدم لك المعرفة بتاريخ الأمة العربية وأعمال الفتوحات العظمى التي عاشتها على امتداد أربعة عشر قرناً من عمر الزمن هو تاريخ الأمة العربية الإسلامية منذ أن أضاءت الدنيا وأشرقت برسالة الإسلام وحتى اليوم.

• تبرز الحنكة العسكرية والإدارية التي تميز بها القائد المسلم بحسه العربي الذي فطر عليه في تطبيق مبادئ الحرب في الاستراتيجية والتنفيذ في ميدان المعركة، وفي فن القيادة وكفاءتها والروح المعنوية العالية للمقاتلين سواء بسواء في الحروب النظامية أو الحروب الثورية الداخلية وقمع الفتن بإيمان راسخ بنصر من الله وتأييده.

• تشمل:

□ عهود الخلفاء الراشدين والامويين للأعمال القتالية في الشمال والشرق والغرب والأندلس وجنوب أوروبا والغزوات البحرية.

□ الجهاد على جهة الروم في العهد العباسي وعلى ثغور الهند والحروب البحرية وغزو التتار لبلاد الإسلام وتمزيق قواهم في معركة عين جالوت

□ الغزو الصليبي لبلاد الإسلام في الحملات الصليبية المتتالية ومعركة حطين وتحرير القدس وطرد الصليبيين الفرنج وتصفية وجودهم في الشرق.

□ ظهور العثمانيين وحملهم راية الجهاد وفتح القسطنطينية والتوغل في أوروبا شمالاً وغرباً والتوسع في آسيا والحروب مع روسيا

• مرجع هام يحتاج إليه:

□ تلميذ التاريخ وأستاذه

□ العسكري في ممارسته لفنه وعلمه

□ المؤرخ في تقصيه للحقائق التاريخية

□ كل مواطن عربي تواق للاستزادة بمعرفة تاريخ امته